

UNIVERSAL
LIBRARY

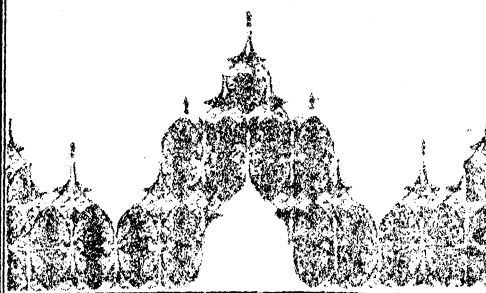
OU_232508

UNIVERSAL
LIBRARY

فهرسة الجزء الاول من تفسير الخطيب الشربيني

سورة النساء ٢٧٨	سورة آل عمران ١٩٣	سورة البقرة ٠١٤	سورة فاتحة الكتاب ٣
سورة الانفال ٥٥١	سورة الاعراف ٤٦٢	سورة الانعام ٤٠٨	سورة المائدة ٣٥٠
سورة التوبة ٥٨٦			

الجزء الاول من السراج المضيء في الاعانة
على معرفة بعض دعوى السلام ربنا
الحكيم الكبير للشيخ الامام
المطيب الشريف في قدس
الله روحه وعم بالرحمة
ضمير بحسبه
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك السلام المهيمن العالم شارح الاحكام ذي الجلال والاكرام الذي أنزل القرآن بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتحا وبالاستعاذة محتما وأوحاه على قسعين متشابهة ومحكما فسبحان من استأنز بالآتوية والقدم ووسم كل شيء سواء بالحدوث عن العدم ومن علينا بنينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأنعم علينا بكتابه المفترق بين الحلال والحرام والصلاة والسلام على خير من أوحى إليه حبيب الله أبي القاسم محمد النبي الأبي المثلث بالعصمة المؤيد بالحكمة وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام عدسات الليالي والايام وعلى آله الاطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والانصار وعلى بقية الصحابة الاخبار صلاة وسلاما دائمين متلازمين آناه الليل وأطراف النهار (أما بعد) فيقول فقير رحمة به القريب محمد الشريفي الخطيب ان الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشير للمؤمنين ونذير للمخالفين أكمل به نبيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وأنزل عليه بفضله كتابا ساطعا ببياناه فاطعا برهانه ناطقا ببياناته وجمع قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية حسنة ظاهرة باهرة في وجهه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أعجز الخليفة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلة ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته وبسر على اللسان قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر فهو كلام مجزى رفائق منطوقة ودقائق مفهومة لانهاية لاسرار علومه (وقد ألف أئمة السلف) كتباً

في معرفة احكامه ونزوله كل على قدر فهمه ومبلغ علمه فشكر الله تعالى عليهم ورحمهم كافهم
ثم خطبوا ان ائمتي اترهم واسلك طريقهم لعل الله ان يرزقني من مددهم ويعود على من
ركبهم فترددت في ذلك مدة من الزمان خوفا من الدخول في هذا الشأن لقوله صلى الله عليه
وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وقول سعد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه وفي رواية بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وقول أبي بكر
رضي الله تعالى عنه لما سئل عن قوله تعالى وفاكهة وأنا نقال أي سماء تطلق وأي أرض تغطي
إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم إلى أن يسر الله تعالى لي زيادة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عليه
وعلى سائر النبيين والاول والاصحاب أجمعين في أول عام تسعمائة واحد وستين فاستغفر
الله تعالى في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته وسألته أن يسر لي أمرى فشرح
الله سبحانه وتعالى لي ذلك صدرى فلما رجعت من سفرى واستمريت ذلك الانسراح معي وكنت
ذلك في سفرى حتى قال لي شخص من أصحابي رأيت في منامى أماني النبي صلى الله عليه وسلم
أو الشافعي يقول لي قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن فعن قليل الا وقد قرئت في وظيفة
مشيخة تفسير في الجبالستان ثم سألني بعد ذلك جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس
العلم مقبلين بعد ان رأوني فرغت من شرح منهاج الطالبين أن أجعل لهم تفسيراً وسطاً بين
الطويل الممل والقصير المخل فأجبتهم الى ذلك عملاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
فيما روي به أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال ان رجلاً بالاً يؤتيكم
من أقطار الارض يتفهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً واقدماء الماخضين من
السلف في تدوين العلم ابقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزبد ولكن لا بد في كل زمان من
تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجهد والجهد تنبها للمتوقفين وتخريضا للمتنبطين
وليكون ذلك عوناً لي وللقاصرين مني مقتصرافيه على أرجح الاقوال واعراب ما يحتاج
اليه عند السؤال وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية واعراب محلها كعب العربية
وحيث ذكرت فيه شيأ من القراءات فهو من السبع المشهورات وقد أذكر بعض أقوال
واعراب لقوة مداركها ولو رويها ولكن بسبعة قبل اعلم ان المرضى أولها (وسميته)
السراج المنير في الإغاثة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير وأسأله من فضله
واحسانه أن يجعله عملاً مقروناً بالاخلاص والقبول والاقبال وفعلاً متقبلاً مرضياً كايعة
من صالح الاعمال (وقد تلبقت) التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة ورواية ودراية عن
أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت ما ترجم جعني الله وياهم والمسلمين في
مستقر رحمة بحمدوا له وصحابته (وها أنا الآن أشرع) وبحسن توقيفه أقول وهو الموفق
لكل خير يعطى كل مسؤل

قوله فقال أي سماء
كثيراً ما تستعمل
إعادة العامل لطول
الفصل وهو في
القول كثيراً

معصية

(سورة فاتحة الكتاب)

وتسمى أم القرآن لانها حقيقته ومبدؤه فكانها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً ولانها
تشتق على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمه ونبيه وبيان وعده ووعدته وأعلى جملة
معليه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سالك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكثر لانها نزلت من كثرة نعم العرش والوافية
والكافية لانها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشافية والشفاء
لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء لكل داء والسمع الثاني لانها سبع آيات باتفاق لكن
من عدا السجدة آية منها جعل السابعة صراط الذين الى آخرها ومن لم يعدّها آية منها جعل
السابعة غير المغضوب عليهم الى آخرها وسميت منان لانها تنفي في الصلاة أي تكثر فيها بان ققرأ
في كل صلاة وفي كل ركعة وقول بعضهم تنفي في كل ركعة فيه تجوز وهي مكينة على قول الاكثر
وقال مجاهد مدنية وقبل نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حوت
القبلة ولذلك سميت منان قال البغوي والاول أصح وقال البضاوي وقد صرح أنها مكينة بقوله
تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهو مكى بالنص انتهى وأراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك
عن ابن عباس وقول العيصي في القرآن خصوصاً في النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم
والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها على ذلك وسورة المناجاة
وسورة التهويض وفاحة القرآن وأم الكتاب وسورة الحمد الاولى وسورة الحمد القصوى وسورة
السؤال والصلاة لطبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ثم فين فقصها الى نصفها العبدى ولعبدى
ماسأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدى يقول العبد الرحمن الرحيم
يقول الله أنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله بحمدني عبدى يقول العبد اياك
نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدى ولعبدى ماسأل يقول العبد
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله
فهو لا لعبدى ولعبدى ماسأل ولا نهجر وهافهم من باب تسمية جزء الشيء باسم كله وقوله
تعالى (بسم الله) أي الملك الاعظم الذي لا نعبد الاياه (الرحمن) أي الذي هم ينعمي ايجاده
وبيانه جميع خلقه أسفله وأعله أذناه وأقصاه (الرحيم) أي الذي خص من بينهم أهل وقده برضاه
آية من الفاتحة وعليه قرا امك والكوفة وفقها وهما وابن المبارك والشافعي وقيل ليست منها
وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعي ومالك ويدل للاول ما روى أنه
صلى الله عليه وسلم عدا الفاتحة سبع آيات وعبد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها رآه البصري
في تاريخه وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا
قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم
الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها وروى ابن خزيمة باسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم عبد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين الى آخرها
ست آيات وآية من كل سورة البراء لا يجمع العلماء على اثباتها في المصحف بضمها واول السور

سوى براءة مع المبالغة في تجريد القرآن من الاعشار وتراجم السور والتهود حتى لم تكتب امين
فلو لم تكن قرأنا لما اجازوا ذلك لانه يحصل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرأنا وأيضا هي آية من
القرآن في سورة النحل قطعاً ثم انارها مكررة بخط القرآن فوجب أن تكون منه كما بالمارأينا
قوله فبأي آلاء ربك تكذبان وقوله ويل يومئذ للمكذبين مكرراً في القرآن بخط واحد وبصورة
واحدة قلنا ان الكل من القرآن (فان قيل) اعلمها ثبت للفصل (أجيب) بأنه يلزم عليه اعتقاد ما
ليس بقرآن قرأنا واثبت في أول براءة ولم تثبت في أول الفاتحة (فان قيل) القرآن انما ثبت
بالتواتر (أجيب) بأن محله فيما ثبت قرأنا قطعاً أما ما ثبت قرأنا كما فكيف في فيه الظن كما يكفي
في كل ظني خلافاً للخاصي أبي بكر الباقلاني وأيضا اثباتها في المصحف بخطه من غير تكثير في معنى
التواتر وأيضا قد ثبت التواتر عند قوم دون آخرين (فان قلت) لو كانت قرأنا لكفر جاحداها
(أجيب) بأنهم لو لم تكن قرأنا لكفر منبئها وأيضا ~~الكفر~~ لا يكون بالظنات وقد وضعت
ذلك مع زيادة في شرح التنبيه والمنهاج أما براءة فليست بالسلمة آية منها باجماع * (فائدة) *
ما أثبت في المصحف الآن من أسماء السور والاعشار شئ ابتدعها الخراج في زمنه والباء في بسم
الله متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوهم مقروء اذ كل فاعل يبدأ في فعله بالهم
الذي يضم ما يجعل التسمية مبدأه كما أن المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله الرحمن الرحيم
كان المعنى بسم الله أحل بسم الله ارتحل وذلك أولى من أن يضم أبدأ لعدم ما يطابقه وما يبدل
عليه ومن أن يضم ابتدائي لما ذكرنا (فان قيل) المصدر لا يعمل محذوفاً (أجيب) بأنه
يتوسع في الطرف والجار والمجرور وما لا يتوسع في غيرهما وتقديره مؤخر كما قال الامام الرازي
أولى كما في اياك نعبد واياك نستعين لانه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق
للوجود فان اسمه تعالى مقدم ذات الاله قديم واجب الوجود لانه فقدم ذكرنا (فان قيل)
قال الله تعالى اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (أجيب) بأنه في مقام ابتداء القراءة وتعليقها لان أول
سورة نزلت فكان الامر بالتراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم في
نفسه وذكرت أجوبة غير ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة والباء للاستعانة وللصحابة
والملايسة على جهة التبرك والمعنى تبرك باسم الله اقرأ والثاني أولى لما فيه من التهاني عن
جعل اسمه تعالى آله والاحسن أن تكون لهما اعمال اللفظ في معنييه الحقيقيين أو الحقيقيين
والهجازي عند من يجوزهما كما من الشافعي والبسملة وما بعدها الى آخر السورة مقول على السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويستل من فضله ويقدر في أول الفاتحة
قولوا كما قال الجلال الهلي ليكون ما قبل اياك نعبد مناسباً ليكون من مقول العباد (فان
قيل) من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحه التي هي أخت
السكون نحو واو الهمزة وفائه (أجيب) بأنها انما كسرت للزومها الحرفية والمجرور وتشابه
حركتها عملها وحذفت الاثبات من بسم خطأ كما حذفت لفظا دون باسم ربك وان كان وضع الخط
على حكم الابتداء دون الدرج لكثرة الاستعمال وقالوا طوت الباء نحو بسم من طرح الالف

والحق بها بسم الله مجراها ومرساها وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وان لم تكتب في القرآن الامزة واحدة لشبهها الهاصورة (فان قيل) لم حذف في بسم الله دون الله والرحمن الرحيم (أجيب) خطان لا يقاس عليهما خط المحصف وخط العرويين ولا تحذف الالف اذا أضيف الاسم لغير الله ولا مع غير الباء * والاسم مشتق من السم وهو العلولانه رفعة للمسمى وشعاره فهو من الاسماء المحذوفة الابعاز كيدودم لكثرة الاستعمال ونبئت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن ولأن من دأبهم أن يتندوا بالتعزك ويقفوا على الساكن وقيل من الوم وهو العلامة فوزنه على الاول افع محذوف اللام وعلى الثاني اعل محذوف الفاء وفيه عشر لغات نظمتها بعضهم في بيت فقال

سم وسمواسم يتلث أول * لهن سماء عاشرمت النجلى

والاسم ان أريد به اللفظ لغير المسمى لانه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الائم والاعصار ويتعد تناوذة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وان أريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتر به هذا المعنى وقوله سبع اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته يجب تنزيه الالفاظ الموضوعه لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقسم كما في قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليك * ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر

وان أريد به الصفة كما هو رأى أى الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى كالواحد والقديم والى ما هو غيره كالخالق والرازق والى ما ليس هو ولا غيره كالعلم والقدرة فانهم ائذ ان على الذات وليسا غير الذات لان المراد بالغير ما يتفق عن الذات وهما لا يتفكان (فان قيل) لم بدأ بسم الله دون الله (أجيب) بأن التعزك والاستعانة بذكر اسمه وللفرق بين المين واليمين * والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد وأصله قال الرافعى كامام ثم ادخلوا عليه الالف واللام ثم حذفوا همزة ونقلت حركتها الى اللام فصار اللام بلا ميم متحركين ثم سكنت الاولى وادغمت فى الثانية للتسهيل انتهى والاله فى الاصل يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على القراب والحق انه أصل بنفسه غير مأخوذ من شئ بل وضع علما ابتداء فكأن ذاته لا يحيط بها شئ ولا ترجع الى شئ فكذا اسمه تعالى وقيل مأخوذ من اله اذا تحير اذ العقول تحير فى معرفته وقيل غير ذلك وهو عربى عند اكثر وعند المحققين انه اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى فى آلفين وثلاثين وستين موضعا واخبار النوروى تبع الجماعة أنه الهى القيوم قال ولذلك لم يذكر فى القرآن الا فى ثلاثة مواضع فى البقرة وآل عمران وطه * والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنية المبالغة من رحم تسنزه منزلة اللازم ويجعله لازما ونقله الى فعل بالضم والرحمة لغة رقة فى القلب تقتضى التفضل والاحسان فالتفضل غايةا وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادئ التى تكون انفعالات فرجة

الله تعالى ارادة افعال الفضل والاحسان أو نفس افعال ذلك فهي من صفات الذات على الاول
ومن صفات الفعل على الثاني والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
كأن قطع التخفيف وقطع بالتشديد (فان قيل) حذراً ببلغ من حذر (أجيب) بأن ذلك أكثرى
لا كلى وبأن الكلام فيما اذا كان المتعلقان في الاشتقاق متحدى النوع في المعنى كغفر
وغفران لا كحذر وحذر للاختلاف وقدم الله عليهما لانه اسم ذات وهما اسم صفة والرحمن على
الرحيم لانه خاص اذ لا يقال لغدير الله بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام وانما قدم
والقياس يقتضى الترقى من الأدنى الى الأعلى كقولهم عالم بخير لانه صار كالعلم من حيث انه
لا يوصف به غيره ولذلك رجع جماعة انه علم ولانه لما دل على جلال النعم وأصولها ذكر الرحيم
كالتابع والتممة والريفي لتناول ما دق منها ولطف فليس من باب الترقى بل من باب التعميم
والتكميل والمحافظة على رؤس الآتى وهل الرحمن مصروف أو لا فيه قولان مال السعد
التقاراني الى جواز الامرين لان شرط منع صرف فعلا صفة وجود فعلى وشرط صرفه
وجود فعلا لانه وكلاهما منتف هذا لكن أظهرهما أنه ممنوع الصرف الحاقاله بما هو الغالب من
نظائره في الزيادة والوصف والثاني انه مصروف الحاقاله بالاصل في مطلق الاسم وهو الصرف
هذا مع ان المختار في منع صرف ما ذكر انتفاء فعلا لانه لا وجود فعلى والحاصل انه تعارض في
صرفه وعدم صرفه الاصل والغالب (فان قيل) هذا اذ لم تدخل (أجيب) بأن المختار ان غير
المصروف اذا دخلت عليه ال والعلمان فيه باق على منع صرفه وان جرت بالكسرة (فوائد الاولى)
الوقف على الله قبيح للفصل بين التابع والمتبوع وعلى الرحمن كذلك وقيل كاف وعلى الرحيم تام
(الثانية) عدد صرف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفاً وعدد ملائكة خزنة النار تسعة عشر
قال ابن مسعود من أراد أن ينجيته الله تعالى من الزبانية فليقلها يجعل الله تعالى له بكل حرف جنة
أى وقاية من واحد (الثالثة) قال التسي في تفسيره قيل الكتب المنزل من السماء الى الدنيا
مائة وأربعة مصحف شيت ستون ومصحف ابراهيم ثلاثون ومصحف موسى قبل التوراة عشرة
والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وجميع كل الكتب بمجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة
مجموعة في البسملة ومعانيها مجموعة في بائها ومعناها هي كان ما كان وبى يكون ما يكون زاد بعضهم
ومعاني الباء في نقطتها وتخصيص التسمية بهذه الثلاثة التي هي الله والرحمن والرحيم لعلم
العارف ان المستحق لان يستعان به في جميع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى التسم
كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيقها فيتوجه العارف بمجملته حراً ومحبته الى جناب القدس
وتسلك بهيل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد للفظى لغة
الثناء باللسان على الجليل الاختيارى على قصد التجميل أى التعظيم سواء أعلق بالفضائل وهي
النعم القاصرة أو بالقواضل وهي النعم المتعدية فدخل في الثناء الحمد وغيره وخرج باللسان الثناء
بغيره كالحمد النفسى وبالجميل الثناء باللسان على غير الجليل ان قلنا برأى ابن عبد السلام ان
الثناء حقيقة في الحسب والنسب وان قلنا برأى الجمهور وهو الظاهر انه حقيقة في الخير فقط فائدة

ذلك تحقيق الماهية أو دفع توهم ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز وبالاختباري
 المدح فانه بعم الاختباري وغيره تقول مدحت اللؤلؤة على حسن اذن حداثتها وظاهر قول
 الزمخشري الحد والمدح أخوان انهما مترادفان وبه صرح في الفائق ~~لكن~~ الاوفق ما عليه
 الاكثر انهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا والاشتقاق ثلاثة أقسام كبير
 وأكبر وصغير وقد يعبر عنه بالصغير والكبير أن يشترك اللفظان في الحروف الاصول من غير
 ترتيب كالحد والمدح والاكبر أن يشتر كافي أكثر الحروف الاصول كالفلق والفج والظلمع
 اتحاد في المعنى أو تناسب والا صغر أن يشتر كافي الحروف الاصول المرتبة كضرب والضرب
 وبعلی قصد التبجيل ما كان على قصد الاستهزاء والسخرية نحو قوله تعالى ذق انك أنت العزيز
 الكريم وتناول الظاهر والباطن اذ لو تجرد الثناء على الجليل عن مطابقة الاعتقاد وخالفه أفعال
 الجوارح لم يكن حمدا بل تهكما أو تمليح وهذا لا يقتضي دخول الجنان والاركان في التعريف
 لان المطابقة وعدم المخالفة اعتبارا به شرطا لاشطرا وعرفا فعل بئى عن تعظيم المنعم من حيث انه
 منعم على الحامد أو غيره سواء كان ذكر باللسان أم اعتقادا ومحبة بالجنان أم عملا وخدمة
 بالاركان كما قيل

أفادتكم النعماء في ثلاثة * يدي ولساني والصغير المهجبا

فورد القوى هو اللسان وحده ومتعلقه بعم النعمة وغيرها ومورد العرفي بعم اللسان وغيره
 ومتعلقه يكون النعمة وحدها فالقوى أهم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والعرفي
 بالعكس والشكر لغة هو المجد عرفا صرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه من السمع
 وغيره الى ما خلق لاجله والمدح لغة الثناء باللسان على الجليل مطلقا على جهة التعظيم وعرفا
 ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل فالشكر أهم من المجد والمدح من وجه لانه
 لا يختص باللسان وأخص منهما من وجه آخر لانه يختص بالثناء على الانعام وضد المجد الذم وضد
 الشكر الكفران وضد المدح الهجو * ووجه المجد لله خبرية لفظا انشائية معنى لحصول المجد
 بالتكليم به امع الاذعان لمداوئها ويجوز أن تكون موضوعة شرعا للانشاء وقبل خبرية لفظا
 ومعنى قال بعضهم وهو التحقيق اذ ليس معنى كونها انشائية الا أنها جملة انشاء الحامد الثناء
 بها وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى * ولا ملة للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص وقيل التعليل
 والاولى أهم الاختصاص بالمعنى الاعم الصادق بالملك والاستحقاق باللعنى الاخص المقابل
 لهما وعلى كل فهي متعلقة بمجذوف هو الخبر حقيقة فالجد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية
 سواء أجهات لام التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجهور وهو ظاهر أم الجنس كما عليه
 الزمخشري لان لام للاختصاص كما مر فلا فرد منه لغيره أم للعهد كاتى في قوله تعالى اذ هما
 في الغار كما نقله ابن عبد السلام وأجازه الواحدى على معنى أن الحمد الذى حمد الله به نفسه وحمده
 به أنبياءه وأوليائه مختص به والعبرة بمحمد من ذكر فلا فرد منه لغيره وأولى الثلاثة الجنس زاد
 بعضهم والكمال كما أفاده سيبويه في الداخلة على الصفات كالرحمن الرحيم قال البيضاوى اذا الحمد

في الحقيقة كله اذ ما من خير الا وهو مولى به بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمه فمن الله انتهى (فان قيل) بل هو مولى به مطلقا بغير وسط (أجيب) بان المراد بالوسط من تصل اليه النعمة أولا ثم تنتقل منه الى غيره لانه وسط في التأثير (فان قيل) لم يخص الحمد بالله ولم يقل الحمد للخالق أو نحوه من بقية الصفات (أجيب) بأن لا يوههم اختصاص استحقاق الحمد بوصف دون وصف قال البيضاوي وفيه اشعار بأنه تعالى حتى قادر مر يد عالم اذا الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه (رب العالمين) أي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم اذ كل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وسمى المالك بالرب لانه يحفظ ما يملكه ويرببه ولا يطلق على غيره تعالى الامقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالمين اسم جمع عالم يفتح اللام وليس جمعا لانه عالم عام في العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعا لما هو أعم منه قاله ابن مالك وتبعه ابن هشام في توضيحه وذهب كثير الى أنه جمع عالم على حقيقة الجمع ثم اختلفوا في نفسه ير العالم الذي جمع هذا الجمع فذهب أبو الحسن الى أنه أصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ظاهر كلام الجوهري وذهب أبو عبيدة الى أنه أصناف العقلاء فقط وهم الانس والجن والملائكة وقيل حتى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يستقل على نظائر ما في العالم الكبير ووجه اشتغال الصغير وهو الانسان على نظائر ما في الكبير وهو ما سوى الله تعالى أن تفصيله شبيهة بتفاصيل العالم الكبير اذ الكبير ينقسم الى ظاهر محسوس كعالم الملك وهو ما ظهر للحواس وتكون بقدرته الله تعالى بعضه من بعض وتضمنه التغيير والى باطن معقول كعالم الملكوت وهو ما وجدته سبحانه وتعالى بالامر الاولي بالاتلاد ريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه والى عالم الجبروت وهو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم والى باطن كالروح والعقل والارادة والقدرة والى ما هو مشابه لعالم الجبروت كالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن (فان قيل) لم جمع جمع قلة مع ان المقام يستدعي الاتيان بجمع الكثرة (أجيب) بأن فيه تنبيه على انهم وان كثروا قليلون في جنب عظمتهم وكبرائه تعالى (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والمالك والسبب فيه كانه يقول خلقتك أولا فان الله ثم ربك بوجود النعمة فان الرب ثم عصيت فسترت عليك فان ارحمن ثم بت عليك فان ارحيم ثم لا بد من اتصال الجزاء اليك فان امالك يوم الدين (فان قيل) انه تعالى ذكر الرحمن الرحيم في التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون الاسماء الثلاثة الباقية في الحكمة في ذلك (أجيب) بأن الحكمة في ذلك كانه قال تعالى اذكر أني اله ورب مرة واحدة واذ كراني رحيم مرتين ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الامور ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال لا تغفروا بذلك فاني مالك يوم الدين ونظيره قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقرأ عاصم والكسائي مالك

بألف بعد الميم ويعضده قوله تعالى لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وقرأ الباقون بغير
 ألف ويعضده قوله تعالى ملك الناس وبينهما مخرج مطلق فكل ملك مآلث ولا عكس لعدم ولاية
 الملك التزاما لمطابقة ولا يقدح فيها أن تقول مالك الدواب والأنعام والوحوش والطير دون
 ملكها لأن ذلك ليس من جهة عدم شمول حياطته لذلك بل من جهة أنه انما يضاف عرفا إلى ما
 فيه انقياد وامثال وينفذ فيه التصرف بالأمر والنهي فإله السعد التقنازاني وقيل هما
 بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله ويوم
 الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كاتدين تدان وهو يوم القيامة وخص بالذكر لأنه لا ملك ظاهر فيه
 لاحد الا الله تعالى من الملك اليوم لله (فان قيل) اضافة اسم الفاعل غير حقيقية فلان يكون معطية
 معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (أجيب) بأن انما تكون غير حقيقية اذا
 أريد باسم الفاعل المحال والاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا
 فاما اذا قصد به معنى الاستقرار أى هو موصوف بذلك دائما فتكون الاضافة حقيقية كغافر
 الذنب فصغ وقوعه صفة للمعرفة (فان قيل) التقييد يوم الدين ينافى الاستقرار لكونه صريحا
 في الاستقبال (أجيب) بأن معناه الثبوت والاستقرار من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة
 ومثل هذا المعنى لا يتبع أن يعتبر بالنسبة إلى يوم الدين كأنه قيل هو ثابت المالكية في يوم
 الدين أو المراد أنه جعل يوم الدين لتحقيق وقوعه بمنزلة الواقع فتستقر المالكية في جميع الأزمنة
 * (تنبيه) * اجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه رب العالمين موجداهم منعم عليهم
 بالنعم كلها ظاهرة وباطنة عاجلها وآجلها مالكا لأمرهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه
 تعالى الحقيق بالجلد لأحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواء فان ترتب الحكم على
 الوصف يشعر بعليته له (أي لا تعبدوا بالذنبتين) أي ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء
 والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب وفيه
 أقوال أخر ذكرتها في شرح القطر (فان قيل) لم كرر ضمير اياك (أجيب) بأنه كرر للتخصيص
 على أنه المستعان به لا غيره (فان قيل) لم قدمت العبادة على الاستعانة (أجيب) لتوافق رؤس
 الآتى وليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الاجابة وأيضا المناسب المتكلم
 العبادة إلى نفسه أو هم ذلك فرحا واعترافا منه بما يصد عنه فعبقه بقوله وإياك نستعين ليدل
 على أن العبادة أيضا مما لا تتم ولا تتيسر له الا بمعونته منه تعالى وتوفيق (فان قيل) لم عدل عن
 لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب (أجيب) بأن عادة العرب التفتن في الكلام والعدول من أسلوب
 إلى آخر تحسينا للكلام وتشبيها للسامع فيكون أكثر اصفا للكلام فتعدل من الخطاب إلى
 الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس فيها فهذه أقسام أربعة ذكرها البيضاوى والتحقيق
 كما قاله بعض المتأخرين انما استلزم لأن الملتفت إليه اثنان وكل منهما انما غيبة أو خطاب
 أو تكلم من ذلك قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرى بهم الأصل بكم فهو التفات من
 الخطاب إلى الغيبة وقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الأصل فساقه فهو

النفات من الغيبة الى التكلم * والاستعانة طلب معونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية
فالضرورية ما لا يتأق الفعل دونها كقتدار الفاعل وقصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها
وعند اجتماع ذلك يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكافى بالفعل وغير الضرورية تحصل
ما يتيسر به الفعل ويسهل كل احواله في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحتمل
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف غالبا وقد يتوقف كما كثرت الاجابات
المالبة (فان قيل) لم أطلقت الاستعانة (أجيب) بأنها انما أطلقت لاجل أنها تتناول المعونة
في المهمات كلها وفي أداء العبادات واستحسن هذا الرخصى قال لتلازم الكلام
وأخذ بعضه بجحج بعض * (تنبيه) * الضمير المستكن في نعبدونستعين للقارئ ومن معه من
الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له وللسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخط
حاجته يحاجتهم اهل عبادته تقبل ببركة عبادتهم وحاجته يحاج اليها ببركة حاجتهم ولهذا
شرعت الجماعة في الصلاة (فان قيل) لم قدم المفعول (أجيب) بأن تقديمه للتعظيم والاهتمام به
والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم
ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره الى المعبود أولا وبالذات
ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها سببة شريفة اليه
ووصله بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس
وغاب عما داه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حلالا من أحواله الا من حيث انها ملاحظة له
ومتسبة اليه ولذلك فضل ما حكي عن حبيب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لا تحزن ان الله
معنا على ما حكاه عن كليمه موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان معي ربى سيدى لان الاول قدم
ذكر الله تعالى على المعية والثاني بالعكس (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة
فكانه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا والهداية الدلالة بالطف ولذلك تستعمل في الخير
(فان قيل) قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم (أجيب) بأنه وارد على التكلم
* (تنبيه) * هدى أصله أن تعدى باللام أو بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتي هي
أقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعمول معاملته اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه
سبعين رجلا لمقاتلته وقد تعدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ محتمل لاضمار الحرف ولعدم اضماره
وهداية تعالى تنوع أنواعا لا يحصى عدها كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ولكنها تنحصر في اجناس مرتبة الاول افاضة القوى التي يتمكن بها المؤمن من الاهتداء الى
مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل القارقة
بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه أشار تعالى حيث قال وهدينا له النجدين أى
طريقي الخير والشر وقال وأما تودفهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
بارسال الرسل واتزال الكتب وياها على بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان
هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم والرابع أن يكشف لقلوبهم السرار ويربهم الاسماء

قوله واستحسن هذا
الرخصى عبارته
فان قلت لم أطلقت
الاستعانة قلت
لتنال كل مستعان
فيه والاحسن أن
تراد الاستعانة به
وتوفيقه على أداء
العبادة ويكون قوله
اهدنا بنا للمطلوب
من المعونة كأنه قيل
كيف أعينكم فقالوا
اهدنا الصراط
المستقيم وانما كان
أحسن لتلازم الخ
اهدناهم مصححه

كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
 واياهم عنى تعالى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
 سبلنا (فان قيل) ما معنى طلب الهداية وهم مهتدون (أجيب) بأنهم طلبوا زيادة ما منحوه
 من الهدى والثبات عليه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والصراط من قلب السين
 صاد الطابق الطاء فى الاطباق وقد تشتم الصاد صوت الزاى ليكون أقرب الى المبدل منه قرأ
 حجرة الصراط المعرف فى هذه السورة بالانعام وهو أن يطق القارى بحرف متوابعين
 الصاد والزاى وأشتم خلف صراط الثانى كالاول وكذا جميع ما فى القرآن من معرف ومنكر
 وقرأ قبل جميع ما فى القرآن بالسين وقرأ الباكون بالصادا لخالصة فى الجميع وهذه لغة قريش
 وهى الثابتة فى الامام وهو مصحف سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه والمستقيم المستوى
 والمراد به طريق الحق وقيل مله الاسلام وهذان القولان من ريان عن ابن عباس وهما متحدان
 صدقا وان اختلفا فهو ما (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية بدل من الاول بدل كل
 من كل والعامل فيه مقتدر على رأى الجمهور وقيل العامل فيه هو العامل فى المبدل منه وهو
 ظاهر مذهب سيبويه واختاره ابن لك (فان قيل) ما فائدة ذكر صراط الذين أنعمت عليهم بدلا تابعا
 وهلا اقتصر عليه مع انه المقصود بالنسبة (أجيب) بأن فائدة التوكيد والنصب
 على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على أكد وجه وأبلغه لانه جعل كالتفسير
 والبيان له فكانه من البيان الذى لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وهذا
 هو الموافق لما خرج ابن جرير عن ابن عباس ان المراد بالذين أنعمت عليهم الانبياء والملائكة
 والصديقون والشهداء ومن أطاعه وعبدته وقبل الذين أنعمت عليهم الانبياء خاصة صلوات
 الله وسلامه عليهم وقيل أصحاب موسى وعيسى قبل التعريف والنسخ * (تبيينه) * أطلق
 الانعام ليشمل كل انعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم يتبق نعمة الاصابته واشتلت عليه
 ويبدل من الذين يصلته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
 عليه (ولا) أى وغير (الضالين) وهم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا
 الآية ونكتة المبدل افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى وقيل ان غير صفة على معنى انهم
 جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضللال
 وقبل المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وذلك لانه تعالى بدأ فى أول البقرة
 بذكر المؤمنين والشاء عليهم فى خمس آيات ثم اتبعه بذكر الكفار وهو المراد من قوله تعالى ان الذين
 كفروا ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ وكذا ههنا
 بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله أنعمت عليهم ثم اتبعهم بذكر الكفار وهو قوله غير المغضوب عليهم
 ثم اتبعهم بذكر المنافقين بقوله ولا الضالين (فان قيل) كيف صح أن يقع غير صفة المعرفة وهو
 لا يعترف وان أضيف الى المعارف (أجيب) بأنه يصح بأحد تأويلين أحدهما اجراء الموصول
 مجرى النكرة اذ لم يقصده معهود كالحلى باللام فى قول القائل * ولقد أمرت على اللثيم يسبى * أى

لثيم يسبني اذا مرور على الكل والثاني جعل غير معرفة بالاضافة لانه اُضيف الى ماله ضد واحد
وهو المنعم عليه فليس في غير اذن الابهام الذي يأتي عليه أن يتعرف * (تنبيه) * انما سمي كل من
اليهود والنصارى بماد كرمع أنه مغضوب عليه وضال لا اختصاص كل منهم بما غلب عليه وقال
صلى الله عليه وسلم ان المغضوب عليهم اليهود والنصارى الضالين النصارى رواد ابن حبان وصححه وقيل
المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به فكان المقابل لمن اختل احدى قوتيها العاقلة والعامله والمخل بالعمل
فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القائل عدا و غضب الله عليه والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله
تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (فان قيل) ما معنى غضب الله لان الغضب ثوران النفس عند
ارادة الانتقام أو تعذيب يحصل عند ثوران دم القلب ارادة الانتقام وهو محال في حقه تعالى
(أجيب) بأنه اذا أسند الى الله تعالى أريديه المستهى والغاية فعماء ارادة الانتقام من العصاة
وانزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده فعوذ بالله من غضبه
ونسأله ورضاه ورحمته (فان قيل) أى فرق بين عليهم الاولى والثانية (أجيب) بأن محل مجرور
الاولى النصب على المفعولة ومحل مجرور الثانية الرفع لانه نائب مناب الفاعل (فان قيل)
لم دخلت لافى ولا الضالين (أجيب) بأنها معنى غير كما قررته تبعا للجلال المحلى وأنها مزيدة كما قال
الزنجشمرى لتأكيده ما في غير من معنى النفي كانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين وللتصريح
بتعلق النفي بكل من المعطوف والمعطوف عليه * (فائدة) * أول السورة مشتمل على الحمد لله
والثناء عليه والمدح له وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك
يدل على أن مطلع الخبرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله ومطلع الآفات ورأس
الانهاضات هو الاعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته (فان قيل)
ما فائدة غير المغضوب الخ بعد ذكر أنعمت عليهم (أجيب) بأن الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف
كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فحقوله صراط الذين أنعمت
عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل وحينئذ
يتقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حذ السكال وقرأ أحزته عليهم غير المغضوب عليهم بضم
الها وفتا ووصلا وكذا جميع ما في القرآن وقرأ ابن كثير عليهم بواو بعد الميم في الوصل فاذا وقف
أسقط الواو وكذا يفعل في كل ميم جمع بعدها حرف متحرك وأما قالون فهو مخير في ميم الجمع
ان شاء وصلها بواو كابن كثير وان شاء لا يصلها بواو وأما ورش فانه يصل ميم الجمع بواو وان كان
بعدها همزة قطع فيصير عندهم من متصل وفي ولا الضالين مذهب لازم وعارض فاللزم هو الذي
على الالف بعد الصاد قبل اللام المشددة والعارض هو الذي على الباء قبل النون * والسنة
للقارئ أن يقول بعد غير اغم من الفاتحة امين مقصولا عن الفاتحة بسكتة وهو اسم الفعل الذي
هو استعجب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه
فقال افعل بنى على الفتح كائين الالتقاء الساكنين وبازمة ألفه وقصرها طال ينجون ليل

يارب لاتسليني حبا أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

أما بالمدة وقال جبريل لما سأله الاسدي المسمى بقطعل

تساعدني فطعل اذ سأله * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

فذكره مقصورا وكان من حقه التأخير لان التأمين انما يكون بعد الدعاء لكن قدمه للضرورة وليس امين من القرآن اتفقا قايلا ليل أنه لم يثبت في المصاحف كما مرّت الاشارة اليه ولكن يستأنف ختم السورة بقوله صلى الله عليه وسلم علي جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة الفاتحة كما رواه البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم انه كان ختم على الكتاب كما رواه أبو داود في سننه وقال علي رضي الله تعالى عنه امين ختم رب العالمين ختم به دعاء عبده ورواه الطبراني وغيره لكن بسند ضعيف بقوله الامام ويجهز به في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن الحسن لا بقوله الامام لانه الداعي وعن أبي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يحقيقه والمأموم يؤمن مع امامه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين وان الامام يقول امين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد الجرجاني في أماليه وما تأخر وأحسن ما فسر به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال صفوف أهل الأرض تلي صفوف أهل السماء فاذا وافق تأمين من في الأرض تأمين من في السماء غفر للعبد قال ابن حجر ومثل هذا لا يقال بالرأي فالصحيح إليه أولى وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ المؤمن بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلهما قال بل يارسل الله قال فاتحة الكتاب انهم السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ناداه مناد فقال أشيروا لي بأمرهم فقاموا وهم يقولون آمين قبل ذلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ أحرفا منهما الا أعطيته وما رواه البيضاوي عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حقا مقضيا فيقرأ أصعب من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة حديث موضوع

قوله لا يقرأ في الكتاب لا يقرأ في كتابه

(سورة البقرة هزمية)

• (وهي ما شان وسبع وعشرون آية) •

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظواهرها وننكل العلم فيها الى الله سبحانه وتعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها والسبب في ذلك أن العقول الضعيفة لا تتحمل الاسرار القوية كما لا يحقل نور الشمس ابصار الخفافيش والله تعالى استأثر بعلم لا تقدر عليه

عقول الانبياء والانباء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر
 عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل
 السور وقال علي رضى الله عنه أن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي قال
 داود بن أبي هند كنت أسأل الشعبي عن فوائج السور فقال ياد اودان لكل كتاب سر أو أن سر
 القرآن فوائج السور فدعها واسأل عما سوى ذلك وروى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى
 الله تعالى عنهما أنه قال معنى الم أنا الله أعلم ومعنى الر أنا الله أرى ومعنى الم أنا الله أعلم وأرى
 قال الزجاج وهذا حسن فإن العرب تذكّر حرفاً من كلمة تريدونها فتقولهم * قلت لها قفي فقالت فاف
 اى وقفت وقيل هي أسماء السور وعليه اطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل
 وسيبويه سميت بها اشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب فلم تكن وحياً من الله تعالى لم تتساقط
 قدرتهم عنده عارضتها ونقضه الامام الرازى بأنها لو كانت اسماً لها لوجب اشتهاؤها بها وقد
 اشتمرت بغيرها كسورة البقرة وآل عمران وقيل أسماء للقرآن فانه فتادة والحكمة في الالبان
 بهذه الحرف الثلاثة أن الالف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان
 وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع الله تعالى بينها ايماء الى أن العبد ينبغي أن يكون
 أول كلامه وأوسطه وآخره كرا لله تعالى ولما تنكأز وقوع الالف واللام في تراكيب الكلام
 جاء ثاني معظم القوافي مكررين وهي فوائج سورة البقرة وأول آل عمران والاعراف ويونس
 وهود ويوسف والرعد وابراهيم والجر والعنكبوت والروم واقسمان والسجدة (فان قيل)
 هلا عدت هذه الحرف بأجمعها في أوائل القرآن وما لها جاءت معقوفة على السور (أجيب) بأن
 إعادة التنبية على أن المتعدي به مؤلف منها لا غير وتجدده في غير موضع واحد أو وصل الى
 الغرض وأقرله في الاسماع والقلوب من أن يفرّد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن
 فمطلوب به تمكين المكرّر في النفوس وتقديره (فان قيل) هلا جاءت على وتيرة واحدة ولم تختلف
 أعداد حروفها ونوردت ص و ق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين الم والم والروطمس
 على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيمص وجمص على خمسة أحرف
 (أجيب) بأن هذا على عادة اقتنائهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب
 عدة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك هذه القوافي
 تلك المسالك (فان قيل) ما وجه اختصاص كل سورة بالقافية التي اختصت بها (أجيب) بأنه
 لما كان الغرض هو التنبية والمبادئ كلها في تأدية هذا الغرض سواء لامفاضلة كان مطلب
 وجه الاختصاص ساقطاً كما اذا سمى الرجل بعض أولاده زيداً والآخر عمر لم يخصص
 لذلك هذا زيد وذلك بعمر ولا أن الغرض هو التمييز وهو حاصل بذلك (فان قيل) هل لهذه
 القوافي محل من الاعراب (أجيب) بأن لها محلاً عند من جعلها أسماء لانها عنده كسائر الاعلام
 محلها محتمل ثلاثة أوجه أما الرفع بأنهم مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف أى هذه الم أو والنصب بفعل
 مقدر كاذكر أو أقرأ أو أتلى الم أو بالجر بتقدير حذف حرف القسم (ذلك الكتاب) الذي تقرأه

يا محمد على الناس (لا ريب فيه) لاشك في أنه من عند الله تعالى (فان قيل) لم صحت الاشارة بذلك
 الى ما ليس ببعيد (أجيب) بأن الاشارة وقعت فيه للتعظيم ولذلك قال الطيبي أحسن ما قيل
 في توجيه ذلك قول صاحب المفتاح قال ذلك الكتاب ذهابا الى بعده درجة وقيل وقعت الاشارة
 الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقصي والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل
 بحديث ثم يقول وذلك ما لاشك فيه وبحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى
 لا فاض ولا بركعوان بين ذلك وقال نبي الله يوسف صلى الله عليه وسلم لا يأتيكم طعام ترزقانه
 الا بأتكياتا ويلي قبل أن يأتيكم ذلك كما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل سبحانه وتعالى الى
 المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وقع في حدة البعد كما نقول لصاحبك وقد أعطيت شيئا احتفظ بذلك
 أي تمسكه وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى اناس لن ياتيهم اليك قول لا تقبلوا في
 الكتب المتقدمة لان سورة البقرة مدنية كما مر وأكثرها احتجاج على اليهود وعلى بني اسرائيل
 وقد كانت بنو اسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ان الله يرسل محمدا وينزل
 عليه كتابا فقال تعالى ذلك الكتاب أي الذي أخبر الانبياء المتقدمون بأن الله سينزله على النبي
 المبعوث من ولد اسمعيل وقيل انه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنه في اللوح المحفوظ بقوله وأنه
 في أم الكتاب لدينا وقد كان صلى الله عليه وسلم أخبر أمته بذلك فغير ممنوع أن يقول تعالى ذلك
 الكتاب ليعلم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب المثلث في اللوح المحفوظ والكتاب مصدر مسمى به
 المفعول للمبالغة أو فعال بنى لانه فعل كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لانه
 مما يكتب وأصل الكتب الضم والجمع سمي الكتاب كتابا لانه جمع حرف الى حرف والكتاب جاء
 في القرآن على وجوه أحدها الفرض قال تعالى كتب عليكم القصص كتب عليكم الصيام
 ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وثانيها الحجة والبرهان قال تعالى فأوتيناكم ان كنتم
 صادقين أي برهانكم وثالثها الاجل قال تعالى وما أهلكتكم قرية الا ولها كتاب معلوم أي
 أجل ورابعها بمعنى مكاتبه السيد رقيه قال تعالى والذين يبيتون لكتاب مما ملكت
 أي انكم فكانوهم (فان قيل) كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مراتب فيه
 (أجيب) بأن الله تعالى ما نفي أن أحد الارباب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة
 له لانه لو ضوحه وسطوع برهانه بحيث لا ينبغي لاحد أن يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان
 كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأوتوا بسورة من مثله فانه لم يتف عنهم الريب بل أرشدهم الى
 الطريق المزيح للريب وهو أن يجتهدوا في معارضة سورة من سورة ويبدلوا فيها غاية جهدهم
 حتى اذا هجزوا عنها لم ينجحوا لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل هو خبر بمعنى
 النهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج أي لا ترتبوا
 ولا فسقوا ولا تجادلوا الريب في الاصل مصدر رابى الشيء اذا حصل فيه الريبة وهي قلق
 النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريك
 الى ما لا يريك فان الشك رية والصدق ظمأنينة رواه الترمذي لكن بلفظ فان الصدق

طما أنفسه والكذب ريبة وصححه ومعناه اترك ما فيه شك الى ما لا شك فيه فاذا ارتابت نفسك في شيء فارتكبه أو طمأنت اليه فافعله فان نفس المؤمن تطاعت الى الصدق وترتاب من الكذب وهذا مخصوص بذوى الذنوس الشريفة القدسية الطاهرة * (تنبيه) * جملة النبي خبر مبتدؤه ذلك و(هدى) خبر ثان أى هاد (للمتقين) الصائرين الى التقوى بالمشال الاوامر واجتناب النواهي لاتقاهم بذلك النار وتخصيص المتقين بالذكر شريفا لهم ولائمهم هم المتنفعون بالهدى كما قال تعالى انما أنت منذر من يخشاها وقال تعالى انما تنذر من اتبع الذکر وقد كان صلى الله عليه وسلم منذر لكل الناس لان هؤلاء هم الذين اتفقوا بالذکر ولها ثلاث مراتب * الاولى التقوى من العذاب المخلد بالتبى عن الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغار عند قوم وهذا التجنب هو المعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداما افترض الله فارتزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير * والثالثة أن يتنزه عما يشغل سريته عن الحق تعالى وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته وقال ابن عمر التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد قرأ ابن كثير فبه هدى فيصل الهام من فيه بياض في الوصل لانها مكسورة وقبلها ساكن فان كانت هاء الكلمة مضمومة وقبلها ساكن وصلها بواو فان كان قبلها متحركا وبعدها متحرك فجميع القراء يصلونها مكسورة بياض ويصلونها مضمومة بواو وغفال المكسورة به أن يوصل ومثال المضمومة قال له صاحبه وهو وما أشبه ذلك فان كان قبلها متحركا وبعدها ساكن فالجميع على عدم الصلة مثال ذلك به الله وله الملك وما أشبه ذلك ويدغم أو عرو الهاء في الهاء بخلاف عنه وكذا كل مثلين مالم يكن الحرف المدغم تام متكلهم مثل كنت ترابا أو تاء مخاطب مثل أفانت تكبره الناس أو منون مثل جميع عالم أو مستند مثل فتم ميعات ربه * ثم وصف المتقين بما هو شأنهم بقوله (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما غاب عنهم من البعث والجزاء والجنة والنار والصراف والميزان والايان لغة التصديق وشرعا قبل التصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرباء والعمل بمقتضاه عند جهور الهدى والاعتزال والخوارج والاصح أنه التصديق وحده ويدل له أنه تعالى أضاف الايمان الى الغاب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال ولم يؤمن قلوبهم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تخصى وقرنه بالمعاصى فقال وان طاعتان من المؤمنين اقتتلوا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتلى فلوم بكن الايمان التصديق فقط بل هو وترك المعاصى لم يكونوا مؤمنين (فان قيل) قال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه وغيره ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص (أجيب) بأن ذلك محمول على الايمان الكامل وقرأ ورش والسوسي بإبدال الهمزة الساكنة في يؤمنون واوا وكذا يقرأ حمزة في الوقف (ويقومون الصلاة) أي يدعونها

ويحافظون عليها في مواقيتها بحمد وودها وأركانها وهياتها يقال قام بالامر وأقامه إذا أتى به
 يعطى حقوقه لأن الحقيق بالمدح من رأى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها
 الباطنة كالخشوع والاقبال على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
 ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم قول لا مصلين والمراد بها الصلوات الخمس
 ذكر بلفظ الوجدان كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأُنزل معهم الكتاب
 بالحق يعني الكتب والصلاة في اللغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم أي ادع لهم وفي الشرع
 اسم لأفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتسليم بسم الله الرحمن الرحيم وقراءة أو رش بتخليط اللام
 في الصلاة حيث جاء (وعمر رزقناهم) أي أعطيناهم (ينفقون) يخرجون المال في طاعة الله
 فرضا كان أو نفلا ومن فسرهم بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصه به الاقتراغا
 بالصلاة لأنهم ما ذكروا معاني القرآن ويحتمل أن يراد به الاتفاق عما منحهم الله من النعم
 الظاهرة والباطنة ويؤيده ما رواه الطبراني في الأوسط طر فوعامل الذي يعلم العلم ثم لا يحدث
 به كمثل الذي يكنز الكثير فلا ينفق منه والى هذا ذهب من قال وبما خصصناه به من أنوار المعرفة
 يفيضون والرزق بالكسر في اللغة الخلف قال الله تعالى وتجعلون رزقكم أي حظكم ونصيبكم
 من القرآن أنكم تكذبون وأما بالفتح فهو مصدر بمعنى إعطاء الخلف كما أنه بالكسر يكون
 مصدرا أيضا كما قيل به في قوله تعالى ومن رزقناه منساورا حسنا وفي العرف اسم لكل
 ما ينتفع به حتى الولد والرقيق والمعتزلة لما استصالحوا من الله أن يمكن من الحرام لانه تعالى منع
 من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه فالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق
 ههنا إلى نفسه أي أنا بأنهم ينفقون الحلال الصريف الطيب وأن اتفاق الحرام لا يوجب المدح
 وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل أرايتم ما أنزل الله لكم من
 رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأجاب أهل السنة عما ذكر بأن الإسناد للتعظيم والتعريض على
 الاتفاق والذم بتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقهم بالحلال للقرينة وتسبحون والشعول
 الرزق له بما رواه ابن ماجه وغيره من حديث صفوان بن أمية قال كذا عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فجاء عمر بن قرة فقال يا رسول الله إن الله قد كتب علي الشقوة فلا أرى أن أرزق إلا من
 دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ولا كرامة كذبت أي عدواته لقد
 رزقك الله حلالا طيبا فاختر ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه
 لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة
 في الأرض إلا على الله رزقها (تنبيه) تقديم رزقناهم على ينفقون للاهتمام به وللحفاظة على
 رؤس الآتي وادخال من التبعية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه في حق من لم يصبر
 على الاضاعة والافليس بأسراف فقد قصدت أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجميع ماله ولم ينكر
 عليه النبي صلى الله عليه وسلم (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) أي القرآن بأسره والشرعة
 عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضى وإن كان بعضه متوقفا على ما لم يوجد فيكون

مجازا باعتبار تسمية الكل باسم البعض أو تنزيلا للمنظر منزلة الواقع فيكون استعارة باعتبار
 تشبيه غير المتحقق بالمتحقق وفي كل من هذين الوجهين جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جازع عند
 الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والانجيل وغيرهما من
 سائر الكتب السابقة على القرآن والايمان بالانزالين جملة فرض عين وبالأول دون الثاني
 تفصيلا من حيث انما يتبعون بتعاصيله فرض ولكن على الكفاية لأن وجوبه على كل أحد
 بوجوب الحرج ويشوش المعاش وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
 وأمثاله * (فائدة) * الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب أنزل على السيد شيت ستون صحيفة
 وعلى السيد ابراهيم ثلاثون وعلى السيد موسى قبل التوراة عشر فهذه مائة والاربعة الاخرى
 التوراة والانجيل والزبور والفسقان العظيم واختلف القراء في مدته وقصر ما أنزل فقالون
 والدوري عن أبي عمر ويعدان ويقصران وابن كثير والسوسى يقصران بلا خلاف وباقي القراء
 وهم ورش وعاصم وحجرة والكسائي يمدون بلا خلاف ويتفاوتون في طول المتفاوت لهم مدته
 ورش وحجرة ودونهما عاصم ودونه ابن عامر والكسائي وهكذا كل مدمنفصل (وبالآخره هم
 يوقنون) أي يعلمون أنها كآية لأن اليقين هو العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاك فيه قاله الامام
 الرازي ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية فلا يقال يقين الله كذا ولا يتقن
 أن الكل أكبر من الجزء * (فائدة) * سميت الدينا دنيا لدنوها من الآخرة وبسمت الآخرة
 لتأخرها وكونها بعد فناء الدنيا وهي تأنيث الآخرة صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار
 الآخرة قرأ ورش الآخرة بنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها حيث جاء وكذا الارض وقد
 افلح ومن امن وما أشبه ذلك (أولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى) أي رشد (من ربهم)
 ونكر هدى للتعظيم فكانه أن يريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يشاد رقدته وأكده تعظيمه بأن الله
 مانحه والموفق له * (تنبيه) * جميع القراء يمدون أولئك بلا خلاف لانه متصل لكن مرتبة ابن
 كثير وابي عمرو ومرتبة ابن عامر والكسائي في المتصل والمنفصل وأولاء كلمة معناها
 المكثبة عن جماعة والكاف للخطاب كما في حرف ذلك (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون
 الجنة والناجون من النار كتر فيه اسم الإشارة تنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي
 كل واحد من الاختصاصين وأن كلامهم كاف في تمييزهم بما عن غيرهم فلا يحتاجون فيه الى
 مجموعهما (فان قيل) لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله تعالى أولئك كالانعام بل هم
 أضل أولئك هم الغافلون (أجيب) بأن الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسندين فيهما ادعى
 هدى من ربهم والمفلحون وان تناسلتا تعلقا مختلفتان منه وما وجودا مقصودا لان الهدى
 في الدنيا والصلاح في العقبى واثبات كل منهما مقصود في نفسه بخلاف كالانعام والغافلون
 فانهما وان اختلفا فهو ما قد اقمدا مقصودا ووجودا اذ لا معنى للتشبيه بالانعام المبالغة
 في الغفلة في الدنيا فاناسب العطف في الأول دون الثاني * (تنبيه) * تأمل كيف نبه سبحانه
 وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الإشارة

للتعليل مع الإيجاز وتكريره وتعرف الخبر ونوسط الفصل لظاهر قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه معنى الزراع فلا حاله يشق الأرض فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * ولما ذكر الله تعالى خاصة عبادته وخاصة أوليائه بصفتهم التي أهلهم للهدى والصلاح عقبهم بذلك أضافهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تنفع عنهم الآيات والنذر بقوله تعالى (أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) الكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكام النمر كافر وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة بحجج الرسول به وينقسم إلى أربعة أقسام كفر انكار وكفر بحجود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس واليهود قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسمة * لوجدتني سمعاً بالذمينا

وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقده بالقلب وجميع هذه الأقسام من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشركه * (تنبه) * احتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي فيخون الذين كفروا أنا نحن نزلنا الذكر أنا أرسلنا نوحاً على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقة الخبر عنه والقديم يستحيل أن يكون مسبوقاً بغيره فأجاب أهل السنة بأن ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالخبر عنه وحدوث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث الخبر عنه فلا يستلزم حدوث كلام الله كما في عمله تعالى فإنه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق وهو الكلام اللفظي حدوث الكلام النفسي (سواء علمهم) أي متساو لديهم (أأذرتهم أم لم تنذرهم) أي خوفتهم وحذرهم أم لا والانداء اعلام مع تخويف وتهديف لكل منذر معل وليس كل معلم منذراً وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيراً في النفس من حيث أن دفع الضرر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم الانذار كانت البشارة بعدم النفع أولى (لا يؤمنون) بما حجت به وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاء في سابق علم الله تعالى كآبي جهل وآبي لهب وغيرهما فلا تطمع في إيمانهم واحتج بهذه الآية

من جواز تكليف ما لا يطابقه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا وقع الخلف في كلامه تعالى وهو محال والحق أن التكليف بالممتنع لذاته جائز عقلاً غير واقع بخلاف التكليف بالممتنع لغيره كالذي تعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه فإنه جائز وواقع اتفاقاً * (تنبيه) * ههنا همزان مفتوحان من كلمة فقالون وأبو عمر ويسملان الثانية ويدخلان بينهما ألفاً وكذا ورش وابن كثير إلا أنهم لم يدخلوا ألفاً بينهما ولورش وجه آخر وهو أن يدل الثانية حرف مد وهشام له وجهان تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقها مع ادخال ألف بينهما

والباقون بالتحقيق والقصر وجميع القراء يحققون الاولى * ثم ذكر سبب تركهم الايمان بقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) أى طبع واستوثق فلا يدخلها ايمان ولا خير والختم الكتم سمي به الاستيناف من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له (وعلى سمعهم) أى مواضعه فلا يتفقهون بما يسمعون من الحق وقوله تعالى (وعلى ابصارهم) أى أعينهم (غشاوة) مبتدا وخبر أى على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يهتدون الحق وعبر الله تعالى عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالاغفال فى قوله تعالى ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاغفال فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهذه الهيئة من حيث ان المكئات بأسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت اليه تعالى ومن حيث انها مبدية عما اقترفه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وروى الاية مظهرة عليهم شناعة صفتهم وخامة عقابتهم (فان قيل) لم وحد السمع دون القلوب والابصار (أجيب) بأنه على حذف مضاف مثل وعلى حواس سمعهم كواضعه كماه تقيده أو باعتبارها لاصل فانه مصدر فى أصله والمصدر لاثنى ولا تجمع والابصار جمع بصروها وادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع قال البيضاوى ولعل المراد به ما فى الاية العضو لانه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق القلب ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وأمال أبو عمر وألف أبصارهم وكذا كل ألف بعدها رامكة ورة متطرفة وانما جازا ما التامع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعيلة لما فيها من التكرير (ولهم عذاب عظيم) أى قوى دائم فى الآخرة وهذا وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كل ما يعي الانسان ويشق عليه وقال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش وانما وصف العذاب بالعظيم دون الكبير لان العظيم فوقه لان العظيم نفيس الحقيق والكبير نفيس الصغير واذا كان الحقيق مقابلا للعظيم والصغير للكبير كان العظيم فوق الكبير لان العظيم لا يكون حقيرا والكبير قد يكون حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما وتنكير الغشاوة والعذاب للتوبيخ لانها لما قرنا بالختم على القلوب كان المعنى نوعا عظيما منه أى على أبصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو تعالى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الله * ونزل فى المنافقين حكاية لحالهم قوله تعالى (ومن الناس) أمال أبو عمر والالف قبل السين المكسورة إحالة محضة وهكذا كل ألف مثلها والباقون بالغتم (من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) أجمع المفسرون على أن ذلك وصف المنافقين فالواصف الله الاصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ونفى بأضدادهم الذين يحضوا الكفر ظاهرا وباطنا وثبت بالوصف الثالث المذهب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم يؤمن قلوبهم تكميلا للتقبيم وهذا الصنف أخبت الكفرة وأبغضهم الى الله

تعالى لانهم مع مشاركتهم للكفار الاصليين في أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان من حيث
 أنهم ينسبون الى الله تعالى ما هو برى منه كالولد والزوجة والشرىك زادوا عليهم بأمور
 منكرو منها أنهم قصدوا التلبس ورضوا لانفسهم بسمة الكذب ولبسوا الكفر على المسلمين فخطوا
 به خداعا واستترا وولذلك طول الله في بيان خبيثهم وجهلهم واستهزا بهم وبأفعالهم وسجل
 على عهدهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وأنزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
 واللام في الناس للجنس ومن موصوفة لالعهد وكانه قال تعالى ومن الناس ناس يقولون وقيل
 للعهد والمعهودهم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظيره اؤه فانهم من حيث
 أنهم مجموعوا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المحتوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
 على الكفر لا ياتي دخولهم تحت هذا الجنس (فان قيل) خصت من بالموصوفة على تقدير الجنس
 بالموصولة على تقدير العهد (أجيب) بأن الجنس لا يهاجمه يناسب الموصوفة لتكررها والعهد
 لتعينه يناسب الموصولة لتعريفها واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذات كتحصيل
 لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بأنهم اختاروا الايمان من المبداء والمعاد وأنهم
 منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه فكيف بما يصدق به النفاق وهو عدم التصديق
 بالقلب لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر بما نكالا ايمان لاعتقادهم
 التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسهم الا بأمام معدودة وغير ذلك
 ويرون المسلمين أنهم آمنوا مثل ايمانهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
 والاستحكام والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي أو الى أن يدخل أهل الجنة
 الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة بطرفين (وما هم بعمنين) لابطانهم الكفر
 وهذا انكار لما ادعوا اثباته ووحيد الضمير في بقول نظر الى لفظة من لانها صالحة للتثنية
 والجمع والواحد وجمع فيما بعد فانظر الى معناها (فان قيل) كيف طابق قوله وما هم بعمنين
 قوله آمن بالله فان الاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
 فكان المطابق لما آمنوا (أجيب) بأنه انما عدل الى ذلك لرد كلامهم بأبلغ وجه وأكده لان
 اخراج ذواتهم عن عداد المؤمنين بأبلغ من نفي الايمان عنهم في ماضى الزمان ولذلك أكد النفي
 بالباء ونظيره قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك
 وما يخرجون منها وأطلق الايمان على معنى أنهم ليسوا من الايمان في شئ ويحتمل أن يقيد بها
 قيد وابه وهو قوله تعالى بالله وباليوم الآخر لأن وما هم بعمنين جوابه والاية تدل على أن من
 ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من نفى بالشهادتين فارغ القلب
 عما وافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا (يخمدعون الله والذين آمنوا) اذا ظهر واخلاف ما بطنوه من
 الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ويحفظوا أموالهم ويحفظوا أصل الخدع في اللغة
 الاخفاء وبسبب الخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالتخادع أظهر خلاف ما بطنوا والتخادعة
 تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولا أنهم

لم يقصد واخذ بعته بل المراد اما تخدعة رسوله أو وليائه على حذف المضاف لانهم لم يعتقدوا ان الله بعث الرسول اليهم فلم يكن قصدهم في نفاقهم تخدعة الله تعالى فعلم أن خداعهم مع الله ليس المراد ظاهره كما في قوله تعالى وأسأل القرية أي أهلها وعلى أن معاملته الرسول معاملته الله تعالى من حيث انه خليفة كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما أن صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنيع الله معهم من اجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الاسفل من النار استدراجهم وامثال الرسول والمؤمنين أمر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام بحجارة لهم يمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بخداعهم يخدعون لانه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا أنه أخرج في زنة قاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت لاه غالبية والفعل متى غلب فيه كان أبلغ منه اذا اجاب بلا مغالبة معارض استصعبت الزنة ما ذكر من المبالغة وقال الجلال المحلى والتخادعة ههنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحيين (وما يتخذون انفسهم) لان وبال خداعهم راجع عليهم فيغفخون في الدنيا باطلاع بنيه على ما يظنونه ويعاقبون في الآخرة والنفس ذات النسي وحقيقته وقرآن نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وقرأ الباقون وهم عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي وما يخدعون بفتح الياء وسكون الخاء ولا ألف بعدها وفتح الدال ولا خلاف بين القراء في الكلمة الاولى وهي يتخادعون الله فالجميع قرؤا بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال واما الرسم في الموضعين فبغير ألف (وما يشعرون) أي لا يحسبون بمعنى لا يعلمون أن خداعهم لانفسهم لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالحسوس الذي لا يتخفى الا على مؤلف الحواس وهو المصاب بأفة (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق لان ذلك يمرض قلوبهم أي يضعفها والمرض حقيقة هو فيما يمرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمال أفعالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والبغض وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل أو مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتل الحقيقة والجواز وعلى الجواز قصر أكثر المفسرين لانه أبلغ من الحقيقة (فزادهم الله مرضا) بما أنزل من القرآن لانه كلما أنزل آية كفر وابتها فزادوا واشكوا ونفاقا واسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه خلقها وأوجدناها الى السورة في قوله تعالى فزادهم رجسا لكونها اسبابا وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف التي بعد الزاي محضة والباقيون بالفتح (ولهم عذاب أليم) أي ولم يفتح اللام وصف به العذاب للمبالغة اذ الالم انما هو للعذاب حقيقة لا للعذاب فلسفة الالم الى العذاب مجاز ويجوز كسر لام مؤلم كسميع بمعنى مسمع وعليه نسبة الالم الى العذاب حقيقة (بما كانوا يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الدال أي تكذبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الدال أي يكذبهم

في قولهم أمثالا لان الايمان التصديق بالقلب والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به قال
 البيضاوي تعالى لم يخشئ وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب على
 الكذب وما روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات أي لما روى البخاري
 ومسلم في حديث الشفاعة فيقول ابراهيم اني كذبت ثلاث كذبات وذكر قوله في الكوكب
 هذا ربي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فالمراد التعريض أي وهو اللفظ المشار به
 الى جانب والغرض جانب آخر وقيل هو خلاف التصريح وهو تضمن الكلام دلالة ليس لها ذكر
 وسمى تعريضاً لما فيه من التعريض عن المطلوب ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
 انتهى وهذا ليس على إطلاقه فان من الكذب ما هو مباح وما هو مندوب وما هو واجب
 وما هو حرام لان الكلام وسيلة الى المقصود فكل مقصود محمود ان أمكن التوصل اليه بالصدق
 فالكذب فيه حرام وان لم يمكن الا بالكذب فهو مباح ان كان المقصود مباحاً ومندوباً ان كان
 المقصود مندوباً وواجب ان كان المقصود واجباً وفي حديث الطبراني في الكبير كل الكذب
 يكذب على ابن آدم الا ثلاثا الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة
 في زوجها والرجل يكذب بين الرجلين في صلح بينهما وفي حديث في الاوسط الكذب كله اثم
 الا ما يقع به مسلم أو دفع به عن دينه (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء فهو عطف تفسير على يكذبون فحله
 نصب لكونه معطوفاً على خبر كان فيكون جزءاً من السبب الذي استحقاقه العذاب الاليم أو على
 بقول فلا محمل له من الاعراب لكونه معطوفاً على صلة من فلا يكون جزءاً من السبب والقائل
 هو الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو بعض المؤمنين (لأنفسدوا في الارض) بالكفر
 والتعويق عن الايمان والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصالح ضده والفساد يعتم كل
 ضار والصالح يعتم كل نافع وكان من افسادهم في الارض اثاره الحروب واقتن بخداعة
 المسلمين ومعاونة الكفار والتعمص كفرهم على المسلمين فان ما ذكر يؤدى الى فساد ما في الارض
 من الناس والدواب والحشر ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
 والاعراض عنها مما يوجب القتل والاختلاط ويخل بنظام العالم لأن ذلك افساد لان الافساد
 جعل الشيء فاسداً ومنعهم لم يكن كذلك فقوله تعالى لا تفسدوا في الارض مجاز باعتبار المال
 أي لا تفعلوا ما يؤدى الى الفساد وليس معنى الافساد هنا الاتيان بالفساد ليصح حمل الكلام
 على الحقيقة نبه على ذلك السعد التفناني (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لا ذا ورده
 للناس على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شئت ليس الا اصلاح وان
 حالتنا متعمضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد صبر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
 وانما يطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة اصلاح لما في قلوبهم من المرض
 كما قال تعالى أنى زين له سوء عمله فرآه حسناً قال الله تعالى يرد عليهم ما بلغ رده (ألا أنهم هم
 المفسدون) أي بما ذكر (ولكن لا يشعرون) أي لا يفتنون بمعنى لا يعلمون أنهم هم المفسدون
 بذلك أي لانهم يظنون أن الذي هم عليه من ابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم

من العذاب ووجه الابلية في ذلك تصديره بالألمنة على تحقيق ما بعده فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي أفادت تحقيقاً واثباتاً المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط ضمير الفصل والاستدراك بلا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا) هذا من تمام النصيح والارشاد فان كمال الايمان بمجدوع أمرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا ولا تيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا (كما آمن الناس) أي كايان الناس السكاملين في الانسانية الموافقة باطنهم فيه لظاهرهم العالمين بقضية العقل فاللام في الناس للجنس فان اسم الجنس كما يستعمل لسماءه مطلقاً يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصود منه أول العهد والمراد به الرسول ومن معه وأبعد الله من سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب وقرأ هشام والكسائي قيل باسم القاف وهو أن تضم القاف قبل الباء ولورش في الهمزة من آمنوا ومن المد والتوسط والقصر (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجهال فاللام في السفهاء العهد وهم من تقدم أولخس السفهاء بأسرهم وانما سفههم لاعتقادفساد رأيهم أولتحقيقشأنهم فان أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أولالتجدد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشباعه * قال الله تعالى رذا عليهم أبلغ رد (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم سفهاء بما فعلوه من ابطان غير ما أظهره ووجه الابلية في تجهيلهم أن الجاهل يجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتتفعه الآيات والنذر (فان قيل) كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء (أجيب) بأن هذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم لاعداء المؤمنين فأخبر الله سبحانه بنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك والسففة خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والعلم يقابله (فان قيل) لم عبر في هذه الآية بلا يعلمون وفي التي قبلها بلا يشعرون (أجيب) بأن التعبير بلا يعلمون أكثر مطابقة لذكر السفه لان السفه جهل فطابقه العلم ولأن أمر الايمان أخرى يحتاج الى دقة نظر فعبر في الآية التي اشتملت عليه بلا يعلمون وأمر البغي والفساد ذنوب فهو كالحسوس لا يحتاج الى دقة نظر فعبر في الآية التي اشتملت عليه بلا يشعرون ويشعرون مضارع شعري يقال شعرت كذا أي حسست به أو أدركته أي فطنت له وقد استعمل بالمعنى الأول في قوله وما يشعرون وفي الثاني بقوله لا يشعرون كما يعلم مما به قرره في الآيتين وقرأ ابن عامر وعاصم وحجة والكسائي السفهاء ألا بتحقيق الهمزتين وكذا كل همزتين وقتافى كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والباقيون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وبإبدال الشاينة واوخالصة (رأى القوا الذين آمنوا) اللقاء المصادفة وهي الاجتماع من غير مواعدة يقال لقينته ولاقنيته اذا صادفته واستقبلته وأصل لقوا لقيوا حذف الضمة للاستئفال ثم المياه لالتقاءهما ساكنة مع الواو (قالوا آمننا) أي كايانكم (واذا خلوا) منهم ورجعوا (الى شياطينهم) أي الذين مائلوا الشياطين في شردهم وهم المظهرون كفرهم واصافهم اليهم للمشاركة في الكفر وأكبار المنافقين والقائلون صغارهم (قالوا انامعكم) أي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجلالة الفعلية ومما ثل الشياطين

بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وقصدوا بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق ورغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج اذعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قاله مع الكفار (انما نحن مستهزؤن) بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أى نسخرهم باظهارنا الاسلام لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه فهذا ائناً كيد لما قبله وأبدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر واستتاف فكان الشياطين قالوا اللهم لما قالوا اننا معكم ان صح ذلك فبالكم نوافقون المؤمنين وتدعون الايمان فأجابوا بذلك * (تنبيه) * بين سبحانه وتعالى بهذه الآية معاملة المنافقين مع المؤمنين والكفار روى الواحدى وغيره ولكن بسند ضعيف ان ابن أبى وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أردته هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ يسد أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يسد رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يسد على رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بنى عتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشنة أى زوج بنته عند العاتية وعند العرب كل من كان من قبل المرأة وكل منهم صحيح هنا سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فترت وما صدر به قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بسوق لبيان مذهبهم وتهميد نفقاهم فليس بتكرير (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم على استهزائهم بعمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سعى جزاء السيئة بسببها ما لقلب اللفظ باللفظ أولئك من مماثلة فى القدر ومثل هذا يسمى مشاكلة أو ينزل بهم الحقايرة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما فى الدنيا فباجراء أحكام الاسلام عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة مع القادى فى الطغيان وأما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار يا بال الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أنه تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين أن يعارضوهم وأن استهزاهم لا يبالى به لحقارتهم (ويعدّهم فى طغيانهم) أى فى ضلالاتهم (بعمهون) يترددون متحيرين والطغيان بالضم والكسر تجاوز الحد فى العصيان والغلوى فى الكفر وأصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انما طغى الماء جازاكم قال البضاوى والعمه فى البصيرة كالمعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمها لامتارها اه وظاهر كلامه اختصاص العمه بالبصيرة والعمى بالبصر وهو ما ذكره ابن عطية فينهما تباين وقال الامام وغيره العمه فى البصيرة والعمى عام فيها وفى البصر فينهما معوم مطلق وأمال الدورى عن الكسافى ألف طغيانهم امالة محضة وفتحها الباقون (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى اختاروها عليه واستبدلوا هابه وأصل الشراء بدل الثمن لتحصيل ما يطلب

من الاعيان فان كان أحد العوضين ناضجين من حيث انه لا يطلب لعينه أن يكون غنيا وبذله
 اشتراه والافالمن ما دخلت عليه الباء فبازله مشتر وأخذ بائع ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن
 الشيء طمعاً في غيره والمعنى انهم أخذوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالقطرة التي فطر الناس عليها
 محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى وأمال ألف الهدى
 حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح (فما ربحت تجارتهم) أي
 ما ربحوا فيها والتجارة التصرف بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال واستناده الى
 التجارة وهو لا رباها على سبيل الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لتشابهها اياه من حيث انها سبب
 للربح والخسران واتفق القراء على ادغام التاء في التاء وكذا كل مثلي الاقل منهم ما ساكن
 (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهو لا قد أضاعوا
 الامرين لأن رأس مالهم كان القطرة السليمة والعقل المصروف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل
 استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوصلون به الى ادراك الحق ونيل الكمال
 فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدون للاصل (مثلهم) أي شبههم وصفهم في تفاهتهم
 (كمثل الذي) بمعنى الذين بدليل سياق الآية ونظيره والذي جاء بالصدق وصدق به أو لئلا هم
 المتقون وقوله تعالى وخضعتم كالذي خاضوا وقصده جنس المستوقد أو الفوج الذي (استوقد)
 أي أوقد (نارا) في ظلمة لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل وهو بيان تصوير تلك الحقيقة
 وابرازها في معرض المشاهد المحسوس زيادة في التوضيح والتقرير فانه أوقع في القلب وأقنع
 للخصم قال البضاوي والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
 لهبها اه والاكثر على أن استوقد هنا بمعنى أوقد كما قدرته لاجتماعي طلب الوقود (فلما أضأت)
 أي أنارت النار وأضاء لازم ومتعدي يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاء غيره (ما حوله) أي
 المستوقد فأبصروا استدفاً وأمن ما يخافه (ذهب الله بنورهم) أي أطفأه وهذا جواب
 لما واستناد الاذهاب الى الله تعالى امالان السكل بفعله أولان الاطفاء حصل بسبب خفي
 أو أمر سماوي كريح أو مطر أو لوله بالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
 من معنى الاستصحاب والاستمسك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وأمسكه وما أخذه
 الله تعالى وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه
 لو قيل ذهب الله بنورهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يبسي نوراً والغرض ازالة
 النور عنهم رأساً لا ترى كيف تزدك وأكده بقوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)
 ما حوله لهم متعبرين عن الطريق خائفين فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانظماسه بالكلية
 وكيف جمع الظلمة وكيف نكروها وكيف أتمعها بما يدل على أنها ظلمة خالصة وهو قوله لا يبصرون
 وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
 بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السمرمدي وظلمة شديدة
 كأنها ظلمات متراكمة والآية وهي قوله مثلهم الخ مثل ضرب به الله لايمان المنافقين من

حيث انه يعود عليهم بمحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المساكين في المغام
 والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانظما س نوره باهلا كهم وافشاء حالهم باطنافا
 الله تعالى اياها واذهب نورها هذا هو الواو اذ أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقيل مثل ضربه
 الله لى آتاه ضربا من الهدى واضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فيبقى متخييرا متحصرا اقتريرا
 وتو بخالما تضمنه قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الخ ويدخل تحت عموم
 ما تضمنته الآية هؤلاء المنافقون فانهم أضاعوا ما انقطعت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر
 واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن أثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة وأرتد عن
 دينه بعدما آمن وقرأ ورش بتريق را يصرون هم (صم) عن الحق فلا يسمعون به سماع قبول
 وأصل الصم صلابه من اجتماع الاجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به
 فقد ان حاسة السمع لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مجمعة لا تجوف فيه بشمل على هوا يسمع
 الصوت بتوجهه (بكم) خرس عن الخير فلا يقولونه والخرس في الاصل عدم القدرة على
 النطق (عمى) عن طريق الهدى فلا يرويه والعمى في الاصل عدم البصر عما من شأن أن يصير
 وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لا يرجعون) أى لا يعودون الى الهدى الذى باعوه وضعفوه وعن
 الضلالة لى اشتروها (أو) مثلهم (كصيب) فهو معطوف على الذى استوقد أى كمثل أصحاب
 صيب لقوله يجعلون أصابعهم فى آذانهم وفى الاصل للتساوى للشك ثم اتسع فيها فأنطلق
 للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطلع منهم أنما وكفورا
 فانه يفيد التساوى فى حسن الجمالسة فى المثال الاول وجوب العصيان فى الثانى ومن ذلك
 قوله أو كصيب من السماء ومعناه بقدر شدة السحاق أن قصة المنافقين مشبهة بها تين القصتين
 وأنهما مساوئ فى صحة التشبيه بهما وأنت مخبر فى التمثيل بهما أو بآيتهما شئت وان كان الثانى
 أبلغ كما قاله الزمخشري قال لانه أدل على فرط الخيرة وشدة الامر وقضا عته والصيب أصله صوب
 من صاب يصوب وهو النزول يقال للمطر وللحباب والآية تختملهما أى ينزل (من السماء)
 ذلك فان قدرت الصيب بالمطر فالمراد بالسماء السحاب وان قدرته بالسحاب فالمراد السماء بعينها
 والسماء كل ما علاك وأظلك وهى من أسماء الاجناس فيكون واحدا وجعا (فيه) أى الصيب
 وقيل السماء (ظلمات) جمع ظلمة فان أريد بالصيب المطر فظلمة ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه
 مع ظلمة الليل وان أريد به السحاب فظلمة سواده وتكاثفه مع ظلمة الليل (ورعد) وهو صوت يسمع
 من السحاب قال البضاوى والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا
 ساقها الريح من الارتعاد (وبرق) وهو ما يلمع من السحاب من برق الشئ يريقها هذا ما جرى عليه
 الجوهرى وغيره وهو المناسب هنا وان أطلق الرعد على الملك أيضا فهو مشترك بين الصوت
 المذكور والملك الثابت فى الاحاديث فى بعضها أنه ملك موكل بالسحاب يسده مخزاق من نار
 يزجر به السحاب يسوقه الى حيث شاء الله وصوته ما يسمع وفى بعضها أنه ملك ينبغى بالغيث كما
 ينبغى الزاى يغنه وفى بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسيح كما يسوق الحادى الابل بحمده انه

وفي بعضهم أنه ملك مسمى به وهو الذي تسمعون صوته (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابهم) أى تأملها وانما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة لما في ذلك من الأشعار بدخول أصابعهم فوق المعتاد فرار من شدة الصوت (فى آذانهم) وقوله (من الصواعق) متعلق بجعلون أى من أجلها يجعلون وهو جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت من سماعها أو يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء روى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع ازعدا والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وأمال الدورى عن الكسائى ألف التى بعد الذال فى آذانهم أمانة المحضة والباقون بالفتح * وقوله تعالى (حذر الموت) نصب على العلة كقول الشاعر

« واغفر (أى استر) عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكريما
قال البيضاوى والموت زوال الحياة زاد فى الطوالع عما من شأنه الحياة وفيه تساهل اذ يلزم منه أن يكون الجنين قبل حلول الحياة فيه مينا والظاهر كما فى شرح المواقف أن يقال عدم الحياة بما انصف به بالفعل فينبه ما تقابل العدم والملكية على التفسيرين وقيل عرض بضادها فينبه ما تقابل التضاد لقوله تعالى خلق الموت والحياة فجعل الموت مخلوقا والعدم لا يخلق ورد بأن الخلق بمعنى التقدير لا بمعنى اليجاد والاعدام مقدره ولو سلم بأنه بمعنى اليجاد فالعنى خلق أسباب الموت والحياة وبذلك علم أن القول الاوّل هو المعتمد وكلام أمة اللغة طامح به وحاصله أن الموت مفارقة الروح الجسد وما ورد فى الاحاديث من أنه جسم حيث قيل فى بعضها انه كبش وفى بعضها انه على صورة كبش لا يمر على أحد الامات فقول بأنه لم يقصد بالموت فيها حقيقته بل قصده ان يصور بصورة كبش كما فى خبر الشيخين وغيرهما انه يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فوفد بين الجنة والنار الخ (والله محيط بالكافرين) علما وقدره فلا يفوتونه كما لا يفوت المحيط المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الآن يحاط بكم أى تهلكوا والجله اعتراضية لا محل لها قال أبو حيان لأنها دخلت بين هاتين الجملتين وهما يجعلون أصابعهم ويكاد البرق وهما من قصة واحدة ويميل ورش ألف بعد الكاف بين بين وكذا الكافرين حيث جاء وقرأ أبو عمرو والدورى عن الكسائى بالامالة المحضة فيه ما حيث جاء والباقون بالفتح (يكاد البرق) يقرب لان كاد من أفعال المقاربة وضعت للمقاربة الخبر من الوجود لحصول سببه لكنه لم يوجد ما لفقد شرطاً ولعروض مانع وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعاً تنبيه على أنه المقصود بالقرّب (يحطف أبصارهم) يحطفها والخطف الاخذ بسرعة (كلما أضاء لهم مشوا فيه) أى ضوئه (واذا أظلم عليهم قاموا) أى وقفوا متحيزين فآله تعالى شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة أصابعهم مطرفه ظلمات من صفاتها أن السارى لا يمكنه المشى فيها وورد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم فى آذانهم من هولاء وبرق من صفته أن يقرب من أن يحطف أبصارهم ويعمها من شدة وقده فهذا مثل

ضربه الله تعالى للقرآن وصفيح الكافرين والمنافقين معه فالمرطر القرآن لانه حياة القلوب
كما أن المرط حياة الابدان والطلبات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به
من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعود وذكر الجنة والكافرون
والمنافقون يستدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه ولا زعاج ما في القرآن
من الخلل فلو بهم وانما قال الله تعالى مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حتراس على المشي
كل صافوا منه فرصة مما يحبون انتزوها ولا كذلك التوقف فيما يكرهون ومعنى قاموا وقفوا
كما مر ومنه قامت السوق اذا ركبت أى سكنت ويقال قامت السوق بمعنى نفقت فهو من
الاضداد (ولو شاء الله لذهب بسبعهم) بمعنى أسماعهم (وأبصارهم) الظاهرة كإذهب بالباطنة
أى ولو شاء أن يذهب بسبعهم بشدة صوت الرعد وأبصارهم بلعان البرق لذهب بهم سماعا وحذف
المفعول وهو أن يذهب لدلالة الجواب وهو لذهب عليه واقدته ككأثر حذف المفعول في شاء
وأراد اذا وقع في حيز الشك كما هنا لدلالة الجواب على ذلك المحذوف حتى لا يكاد يذ كر الا في الشيء
المستغرب كقول القائل

فلو شئت ان أبكى دما بالبكيته * عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

وأنى فيه بالمفعول لان بكاء الدم مستغرب ونصب دما لتضمنه معنى الصب ولومن حروف الشرط
قال البيضاوى وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لاتقاء الثاني ضرورة انتفاء المعلوم عند
انتفاء لازمه اه وهذا مذهب ابن الحاجب وأما مذهب الجمهور وهو الاصح فانه في الاصل
لاتقاء الثاني لاتقاء الأول فعنى لو جئتنى أكرمتك أن انتفاء الاكرام لاتقاء الجنى وقيل انها
لمجرد الربط كان ومن ثم قال التقى زانى ان لو هنا مجرد الشرط بمنزلة ان لا بعناها الاصلى وفائدة
هذه الجملة الشرطية ابداء المانع لذهب بسبعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه وهو أنه تعالى
أهل المنافقين فيما هم فيه ليعتادوا في الغي والفساد ليكون عذابهم أشد وللتنبيه على أن تأثير
الاسباب في مسبباتهم مشروط بحسنة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بتسدرته
تعالى وقوله تعالى (ان الله على كل شيء) أى يشاؤه (قدير) كالتصريح بما ذكره والتقرير له والشئ
يختص بالوجود فلا يطلق على المعدوم (فان قيل) لو اختص الشئ بالوجود لما تعلقت به القدرة
لانها الصفة المؤثرة على وفق الارادة وتأثيرها اليجاد ويجاد الموجود محال فالذى تعلقت
به القدرة معدوم وهو شئ فالمعدوم شئ (أجيب) بأن المحال ايجاد الموجود بوجود سابق
وهو غير لازم واللازم ايجاد موجود وهو أن ذلك اليجاد وليس بمحال والقدرة هو التمكن من
ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله
تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير الفعال
لما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارى تعالى واشتقاق القدير من القدرة لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفي ذلك دليل على أن الحادث حال
حدوثه والممكن حال بقاءه متدورا وأن مقدورا العبد مقدور الله تعالى خلا لا بل على وأبى

هاشم لأنه شيء وكل شيء مقدور واحتج بعض الفرق بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى ليس
 بشيء قال لانها تدل على أن كل شيء مقدور لله تعالى والله سبحانه وتعالى ليس بمقدوره فوجب
 أن لا يكون شيئاً واحتج أيضاً على ذلك بقوله تعالى ليس كمثله شيء قال لو كان هو تعالى شيئاً فهو
 تعالى مثل مثل نفسه فكان يكذب بقوله تعالى ليس كمثله شيء فوجب أن لا يكون شيئاً حتى
 لا يناقض هذه الآية واعلم أن هذا الخلاف في الاسم لأنه لا واسطة بين الموجود والمعدوم واحتج
 أصحابنا بوجهين الأول قوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة قل الله والثاني قوله تعالى كل شيء هالك
 الا وجهه والمستثنى داخل في المستثنى منه فوجب أن يكون شيئاً (واجب) عن قوله أن هذه
 الآية تدل على أن الله تعالى قادر على نفسه بأن تخصيص العام جائز في الجملة وأيضاً تخصيص
 العام جائز بدليل العقل (فان قيل) اذا كان اللفظ موضوعاً للكل ثم انه تنبأ انه غير صادق
 في الكل كان هذا كذباً وذلك يوجب الطعن في القرآن (أجيب) بأن لفظ الكل كما أنه
 مستعمل في المجموع فقد يستعمل مجازاً في الاكثر فاذا كان ذلك مجازاً مشهوراً في اللغة لم يكن
 استعمال اللفظ فيه كذباً ورقق ورش الراعي من قدر وصلاح وقفاً وباقى القرآن بالترقيق وقفاً
 لا وصلاً ولم يعد سبحانه وتعالى فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل تعالى
 عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات بقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) تحريراً كالسامع
 وتنشيطاً واشتغالاً بأمر العبادة وتفخيماً للشأن وجبر المشقة العبادة بلذة المخاطبة وبإحرف
 وضع لتسداء البعيد وقد نادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد أماً لعظمته كقول الداعي يارب
 وبالله وهو أقرب اليه من جبل الوريداً ولغفلته وقلة فهمه أو لاعتناءه بالمعدول وزيادة الحث
 عليه وللفظ الناس بموجودين وقت النزول لفظاً ومن سيوجد تنزيلاً له معدوم منزلة الموجود
 لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى
 قيام الساعة الا ما خصه الدليل وان قال الامام الرازي الاقرب أنه لا يتناول لأن يا أيها الناس
 صرف خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله لدليل منفصل وهو ما تواتر
 من دينه عليه الصلاة والسلام أن أحكامه ثابتة في حق من سيوجد الى قيام الساعة (فان قيل)
 روى عن عتبة والحسن وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فتكى
 ويا أيها الذين آمنوا فندى فكيف تكون هذه السورة مكية وقد نزلت بالمدينة (أجيب) بأن
 المراد بقولهم السورة مكية أو مدنية أن غالبها ذلك والاولى أن يقال أن ذلك أكثرى لا كلي وأن
 سورة البقرة والنساء والحجرات مدنيات باتفاق وقد قال تعالى في كل منها يا أيها الناس وسورة
 الحج مكية سوى ما استثنى وفيها من غيرها يا أيها الذين آمنوا اركعوا ولا يمتنع ذلك الخطاب
 بالكفار ولا بأمرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة وزيادة فيها والمواظبة
 عليها فالملطوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الايمان بما يجب تقديمه من المعرفة والقرار
 بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة
 فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفع الكفر والاشتغال بالعبادة ومن المؤمنين ازديادهم

وثبتهم عليها وانما قال الله تعالى ربكم تنبيهاً على أن الموجب للعبادة هي الربوبية وقوله تعالى
 (الذي خلقكم) أى أنشأكم ولم تكونوا شيئاً صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقيد
 ان خص الخطاب بالشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يستؤمنها أربابا
 والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
 بالقياس وقرأ أبو عمر وخلقكم بادغام القاف في الكاف بخلف عنه (و) خلق (الذين من قبلكم)
 وهذا متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات أو الزمان كتقدم الجزء على الكل والواحد على
 الاثنين وهو منصوب عطف على الضمير المنصوب في خلقكم كما علم من التقدير وبالجملة أخرجت
 مخرج المنزوع عنهم امّا الاعتراف بهم كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم
 من خلق السموات والارض ليقولن الله أولئك هم من العلم به بادنى نظر وقوله تعالى (لعلكم
 تتقون) اما حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجح أن تدخلوا في سلك المتقين
 الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبيه به على أن التقوى منتهى درجات
 السالكين وهو التبرى من كل شيء سوى الله الى الله وإن العابد ينبغي أن لا يفتّر بعبادته ويكون
 ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفاً وطمعاً يرجون رحمته ويخافون عذابه واما
 من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من ترجى منه
 التقوى لترجى أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب تعالى المخاطبين بقوله لعلكم على
 الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعاً ولعل في الاصل للترجى وفي كلامه تعالى لتحقيق
 والآية تدل على أن الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدة دانيته والعلم باستحقاقه للعبادة
 النظري صنعه والاستدلال بافعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه تعالى ثواباً فانما الموجب
 عليه شكر الماعده عليه من النعم السابقة فهو كاجراً أخذ الاجر قبل العمل وقوله تعالى (الذي
 جعل) أى خلق (لكم الارض فراشاً) أى بساطاً تفرش صفة ثانية أو منصوب بتقدير أمدح
 أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف ومعنى جعلها فراشاً أن جعل بعض جوانبها بارزاً عن الماء مع
 ما في طبع الماء من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهمأة لان
 يقعدوا ويناموا عليها كالفرش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كربة تشكّلها مع
 عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الفراش عليها فليس في ذلك الا أن الناس يقترشونها كما يفعلون
 بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو على شكل الكرة (و) جعل لكم (السماء بناءً) أى قبة
 مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد وعلى المتعدد كالديار والدرهم وقيل جمع
 سماء والبناء مصدر سمي به المبنى يتساكن أوقبة أو خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا
 تزوجوا ضربوا عليها خباء جديداً وقوله تعالى (وأترل من السماء ماء) معطوف على جعل والمراد
 بها امّا السحاب فان ما علا له ماء واما الفلك فان المطر يتبدى امان من السماء الى السحاب ومنه
 الى الارض كما دلت عليه الظواهر من الآيات كقوله تعالى وأترلنا من السماء ماء وقوله تعالى
 أترل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض وعن خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من

صحت العرش فينزل من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا فيجتمع في موضع فتحي السحاب
السود فتدخله فتشمر به فيسوقها الله حيث شاء واما من أسباب سماويه ثير الاجزاء الرطبة من
أعماق الارض الى جوف الهواء فتعقد صما باماطرا (فاخرج به من) أنواع الثمرات رزقا لكم
تا كلونه وتعلقون منه دوابكم وخروجها بقدره الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء
الممزوج بالتراب سبيبا في اخرجها ومادة لها كانه طرفة للحيوان بأن أجرى عادته بافاضة صورها
وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما وأبدع في الماء قوة فاعله وفي الارض قوة قابلة يتولد من
اجتماعهما أنواع الثمار وهو تعالى قادر على أن يوجد الاشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع
نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها امر تقيما من حال الى حال صناع و حكم يحدد فيها
لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة * (تنبيه) * من الاولى
للاستداء ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات لآن ثمرات جمع قلة منكر
واكتشاف المتكررين لها أعنى ما ورزقا كأنه تعالى قال وأترلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا التبعض هو الموافق للواقع اذ لم ينزل من السماء الماء
كله ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل بالمطر كل المرزوق ويصح أن تكون من الثانية للتبعين
ورزقا مفعول وهو المبين بمعنى المرزوق كقول القائل أنفقت من الدراهم ألفا فان من الدراهم
بيان لقوله عقبه ألفا (فان قيل) المحل محل جمع الكثرة فكيف أتى بجمع القلة (أجيب) بأن
الجوع يتناول بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وأوقع جمع القلة موقع جمع
الكثرة بدليل ذكر كم وكقوله تعالى ثلاثة قروها وأوقع جمع الكثرة موضع جمع القلة لان مبرز الثلاثة
لا يكون الا جمع قلة وألان الثمرات لما كانت محلاة باللام خرجت عن حدة القلة (فلا يجمع لوالله
أندادا) أى شركاء في العبادة (فان قيل) لم يسمي ما يعبد المشركون من دون الله أنداد مع انهم
ما زعموا أنها تساوية في ذاته وصفاته ولا أنهم يتخالفه في افعاله (أجيب) بأنهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد ان ذاتا واجبة بالذات قادرة على أنها
تدفع عنهم بأس الله وتفتحهم الم يرد الله بهم من خير فتمكم الله تعالى بهم وشنع عليهم بأن جعلوا
أنداد الم يمنع أن يكون له ندو لذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين
قومه أرباوا احدا أم ألقرب * أدين اذا انقسمت الامور

أدين أى أطيع من دان أى انقاد اذا انقسمت أى نفرقت

تركب اللات والعزى جمعها * كذلك يفعل الرجل البصير

ألم تعلم بأن الله أفتى * رجلا كان شأنهم الفجور

وأبقى آخرين بسير قوم * فبر يومهم الطفل الصغير

وقوله تعالى (واتم نعمتكم لعلون) حال من ضمير فلا تحفلوا وفعول تعلمون متروك أى وحالكم انكم
من أهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملت أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اشات موجبة
للممكنات منفرد بوجود الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو مقدر وهو ان الأنداد لا تماثل
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شئ وعلى

كون وأنتم تعملون حالاً لا تقصروا منه التوبينجسوا أو جعل مفعول تعلمون تروكاً أو مقدراً
 وإن كان التوبينج في الأول كذا كصرح به الكشف لا تقيد الحكم وقصره وهو النهي عن
 جعلهم لله أنه إذا جهل علمهم فإن العالم والجاهل المتكبر من العلم سواء في التكليف
 * (تنبيه) قال البيضاوي وأعلم أن مضمون الآيةين أي يأباهم الناس عبادوا ربكم والذي
 جعل لكم إلى آخره ما هو الأمر بعبادة الله والنهي عن الاشرار التي تعالى والاشارة الى ما هو
 العلة والمقتضى ويانه انه تعالى رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعاراً بأنهم العلة
 لوجوبها ثم بين ربوبيته بأنه تعالى خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من
 المقتلة والمطللة أي الارض والسماء والمطاعم والملابس فان الثمرة أعم من الطعام أي قسم
 الثمرات الملابس كالطعام والزرق أعم من الماء كقول والمشروب ثم لما كانت هذه أمور
 لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشرار لئلا يسهوا وتعالى
 أراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق
 الانسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التثليل فمثل البدن بالارض
 والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة
 استعمال العقل للعواس وزد وواج أي اقتران القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة
 من ازدواج أي اقتران القوى السماوية والفاعلة والارضية المنفعلة بقدره الفاعل المختار
 فان لكل آية ظهراً وباطناً ولكل حكمة طلعاً اه هذا روى عن الحسن مرفوعاً مرسلاً وظهر
 الآية ما ظهر من معانيها لاهل العلم الظاهر وبطنها ما نفعهم من الاسرار التي أطلع الله
 عليها الخواص وقيل ظاهرها تلاوتها وباطنها فهمها والحدأحكام الحلال والحرام والمطلع
 الاشراف على معرفتها * ولما قرر سبحانه وتعالى وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم
 به اذ كره عقبه ما هو الخلق على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته
 التي غلبت فصاحة كل بليغ مع كثرة هم وافراطهم في المضادة وتهاكمهم على المغالبة بقوله
 تعالى (وان كنتم في ريب) أي شك (منزلنا على عبدنا) محمد من القرآن انه من عند الله
 (فأنزلنا سورة) وانما قال تعالى بمنزلنا لان نزوله نجماً فنجماً بحسب الوقائع على ما يرى عليه
 أهل الشعر والخطابة بما رويهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا
 نزل عليه القرآن لجهل واحدة فكان الواجب تحذيرهم على هذا الوجه ازالة للشبهة والزام للجنة
 فان أهل الشعر والخطابة يأتون بأشعارهم وخطبهم على قدر الحاجة شيئاً فشيئاً ولما كان القرآن
 منزلاً كذلك طعنوا فيه بأنه مثل كلامهم فقبل لهم ان ارتبتم في نزوله منجماً فأنزلنا نجماً منته لا لهم
 اذا عجزوا عن نجهم منه فيجزمهم عن كله أولى وأضاف العبد الى نفسه تنويهاً بانه كره وتبسيهاً على أنه
 مختص به منقاد لحكمه والسورة من القرآن الطائفة منه المترجمة التي لها أول وآخر أقلها ثلاث
 آيات والحكمة في تقطيع القرآن سواء افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط
 القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فان القارئ اذا ختم سورة فترج ذلك عنه بعض كربة

كما سافر إذا علم أنه قطع ميلاً وطوى بريداً والحافظ إذا حفظ سورة اعتقد أنه أخذ من القرآن
 حظاً تاماً وفاز بطائفة محمد ودة مستقلة بنفسها فاعظم ذلك عنده وابتهج به إلى غير هاتين القوائد
 وقوله تعالى (من مثله) صفة سورة أي بسورة كائنه من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعض
 أول التبيين وزائدة عند الاختصاص أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم وقيل الضمير
 لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كائنه ممن هو على حاله من كونه بشراً أميماً لم يقرأ الكتب ولم يعلم
 العلوم والوجه الأول أولى لأنه المطابق لقوله تعالى في سورة نونس فأوتوا بسورة مثله ولما نزل
 آيات التهدي ولأن الكلام في المنزل لا في المنزل عليه لحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
 والنظم إذا المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأوتوا بقرآن من مثله ولأن مخاطبة
 الجمل الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جنسهم أبلغ في التهدي من أن يقال لهم ليأت
 بنحو ما أتى به عبدنا آخر مثله ولأنه معجز في نفسه لا بالنسبة إليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت
 الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن عود الضمير إلى عبدنا يؤهم إمكان
 صدوره ممن لم يكن على صفته ولا بلائعه وقوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) فإنه تعالى
 أمر أن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم سواء كان مثله أم لا والشهادة جمع شهيد
 بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيداً لأنه حضر ما كان
 يرجوه والملائكة حضروه ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لأنه أدنى
 البعض من البعض ودونك هذا أي خذ من أدنى مكان منك ثم استعبر للرتب فقل هم ردون
 زيد أي في الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى آخر وتخطى
 أمر إلى آخر وإن خلى عن الرتبة قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
 أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ومن متعلقة بادعوا فهي لا بداء الغاية
 والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتهم معونه من انكم وجنكم وادعوا ألهمتكم
 التي تعبدونها غير الله وترزعون أنها تشهد لكم يوم القيامة أي استعينوا بهم في الاتيان بما ذكر
 (إن كنتم صادقين) في أن محمد صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه وإن ألهمتكم تشهد
 لكم بذلك وجواب هذا الشرط محذوف تقديره فافعلوا أي ما ذكر من الاتيان بسورة دل
 عليه قوله تعالى (فإن لم تنفعوا) ذلك والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر أنه
 كذلك عن دلالة أو إماراة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم أنزل رسول الله الم لم يعقدوا
 مطابقة وردها القول بصرف التكذيب إلى قولهم تشهد لأن الشهادة اخبار عما عمله
 وهم ما كانوا على منبه وقوله تعالى (ولن تنفعوا) جلة معترضة أي لا يقع منكم ذلك أبداً لا بهما
 القرآن (فانقوا النار التي وقودها) أي ما تفتد به (الناس والحجارة) التي فختوها واتخذوها
 أرباباً من دون الله طمعه في شفاعتها والانتفاع بها ويدل لذلك قوله تعالى انكم وما تعبدون من
 دون الله حصب جهنم عذبوا بما هم مشغوفون كما عذب الكاذبون بما كانوا يزعمون وادعوا
 الكبريت كما رواه الطبراني عن ابن مسعود والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما وعليه أكثر المفسرين وإن قال البيضاوي أنه تخصيص بغير دليل لأن مثل هذا التفسير
الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الاستخارة حكم المرفوع وأيضا بحجاجة الكبريت أشد حجة
وأكثر اتهاوتا وتزيد على غيرها من الحجارة سرعة الأيقاد وتتن الریح وكثرة الدخان وشدة
الالتصاق بالابدان وقيل لجميع الحجارة * (تنبيه) * تفعلوا مجزوم بلم لا بأن لأن الواجب الاعمال
مختصة بالمضارع متصلة بالعمول ولأنها الماضية ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل على المجموع وكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما وحاصله أن تقتضي
الاستقبال ولم تقتضي الماضي فربحت لم المخد كفيكون المعنى على الماضي دون الاستقبال وقيل
أن أن بمعنى اذ ولا اشكال حينئذ وقيل كل منهما على حقيقته والمعنى أن بين المستقبل عدم
فعلكم في الماضي وإن تفعلوا في المستقبل فاتقوا النار ولن كذا في نفي المستقبل غير أنه أبلغ
وهو حرف بسيط ثنائي الوضع وقيل أصله لا لأن حذف الهمزة منها أكثرها في الكلام ثم ألف
للالتقاء الساكنين ولما كانت الآية مذبذبة نزل بعد ما نزل بحكمة قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة وسمعه مع تعريف النار ووقوع الجملة صلة فإن الصلة يجب أن
تكون معلومة وهي معلومة هنا من سورة التحريم حيث وقعت صفة (فإن قيل) الصفة أيضا
يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف كالصلة والالكانات خبرا ولهذا قالوا أن الصفات
قبل العلم بها الخبر كما أن الاخبار بعد العلم بها أو صاف فيما في الصفة في آية التحريم ما ذكر
في الصلة * (أجيب) * بأن الصلة والصفة يجب كونهما معلومين للمخاطب لكل سامع
وما في التحريم خطاب للمؤمنين وقد علموا ذلك لسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمع
الكفار ذلك الخطاب أدركوا منه نارا موصوفة بتلك الجملة فجعلت فيما خاطبوا به (أعدت)
أي هيئت (للكافرين) وجعلت عدة لعذابهم وفي ذلك دليل على أن النار مخلوقة معدة لهم
الآن والجملة استئناف أو حال من النار باضمار قد والعامل في الحال اتقوا وهي حال لازمة
فلا يشك بأن النار أعدت للكافرين اتقوها أم لا * (تنبيه) * قال البيضاوي في الآية أي
آية إن كنتم في ريب وآية فإن لم تفعلوا ما يدل على التوبة من وجوه الأول ما فيها أي في مجموعها
من التعدد والتعريض على الحد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد
على عدم الاتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن العزيم أنهم مع كثرتهم واشتهارهم
بالفصاحة وتمالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤا إلى جلاء الوطن وبذل المهج لأن
قوله من التعدد راجع للآية الأولى والباقي راجع إلى الثانية والثاني تضمنهما أي مجموعهما
الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعون فيه
أكثر من الذين عنه في كل عصر لأن ذلك راجع للآية الثانية والثالث أنه عليه الصلاة والسلام
لو شك في أمره أي نفسه لم يداعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتذهب
حجته وهذا راجع إلى الآية الأولى * ثم عطف سبحانه وتعالى حال من آمن بالقرآن ووصف
نوابه على حال من كفره وكيفية عقابه على عادة ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب

بالترهيب تشمطوا لكتساب ما ينجي وتبسطا عن اقتراف ما يردى بقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات) أي الطاعات (أن لهم جنات) أي حدائق ذات شجر ومساكن وانما
 أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلم كل عصر أو كل أحد بقدر على البشارة
 أن يبشر الذين آمنوا ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة فغلبها الشأنهم وايدنا بأنهم أحق
 بأن يبشروا ويهنأوا بما أعد لهم والبشارة الخبر الصادق السار أو لافاته يظهر أثر السرور في البشارة
 لأن النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء في الشجرة ولذلك قال الفسقاء البشارة هو الخبر
 الأول حتى لو قال الرجل لعبيده من يبشرني بقدم ولدي فهو حر فأخبروه فورا دى عتق أولهيم
 ولو قال من أخبرني عتق واجيعا (فان قيل) ما الجواب عن قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم
 * (أجيب) * بأن ذلك ورد على سبيل التكميم كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم
 وعطف سبحانه وتعالى العمل على الايمان مرتباً للحكم عليهم ما شعرا بأن السبب في استحقاق هذه
 البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فإن الايمان الذي هو عبارة عن التيقن والتصديق
 أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا يقع تام بأس لا بناء عليه ولذلك قلنا كرام قديين وفي عطف
 العمل على الايمان دليل على أن الصالحات خارجة عن سمي الايمان اذا اُصل أن الشيء لا يعطف
 على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وجع سبحانه وتعالى الجنة لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس
 سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
 وعليون وفي كل واحدة من هذه السبع مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
 والعمال واللام في الصالحات للجنس لا للاستغراق اذ لا يكاد المؤمن أن يعمل جميع الصالحات
 واللام في لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لالذاته
 فانه لا يكفى التسم السابطة فضلا عن أن يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل يجعل الشارع
 ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط أن يستقر عليه حتى يموت وهو ومن لقوله تعالى
 ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وابعده سبحانه وتعالى الى
 يقبدها هنا استغنائهم له الآية وأشباهاها (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومساكنها
 (الانهار) كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنها الجنة تجري
 في غير أخذود قال الجوهري الاخذ ودشق مسطيل في الارض واللام في الانهار للجنس
 كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري قال البيضاوي أول العهد والمعهود هي الانهار
 المذكورة في قوله تعالى أنها من ماء غير آسن الآية اه قال التقطازاني انما يصح هذا الوثبت سبق
 قوله تعالى أنها من ماء غير آسن في الذكر اه والنهر بالقح والسكون الجري الواسع فوق الجدول
 ودون البحر كالنيل والقرات والمراد بالانهار ماؤها على حذف مضاف أو تسمية للماء باسم مجراه
 مجازا واسناد الجرى اليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الارض أنثاءها (كما رزقوا منها
 من ثمرة رزقا) أي اطعموا ومن تلك الجنان ثمة ومن صله (فالواهد الذي رزقنا) أي أطعمنا
 (من قبل) أي من قبل هذا في الدنيا جعل الله تعالى ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه

أول ما يرى فإن الطبائع ماثلة الى المؤلف مستنفرة من غير أى هذا من نوعه لتشابه ما يؤتون به
 في الصورة كما قال تعالى (وأولاه متشابهة) أى في اللون والصورة مختلفا في الطعم وذلك
 أبلغ في باب الإعجاز والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم واقتضارهم بما وجدوا من التفاوت
 العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وقيل في الجنة لأن طعامها متشابه الصورة كما
 حكى عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصفحة فبأكل منها ثم يؤتى بأخرى فبأكلها مثل الأولى فيقول
 ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه الصلاة والسلام
 قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليمأكلها فإحداها واصله الى فيه
 حتى يتدل الله مكانها أمثلها وعن مسروق نخل الجنة فبأكلها من أصلها الى فرعها وغرها أمثال
 القلال كلما نعت ثمرة عادت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا (فان قيل) على الاول
 التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفعول دين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس
 في الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسماء * (أجيب) * بأن التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي
 مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه وللاية كما قال البيضاوي محمل
 آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
 في اللذة بحسب تفاوتها فيحصل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما
 تماثلهما في الشرف والرتبة وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم
 تعملون في الوعيد (ولهم فيها) أى الجنات (أزواج) من الحور العين والادميات (مطهرة)
 مما يستفاد من النساء وبذمن أحوالهن كالحيض والدرن أى الوسخ وذنس الطبع
 وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال ومعنى تطهيرهن مما ذكر
 كما قال التقطازي انهن امزجة عن ذلك مبرأة عنه بحيث لا يعرض لهن لا التطهر الشرعى بمعنى
 ازالة النجس الحسى أو الحكمى كما في الغسل عن الحيض والزوج يقال للذكر والا نى قال تعالى
 وأصلحنه زوجه وهو في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف (فان قيل) فائدة المطعوم
 هو التقوى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوادد وحفظ النوع وهذه القوائد مستغنى
 عنها في الجنة * (أجيب) * بأن مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها انما تشاركت نظائرها
 الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة واختيل
 ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها (وهم فيها خالدون)
 أى دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون والاصل في الخلود الثبات المديد دام أوليهم اذ لو كان
 وضعه للدوام لكان التقييد بالتأيد في قوله تعالى خالدين فيها أبدأنا كيد الاناسيس والاصل
 خلافه لكن المراد به الدوام فى الآية عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنة (فان قيل)
 الابدان مر كعبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفساك
 والافحال فكيف يعقل خلودها في الجنات * (أجيب) * بأنه تعالى يعيد هاجمها بحيث لا تعتبرها
 الاستحالة بأن يجعل أجزاها مثلاً متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقرى شئ منها على

احالة الاخر متعاقبة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن ولما كان
 معظم اللذات الحسية مقصورة على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
 وكان ما آل ذلك كله الشبات والدوام وأن كل نعمة جليلة اذا فارغها الخوف الزوال كانت منفصة
 غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بالمساكن والمطاعم والمناكح فيشر بالآثر بل بقوله تعالى
 جنات تجري من تحتها الانهار وبالناني بقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الاية وبالنات
 بقوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة ومثل ما أعدلهم في الآخرة بأحسن ما يستلزمها وأزال
 عنهم خوف الفوات بوعدها لخلود ليدل على كمالهم في التسليم والسرور ولما ضرب الله سبحانه
 وتعالى المثل بالذباب والعنكبوت في قوله تعالى وان يسلمهم الذباب وقوله تعالى كمثل العنكبوت
 قالت اليهود ضرب المثل بذلك مما يستحي منه لحيته فليس من عند الله تعالى فنزل رداع عليهم
 (ان الله لا يستحي) أى لا يترك أن يضرب مثلاً بعبودية (وهي صغيرة البقر نزل من يستحي أن
 يمثل بها الحقارتها وأن يصلتهما بخفض المحل عند الخليل باضمار من منصوب باقضاء الفعل اليه
 بعد حذف من عند سيويه ويجوز كافي الكشف نصبه باقضاء الفعل اليه بنفسه فان استحي
 يتعدى بنفسه أيضا يقال استحييت منه واستحييته وما اتاه ايمية تزيد الذكر قبلها ايهاما واما
 مزيدة لتأكيده معنى مضمون الجلة قبلها كالتى في قوله تعالى فيمارحمة من الله ولا يراد بالزيد
 اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل المراد بالزيد ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت
 لان تذكرة مع غيرها فتنبيهه وناقدة وقوة وهو زيادة في الهدى غير فاح في القرآن وبعبارة عطف
 بيان أو بدل من مثلاً ومفعول ثان ليضرب بمعنى يجعل والحياة انقباض النفس عن الصبح مخافة
 الذم وهو الوسيطين الوقاحة التى هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجل الذى هو
 انحصار النفس عن الفعل مطلقا فاذا وصف به البارى سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث ان الله
 يستحي من ذى الشبهة المسلم أن يعذبه ان الله حي كريم يستحي اذا رفع العبيديه أن يرتدما
 صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك كما قدرته اللازم للانقباض كما ان المراد من رحنه
 وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنيهما وتحتمل الآية خاصة أن يكون محجى
 الحياء فيها المشاكهة وهو أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ولوقدرا كاهنا وهو قول
 الكفرة اما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ولما كان التمثيل يصار اليه
 لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه ورازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم
 العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه
 ميل الحس وحب المحاكاة شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
 واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل أعظم من كل
 عظيم كما مثل سبحانه وتعالى في الانجيل غل الصمد بالخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخالطة
 السفهاء بأثارة الزنا برب ونصه على محاكاة الفخر الرازى في الاول لا تكونوا كمثل يخر من منه
 الدقيق الطيب ويمسك الخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمه من أفواهكم وتبقون الفصل

في صدوركم وفي الشافي قلوبكم كالحصاة التي لا تطبخها النار ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرنج
 وفي الثالث لا تشيروا الزنا برفق بل دعكم فكذلك لا تخاطوا السفهاء فيشتموكم وجاء في كلام العرب
 اسمع من قراد لأن العرب تزعم أنه يسمع صوت اخفاف الابل من مسيرة يوم فيجتزل لها وقيل
 من مسيرة سبع ايام وأعزم مع البعوض يضرب لمن يكاف الامور الشاقة (فأفوقها) أي ما زاد
 على البعوضة في الجسنة كالذباب والعنكبوت والمعنى أنه لا يستحي من ضرب المثل بالبعوضة
 فضلا عما هو أكبر منه أو المعنى الذي جعلت فيه مثلاً وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه
 الصلاة والسلام ضرب جناحها مثلاً لادنيابة قوله في خبر الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله
 جناح بعوضة ماسق الكافر منها جرة ماء وظاهره في احتمال الفوقية للجثة والمعنى ما روى البخاري
 وغيره ان رجلاً بنى خرعى طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشك في الشوكه فأفوقها الا كتب له بها درجة ومحبت عنه بها
 خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكه في الالم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها في القلة كفرصة
 النملة والطنب حيل الخبايا والفسطاط بيت من شعر (فأما الذين آمنوا فاعلمون أنه) أي ضرب
 المثل بذلك (الحق) أي الواقع موقعه (من ربه) لان الحق هو الثابت الذي لا يسوغ انكاره
 وهو يعم الايمان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق اذا ثبت ومنه
 ثوب محقق أي تحكم النسخ وأما حرف نقصيل ينصل ما أجل ويؤكده ما به صدر ويضمن معنى
 الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيدي به أما زيد فذا ذهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي
 هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لا الخبر لكن كرهوا
 ايلاءها حرف الشرط فأدخلوا الفاء على الخبر وعوضوا المبتدأ عن جملة الشرط لفظاً (وأما الذين
 كفروا فيقولون ماذا) يحتمل وجهين أن تكون ما استفهامية وذات معنى الذي وما به مدح صائبة
 والمجموع خبر ما وأن تكون ما مع ذاتها واحداً بمعنى أي شيء (أراد الله بهذا) فهو منصوب المحل
 على المفعولية لا راد فاذا كافي الكشف في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله وكان من حقه
 وأما الذين كفروا فلا يعلمون لبطابق قرينه وهو الذين آمنوا ويقابل قسميه وهو يعلمون أنه الحق
 لكن لما كان قولهم هذا لا يلا وضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية عن عدم علمهم
 ليكون كالبرهان عليه والارادة صفة ذاتية قديمة زائدة على العلم ترجح أحد مقدميه على الآخر
 وتخصسه بوجه دون وجه بخلاف القدرة فإنها لا تخصص الفعل ببعض الوجوه بل هي موجودة
 للنعل مطلقاً وقوله تعالى (مثلاً) نصب على الحال من اسم الإشارة والعامل فيه اسم الإشارة أو
 التمييز والمعنى أي فائدة في ذلك فقال تعالى (يضل به كثيراً) بأن يكذبوا به (ويهدي به كثيراً) بأن
 يصدقوا به وكثرة كل واحد من القسيلين بالنظر الى أنفسهم لا بالقياس أي لا بالنظر الى مقابلتهم
 فان المهتدين قليلون بالاضافة الى أهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل
 أن تكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال المتقي
 في مدح علي بن يسار

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ * كأنهم من طول ما التفتوا مرد
 يقال اذا لا فوا خفاف اذا دعوا * قليل اذا عدوا كثيرا اذا شدوا
 وقال * ان الكرام كثير (أى كراما) في البلاد وان * قلوا (أى عددا) كما غرهم قل (بضم القاف
 وكسر هاء أى قليل كراما) وان كثروا * أى عددا (وما ينضله الا الفاسقين) أى الخارجين عن حدة
 الايمان بالكفر كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون وتخصيص الاضلال بهم مرتب على صفة
 الفسق يدل على انه الذى أعدهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال بالمثل وسبب ضلالهم به ان
 كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل الى
 حقارة المثل به حتى ربحته جهالتهم وازدادت به ضلالهم فانكروا المثل ولستزوا به وأما
 الفاسق في الشرع فهو الخارج عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو اصرار على صغيرة ولم تغلب طاعته
 على معاصيه ولا يخرج ذلك عن الايمان الا اذا اعتقد حل المعصية . واما كانت كبيرة أم صغيرة
 قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة جعلوا الفاسق قسما ثالثا نازلا بين منزلة
 المؤمنين والكافرين لما ركة كل واحد منهم فى بعض الاحكام * ثم بين سبحانه وتعالى صفة الفاسقين
 بقوله (الذين ينقضون عهد الله) وهو اما المأخوذ بالعتل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على
 نوبته وجوب وجوده وصدق رسله وعليه يدل قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم واما
 المأخوذ بالرسل على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم
 يكفوا أمره ولم يخالفوا حكمه وعليه يدل قوله تعالى واذا أخذ الله ميثاق الذين أوثقوا الكتاب
 الآية وقبل عهد الله ثلاثة عهده أخذ به بواسطة العقل على جميع ذرية آدم بأن يقر بربوبيته
 وعهد أخذ به بواسطة الملك على النبين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد أخذ به بواسطة
 الرسل على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه وقوله تعالى (من بعد ميثاقه) أى توكيده بمحتمل عود
 الضمير للعهد فهو من اضافة المصدر الى المفعول أو لله فهو من اضافة المصدر الى الفاعل
 قال البضاوى ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر (واعترض) بأن النحويين لم يذكروا نفعا لافى
 صيغة المصدر وأصله أن يكون وصفا كطعام ومقام (وأجيب) بحمل ذلك على أنه اسم واقع
 موقع المصدر كإشرا إليه قوله بمعنى المصدر (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وهو الرحم
 لأنهم قطعوا رحم النبي صلى الله عليه وسلم بالمعاداة معه ويحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى
 كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والفرقة بين الانبياء عليهم السلام والصلاة والسلام
 والكتب فى التصديق وترك الجماعات وسائر ما فيه رفض خيرا وتعاطى شرقا به يقطع الوصلة
 بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للتعامل
 وقبل مع العلق وقيل مع الاستعلاء وأن يوصل بدل من الهاء وقرأ ريش بتقليظ اللام وصل
 واذا وقصر رقق وعظ وأدغم خلف الذون فى الياء بغير غنة (ويفسدون فى الارض) بالماضى
 وتوحيق الناس عن الايمان بحمد الله صلى الله عليه وسلم والاستمراء بالحق وقطع الوصل التى بها
 نظام العالم وصلاحه (أولئك هم الفاسقون) بفوات التوبة والمصير الى العقوبة باهمال

العقل عن النظر واقتصاص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات
 بالايان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتروا النقص بالوفاء والفساد
 بالصلاح والعقاب بالثواب ثم ربح سبحانه وتعالى الكفار بقوله (كيف تكفرون بالله) أي
 أخبروني على أي حال تكفرون (وكنتم أمواتا) أي نطفأ في أصلاب آبائكم لا احساس لكم
 (فأحياكم) في الارحام ثم في الدنيا بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالقاء لانه متصل
 بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي وقرأ الكسائي بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين
 والباقيون بالفتح (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث يوم ينفخ في الصور
 أولسؤال في القبور قال الفتشاذاني ولم لا يجوز أن يراد مطلق الاحياء بعد الامانة على ما يعتم
 الاحياء في القبور والنشور ولا بعد فيه لشدة ارتباط الاحياء من اتصالهم ما في الانقطاع عن
 أمر الدنيا (ثم اليه ترجعون) تردون بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنتشرون اليه من
 قبوركم للحساب فما أحب كفركم مع هلككم بحالكم هذه (فان قيل) ان علوا أنهم كانوا أمواتا
 فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون (أجيب) بأن عتكم من العلم بما نصب
 لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في اراحة المذرسم في الآية تنبيه على ما يدل على صحتها
 وهوانه تعالى لما قدر على احيائهم أو لا قدر على أن يحييهم ثانيا فان ذلك المطلق ليس بأهون عليه
 من اعادته (فان قيل) كيف تعدد الامانة من النعم المقتضية للشكر (أجيب) بأنها لما كانت
 وصلة للعبادة الدائمة التي هي الحقيقة كما قال تعالى وان الدار الآخرة لله الحيوان يعني الحياة
 كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن
 الواقع حالها هو العلم بها الاكل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما
 لا يصح حالا ويصح أن يكون الخطاب مع الكفار والمؤمنين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل
 التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر كذلك بأن عدد عليهم
 النعم العامة والخاصة واستبعد صدور الكفر منهم واستبعد عنهم مع تلك النعم الجليلة
 فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم وأن يكون مع المؤمنين خاصة لتقرر المنية عليهم وتبعد
 الكفر عنهم على معنى كيف يتصور الكفر منكم وكنتم أمواتا أي جها لا فاحياكم بما أفادكم
 من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فينبئكم
 بما لعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحاسة
 أو ما يقف بها وبها سعى الحيوان حبوانا يجازي القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها
 وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث ان كمالها وغايتها والموت
 بازائها يقال على ما قبلها في كل مرتبة مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى قل الله يحييكم
 ثم يميتكم ومثال ما يقابل الجاهز الاول قوله تعالى اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها
 ومثال ما يقابل الجاهز الثاني قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلناه نورا يمشي به في النام
 وإذا وصف بها الباري تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدر اللازمة لهذه القوة فينا

أو معنى قائم بذاته تعالى * ثم أو ما إلى مشيئته وقدرته فقال (هو الذي خلق لكم ما في الأرض) أي لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بهم في مصالح أبدانكم بوسط كالادوية المركبة أو غير وسط كالغرة والادوية المفردة وفي دينكم بالاستئلال على موجبكم ففي ذلك نعمة على عباده سبحانه وتعالى وماتعت كل ما في الأرض لا الأرض إلا أن أريد بالأرض جهة السفلى كما يراد بالسما جهة العلو وقوله تعالى (جميعاً) حال من الموصول الثاني وهو ما وهي حال مؤكدة لما لا محادها ما في العموم وهذا أقرب من جعله حالاً من ضمير لكم لأن سياق الآيات انما هو في تعداد النعم لا في تعداد الذنم عليهم ولأن النعمة بتعداد الذنم أظهر من النعمة بتعداد الذنم عليهم لأن مقدار النعم يصل إلى كل أحد (ثم استوى إلى السماء) أي قصد إلى خلقه بأمره وأصل الاستواء طلب السواء وإطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن جملة على الله تعالى لأنه من خواص الاجسام وقيل استوى استوى كما قيل

قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهران

والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية أوجهات العلو ليطابق قوله تعالى (فسواءهن سبع سموات) فجمع الضمير العائد إلى السماء لإرادة الجفنس وقيل لأن السماء جمع سماء أي جعلهن مستويات لا شقوق فيهن ولا تفاوت قال البيضاوي * ثم لعل لتفاوت ما بين الخلقين أي في القدر والعظم وفضل خلق السماء على خلق الأرض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا إلا لا تراخي في الوقت فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها فإنه يدل على تأخر دحو الأرض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها اهـ (وأجيب) بأنه لا يدل على ذلك لأن تقدم خلق جرم الأرض على خلق جرم السماء لا ينافي تأخر دحوها عنه وهو بسطحها ورده التماساً بأنه ليس على ما ينبغي لأن ثم تدل على تأخر خلق السماء عن خلق ما في الأرض من عجائب الصنع حتى أسباب اللذات والآلام وأنواع الحيوانات حتى الهوام لا عن مجرد خلق جرم الأرض قال وسند كرفي حم السجدة ما يدل على تأخر خلق السماء عن خلق الأرض ودحوها جميعاً حتى قيل أنه خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام ثم خلق السماء وما فيها في يومين وكثر ذلك في الروايات فلا يبعد حل ثم على تراخي الرتبة اهـ والأوجه كما قاله بعض المفسرين الموافق لظاهر ما هنا وما سألني في فصلت تأويله مع الأيضاح أن يقال إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق جرم السماء وخلق وصفها أعني دحوها مقدم على خلق وصف السماء أعني تسويتها سبعاً فرجع الإشارة في قوله تعالى بعد ذلك جرم السماء لا وصفها وبذلك علم أن جعل ثم للتراخي في الوقت لا يخالف ما ذكره خلافاً لما زعمه البيضاوي (فان قيل) أليس أن أصحاب الارصاد أبتوا بالبراهين تسعة أفلاك وهي كرة القمر فكرة عطارد فكرة الزهرة فكرة الشمس فكرة المريخ فكرة المشتري فكرة زحل فالفلك الذي فيه الكواكب النابتة فالفلك الأعظم وهو متحرك كل يوم وليس على التقريب دورة واحدة (وأجيب) بأن ما ذكره وليس مستنداً إلى دليل شرعي فلا ينبغي اعتباره قال البيضاوي

وان صرح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وقوله
تعالى (وهو بكل شيء عليم) أى مجعلا ومنصلا فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكيفية الاشياء
كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا
النسق العجيب والترتيب الانيق كان علميا فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه
الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء
وهو أعظم منكم قادر على اعادتهم وقرأ أحزّة والكسائي ثم استوى وفسواهن بالامالة وورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بانفتح وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء
والباقون بضمها (و) اذكر يا محمد (اذ قال ربك للملائكة) وقبل اذ زائدة أى وقال ربك وكل
ما ورد في القرآن من هذا النوع فهذا سبيله وهو اما أن يقدر اذ كر وهو الاولى أو تكون اذ مزيدة
واذ واذا ظرفا قوتيت الآن اذ لما مضى واذا الله مستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر
قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله تعالى واذا عكبر يعنى واذا مكر وا
واذا جاء اذ مع الماضي كان معناه مستقبل كقوله تعالى اذ اجاب نصر الله أى سيجي وقرأ أبو
عمرو وبادغام اللزام في الراء بخلاف عنه والباقون بالانظهار والملائكة جمع ملك أمه ملائكة
والهاء لتأنيث الجمع وهو مقبول ما لتثني الاول كفة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين
الناس فهم رسل الله أو رسل الرسل اليهم لتوسط الانبياء بينهم وبين الناس واختلاف العقلاء
في حقيقة فهم بعد اتفاقهم على أنها اذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها
أجسام لطيفة شقافة ويعبرون عنها بنورانية قادرة على التشكيل بأشكال مختلفة والجن
قادرة على ذلك واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا ربيهم أجساما لطيفة متشكلة بأشكال
مختلفة وزعم الحكماء يعنى الفلاسفة أنهم جواهر مجردة مختلفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة أى المتصفة بفضائل العلم والعمل بخلاف
الشريرة فانهم الشياطين البشرية الناطقة قوله البشرية وما بعده صفة للنفوس
المفارقة للأبدان يعنى ما دامت في الأبدان تسمى النفوس فاذا فارقتها كانت الملائكة والمقول
له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم التخصيص وقبل ملائكة الارض وذلك أن الله
تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن
الجن في الارض فكشوا فيها دهر اطويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا
فيها فبعث الله تعالى اليهم جنودا من الملائكة يقال له الجن وهم خزان الجنان اشتق
لهم اسم من الجنسة وأسمهم ابليس فنكاز ربيهم ومن أشدهم وأكثرهم علما فهبطوا الى
الارض وطردوا الجن الى شعوب الجبال وبطون الاودية وجزائر البحور وسكنوا الارض
ونخف الله تعالى عنهم العبادة وأعطى الله تعالى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا
وخزانة الجنسة وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنسة
فدخله الحجب وقال ما أعطاني الله تعالى هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال الله

تعالى له ولجنده (أني جاعل في الأرض خليفة) وجاعل من جعل الذي له منزعولان وهما في الأرض خليفة أعل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتد على مسند اليه ويجوز أن يكون بمعنى خالق فيتعذى بالفعل واحد وهو خليفة والخليفة من يخلف غيره وينوب عنه أي جاعله بدلا منكم ورافعكم الى فكره واذك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والهامية للمبالغة والمراد به آدم صلى الله عليه وسلم لانه كان خليفة الله في أرضه وكذا كل نبي استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا الحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فضله وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستغنى الملكا كما قال تعالى ولو جهنم مليئة لجعلنا ذراعا من الأرض من أجل أن الأنبياء لما فأتت قوتهم واشتغلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل اليهم الملائكة ومن كان من الأنبياء أعلى رتبة كلبه بلا واسطة كما كلم موسى صلا الله وسلامه عليه في الميقات ومحمد صلى الله عليه وسلم إليه المعراج وقبل انه خليفة من سكن الأرض قبله وقبل المراد آدم وذريته لانهم يخلفون من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكر عنه أو بذكر غيره أو على تأويل من يخلف وفائدة قوله هذا الملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجمعول بأن بشر تعالى بوجوده سكان ملائكته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه ويبان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خبره فان ترك الخبر الكثير لأجل الشر القليل شر كثيرا الى غير ذلك (قالوا أنجعل فيهم من يفسد فيها) بالمعاصي (ويسفك الدماء) أي يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان فنجبوا من أن يستخلفا عمارة الأرض واصلاحها من يفسد فيها وقصد هم استكشاف ما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد وألغتها وليس باعتراف على الله تعالى ولا ظن في نبي آدم على وجه الغيبة فانهم أعل من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أو تلقى من اللوح أو استنباط عاكر في عقولهم ان العصمة من خواصهم أو قياس لاحد الثقلين على الآخر والافهم ما كانوا يعملون الغيب (ويحسن نسج) متلبسين (بجملتك) أي نقول سبحان الله وبجمده وهذه صلاة ما عدا الأذمين وعليها يزقون قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده أي يقول سبحان الله وبجمده روى عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصابني الله الملائكة أو لعباده سبحان الله وبجمده وقبل ونحن نصلي بأمرك قال ابن عباس كل ما في القرآن من التبجيل فالمراد منه الصلاة (وتقدس لك) تنزهك عما لا يليق بك فاللام صلة والوجه حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أتجسبن الى أعدائك وأنا الصديق المحتاج والمعنى أنتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقا بذلك المقصود منه الاستفسار عما يحجبهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وقيل قدس لأنظرف نفوسنا عن الذنوب لأجل ذلك كانوا قابلا للفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح

وسفل الدماء الذي هو أعظم الافعال الذميمة بتطهر النفس عن الآثام (قال) تعالى (انني أعلم
 ما لاتعلمون) من الصلحة في اسـتخلاف آدم وان ذريته فيهم المطبوع والعامى فيظهر العدل
 بينهم وقيل اني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو ابليس وجنوده وقيل اني أعلم أنهم مذنبون وأنا
 أخفّر لهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الباء والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المدة
 (وعلم آدم الاسماء) أي أسماء المسميّات (كلها) حتى القصعة والمعرفة وقيل علمه اسم ما كان
 وما يكون الى يوم القيامة وقيل صبغة كل شيء قال أهل التأويل ان الله عز وجل علم آدم جميع
 اللغات ثم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلدان واختص كل فرقة منهم بلغة وذلك
 اما بخلق علم ضروري بهائيه أو ألقي في قلبه علما أو بارسال ملك أو بخطاب الله له وبخلق
 الاصوات في الاجسام المسميّات والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يعلم
 وآدم اسم أجمعى كسائر الانبياء الاصالحا وشعبيا ولوطا ومحمدا بل قيل ان آدم أيضا عربي وعلى
 هذا فاشتقاقه من الادمة بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة أو الادمة بفتح الهمزة
 والدال بمعنى الاسوة أي القدوة أو من أديم الارض أي ظاهر وجهها روى الحاكم وصححه أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها وهو شق الحاء
 المهمله ما غلظ من الارض وصلب أي وعجنت بالمياه المختلفة فخلق منها آدم وفتح فيه الروح فصار
 حيا وانا حساسا بعد أن كان جادا فلذلك يأتي شوه مختلفين في الألوان والاخلاق والهيات
 وأنما على الاول فلا اشتقاق له لان ذلك انما يأتي في الاسماء العربية والابجدي لا اشتقاق له
 وكتبه أبو محمد وأبو البشر والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
 لادراك أنواع المدركات والعقول والمحسوسات والخيالات والموهومات وألهمه معرفة
 ذوات الاشياء وخواصها واسماؤها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها
 وقرأ ورش في الهمزة من آدم بالمد والتوسط والقصر حيث جاء وقوله تعالى (ثم عرضهم على
 الملائكة) الضم فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء اذ التقدير
 أسماء المسميّات كما مرّ تقريره فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام في
 الاسماء كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون
 المعروض نفس الاسماء اذ العرض لا يصح فيه الانها من المسبوعات والعرض يتخصص بالمحسوسات
 بالعين تقول عرضت الجند عرض العين اذا مررتهم عليك ونظرت ما حالهم (فان قيل) لم قال
 عرضهم ولم يقل عرضها (أجيب) بان الاسماء اذا جمعت جمع من يعقل ومن لا يعقل يكنى عنها
 بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بالفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان
 والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة والكتابة راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم
 على الملائكة (فقال) لهم سبحانه وتعالى تسميها لهم وتنبئها على مجزهم عن أمر الخلافة
 (أبنتوني) أي أخبروني (بأسماء هؤلاء) المسميّات (ان انتم صادقين) اني لا اخلق خلقا الا كنتم
 أفضل وأعلم منه وذلك ان الملائكة قالوا لما قال اني جامع في الارض خليفة ليخلق ربنا

ما يشاء فلن يخلق خلقاً كرم عليه منادوان كان فتحن أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاعظم
 الله تعالى فضله عليهم بالعلم وجواب الشرط دل عليه ما قبله (قالوا) أي الملائكة اقراراً بالعجز
 وأشهاداً بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
 الانسان والحكمة في خلقه واظهار الشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما التبس عليهم
 (سبحانك) تنزيهاً عن الاعتراض عليك (لا علم لنا الا ما علمنا) اياه وفي هذا مراعاة للادب بتقويض
 العلم كله اليه سبحانه وتعالى وتصدير الكلام بسبحان اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة
 الحال فانه تعالى منزوع عن أن يفعل ما يخرج عن الحكمة ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال
 موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني
 كنت من الظالمين (تنبيه) * اجتمع في قوله تعالى أن يثوبى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أربع
 مذات الاولى أن يثوبى والثانية بأسماء والثالثة والرابعة هؤلاء فالاول تبدل والثاني مذكّر
 متصل والثالث مذكّر منفصل والرابع مخبر لا متصل قطعاً ولا منفصل قطعاً عند من يقول باسقاط
 احدى الهمزين فاما الاول فلورش فيه المذو والتوسط والقصر وأما الثاني فبالمذو للجمع مع لانه
 متصل وأما الثالث ففيه المذو والقصر كهما متقدم لانه منفصل وأما الرابع وهو أولاد ان
 ففيه همزان مكسوران من كلمتين فقالون واليزي يسملان الاولى مع المذو والقصر وورش
 وقيل يسملان الثانية ويجعلانها حرف مذكّر وأبو عمرو ويسقط الاولى والثانية فن قال باسقاط
 الاولى مذكّر وقصر ومن قال باسقاط الثانية فبالمد فقط وباقى القراء بحقيقة الهمزين وهم على
 مراتبهم في المذو (انك أنت العليم) الذي لا يخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعانه الذي
 لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وأنت ضمير فصل وقيل تأ كيد للكاف كافي قولك مررت بك أنت
 وان لم يجز مررت بآنت اذا التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع وقيل مبتدأ خبره ما بعده
 والجملة خبران (قال) تعالى (يا آدم أثبتهم) أي أخبر الملائكة (بأسمائهم) أي المسميات فسمى
 آدم كل شئ باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها خلق (فلما أنباهم بأسمائهم قال) الله تعالى لهم موثقاً
 (ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيها (وأعلم ما تبدون) أي تطهرون
 من قولكم أتجعل فيها الخ (وما كنتم تكتمون) أي تسرون من قولكم ان يخلق أكرم عليه منّا
 ولا أعلم وقيل ما أظهره وامن الطاعة وأسرّه ابليس من المعصية والهمزة في ألم أقل للانكار
 بمعنى النفي دخلت على حرف الجحد فأفادت الاثبات والتقرير (تنبيه) * هذه الآيات وهي آية
 وعلم آدم وآية سبحانك وآية قال يا آدم تدل على شرف الانسان وحرية العلم وفضله على
 العباد والالاظهر فضل آدم بها وان العلم بما يستخلف فيه شرط في الخلافة بل العمدة فيها
 وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به
 وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في القامها
 على المعلم مبيناً لمعانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل نفي أن يكون ذلك الوضع ممن
 كان قبل آدم من الملائكة والجن فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم

العلم لتغاير المتعاطفين والالتسكرك قوله انك أنت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكالاتهم
 تقبل الزيادة وان آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لانه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى قل هل
 يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب
 اليه أهل السنة وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها لانه أخبر عن علمه تعالى بأسماء المسعيات
 جميعها ولم تكن وجوده قبل الاخبار (و) اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لما أنبأهم
 بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه
 أو أمرهم به قبل أن يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
 ساجدين امتحاناً لهم واطهاراً لفضله وقضية الأول تأخيراً لمر به عن نسوية خلقه بدليل
 تأخيرهم عن انبائهم وتعليمهم المستلزمين لتسوية خلقه وعلى الثاني اقتصر بعض المفسرين
 وهو الظاهر وأجيب عن دليل الأول بأن الواو في قوله واذ قلنا لاتقضي الترتيب والسجود في
 الاصل تذل مع نظام وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به إنما المعنى الشرعي
 فالسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبله سجودهم تغذية للشأنه وأسبب الوجوبه
 كما جاءت الكعبة قبله للصلاة والصلاة لله معني اسجد والله أي اليه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث
 يكون انموذجاً أي مثالا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ومجهاً في العالم الروحاني
 والجناني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكالات ووصلة الى ظهور ما تابوا
 فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذكيراً للمأثم وأفضه من عظيم قدرته وباهر آياته
 وشكر الملائم عليهم بواسطة واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتغظيماً له
 كسجود اخوة يوسف له في قوله تعالى وخروله سجداً ولم يكن فيه وضع الجبهة بالارض انما
 كان الانحناء فلما جاء الاسلام بطل ذلك بالسلام والكلام في ان المأمورين بالسجود للملائكة
 كلهم أو طائفة منهم مثل ما مر (فسجدوا) أي الملائكة (الابليس أفي واستكبر) أي امتنع
 عما أمر به استكباراً من أن يتخذ هذه وصلة في عبادة ربه أو يعظمه أو يتلقاه بالتحية أو يخدمه
 ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه وقال أنا خير منه والاباء امتناع واختيار والتكبر ان يرى
 الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وهو التزين بأكبر مما عنده يتكبر
 بذلك ويتزين بالباطل (وكان من الكافرين) أي في علم الله أو صار منهم باستقباحه أمر الله
 تعالى أيام السجود لا دم اعتقاداً بأنه أفضل منه والافضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع
 للمفضول والتوسل به كما يشعر به قوله تعالى أنا خير منه جوا بالقوله تعالى ما نهك أن تسجد
 لما خلقت يدى استكبرت أم كنت من العالين لا يترك الواجب وهو السجود وحده والالنية
 تدل على ان آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له وأن ابليس كان من الملائكة
 والال يتناول أمرهم ولم يصح استثنائهم منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الابليس كان من الجن
 لجواز أن يقال كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً (فان قيل) له ذرية والملائكة لا ذرية لهم
 (أجيب) بأن ابن عباس روى أن من الملائكة نوعاً يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس

قوله لتغاير المتعاطفين ليس هنا متعاطفان وإنما لم يذكر البضار في موضع

وقيل ان الله تعالى لما اخرجهم من الملائكة جعل له ذرية وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين وهم الانبياء والغالب في الانس عدم العصمة. ولين زعم انه لم يكن من الملائكة أن يقول انه كان جنينا شائبا ينظر الملائكة وكان معصوما بالالف منهم فغلبوا عليه لقوله تعالى الا بليس كان من الجن ففسق عن امر به وهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس ولانه خلق من النار والملائكة خلقوا من التور والنفوس والاول أصح لان خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله تعالى كان من الجن أى من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد بن جبير من الذين يعملون في الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يوسعون على الجنة وقيل ان الجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فاذا علم ان الاكابر وهم الملائكة مأمورون بالنزال لاحد والتوسل به علم أيضا ان الاصاغر وهم الجن مأمورون به أيضا والضمير في فسجد اراجع للقبليين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا بليس * (تنبيه) * من فوائد الآيات استعجاب الاستبصار وانه يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الانتقام لامره وترك الخوض فيما لا ينبغي في سر نفسه وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذا عبرة بالخواتيم وان كان يحكم الوقت الحاضر ومنا (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى اتخذ الجنة مسكنا مستقرا فيها لانهم استقراروا ولث ولقطة أنت ناكدا كدبه المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبها ما اولابان يقول اسكن تنبيهها على أنه المقصود بالحكم وهو الامر بالسكنى التى هى الاصل بالنسبة الى ما عطف عليها من الاكل وغيره والمعطوف عليه تبع له حتى في الوجود اذ لم يكن له من يؤنس في الجنة فخلقت حواء بالذم من ضلعه الا قصر من جانبه اليسر وهو قائم فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند رأسه كاحسن ما خلق الله فقال من أنت قالت زوجتك خلقني اقله لك أسكن اليسك وتسكن الى وسجت حواء لانهم اخلقت من جن خلقها الله من غير أن يحس بها آدم ولا وجد خلقها لها ولو وجد له لما المعطف بجل على امرأة قط وانما صاع العطف على المستكن مع أن المعطوف لا يباشر فعل الامر لانه وقع تابعا ويعتبر في التابع ما لا يعتد في المتبوع والجنة دار الثواب لان الام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم أنهم لم تخلق بعد قال ان الجنة بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتعا بالآدم وحمل الابهاط على الانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصر (وكلامها) أكلا (رغدا) أى واسعا الذي لا يحرقه فرغدا صعدا محدوف وقيل مصدر في موضع الحال (حيث) أى أى مكان من الجنة (شنتها) وسع الامر عليها ما ازاله للعلة والعذر في تناول من الشجرة المنهى عنها من بين أنصارها التي لا تنحصر وقرأ أبو عمرو وبادغام الشين بخلاف عنه وأبدل السوسى الهززة وقفا وصالا وحزة في الوقت فقط (ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل منها وهى شجرة الخنطة والكافور وشجرة

قوله وترك الخوض
فيما لا ينبغي في سر نفسه
الذى في البضاوى
وترك الخوض في
سره وفي زاده عليه
قوله وترك الخوض
بجور وبالعطف على
الانتقام أى ومن
فوائد الحث على
الامتنال لامره
تعالى مع ترك الخوض
في سر امره بأن لا
يستكشف سره
ولا يطلب وجهه
وحكمته كاستئصال
الملائكة اه

العنب أو التين أو نخرة من أصل منها أحدث والاولى كما قال البيضاوي أن لآتين من غير داليل قاطع أو ظاهر كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود على التعيين (فتسكونا) أي قصبنا (من الظالمين) أي العصاة (تنبيه) في هذه الآية مبالغتان الأولى تعليق التوبيخ بالقرب الذي هو من مقدمات تناول مبالغته في تحريره ووجوب الاجتناب عنه وتبيينها على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلاً يأخذ به جامع القلب ويليه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى أبو داود وحديث الشيء بهي ويصم أي يخفي عليك هيايه ويصم أذنيك عن سماع مساويه فينبغي أن لا يحول ما حول ما حرم عليه ما يحافه أن يعاقبه الثانية جعل قربانها إلى الشجرة سبباً لأن يكون من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي (فأزلهما الشيطان) أي إبليس سمي به لبعده عن الخير والرحمة وقرأ حزة بالقاف بعد الزاي وتخفيف اللام أي نحاها والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد اللام أي أذهبها (عنها) أي الجنة وأزاله قوله هل ذلك على شجرة الخلد وملاك لا يلبس وقوله ما نساها كما ربك أعظم هذه الشجرة الآن تكون ما كين أو تسكونا من الخالدين ومقام مجتمعه إياهما بقوله في لكل من الناصحين واختلف في أنه تمثل لهما ما فقال لهما ذلك أو ألقاه إليهما على طريق الوسوسة وكيف توصل إلى إزلالهما بعد ما قبله أخرج منها فانك رجيم قيل انه منعه من الدخول بعد خروجه الأول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء فلما دخل وقفا بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكي وناح نياحة أحرزتها وهو أول من ناح فقال له ما يبكيك فقال أبكى عليكما عتوانان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة وكان آدم لما رأى ما في الجنة من النعيم قال لو أن خلدنا فاعتم الشيطان ذلك منه فأتاه الشيطان من قبل الخلد فوقع قوله في أنفسهم ما واعتموا مضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل ذلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله أنه لهما من الناصحين فاعتراهما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذباً فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت حواء آدم حتى أكلها وكان سعد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو بعد قتل ولكن حواء سقته الخمر حتى سكر فأذنه إليه فأكل وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وكانت صديقه إبليس وكانت من أحسن الدواب لهما أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس أن تدخله الجنة في فمها فأدخلته ومزته به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وقيل أرسل بعض أنسائه فأزلهما والعلم في ذلك كما قال البيضاوي عند الله (فأخرجهم مما كانا فيه) من الكرامة والنعيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال الله تعالى لا آدم أليس فيما أبغيتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ما خلفت أن أحدا يحلف بك كاذباً قال فبعض في لا يبطئك إلى الأرض ثم لا تال العيش الا كذا فاهبطا من الجنة وكانا يا كلان فيها رغدا فعمل من صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصده ثم ذرته ثم طعنه ثم بعثه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه

ما شاء الله قال ابراهيم بن ادهم اوردت تلك الاكلة حونا طويلا وقال سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله عز وجل
 يا آدم ما جعلك على ما صنعت قال يارب زينت لي حواء قال فاني أعقيتها أن لا تحمل الاكراها
 ولا تضع الاكراها ودهيت في الشهور مرتين فرت حواء عند ذلك تقبل عليك الرنة وعلى بناتك
 فلما اكلامها سقطت عنهما ما بينهما ما وددت سواتهما وأخرجنا من الجنة فذلك قوله تعالى (وقلنا
 اهبطوا) خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا مع بعض الضمير لانهما أصل
 الانس فكانت لهما الانس كلهم أو هما وبليس أخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة
 أو دخلها مسارقة أو من السماء لامن الباب على الخلاف المتقدم وقيل هما وبليس والحية
 فهبط آدم بسر زديب بأرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وبليس بالبله وقيل
 ببسان بالبصرة على أميال والحية باصهان وقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها
 عن الواو والضمير والمعنى متعادين فان كان الخطاب لآدم وحواء فقط فالمراد ببعضكم بعض
 الذرية أي بعض ذريتك لبعض عدو من ظلم بعضهم بعضا وان كان الخطاب لهما وبليس
 والحية فالمراد العدواة بين المؤمنين من ذرية آدم والحية وبين ابليس قال الله عز وجل ان
 الشيطان لكاعد قمين وروى عكرمة عن ابن عباس انه كان يأمر بقتل الحيات وقال من
 تركهن خشية أو مخافة تأثر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سألنا هن
 منذ حاربنهن وروى انه نهى عن ذوات البيوت وروى عن أبي سعيد الخدري عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أن بالمدية جنا قد أسلوا فان رأيت منهم شيئا فاشذوه ثلاثة أيام فان بدلكم
 بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان (واصكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاخ)
 ما تمتعون به من نياتهم (الى حين) أي وقت انقضاء آجالكم (فقلني آدم من ربه كلمات) أي
 استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وهي ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانه
 اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جسدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاعف عني انه لا يغفر
 الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال آدم يارب ألم تخلفني بذلك قال بلى
 قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال ألم تسكني جنك قال بلى قال يارب ان ثبت
 وأصلحت أواجبي أنت الى الجنة قال نعم ورواه الحاكم وصححه ووقول آدم أواجبي بخفيف الباء
 اسم فاعل أضيف الى المفعول وأنت فاعل لاعتماده على الاستفهام أو مبتدا خبره ما قبله وقرأ
 ابن كثير بصب الميم من آدم ورفع التاء من كلمات على أنها تلقته والباقون برفع الميم وكسر
 التاء والكسر هذا علامة النصب لانه جمع مؤنث سالم فينصب بالكسرة (فتاب عليه) أي قبل
 توبته وانما رتب تاب عليه بالقضاء على تلقى الكلمات لتضمن تلقى الكلمات معنى التوبة وهو
 الاعتراف بالذنب والتندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه ورد المظالم ان كانت واكتفى بذكر
 آدم لأن حواء كانت تبعاله في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة (انه هو
 الثواب) الرجاء على عبادته بالمغفرة والذي يكثر اعادتهم على التوبة واذا وصف بها البارئ

أريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة (الرحيم) البالغ في الرحمة وفي الجمع بين التوبة
والرحمة وعدل للتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا منها) أي من الجنة (جميعا) كثر
للتأكد ولا اختلاف المقصود فان الاول دل على هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها
ولا يخطدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف فن اهتدى لهذا انجاء ومن ضله هلك وقيل
الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض (فأما)
فيه ادغام ان الشرطية في ما المزيد (يأتينكم) ياذرية آدم (منى هدى) أي رشد وبيان
شريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداي) بأن آمن بي وعمل بطاعتي وكثر لفظ الهدى
ولم يضر اما لاظهار شأته وخاتمته خصوصا مع اضافته اليه اولانه أراد بالثاني أعتم من الاول
وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل أي من تبع ما أتاه راعيما فيه ما يشهد به العقل (فلا خوف
عليهم) فضلا من أن يحل بهم مكروه (ولا هم يحزنون) بفوات محبوب عنهم وهو النظر الى
وجهه تعالى فيحزنون عليه بل يتعمون بالنظر الى وجهه تعالى فانه المقصود الاعظم فالخوف على
الواقع نفي عنهم العقاب فأثبت لهم الثواب على أكذوبه وأبلغه وقيل لا خوف عليهم في الدنيا
ولا هم يحزنون في الآخرة وأمال الدوري عن الكسائي ألف هداي محضة وورش بالفتح وبين
اللفظين والباقيون بالفتح وانما جى بحرف الشك واثبات الهدى واقع كائن لانه محتمل في نفسه
غير واجب عقلا (والذين كفروا) أي جحدوا (وكذبوا باياتنا) أي كتبنا (أولئك أصحاب
النار) يوم القيامة (هم فيها خالدون) ما كانوا فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون فيها
والآية في الاصل العلامة الطاهرة وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن التيمية عن غيرها بفصل * (تنبيه) في هذه الآيات
دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن منبع الهدى مأمن
العاقبة وأن عذاب النار دائم وأن الكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بفهم قوله تعالى هم
فيها خالدون واستدل بعض الخوارج بالخشوية وهم قوم جوزوا الخطاب بما لا يفهم بها على
عدم عصمة الانبياء بجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارثا لكتب المنهى والمرتكب له
عاص والثاني انه جعله بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألعنة الله على
الظالمين والثالث أنه أسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى
لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة
الله له بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخامس من يكون ذا عزيمة
والسادس أنه لو لم يذنب ماجرى عليه ماجرى (وأعجب) عن ذلك بجوه الاول أنه لم يكن
نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالدليل ولا دليل * الثاني أن النهي للتزنية وانما سمى ظالما وخاسرا
لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى وانما أجرى الله تعالى عليه ماجرى معاتبة على ترك
الاولى وفاء بما قاله تعالى للملائكة قبل خلق آدم اني جاعل في الارض خليفة ولا يكون خليفة
في الارض الا بالاهباط اليها وأمر بالتوبة تلافي لما فات * الثالث أنه فعله فاسيا لقوله تعالى فغسي

ولم نجد له عزما واسكن عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان اذ رفع الائم بالنسيان من
 خصائص هذه الائمة كما ثبت في الاخبار العجبة كغير الشيعين رفع عن ائمتي الخطأ والنسيان
 وروى الترمذى وصححه: ان الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل رواء الحاكم بلفظ أشد
 الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الصالحون * الرابع أنه عليه الصلاة والسلام أقدم عليه بسبب
 اجتهد أن أخطأ فيه فانه ظن أن النهى للتنبيه أو الإشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من
 نوعها وكان المراد بالإشارة الإشارة الى النوع لا الى شجرة معينة كما روى أبو داود وغيره أنه عليه
 الصلاة والسلام أخذ حبراً وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور أئمتي حل لائناهما (فان قيل)
 المجتهدان أخطأ الا يؤخذ (أجيب) بأنه انما عوتب على ذلك لتفطيم الشان الخطيئة ليجنبها
 أولاده وقرأ ورش بالماله الف التاريخ بين وقرأ أبو عمرو والدورى عن الكسائي بالامالة
 المحضة والباقون بالغتخ (يا بني اسرائيل) أى أولاد يعقوب واسرائيل لقبه ومعنى اسرا
 بالعبرانية عبد وايل الله فعنه عبد الله وقيل صفوة الله صلى الله عليه وسلم عليه (أذكر وانعمى الى
 أنعمت عليكم) أى بالتمسك فيها والقيام بشكرها والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان
 وتقييد النعمة بهم لان الانسان غير ورع ود بالطبع فاذا نظر الى ما أنعم الله على غيره حمد الغيرة
 والحسد على الكفران والسطو وان نظر الى ما أنعم به عليه حمد حب النعمة على الرضا
 والشكر لله وقيل أراد بها ما أنعم على آباءهم من فلق البحر وانجائهم من فرعون باغترافه
 وتظليل الغمام عليهم فى التيه وانزال المن والسلوى وغير ذلك من النعم التى لا تحصى قال
 الله تعالى وان نعبد ونشكره لله لا نعصوه (وأوفوا بعهدي) أى بامتنال أمرى ومنه
 ما عهدت اليكم من الامعان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أوف بعهديكم) أى الذى عهدته
 اليكم من الثواب عليه بدخول الجنة * (تنبيه) * للوفاء بالعهد درجات كثيرة فأقول مراتبه
 منها هو الايمان بكلماتي الشهادتين ومن الله تعالى حق الدماء والمال وآخرها ما الاستغراق
 فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز بالغنى الدائم واما
 ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أن أوفوا بعهدي فى اتباع محمد أوف بعهديكم
 فى رفع الأصار أى الاثقال والاعلال وعن غير ابن عباس أوفوا بأداء القرائض وترك الكائن
 أوف بالمغفرة والثواب أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعميم
 المقيم فبالنظر الى الوسائط (واباى فارهبون) فيما تاتون وتزدرون وخصوصا فى نقض العهد
 والرهبة خوف مع تحرز * (تنبيه) * الآية متضمنة للوعد والوعيد والتعلى وجوب الشكر
 والوفاء بالعهود وأن المؤمن ينبغي ان لا يخاف أحدا الا الله (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن
 وقوله تعالى (مصدقا) حال مؤكدة مما أنزلت أو من ضميره المحذوف (لما معكم) من التوراة
 بموافقتها له ولغيره من الكتب الالهية فى القصص ونعت النبي صلى الله عليه وسلم والمواعيد
 والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والقوا حس وبقيا
 يحالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى مصالح من حيث ان كل واحد منها

حتى بالاضافة الى زمانها مرامي فيها صلاح من خوطب به ساقى لوزل المتقدم في أيام المتأخر
 لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الامام احمد وغيره لو كان موسى
 حيا لما وسعه الا اتباعي وفي ذلك تنبيه على أن اتباع تلك الكتب الالهية لا ينافي الايمان
 بالقرآن بل بوجبه ولذلك عرض بقوله (ولا تكونوا أول كافرين) أي بالقرآن بل يجب
 أن تكونوا أول مؤمنين به لانكم أهل نظر في معجزاته والعلم بشأنه (فان قيل) كيف نهوا عن
 التقدم في الكفر وقد سبقه مشركو العرب (أجيب) بأن المراد به التعريض بما يجب عليهم
 لمقتضى حالهم لا الدلالة على ما نطق الظاهر كقولك لمن أساء اما أنا فلسفت بجاهل أو ولا تكونوا
 أول كافرين أهل الكتاب لان خلفكم سبع لكم فاتمهم عليكم أو عن كفر عامه فان من كفر
 بالقرآن فقد كفر بما صدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة (تنبيه) * أول كافرين وقع خبرا
 عن ضمير الجمع بتدبرا أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافرين كقولك
 كسانا حلة أي كل واحد منا (ولا تشبهوا) تستبدلوا (بأياق) التي في كتابكم من نعت محمد صلى
 الله عليه وسلم (عنا قليل) أي عوضا يسيرا من الدنيا أي لا تسكتوها خوفا من تأخذونه
 من سفلتكم وذلك ان رؤساء اليهود وعلماهم كانت لهم ما كل يصيبونهم من سفلتهم وجهالهم
 يأخذون منهم كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فحافوا أنهم ان ينوا صفة
 النبي صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن يفوتهم تلك المسائل فغيروا نعتهم وكتموا اسمه فاختاروا
 الدنيا على الآخرة فنهوا عن ذلك فان حظوظ الدنيا وان جلت قليلة مستنزلة بالاضافة الى
 ما يفوت من حظوظ الآخرة (واباى فانقون) خافون في ذلك دون غيري (ولا تلبسوا)
 أي تخطوا (الحق) الذي أنزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم (بالباطل) الذي
 تتعزونه وتكتبونه بأيديكم من تغيير صفته (ولا) (تسكتوا الحق) أي لا تسكتوا نعت النبي
 صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انكم لا بسون الحق بالباطل كاتفون فانه أقم اذا الجاهل يعذر
 (واقموا الصلاة) أي الصلوات الخمس عواقبها وحدودها (وأنوا الزكاة) أي أدوا زكاة
 أموالكم المفروضة أمرهم بفروع الاسلام بعد ما أمرهم بأصوله وفيه دليل على ان الكفار
 مخاطبون بها والزكاة مأخوذة من زكا الزرع اذا نما وكثر أو من الزكاة بمعنى الطهارة
 وكلا المعنيين موجود في الزكاة فان اخراجها بسحب بركة في المال ويمثل للنفس فضيلة
 الكرم ويظهر المال من الخبث والنفس من البخل (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع
 المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد
 بسبع وعشرين مائة من تقاها أي تعاون النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن
 صلاة اليهود لان صلاتهم لا يكن فيها ركوع أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع وقبل
 الركوع الخضوع والانتقاد لما يلزمهم الشارع قال الشاعر
 لا تذلل الضعيف (وروي لتهين الفقير) علك (أي لعلك) ان تركع يوما والذهب قد رفعه
 قركع من الركوع بمعنى الانحناء والميل واراد به الانحطاط من الرتبة * ونزل في علماء اليهود

وكانوا يقولون لا نعلم باسمهم المسلمين سرا ابتوا على دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ولا يتبعونه
 (أتأمرون الناس بالبر) أى بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك تقر بدمع نوبع ونعجب
 والبر شيرع التوسع في الخير من البر بالفتح وهو القضاء الواسع تناول كل خير وذلك قبل البر
 ثلاثة بر في عبادة الله وبر في معاملة الأقارب وبر في معاملة الأجانب (وتنسون أنفسكم) أى
 تنتم كونهم من البر كالنسبيات وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يصدقون (وأنتم تتلون الكتاب)
 أى التوراة وفيها الوعد على العناد وترك البر ومخالفة القول بالعمل (أفلا تعقلون) سوء فعلكم
 فصدكم عنه أو فلا عقل لكم يمنعكم عما تعملون من عدم موافقة عاقبته لكم والآية ناعية
 على من يعظ غيره ولا يعظ بنفسه بسوء صنيعه وخيب نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع
 أو لا حق الخالي عن العقل فإن الجامع بين العلم والعقل يأبى عن صكوته واعظا غير متعظ
 نفسه والمراد بها حث الواعظ على تركية النفس والاقبال عليها بالتكميل لها ليقوم نفسه
 ثم يقوم غيره لامنع الفاسق عن الوعظ فإن الاخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب
 الاخلال بالآخر ولكن روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بي رجلا تقرض شفاهم بقاريض من نار فقلت من هؤلاء
 يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون
 الكتاب وعن اسامة رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه أى فتقطع أمعاؤه في النار فندور كما
 يدور الحمار برحاه فيصقع أهل النار عليه فيقولون أى فلان ماشأئك أليس كنت تأمرنا بالمعروف
 ونهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وقال شعبة
 عن الاعمش فيطعن فيها كطعن الحمار برحاه (واستعينوا) أى اطلبوا المعونة على أموركم (بالصبر)
 أى الحبس للنفس على ما تكره (والصلاة) أنرد بها بالذكرك تعظيها لشأنها فانها جامعة لاناوع
 العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى
 الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
 الشيطان ومناجاة الرحمن وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن
 الاطمين وهما الاكل والجماع روى الامام أحمد وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
 اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أى لجأ اليها وحزبه بالخاء المهملة وزاى وبامو حدة أهمه ونزل
 به وقيل الخطاب لليهود فهو متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شاق عليهم لما فيه من الكلفة
 وترك الرياضة والاعراض عن المال أمر بالصبر وهو الصوم ومنه سمي شهر رمضان شهر
 الصبر لانه يكسر الشهوة ويرزق في الدنيا والصلاة لانها تورث الخشوع وتبني الكبر وترغب
 في الآخرة وقيل الواو بمعنى على أى واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال تعالى وأمر أهلكم
 بالصلاة واصطبر عليها ويحتمل أن يراد بالصلاة الدعاء (وانها) أى الصلاة والكفاية اليها
 لأن الصبر داخل فيها لا يستقيم أحدهما بغير الآخر كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه

ولم يقبل رضوهما لان رضا الرسول داخل في رضا الله عز وجل أولانها أهم كما في قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله رذائل الكفاية الى الفضة لانها أهم وقيل رذائل الكفاية الى كل منهما وأن كل خصله منهما كما قال تعالى كلنا الحسنين أنت أكملها أي كل واحدة منهما وقبل معناه واستعينوا بالصبر والله لكبير والصلاة وانها لكبيرة فخذف أحدهما اختصارا وقال الحسين بن الفضل رذائل الكفاية الى الاستعانة (الكبيرة) أي ثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الاهل الخاشعين) أي الساكنين الى الطاعة والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والخشوع اللين والافتقاد ولذا يقال الخشوع بالجوارج والخشوع بالقلب (الذين يظنون) أي يستيقنون واطلق الظن على العلم لتضمنه معنى التوقع (أنهم ملاقوا ربهم) بالبعث (وأنهم اليه راجعون) في الآخرة فيجازيهم بأعمالهم وانما تغفل عليهم فقلها على غيرهم لأن نفوسهم مر ناضة بامثالها ومتوقعة في مقابلتها ما يستحقه لاجل مشاقها وتستلذ بسببه متاعها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) بالشيء كرهها بطاعتي كرهه للتوكيد وتذكير التفضل الذي هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تحويها لمن غفل عنها وأخل بحقوقها وعطف على نعمتي (وأي فضل لكم) أي أيام الذين كانوا في عصر موسى صلى الله عليه وسلم وبعده قبل أن يغيروا (على العالمين) أي عالمي زمانهم بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين وذلك التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في الابناء واستدل بذلك على ان الاصح لا يجب على الله لأن تفضيلهم لو وجب عليه لم يجز جعله منة عليهم لأن من أنى بما وجب عليه لأمنة له به على أحد (واتقوا) خافوا (يوما) أي ما فيه من الحساب والعقاب وهو يوم القيامة (لا تجزى) أي لا تقضى (نفس عن نفس) فيه (شيأ) أي حقالزمها (تنبيه) قول البيضاوي وايراده أي شيأ منكرا مع تنكير النفسين للتعظيم والاقناط الكلّي تبع فيه صاحب الكشف وهو جاز على مذهب المعتزلة من أنهم ينكرون الشفاعة للعصاة وسأني الجواب عن مذهبيهم (ولا تقبل) بالتاء على التأنيث كما قرأه ابن كثير وأبو عمرو والياء على التذكير كما قرأه الباقر (منها شفاعة) أي من النفس الثانية لقوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) أي فداء (ولا هم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله اذ الضمير في الجملتين للنفس العاصية ويصح رجوعه للنفس الاولى لانها المحدث عنها في قوله تعالى لا تجزى نفس عن نفس من نفس والثانية مذكورة على سبيل الفضلة لا العمد وتذكير ضمير ولا هم ينصرون مع أن الضمير راجع للنفس وكان المناسب أن بالتأنيث لانه بمعنى العباد أو الاناس كما نقول ثلاثة أنفس بالتاء مع تأنيث النفس لتأويل النفس بالانفصال أو الرجال والنصرة أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد عسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر وأجاب أهل السنة عن ذلك باجوبة منها ان الآية مخصوصة بالكفار لا لآيات والا حادith الواردة في الشفاعة وبؤيد هذا أن الخطاب معهم وعلى هذا يتمنى قول البيضاوي المات

ويكون المراد حينئذ أنه ليس لها شفاععة فتقبل كما قال تعالى حايكاهم فالتان من شافعين * ومنها
 ان الآيات تزلزلت والمالكات اليه يودنزعهم أن آباءهم تشفع لهم * ومنها أنهم لا تشفع الاباذن الله
 (و) اذكروا (اذنحيةكم) أي آباءكم الخطأ به وبعباده للموجودين في زمن نبينا صلى الله
 عليه وسلم عما أنتم على آباءهم نذ كبراهم بنعمة الله ليؤمنوا (من آل فرعون) أي أتباعه وأهل
 دينه والمشهور ان اصل آل أهل لان نصغيره أهيل وقال الكسائي وغيره أصله أول من آل يؤل
 أي رجع قلب الواو والفاء الصكر كها وانفتاح ما قبلها ونصغيره أو يل (فان قيل) رد الأول
 اختلاف أهل وآل معنى اذا لاهل القرابة والآل من يؤل الميك بقرابة أو رأى أو مذهب
 ولان الالف لم يثبت ابد الهمان الهاء (أجيب) بأن القائل بالاول جرى على القول بان اللفظتين
 بمعنى أو أراد بالاهل أحدهم على آل وأبدل الواو من الهاء لتقاربهما مخارجا وخص بالاضافة
 الى أولى القدر والشرف كالانبياء والملوك وانما قيل آل فرعون لتصوره بشورة الاشراف
 أولشرفه في قومه عندهم وفرعون هو الوليد بن مصعب بن ريان وكان من القطب من العماقة
 وعمراً كثر من أربع مائة سنة (يسومونكم) يولونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أي أشده
 والجملة حال من الضعيف في نجيناكم أو من آل فرعون أو منهم ما يجعله آل فيها ضهير كل واحد منهم
 (يذبحون أبناءكم) المولودين (ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء هذا بيان ليسومونكم
 ولذلك لم يعطف وذلك ان فرعون لعنه الله رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس
 وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلي بها ولم تهترض لبني اسرائيل فها له ذلك وسأل الكهنة عن
 رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون
 بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوايل فقال له ان لا يسقطن على أيديكم غلام
 من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بالقوايل فكنت يفة لعن ذلك حتى قيل انه قتل
 في طلب موسى اثني عشر ألف صبي وقال وهب بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألفاً قالوا
 وأسرع الموت في مشيئة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع
 في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون
 أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي
 يذبحون فيها (وفي ذلكم بلاء) ان أشير به الى صنيعهم فهو محنة أو الى الانجاء فهو نعمة فان
 البلاء يكون بمعنى الشدة وبمعنى النعمة ويجوز أن يشار بذلك الى الامرين فالله تعالى قد يختبر
 على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال تعالى ونبلوكم أي نختبركم بالشر والخير فنتقن (من
 ربكم) أي تسلطهم عليكم أو يبعثه موسى وتوقيفه لتخليصكم أو بهما وقوله تعالى (عظيم)
 صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خيراً أو شراً اختبار من الله تعالى فعمله
 أن يشكر عند مسأته ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين (و) اذكروا (اذ فرقتا) فلقنا
 (بكم) أي بسبيكم (البحر) حتى دخلتموه هارين من عدوكم وذلك أن فرعون لما دنا هلاكه
 أمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني اسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى

قومه أن يسرجوا في بيوتهم السرج إلى الصبح وخرج موسى في سبعمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لآل فرعون ابن العشرين لصغره ولابن السبعين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب عليه الصلاة والسلام اثنين وسبعين ألفا من رجال وامرأة فساروا وموسى على ساقهم وهرون على مقدمتهم ثم علم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصبح الديك قال ابن مسعود رضي الله عنه فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة ثم خرج فرعون في طلبهم وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخليل سوى سائر النشبات قال محمد بن كعب وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر النشبات وكان فرعون في الدهم وقيل كان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف نائب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب الأعمدة فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فقوا متحبرين وقالوا لموسى كيف تصنع وأين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا أن أدركنا قتلنا والبحر امامنا أن دخلنا غرقنا قال الله تعالى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إننا لمدركون قال موسى كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطمعه فأوحى الله تعالى إليه أن كنهه فضربه وقال انطلق يا أبنا الذي أذن الله فانطلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثنا عشر طر يقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجلجل وأرسل الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يسا غضا ضفت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيه الماء كالجلجل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فنفخوا وقال كل سبط قد قتل أخوانا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء أن تشبكي فصارت شبكا كالطافات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى (فَأَنجَيْنَاكَ) أي من آل فرعون (وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) وذلك أن فرعون لما وصل البحر فرأه منفلقا قال لقومه انظروا إلى البحر اتفلق من هبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنى فجاء جبريل على فرس أنى فمقدمهم وخاض البحر فأنشمت أدهم فرعون ريجها انقصم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولا يعلل فرعون من أمره شيئا وهو لا يرى فرس جبريل واقصمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستخدمهم ويسوقهم حتى لا يشد رجل منهم ويعول لهم الحقوا بأهصابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولاهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم طرف من بحر فارس قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اسان وذلك بحر رأى من بني إسرائيل فذلك قوله تعالى (وَأَنَّهُمْ تَتَجَفَّدُونَ) إلى مصارعهم أو أطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذلة أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضهم بعضا وعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني إسرائيل ومن

الآيات المجتعة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصدق موسى الكليم ثم انهم اتخذوا الجبل
 وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهم بعزل من القطنة والذكا وسلامة النفس وحسن
 الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما واثروا من معجزاته أمور نظرية مثل القرآن
 والتحدث به والفضائل المجتعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها
 الأذكياء (واذ وعدنا موسى) بغير ألف بين الواو والعين كما قرأه أبو عمرو والباقون بألف بين
 الواو والعين لانه تعالى وعده موسى الوحي ووعد موسى ربه المجي للميعقات الى الطور وقيل
 هذا من المفاعلة التي تكون من الواحد كما عتبت اللص وطارقت النعل وأمال حمزة ألف موسى
 محضة وأبو عمرو بين وورش والفتح وبين اللفظين (أربعة ليله) أن يعطيه عند انقضاءها
 التوراة ليتعلموا بها وضرب له ميعقاتها ذاك القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها باليسالي لانها غرر
 الشهور وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء وخلق الله تعالى الليل قبل النهار قال الله تعالى وآية
 لهم الليل نسلخ منه النهار وقال البضاوي أن ذلك الوعد لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
 تبع في ذلك الكشف ولم يعرف ذلك لغيرهما وانما كانوا بالشأم لان اتيان موسى للميعقات كان
 بطور سيناء وهو بالشأم لا بصحر وقد قال البهاء بن عقيل في تفسيره لم يصريح أحد من المفسرين
 والمؤرخين بأنهم دخلوا مصر بعد خروجهم منها (فان قيل) قوله تعالى فأخرجناهم من جنات
 الى قوله تعالى وأورثناهم ايسرائيل يقتضي أنهم عادوا اليها (أجيب) بأن المعنى أن الله تعالى
 أورثهم وملكهم اياها ولم يردم اليها وجعل مساكنهم الشأم (ثم اتخذتم) قرأ ابن كثير
 وحفص عن عاصم اتخذتم باظهار الذا ل قبل التاء والباقون بادغام الذا ل في التاء (الجهل)
 الذي صاغه لكم السامري الها ومعبودا (من بعده) أي بعد ذهابه الى ميعقاتنا وذلك أن بني
 اسرائيل لما آمنوا من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتمون اليها فوعد الله تعالى موسى
 أن ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب لميعقات ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تاتون
 وما تدررون واسـ تخلف أخاه هرون فلما أتاه الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة
 لا يصيب شيئا الا حي ليذهب بموسى الى ميعقات ربه فلما رأاه السامري وكان رجلا صاغا من
 قبيلة يقال لها سامرة ورأى موضع قدم الفرس يحضر من ذلك وكان منافقا يظهر الاسلام وكان
 من قوم يعبدون البقر التي في روعه انه اذا ألقي في شيء غيره وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا
 حلينا كثيرا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعمل عرس لهم فأهلك الله تعالى
 فرعون وقومه فبقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل قال السدي فأمرهم هرون أن يلقوها
 في حفرة حتى يرجع موسى فعلموا فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري تهملان ذهب في ثلاثة أيام
 مرصعا بالجواهر كالحسن ما يكون ثم ألقي فيه القبضة التي أخذها من تراب حافر فرس جبريل
 فصارت بخور ويمشي فقال السامري هذا الهكم واله موسى فتسنى أي فتركه ههنا وخرج يطلبه
 وكانت بنو اسرائيل قد أخلقوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم
 يرجع موسى وقموا في الفسنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة قال تعالى

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعمناها بعشر وسبأ في الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في محله
 فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت السلاطون ولم يرجع موسى ورأوا العجل وسمعوا قول
 السامري عكف منهم ثمانية آلاف رجل على العجل يعبدونه وقبل كلهم عبده الاهرهون مع
 اثنى عشر ألف رجل قال البغوي وهو الاصح وقال الحسن كله عبده الاهرهون ولذلك قال
 تعالى (وأنتم ظالمون) أي بالتخاذل لوضعكم العبادة في غير محلها (ثم عفوونا) محونا (عنكم)
 ذنوبكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عني اذا درس (من بعد ذلك) أي الاتخاذ (لعلكم
 تشكرون) أي لكي تشكروا ونعمنا عليكم * (فيه) * انما قدرت لعل بكى اخذا مما قيل ان لعل
 في القرآن بمعنى كي غير قوله تعالى في الشعراء لعلكم تخلدون فانها بمعنى كأن أي كأنكم
 تخلدون (و) اذكروا (اذا ينما موسى الكتاب) أي التوراة وقوله تعالى (والفرقان) عطف
 تفسيرا أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقبل أراد بالفرقان مميزات موسى
 كافتراق البحر الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايمان (لعلكم تهتدون)
 أي لكي تهتدوا بشير الكتاب والتفكير في الآيات من الضلال (و) اذكروا (اذا قال موسى
 لهومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظالمون) قرأ ورش بتلظ اللام والباءون بالترقيق
 (أنفسكم بالتخاذل العجل) الها قالوا فأى شئ نصنع قال (فتوبوا) أي ارجعوا عن عبادة
 العجل (الى بارئكم) أي خالقكم وقرأ أبو عمرو وباسكان الهمزة وروى عن الدوري باختلاس
 الحركة وروى عن السوسي ابد الهياسا كنة وأمال الدوري عن الكسائي الالف بعد الدال
 الموحدة واذا وقف حمزة على بارئكم سهل الهمزة بين بين قالوا كيف توب قال (فاقتلوا
 أنفسكم) أي ليقتل منكم البرى من عبادة العجل من عبده وقبل المراد بالقتل قطع الشهوة
 كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وردها جماعة باجماع المفسرين
 على أن المراد هنا القتل الحقيقي (ذلكم) أي القتل (خبر لكم عند بارئكم) من حيث انه
 طهرة عن الشرك ووصله الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا
 نصبر لامر الله جلوسا بالافنية محتملين وقبل لهم من حل حبونه أو مد طرفه الى قاتله أو تقام يده
 أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأسلفت القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه وأباه
 وأخاه وقرينه فلم يمكنه المضى لامر الله فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله عليهم ضبابه تشبه
 بحجاب تعشى الارض كالداخان وحجابة سوداء لا يصير بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء
 فلما كثر القتل دعا موسى وهرون عليهم الصلاة والسلام وبكيا ونضرعا وقالوا يا رب هلكت
 بنوا اسرائيل البقية البقية فكشف الله تعالى السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل
 فكشفت عن ألوف من القتلى روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال عدد القتلى سبعون
 ألفا فاشهد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة
 فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكررا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم) أي فعلتم
 ما أمرت به فتاب عليكم أي فغفروا عنكم وقبل توبتكم * (تنبيه) * ذكر البارئ في قوله تعالى

فتوبوا الى بارئكم وترتيب الامر بالقتل عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباء حتى
 تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثلهم في الغباء وأن من لم يعرف حق
 منعمه حقيق بأن يستترق منه ما أنعم به عليه ولذلك أمر وابتكركم بذواتهم بالقتل (أنه هو
 التواب) أي الذي يكثر قبول التوبة من المذنبين (الرحيم) أي البالغ في الانعام على خلقه
 (واذقتم يا موسى لن تؤمنن لك حتى نرى الله جهرة) وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة
 والسلام أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختر موسى سبعين
 رجلا من خيار قومه وقال لهم صوموا واطهروا واثابكم ففعلوا ذلك فخرج
 موسى الى طور سيناء لمقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا سمع كلام ربنا فقال لهم افعل فلماذا
 موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام ففتنى الجبل كله فدخل في الغمام وقال للقوم ادنوا
 فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخزوا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع
 لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسعوه وهو يكلم موسى بأمره
 وينهاه وأمرهم الله تعالى أني أنا الله لا اله الا أنا اخرجكم من ارض يثيوب فاعبدهوني
 ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل عليهم فقالوا لن تؤمنن لك حتى نرى الله
 جهرة عيانا وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقالوا جهرة ليعلم أن المراد منه العيان
 روى عن السوسى امالة الالف بعد الراء في روى وتريق اللام من اسم الله وروى عنه تفخيم
 اللام مع الامالة وله وجه ثالث كالجماعة وهو عدم الامالة مع تفخيم اللام (فان قيل) كيف
 تمثال الالف وهي تسقط عند التقاء الساكنين (أجيب) بأنه لولا امالته ما أمليت الراء لأن
 القارئ اذا أراد أن يميل الالف لا يمكن من الامالة الا بما لا ماقبله (فأخذتكم الصاعقة) أي
 الصيحة فتم وقبل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وذلك افراط العناد والعتت وطلب المسخيل
 فانهم ظنوا أنه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز
 المتناهية للرأى وهي محال بل المراد أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في
 الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا (وأنتم تنظرون) أي ينظر بعضكم
 الى بعض حين أخذكم الموت وقيل تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم فلما هلكوا جعل موسى
 يبكي ويتضرع ويقول ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لوئنت
 أهلهم من قبل واياي أتم لك كما فعل السفهاء من اهلهم ليسوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم
 رجلا بعد رجل بعد ما نوال السلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحبون كما قال تعالى
 (ثم يمتناكم) أي أحينناكم والبعث اثاره الشيء عن محله يقال بعثت البعير فانبعث وبعثت النائم
 فانبعث (من بعد موتكم) بسبب الصاعقة قال قتادة أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم
 ولو ما نوال آجالهم لم يبعثوا وقيد البعث بعد الموت لانه قد يكون عن اغماه أو نوم كقوله تعالى
 فضر بنا على آذانهم في الكهف الى أن قال ثم بعثناهم أي من النوم (لعلكم تشكرون) نعمة
 بعثت أوما كفرتموه من النعم المتتابعة (وظللنا عليكم الغمام) في التيه يتيكم حر الشمس

والغمام من الغم وأصله التغطية والستر يسمى السحاب غماما لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه
 لم يكن لهم في التيه كن يستريحهم فشكوا إلى موسى صلى الله وسلم عليه فأرسل الله غماما أبيض رقيقا
 أطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن قمر يسيرون في ضوئه
 وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وغلاظ ورش اللام المفتوحة بعد الغطاء (وأرسلنا عليكم المن
 والسلوى) في التيه والاكترون على أن المن هو الترفيعين قال مجاهد هوشى كالصنع كان
 يقع على الانحجار طعمته كالشهد وكان يقع كل ليلة على أن يجارهم مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع
 فقالوا يا موسى قلنا هذا المن بجلاوته فادع لثا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزل الله عليهم السلوى
 جمع سلواة وهو الطير السمانى بضم السين والقصر جمع سمائة وهو الطير المعروف وقيل
 هو طائر يشبهه بعث الله سبحانه قطرت السماء في عرض ميل وطول رمح في السماء بعضه
 على بعض فكان الله تعالى ينزل عليهم المن والسلوى لكل صباح من طلوع الفجر
 إلى طلوع الشمس فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة وإذا كان يوم الجمعة يأخذ
 كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت وقرأ السلوى حزة والكسافى
 بالامالة محضة وأبو عمرو بن بين وورش بالفتح وبين اللقطين (فان قيل) لم تقدم في الآية المن على
 السلوى مع أنهم اغذاه المن حلاوة والعادة تقديم الغذاء على الحلاوة (أجيب) بأن نزول المن
 من السماء أمر مخالف للعادة فقدم لاستعظامه بخلاف الطيور لما كولة وأيضا هو مقدم في
 النزول عليهم (كأوا) على إرادة القول أى قلنا لهم كأوا (من طيبات) حلالات (مارزقناكم)
 ولا تدخر والغد فكفروا بالنعمة وادخروا فاقطع الله ذلك عنهم ودقود فسد ما دخره وقوله
 تعالى (وما ظنونا) أى بذلك فيه اختصار وأصله فظنوا بأن كفروا بهذه النعم وما ظنونا (ولكن
 كأوا أنفسهم بظلمون) لأن وبال الله عليهم روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لولا نبوا سرايل لم يحبب الطعام ولم يحبب اللحم ولولا أخوة لم تخن أنى زوجها
 الدهر (واذ قلنا) لهم بدخروا وجهم من التيه (ادخلوا هذه القرية) أى بيت المقدس كما قاله
 مجاهد أو أريحا بفتح الهمزة وكسر الراء وبالهاء المهملة كما قاله ابن عباس وهى قرية الجبارين
 كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالق ورأسهم عوج بن عنق قال ابن الأثير وهى قرية
 بالغور قريبة من بيت المقدس وقيل بالمقاء وقيل الرملة والأردن وفلسطين وقيل الشام
 سميت القرية قرية لأنها اتجمع أهلها ومنه المقررة للعوض لأنها اتجمع الماء (فكفوا ومنها حيث
 شتم رغدا) أى واسعا لا يحرق فيه (وادخلوا الباب) أى باب من أبواب القرية وكان لها سبعة
 أبواب (سجد) أى متطاعمين منحنين أو ساجدين السجود الشرعى لله شكرا على إخراجكم
 من التيه (وقولوا) مسئلتنا (حطة) أى أن تحط عنا خطايانا قال قتادة أمر وأبالا استغفار
 وقال ابن عباس بلا إله الا الله لأنها تحط الذنوب وقيل معناه أمرنا حطة أى شأتنا أن تحط في
 هذه القرية وتقيم فيها حتى ندخل الباب سجدامع التواضع (تغفر لكم خطاياكم) بسجودكم
 ودعائكم وقرأ نافع يا مضمومة على التذكير مع فتح الفاء وقرأ ابن عامر تغفر بقاء مضمومة

على التائب مع فتح القاء أيضا وقرأ الباقر بالنون مفتوحة مع كسر القاء وقرأ الكسائي خطاياكم باللاملة وورش بالفتح وبين اللغتين والباقر بالفتح (وسنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا جعل الله تعالى امتثال قوله قولوا حطة توبة المسمى وسبب زيادة الثواب للمحسنين (فان قيل) كيف عطف وسنزيد مع أنه مرفوع على نفع مع أنه مجزوم جوابا للامر (أجيب) بأنه أخرجه عن صورة الجواب الى الوعد أي ما بأن المحسن يصدق ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة وسبب اخراج ما ذكر عن صورة الجواب الى الوعد أن الزيادة اذا كانت من وعد الله كانت أعظم عما اذا كانت مسببة عن فعلهم (فبذل الدين ظلووا) منهم (قولوا غير الذي قيل لهم) فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على استاهم مخالفة في الفعل كما بدلو القول روى معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلو ادخلوا يزحفون على استاهم وقالوا حبة في شعرة وفي رواية في شعيرة وقوله تعالى (فأنازلنا على الذين ظلموا) فيه وضع الظاهر موضع الضمير بمخالفة في تقييد أمرهم واشعارا بأن انزال الرجز عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه وأعلى أنفسهم بأنهم تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها (رجزا) أي عذابا مقدرا (من السماء) وقيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا وقيل أربعة وعشرون ألفا (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة (واذا استسقى موسى) طالب السقيا (لقومه) وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقى لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت من آس الجنة بالمدى أي شجرها وهو المرسين وروى عن ابن عباس أنها كانت من هوسج طولها عشرة أذرع على طول موسى وكان لها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها علق وقيل مقاتل اسمها بنفة جملها آدم من الجنة فتوارى عنها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاهام موسى واللام في الحجر للعهد على ما روى أنه كان حجرا طوريا مكعبا حله معه كان له أربعة أوجه ينبع من كل وجه ثلاثة أعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ودفع الى شعيب فأعطاهام موسى مع العصا أو الحجر الذي قرئ به لما وضعه عليه ليغتسل ومتر به على ملا من بني اسرائيل وهو حجر خفيف مربع كراس الرجل رخام أو كذا وبراء الله تعالى به عارمه وبه من الادرة وهي بضم الهمزة كبر الانبياء فلما وقف أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله تعالى يقول ارفع هذا الحجر في فيه قدرة ولك فيه معجزة والجنس قال البيضاوي وهذا أظهر في الحجة وبذل القول وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيمنع عيون الكل بسبط عين ثم تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي أمر أن يسقيهم وكان بنو اسرائيل اثني عشر سبطا ولكن لما قالوا كيف بنا لو أنفضنا الى أرض لاجارة فيها حل حجر في مخلائه وكان يضرب بعصاه اذ انزل فيمنع ويضربه به اذا ارتحل فبيد فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عشا فأوحى الله تعالى اليه لا تفرع

الخبارة وكلها قطعك اهلهم يعتبرون وقوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) متعلق بمحذوف
 أى فضر به فانفجرت أى سالت قال أبو عمرو بن العلاء انبجست هرقت وانفجرت سالت وقال
 عطاء كان يضربه موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة فيعرق ثم
 تنفجر الانهار ثم تسيل (قد علم كل أناس) أى سبط منهم (مشربهم) أى عينهم التى يشربون منها
 لا يدخل سبط على غيره فى شربه وقتلناهم (كلوا واشربوا من رزق الله) أى كلوا من المن والسلاوى
 واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى بآتيكم بالمشقة (ولا تعثوا) أى لا تعثوا
 (فى الارض مفسدين) أى حال افسادكم وانما قيد لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس
 بفساد كقوله الظالم المتمدن بقوله ومنه ما يتضمن اصلاحا راجعا على الفساد كقتل الخضر القلام
 وخرقه السفينة * (تنبيه) * من أنكر أمثال هذه المجازات فلغاية جهل بالله تعالى وقلة تدبره فى
 عجائب صنعته فانه لما أمكن أن يكون من الاجار ما يحاق الشعر كالنورة ويجذب الحديد
 كالغناطيس وينثر الخلل كالكهربان فانه اذا وضع فى اناه لا يحصل الخلل فى ذلك الاناء يمتنع أن
 يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض أو لجذب الهوام من الجوانب الاربعة وبصره
 ماء بقوة التدبير ونحو ذلك (و) اذكروا (اذ قلتم يا موسى ان نصبر على طعام واحد) وذلك أنهم
 سموا من أكل المن والسلاوى وانما عبر عنهم باطعام واحد لعدم تبدلها كقول العرب طعام
 مائدة الأمير واحد يريدون أنه لا يتغير ألوانه أولان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر
 عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من المجدون
 العذب أولانهم كانوا يجنون المن بالسلاوى فيصيرا واحدا أولانهم كانوا يأكلون أحدهما
 بالآخر فكانا كطعام واحد وأضرب واحد لانهم ما معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا أهل فلاحه
 أى أهل زراعات فاستاقوا الى أصلهم الردى وعادتهم الخبيثة ولذا قالوا (قادع للاربع) أى
 فسل لاجلنا ربك (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد وجرمه بأنه جواب فادع فان دعوة موسى
 تسبب الاجابة وقوله تعالى (مما تسبب الارض) من الاسناد المجازى واقامة القابل وهى الارض
 لانها قابلة للنبات مقام الفاعل ومن فى قولهم مما تسبب للتبعض ومن فى قوله (من بقلها)
 للبيان والمقل ما تسبب الارض من الخضر وهو ما ليس له ساق والمراد به أطايسه التى تؤكل
 كالكرفس والنعناع والكراث (وقتناها وقودها) وهو الخبز كما قاله ابن عباس ومنه فقوموا
 لنا أى اخبزوا أو احنطه كما قاله عطاء أو النور كما قاله الكلى (وعدهسا وبصلها قال) أى الله
 أو موسى (أستبدلون الذى هو أدنى) أى أخس وأردأ وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير
 للنخسة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقبل بعيد الهمة بعيد المحل (بالذى هو خير) أى
 أشرف وهو المن والسلاوى فانه خير فى النذة والتفع وعدم الحاجة الى السعى أى أننا خذون هذا
 بدل هذا والهزة للانكار فأبوا أن يرجعوا فادع موسى ربه فقال تعالى (اهبطوا) أى انزلوا
 فان هبط يستعمل متعديا بنفسه كما هنا فيكون بمعنى النزول ويستعمل متعديا بمن فيكون بمعنى
 الخروج من مكان الى آخر مساو له أو أهلى منه (مصر) من الامصار والماصر البلد العظيم

لا العلم بفتح اللام وقيل أراد به العلم وهي مصر موسى وفرعون قال البيضاوي ويؤيده أي
 القول بأن المراد بمصر العلم أنه غير ممنون في مصحف ابن مسعود أي وهي قرينة شاذة وانما صرفة
 على هذا مع أن فيه العلة والتأنيث لسكون وسطه كما في هند ودع لمصادلة أحد سبي منع
 الصرف بجفة الاسم لسكون وسطه وعلى تأويل مصر بالمكان فذكره فيبقى فيه سبب واحد
 فانصرف (فإن لكم) فيه (ماسألتم) من نبات الارض (وضربت عليهم) أي أحبطت
 احاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط (الذلة) أي الذل
 والهوان وقيل الجزية (والمسكنة) أي القروى وهي القبر مسكنة لان الفقر أسكنه وأقعدته
 عن الحركة وفعل بهم ذلك مجازاة لهم على كفران النعمة ولذلك تجد اليهود في غالب الامر أذلاء
 مساكين ائما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم وقيل الذلة فقر القلب
 فلا ترى في أهل المال أذل وأحرص على المال من اليهود وقرأ حمزة والكسائي عليهم بضم الهاء
 والميم وصلوا وفي الوقف حزة على أصله والكسائي بكسر هاء أبو جهر وبكسر الهاء والميم وقفا
 وصلوا وباقي القراء بكسر الهاء وضم الميم وصلوا وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم (وبأوا)
 رجعوا (بغضب من الله) ولا يقال باه الا بشرو وأصل البوء المساواة وقال أبو عبيدة احتلوه
 وأقروا به ومنه الدعاء أبو نعمتك وأبوء بذنبي أي أقروا بوقول تعالى (ذلك) إشارة الى ما مر من
 ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بأيات الله)
 بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن وبالهجرات
 التي من جللتها معاد عليهم من فلق البحر واطلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون
 من الحجر (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي ظلموا فانهم قتلوا أشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم روى
 ان اليهود قتلوا سبعين نبيا في أول النهار وقامت سوق بقتلهم آخر النهار (فان قيل) لم قال بغير
 الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق (أجيب) بأنه ذكره وصفا للقتل والقتل بوصف تارة
 بالحق وتارة بغير الحق وهو مثل قوله تعالى قل رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لان
 حكمه ينقسم الى الجور والحق وأنه بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقد به جواز قتلهم
 (فان قيل) ان الله تعالى قد أخبر بقتل الانبياء ونصر الرسل فكيف الجمع (أجيب) بأن المهل
 مختلف اذ الرسول غير النبي وبأن المراد بالنصر الغلبة باظهار الحجلة لا العصمة من القتل وانما
 حلهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه تعالى بقوله (ذلك جماعصوا
 وكانوا يعتدون) أي جرهم العصيان والتفادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقيل النبيين
 فان صفار الذنوب أسباب تؤدى الى ارتكاب بكارها كما ان صفار الطاعات أسباب مؤدية
 الى تحزى بكارها وكررا لاشارة لذلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
 ارتكابهم المعاصي واعتداؤهم حدود الله وقيل لاشارة الى الكفر والقتل والبلاء بمعنى مع وعلى
 هذا انما جوزت الاشارة بالفرد الى شئين فصاعدا على تأويل ما ذكره والذي حسن ذلك ان تنبيه
 المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع وقرأ النبيين

نافع بالهمزة والباقون بالياء مورس على أصله في الهمز بالمد والتوسط والقصر (إن الذين آمنوا) بالياء من قبل (والذين هادوا) أي اليهود معوا به لقولهم أنا هادنا إليك أي ملنا إليك وقيل لأنهم هادوا أي تابوا من عبادة الجبل وكانهم معوا باسم أكبر وأدب يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يهودون أي ينحزكون عند قراءة التوراة ويقولون إن السموات والأرض تنحزكت حين أتى الله موسى التوراة (والتصاري) جمع نصرائي كنداحي والياء في نصرائي للمبالغة هو بذلك لأنهم نصرروا المسيح قال الحواريون نحن أنصار الله (فان قيل) هذا المس جاري على قواعد الاشتقاق فانه يقال لواحد ناصر وفاعل لا يجمع على فعالى (أجيب) بأن ذلك كاف في الاشتقاق وإن لم يجمع المفرد على فعالى أولانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسماوا باسمها على الأقل أو من اسمها على الثاني (والصائبين) هم طائفة من النصاري وقيل من اليهود وقيل قوم بين النصاري واليهوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة أو الكواكب وقرأ نافع وحدهم بالياء أملا لانه خفف الهمزة أولانه من صبا إذا مال لأنهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل والباقون بالهمزة بعد الباء الواحدة (من آمن بالله واليوم الآخر) (وعلى صالحا) أي من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصداق بقلبه وبالبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة أيما ناطقا ودخل الإسلام دخولا صادقا (قلهم أجرهم) أي ثواب أعمالهم (عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة وأحيان يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب * (تنبيه) روى في ضمير آمن وعمل لغظ من وفيما بعده معناها ومن مبتدأ خبره قلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل من اسم إن وخبرها قلهم أجرهم والقام لتضمن المسند إليه معنى الشرط وقد منع سيدي به دخولها في خبر إن من حيث أنه لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا قلهم عذاب جهنم (و) إذكروا (إذا أخذنا من بينهم) أي عهدكم باتباع موسى والعمل بما في التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم) (الطور) أي الجبل حتى أعطينا الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيها من التكليف الشاقة كبرت عليهم لأنها كانت شريعة ثقيلة وأبوا قبولها فامر الله تعالى جبريل بقطع الطور فظله فوقهم وكان على قدر عسرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مقدرا فامة رجل كالظلة وقال لهم إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء بن ابن عباس رفع الله فوق رؤوسهم الطور وبعث نار من قبل وجوههم وأتاهم البصر الملح من خلفهم وقيل لهم فإن قيامت الأرض تحتكم بهذا الجبل أو أغرقتكم في هذا البحر أو أحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم من ذلك قبلوا ومصدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم ساجدون فصار سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا (خذوا) هو على إرادة القول أي وقتلنا خذوا

(ما أتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجدة وعزيمة (واذكروا ما فيه) بالعمل به أو تفكروا فيه فإنه
تذكر بالقلب كما أن الدرس ذكره باللسان أو أدرسه ولا تسوه (لعلكم تتقون) لكي
تتقوا النار أو المعاصي (ثم توليتهم) أمرضتم عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي بعد أخذه
(قلوا بفضل الله عليكم ورحمته) أي توفيقكم للتوبة أو بالإمهال وتأخير العذاب عنكم
أو بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه (لكنتم من الخاسرين) أي
من المغبونين بالانتم مالك في المعاصي أو بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة * (تنبيه) * لوفى
الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لأفاد اثباتاً وهو امتناع الشيء لثبوت
غيره والاسم الواقع بعده عند سيوييه مبتدأ خبره وأوجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد
الجواب مسدوداً وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (ولقد علم) اللام موطئة للقسم أي عرفتم
(الذين اعتدوا) تجاوزوا الحد (منكم في السبت) بصيد السمك وذلك لأنهم كانوا من داود عليه
الصلاة والسلام بأرض يقال لها إيلاء حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكان
إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء من
كثرة ما إذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر فذلك قوله تعالى إذا أتاهم حينئذ يوم السبتهم شرعا
ويوم لا يسبقون لأتاهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ثم إن الشيطان وسوس إليهم
وقال أنتم نسيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه
إليها لأنهم إذا كان عشية الجمعة ففعلوا ذلك لأنهم إذا قبل الموج بالحيطان إلى الحياض
فلا تقدر على الخروج لبعدها وقلة ما فيها فإذا كان يوم الأحد أخذوها فذلك الحبس
في الحياض هو اعتدائهم ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة ففعلوا على الذنب وقالوا
ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأكلوا وطمعوا وابعوا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا
نحو ما من سبعين ألفاً ثلاثة أصناف أصناف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف أتهم
الحرمة وكان الناهون اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصيحهم قالوا والله لانسأ كنكم
في قرية واحدة ففعلوا القرية بمجداد (فقلنا لهم) لأصرارهم على المعصية (كونوا قردة خاسئين)
أي مبعدين فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يقصوا بابهم
فلما أبطأ وانسوروا على الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذناب يتعانون قال قتادة صار الشبان
قردة والشيوخ خنازير فكانوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسوخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا
وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم ففعلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار كما في قوله تعالى
كمثل الحمار يحمل أسفارا رواه عنه ابن جرير ورده وقال أنه يخالف لظاهر القرآن والأحاديث
والآثار وجامع المفسرين وقوله تعالى كونوا ليس بأمر إلا قدرة لهم عليه وإنما المراد به
سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم (جعلناها) أي تلك العقوبة (نكالا) أي عبرة
تنبه العتبر بها أي تنفعه من ارتكاب مثل ما فعلوا وأنه التكرار عن العيب وهو الامتناع
(لما بين يديهم وما خلفهم) أي اللام التي في زمانها وبعدها ولما يحضر تها من القرى وما تباعد

عنها أولاهل تلك القسرية وما حو اليها وأجل ما تقدم عليه من ذنوبهم وما تأخر منها
 (وموعظة للمتقين) الله من قومهم وأكل متقى معها وخصوا بالذكرا منهم المنفعون بها
 بخلاف غيرهم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم) قرأ أبوهم وبسكون الراء
 ويرى عن الدوري اختلاس الحركة والباقون بالحركة الكاملة والحركة ضمة (أن تذبحوا
 بقرة) أول هذه القصة قوله تعالى واذ قلتم نفسا فاذرا ثم فيها وانما فكنت عنه وقدمت عليه
 لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستمراء بالامر والاستقصاء في السؤال وزلة المسارعة
 الى الامتثال وقصته أنه كان فهم رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته
 قتله ليرثه ووجهه الى قرية أخرى فألقاه بياها ثم أصبح يطلب دينه وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم
 القتل فسألهم فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى قال الكلبى وذلك قبل نزول القسامة
 في التوراة فسألو موسى ليدعوا الله ليعين لهم بدعائه فدعا فأمرهم الله تعالى بذبح بقرة
 ويضربوا القتل ببعضها ليصافي خبرقاته فقال موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا)
 أتتخذنا هزوا أي أستمزي بنا نحن نسأل عن أمر القتل وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك
 استبعادا لما قاله واستخفافا به قرأ حزمة بسكون الزاي في الوصل واذ وقف قال هز انصب
 الزاي من غيرهم وروى عنه الادغام وهو أن يشتد الزاي وقرأ حفص هز وايض الزاي بعدها
 وادع مفتوحة وقفا وصلوا والباقون بضم الزاي بعدها همزة مفتوحة (قال أعوذ) أي اضع
 (بالله) من (أن أكون من الجاهلين) لأن الهزة في مثل ذلك جهل وسفه نفي عن نفسه ما ربحه
 على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استغفالا لما علم القوم أن ذبح البقرة
 عزم من الله استوصفوه ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا
 على أنفسهم فشدد الله عليهم وكان تحتهم حكمة وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح له
 ابن طفل وله بجلة في بها الغنضة وقال اللهم اني استودعك هذه البجلة لا تخي حتى يكبر
 ومات الرجل فسارت البجلة في الغنضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن
 كان بارا بوالده فكان يقسم الليل اثلاثا يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا
 أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يصدق ثلثه ويأكل
 ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له أمه يوما ان أبالك ورثك بجلة استودعها الله في غنضة كذا
 فانطلق وادع الله ابراهيم واسماعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها
 فيخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلد ها وكانت تلك البقرة تسمى الذبية لحسنها وصغرتها
 فأبى القتي الغنضة فرأها تزعى فصاح بها وقال أعزم عليك يا ابراهيم واسماعيل واسحق
 ويعقوب فأقبلت تسعى اليه حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتمكمت البقرة بأذن
 الله وقالت أيها القتي البار بوالده اركبني فان ذلك أهون عليك فقال القتي ان أمي لم تأمرني
 بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بني اسرائيل لوركتني ما كنت تقصد وعلى أبدا
 فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن يقطع من أصله وينطلق معك لفعل ليرك بأهلك فسار القتي

بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق
 فبيع هذه البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثه دنانير ولا تبسع بغير مشورتي وكان غن البقرة ثلاثه
 دنانير فانطلق بها الى السوق فبعت الله مملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتي كيف يربه بوالدته
 وكان الله به خبير فقال الملك له بكم تبسع هذه البقرة فقال ثلاثه دنانير واشترط عليك رضا
 والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تسأمر والدتك فقال الفتي لو أعطيتني وزني اذهب اليه آخذه
 الابرضأ أي فردتها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبيعها بسته دنانير على رضا
 مني فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتي انها أمرتني أن
 لا أنقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها فقال الملك اني أعطيتك اثني عشر دينارا على
 أن لا تستأمرها فأبى الفتي ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان الذي أتيتك في صورة
 آدمي ليضربك فاذا أناك فقل له أنا أمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا نفعل فقال الملك له اذهب الى
 أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لتقيل يقتل في بني اسرائيل
 فلا تبسعوها الا بجل مسكها أي جلد هاذها دنانير فأمسكوها وقد رآه تعالى على بني اسرائيل
 ذبح تلك البقرة بعينها فاذا الوايستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة لعلي بربه بوالدته
 فضلامه تعالى ورحمة فذلك قوله عز وجل (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ما سنها وكان من
 حقها أن يقولوا أي بقرة هي أو كيف هي لان لفظ ما يسأل به عن الجنس غالب الكنه لما رواه
 ما أمر ربه على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقة ولم يروا مثله
 (قال موسى انه) أي ربي (يقول انها بقرة لا فارض) أي مسنة وسجيت فارض لانها فرضت
 سنها أي قطعت وبلفت أخوه (ولا بكر) أي صغيرة (عوان) أي نصف أي وسط قال الشاعر
 * نواهم بين أبه كاد وعون * جمع عوان (بين ذلك) أي بين ما ذكر من الفارض والبكر
 (فان قيل) بين يقتضي شيئين فصاعدا فن أين جاز دخوله على ذلك (أجيب) بأنه في معنى شيئين
 حيث وقع مشاربه الى ما ذكر كما نفقر وعوده هذه الكتابات واجراء تلك الصفات على بقرة
 يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب بالامر ومن أنكر
 ذلك زعم أن المراد بها بقرة من جانب البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم
 ويلزمه التسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال الخبر الثابت بالنص والحق جواز تأخير البيان
 عن الوقت المذكور والتسخ قبل الفعل ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه
 الصلاة والسلام لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 وتقرعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ما تومرون) به من ذبحها (قالوا)
 ادع لنا ربك يبين لنا ما هي (قال موسى انه) أي ربي (يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها)
 أي شديدة الصفرة ولذلك تو كديه الصفرة فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حاله وعن الحسن
 سودا شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى بحالات صفراء البياض أي ولعله عبر بالصفرة عن
 السواد لانه من مقدماته قال البغوي والاقول أصح لانه لا يقال أسود فاقع انما يقال أصفر

فاقع وأسود حالك وأخضر ناصح (تسر الناظرين) اليها أى يعجبهم حسن ما وصفها لونها
 والسرور أصله لذة فى القلب عند حصول نفع أو وقوعه (قالوا ادع لنا ربك بين لنا ما هي) أى
 أسأله أم عاملة وعلى هذا فليس تكرار للسؤال الأول (إن البقر) أى جنسه المنعوت كذا ذكر
 (تشابه) أى التبس واشتبه أمره (علينا) لكثرة فلم يهتدوا إلى المقصود * (تنبيه) * لم يقل
 تشابه علينا لأن المراد الجنس كما مر وألغى ذكر لفظ البقر كقوله تعالى أفعجاز نخل منقعر
 (وانا ان شاء الله لمهتدون) إلى وصفها وفى الحديث لو لم يستنوا لما بينت لهم آخر الأبد
 واحتج به أصحابنا على أن الحوادث بإرادة الله تعالى وإن الأمر قد ينقل عن الإرادة واللام يكن
 للشرط بعد الأمر معنى والمعتلة والكزامية على حدوث الإرادة لانها وقعت شرطا والشرط
 أمر يحدث فى المستقبل (وأجيب) بأن تعليل الاحتمال المشبهة التى هى الإرادة باعتبار تعلق
 المشبهة بالاهتداء وهذا التعلق هو الحادث ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث به تعالى لان التعلق
 أمر اعتبارى (قال موسى) (أنه) أى يرى (يقول انها بقرة لأذلول) أى غير مدلة بالعمل
 (شبرا الأرض) أى نقلها للزراعة والجملة صفة ذلول داخله فى النفي (ولانسق الحرف) أى
 الأرض المهيئة للزراعة ولا الثانية من يد تائما كيد الأولى والافعلان صفة ذلول كأنه قال
 لأذلول مشيرة وساقية (مسئلة) من العيوب وأثارة العمل (لأشية) أى لآلون (فيها) سوى لون
 جميع جلدها قال مجاهد لا يبيض فيها ولا سود (قالوا ألا نجت) أى نطق (بالحق) أى
 بالبيان التام الشافى الذى لا أشكال فيه فطلبوها فوجدوها عند الفقى البار بأتمه فاستروها بجله
 مسكها أى جلدها ذهباً كما قاله الملك وقوله تعالى (فذبجوها) فيه اختصار والتقدير فخلصوا
 البقرة المنعوتة فذبجوها (وما كادوا) أى ما قاربوا (بفعلون) لتطو يلهم وكثرة مرارعتهم
 أو لحرف الضيعة فى ظهورها والقتال أو لغلامتها ولا شافى قوله وما كادوا بفعلون قوله فذبجوها
 لاختلاف وقتيهما إذا المعنى ما قاربوا أن يفعا الواحى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم
 ففعلوا المضطر المبالا إلى الفعل (واذ قتلتم أنفسا) خطاب الجمع لوجود القتل فيهم
 (فأذا رآتم) فيه ادغام التاء فى الأصل فى الدال أى تخاصمتم وتدافعتم (فيها) أى فى شأنها
 إذا المتخاصمان يدفع بعضهم بعضاً أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه إلى صاحبه (والله
 مخبرج) أى مظهر (ما كنتم تكفون) فإن القاتل كان يكتم القتل وقوله تعالى (فقلنا
 أضربوه) أى القليل عطف على إذا رآتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس وتذكير الضمير على
 تأويل الشخص أو القليل (بعضها) أى ببعض البقرة واختلفوا فى ذلك البعض فقال ابن
 عباس رضى الله عنهما وأكثرا المفسرين ضربوه بالعظم الذى يلى العضروف وهو ما لان من
 العظام وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعجب الذنب لانه أول ما يخلق وآخر ما يلى ويركب عليه
 الخلق وقال الضمك بلسانها قال الحسين بن الفضل لانه آلة الكلام وقال عكرمة والكلى
 بفخذها الأيمن وقبل بعضهم منها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القليل حيا باذن الله تعالى وأوداجه
 تشعب دما وقال قتلى فلان ثم سقط ومات مكانه فخرم قاتله الميراث وقتل وفى الخبر ما ورث

قاتل بعد صاحب البقرة وفيه اشارة تقديره فنسب في قال تعالى (كذلك الاحياء يحيى
 الله الموتى) والخطاب مع من حضر حياة القتل أو نزول الآية (ويربكم آياته) دلائل قدرته
 (لعلكم تعقلون) لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
 كلها فتؤمنون قال اليسأرى ولعله تعالى انما ليحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط لغيره من
 التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتفسيه على بركة التوكل أى توكل أبى اليتيم والشفقة على
 الاولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قرينة والمتقرب أن يتحرى الاحسن ويقال بننه كما روى
 عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه ضحى بغيبة أى من الابل بثلاثمائة دينار وأن المؤثر فى الحقيقة هو
 الله تعالى اذ لا يتصور حياة ميت من غيره تعالى والاسباب امارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف
 أعدى عدوه الساعى فى اماته الموت الحقيقى فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية
 حين زال عنها أثر الصبا أى عدم التكليف وهو نظير لا بكر ولم يلحقها ضعف الكبر أى وهو
 نظير لا فارض وكانت معجبة رائقة المنظر أى وهو نظير تسمى الناطق من غير مدللة فى طلب الدنيا
 أى وهو نظير لا ذلول تثير الارض مسلمة من دنسها الاشياء لا علامة بها من قبائحها بحيث يصل
 أثره أى الذبح الى نفسه فصياحيا طيبة ويعرب عابه بنكشاف الحال ويرتفع ما بين العقل
 والوهم من التدارؤ والتزاع أى لان العقل يأمر بالخير والوهم يأمر بالشهوات (ثم تست
 قلوبكم) أيها اليهود أى ضلت عن قبول الحق لان القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى
 الحجر وقساوة القلب مثل فى بعده عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة عن الاحياء لا للتراسخ فى
 الزمان بل للاستبعاد مجازا القرينة ما قبلها بمعنى أنه يبعد من العاقل قسوة القلب بعد ظهور تلك
 الآية العظيمة (من بعد ذلك) المذكور من احياء القتل وما قبله من الآيات فان ذلك مما
 يوجب ان القلب (فهى كالحجارة) فى قسوتها قرأ قالون وأبو عمرو والكساف بسكون الهاء
 والباقون بكسرهما (أو أشد قسوة) من الحجارة وقيل أى بمعنى الواو كقوله تعالى مائة ألف
 أو يزيدون وانما يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لان الحديد قابل للثقل فانه يلين بالنار
 وقد لا نداد عليه الصلاة والسلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال
 (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) أى من بعض الحجارة وقيل أراد به الحجر الذى كان يضرب
 عليه موسى للاسباط (وان منها لما يشقى) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الشين (فيخرج منه الماء)
 أى يمينا دون الانهار (وان منها لما يهبط) أن ينزل من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله)
 وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تنشع يامعشر اليهود (فان قيل) الحجر جراد لا يفهم فكيف يخشى
 (أجيب) بأن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه قال البغوى ومذهب أهل السنة أن الله
 تعالى علم فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح كما
 قال جل تذكروا من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
 وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر الآية فيجب
 على المرء الايمان به وبكل غله الى الله سبحانه وتعالى روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على

شبروا الكفار بطلعونه فقال الجبل انزل عني فاني أخاف أن تؤخذ على قيعاقبي الله بذلك
 فقال له جبل حرالى الى يارسول الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف
 حجرا بكم كان يسلم على قبل أن أبعث وانى لاعرفه الا ن وروى عن على أنه قال كأمع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بكم فرحنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يتر
 بشجر ولا جبل الا قال السلام عليك يارسول الله وروى عن جابر أنه قال كان النبي صلى الله
 عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه
 اضطربت تلك السارية وحنت كحن الناقة حتى معها أهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعتنقها فسكنت وقال مجاهد لا ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله
 ويشهد لذلك قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
 (وما الله بغافل) أى بساء (عامة ملون) وعبد وتهديد وقيل ببارك عقوبة ما تعملون بل
 يجازيكم به وقرأ ابن كثير بالباء على الغيبة والباقون بالياء على الخطاب (أقنطمعون) أى
 أقبرجون أى المؤمنون (أن يؤمنوا) أى اليهود (لكم) أى لاجل دعوتكم أو يصدقكم
 بما تصبرونهم به (وقد كان فريق) أى طائفة (منهم) أى أحبارهم (يسمعون كلام الله) أى
 التوراة (ثم يحرفونه) يغيرونه كعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل هؤلاء من السبعين
 المختارين الذين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله
 يقول في آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء ففعلوا وان شئتم فلا تفعلوا (من بعد ما عقلوه)
 أى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبه (وهم يعلمون) أنهم مقفرون والهزلة لانكار أى
 لا تطمعوا فى ايمانهم فلهزم سابقه فى الكفر (واذا القوا) أى منافقوا اليهود (الذين آمنوا قالوا
 آمنا) بأنكم على الحق وأن رسولاكم هو المبشر به فى التوراة (واذا خلا) أى رجع (بعضهم الى
 بعض قالوا) أى رؤساؤهم الذين لم ينافقوا ككعب بن الاشرف وكعب بن أسد وهب بن يهودا
 لمن نفاق (أتحدونهم) أى المؤمنين (بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التوراة من نعمت محمد
 صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم) أى ليضاصوكم (به عند ربكم) أى بما أنزل ربكم فى كتابه ويقعروا
 عليكم الحجة فى ترك اتباعه مع علمكم بصدقه جهلوا بمحاجتهم بكذب الله محاجة عند الله كما يقال
 عند الله كذا ويراد به أنه فى كتابه وحكمه وقيل بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم فى الآخرة
 وقوله تعالى (أفلا تعقلون) أمان تمام كلام اللاتمين وهم خلص اليهود وتقديره أفلا تعقلون أنهم
 يحاجونكم فيجوزونكم وأمان خطاب الله للمؤمنين متصل بقوله تعالى أقنطمعون والمعنى
 أفلا تعقلون حالهم وأنه لا مطمع لكم فى ايمانهم (أو لا يعلمون) أى اللاتئون أو المنافقون أو كلاهما
 (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) من اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاها ما فتح الله
 عليهم واظهاره غيره وغير ذلك فغروا عن ذلك (ومنهم) أى اليهود (أقمنون) أى عوام جهلة
 (لا يعلمون الكتاب) أى لا يعرفون التوراة أو الكتاب فيطالعوا التوراة وينصفقوا ما فيها وقوله
 تعالى (الأماني) استثناء منقطع أى لكن كاذيب تلفوها من رؤسائهم فاعتدوها

(وانهم) أى ما هم (الا قوم) (يظنون) ظنا لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد وكلائع عن الحق بسبب شبهة قامت عنده (فويل) أى وادى جهنم كما رواه الترمذى قال سعيد بن المسيب لو سببت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو شدة العذاب (للذين يكتبون الكتاب) أى المحرف من التأويلات الزائفة وقوله تعالى (بأيديهم) تأكيد لقولك كتبه بيمنى (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) من الدنيا وهم اليهود وغير واصله النبي صلى الله عليه وسلم فى التوراة وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل الله فكانت صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة لكل العينين ربعة بهذا الشعر حسن الوجه فكذبوها طويلا أزرق العينين سبط الشعر وغير آية الرجم بالجلد والتحميم أى تسويد الوجه (فويل لهم عما كتبت أيديهم) من المحرف (وويل لهم عما يكتبون) من الرشا (وقالوا) أى اليهود لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم النار (إن نكسنا) أى نصيبنا (النار إلا أياما معدودة) محصورة قليلة روى أن بعضهم قالوا نعذب بعد أيام عبادتنا المجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما واحدا ثم تقطع العذاب بعد سبعة أيام (فان قيل) لم وصف الامام مع انهما جامع بالمفرد (أجيب) بأنهما فى معنى الجماعة فتكون مفردا تقدير اولان جمع القلة كما قاله الرضى فى حكم المفرد فى وصف بالمفرد كما هنا ويوصف المفرد به كفى قوله تعالى نطفة أمشاج وقيل الامشاج مفرد وعلى هذا فلا إشكال ثم كذبهم الله تعالى بقوله (قل) لهم يا محمد (أتخذتم) حذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم باظهار الذا ل عند التاء والباقون بالادغام (عند الله عهدا) أى ميثاقا منه بذلك وقوله تعالى (فلن يخلف الله عهده) جواب شرط مقدرا أى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبر الله تعالى محال (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم امانقطعة بمعنى بل أنقولون على التقرير والتقريع واما عدالة بهمزة الاستفهام بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التبرير للعلم بوقوع أحدهما وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه من مساس النار لهم فان بلى وبلى حرفا استدراكا ومعناه ما نفي الخبر الماضى واثبات الخبر المستقبل أى بل نكسكم وتخلدون فيها (من كسب سيئة) أى قبيحة (واحاطت به خطيئته) وثرا نافع وحده خطيا آتة بالجمع أى استولت عليه وشملت جميع أحواله حتى صار كالحطاط بها لا يتجاوز عنها شئ من جوانبه وهذا الغنى يصح فى شأن الكافران وغيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه لم يخط الخطيئة به ولذلك فسرهما السلف بالكفر وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة أن يصير عليها لأن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانه ماله فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بجماع قلبه فيصير بطبعه ما مثلا الى المعاصى مستغنىا باها معتقدا أن لا ذنبا سواها مفضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله الآتية والفرق بين السيئة

والخطيئة ان السبيته قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانهم من
الخطا والكسب استجاب النفع وتعليقه بالسبيته على التمسك كقوله تعالى فيشره بعدذاب اليم
(فأولئك أصحاب النار) أي ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازموا أسماهم في الدنيا
(هم فيها خالدون) أي داغون روعى فيه معنى من والآية كما ترى لاجتماعها على خالد صاحب
الكبيرة لانها في الكافر كما مر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون) جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعده لترجي رحمة ويخشى عذابه
* (تنبيه) * عطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه (و) اذكر (أذا أخذنا مناسك
بنى اسرائيل) في التوراة وقلنا لهم (لا تعبدون الا الله) هذا اخبار في معنى التهي كقوله تعالى
ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح التهي لما فيه من ايهام ان التهي مسارع الى
الاتهام فهو مخبر عنه وقرأ ابن كثير وحجة والكسائي بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
الخطاب (وبالوالدين احسانا) أي برأيهما وعطفا عليهما ووزولا عند أمرهما فاما لا يخالف
أمراته تعالى قال البيضاوي وهذا متعلق بضمير تقديره وتحسنون أو أحسنوا انتهى ويلزمه
ان احسانا في الآية منصوب على المصدر المؤكد لعماله الم حذف مع ان حذف عامل المؤكد
ممنوع أو نادر وقوله تعالى (وذى القربى) أي القرابة (واليتامى والمساكين) عطف على
الوالدين ويتامى جمع يتيم وهو الطفل الذى لأب له كندم وندى وهو قليل ومسكين مفقيد
من السكون كان الفقرا سكنه (وقولوا للناس حسنا) من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصدق في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والرفق بهم وقيل هو اللين في القول والمعاشرة بحسن
الخلق وقرأ أحمزة والكسائي بفتح الحاء والسين والباقون بضم الحاء وسكون السين مصدر
وصف به مبالغة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال البيضاوي يريد أي الله بهم ما فرض عليهم
في ملتهم (ثم توليتهم) في هذا التفات عن الغيبة قال البيضاوي ولعل الخطاب مع الموجودين
منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن المشاف
ورفضتموه (الا قليلا منكم) أي وهو من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم
(وأنتم) قوم (معرضون) أي عاذتكم الاعراض عن المواثيق والتولية كأعراض آبائكم
(و) اذكروا (أذا أخذنا مناسككم) وقلنا (لا تسفكون دماءكم) أي تريقونها يقتل بعضهم بعضا
(ولا تحرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يخرج بعضهم بعضا من داره وانما جعل غير الرجل
نفسه لاتصاله به نسباً أو ديناً وقيل لاتفعولوا ما يريدكم وبصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل
في الحقيقة ولا تقترعوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي (ثم أقررتهم)
بهذا العهد أنه حق وقبلتم (وأنتم تشهدون) على أنفسكم هذا أو كيد كقولك أقر فلان شاهدا
على نفسه وقيل أنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار أسلافكم فيكون اسناد الاقرار
اليهم مجازا (ثم أنتم) يا هؤلاء تقتلون أنفسكم) فيه استبعاد لما ارتكبهوه بعد المشاف والقرار
والشهادة عليه أي ثم بعد ذلك يقتل بعضهم بعضا (وتخرجونهم من ديارهم

تظاهرون قرأعاصم وحزرة والكسائي بخفيف الظاء والباقون بتشديدها أي تعاونون
عليهم بالانتم أي المعصية (والعدوان) أي الظلم (وان يأتوكم أسارى) قرأ حمزة بفتح
الهمزة وسكون السين ولا ألف بعد السين والباقون بضم الهمزة وفتح السين والف بعدها
(تفدوهم) قرأعاصم والكسائي بضم التاء وفتح الفاء وألف بعدها والباقون بفتح
التاء وسكون الفاء ولا ألف بعدها أي تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وقوله تعالى (وهو)
أي الشأن (محترم عليكم أخراجهم) متعلق بقوله تعالى وتخرجون فريقامنكم من ديارهم
وما بينهما اعتراض ومعنى الآية قال السدي إن الله أخذ علي بن إسرائيل في التوراة
أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم
وأعما عبداً وأمة رجدة في بني إسرائيل فاشترى بها قدام من غنمه وأعتقه ووكنت قريظة
حالفوا الأوس وحالقت النضير الخرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم
ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا سئلوا لم يقتلونيهم وتقذوهم قالوا أمرنا بالبقاء
فيقال فلم تقتلونيهم فيقولون حياءً أن يستندل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى بقوله (أقذونون
بعض الكتاب) وهو النضراء (وتكفرون بعض) وهو ترك القتل والاخراج والمظاهرة
(فأجزاء من يفعل ذلك منكم الأخرى) أي هوان وعذاب (في الحياة الدنيا) فكان خزي
قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم إلى أذرع وأربعمائة
الشام (ويوم القيامة يدون إلى أشد العذاب) أي عذاب جهنم وانما رد من فعل منهم ذلك إلى
أشد العذاب لأن عصيانه أشد (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ نافع وابن كثير وشعبة بالياء
على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (أو لتسك الذين اشتروا) أي استبدلوا (الحياة الدنيا
بالآخرة) بأن أثروها عليها (فلا يخفف عنهم العذاب) في الدنيا بنقصان الجزية والتعذيب
في الآخرة (ولا هم ينصرون) أي يدفعها عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي
التوراة جله واحدة (وقد بينا من بعده بالرسول) أي آتيناهم رسولاً في أثر رسول كقوله تعالى
ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال ثقاه إذا اتبعه آياه (وآتيناه عيسى بن مريم البينات) أي المعجزات
الواضحة كحياه الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأخبار بالغيبات أو الأنجيل وعيسى
بالعبرانية إيشوع ومريم بمعنى الخادم (وأيديناه) أي قويناه (بروح القدس) قرأ ابن كثير
باسكان الدال حيث جاءوا لباقون بعضهم وهذا من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح
المقدسة وهو جبريل وصف به لطهارته وتأييده أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى يصعده
إلى السماء وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
أولاً لأنه لم يفسده الاصلاح والارحام الطوامث أي الحبض وقيل اسم الله الأعظم الذي كان
يحوي به الموتى ولما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام قالوا يا محمد لا مثل عيسى
كما تزعم عمت ولا كما تنقص عليهما من الأنبياء فقلت فأتينا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً فقال الله
تعالى (أنفكاهما جاءكم) يامعشر اليهود (رسول بما لاتهمون) أي تحب (أنفسكم) من الحق

وقوله تعالى (استكبرتم) أى تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ
 (فريقا) أى طائفة (كذبتم) كوى وعيسى عليهما الصلاة والسلام والغا والسبيبة الاستكبار
 للكذب أو التنصّل (وفريقا يقتلون) كركيا ويحيى عليهما السلام (فان قيل) هلا قال وفريقا
 قتلتم (أجيب) بأنه انما ذكر بلفظ المنارع على حكاية الحال الماضية استحضار الها في النفوس
 فان الامر قطيع ومرعاة للفواصل قال الزمخشري أو ان يراد وفريقا يقتلونهم بعد أى
 الآن لانكم درتم حول قتل محمد لولا انى أعصمهم منكم ولذلك هرعوه وسعته له الشاة وقال
 صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت أكلة خبيرتعا ودنى فهذا أو ان قطعت أهرى (وقالوا) للنبي
 صلى الله عليه وسلم استهزاء (قلوبنا غلف) جمع غلف أى مغشاة بأغشية لا يتوصل اليها ما جئت به
 ولا تفقههم مستعار من الغلف الذى لم يحتم كقولهم قلوبنا فى أكنة عمائدونا اليه وقيل أصل
 غلف بالسكون غلف بالضم تخفف والمعنى انها أوعية العلم لا تسمع علما الا وعة ولا تقي ما تقول
 أى فى قوله ليس يعلم أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره ثم ردا لله تعالى عليهم أن تصكون
 قلوبهم كذلك بقوله تعالى (بل) للاضراب (لعنهم الله بكمفرهم) أى بسبب كفرهم والمعنى انها
 خلقت على الفطرة والعكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استدعادهم
 كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفره ملعونون فمأين لهم دعوى العلم والاستغناء
 عنك (قليل ما يؤمنون) ما مزيدة لتأكيد القلة أى ايمانهم ايمان قليل جدا وهو ايمانهم
 ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) هو القرآن (صدّق
 لما معهم) من كتابهم وهو التوراة لا يخالفه (وكانوا) أى اليهود (من قبل) أى من قبل مجيئه
 (يستفتحون) أى يستنصرون (على الذين كفروا) أى مشركى العرب اذا قابلوهم ويقولون
 اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث فى آخر الزمان الذى نبخد صفته ونعته فى التوراة ويقولون
 لا عدا ثم من المشركين قد أطل زمان نبي يخرج بتصدق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
 (فلما جاءهم) أى اليهود (ما عرفوا) من الحق وهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به)
 حسدا أو خوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه جواب لما الثانية (فلعنة الله) أى
 عذابه وطرده (على الكافرين) أى عليهم وانما أتى بالمظهر للدلالة على انهم لغوا الكفرهم
 فتكون اللام للهدو ويجوز أن تكون للعموم ويدخلون فيه دخولا أوليا أو قصديا لانهم
 المقصودون بالذات وتناول الكلام لغيرهم على سبيل التسع فهو كما اذا طمك انسان فقلت
 ألعنة الله على الظالمين كان ذلك الظالم أوليا أو مقصودا فى الدعاء والباقون تبعوا (بئس
 ما اشتروا) أى باعوا (به أنفسهم) أى حفظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئا ممية لفاعل بئس
 المستكن أى بئس الشيء شيئا اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم (أن يكفروا) أى كفرهم
 بما أنزل الله من القرآن (بغيا) أى حسدا وطلب لما ليس لهم وهو علة يكفروا كما قال
 البيضاوى دون اشتروا وان فالة الزمخشري لفصل المخصوص بين بغيا الذى هو العلة وبين
 العلول وهو اشتروا وحسدهم على (أن ينزل الله من فضله) أى الوحي (على من يشاء) للرسالة

(من عباده) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون نون بنزل وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى (فبأولاً) أى رجعوا (بغضب على غضب) أى مع غضب واختلف في معنى ذلك فقال ابن عباس ومجاهد الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي الأول كفرهم بعبادة الجبل والثاني الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة الأول بكفرهم بهيسى والانييل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وللكافرين عذاب مهين) أى ذوا هانة بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) من القرآن وغيره فيعم سائر الكتب المنزلة (قالوا فمن بما أنزل علينا) أى التوراة يكفيننا ذلك (ويكفرون) الواو والهمال (بما رواه) أى بما سواه من الكتب كقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك أى سواه وقال أبو عبيدة بما بعده أى من القرآن وقوله تعالى (وهو) أى ما رواه (الحق) حال وقوله (مصدقاً) لما معهم) أى من التوراة حال ثانية مؤكدة تضعف رد مقالهم فانهم كفروا بما وافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض الله تعالى عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة بقوله تعالى (قل) لهم يا محمد (فلم تقتلون) أى قتلتم (أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين) بالتوراة والتوراة لا تسوغه بل نهيت فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما فعل آبائهم لرضاهم به وعزمهم عليه قرأناه وحده أنبياء الله بالهمز في كل القرآن والباقون بالبدل وليس لورش إلا المت فقط لأنه متصل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى الآيات السبع في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كالعصا واليد وقلق البحر) ثم اتخذتم الجبل (أى الها) (من بعده) أى من بعده زهابه إلى المقات وقوله تعالى (وأنتم ظالمون) أى بالتأخذه حال أى اتخذتم الجبل ظالمين بعبادته أو بالاخلال بآيات الله واعتراض أى وأنتم عادة تهمكم الظلم (وإذا أخذنا ميثاقكم) على العمل بما في التوراة (وقد رفعنا فوقكم الطور) أى الجبل حين امتنعتم من قبولها يسقط عليكم وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أى بجد واجتهاد (واسمعوا) ما تؤمرون به بسمع قبول (قالوا سمعنا) قولك (وصينا) أمرك وقيل سمعنا بالآذان وصينا بالقلوب قال أهل المعاني أنهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا بالآذان وتلقوه بالعصيان نسب ذلك إلى القول اتساعاً (وأشربوا في قلوبهم الجبل) أى خالط حبه قلوبهم كما يتدخل الشراب أحماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انغمياً كما كون في بطونهم ناراً (فأنته) قال البغوي في القصص أن موسى عليه السلام أمر أن يرد الجبل بالمبرد ثم يذره في النهر وأمر بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب الجبل ظهرت بهالة الذهب على شارب به (بكفرهم) أى بسبب كفرهم وذلك أنهم كانوا بحسمة أو حلولة ولم يروا جسماً أعجب منه فمكّن من قلوبهم ما سألهم السامري (قل) لهم يا محمد (بسماء) أى شيئاً (يا أمر كه بآيمانكم) بالتوراة عبادة الجبل وإضافة الأمر إلى إيمانهم تمهمكم كما قال قوم شعيب أصلوا نك نامرك وكذلك إضافة الإيمان إليهم في قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) بعبادة الجبل (قل) لهم (ان

كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) أي خاصة (من دون الناس فموتوا الموت ان كنتم
 صادقين) في قولكم وذلك ان اليهود ادعوا دعوى باطلة مثل قولهم لن نخسنا النار الا بما
 معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله وأحبواؤه فمكذبهم الله عز وجل
 وأزعمهم الباطل فقال قل لهم يا محمد ذلك لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها وتغنى سرعة
 الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المشرىين بالجنة رضى الله
 تعالى عنهم فقد كان على رضى الله تعالى عنه يطوف بين الصفيين في غلالة فقال له ابنه الحسن
 ما هكذا نرى المحاريين فقال له يا بني لا يسالى أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن
 حذيفة انه كان يتغنى الموت فلما احتضر قال حبيب أي الموت جاء على فاقة أي وقت حاجتى اليه
 وقيل بل أراد بالحبيب لقاء الله لا أفلح من ندم يعنى على التفتى أراد به أنه كان يتغنى الموت وما ندم
 على التفتى حين جاء الموت وقال عمار بصفيين الآن الاقى الاحبة بمحمد ورحبه وكان كل واحد من
 العشرة يحب الموت ويحس اليه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لو تمنوا الموت لخص كل انسان منهم بريقة فأت مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى
 الامات * (تنبيه) * خالصة نصها على الحال من الدار ومن الضمير في خبر كان العائد الى الدار
 وتعلق بموتوا الشرطان على ان الاول قيد في الثاني (ولن يتموه أبدأ بما قدمت أيديهم) من
 موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع
 الكفر والعصيان ولما كانت البدع العاملة محتصة بالانسان آلة لقدرة بهامة صنائعه
 ومنها أكثر منافعها عن النفس تارة كما هنا وعن القدرة أخرى كما في قوله تعالى يد الله
 فوق أيديهم وهذا الجملته اخبار بالغيب وكان أخبر به كقوله تعالى ولن تفعلوا (فان قلت)
 من أعلم أنهم لم يتموا (أجيب) بأنهم لو تمنوا النقل ذلك كان نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من
 أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاع في الاسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل ذلك
 (فان قيل) التفتى من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد دفن ابن عمات أنهم لم يتموا
 (أجيب) بأن التفتى ليس من أعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه لبتلى كذا اذا قاله
 قالوا تفتى وليت كلمة تفتى ومحال أن يقع التصدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التفتى بالقلوب
 وقنوا قالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا لم ينقل انهم قالوا ذلك (فان قيل) لم يقولوه لانهم علموا أنهم
 لا يصدقون (أجيب) بأنه كم حكى عنهم من أشياء قالوا لو اباها المسلمين من الاقتراء على الله
 وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا عمل له الا الكذب الصرف
 ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا ان التفتى من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن
 يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يحبر عن نفسه بالايان فيصدق
 مع احتمال أن يكون كاذبا لانه أمر خفى لا سبيل الى الاطلاع عليه (والله عالم بالظالمين) أي
 الكافرين فيجازيهم في ذلك فيه تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه
 عن هولهم (ولتجذبهم) اللام لام القسم والنون نأ كيدا القسم تقديره والله لتجذبهم يا محمد

أى اليهود (أحرص الناس على حياة) هو من وجد بمعنى علم المتعدى الى مفعولين ومفعولاه
 هم أحرص (فان قيل) لم قال على حياة بالتسكير (أجيب) بأنه أريد حياة مخصوصة هي فرد
 من افرادها وهي الحياة المتطاولة (و) أحرص (من الذين أشركوا) أى المنكرين البعث عليها
 عليهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لأنكارهم له (فان قيل) ألم يدخل الذين أشركوا تحت
 الناس (أجيب) بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد وفيه توبخ عظيم لأن الذين أشركوا
 لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فإذا زاد
 عليهم فى الحرص من له كذب وهو مقترب بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ (وذكر) تنفى (أحد) هم
 لويهم ألف سنة (لومصدرية بمعنى أن وهي بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يود يقول الله تعالى
 اليهود أحرص الناس على الحياة من الجحوس الذين يقولون ذلك لأن تعمية الجحوس فيما بينهم
 عش ألف سنة (وما هو) أى أحد هم (بجز حزمه) أى مبعده (من العذاب) أى النار وقوله تعالى
 (أن يعمر) فاعل من حزمه أى تعميده (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم به * وسأل عبد الله بن
 صور يارسول الله صلى الله عليه وسلم عن نزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدو ناعادنا من أرا
 وأشدّها انه لما نزل على نبينا أخبرنا أن بيت المقدس سيخرب به مختصراً وخبرنا بالحين الذى
 يجي فيه فلما كان وقته بعثنا رجلاً من بني إسرائيل فى طلبه ليقبضه فأنطلق حتى لقيه بابل غلاماً
 مسكيناً فأخذه ليقبضه فدفن عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمر به لا تكلم فلا يسلطكم عليه
 والأقبم تقتلونوه وكبر مختصراً وقوى فنزل (قل) لهم (من كان عدوا لجبريل) روى انه كان
 لعمر رضى الله تعالى عنه أسره بأعلى المدينة وكان حمزة على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم
 ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحبينك وأنا لنطمع فيك فقال والله ما أحبكم لحبكم
 ولا أسألكم لاني سألك فى ديني وانما أدخل عليكم لأزدد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم
 وأرى آثاره فى كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذلك عدو لنا يطلع محمد على أسرارنا وانه
 صاحب كسل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام أى السلامة فقال عمر
 وما منزلتهما من الله فالو اجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما ماعداة فقال لئن كان
 كما تقولون فليس بعدد قوين أى لقرب منزلتهما عند الله ولا فتم أكفر من الجبريل لأن الكفر
 نتيجة الجهل والبلادة والحار مثل فيهما ومن كان عدواً أحدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع
 فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال عليه الصلاة
 والسلام لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقال
 مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدو لانه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا ومعنى
 جبريل عبد الله فجبر هو الله وابل هو العبد وقرأ جزءة والكسائي بفتح الجيم والراء وهمز بعد الراء
 مكسورة مدودة أى بعد هاء الظنية وقرأ شعبة كذلك الا انه حذف الباء بعد الهمزة وكسر الراء
 والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء الا أن ابن كثير فتح الجيم ومنع الصرف فيه
 لتعريف والهمزة (فانه) أى جبريل (نزل) أى القرآن ونحو هذا الاضمار أعنى انهم ارموا

يسبق ذكره فيه نخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى
عن اسمه الصريح يذكر شئ من صفاته (على قلبك) يا محمد وقوله تعالى (ياذن الله) أى بأمره حال
من فاعل نزل (مصدقاً) أى موافقاً (لما بين يديه) لما قبله من الكتب (وهدى) من الضلالة
(وبشرى) بالجنة (للمؤمنين) هذه أحوال من مفعول نزل وجواب الشرط فانه نزل
والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع وبقة الانصاف أو كفر بجماعه من الكتاب بعداداته اليك
لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتاباً مصدقاً للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علقه مقامه أو
من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل الجواب محذوف مثل فليت غيظاً وفيه
عدوى وأناعده كما قال تعالى (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله
عدو للكافرين) والمراد بعبادة الله مخالفته عناداً ومعاداة المقرين من عبادته وصدر الكلام
بذكره تعالى نفخيمه الشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه (فان قيل) لم أفرد
الملكين بالذكرة مع دخولهما في الملائكة (أجيب) بأن ذلك لفضلهما فكانا من جنس آخر
وهو مما ذكرنا التباين في الوصف ينزل منزلة التباين في الذات وبان المحاجة كانت فيهما
والواو فيها معنى أو يعنى من كان عدواً واحداً لآخرين بالواحد كافر بالكل وقدم جبريل
لشرفه وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لان عداوة الرسل بسبب نزول الكتب
ونزولها بتبديل الملائكة وتقرى بهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب قرأ أبو عمرو
وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الالف واللام وقرأ نافع بهمزة بعد الالف ولا ياء بعد الهمزة
والباقون بهمزة بعد الالف وياه وهم على مراتبهم في المدة ونزل في ابن صوري لما قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية أى زائدة ففتبعك (ولقد أنزلنا اليك)
يا محمد (آيات بينات) وأصحاحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها
الافلاسقون) أى المزدنون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
أعظميته كأنه متجاوز عن حده (أو كلما عهدوا عهداً) الهمزة للانكار والواو عاطف على
محذوف تقديره أكثر وبالآيات وكما عهدوا الله عهداً على الايمان بالنبي أو ان خرج النبي
أن لا يعاينوا عليه المشركين وقوله تعالى (تبذه) أى طرحه (فريق منهم) أى اليهود بنقضه
جواب كياره ومحل الاستفهام الانكارى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض وقوله تعالى (بل)
للانتقال (أكثرهم لا يؤمنون) رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وقوله تعالى (ولما جاءهم رسول
من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدقاً لهم) من التوراة تنبذ فريق من الذين آمنوا
الكتاب كذاب الله أى التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفرهم فيها بصدقه وتبذنا
فيها من وجوب الايمان بالرسول المؤيد بالآيات وقيل كذاب الله هو القرآن تنبذوه بعدما أزمهم
نلقيه بالقبول وقوله تعالى (ورأى ظهورهم) أى لم يعملوا بما فيها من الآيات بالرسول وغيره مثل
لاعرضهم عنه بالكلمة بالاعراض عما يرى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه (كانهم لا يعلمون)
ما فيها من أنه نبي حق وأفيه شك يعنى ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كبروا وعاندوا وعن سفيان

ادرجوه في الدياج والحسير ورجلوه بالذهب ولم يحاول احلاله ولم يحترقوا حرامه وقوله تعالى
 (واتبعوا) عطف على نبذ (ماتلوا) أي ماتلت (الشياطين) والعرب تضع المستقبل موضع
 الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل ما كانت تتلوا أي تقرأ (على) عهد (ملك سليمان)
 من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوه
 وقالوا للناس انما ملككم سليمان به ذاقوا طوله فاما على بن اسرائيل وصلحاهم فقالوا معاذ الله
 ان يكون هذا من علم سليمان عليه الصلاة والسلام واما سفلاؤهم فقالوا هذا علم سليمان
 وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وبقيت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث
 الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي
 كانت الشياطين تسترق السمع فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت وغيره
 فيأتون الكهنة ويخطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتب الناس
 ذلك وفشا في اسرائيل أن الحسن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب
 فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا أجمع أن أحد يقول ان الشياطين تعلم الغيب
 الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب
 وخلف من بعدهم خلف غفل شيطان على صورة انسان فأقن نفر من بني اسرائيل فقال هل
 أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا نعم قال فاحضروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم
 المكان وأقام ناحية فقالوا ادن فقال لا ولكن ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن
 أحدهم من الشياطين يدنون من الكرسي الا حترق فحفرها وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان
 ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا في الناس
 أن سليمان كان ساحرا وأخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر
 في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله سليمان من ذلك وأنزل تكذيبا لمن زعم ذلك
 واتبعوا ماتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) أي لم يعمل السحر وعبر عنه
 بالكفر ليدل على أنه كفر اذا استعمله واحتج فيه الى تقدم اعتقاد كفر هذا مذهب الشافعي
 وعند أحمد يكفر مطلقا (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه وقرأ
 ابن عامر وحجرة والكسائي بكسر النون من ولكن مخفة ورفع نون الشياطين والباقيون نصب
 النون من ولكن مشددة ونصب نون الشياطين (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم
 واضلالهم والجله حال من ضمير كفروا * (تنبيه) * السحر لغة صرف الشيء عن وجهه يقال
 ما سحره عن كذا أي ما صرفه عنه واصطلاحا حراولة النفوس الخبيثة لاقوال وأفعال يترتب
 عليها أمور شرارة للعادة * واختلف فيه هل هو تخيل أو حقيقة قال بالاول المعتزلة واستدلوا
 بقوله تعالى يحيل اليه من صهرهم أنها تسمى وقال بالثاني أهل السنة ويدل لذلك الكتاب والسنة
 الصحيحة والساحر قد يأتي بفعل أو قول يتغير به حال المسحور ففرض أو عوت منه ويفرق به
 بين المرء وزوجه ويحرم تعليمه أو تعلمه قال امام الحرمين ولا يظهر السحر الا على يد فاسق ولا تظهر

الكرامة على يد فاسق ويحرم أيضا تعليم أو تعلم الكهانة في التجسيم والضرب بالرمل واليهوى
والشعر والشعيرة ويحرم إعطاء العوض أو أخذها عنها بالنقص المرص في حلوان الكاهن
والباقي بعناه والكاهن من يخبر بواسطة النجم عن المغيبات في المستقبل بخلاف العزاف فإنه
الذي يخبر عن المغيبات الواقعة كعين السارق ومكان المذموق والضاالة قال في الروضة
ولا يفتخر بجهالة من تعاطى الرمل وإن نسب إلى علم وأما الحديث الصحيح كل من الأنبياء
يخطئ في أفق خطه فذا لقناه من علمته موافقته له فلا بأس ونحن لانعلم الموافقة فلا يجوز لنا
ذلك وقول البيضاوي وأما ما يتجرب منه كما يفعله أصحاب الجبل بمعونة الآلات كالادوية
أو يريه صاحب خفة اليد في مضموم وتسميته سحر أعلى التجويز لما فيه من الدقة لأنه أي السحر
في الأصل أي اللغة لما خفي سببه مردود بل هو مذموم أي حرام كما صرح به النووي في الروضة
وغيرها وقوله تعالى (وما أنزل على الملئكين) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملئكين
وقيل عطف على ما تلاه أي واتبعوا ما أنزل أي ما ألهما وتعلماه من السحر فالإنزال بمعنى
الإلهام والتعليم قال البيضاوي وهما لما كان أنزلا لتعليم السحر ابتلا من الله للناس وتمييزا
بينه وبين المجهزة قال وماروى أي في كتب السير أنهم ما من لا بشرين وركب فيهما الشهوة
فتمترضا لأمرة يقال لها زهرة فخلطت ما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت
منها فعكس عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحده أي الرمز أو ماروى لا يخفى على ذوى
البصائر اه قال شيخنا شيخ الإسلام زكريا بأن يقال عبر عن العقل والنفس المطمئنة بالملئكين
وعن النفس الأمارة بالسوء بالزهوة وعن مفارقتها بالموت بالصعود إلى السماء وقيل هما جلالان
سماويان ملئكين باعتبار صلاحهما وقيل ما أنزل في معطوف على ما كثر تكذيب اليهود في هذه
القصة وقد طول البغوي في هذه القصة واعتمد ما رده البيضاوي وقال شيخنا المذكور عن
شيخه ابن حجر أن طرقات تفيد العلم بصحتها فقد رواها هريرة فوعة الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي
وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم بأسانيد صحيحة والبيضاوي لما
استبعد ما روى ولم يطلع عليه قال ولعله الخ وقوله تعالى (ييا بابل) ظرف أو حال من الملئكين
أو الضمير في أنزل وهي بلد في سواد العراق وقوله تعالى (هاروت وماروت) بدل أو عطف بيان
للملئكين ومنع صرفهما للعلمية والهجية ومن جعل ما فيها أنزل نافية أبدا هاروت وماروت من
الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض (وما يعلمان) أي الملئكان (من أحد) أي أحد أو من
صلة (حق) ينصحاو (يقولان) (انما نحن قننة) أي ابتلاء من الله تعالى للناس لاختبرهم بتعليقه
وأصل القننة الاختبار والامتحان من قولهم قننت الذهب والقننة إذا أثبتتها بالنار لتمييز الجيد
من الردي وانما وحده القننة لانها مصدر والمصدر لا تثنى ولا تجمع (فلا تكفر) بتعليقه أي فلا
تخلعه معتقدا حله فتكفر على ما تقدم فان أبي الالعلم علمه قبل انهم يقولان انما نحن قننة
فلا تكفر سبع مرات قال عطاء والسدي فان أبي الالعلم قاله أنت هذا الرما د قبل عليه
فيخرج منه نور باطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه

وذلك غضب الله تعالى وعلى القول بأنهم جاحلان فلا يعلمانه حتى يقولوا له انما نمتون ان فلا تكن
 مثلنا (فيقولون منهما) الضحى لم ادل عليه من أحد أى فيتعلم اليأس من الملكين (ما) أى
 سحرا (يفترقون به بين المرء وزوجه) بأن يغض كلامهما فى الآخرة بسبب حيلة أو غو به كالفث
 فى العدة ويحذو ذلك مما يحدث الله تعالى عنده الفراق ان لا يمتنه لأن السحر له أثر فى نفسه
 بدليل قوله تعالى (وما هم) أى السهرة (بضارين به) أى السحر (من أحد) أى أحد او من صلة
 (الآباذن الله) أى ارادته لان الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بارادته تعالى (ويؤمنون ما يضرهم)
 فى الآخرة (ولا ينفعهم) وهو السحر لانهم يقصدون به العمل أو لان العلم يجزى الى العمل غالباً
 (ولقد) اللام لام القسم (علوا) أى اليهود (المن) اللام لام الابتداء علققت علوا عن العمل ومن
 موصولة (اشتره) أى استبدل ما اتوا الشياطين بكتاب الله تعالى (ماله فى الآخرة من خلاق)
 أى نصيب فى الجنة (وليس ما) أى شيا (شروا) أى باعوا (به أنفسهم) أى الشارين أى خطيئتها
 من الآخرة أن يتعلموه حيث أوجب لهم النار (لو كانوا يعلمون) حقيقة ما يصيرون اليه من
 العذاب ما تعلموه (وقيل) معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم فان لم يعمل بما علم ~~كان~~ كمن لم يعلم
 (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بالنبي والقرآن (واتقوا) عقاب الله بترك معاصيه كنبذ كتاب الله
 تعالى واتباع السحر وجواب لو محذوف أى لا يبيد اول عليه (لثوبه) أى ثواب وهو مبتدأ
 واللام فيه للقسم وقوله تعالى (من عند الله خير) خبره أى خير مما اشتروا به أنفسهم
 (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله تعالى خير مما أتروه عليه فجعلهم الله تعالى لترك التدبر والعمل بالعلم
 (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) للنبي صلى الله عليه وسلم (راعنا) أمر من المراجعة وكانوا يقولون
 ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين وكانت كلمة يمسبون بها
 عبرانية أو سريانية وهو راعنا قالوا فيما بينهم كأنس محمد اسراً فأعلنوا به الا ن كانوا يأتون
 ويقولون يا محمد راعنا وهم يعنون به تلك المسبة ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ فقطع لها
 وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتم
 من أحسنكم بقولها الرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنقه فقالوا أو لمستم تقولونها
 فأمر الله تعالى النبي عن ذلك لئلا يجحد اليهود بذلك سبيلاً الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأمر وأجما هو فى معناها وهو قوله تعالى (وقولوا انظرونا) أى انظر البنا وقبل اسمع منا قاله مجاهد
 وقبل لا تعجل علينا قاله ابن زيد (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول لا كسماع اليهود حيث قالوا
 سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجملة حتى لا ترجعوا الى ما نهيتهم عنه من قولكم واعصوا
 (وللكافرين) أى الذين تهانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) أى مؤلم وهو
 النار ونزل فى تكذيب جمع من اليهود بظهور موتة المؤمنين ويزعمون أنهم سم يودون لهم
 الخير (ما يؤذون الذين كفروا من أهل الكتاب) وقوله تعالى (ولا المشركين) أى من العرب عطف
 على أهل الكتاب ومن اللسان لان الذين كفروا جنس تحتهم نوعان أهل الكتاب والمشركون كتفوله
 تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والمودة محبة الشيء مع نفسه ولذلك

تستعمل في كل منهما (أن ينزل عليكم من خبر من ربكم) فسر الخبر بالوحي والمعنى أنهم
يحسدونكم به وما يحجبونكم عن نزل عليكم من شيء منه وفسر بالعلم والنصرة والمراد به ما يعتم ذلك كما
قاله البيضاوي ومن الأولى من دلة للاختلاف ومن الثانية لاداء الغاية (والله يحصن برحمته)
أي يبقونه كما قاله علي رضي الله تعالى عنه ومجاهدا وبالاسلام كما قاله ابن عباس ومقاتل (من يشاء)
ولا يشاء الامانة فصبه الحكمة ولا يجب عليه شيء وليس لا حد عليه حق (والله ذو الفضل) وهو
ابتداء احسانه بلا علة رقبه تعالى (العظيم) فيه اشعار بأن اتقان النبوة والاسلام من الفضل
العظيم وبذل الاول قوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا * ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا ان
محمد اياما صحابه بأمر ثم نهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقوله الامن تلقاه نفسه يقول اليوم فلا
ويرجع عنه غدا كما أخبر الله تعالى بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما
أنت مفسر نزل (ما نسخ من آية) فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية والنسخ في اللغة
شيان أحدهما بمعنى الحوّل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحوّل من كتاب الى كتاب
فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني بمعنى الرفع يقال
نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه نسخا
وهو المراد من الآية وهذا على وجوه أحدها أن تثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية
للقارب وآية عدة الوفاة بالحوّل والثاني أن ترفع التلاوة وينسخ الحكم كآية الرجم والثالث
أن يرفع الحكم والتلاوة كما روي أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرأ سورة فلم يذكر وانها
الابسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فآخبروه فقال صلى الله عليه وسلم
تلك سورة وقعت بتلاوتها وأحكامها رقبل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها
تلاوة وحكمها ثم نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس
الى الكعبة والوصية للقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحوّل الى أربعة أشهر
وعشر ومصابة الواحد للعشرة بمسارته الاثنين قال المغيرة والنسخ انما يعترض على الاوامر
والنواهي دون الاخبار اه والنسخ اصطلاحا رفع تعلق حكم شرعي بدليل شرعي وبفارق
التخصيص بأن التخصيص لا يرد الا على متعدّد وبأنه غير مشروط بالنص بخلاف النسخ فيهما
وبأنه يفيد عدم ارادة الخروج في الاصل والنسخ يفيد ارادة المنسوخ في الاصل لكن غير مستقر
وقرأ ابن عامر نسخ بضم النون الاولى وكسر السين من أنسخ أي تأمر له أو جبريل بنسخها
والباقون بفتح النون والسين وما شرطية حزمة للنسخ منتصبة به على المفعولة (أو نساها)
أي نوحها فلا نزل حكمها ولا ترفع تلاوتها أو نوحها في اللوح المحفوظ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
بفتح النون الاولى وفتح السين وحزمة ساكنة بعد السين ولم يبدل هذه الهمزة أحد من السبعة
وقرأ الباقون بضم النون وكسر السين ولا همزة بعد السين أي نهها أي نهها من قلبك وقال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهم ما تتركها لا تنسخها قال الله تعالى نسوا الله فانساهم أي تركوه فتركهم
وجواب الشرط (فأت بغير منها) أي بما هو أرفع لكم وأسهل عليكم وأكثرا لاجركم وان كان

كلام الله كله خيرا (أو مثلها) في التكليف والثواب والمنفعة وتكون الحكمة في تبديلها بمثلها
 الاختيار (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فيقدو على النسخ والالتزام بمثل المنسوخ وبما هو
 خيرا والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال إذا لزم الاختصاص وإن ما يتضمنه بالامور
 المتغيرة وذلك لأن الأحكام شرعية والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من
 الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص ككتاب المعاش فإن النافع في عصر
 قد يضر في غيره واحتج بهم من منع النسخ بلبدل أو يبدل أنقل ومن منع نسخ الكتاب بالسنة
 فإن الناسخ هو المأثري به بدلا والسنة ليست كذلك قال البيضاوي والكل ضعيف إذ قد
 يكون عدم الحكم والانتقال أصح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مأثري به الله واستدل بهذه
 الآية المعتزلة على حدوث القرآن فإن التغير والتفاوت من لوازم الحدوث وأجاب أهل السنة
 بأنهم ما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم لا من عوارض هذا المعنى
 وقوله تعالى (ألم تعلم) هنا وفيما مر خطاب لمنكري النسخ فالهزمة للانكار وقيل خطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم والمراد أمته فالهزمة للتقرير (أن الله ملك السموات والارض) يفعل
 فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد فهو مالك الأمور ومبدرها ويجريها على حسب ما يصلح لمحكم وهو أعلم
 بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ وهذا كالدليل على قوله أن الله على كل شيء قدير وعلى جواز
 النسخ ولذلك ترك العاطف (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولى) أي ولى يحفظكم ومن
 صلة (ولانصير) ينصع عنكم عذابه وفرق بين الولى والنصير بأن الولى قد يضرع عن النصرة
 والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فينصير له بغير وجه ونزل للمسأل أهل
 مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يوسعها لهم وأن يجعل الصفاد بها (أم تريدون أن تسألوا
 رسولكم كما سأل موسى) أي سأله قومه (من قبل) أي من قولهم له أرنأ الله جهرة وقيل قالوا له لن
 نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلا أو اتنا بكتاب نقرؤه تنزل من السماء علينا ونخبرنا
 أنها راحتي تتبعك وقال عبد الله بن أمية لن نؤمن لك حتى تأتي بكتاب فيه من الله رب العالمين
 إلى ابن أمية اعلم أني أرسلت محمد إلى الناس وأم امامعادلة للهزمة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه
 مالك الأمور قادر على الأشياء كلها بأمر وينهى كما أراد وتقرحون بالسؤال كما اقترحت
 اليهود على موسى عليه الصلاة والسلام واما منقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة وترك الاقتراح
 عليه (ومن يبدل الكفر باليمان) أي يأخذ مبدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح
 غيرها (فقد ضل سوا السبيل) أي أخطأ الطريق الحق والسواء في الاصل الوسط وقرأه قالون
 وابن كثير وعاصم بإظهاره عند الصادق جاء وأدغمها الباقون ونزل في قوم من اليهود قالوا
 لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا
 فنحن أهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت
 الله أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما غشت فقالت اليهود أمان هذا فقد صبا وقال
 حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نيا وبالإسلام ديننا وبالقرآن

اما ما بالكبعة قبله وبالمؤمنين اخوانا ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخرا به ذلك فقال
 أصبها الخبير وأفلحتم ما (ود) أي غني (كثير من أهل الكتاب) من اليهود (لو يردونكم)
 أي يردونكم يا مشرك المؤمنين فلو مصدريه بمعنى ان فان لوتوب عن ان في المعنى دون اللفظ (من بعد
 ايمانكم كفارا) مر تدين وقوله (حدا) مفعول له كانا (من عند) أي من تلقا (أنفسهم)
 أي لم يأمرهم الله بذلك وانما جعلتهم عليه أنفسهم الخبيثة (من بعد ما بين لهم) في التوراة
 (الحق) في شأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم (فأعفوا) عنهم أي اتركوهم (وأضعفوا) أي أعرضوا
 عنهم فلا تميزوهم وكان هذا قبل آية القتال ولهذا قال تعالى (حتى يأتي الله بأمره) فهم من
 القتال وقد أذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم وروى عن ابن عباس وابن مسعود أن هذا
 منسوخ بقوله تعالى فاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وابي النسخ جماعة من
 المبشرين والفقهاء واحتجوا بان الله تعالى لم يأمر بالعفو والصنع مطلقا وانما أمر به الى غاية
 وما بعد الغاية يخالف ما قبلها وما هذا سبيله لا يكون من باب النسخ بل يكون الاول قد انقضت
 مدته والاخر يحتاج الى حكم آخر (أن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام من الكفار
 وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة) عطف على قوله فأعفوا **ك** أنه تعالى أمرهم بالصبر
 وانحالفوا بالجمالية بالعبادة والبر (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أي طاعة كصلاة وصدقة
 (تجدوه) أي ثوابه (عند الله) فيجازيكم به (ان الله بما تعملون بصير) لا يضيع عنده عمل عامل
 (وقالوا) أي كثير من أهل الكتاب من اليهود والنصارى (ان يدخل الجنة الامن كان هودا)
 جمع هائد كعائد وعود (أو نصارى) قال ذلك لهم ود المدينة ونصارى يفران لما تناظر وابتدى
 النبي صلى الله عليه وسلم أي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا اليهود ولادين الا دين اليهودية
 وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى ولادين الا دين النصرانية فجمع الله بين القولين ثقة
 بأن السامع يرد الى كل فريق وقوله وأما من الالباس لما علم من التعادي بين القريةتين وتفضل
 كل واحد منهما بالصاحبه ونحوه (تلك) أي القولة (أما بينهم) أي شهوراتهم الباطلة التي غنوها
 على الله تعالى بغير حق (قل) لهم يا محمد (هاؤا برها نكم) أي تحبسكم على اختصاصكم بدخول
 الجنة (ان كنتم صادقين) في دعواكم اذ كل قول لا دليل عليه فهو غير صحيح وهذه
 متصل بقولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى وتلك أما بينهم اعترضوا
 وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) أي انقاد
 لأمره وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء الظاهرة فغيره أولى (وهو محسن) في عمله وقيل مخلص
 وقيل مؤمن (قله أجرة) أي ثواب عمله ثابا (عند ربه) لا يضيع ولا ينقص والجمله جواب
 من ان كانت شرطية وخبرها ان **ك** كانت موصولة والفاء فيها التضمنها معنى الشرط فيكون
 الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى
 يدخلها من أسلم فلا يحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله فله أجرة عنده كلامه مطوفا
 على يدخلها من أسلم (ولا تخوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة وما قدم نصارى بخران

على النبي صلى الله عليه وسلم أنهم أحبار اليهود قناظر واحتي ارتفعت أصواتهم فقالت لهم
 اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شيء
 من الدين وكفروا بعيسى والتوراة أنزل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء)
 أي بعثته و~~كفروا~~ بعيسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) أي بعثته
 و~~كفروا~~ بعيسى والتوراة (وهم) أي الفريقان (يتلون الكتاب) أي المنزل عليهم وفي كتاب
 اليهود تصديق عيسى وفي كذب النصارى تصديق موسى والجملة حال وأل في الكتاب الجنس أي
 قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب (كذلك) أي كما قال هؤلاء (قال الذين لا يعلمون) كعبدة
 الاصنام والمعتلة وهم الذين لا يشتون الصانع وقوله تعالى (مثل قولهم) بيان لمعنى ذلك أي
 قال كل ذي دين ليسوا على شيء وبخهم الله تعالى على المكابرة والتشبه بالجهال (فان قيل)
 لم يخفهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء (أجيب) بأنهم لم يقصدوا ذلك وانما
 قصده كل فريق ابطال الدين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكذا كما مر مع ان مالم ينسخ حق
 واجب القبول والعمل به * (تنبيه) * اذا وقف حمزة وهشام على شيء فلهما أربعة وجوه
 السكون والروم والادغام والروم معه وسكن حمزة قبل الهزة بخلاف عن خلاد في الوصل وأدغم
 أبو عمرو والكاف في القاف بخلاف عنه (فالله يحكم بينهم) أي بين الفرق الثلاثة وهم اليهود
 والنصارى والذين لا يعلمون (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين فيقسم لكل
 فريق منهم من العذاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار
 وقرأ أبو عمرو ويحكمهم يسكون الميم عند الباء والاختفاء بخلاف عنه (ومن أعلم) أي لأحد أعلم
 (من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى في خرابها) بالهدم أو التعطيل
 هذا عام لكل من خرب مسجداً وسعى في تعطيله وانزل في أهل الروم الذين خربوا بيت
 المقدس وقد نوافيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير فكان خرابها إلى أن بناء المسلمون في أيام عمر بن
 الخطاب رضي الله تعالى عنه أو في المشركين لما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن
 البيت (فان قيل) قد قال مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت
 المقدس أو المسجد الحرام (أجيب) بأنه لا يمنع أن يبني الحكم عاماً وان كان السبب خاصاً كما تقول
 لمن آذى صالحاً ومن أعلم من آذى الصالحين وكما قال الله تعالى وبلى لكل همزة نازلة والمنزول فيه
 الاخفس بن شريق (أو تلك) أي المانهون (ما كان لهم أن يدخلوها) أي مساجد الله
 (الاخفاقين) أي على حال التيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يمشوا بهم فضلان
 يستولوا عليها ويجزوها ويمنع النبي صلى الله عليه وسلم عنها وقال قتادة لا يوجد نصراني
 في بيت المقدس الا نهمك ضرباً أو بلغ اليه في العقوبة وروى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من
 النصارى الا منكر مسارقة وقبل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجج بعد هذا العام
 مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقيل ان هذا خبر يعني الامر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها
 أحد أمنا واختلف في جواز دخول الكافر المسجد فجوزوه أبو حنيفة ومنعه مالك ووقف

الشافعي بين المسجد الحرام وغيره فنع من الأول وجوز في الثاني بشرط أن المسلم والحاجة
 وغلط ووش اللام من أظلم بعد الظلم (لهم في الدنيا خير) أي هو أن بالقتل والسبي والجزية
 (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم وهو النار وزل للماعز المير والمؤمنين في نسخ
 القبلة وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هذا وتارة هذا كما قاله عكرمة أوفى صلاة
 النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت به راحلته كما قاله ابن عمر (ولله المشرق والمغرب)
 أي ناحيتي الأرض أي لا الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان فإن منعتم أن تصلوا
 في المسجد الحرام والاتقى فقد جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأبنا قولوا) وجوهكم أي
 جهة وهو الصدر في الصلاة (فتم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقال الكلبي فتم
 الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه أي الأهو (إن الله واسع) أي
 غني يعطي من السعة يسع فضله كل شيء (علم) بتدبير خلقه ووزل لما قالت اليهود عذرا بأن الله
 وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (وقالوا اتخذ الله ولدا)
 فقال الله تعالى وذاعليهم (سبحانه) تنزيه الله عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة القضاء
 وقرأ ابن عامر قالوا بغيره وأقبل القاف والباقيون بالواو قبل القاف (بل له ما في السموات
 والأرض) ملكا وخالقا ومن جملة ذلك العزيز والمسيح والملائكة والملكية تنافي الولدية وعبر
 بما تليها لما لا يعقل لكثرة (كل له قاتون) أي مفقادون كل بما أراد منه لا يتمتعون عن مشيئته
 وتكونه وفي ذلك تغليب للعاقلة لشرفه والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه الأول
 قوله سبحانه والثاني قوله بل له ما في السموات والأرض والثالث كل له قاتون واحتج بها الفقهاء
 على أن من ملك ولده عتق عليه لأنه تعالى نبي الولد بائنا الملك وذلك يقتضي تنافيهما (يدع
 السموات والأرض) أي موجد هما لا على مثال سبق وهذا وجه رابع يشعر بفساد ما قالوه
 أيضا لأن الولد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الأشياء كلها
 فاعل على الإطلاق منزوع عن الصفات فلا يكون والدا (وإذا قضى أمرا) أي أراد إيجاد شيء
 وأصل القضاء إتمام الشيء قولاً كان كقوله تعالى وقضى ربك وأفعلا كقوله تعالى
 فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعليق الإرادة الإلهية بوجود الشيء من حيث أنه يوجب
 (فإنما يقول له كن فيكون) وهذا مجاز من الكلام وتقبل وإنما المعنى أن ما قضاه
 من الأمور وأراد كونه فأنما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور
 المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يتمتع ولا يكون منه الإباء وفيه تقرير لمعنى الإبداع
 دائما وهذا وجه خامس يشعر بفساد ما قالوه أيضا لأن اتخاذ الولد كما يكون بأطوار ومهلة
 وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر ينصب النون من يكون جوابا للأمر والباقيون
 بالرفع على معنى فهو يكون (فان قيل) المعلوم لا يحتاج (أجيب) بأنه لما قدر وجوده
 وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح خطابه (وقال الذين لا يعقلون) لئن صلى الله عليه
 وسلم وهم اليهود كما قاله ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد أو مشركو العرب كما قاله

فتادة ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا) أى هلا (يكلمنا الله) كما يكلم الملائكة أوبوحى
 اليها بأنك رسوله (أو تأييداً) أى علامة مما اقترناه على صدقك (كذلك) أى كما قال هؤلاء
 (قال الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية لانبيائهم (مثل قولهم) من التعتت وطلب
 الآيات فقالوا أرنا الله جهرة وهل يستطيع وبك أن ينزل علينا ما نأمن من السماء (تشابهت
 قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم في الكفر والعناد وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
 (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) الحقائق ولا يعترفون بشبهة ولا عناد وفيه إشارة الى أنهم قالوا
 ذلك لاختفاء في الآيات أو لطلب مزيد يقين وانما قالوا هذه عناداً (انا أرسلناك) يا محمد (بالحق)
 أى القرآن كما قاله ابن عباس كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو الاسلام وشرا فاعه كما قاله
 ابن كيسان قال تعالى وقل جاء الحق (بشيراً) أى مبشراً من أجاب الى ذلك بالجنة (ونذيراً)
 أى منذراً من لم يجب اليه بالنار أى انما أرسلناك لان تبشر وتذير لتخبر الناس على الايمان
 وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان يهتم بضيق صدره لاصرارهم وتجميعهم
 على الكفر (ولان تستل عن أصحاب الجحيم) أى النار وهم الكفار ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بينت
 وبلغت جهدهم في دعوتهم كقوله تعالى فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرأنا فاع تسأل
 بفتح التاء وسكون اللام على النبي قال عطاء عن ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية تنهى عن السؤال عن أحوال
 الكفرة والاهتمام بأعداء الله تعالى لكن انظر ضعفه والخيار انهارت في كفار أهل
 الكتاب وقرأ الباقر بضم التاء واللام على النفي أى واست بمسؤول عنهم كما قال تعالى فأنما
 عليك البلاغ وعلينا الحساب (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أى دينهم
 أى لن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية وفي هذا مبالغة في اقتطاعه
 صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وذلك انهم كانوا يسألونه الهدنة ويطلبونه انه ان أمهلهم اتبعوه
 فأنزل الله تعالى هذه الآية قانهم اذ لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته قال
 السبأوى ولعلمهم قالوا مثل ذلك فكيف الله تعالى ذلك عنهم ولذلك قال (قل) تعليم الجواب
 (ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) أى هو الذى يصح أن يسمى هدى وهو الهدى
 كله ليس وراءه هدى وما يدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو أهواء (الأتري الى قوله تعالى
 (ولئن) اللام لام القسم (اتبع أهواءهم) أى آراءهم الزائفة التى يدعونك اليها بالخطاب معه
 صلى الله عليه وسلم والمراد منه أقمته كقوله تعالى لن أنشرك ليهبطن عجلك (بعد الذى جاءك
 من العلم) أى من الدين المعلوم صحتهم بالبراهين الصحيحة (مالك من الله من ولى) يحفظك
 (ولانصير) معك منه ونزل في جماعة من أهل الكتاب قدموا من الحبشة وأسلموا (الذين آتيناهم
 الكتاب) وهو منبدا (يتلونه حق تلاوته) أى يعرفونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يغيرون ما فيه
 من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والجملة حال مقدرة وحق نصب على المصدر والخبر (أولئك
 يؤمنون به) أى بكلامهم دون المحرفين (ومن يكفر به) أى بالكذب المؤتى بأن يحرفه (فأولئك

هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم * ولما صدر قصة بني اسرائيل بالامر بذكر النعم
 والقيام بحقوقها والحد من اضرارها والخوف من الساعة وأحوالها في قوله تعالى يا بني
 اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي الخ كر ذلك بقوله تعالى (يا بني
 اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) أي عالمي زمانهم -
 (رائقوا) أي خافوا (يوم لا تجزي) أي لا تغني (نفس عن نفس) فيه (شيأ ولا يقبل منها عدل)
 أي فداء (ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله وختم بالمكز والكلام
 معهم بمبالغة في النصيح * (تنبيه) * اتفق القراء على قراءة يقبل هنا بالياء على التذكير (و) اذ كر
 (اذا تبلى) أي اختبر (ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر ونواه وبإتلاء الله العباد ليس ليعلم
 أحوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا واختلقوا
 في الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال عكرمة عن ابن عباس هي
 ثلاثون من شرائع الاسلام عشر في براة التائبون العابدون الخ وعشر في الاخراب ان المسلمين
 والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وفي سأل سائل الى
 قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال طاووس عن ابن عباس ابتلاء الله تعالى بعشرة أشياء
 هي الفطرة خمس في الرأس أي الشامل للوجه قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسؤال
 وفرك الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظفار وتنف الابط وحلق العانة واغتسال بالاستنجاء بالماء
 وفي الخبر ان ابراهيم أول من قص الشارب وأول من اختن وأول من قلم الاظفار وأول من
 رأى الشيب فلما رأى قال يارب ما هذا قال الوفا قال يارب زدني وقاراً وقال قتادة هي مناسك
 الحج أي فرائضه وسننه كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرها وقال الحسن
 ابتلاء بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر
 عليها وبالنحن وبذبح ولده وبالهجرة فصبر عليها وقال مجاهد هي الآيات التي بعده في قوله
 تعالى اني جاعلك للناس اماماً الى آخر القصة وقرأ ابن عامر ابراهيم بفتح الهاء وألف بعده جاع
 ما في هذه السورة وهي خمسة عشر حرفاً وفي النساء ثلاثة أحرف وهي الاخيرة وفي الانعام
 الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف وفي التحمل حرفان وفي مريم
 ثلاثة أحرف وفي العنكبوت حرف وفي الشورى حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف
 وفي الحديد حرف وفي المعجدة الحرف الاول فذلك ثلاثة وثلاثون حرفاً وقرأ ابن ذكوان
 في البقرة خاصة بالوجهين وابراهيم اسم أعجمي ولذلك كان غير منصرف وهو ابن آزر كما
 في سورة الانعام وكان مولده بالسوس من أرض الالهواز وقيل بابل وقيل حران ولكن نقله أبوه
 الى بابل أرض غرضين كنعان والضمير في ربه لابراهيم وحسن لتقدمه لفظاً وان تأخر رتبة لأن
 الشرط تقدمه لفظاً وأورثه (فأعمن) أي أداهن تامات وقام بها حق القيام لقوله وابراهيم الذي
 وفي (قال اني جاعلك للناس اماماً) يقتضي بك في الخير وجاعل من جعل الذي لمفعولان والامام
 اسم من يؤتم به وامامة ابراهيم عاتمة مؤبدة اذ لم يبعث من بعده نبي الا كان من ذريته مأموراً

بآبائه (قال) ابراهيم صلى الله عليه وسلم (ومن ذريتي) أى أولادى اجعل أئمة يقتدى بهم فى
الخير (قال) الله تعالى (لا ينال) أى لا يصيب (عهدى) بالامامة (الظالمين) منهم فى ذلك اجابة الى
مطلوبه وتنبه على انه قد يكون من ذرية طلبة وانهم لا يتلون الامامة لانها امامة من الله تعالى
وعهدوا الظالم لا يصلح لها وانما ياء لها البررة والاتباء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من
الكفر قبل النبوة وأن القاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته
ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وقرأ حقص وحجرة عهدي بسكون الياء وقصها
الباقون ومن سكن الياء أسقطها فى الوصل لفظا لالتقاء الساكنين (و) اذكر (اذ جعلنا البيت)
أى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا وأدغم أبو عمرو وهشام ذال اذ فى الجيم وأظهرها
الباقون (مناجاة) أى مرجعا (لنفس) من الخلاج والعمار وغيرهم يشوبون اليه من كل جانب
(وأما) أى أمنا لهم من الظلم وايداء المشركين والاعادة الواقعة فى غيره قال تعالى أولم يروا
اننا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم كان الجاني يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وهذا على طريق الحكم لاعلى وجه الخبر فقط فلا ينافى ذلك الوقوع قال القاسم أبو يعلى وصف
البيت بالامن والمراد جميع الحرم كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يخرج فى
الكعبة ولا فى المسجد الحرام (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) وهذا أمر استحباب ومقامه
الحجر وهو بفتح الحاء والجيم الذى فيه أثر قدميه كان يقوم عليه عند بناء البيت وعند دعاء الناس
الى الحج وهو وضعه اليوم روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ يدهم فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر أفلا تتخذوه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى زلت وعن ابن عباس انه قال
قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وافقت الله تعالى فى ثلاث وافقت ربه فى ثلاث فقلت
يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فأنزله الله تعالى هذه الآية وقلت يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر لو أمرت أئمة المؤمنين بالخطاب فأنزله الله تعالى آية الخطاب قال وبلغنى
معانة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن وقلت لهن ان اتهمتن أو ليبدلن الله
تعالى رسوله خيرا منكن فأنزله الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وفى
الخبر الركن والمقام باقوتس من بواقيت الجنة ولولا ما مسهم ما من أيدي المشركين لاضاء تاما بين
المشرق والمغرب وقبل المراد بالخطب والخط الامر بركعتي الطواف لما روى جابر أنه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان أرجحهما عدم الوجوب وقبل مقام ابراهيم الحرم
كله وقبل مواقف الحج واتخذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى (تنبه) * من فى
من مقام ابراهيم لتبعض (وقبل) بمعنى فى وقبل زائدة وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الحاء
بالضمة الماضى عطا على جعلنا أى واتخذ الناس من مقام ابراهيم مصلى والباقون بكسر هاء لفظ
الامر (وعهدنا) أى أمرنا (الى ابراهيم واسماعيل) قيل سمى به لان ابراهيم كان يدعوا الله أن
يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وائل هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن) أى بأن (طهرا بئى)

من الاوثان والافجاس وما يلبق به أو اخلصاه (للفاتحين) حوله (والعاكفين) المقيمين عنده
او المعتكفين فيه (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المسلمون وقرأ نافع وهشام
وحفص يتيقظ الماء والباقون بالسكون (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
أى مكة أو الحرم (بلدا آمنا) أى ذا أمن كقوله تعالى فى عيشة راضية أو آمنا أهله كقول
القائل ليل نائم (وارزق أهله من الثمرات) اعتمادا بذلك لانه كان بواد غير ذى زرع وفى
القصص ان الطائف كانت من مدائن الشام باردن فلما دعا ابراهيم هذا الدعاء أمر الله تعالى
جبريل عليه الصلاة والسلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعام وضعها
موضعها الآن فمنها أكثر غرات مكة وقوله تعالى (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من
أهله فاس ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الرزق على الامامة حيث قيد بالمؤمن كما قدرت
به (قال) تعالى (و) أرزق (من كفر) لأن الرزق رحمة دينوية تعم المؤمن والكافر بخلاف
الامامة والتقدم فى الدين (فأمتعه) فى الدنيا بالرزق وقرأ ابن عامر بسكون الميم وتخفيف
التاء والباقون بفتح الميم وتشديد التاء وأما الهزبة بعد الالف فالجميع اتفقوا على ضمها (قليل)
أى مدة حياته والكفر وان لم يكن بسبب التمتع لكنه بسبب تقديله بأن يجعله له مصورا بمخلوط
الدنيا غير متوصل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه (ثم اضطره) أى الجنة الى الآخرة
(الى عذاب النار) فلا يجرد عنها محمصا (وبئس المصير) أى المرجع والمقصود بالذم محذوف
وهو العذاب قال مجاهد وجد عند المقام أنا لله ذوبكة أى صاحبها صنعتها يوم خلقت الشمس
والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والارض وحففتها بسبعة املاك حنفاء بآتيها رزقها
مباركة لاهلها فى اللحم والماء (و) اذكر (اذ رفع ابراهيم القواعد) أى الاسس والهدر
(من البيت) حكاية حال ماضية كأنه قال اذكر ان كان يرفع (فان قلت) وأى فرق بين العبارتين
(أجيب) بأن فى ايهام القواعد ونسبها بعد الاجسام ما ليس فى اضافتها الى الايضاح بعد
الاجسام من تفخيم شأن المبين وقوله تعالى (واسمعي) عطف على ابراهيم يقولان (ربنا
نقبل مننا) بناءنا (انك أنت السميع) للقول فنسمع دعاءنا (العليم) بالفعل فتعلم بياتنا روت الرواة
ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بألثى عام فكانت زبدية يضاء على الماء فدحيت
الارض من تحتها فلما أهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فأنزله
الله تعالى البيت المعمور ومن ياقوته من يواقيت الجنة له بيان من زمره أخضر باب شرقى وباب
غربى فرضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى أهبط لك بيتا تطوف به كما تطوف حول عرشى
وتصلى عنده كما يصلى حول عرشى وأنزل الحجر الاسود وكان أبيض فأسود من لمس الحيط فى
الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله تعالى له ملكا يده
على البيت فحج البيت وأقام المناسك قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة
على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة بدخله كل
يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه وبعث جبريل حتى خبا الحجر الاودى

جبل أبي قبيس صيانة له من الفرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم ثم ان الله تعالى امر
 ابراهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه اسمه تعالى فسأل الله عز وجل أن يبين له
 موضعه قال ابن عباس فبعث الله له هابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها
 الى ان وافق به مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها ابراهيم ان ابن علي ظلها ولا ترد
 ولا تنقص وقيل أرسل الله تعالى جبريل ليدله على موضع البيت فذلك قوله تعالى واذبوا أنا
 لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فكان ابراهيم بينيه واسمعيل بناوله الحجارة
 ولما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا ينيان في طرفين أو على التناوب قال
 ابن عباس بنى البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا وبيتان وهو جبل بالشام
 والجودي وهو جبل بالجزيرة وفيما قوا عدهم من جبل حرا وهو جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى
 موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل اثني بجعر حسن يكون للناس علما فأتاه بجعر فقال اثني
 بأحسن من هذا فغضب اسمعيل بطلبه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فخذها
 فأخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل أول من بنى الكعبة آدم ثم اندرس من الطوفان ثم
 أظهره الله تعالى لابراهيم حتى بناه وقيل بنه الملائكة قبل آدم وقد بنى الى يومنا هذا سبع مزار
 المزة الاولى هل كان الباني الملائكة أو آدم ثم ابراهيم ثم العماقة ثم حرهم ثم قريش وقد
 حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان ينقل معهم الحجارة ثم ابن الزبير في خلافته
 ثم الحجاج الثقفي وهو الموجود اليوم (ربنا واجعلنا مسلمين) أي منقادين مخلصين خاضعين
 (لك) والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والادعاء (و) اجعل (من ذريتنا) أي أولادنا (أمة)
 أي جماعة (مسلمة) خاضعة منقادة (لك) ومن للتبعض أي واجعل بعض ذريتنا وانما خصنا
 الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشفقة ولأن أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم الاتباع الا ترى أن
 المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسبون لسداد من وراءهم وخصا
 بعضهم لتقدم قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين فعلم ان في ذرية تهما ظلمة وأن الحكمة الالهية
 لا تقتضي اتفاق الناس كاهم على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش
 المعاش ولذلك قيل لولا الحق الذين صرفوا أنفسهم الى الدنيا خربت الدنيا ويصح أن تكون
 من التبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على الدين وفصل به بين العاطف وهو
 واوومن والمعطوف وهو أمة كافي قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وقيل أراد
 بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) علمنا (مناسكا) شرائع ديننا واعلام حجتنا والهدى في
 الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن المعتاد كالصيد والتمتع باللباس
 وغيره والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما وبعث لهما جبريل عليه السلام فأراهما
 المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفنا ابراهيم قال نعم فسمى الوقت عرفة والموضع
 عرفات وقرأ ابن كثير والسوسي أناسكون الزا وقرأ الدوري عن أبي عمرو باختلاس حركة
 والراء والباقون بالحركة الكلام (ونب علينا) سأله التوبة مع عصمتهم هضم الانفس ما

وارشاد الذريتينهما ولما سلف من ماسهم واقبل النبوة (أنت أنت التواب) لمن تاب (الرحيم) به
(ربنا وابتغ فيهم) أي الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل (رسولا منهم) أي من أنفسهم
روى أنه قيل له قد استحييت لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذ لم
يعش من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يأت نبي من ولد إسماعيل إلا النبي صلى الله عليه
وسلم والكل من ولد إسحق فهو الهجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام اني عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان آدم لم يخل في طينته وسأخبركم بما قول أمري انا دعوة أبي إبراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا تأتي التي رأيت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت له قصور الشام
وأراد بدعوة إبراهيم هذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل الانبياء من بني اسرائيل
الاعشرة نوح وهود وشعيب وصالح ولوط وإبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب
ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين (تبلو) أي يقرأ (عليهم آياتك) القرآن ويبلغهم ما يوحى
اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي ما تكمل به
نفوسهم من المعارف والاحكام وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى
يجمعهما وقال أبو بكر بن دريد كل كلمة وعظمتك أودعتك الى مكرمة أو فنتك عن قبج فنجى
حكمة وقيل هي فهم القرآن وقيل الفقه في الدين وقيل السنة (ويزكهم) أي يطهرهم من
الشرك وقيل يشهد لهم يوم القيامة بالعدل اذا شهدواهم للانبياء بالبليغ والتعديل (أنت
أنت العزيز) الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد وقيل هو الذي لا يولد له جدمثله وقيل هو المنبوع
الذي لا تناله الايدي ولا يصل اليه شيء (الحكيم) في صنعه (ومن) أي لا يرغب (أحد) عن ملته
إبراهيم) فيتركها الظهور وهو واضحها (الامن سفة نفسه) أي جهل أنهم مخلوقة لله تعالى
يجب عليه عبادته وذلك ان عبد الله بن سلام دعا بني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما
قد علمنا ان الله عز وجل قال في التوراة اني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد في آمن به فقد
أهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبي مهاجر أن يسلم فأُنزل الله تعالى هذه الآية
قاله البضاوى وغيره قال الاسوطى لم أقف على ذلك في شيء من كتب الحديث ولا التفاسير
المسندة والمثبت مقدم على غيره وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الاخبار ان الله أوحى
الى داود عليه الصلاة والسلام اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والبقاء وهذا معنى
من عرف نفسه فقد عرف ربه (ولقد اصطفيناك) أي اخترناه (في الدنيا) بالرسالة والخلقة
(وانه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلى وفي هذا الحجة وبيان لخطا من
رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين وكان مشهودا بالاستقامة والصلاح يوم
القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الاسفة أو منسفة اذ لم نفسه بالجهل والاعراض عن
النظر * (تنبيه) قال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفيناك في الدنيا
والآخرة وانه لمن الصالحين وقوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) اما طرف

لا صفيته أي اخترناه في ذلك الوقت وأما منصوب بأضمار ذكر كانه قال اذ كر ذلك الوقت ليعلم
 انه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة الى الأذعان وإخلاص
 السرحين دعاء ربه فكانه قال له كما قال عطاء أسلم نفسك الى الله عز وجل وقوض أمرك اليه
 قال أسلمت أي قوضت قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد
 من الملائكة حين ألقى في النار (ووصى بها) أي بالله المتقدم ذكرها أو بأسلمت على تأويل
 الكلمة أو الجملة وقبل بكلمة الإخلاص وهي لاله الا الله وقرأ نافع وابن عامر وأوصى بسكون
 الواو الثانية وهمزة مفتوحة بين الواوين والباقيون بواوين مفتوحتين ولا همزة بينهما وهذا
 أبليغ قال الزجاج لأن أوصى يصدق بالمرّة الواحدة ووصى لا يكون الا مرّات كثيرة وأمال
 ورش بين بين وحزوة والكسائي محضة والباقيون بالفتح وقوله تعالى (إبراهيم بنه) قال مقاتل وهم
 أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقد ذكر غير مقاتل انهم ثمانية وقيل أربعة
 عشر (و) وصى بها أيضا (يعقوب) بنه وهم اثنا عشر روييل وشمعون ولوا ويهوذا
 ويشمعون وخور وزبولون وودان ويشثوني وكودا وأوشير وبنامين ويوسف وسمى
 بذلك لانه والعص ككنا أو آمن فتقدم عص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب عقبه
 وقوله تعالى (يا أي) على أضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين (إن الله
 اصطفى لكم الدين) أي دين الاسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله تعالى (فلا تموتن الا وأنتم
 مسلمون) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه الى مصادفة الموت وعن الفضيل بن عياض
 انه قال الا وأنتم مسلمون أي محسنون بربكم الظن لما روى جابر رضي الله عنه انه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموت أحد الا وهو يحسن الظن بربه
 ولما قالت اليهود والنصارى صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه بالهدية
 نزل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين وقول الاسيوطي لم أف
 على ذلك فيه ما مر (احضر يعقوب الموت) أي حين احتضر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 بتخفيف الهمزة الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والباقيون بتحقيقهما وقوله تعالى (اذ) بدل
 من اذ قبله (قال لبنيه ما تعبدون من بعدى) أي بعد موتي أي أي شيء تعبدونه أو ادبه
 تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ منافعهم على الثبات فليس الاستفهام على حقيقته قال
 عطاء إن الله تعالى لم يقض نبيا حتى يخبره بين الموت والحياة فلما خبر يعقوب قال أنظرنى حتى
 أسأل ولدى وأوصيهم فتعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضرا جلى فأتعبدون
 من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آباءك) وقوله تعالى (إبراهيم واسماعيل واسحق) عطف بيان
 لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه تغليباً للاب اسحق والجد إبراهيم أولان الم
 أب وانحالة الأم لاخر اطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة
 والسلام عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوا الخلة وقال في العباس
 هذا بقية آبائي وقال ردوا على أبي فاني أخشى ان تفعل بي قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن

مسعود وقوله تعالى (الها واحدا) بدل من اله آياتك كقوله تعالى بالناسية ناصية كاذبة
 وقوله تعالى (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله أو منهم ما أو من مقطعة ومعنى
 الهمة فيه الانكار أى لم يحضره وقت موته فكيف ينسبون اليه ما لا يليق به أو متصلة
 بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك
 وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى وقوله تعالى (تلك) مبتدأ والاشارة الى الامه
 المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون وأنت لتأنيث خبره وهو (أمة قد
 خلت) أى سلفت وقوله تعالى (لهما كسبت) أى من العمل جزاؤه استئناف (ولكنكم)
 الخطاب لليهود (ما كسبتكم) والمعنى ان أحد لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكم
 ان أولئك لا ينفعهم الاما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الاما كسبتكم وذلت انهم افترضوا
 بأوثانهم ونفخوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم لا يأتى الناس بأعمالهم وتأوتنى
 بانسابكم (ولا تستلثون عما كانوا يعملون) كما لا يستلثون عن علمكم والجملة تأكيديا قبلها
 (وقالوا) أى أهل الكتاب (كونوا هودا أو نصارى) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
 كونوا نصارى فأول لتفصيل قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما زلت فى رؤسهم ود المدينة
 وفى نصارى نجران وذلك انهم خاصهو المسلمين فى الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين فقالت اليهود
 نبينا موسى أفضل الانبياء وكنا بنا التوراة أفضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى
 والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى نبينا عيسى أفضل الانبياء وكنا بنا الانجيل أفضل
 الكتب وديننا أفضل الاديان وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال كل من الفريقين
 للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذل وقوله تعالى (تهتدوا) جواب الامر وهو كونوا قال الله
 تعالى (قل) لهم يا محمد (بل) تتبع (ملة ابراهيم) وقال الكسائى هو نصب على الاغراء كأنه يقول
 اتبعوا ملة ابراهيم وقبل معناه بل تكون على ملة ابراهيم بخذف على فصار منصوبا وقوله تعالى
 (خفيفا) حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجهه هندا قائما لكن هذا جرح حقيقة وملة كالجزم
 والخفيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وقوله تعالى (وما كان من المشركين) تعريض
 لاهل الكتاب وغيرهم لأن كلامهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا آمنا بالله)
 خطاب للمؤمنين وقول الكشف ويجوز أن يكون خطبا للكافرين أى قولوا لتكونوا على
 الحق والافانتم على الباطل وكذلك قوله تعالى قل بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون على تأويل اتبعوا
 ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته يرده قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به (وما أنزل البنا) أى
 من القرآن وانما قدم ذكره لانه أول الكتب بالنسبة للبنا ولانه سبب للايمان بغيره (وما أنزل
 الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسمعي واسحق ويعقوب والاسباط) جمع سبط وهو الحافظ
 وكان الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم ما سمعى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد حفدة
 يعقوب أو بنائه وذراؤهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (فان قيل) الصحف انما أنزلت على
 ابراهيم (أجيب) بأنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها كانت أيضا منزلة

اليهم كما أن القرآن منزل البنا (وما أوتي موسى) من التوراة (و) ما أوتي عيسى من
 الانجيل (فان قيل) لم أفرد التوراة والانجيل بحكم أبلغ وهو الايتاء لانه أبلغ من الانزال
 لكونه مقصودا منه ولم يقل والاسباط وموسى وعيسى (أجيب) بأن أمرهما بالاضافة الى
 موسى وعيسى مغاير لما سبق والتزاع وقع فيه ما قل هذا أفردا بالذكر (وما أوتي) أى أعطى
 (النيبون) أى المذكورون (من ربهم) من الكتب والآيات وقرأ نافع بالهمزة والباقون
 بالياء ولورش في الهمز المذ والتوسط والقصر (لا تفرق بين أحد منهم) كاليهود والنصارى
 فثمن يبعث ونكفر ببعض بل ثمن بجميعهم (فان قيل) كيف صح اضافة بين الى أحد
 وهو مفرد (أجيب) بأنه فى معنى الجماعة وعمله السعد التفخا زانى بأنه اسم لمن يصلح أن مخاطب
 يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث قال ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة
 كل أو فى كلام غير موجب (وفى له) أى الله (مسلمون) أى مدعونون أى مخلصون روى عن
 أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها
 بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
 وقولوا آمنا بالله: ما أنزل اليه الآية وقوله تعالى (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى (عنى)
 ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التهجيز والتبكيث كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله لأن دين
 الحق واحد لا مثل له ويهودين الاسلام قال تعالى ومن يتبع غير الاسلام دينا فليدع منه وما
 ان مثل صله أى آمنوا بما آمنتم به كقوله تعالى ليس كمثل شئ أى ليس كهو شئ وكفى قوله تعالى
 وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله أى عليه وقيل الباء صلة كفى قوله تعالى وهزى
 اليك بجذع النخلة وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أى
 أعرضوا عن الايمان به (فانما هم فى شقاق) أى فى خلاف ومنازعة معكم يقال شاق مشاقفة
 اذا خالف كان كل واحد من المتخالفين يحرص على كل ما يشق على صاحبه (فسيكفيهم الله)
 يا محمد شقاقتهم فى ذلك تسليمة وتسكين للمؤمنين ووعدهم بالحفظ والنصر على من عاداهم وقد
 كفاهم اياهم يقتل بنى قريظة وبنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وقوله تعالى
 (وهو السميع العليم) امام من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
 لاحالة واتما وعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يدعون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه ولا مانع
 من حمل الكلام على الوعد والوعيد معا (صبغة الله) أى دينه الذى فطر الناس عليه بظهور
 أثره على صاحبه كالصبغ للشوب أو المصباغة فان النصارى كانوا اذا ولد لهم ولد أوتى عليه سبعة
 أيام غسوه فى ماء لهم أصفر يقال له المعمودية ويقولون هو طهرهم لمكان اختنا فاذنوا به
 ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله
 بالايمان صبغة لا مثل صبغكم وطهرنا به طهرنا به لا مثل تطهيركم أو يقول المسلمون صبغنا الله
 بالايمان صبغة ولا نصبغ بصبغكم وهو مصدر موكدا لا مانع من نصبه بفعل مقدر أى صبغنا الله
 تعالى وقيل نصب على البذل من مله ابراهيم وقيل نصب على الاعراء (ومن) أى لأحد (أحسن)

من الله صبغة) أي لصبغة أحسن من صبغته أي لادين احسن من دينه وصبغة تميز وقوله
 تعالى (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله قال الزمخشري وهذا العطف برّد قول من زعم
 ان صبغة الله بدل من مله ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لمناقضه من فك
 النظم واخراج الكلام عن التساميه وانساقه وانصافها على أنها مصدر مؤكده الذي ذكره
 سيبويه والقول ما قالت حذام اه نعم ان قدر قولوا في ونحن له عابدون معطوفا على الزموا
 بتقدير الاغراء واتبعوا مله ابراهيم بتقدير البدل لم يلزم ما قاله ولما قالت اليهود للمسلمين نحن
 أهل الكتاب الاول وقبلتنا أقدم ولم تكن الانبياء من العرب لانهم عبدة الاوثان ولو كان محمد
 نبيا لكان منا لاننا أهل الكتاب نزل (قل) لهم (أتعاجوننا) أي تعجلوننا أو تعجبوننا
 (في الله) أي في شأنه أن اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم ويقولون لو أنزل
 الله على أحد لانزل علينا وترون انكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا
 في اتناعباده وهو يصيب برحمته وكرامته من بشأن عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به بمعنى
 دون عربي اذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا) نتحايز بها (ولكم أعمالكم) نتجاوزون
 بها أي كما انكم أعما لا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها ففهم كذلك فالعمل هو أساس
 الامر به العبرة (ونحن له مخلصون) في الدين والعمل دونكم ففهم أولى بالاصطفاء فلا
 تستبعدوا أن يوهل أهل اخلاصه لكرامته بالنبوة والهمزة للانكار والجل الثلاث أحوال
 وقرأ أبو عمرو وبادغام النون في اللام بخلاف عنه وله فيه الروم والاشمام وقوله تعالى (أم يقولون)
 قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحزرة والكسائي بالياء والباقون بالياء على الغيبة فعلى القراءة
 الثانية أم منقطعة والهمزة لانكار وعلى القراءة الاولى يحتمل أن تكون معادلة للهمزة
 في أتعاجوننا بمعنى أي الامرين تأتون الحاجة وادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء في قولكم
 (ان ابراهيم واسماعيل وامحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا ونصارى قل) لهم يا محمد (أنتم
 اعلم أم الله) الله أعلم وقد نفي الله تعالى الامر من عن ابراهيم بقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا
 ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما واحتج تعالى على ذلك بقوله تعالى وما أنزلت التوراة والانجيل
 الا من بعده والمذكورون معه تبع له فهم اتباعه في الدين وفاقا (ومن) أي لأحد (أظلم ممن كنتم)
 أي أخفى عن الناس (شهادة عنده) كائنه (من الله) أي شهادة الله تعالى لابراهيم بالحنيفية
 والبراءة عن اليهودية والنصرانية وهم أهل الكتاب لانهم كنوا هذه الشهادة وكفوا شهادة الله
 تعالى لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن لا ابتداء كافي بقوله تعالى براة من الله ورسوله أي شهادة
 كائنه من الله فمن الله صفة لشهادة وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد لهم وقوله
 تعالى (تلك امة قد خلت ايساما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) تكرير
 للمبالغة في التحذير والزجر استنحكم في الطبايع من الاقتضار بالآباء والامتكال عليهم وقيل
 الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لتناخذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول
 الانبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيعقول السقهاء) أي الجهال الذين خفت

أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كراهم التوجه الى الكعبة وأنهم لا يرون السخ
 (ما ولاهم) أى اى شئ سوى النبي والمؤمنين (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس
 وقيل هم المنافقون لحرسهم على الطعن والاستمراء وقيل المشركون قالوا قد رد على محمد
 أمره واشتاق الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم والاتبان بالسبب الدالة على
 الاستقبال من الاخبار بالغيب (فان قيل) ما فائدة الاخبار بذلك قبل وقوعه (أجيب) بأن
 فائدته توطئ النفس واعداد الجواب فان مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد عن
 الاضطراب واوقع وقيل الرمي بإش السهم والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان
 مأخوذة من الاستقبال وصارت عرفا له فكان المتوجه نحو الصلاة قال الله تعالى (قل)
 لهم يا محمد (لله المشرق والمغرب) أى الجهات كلها ملكا وخلق عبده لا يختص به مكان دون
 مكان بخاصة ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وانما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان فإمر
 بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه (يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط) أى طريق
 (مستقيم) وهو ما تتضمنه الحكمة والمصلحة من توجيههم نارة الى بيت المقدس وأخرى الى
 الكعبة وقوله تعالى (وكذلك) الكاف فيه لتشبيه أى كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم
 (جعلناكم) بأمة محمد (أمة وسطا) أى خيارا عدولا قال تعالى قال أو طعمهم أى خبيرهم
 وأعد لهم وخيرا الاشياء أو وسطها الا فرطها ولا تفر بطها لان الافراط المجاوزة لما لا ينسفي
 والتفرط التقصير عما ينبغي كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور وهو الوقوع
 في الشئ بقله مبالاة وبين الحزن لان الافراط يتسارع اليها الخلل والاضطراب محفوفة روى
 عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد
 العصر فارتل شيئا الى يوم القيامة الا ذكر في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس
 النخل وأطراف الحيطان فقال امانه لي من الدنيا فيامضي منها الا كفى من يومكم هذا
 ألا وان هذه الامة وفي سبعين أمة هي أخيرا وأكرمها على الله عز وجل وقوله تعالى (لتكفروا
 شهداء على الناس) أى يوم القيامة ان رسلكم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى
 ين كيكم ويشهد بعد التكم على الجعل أى تعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم
 من الكتاب أنه تعالى ما جئ على أحد ولا ظلم اوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونهضوا
 ولكن الذين كفروا حلهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك
 على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد
 واحد ثم يقول لكفار الامم ألم بأتكم نذير فيمنكرون ويقولون ما جاءنا من بشر ولا نذير فيطأ
 الله تعالى الانبياء بالبيئة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيوتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
 فتقول الامم من أين علموا أنهم قد بلغوا وانما أتوا بعد انفسال هذه الامة فيقولون علمنا ذلك
 باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
 عن حال أمته فيركم ويشهد بعد التهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد

قوله وقيل المشركون
 قالوا الخ كذا في
 الاصول وفي
 الكشاف وقيل
 المشركون قالوا
 رغب عن قبله آياته
 ثم رجع اليها والله
 ليرجعن الى دينهم
 اه

وجئنا بك على هؤلاء شهداء (فان قيل) هلا قيل لكم شهداء الذمهادة لهم لاعليهم (أجيب)
 بأن الشهداء كان كالرقب والمهين على المشهود له حتى بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى
 والله على كل شيء شهيد (فان قيل) لم أخرت صلة الشهادة أولا وقد مت آخرها (أجيب) بأن
 الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
 عليهم (وما جعلنا) أى صيرنا لك (القبلة) الآن وقوله تعالى (التي كنت عليها) ليس بصفة
 للقبلة انما هو نائى مفعول جعل اى وما جعلنا القبلة جهة التي كنت عليها أولا وهى الكعبة
 وكان صلى الله عليه وسلم يصلى اليها فلما هاجر أمر بالصلاة الى حجرة بيت المقدس قالنا لليهود
 فمضى اليها ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حوّل الى الكعبة (الا تعلم من يتبع الرسول) فيصنعه
 (عن ينقلب على عقبه) أى يرجع الى الكفر شكافى الدين وقلنا أن النبي في حيرة من أمره
 وفي الحديث أن القبلة لما حوّل ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين
 آباءه (فان قيل) كيف قال الله تعالى لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها (أجيب) بأنه أراد به علم ظهور
 وهو العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به فى الغيب انما يتعلق بما يوجد
 ومعناه أى لنعلم العلم الذى يستحق العامل عليه الثواب والعقاب ونظيره قوله تعالى ولما بعلم الله
 الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما
 أسند علمهم الى ذاته تعالى لانهم خواصه وأهل الزنى عنده وقيل معناه التمييز التابع من الناكس
 كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز التابع لان بالعلم يقع التمييز
 فالعلم سبب والتمييز سبب فأطلق السبب وهو العلم على المسبب وهو التمييز * (تنبيه) * العلم
 فى الاثنية اما بمعنى المعرفة فتعدي الى مفعول واحد وهو من يتبع واما معلق لما فى من معنى
 الاستفهام واما أن يكون مفعوله الثانى ممن ينقلب أى ليعلم من يتبع الرسول ميمر ممن ينقلب
 (فان قيل) على الاول كيف يكون العلم معنى المعرفة والله تعالى لا يوصف بها لانها تقتضى سبق
 جهل والله تعالى منزّه عن ذلك (أجيب) بأن ذلك اشيعها فيما تقتضى أن يكون مسبوقا بالعدم
 وليس العلم الذى معنى المعرفة كذلك اذا مراد به الادراك الذى لا يتعدي الى مفعولين بل قال
 الولي العرافي قد وقع اطلاق المعرفة على الله تعالى فى كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال
 الصحابة أو كلام أهل اللغة وقوله تعالى (وان) هى المخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانها
 (كانت) أى التولية (الكبيرة) شاقفة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على
 الايمان (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم تزلوا ببل
 شكر سعيكم وأعد لكم الثواب العظيم أو صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب
 نزولها ان حتى بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت
 المقدس ان كانت هدى فقد تحوّلتم عنها وان كانت ضلالة فقد دتم الله بها ومن مات منكم
 عليها فسد مات على الضلالة فقال المسلمون ان الهدى ما أمر الله تعالى به والضلالة ما نهى الله
 تعالى عنه قالوا فما شهداءكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل أن تحوّل القبلة

من المسلمين أسعد بن زرارته بن النجار والبراء بن معرور ومن بني سلمة وكان من النقباء ورجال
 آخرون فانطلق عشائهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله لقد صرنا الى
 قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه
 الآية (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاتهم (فان قيل) لم قدم
 الرؤف على الرحيم مع أنه أبلغ (أجيب) بأنه قدم بحفاضة على القواصل وقرأ ابو عمر وشعبة
 وحزرة والكسائي لرؤف بقصر الهجزة والباقون بقدها ولورش في الهجزة المذواتوسط
 والقصر على أصله (فقد) لتحقيق (نرى تقلب) أي تردد (وجهك في السماء) أي في جهتها لتطلعها
 الى الوحى ومشوقا الى الامر باستقبال الكعبة وهذه الآية وان كانت متأخرة
 في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها رأس القصة وأمر القبلة أول مانسخ من أمور الشريعة
 وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما جاز الى
 المدينة أمره الله تعالى أن يصلى الى نحو حجرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود
 اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدونه من نعمته في التوراة وكان يحب أن يوجه الى الكعبة لانها
 كانت قبلة ابراهيم أبيه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كان يجب ذلك من أجل أن اليهود
 كانوا يقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل عليه السلام وددت لو حوانى
 الله تعالى الى الكعبة فانها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل انما أنا عندك مثلك وأنت كريم على ربك
 فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر
 الى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم
 يسأل فنزل قوله تعالى (فلنولينك) أي فلنحولنك (قبلة) أي الى قبلة (ترضاها) أي تحبها
 وتوها لا اغراضك الصعبة التي أضعتها ووافقت مشيئة الله تعالى وحكمته (فول) أي اصرف
 (وجهك شطر) أي نحو (المسجد الحرام) أي الكعبة أي استقبل عنها بصدرك في الصلاة
 وان كنت بعيدا عنها وقول البيضاوى والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان في استقبال عنها
 سر جاعله وجهه ضعيف والحرام الحرم فيه القتال ومنوع من الظلة أن تعرضوه وقوله تعالى
 (وحيت ما كنتم) من بحر أو بر شرق أو غرب خطاب للامة (فولوا وجوهكم) في الصلاة
 (شطره) وكان يحول القبلة في وجب بعد الزوال قبل قتال بدر بنهزمين وقول البيضاوى
 وقد صلى بأصحابه في مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل
 الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبليتين فيه تحريف فان ظاهره أنه صلى الله عليه
 وسلم كان اماما في قصة بنى سلمة وانه تحول في الصلاة وليس كذلك فقد روى البزارى عن ابن عمر
 أنه قال بينما الناس يصلون في صلاة الصبح اذا ما هم آت أي من بنى سلمة فقال ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم
 الى الشام فاستداروا الى الكعبة ولما تحولت القبلة قالت اليهود وما هو الاثنى يثبته محمد من
 تلقاء نفسه فتارة يصلى الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكان رجوا أن يكون

ذلك قال لست أشك في محمد انه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت فقال عمر وفقك الله تعالى يا ابن
 سلام فقد صدقت (فان قيل) لم خص الانبا من الاولاد (أجيب) بأن الذكور رأسهم وأعرف وهم
 اصعبه الا بآء الزم وبقولهم الصق (وان فور بقامتهم) أي أهل الكتاب (ليكتفون الحق) أي صفته
 صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة (وهم يعلمون) ولا يظهر رونه عناد او قوله تعالى (الحق من ربك)
 كلام مستأنف والحق اماميتهم أخبرهم من ربك والمعنى انه الحق اي ما ثبت أنه من الله تعالى كالذي
 أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب (اما خبر مبتدأ محذوف أي هذا الحق ومن ربك
 حال أو خبر بعد خبر والمعنى أن ما جاءك من العلم وما يكتفونه هو الحق لا ما يزعمون (فلا تكون من
 المعترين) أي من الشاكين في أنه من ربك أو في كتمانهم الحق عالين به أي فلا تسكون من هذا
 النوع وهو أبلغ من لا تقتر وليس فيه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع
 منه بل اما التحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر واما ان المراد به أمته (ولكل) أي أمة من
 الامم (وجهة) أي قبله أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة (هو موليا) وجهه
 في صلته وقرأ ابن عامر وحده مولاه بفتح اللام وألف بعدها أي هو مولى تلك الجهة قدولها
 والباقون بكسر اللام وباء بعدها وعلى هذا فأحد المذاهب عولن محذوف أي هو موليا وجهه كما مر
 تقديره والله تعالى موليا بآء (فاستبقوا الخيرات) أي بادروا الى الطاعات وقبولها من أمر
 القبلة وغيره مما تالوا به سعادة الدارين (أين ما تكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا)
 يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم (ان الله على كل شيء قدير) فيقدر على الاحياء والجمع * (تنبيه) *
 رفق ورش الرأء المفتوحة بعد الياء الساكنة واتفق المصاحف على قطع أين من ما هنا (ومن
 حيث خرجت) أي من أي مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت
 (وأنه) أي هذا الامر (للحق من ربك) وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه أبو عمرو
 بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
 الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) * (تنبيه) * مامة طوعة من حيث في موضعي هذه
 السورة وكرسه حانه ونهالى التولى لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات لتأكيدها من القبلة
 وتشديده لان السمع من مظان الفتنة والشبهة وتحويل الشيطان فكرر عليهم ليثبتوا ويقوموا
 ويحسدوا ولانه ينط بكل واحد ما لم ينط بالآخر لانه تعالى علق بكل آية فائدة في الاولى ان أهل
 الكتاب يعلمون ان أمر محمد وأمر القبلة حق لمشاهدتهم له في التوراة والانجيل وفي الثانية
 انه تعالى شهد انه حق وشهادة الله تعالى مغارة لعلم أهل الكتاب وفي الثالثة بيان العلة وهي
 قطع حجة اليهود أولان الاحوال ثلاثة أولها أن يكون الانسان في المسجد الحرام وثانيها
 أن يخرج عنه ويكون في البلد وثالثها أن يخرج عن البلد فالآية الاولى محمولة على الاول
 والثانية على الثاني والثالثة على الثالث وقوله تعالى (ثلاثا يكون للناس) أي اليهود والمشركين
 (عليكم حجة) أي مجادلة في التولى عنه لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
 تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يحدد بنا ويتبعنا

في قبلتنا ويدفع احتجاج المشركين بأنه يدعى له إبراهيم ويخالف قبلته وقرأ ورش بإبدال
 الهمزة من ثلثا بمفتوحة وقفا وصلوا وحزة يبدلها وقفا لا وصلوا والباقيون بهمزة مفتوحة
 وصلوا وقفا وقوله تعالى (الذين ظلموا منكم) يدل واستثناء متصل أى ثلثا يكون لاحد من الناس
 حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى السكبة الاميلا الى دين قومه وحبالبلده أو بدا
 له فرجع الى دين آباءه ويوشك أن يرجع الى دينهم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا مطاعنهم في
 قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشوني) بامثال أمرى فلا تخافوا ما أمرتكم به * (تنبيه)
 الباعث ثابتة في الرسم وهي في القراءة ثابتة وقفا وصلوا (فان قيل) أى حجة تكون لغير الذين ظلموا
 لو لم يتحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (أجيب) بانهم كانوا يقولون ما لا يعقل
 الى قبله آية ابراهيم كما هو مذكور في نعمة في التوراة (فان قيل) كيف أطلق الحجة على قول
 المعاندين (أجيب) بأن المراد بالحجة ما يتسلك به حقا كان أو باطلا كما قال تعالى يحتمم داحضة وقوله
 تعالى (ولأنتم نعنت عليكم ولعلكم تهتدون) أى الى الحق عليه لهدوف أى وأمرتكم بذلك لانما
 النعمة عليكم واراد في اهتدائكم أو عطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني لا وفقكم ولأنتم
 نعمت عليكم قال الكشاف وقيل هو معطوف على لئلا يكون وجرى عليه البضاوى والسيوطى
 قال البضاوى تعالى للكشاف وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة أى ورؤية الله تعالى وعن
 على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قال شيخنا القاضي زكريا روى الحديث
 الترمذى وذكره مع الاثر بعده ربما يرجح العطف على المقدور وقوله تعالى (هكذا أرسلنا)
 امامتعلق بما قبله وهو أتم أى ولأنتم نعمت عليكم فى أمر القبيلة أو فى أمر الاسخرة اتماما
 كتمامها بارسلنا (فيكم رسولا منكم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وامامتعلق بما بعده وهو
 فاذا ذكرنى أذكركم أى كما ذكرتم بالارسل فاذا ذكرنى (يتلو عليكم آياتنا) أى القرآن (وزيكنكم)
 أى يطهركم من الشرك (ويعلمكم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى ما فيه الاحكام
 * (تنبيه) * قدم هنا يركبكم على يعلمكم باعتبار القصة وأخرى دعوة ابراهيم يركبكم على يعلمكم
 باعتبار الفعل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أى بالتفكير والنظر اذ لا طريق لعرفته سوى الوحي
 (فاذا ذكرنى) بالطاعة كالصلاة والتسبيح (أذكركم) قال ابن عباس بمعونتي وقال سعيد بن جبير
 بمغفرتي وقيل اذكرنى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء كما قال تعالى فلولاً أنه كان من
 السبعين للبت فى بطنه الى يوم يعثون وفى الحديث عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه
 اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملاخبر من ملته
 وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى
 أتته هرولة وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان
 ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى فى ملا ذكرتك فى ملاخبر منه وان دنوت منى
 شرا دنوت منك ذراعا وان دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت الى هرولت اليك وان
 سألتنى أعطيتك وان لم تسألنى غضبت عليك وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

يقول الله عز وجل "أنا مع عبدي ما ذكرني ويحتزكت في شقائه وفي روايته جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وقرأ ابن كثير بفتح الياء والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المذ (واشكر والى) نفخت بالطاعة (ولا تكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) على الطاعة والبلاء وعلى المعاصي وحفظ النفس (والصلوة) خصها بالذكر لانها أهم العبادات لاشتمالها على فعل القلب وغيره ومنها جادة رب العالمين (ان الله مع الصابرين) بالنصر واجابة الدعوة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هم (أموات بل) هم (أحياء ولكن لا تشعرون) أي لا تعلمون كيف حالهم في حياتهم قال البيضاوي وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي أمر لا يدرك بالقلب بل بالوحى اه وهذا ما علمه أكثر المفسرين قال ابن عادل ويحتمل أن حياتهم بالجسد وان لم تشاهدوا أيديان حياة الروح ثابتة لجميع الاموات بالاتفاق فلو لم تكن حياة الشهيد بالجسد لاستوى هو وغيره ولم تسكن له منزلة اه وقدر بيان الشهداء افضلوا على غيرهم بأنهم يرزقون من مطاعم الجنة وما كلفها وغيرهم من المؤمنين منعمون بعبادون ذلك وفي الحديث ارواحهم في حواصل طيور خضر ترشح في أمم ارا الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل تحت العرش وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فصل اليهم الروح أي الاستراحة أي التلذذ والنعيم والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدقوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والغم وعلى هذا يقتضيه ص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومنزلة السرور والكرامة والارواح جواهر قائمة بأنفسها تبقى بعد الموت ذراة كما عليه جمهور الصحابة والتابعين ونظف به الآيات والسنن (ولنبلونكم) أي ولنختبرنكم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم واللام لجواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء اظهار المطيع من العاصي لا يعلم شيئا لم يكن عالما به (بشيء) أي بقليل (من الخوف) أي خوف العدو (والجوع) أي القحط وانما قلله بالنسبة لما قاهم عنه فيخفف عنهم ويريمهم أن رحمة لا تفارقهم أو بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما أخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم (ونقص من الاموال) بالخسران والهلاك (والانفس) بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) بالجوائع وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ومن الثمرات موت الاولاد وعن أبي سنان قال دفنت ولدى سنانا وأبو طلحة الخولاني على شعرا القبر فلما أردت الخروج أخذ يدي فأخرجني فقال الأبشيرة لحدقني الفضال بن عروب عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدا واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا عبدي بيتا في الجنة وسهوه بيت الحمد وقوله تعالى (وبشر الصابرين) أي على

ما يصيبهم من المكر وه عطف كما قال التف تازاني على ولنبلونكم عطف المضمون على المضمون
 أي الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة لكن لمن صبر ثم ينهم بقوله (الذين اذا أصابتهم مصيبة
 قالوا ان الله عبيد اولئك) وانا اليه واجعون في الآخرة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من
 مكر وه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن أم سلمة زوج النبي صلى
 الله عليه وسلم ورضي عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مصيبة تصيب
 عبدا فيقول ان الله وانا اليه راجعون اللهم افرجني في مصيبي واخلف لي خيرا منها الا أجره الله
 تعالى في مصيبي واخلف عليه خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة استرجعت الله لي فقلت اللهم
 افرجني في مصيبي واخلف لي خيرا منها قالت فأخلف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
 روايته من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبيته وأحسن عقابه وجعل له خلفا صالحا رضاء
 وقال سعيد بن جبير ما أعطى أحدا ما أعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع ولو أعطيا أحدا لأعطى
 يعقوب في قصة فقد يوسف ألا تسمع الى قوله يا سفا على يوسف وايس الصبر بالاسترجاع باللسان بل
 باللسان مع القلب بأن يتصور ما خلق لاجله فانه راجع الى ربه ويستدكر نعم الله عليه فيرى ما أبقى
 عليه أضعاف ما استرد منه فيؤمن على نفسه ويستسلم لربه والمبشر به محذوف دل عليه (وأولئك
 عليهم صلوات) أي مغفورة (من ربهم ورحمة) أي لطف واحسان والصلاة في الاصل من الادنى
 أي ومن الجن تنصرف ودعاء ومن الملائكة استغفار ومن الله تعالى رحمة مقرونة بتعظيم
 الصلاة للتبسيه على كثرتها كالتمنية في ليلك بمعنى لا انقطاع لمغفرته (وأولئك هم المهتدون) الى
 الصواب حيث استرجعوا واولوا لقضاء الله تعالى قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نعم
 العدلان ونعمت العلاوة والعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية وقد ورد أخبار في ثواب
 أهل البلاء وأجر الصابرين منها أنه صلى الله عليه وسلم قال من برد الله به خيرا أصيب منه ومنها أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى
 الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها ومنها أن امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
 وبها ألم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يشفيني فقال ان شئت دعوت الله أن يشفيك وان
 شئت فاصبري ولا حساب عليك قالت بل أصبر ولا حساب علي ومنها أنه صلى الله عليه وسلم سئل
 عن أشد الناس بلاء قال الانبياء والامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه
 صلبا تبلى على قدر ذلك وان كان في دينه رقة هوت عليه فما زال كذلك حتى يعيش على الارض
 ما له ذنب ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب
 قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال البلاء
 بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي الله وماله من خطيئة ومنها أنه صلى الله عليه
 وسلم قال مثل المؤمن كمثل الزرع لا يزال الريح تنفيه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل
 المنافق كمثل شجرة الارز لا تهرت حتى تستحصد ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال يحب للمؤمن ان
 أصابه خير حمد الله وشكره وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالؤمن يؤجر في كل أمره

(أن الصفا والمروة) هما علما جبلين بمكة في طرفي المسعى قال القرطبي - وذكر الصفا لأن آدم
 وقف عليه وأنت المروة لأن حواء وقفت عليها (من شعائر الله) أي أعلام دينه جمع شعيرة وهي
 العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبده (فن حج البيت أو اعقر) أي تلبس بالحج أو العمرة
 والحج لغة القصد والاعتقاد الزايرة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين
 (فلا جناح) أي لا انم (عليه أن يطوف) فيه ادغام التاء في الأصل في الطاء (بهما) أي بأن يسمى
 بينهما مسجعا (فان قيل) كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما
 (أجيب) بأنه كان على الصفا الساف وعلى المروة نائلة وهما صفتان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة
 زينا في الكعبة فسحاججرين فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا
 مسجوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية
 فأذن الله تعالى فيه وأخبر أنه من شعائر الله والاجماع على أن السعي بين الصفا والمروة مشروع
 في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن أحمد أنه سنة وبه قال أنس وابن عباس لقوله
 تعالى فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير قال البيضاوي وهو ضعيف لأن نفي الجناح يدل على
 الجواز لا الدخول في معنى الوجوب فلا يذفعه وعن أبي حنيفة انه واجب يجزى بدم وعن مالك
 والشافعي انه ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله تعالى كتب عليكم السعي رواه
 البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم ابدؤا بما بدأ الله به يعني الصفا ورواه مسلم (ومن نطوع خبرا)
 أي فعل طاعة فرضا كان أو نفلا أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة أو طواف ونصب
 خبير على أنه صفة مصدر محذوف أي نطوعا أو بحذف الجار وإيصال الفعل اليه أي يخبر
 وقرأ حزة والكسائي يطوع بالياء على التذكير وتشديد الطاء والواو وسكون العين وأصله
 يتطوع فأدغم مثل يطوف والباقيون بالتاء على الحضور وتخفيف الطاء وفتح العين (فان الله
 شاكر) لعمله بالاثابة عليه (عليم) بنقته * (تنبيه) * الشكر من الله أن يعطي العبد فوزا
 ما يستحقه فانه يشكر اليسير ويعطي الكثير * ونزل في علماء اليهود (ان الذين يتكلمون) الناس
 كأخبار اليهود (ما أنزلنا من بينات) كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى)
 أي ما يهدي الى وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والايان به (من بعدما بيناه) أو ضخمناه للناس
 في الكتاب أي التوراة أي لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا الى
 ذلك المبين الواضح فكفوه ولسوا على الناس (أو لئلا يبلغهم الله) وأصل اللعن الطرد والبعد
 (ويلعنهم اللاعنون) أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم العنهم * (تنبيهان) * أحدهما
 اختلف في هؤلاء اللاعنين فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم جميع الخلائق الا الجن
 والانس وقال عطاء هم الجن والانس وقال الحسن هم جميع عباد الله وقال مجاهد البهائم
 تلعن عصاة بني آدم اذا أمسك المطر وتقول هذا من شرهم ذنوب بني آدم * ثانيها هذه الآية
 توجب اظهار علوم الدين منصوبة ومستبطة وتدل على امتناع أخذ الاجرة على ذلك وقد روى
 الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال انكم تقولون أكلنا بؤهيرة عن النبي صلى

الله عليه وسلم وأيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحد بشي أبدا وتلآن الذين يكتمون الآية
 (الذين تابوا) أي رجعوا عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب منه (وأصلحوا) ما أفسدوا ومن
 أحوالهم وتدركوا ما فرط منهم (وبينوا) ما بينه الله تعالى في كتابهم فكتموه (فأوتيتك أوتوب
 عليهم) أتجباؤهم وأقبلتوبتهم (وأنا لتوب) أي الرجاء لقلوب عبادي المنصرفة عني إلى
 (الرحيم) بهم بعد أقبالهم على (أن الذين كفر وأموأوا وهم كفار) أي من لم يتب من الكافرين
 حتى مات (أولئك عليهم لعنة الله و) لعنة (الملائكة و) لعنة (الناس أجمعين) لعنهم الله أحياء
 ثم لعنهم أمواتا وقال أبو العالية هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعه الملائكة ثم
 تلعه الناس فان قيل قد قال الله تعالى والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر وأهل دينه
 لا يلعنونه (أجيب) بأجوبة منها أن المراد منهم من يعتد بلعنه وهم المؤمنون قاله ابن مسعود
 وعلى هذا فيكون من العام الذي أريد به الخاص ومنها أنهم يلعنونه في القيامة قال تعالى
 يلعن بعضكم بعضا وقال كلما دخلت أمة لعنت أختها ومنها أن اللعنة من الأكره يطلق
 عليها لعنة جميع الناس لتقليب الحكم الأكثر على الأقل ومنها أنهم يلعنون الظالمين والكافرين
 ومن لعن الظالمين أو الكافرين وهم منهم فقد لعن نفسه ومعنى لعنة الله لهم تبرؤ منهم وطردهم
 وتبعيدهم عن الرحمة والثواب أودعاه عليهم بذلك (خالد بن قيس) أي اللعنة أو النار المدلول بها
 عليها (لا يخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولا هم ينظرون) من الأنظار أي لا يسهلون
 ولا يؤجلون أولا ينظرون ليعتدروا كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون أولا ينظر إليهم نظر
 رحمة * ولما قال كفار قريش يا محمد صف لنا ربك وانسبه لنا نزل (ولهكم الواحد) وسورة
 الاخلاص والواحد هو الذي لا نظير له ولا شريك وقوله تعالى (لا اله الا هو) نفي للوحدانية
 ودفع لان يتوهم أن في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة وقوله تعالى (الرحمن الرحيم)
 كالدليل على الوحدانية فانه لما كان مولى النعم كلها أصولها بقوله الرحمن فانه مولى جلائل
 النعم وفر وعما بقوله الرحيم فانه مولى لطائف النعم وذائقتها ومساواة تعالى امانعة أو منم
 عليه فلم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم أوليتا محمد ذوف وعن
 أسماء بنت زيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن في هاتين الآيتين اسم الله
 الاعظم والهكم اله واحد الخ والله لا اله الا هو الخ القيموم * ولما سمع المشركون هذه الآية
 وكان لهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما تعجبا وقالوا ان كنت صادقا فانت يا بعترف بها
 مددك فقل (ان في خلق السموات والارض) الى آخر الآية (فان قيل) لم جمع السموات وأفرد
 الارض (أجاب) البيضاء بأن السموات طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف
 الارضين اه وهذا انما يأتي على قول بعض الحكماء ان المراد بالارضين الاقاليم والاولى ما أجاب
 به البغوي من أن كل امة من جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب
 أي فهي طبقات كالسموات والآية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عدد
 ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك والآية في الارض

مذها وبسطها وسعتها وما يرى فيهما من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر
والنبات وغير ذلك (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما في الجي والذهب يخلف
أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلقه أي بعده قال تعالى وهو الذي جعل الليل
والنهار خلقة قال عطاء أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة
واللبياب جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم قال تعالى وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار (والفلك) أي السفن (التي تجري في البحر بما ينفع الناس) من التجارة
والحمل والآية فيها تنصيرها وجرانها على وجه الماء وهي موقورة لا ترسب تحت الماء * (تنبيه) *
أن الفلك لأنه بمعنى السفينة لأن واحد السفن وجمعه سواء أذل كانت بمعنى المركب لأن كرامع
أنهم في اللغة تذكر وتوث قال تعالى إذا بقى إلى الفلك المشحون وضمة الجمع غير ضمة الواحدة تقدير
أدعى في الجمع كالضمة في جر وفي الواحد كالضمة في قفل قال البضاوي والقصد به أي الفلك إلى
الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه أي البحر والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لأن منشأهما البحر في غالب الأمر اه فعمل
الآية في البحر في السفن والاولى جعل الآية فيهما قوله لأن منشأهما البحر هو قول الحكماء
والاشارة على خلافه وهو الذي دل عليه الاخبار قال شيخنا القاضي زكريا وحاصله أن السحاب
من شجرة مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش (وما أنزل الله من السماء من ماء) أي مطر
* (تنبيه) * من الأولى للابتداء والثانية للبيان قال البغوي قيل أراد بالسماء السحاب
يخلق الله الماء في السحاب ثم ينزل السحاب ينزل أو قيل أراد بالسماء المعروفة يخلق الله الماء في
السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض وفيه ما مر (فأحياه
الأرض) بالنبات (بعدموتها) أي يسها وجدوبها (وبث) أي فرق ونشر بالماء (فيها)
في الأرض (من كل دابة) فان قيل هل يث عطف على أنزل أو أحيا (أعجب) بأنه عطف على
أنزل داخل تحت حكم الصلة لأن قوله فأحياه الأرض عطف على أنزل فاتصل به وصاراجمعا
كالشيء الواحد فكأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على
أحياه على معنى فأحياه بالمر الأرض وبث فيها من كل دابة لأن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا أي المطر (وتصرف الرياح) إلى قبول ودبور وجنوب وشمال فالقبول الصبا وهي التي تهب
من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار والدبور تقابلها والشمال التي تهب من جانب القطب
والجنوب تقابلها قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لأنها تريح
النفوس قال شريح القاضي ما هبت ريح الالشفاء سقيم أو لست سقيم (فائدة) البشارة في ثلاث
من الرياح في الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح
ثمانية أربعة للريجة وهي المبشرات والناسرات والذاريات والمرسلات وأربعة للعذاب وهي
العقيم والصمد في البر والعاصف والغاصف في البحر وقرأ حجة والكسافي الريح بالتوحيد
والباقون بالجمع (فائدة أخرى) كل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا م اتفاق القراء على توحيدها

وما فيها ألف ولام كما هنا اختلافوا في جمعها وتوحيدها إلا الحرف الأول في سورة الروم الرياح
 مشرات اتفقوا على جمعها والريح تذكروثقت والسهاب (أي الغيم) (المسخر) أي المذلل
 بأمر الله يسير حيث شاء الله (بين السماء والأرض) بلا علاقة لا ينزل ولا يرتفع مع أن الطبع
 يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقبل تسخير السحاب تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه
 من السحب لأن بعضه يجرب بعضا (لايات) أي دلالات وانجحات على وحدانية الله تعالى (للقوم
 يعقلون) أي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنهم أدل على عظيم القدرة وباهر الحكمة
 وقول البضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فجهل بها أي لم يتفكر فيها
 ولم يعتبر بها قال الولي العزافي لم أقف عليه وقال السيوطي لم يرد في هذه الآية ولا بهذا اللفظ ثم
 قال عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل على الليلة أن في خلق السموات والأرض
 واختلاف الليل والنهار لايات لأولي الأبصار ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قبل اللازم
 ما غاية التفكير فيها قال يقرأه من وهو يعقلها انتهى ولا ينافي هذا أنه ورد أيضا في هذه الآية
 ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البضاوي وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث
 على البحث والنظر فيه انتهى ولا ينافي هذا قول الشافعي رضي الله تعالى عنه لأن باني العبد ربه
 بكل ذنب ما عدا الشر خير له من أن يلقاه بعلم الكلام لأنه محمول على التوغل فيه فيصير فلسفيا
 (ومن الناس) وهم المشركون (من يتخذ من دون الله) أي غيره (أندادا) أي أصناما يعبدونها
 (يعبونها) بالتعظيم والخضوع (كحب الله) أي كحبهم له كما قال الزجاج يحبون الأصنام كما
 يحبون الله لأنهم أشركوا مع الله ففسدوا بين الله وبين أصنامهم في المحبة أو يحبون آلهتهم
 كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على
 الله ما سواه والمشركون محبتهم لا غرض فاسدة موهومة تزول بآفة سبب ولذلك كانوا
 إذا اتخذوا صنما أحسن منه طرحوه الأول واختاروا الثاني وربما يأكلونه كما أكلت باهلة
 الهام من حيس عند الجاهلية ويعرضون عن معبودهم في وقت البلاء وقبلوا على الله كما أخبر
 الله تعالى عنهم فقال فاذا ذركوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض عن الله
 تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء قيل إنما قال الله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله
 لأن الله أحبهم أولائهم أجود ومن شهد المعبود بالحب كانت محبته أتم قال الله تعالى يحبهم
 ويحبونه فحبة العبد لله طاعته والاعتناء بهصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة كرامه
 واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي (ولو يرى الذين ظلموا) أي بالتخاذل الانداد (اذبرون)
 أي يبصرون (العذاب) يوم القيامة واذمعي إذا وأجرى المستقبل وهو يرى مجرى الماضي لأن
 اذموضة الماضي والمعنى هنا على الاستقبال لتعقبه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (أن)
 أي بأن (القوة) أي القدرة والغلبة (لله) وقوله تعالى (جميعا) حال (وإن الله شديد العذاب)
 وجواب لو محذوف والتقدير لو يعلمون أن القدرة لله جميعا اذعابوا العذاب لندموا أشد
 الندم والفاعل ضمير الامة والذين ظلموا ويرى بمعنى يعلم وأن وما بعد هاستمدت من المفعولين

وقرأ نافع وحده بالناء على الخطاب أي ولوترى يا محمد ذلك رأيت أمراً عظيماً وأمال السوسي
اللائق المتقلبة بعد الرأى في الوصل بخلاف عنه وغلظ ورش اللام بعد الظاء وقرأ ابن عامر يرون
بضم الباء والباقون بفتحها (اذ) بدل من اذ قبله (تبرأ الذين اتبعوا) وهم الرؤساء (من الذين
اتبعوا) وهم الاتباع أي ينكر الرؤساء لال الاتباع يوم القيامة حين يجمع الله القادة
والاتباع (وقد) رأوا العذاب أي رأين له قالوا وللحال وقدم مضمة كما قدرتها وقيل عطف
على تبرأ وقوله تعالى (وتنقطع) عطف على تبرأ وقوله تعالى (بهم) بمعنى عنهم (الاسباب)
أي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصدقات وصارت مخالفتهم عداوة (وقال
الذين اتبعوا) أي الاتباع (ولأن لنا كفرة) أي رجعة الى الدنيا (فتبأ منهم) أي الرؤساء
(كأبرؤا منا) اليوم ولولا التني ولذلك أجيب بالقاء (كذلك) أي مثل ذلك الاراء القطع
(يربهم الله أعمالهم) أي السيئة وقوله تعالى (حسرات) أن تنقلب ندمات (عليهم) ثالث
مفاعيل يرى أن كان من رؤية القلب والافعال وقوله تعالى (وما هم بخارجين من النار) أصله
وما يخرجون لأن المناسب ان تعطف جملة فعلية على جملة فعلية لكن عدل به الى هذه العبارة
للمبالغة في الخلود والاقنطاع عن الخلاص والرجوع الى الدنيا واختلف في سبب نزول قوله
تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالاً) فقال البيضاوي نزلت في قوم حرموا على
أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس أي لا على وجه التورع كما تفعله الصوفية وما قاله
قول مرجوح كما قاله شيخنا القاضي زكريا والمشهور انهم نزلت فيهم آية المائدة وهي يا أيها
الذين آمنوا لا تتحرموا طيبات ما أحل الله لكم وأما هذه الآية فانهم نزلت في الكفار
الذين حرموا البعائر والسواب والوصائل ونحوها ومن ثم عبر عنها بيا أيها الناس وثم
يسأى الذين آمنوا (تنبيه) حلالا مفعول كلوا وحال وقوله تعالى (طيباً) أما صفة
مؤكدة وأما طاهر من كل شبهة وهو ما يستطيه الشرع قال الكشاف ومن للتبعض
لأن كل ما في الارض ليس بما كولهذا ان جعلنا حلالاً لا حلالاً فان جعلناه مفعولاً فن لا يشدها
كما قاله السعد التفتازاني لأن من التبعية في موضع المفعول أي كوابه من ما في الارض
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طريقه كما قاله الزجاج وأما المحقرات من الذنوب كما قاله
أبو عبيدة فقد خلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام وقرأ ابن عامر وقبل
وحفص والكسائي بضم الطاء والباقون بالسكون (انه لكم عدو مبين) أي بين العداوة
أو مظهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاتين يغويه وقد أظهر عداوته بامتناعه
من اليهود ولا دم ثم بين سبحانه وتعالى عداوته بأنه لا يأمر بخير قط بقوله (انما يأمر كرم بالسوء)
أي القبيح شرعاً (والنفساء) أي ما تجارز الحد في القبح من العظائم وعن ابن عباس أن السوء
من الذنوب ما لا يحتف به والنفساء من المعاصي ما يجب به حد وقال السدي النفساء هي الزنا
وقيل الخجل قال البيضاوي واستعمل الامر لتزيينه ونعته لهم تسفيهم بالآيهم وقيل السأئهم
انتهى قال شيخنا القاضي زكريا ولا حاجة الى صرف الامر عن ظاهره لأن حقيقة طلب الفعل

ولاريب أن الشيطان يطلب السوء والفشاء عن يرد اغواهم (و) يأمركم أيضا (ان تقولوا على الله ما لاتعلمون) كتحليل المحرمات وتحريم الطيبات واتخاذ الانداد وقوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات متصل بمقابله وهو نازل في مشركي العرب وكفار قريش والضمير في لهم عائذ على الناس المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا عدل عن الخطأ بهم لئلا يدعوا على ضلالتهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحقي ماذا يجيبون وقيل مستأنف والهاء والميم في لهم كتابة عن غير مذكور روى عن ابن عباس أنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (فالوا) لاتبعه (بل تتبع ما ألفينا) أى وجدنا وأدرنا وأعلمنا وألني تتعدى الى مقبولين وهما قوله (عليه آباءنا) من عبادة الاصنام وتحريم البصائر والسواب فانهم كانوا خيرا واعلم منا قال الله تعالى (أولوكان) أى اتبعوهم ولوكان (أباؤهم لايعلقون شيئا) أى من أمر الدين لاشياء مطلقا فانهم كانوا يعلقون أمر الدنيا لفظه عام ومعناه الخصوص (ولا يهتدون) الى الحق والهمزة للانكار والواو والعال أو العطف وجواب لو محذوف أى لوكان أباؤهم جهلة لايبتكرون في أمر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم (ومثل) أى صفة (الذين كفروا) ومن يدعوهم الى الهدى (كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء) أى صوتا ولا يفهم معناه والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعى بالضأن قال الاخطل

فانعق بضأنك يا جبر فأنما * منك نفسك في الخلاه ضللا

وأما نعى الغراب فالغين المعجمة والمعنى أنهم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (وقيل) معنى الآية مثل الذين كفروا في دعاء الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم ولا ينتفع من نعيه بشئ غير أنه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة الا الغناء والدعاء كما قال تعالى وان تدعوههم لايستعوا دعاءكم ولستم عواما استجابوا لكم ثم وصف سبحانه وتعالى الكفار بصفات ذم فقال (صم) أى هم صم عن سماع الحق تقول العرب لمن يسمع ولا يعقل ما يقال له انه أصم (بكم) عن الخير لايقلونه (عمى) عن الهدى لايصرونه (فهم لايعلقون) الموعظة لاضلال نظرهم (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات (أى حلالات) ما رزقناكم روى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يقديه الى السماء يارب يارب أشعث أغبر مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك * ولما توسع الله تعالى الامر على الناس كأنه وأباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يهتروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال (واشكروا لله) على ما رزقكم وأحل لكم (ان كنتم اياه تعبدون) أى ان صم

انكم تحضرون بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته لاتتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو بعدم عند عدمه روى البيهقي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اني والحق والانس في بنا عظيم أخوة وبعد غيري وأرزق وبشكر غيري * ثم بين سبحانه وتعالى المحرمات بقوله (انما حرم عليكم الميتة) أى أكلها اذا الكلام فيه وكذا ما بعدها وهى التى ماتت من غير ذكاة شرعية وألحق بها بالسنة ما بين من حرم وخص منها السمك والجراد والحرمه المضافة الى الميتة تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصريف في المدبوغ (والدم) أى المسفوح كما قال تعالى فى سورة الانعام أو دامسقا كما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهم ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكتب والطحال وهو فى حكم المرفوع بل رفعه ابن ماجه وغيره لكن بسند ضعيف (ولحم الخنزير) أى جميع أجزائه وعبر عن ذلك باللعن لانه معظم المقصود منه وغيره تبع له (وما أهل به لغير الله) أى ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لا لهم (فمن اضطر) أى أجبأه الضرورة الى أكل شئ مما ذكروا كله (غير باغ) أى خارج على المسلمين وقيل مجاوز المقدار الذى أحل له (ولا عاد) أى متعد على المسلمين بقطع الطريق وقيل لا يقصر فيما أبغى له فيدعه وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق الجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة فلم يرخص للمبتدع فى تناول المحرم عند الضرورة وقال مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل الدار واختلف العلماء فى قدر ما يحل للامضطر أكله من الميتة على قولين أحدهما أن يأكل مقدار ما يمكس رمقه وهو قول ابن أبى حنيفة والراجح عند الشافعى والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك (فلا أثم) أى لا حرج (عليه) فى أكل ما ذكروا قرأ عمر وعاصم وحزمه بكسرون فن اضطر فى الوصل والباقر بنهما * (فائدة) * قال البغوى غير نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رأيت غير تصلح فى موضعها الا فهى حال واذا صلح فى موضعها الا فهى استثناء (ان الله غفور) لمن أكل فى حال الاضطرار (رحيم) حيث رخص للعباد فى ذلك (فان قيل) انما تقيد قصر الحكم على ما ذكروا من محرم لم يذكر (أجيب) بأن المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحله الكفار لا مطلقا وقصر ما ذكر على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطر واياها * (تنبيه) * ألحق بالباغى والعادى كل عاص بسفوره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شئ من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعى * ونزل فى علماء اليهود ورواسئهم الذين كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمساكل وكانوا يرجون أن يكون النبى المنعوت منهم فلما بعث صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا اذا هاب ما كلتهم وزوال رياستهم فعهروا الى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها اليهم فاذا انطرت السفلة الى الذمت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه (ان الذين يكفون ما أنزل الله من الكتاب) المشتغل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ويشترون به) أى بالمكثوم (غنا) أى عوضا قليلا أى يسيرا أى المال كل التى

بصبر ونها من سفلتهم (أو لئلا ما يأكلون في بطونهم) أي مل بطونهم يقال أكل فلان في بطونهم
وأكل في بعض بطنه (الأنار) أي ما يؤذيهم إلى النار وهو الرشوة وعن الذين يولوا كان يقضى
بهم إلى النار لأنها عقوبة عليهم فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه أنه يصير ناراً في بطونهم
(ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يبشرهم أنما يكلمهم بالتوبيخ أو يكون
عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلان إذا كان عليه غضبان لما ثبت بالنصوص أنه تعالى
يسألهم والسؤال كلام فعمل في الكلام على الغضب فهو كناية ويجوز إبقاء الكلام على ظاهره
وتحتمل نصوص السؤال على أنه يقع بألسنة الملائكة (ولا يزيههم) أي ولا يظهرهم من دنس
الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم وهو النار (أو لئلا الذين أشعروا) أي استبدلوا (الضلالة
بالحدى) فأخذوها بدله في الدنيا (و) استبدلوا (العذاب بالمغفرة) أي المعتدة لهم في الآخرة
لأنهم يكفون الحق للمطامع والأغراض الدنيوية (فما أصبرهم على النار) أي ما أشد صبرهم وهو
تعجب للمؤمن من ارتكاب موجباتها من غير مبالاة ولا فأس صبر لهم كما قال الحسن والله ما لهم
عليها من صبر ولكن ما أجرهم على العمل الذي يقربهم إلى النار وقال الكسائي فما أصبرهم
على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه روى عن الكسائي أنه قال قال قاضى البين بمكة
اختصم إلى رجلان من العرب خلف أحدهما على حق صاحبه فقال ما أصبرك على عذاب الله
تعالى (ذلك) أي الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده (أن) أي بسبب أن (الله نزل الكتاب) وقوله
تعالى (بالحق) متعلق بنزل فرضه بالكذب أو الكتمان وقوله تعالى (وإن الذين اختلفوا
في الكتاب) اللام فيه إما للجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعضها وأما
للعهد وحينئذ الإشارة ما إلى التوراة واختلافهم حيث آمنوا ببعضها وكفروا ببعضها إنكم
وأما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم هرو تقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين (لبي شقاق)
أي خلاف (بعيد) عن الحق واختلاف في الخطاب بقوله تعالى (ليس البر) أي وهو كل فعل
مرضى (أن تولوا وجوهكم) أي في الصلاة (قبل المشرق والمغرب) على قولين أحدهما أنهم
المسلمون والثاني أهل الكتابين فعلى الأول معناه ليس البر كلمة في الصلاة ولكن البر ما في هذه
الآية قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وعلى الثاني ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب وصلاة
النصارى إلى المشرق فانهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوالت وادعى كل طائفة أن
البر هو التوجه إلى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما
في هذه الآية قاله قتادة والربيع ومقاتل وقال قوم هو عام لهم وللمسلمين أي ليس البر مقصوراً
بأمر القبلة وقرأ حفص وحجة بنسب البر على أنه خبر مقدم والباقيون برفعه وقوله تعالى (ولكن
البر من آمن) على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو برأويل البر بمعنى ذى البرأى ولكن البر
الذي ينبغي أن يمت به بر من آمن أو ولكن ذا البر من آمن (بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتب) أي الكتب أن أريد به الجنس والألفاقرآن (والنبيين) والتأويل الأول أولى
لأن السابق في الآية أنما هو في كون البر بوليته الوجه والذي يستدلون انما هو من جنس

ما ينبغي وقرأ نافع وابن عامر بكسر نون واو مكسنة مخففة ورفع راء البر والباقون بنصب النون
 مشددة ونصب الراء والنبيين تقدم أن نافعاً يقرؤه بالهمزة والباقون على البدل وورش على أصله
 من المد والتوسط والقصر (وآي المال على) أي مع (حب) له كما قال عليه الصلاة والسلام
 لما سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش أي الحياة وتحشى الفقر
 وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقيل
 الضمير لله أي على حب الله (ذو القربى) أي القرابة قال صلى الله عليه وسلم الصدقة على
 المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثمان صدقة وصله (واليتامى) جمع يتيم وتقدم تعريفه
 (والمساكين) جمع مسكين وهو من له مال أو كسب يقع موقعان كفايته ولا يكتفيه بخلاف الفقير
 فإنه من لا مال له ولا كسب يقع موقعان كفايته وسبأ في بيان ذلك إن شاء الله تعالى في سورة
 براءة (وابن السبيل) أي المسافر يقال للمسافر ابن السبيل لما لزمته الطريق وقيل هو الضيف
 ينزل بالرجل قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
 (والسائلين) أي الطالبين الذين ألجأهم الحاجة إلى السؤال قال صلى الله عليه وسلم للسائل
 حق وإن جاء على ظهر فرسه رواه الامام أحمد وفي رواية ردوا السائل ولو بظلف محرق (وفي
 الرقاب) أي فكها معاناة المكاتب وقيل فرض الاسراء وقيل ابتغاء الرقاب لعتقها (وأقام
 الصلوة) الفروضة (وآي الزكوة) المفروضة (فان قيل) قد ذكرنا بيان المال في هذه الوجوه
 ثم شئنا أن الزكاة فقد دل ذلك على أن في المال حقاً سوى الزكاة (أجيب) بأن المقصود
 في التطوع وإن قال الشعبي أن في المال حقاً سوى الزكاة وتلاهذه الآية ففي الحديث نهى
 الزكاة كل صدقة رواه الدارقطني والبيهقي أي نهى الزكاة وجوب كل صدقة وروى ليس
 في المال حق سوى الزكاة (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما
 بينهم وبين الناس إذا وعدوا وأنجزوا وإذا حلفوا أو نذروا وفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا اتهموا
 أدوا (تنبيه) الموفون عطف على من آمن وقيل رفع على المبتدأ والخبر أي وهم الموفون
 وقوله تعالى (والصابرين في البأساء) أي شدة الفتن (والضراء) أي المرض (وحين البأس)
 أي وقت شدة القتال في سبيل الله تعالى نصب على المدح ولم يهطف بفضل الصبر على الشدائد
 ومواطن القتال على سائر الأعمال وروى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال كما إذا حى البأس
 أي اشتد الحرب ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحد أقرب إلى
 العدو منه (أولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين صدقوا) في الدين واتبع الحق وطلب البر
 (وأولئك هم المتقون) الله التاركون للكفر وسائر الرذائل قال البضاوي رحمه الله تعالى
 والآية كما ترى جامعة للكالات الانسانية بأسرها والله عليها صريحاً وضمنها فأنها بكثرتها
 ونشوبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير إلى
 الأول بقوله تعالى من آمن إلى والنمين وإلى الثاني بقوله تعالى وآي المال إلى وفي الرقاب وإلى
 الثالث بقوله تعالى وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظر إلى إيمانه

واعتقاده وبالتقوى اعتبارا عاشرته للعلق ومعاملته مع الحق والبه أشار بقوله عليه الصلاة
 والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ونزل في حين من أحياء العرب اقتتلوا
 في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهم ما قتل وجراحات يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء
 الاسلام وكان لاحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا يتكفون نساءهم
 بغير مهر ورأفهم والنقل بالعبء الحزم منهم وبالمروءة من الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم
 وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها
 الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم القصاص) وهو المساواة والمماثلة (في القتل) وصفا
 وفعلا (الحز) يقتل (الحز) ولا يقتل بالعبء (و) يقتل (العبء بالعبء) يقتل (الأنثى بالأنثى)
 وينت السنة أن الذكر يقتل بالأنثى وأن المماثلة تعتبر في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر
 ولا تمت في ذلك خلاف وأدلة مذكورة في الفقه وكلهم على هدى من ربهم (فن عني له) أي من
 القاتلين (من) أي دم (أخيه) المقتول (شيء) بأن ترك القصاص منه وتكبير شيء يفيد سقوط
 القصاص بالعمو عن بعضه ولومن بعض الورثة وفي ذكر أخيه تعطف الى العفو وإذا بان القتل
 لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية وموصولة والخبر (فاتباع) أي فعل العافي اتباع
 للقاتل (بالعرف) بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو فيبدأ أن الواجب
 أحدهما وهو أحد قول الشافعي والثاني وهو الأصح عنده الواجب القصاص عينا والدية بدل
 عنه فلو عفا ولم يسأله فلا شيء (فأقبل) ان عفا يعتدي بعن لا باللام فأوجه قوله فن عني له (أجيب)
 بأن عفا يعتدي بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله
 عنه وقال عفا الله عنها فإذا اعتدى الى الذنب والجاني معاقيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول
 غفرت له ذنبه وتحاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فن عني له عن جنايته فاستغنى
 عن ذكر الجناية (وأداء) أي وعلى القاتل أداء الدية (اليه) أي العافي وهو الوارث (باحسان)
 أي بلا مظل ولا بخس (ذلك) الحكم المذكور في العفو والدية (تخفف من ربكم ورحمة)
 لما فيه من التسهيل والنفع لان أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ
 الدية وعلى أهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص
 والدية والعفو وتسعة عليهم ونسبوا (فن اعتدى) أي ظلم القاتل بأن قتله (بعد ذلك) أي العفو
 على الدية أرمحانا (فله عذاب أليم) أي مؤلم في الآخرة بالنار وفي الدنيا بالقتل أو أخذ الدية
 ان عني عنها وقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) كلام في غاية الفصاحة والبلاغة حيث
 جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم
 نوعا من الحياة عظيما وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة قال الرحمن شري وتم قتل مهلول
 بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكرين وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتشور الفتنة ويقع بينهم
 التشاجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة
 بالارتداع عن القتل لان القاصد للقتل اذا علم أنه ان قتل يقتل يتعسف فيكون فيه بقاء وبقاء من

بهم بقتله وفي المثل القتل أننى للقتل وقيل في المثل القتل قتل القتل وقيل المراد بالحياة الحياة
الآخروية فإن القتلى إذا اقتص منه في الدنيا لم يؤخذ به في الآخرة هذا بالنسبة للآدمي وأما
بالنسبة لله تعالى فإن تاب فكذلك ولا فهو تحت المشيئة ثم نادى ذوى العقول الكاملة بقوله
(يا أولى الألباب) للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس ثم بين سبحانه
وتعالى مشروعية ذلك بقوله (لعلكم تتقون) القتل مخافة القودأ وتعملون عمل أهل التقوى في
المحافظة على القصاص والحكم به والأذعان له وهو خطاب له فضل اختصاص بالإنمة (كتب)
أى فرض (عليكم إذا حضر أحدكم الموت) أى حضرت أسبابه وظهرت أماراته (أن ترك خيراً)
أى ما لا نظير له تعالى وما تنفقوا من خير وقيل ما لا كثير الماروى عن عائشة رضى الله تعالى
عنها أن رجلاً أراد الوصية فسأله كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عمالك قال أربعة قالت
انما قال الله تعالى ان ترك خيراً وان هذا الشيء يسير فتركه لعمالك وعن علي رضى الله تعالى عنه
أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعة مائة درهم فنهى وقال قال الله تعالى ان ترك خيراً والخير هو المال
الكثير وقوله تعالى (الوصية) مرفوع بكتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصى ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدم عليها
وجواب ان أى فليوص (لوالدين والأقربين بالمعروف) بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يهاوز
الثالث لما روى عن سعيد بن مالك رضى الله تعالى عنه قال جاءني النبي صلى الله عليه وسلم
يعودني فقلت يا رسول الله أوصى بحالى كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثالث قال الثالث
والثالث كثيراً ان تدع وروى أنك أغنيا خبرك من أن تدعهم عالة يكفون الناس بأيديهم
أى يسألون الناس الصدقة بأكثرهم وقوله تعالى (حقاً) مصدر قال البضاىي تعالى تخشى
وغيره مؤكداً لضمون الجملة قبله أى حق ذلك حقاً وردّه أبو حيان بأن قوله تعالى على المتقين
متعلق بحقاً وصفه وكل منهما يخرج عن التأكد اما الاول فلان المصدر المؤكد لا يعمل
انما يعمل المصدر الذى ينفصل الى حرف مصدرى والفعل أو المصدر الذى هو يدل من اللفظ
بالفعل وأما الثانى فلان حقاً مصدر مخصص بالصفة فلا يكون مؤكداً وقيل حقاً فعل مصدر كتب
أو أوصى أى كتباً أو أوصاه حقاً وقيل حال من مصدر أحدهما معترفاً وقيل نصب على المفعولية
أى جعل الوصية حقاً (على المتقين) الله وهذا منسوخ بآية المواريث وبقوله صلى الله عليه
وسلم ان الله أعطى كل ذي حق حقه ألا الوصية لو ائث بناء على الأصح من أن الكتاب ينسخ
بالسنة وان لم تتواتر وبذلك ظهر ما في قول بعضهم أن الكتاب لا ينسخ بالسنة وان الحديث من
الاحاد (فمن بدله) أى غيره من الأوصياء والشهود (بعد ما سمعه) أى وصل اليه علمه وتحقق
عنده (فانما انتم) أى الأوصياء المبدل (على الذين يتلونونه) والميت يرى منه وفى هذا إقامة
لظاهر مقام المضم (ان الله سمع) لما وصى به الموصى (عليه) بفعل الوصى فيجازه عليه وفى
هذا وعيد للمبدل بغير حق (فمن خاف من موص) أى توقع وعلم كقوله تعالى فان خفتم أن لا يقيموا
حدود الله أى علمتم وقرأه بامالة الالف بعد الحاء من خاف حيث جاء وقرأ أشعبة وجره

والكسائي بفتح الواو من موص ونشديد الصاد والباقون بسكون الواو وتخفيف الصاد
 (جنفاً) أى ميلان الحق بالخطا في الوصية (أو أئماً) بأن نعلم الحيف في الوصية (فأصلح بينهم)
 بين الوصى والموصى لهم باجرائهم على نهي الشرع (فلأثم عليه) في هذا التبديل لأنه سبيل
 باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) فيه وعد للمصلح وذكر المغفر لمطابقة ذكر
 الأثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم (بأيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) هو
 لغة الامساك عما تنازع فيه النفس ومنه قوله تعالى فقلوا انى نذرت للرحمن صوماً أى صمتاً لأنه
 امساك عن الكلام وفي الشرع الامساك عن المفطرات مع التنية فانها معظم ما تشبهه النفس
 (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء والاعمم من لدن آدم الى عهدكم قال على رضى الله
 تعالى عنه أولهم آدم يعنى ان الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخل الله أمة من اقتراضها عليهم
 لم يفرضها عليكم وحدهم وفي قوله تعالى كتب عليكم الخ توصيكم بالحكم وترغب على الفعل
 وتطيب على النفس وفي موضع التشبيه في كاف كما كتب قولان أحدهما أن التشبيه في حكم
 الصوم وصفته لا في عدده قال سعيد بن جبير كتب عليهم اذا نام أحدهم قبل أن يطعم أنه لم يحل له
 أن يطعم الى الليلة القابلة والنساء عليهم حرام ليلة الصيام وهو عليهم ثابت وقد أرخص لكم هذا
 فعلى هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الآية فانها
 فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين والثاني انه كصومهم في عدد الايام لما روى
 أن رمضان كتب على أهل الانجيل فأصابهم موتان أى وهو بضم الميم موت يقع على الماشية
 فزادوا عشرة اقبله وعشر بعده فجعلوه خمسين وقيل كان يقع في الحز الشديد وكان يشق عليهم
 في أسفارهم ويضربهم في معاشهم فاجتمع رأى علمهم وروايتهم على أن يجعلوا صيامهم في
 فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وقالوا نزيد عشرين يوماً تكفر ما صنعتنا
 قال السدي عن مشايخه وقيل زادوا فيه عشرة أيام أولاً كفارة لما صنعوا فصار أربعين يوماً ثم
 ان ملكهم اشكى فنهج فعله الله عليه ان هو شفى من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعاً فزاد فيه
 أسبوعاً ثم مات ذلك الملك ولهم ملك آخر فقال أعوه خمسين يوماً وعلى هذا تكون الآية محكمة
 لا منسوخة (لعلكم تتقون) بصومكم للمعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما
 قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة أى مؤن النكاح فليتزوج
 فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أى فاطع لشهوته
 وأهلكم تنظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقوله تعالى (أياماً) نصب بصوموا
 مقتدر الدلالة الصيام عليه لا بالصيام لوقوع الفصل بينهما (معدودات) أى قلائل كقوله تعالى
 دراهم معدودة وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويحكر فيه والكثير يهال هبلاً ويحصى حباً
 أو موقفات بعدد معلوم وهي رمضان كما سمي في وقته تسهياً على المكثنين وقيل هي عاشوراء
 وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نهضت
 بشهر رمضان (فمن كان منكم مريضاً) مرضاً يضطره الصوم وبسرعه (أو على سفر) أى مسافراً

سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أي فعلية صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر ان افطر
 لحذف الشرط وهو ان افطر والمضاف وهو صوم والمضاف اليه وهو أيام المرض والسفر العلم بها
 واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر والاصح فيه ما قدرناه وذهب أهل الظاهر الى أن ما يطلق
 عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين فقد دخل عليه في رمضان وهوياً كل
 فاعتل بوجع اصبعه وفي السفر الذي يباح فيه الفطر والاصح فيه أيضاً ما قدرناه وهو
 مرحلتان وقال الاوزاعي أقله مرحلة وقال أبو حنيفة وأصحابه ثلاثة أيام (وعلى الذين
 يطيقونه) أي ان افطروا (فدية) هي (طعام مسكين) أي قدر ما يأكله في يوم وهو مذهب الاصح
 من غالب قوت بلده وقال بعضهم نصف صاع من القمح أو صاع من غيره وقال بعضهم ما كان
 المقطر تقوته يومه الذي افطره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه ويصوره واختلف
 العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم الى أنها منسوخة وهو قول ابن عمر وسلة
 ابن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في صدر الاسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا
 ويفدوا وانما أخبرهم الله تعالى لانهم كانوا لم يتعودوا الصيام ثم نسخ التخيير وزلت العزيمة بقوله
 تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس الاحامل والمرضع اذا فطرا تخوفا على الولد
 فانها باقية بلا نسخ في حقهما وذهب جماعة منهم الى أن لفظة لامقذرة في الآية أي وعلى الذين
 لا يطيقونه الكبر أو مرض لا يرجي برؤه فدية وهو قول سعيد بن جبير وجعل الآية محكمة وقرأ
 نافع وابن ذكوان بغير تنوين في فدية وخفض الميم من طعام والباقيون بتنوين فدية ورفع الميم
 من طعام وقرأ نافع وابن عامر مساكين بفتح الميم والسين وألف بعد السين وفتح النون والباقيون
 بكسر الميم وسكون السين ولا ألف بعدها وكسر النون منونة (فمن تطوع خيراً) بالزيادة على
 التقدير المذكور في الفدية (فهو) أي التطوع (خيره) فيثيبكم الله عليه (وان تصوموا) أي
 أيها المطيقون مبتدأ خبره (خيراكم) أي من الافطار والفدية (ان كنتم تعلمون) أي مافي
 الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب ان كنتم محذوف دل عليه خير لكم أي فالصوم خير
 لكم وقوله تعالى (شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده أو بدل من الصيام في قوله كتب عليكم
 الصيام بدل اشتمال أو بدل كل من كل ان قدر مضاف أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر
 رمضان أو الشهر من الشهور ورمضان مصدر رمض اذا أحرق فأضيف اليه الشهر وجعل علماً
 ومنع من الصرف للعلمية والالاف والنون (فان قيل) اذا كانت التسمية واقعة مع المضاف
 والمضاف اليه جمعاً فاجابه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان
 ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله صلى الله عليه وسلم لم يعد من أدرك رمضان فلم يغفر له
 (أجيب) بأن ذلك على حذف المضاف لا من اللبس قال التفنيزاني وجازا لحذف من الاعلام
 وان كان من قبيل حذف بعض الكلمة لانهم أجزوا مثل هذا العلم مجرى المضاف والمضاف
 اليه حيث أجزوا الجزأين وانما سماه العرب بذلك اما لارتعاضهم فيه من حرج الجوع والعطش
 واما لارتعاض الذنوب فيه وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة

الصوم في السفر قول أبي سعيد رضي الله تعالى عنه كأننا فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ففنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم وقوله تعالى (ولتكمّلوا العدة ولتذكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) أي الله على نعمه علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق أي وشرع جله ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بالقضاء وعبارة العدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة المفطر فقوله تعالى ولتكمّلوا العدة علة الأمر بعبادة العدة وقوله تعالى ولتذكروا الله على ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة المفطر وقوله تعالى ولعلكم تشكرون علة الترخيص من تعظيم الله تعالى بالجهد والثناء عليه ولذلك عد نوعان للثبوت لطف المسالك ومعنى التكبير تعظيم الله تعالى بالجهد والثناء عليه ولذلك عدى بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معنى الجدا كانه قيل ولتذكروا الله حامدين على ما هداكم وقيل تكبير عبد المفطر وقيل التكبير عند الإلهال وقرأ شعبه ولتكمّلوا بفتح الكاف وتشديد الميم والباقون بسكون الكاف وتخفيف الميم * (تنبيه) * ورد في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين أخبار منها ما رواه أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقهم من النار وذلك كل ليلة ومنها ما رواه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لم قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومنها ما رواه سلمان قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بمخلة من الخير كان كن أدنى فريضة فيمساوا ومن أدى فيه فريضة كان كن أدنى سبعين فريضة فيمساوا وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجر من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله ليس كأننا نجد ما يفطر الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرّة أو شرية من ماء ومن أسقى صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا ينظم بعدها حتى يدخل الجنة وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فسكروا فيه من أربع خصال خصاتين ترضون بهما ربكم وخصاتين لا غنى لكم عنهما فاما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهاده أن لا اله الا الله وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعودون به من النار وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل عمل ابن آدم بضاعف الحسننة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف الا الصوم فإنه لي وأنا أجرى به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه وغلط لوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنة وعن سهل بن سعد أنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون وعن ابن عمر
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب اني
 منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن رب منعتك النوم فاشفعني
 فيه فيشفعان وسأل جماعة النبي صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا فنانا جبه أم بعيد فنانا به قنزل
 (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) أي نقل لهم اني قريب وهو غشيل لكل علمه بأفعال العباد
 وأقول لهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم ونحوه قوله تعالى ونحن أقرب اليه
 من حبل الوريد وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) أي بان الله ما سأل تقرير القرب ووعده
 للداعي بالاجابة وقرأ أورش وأبو عمرو بإثبات الياء فيها ما وصل لا وقفا واختلف عن قالون فيها ما
 والباقيون بجزفها وصل لا ووقفا (فان قيل) ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداع وقوله
 ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب (أجيب) بأنهم اختلفوا في معنى الآيتين فقيل
 معنى الدعاء هنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل معنى الآيتين خاص وان لفظهما عام
 تقديره أجيب دعوة الداع ان شئت كما قال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وأجيب
 دعوة الداعي ان وافق القضاء وأجيبه ان كانت الاجابة خيرا له وأجيبه ان لم يسأل محالا وعن
 أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجيب الله لادمع ما لم يدع باثم
 أو قطعة رحم أو يستجمل قالوا وما الاستجمل يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب فلا
 أراك تستجيب لي فيخسر عند ذلك فیدع أي يترك الدعاء وقيل هو عام ومعنى قوله أجيب
 أي اسمع ويقال ليس في الآية أكثر من اجابة الدعوة فاما اعطاء الامنية فليس بمدكور فيها
 وقد يجيب السيد عبده أو الولد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالاجابة كاشنة لا محالة عند حصول
 الدعوة وقيل معنى الآية أنه لا يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وان لم يدر له ادخر الثواب
 له في الآخرة أو كف عنه به سواء لقوله صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل مسلم يدع الله
 بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من سوء عملها ما لم يدع باثم أو قطعة رحم وقيل ان الله
 يجيب دعوة المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء امراده ليدعوه فيسمع صوته ويجعل اعطاء من لا
 يحبه لانه يفيض صوته وقيل ان الدعاء آدابا وشرا ئط وهى أسباب الاجابة فن استكملها
 كان من أهل الاجابة ومن أدخل بها فهو من أهل الاعتماد في الدعاء فلا يستحق الجواب
 (فليس تهيبوا لي) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعوني بمهماتهم وقوله تعالى
 (وليؤمنوا بي) أمر بالإثبات والمداومة على الايمان (لعلهم) أي لكي (يرشدون) والرشد اصابة
 الحق (أحل لكم ليلة الصيام) أي الليلة التي تصبحون منها صائمين (الرفث الى نسائكم) الرفث
 كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخفى لو عن رفث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ الوطء
 والجماع فانه يجب أن يكنى عنه بلازم من لوازمه كالرفث وعدى بالي لتضمنه معنى الافشاء وكنى
 عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفننى بعضكم الى بعض
 استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة ولذلك سمى فيها بآتي خيانة قال ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما إن الله تعالى حيي كريم يضيء كل ماذكر في القرآن من المباشرة والملازمة والافضاء
والدخول فالرفث انما عني به الجماع وقال الزياح الرفث كلمة جامعة لكل ما يرد الرجل من
النساء قال أهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا أظفر الرجل حله الطعام والشراب والنساء
الى أو ان العشاء الاخرة أو مرة قبلها فاذا صلى العشاء أو مرة قبلها حرم عليه الطعام والشراب
والنساء الى الليلة القابلة ثم إن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء
فلما اغتسل أخذ يكي ويوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أعذر الى
الله واليك من نفسى هذه الخاطئة انى رجعت الى أهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة
طيبة فسوّاتى نفسى فجمعت أهلى فهل تجبلى من رخصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزل في عمر وأصحابه هذه الآية وفي تجويز
المباشرة في جميع الليل دليل على جواز تأخير الفسل الى النجور وصحة صوم المصحب جنبا
(هن لباس) أى سكن (لكم وأنتم لباس) أى سكن (لهن) كما قال تعالى وجعل منها زوجها
ليسكن اليها وكما قيل لا يسكن شئ شئ كسكون أحد الزوجين الى الآخر وقيل سعى كل
واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم وقعا فقاموا واجتماعهما في نوب واحد حتى يصير
كل واحد من الزوجين لصاحبه كالنوب الذى يليه قال الجعدى

اذاما الضمير فى عطفها * تنبت فكانت عليه لباسا

والضمير المضاجع وما زائدة وثنى عطفا على ما قبلها وتنبت مالت والشاهد في قوله فكانت عليه
لباسا وقيل أن كلا منهما يستر حال صاحبه وينعه من الفجور كما جاء في الخبر من تزوج فقد
أحرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أى تظلمون بها بتعريضها للعقاب وتوقيص
حظها من الثواب بالجماعة بعد العشاء كما وقع ذلك لعمر وغيره وقال البراء لما نزل صوم رمضان
كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله هذه الآية (قتاب
عليكم) أى قبل توبتكم (وعفا عنكم) أى محاذنوبكم ولم يل أحد اف عفا لانه واوى
(قالا ن) أى اذا نسخ عنكم التحريم (بأشروهن) أى جامعوهن حلالا ولا يسمى الجماعة مباشرة
للتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه (وابتغوا) أى واطلبوا (ما كتب الله لكم) أى ما قسم
لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أى لا تأشروا بالقضاء الشهوة وحدها ولكن لا تبغوا
ما وضع الله له النكاح من التماسل أو قصد لعقة وقال مجاهد ابتغوا الولد فان لم تلده هذه فهذه
وقال مقاتل وابتغوا الرخصة التى كتب الله لكم باباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح
المحفوظ وقيل وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم وحله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم
وقيل هو نهى عن العزل لانه في الحرائر فقوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط
الابيض من الخطيط الاسود من الفجر) أى الصادق نزل في رجل من الانصار قال عكرمة اسمه
أبو قيس وذلك انه نزل نهاره يعمل في أرض وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بقر فقال لامرأته
قد بقي الطعام وأرادت المرأة أن نطعمه شيئا فمضت فأخذت نعلها في شئ وكان في ابتداء الاسلام

من صلى العشاء أو نام قبلها حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه اذ هو قد نام وكان قد أعيا وكل فاقبضته فكره أن يعصى الله ورسوله وأبى أن يأكل فأصبح صائما مجبها ودا فلما يتصرف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحاً فذكر له حاله فأعتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله هذه الآية وقد شبه سبحانه وتعالى أول ما يدوم من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غيب الليل بخرطين أبيض وأسودوا كتنى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه ويصح أن تكون من التبعض فأنما يبدو بعض الفجر وعلى كل منهما فهي مع مدخولها في محل الحال والمعنى على التبعض حال كون الخيط الأبيض بعضا من الفجر وعلى البيان حال كونه هو الفجر (فان قيل) كيف التبس على عدى بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عدت إلى عقالي أبيض وأسود فجعلت ما تحت وسادتي فجعلت أقوم من الليل فلا يتبين لي الأسود من الأبيض فلما أصبحت عدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ففتح لي وقال إن كان وسادتي إذا العريضا وروى أنك عريضا القفا انما ذلك بياض النهار من الليل (أجيب) بأنه غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء لانه مما يستدل به على بلاد الرجل وقلة فطنته وقال سهل بن سعد الساعدي نزلت ولم ينزل من الفجر ~~فكان~~ رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له فأنزل الله تعالى بعد ذلك من الفجر (فان قيل) كيف جاز فعل ذلك في رمضان مع تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد (أجيب) بأن ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائزا ~~واستثنى~~ ~~أولا~~ ~~باشتم~~ ~~أرهم~~ ما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم (ثم أعوا الصيام) من الفجر (إلى الليل) أي إلى دخوله بغروب الشمس كما روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم أي دخل وقت افطاره • (تنبيه) • انما قدرت في الآية الكريمة من الفجر ليدل على عدم جواز الانية في النهار في صوم رمضان كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه ولأنه لا يكون المغيبا ينقض شيئا فشبها بالانتماء فعل الجزء الآخر فقط وهو لا ينقض كذلك وفي الآية دليل على نفي الوصال لانه تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشيء منتهاه وما بعده ما يحال ما قبلها (وليتاشرهون) أي نساءكم (وأنتم عاكفون) أي مقيمون (في المساجد) بنية الاعتكاف والمراد بالمباشرة الوطء والآية تزلت في نفر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فاجتمعوا ثم اغتسل ثم يرجع إلى المسجد فنهر راعن ذلك لابلانها راحتي فبرغوا من اعتكافهم وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يختص بمسجد دون مسجد وأن يكون في المسجد لا في غيره اذ ذكر المساجد لا جاز أن يكون بلعلها شرط في منع مباشرة المعتكف لمنعه منها وإن كان خارج المسجد ويمنع غيره أيضا منها

فيها قمعين كونها شرطاً لصحة الاعتكاف وإن الوطء محرم في الاعتكاف ويفسده لأن النهي
 في العبادات يوجب الفساد أما ما دون الجماع من المباشرات فإن كان بشهوة فحرام ولا يهطل
 اعتكافه إن لم ينزل فإن أنزل وكان بلا حائل فكالجماع والأفلا عن عائشة رضي الله تعالى عنها
 أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف أدنى إلى رأسه فأرجله وكان لا يدخل
 البيت إلا الحاجة إلا الإنسان (تلك) الأحكام المذكورة وهي قوله تعالى فلا تبشروهن إلى قوله
 تعالى في المساجد (حدود الله) حدها العبادات فنفوا عنها (فلا تقربوها) نهى تعالى أن يقرب
 الحد الحائض بين الحق والباطل للتلذذ في الباطل فضلاً أن يتخطى عنه وهذا أبلغ من قوله تعالى
 في آية أخرى فلا تعبدوها لكن في ذلك ما مورات وهي لا ينهي عن قربانها فالمراد منها أضدادها
 بناء على أن الأمر بالشئ ينهي عن ضده أو مستلزم له ليصح النهي عن قربانها ويجوز أن يراد بحدود
 الله محارمه ونواحيه وعلى هذا فالنهي عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام إن لكل
 ملك حجي وإن حجي الله في أرضه محارمه فنرفع حول الحجي يوشك أن يقع فيه رواء الشيخان
 (كذلك) أي كما بين لكم ما ذكر (بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا مخالفة الأوامر
 والنواهي فينجوا من العذاب (ولأنكم كلوا أموالكم بينكم) أي لا يأكل كل بعضكم مال بعض
 (بالباطل) أي الحرام شرعاً كالغصب والسرقة وقوله تعالى (وتدلو) مجزوم داخل في حكم
 النهي أو منصوب بأخياران والادلاء الإلقاء أي ولا تلقوا بها أي يحكمونها والأموال رشوة
 (إلى الحكم لتأكلوا) بالهاكم (فريقاً) أي طائفة (من أموال الناس بالأنف) أي بما يوجب
 انما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو متلبس بالأنف فالإثم للسببية فتكون متعلقة بتأكلوا
 أو للمصاحبة فتتعلق بمعدوف وتكون مع مدخولها حالاً من فاعل تأكلوا (وأنتم تعلمون)
 أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعصية مع العلم أفعى روى أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ
 القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف
 امرؤ القيس فيهم بالحلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين يشترون بعهد الله
 وأيمانهم ثمناً قليلاً فارتدع عن اليمين وسلم الأرض لعبدان فنزلت وهو دليل على أن حكم القاضي
 لا يتخذ في باطن الأمر وفيه خلاف ظاهر ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لخصمين اختصما إلي
 انما أنا بشر وأنتم تختصمون لدي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته أي أقوم وأقدر عليهما من
 بعض فأقضي له على ما أسمع منه فن قضيت له بشئ من أخيه فأعانا قطع له قطعة من نار فبكيا وقال
 كل واحد منهما ما حق لصاحبي فقال اذهبا فتواخيا ثم استهما ثم ليحل كل واحد منهما لصاحبه
 وسأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يسود دقيقا
 كأنه يثمن يزيد حتى يعتلى نوراً ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدأ ولا يكون على حالة
 واحدة كأنه شمس فنزل (يسئلونك) يا محمد (عن الأهلة) جمع هلال مثل رداء وأردية والهلال
 اسم له أول الليلة الأولى والثانية والثالثة وبعدها يسمى قراؤها سماه بأول حاله لأن الناس
 يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد (قل) لهم

(هي مواقيت) جمع ميعات أى معالم (للناس) يعلمون بها أوقات زرعهم ومناجرهم ومحال
ديونهم وصياهم وافتقارهم وعدد نسايتهم وأيام حيضهم ومدة حملهم وغير ذلك وقوله تعالى
(والحج) عطف على الناس أى يعلمون بها وقته أداء وقضاء هذه هي الحكمة الظاهرة في ذلك
ولهذا خالف بين الأهلة وبين الشمس فلواستترت الأهلة على حالة لم يعرف حال ماذكر ولما كان
الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائط ولا بيتا
ولا دارا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ويدخل منه ويخرج أو يتخذ سلتا
فيه فبصد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج
من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك برا إلا أن يكون من الحس وهم قريش وكثانة
وخزاعة وثقف وبنوعامر بن مسعدة وبنو نضير بن معاوية سموا حسانا لشدة دينهم في
دينهم والحاسة الشدة والصلابة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا البعض
الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعه بن ثابوت على أثره من الباب وهو محرم
فأنكر وأعليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم قال رأيتك
دخلت فدخلت على أثرك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أحس فقال الرجل فان
كنت أحس فاني أحس رضيت به ذلك وبسمتك ودينك فانزل الله تعالى (وليس البر أن تأتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر) أى ذا البر (من اتقى) الله ترك مخالفته ووجه اتصال هذه
الآية بما قبلها أنهم سألوا عن الحكمة في اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من
غير أبوابها أو أنه تعالى لما ذكر أنهم مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره
للاستطراء وانهم لما سألوا عما لا يعنيههم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيههم وهو
معرفة الحلال والحرام ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبه على أن لا تأتي
بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويبتغوا العلم بها أو على أن المراد به التنبيه على تمكيسهم السؤال
وتعميلهم بحال من ترك أبواب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر أن تعكسوا في
مسائلكم ولكن من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله (واتقوا البيوت من أبوابها) في الاحرام كغيره
اذ ليس في العبد ولبرأ وباشروا الامور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها والمراد بوطئ
النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله تعالى حكم وصواب من غير اختلاج شبهة
ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه كافي السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون (واتقوا الله) في تغيير الاحكام (لعلكم تفلحون) لكي تفوزوا بالهدى والبر
وقرأ وروى وأبو عمرو وحفص البيوت بضم الباء حيث جاء معرفا كان أو منكرا وكسرهما
الباقون ولا خلاف في وليس البر ههنا ان الرأى مرفوعة للجميع وقرأ نافع وابن عامر ولكن بكسر
النون مخففة ورفع الرأى والباقيون بفتح النون مشددة ونصب الرأى ولما صدقوا المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا أثنى وأربع مائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصددهم المشركون

عن البيت الحرام وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخالوا مكة ثلاثة أيام فطوف بالبيت فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكره المسلمون ذلك نزل (وقاتلوا) أى جاهدوا (في سبيل الله) لاعلاء كلمته واهوازدينه (الذين يقاتلونكم) من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم بالابتداء بالقتال (إن الله لا يحب المعتدين) أى لا يريد بهم الخير لانه غاية المحبة اذ المحبة حقيقة محال في حق تعالى لانهاصيل النفس وسبب ذلك انهم كانوا امنعوا من قتال الكفار وأمروا بالصبر على أذاهم بقوله تعالى لتبليون في أموالكم الآية ثم أمروا به اذا استدوا به بهذه الآية ثم أبيع لهم ابتداء في غير الشهر الحرام بقوله تعالى فاذا انسح الشهر الحرام الآية ثم أمروا به مطلقا من غير قيد بشرط ولا زمان بقوله تعالى (واقولهم حيث تنفقوهم) أى وجدهتموهم في حل أو حرم وقرأ أبو عمر وبادغام التاء في التاء بخلاف عنه حيث جاء (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل ذلك بن لم يسلم عام الفتح (والقصة) أى الشريعة منهم (أشدت) أى أعظم (من القتل) لهم في الحرم والاحرام الذي استعظمتموه أو المحنة التي يفتن بها الانسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام نعيمها وتألم النفس بها قبل لبعض الحكماء ما أشد من الموت الذي تمنى فيه الموت وقال القائل

لقتل بمجد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بمجد فراق

وقبل القصة عذاب الآخرة كما قال تعالى ذوقوا عنتكم (ولا تقاتلوهم) أى لا تبدؤهم (عند المسجد الحرام) أى في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه (فاقتلوهم) فيه فانهم هم الذين هتكوا حرمة وقرأ جزء والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم بفتح التاء الفرقية من تقتلوهم والياء من يقتلوكم وسكون القاف ولا ألف بعد القاف وضم التاء فيهما والباقيون بفتح التاء والياء وفتح القاف وبعد القاف ألف وكسر التاء وأما فان قاتلوكم فحذف جزء والكسائي ألف وأثبت الباقيون والمعنى على قراءة جزء والكسائي حتى يقتلوا بعضهم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم كقول بعض العرب قتلنا بني أسد أى بعضهم وقال بعضهم وان تقتلونا تقتلكم (كذلك) أى القتل والإخراج (جزء الكافرين) أى يفعل بهم مثل ما فعلوا (فان اتهموا) عن الكفر وأسوا (فان الله غفور) يغفر لهم ما قد سلف (رحيم) بهم فلا يؤاخذ بذلك (وقاتلوهم حتى لا تكون) أى توجد (قصة) أى شرك (ويكون الدين) أى العبادة (لله) وحده لا يعبدون سواه (فان اتهموا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فلا عدوان) أى اعتداء بقتل أو غيره (الأعلى الظالمين) أى فلا تعتدوا على المستهين اذ لا يحسن أن يظلم الامن ظلم والقاء الاولى للتعظيم والثانية للجزاء وسعى جزء الظالمين عدوا نال المشاكاة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (الشهر الحرام) أى الحرم مقابل (بالشهر الحرام) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج معقرا في ذي القعدة سنة ست وصدته المشركون عن البيت بالحديبية ورجع في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمره سنة سبع واستعظم المسلمون قتلهم في الشهر الحرام

نزات هذه الآية أي هذا الشهر بذلك وهتك بهنكه فلا تبالوا به وقوله تعالى (والحرمت
 قصاص) احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجزى فيها القصاص وإنما
 جعلها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الأحرار أي فلما هتكوا حرمة شهرهم
 بالصدف فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم غنوة واقتلوهم إن قاتلوكم أي كما قال تعالى (فإن اعتدى
 عليكم) بالقتال في الحرم أو الأحرار أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
 سمى الجزء باسم الاعتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزأ سنة سنة مثلها (واتقوا الله)
 في الانتصار لانفسكم منهم ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين)
 بالعون والنصر فصرهم ويصلح شأنهم (وأنفقوا في سبيل الله) أي طاعته سواء الجهاد وغيره
 (ولا تاتقوا بأيديكم) أي بأنفسكم عبر بالأيدي عن النفس كقوله تعالى بما كسبت أيديكم
 أي بما كسبتم والباء زائدة (إلى التهلكة) أي الهلاك بالمسالك عن النفقة في الجهاد
 أو الإسراف فيها حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية لعدوه
 روى أن رجلاً من المهاجرين جل على صف العدو فصاح به الناس ألقى يده إلى التهلكة
 فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية وانما نزلت فينا حينما رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وأثرناه على أهلنا وأولادنا وأموالنا فلما نشأ
 الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهلينا وأولادنا وأموالنا فنصلحها ونقيم
 فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد فزال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله
 حتى كان آخر غزوة غزاها بقرطبة في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سورها وهم
 يستسقون به وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال محمد بن سيرين وعبد
 السلام في الإقامة في التهلكة هو الغزو من رجة الله تعالى قال أبو قتادة هو الرجل يصيب الذنب
 فيقول قد هلكت ليست لي توبة فيأس من رجة الله ويتهمل في المعاصي فنهاهم الله تعالى عن
 ذلك كما قال تعالى أنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون (وأحسنوا) أي بالنفقة
 وغيرها (إن الله يحب المحسنين) أي يتبهم (وأتوا الحج والعمرة لله) أي أدوهاما بحقهما وفي
 الآية تحسنهما دليل على وجوبهما إذا أصل في الأمر الوجوب وما روى عن جابر أنه قال
 يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا معارض بما روى أن رجلاً قال لعمر رضي الله تعالى
 عنه إنني وجدت أي علت الحج والعمرة مكتوبين علي أهلتهما جميعاً فقال هديت لسنة نبيك
 ولا يقال أنه فسر وجدانهم مكتوبين بقوله أهلتهما لأنه رتب الإهلاك بهما على الوجدان
 وذلك يدل على أنه سبب الإهلاك دون العكس وقيل اتماهما أن تحرم بهما من ديرة أهلك روى
 ذلك عن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل إن نفر لكل واحد منهما سفر وقيل أن
 تكون النفقة سلا لا وقيل أن يتخلصا للعبادة ولا تشوبهما بشئ من التجارة والأغراض
 الدنيوية (فإن أحصرتم) أي منعتم عن اتماهما يقال أحصره وأحصره العذر إذا منعه قال

تعالى الذين أحصر وافى سبل الله وقال القائل

وما هجر إلى أن تكون تباعدت * عليك ولأن أحصرتك شغول

لكن الأشهر أن يقال في العدو وحصره وفي المرض أحصره والمراد هنا حصر العدو وقوله تعالى
 فإذا أمنتم وتروا الآية في الحديثية وبقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا حصر إلا حصر
 العدو وأما ما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل فعمول
 على من شرطه لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجي وأشترطى وقول اللهم محلي
 حيث حبستني ومحلي بكسر الحاء محل الحبس والحصر ويجوز أن يكون مصادرا ميمما (فما استيسر
 من الهدى) أى فإن أردتم التحلل فعليكم ما استيسر أو قالوا يجب أو فأنه د وأما استيسر من
 الهدى وهو بدنة أو بقرة أو سبع من أحدهما أو شاة يذبحها حيث أحصر في حل أو حرم
 عندا لا كثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديثية بها وهى من الحل وقيل لا بد أن يبعث
 بها إلى الحرم لقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى لا تحلقوا حتى تغلوا وأن
 الهدى المبعوث إلى الحرم يبلغ محله أى مكانه الذى يجب أن يذبح فيه وحل الأولون بلوغ
 الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان أو حراما لكن يندب إرساله إلى الحرم
 خروجا من خلاف أى حنيفة واقتضاه تعالى على الهدى دليل عدم القضاء كما قاله الشافعى
 وذهب أبو حنيفة إلى وجوب القضاء ولا بد من نية التحلل عند الذبح أو الحلق أو التقصير بعده مع
 نية التحلل وبذلك يحصل التحلل والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان (فمن كان منكم مريضا
 أى مرضا يجوحه إلى الحلق (أو به أذى من رأسه) كقمل وصداع خلق في الأحرام (فقديته)
 أى فعليه فدية أن حلق ولو بعض شعر رأسه ثلاث شعرات فأكثر ولا (من صيام) وهو ثلاثة أيام
 (أو صدقة) وهى ثلاثة أصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين لكل واحد نصف صاع
 (أو نسل) وهو بدنة أو بقرة أو سبع واحد منهما أو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال للعلك إذا ذهوا تم رأسك قال نعم يا رسول الله قال حلق وصم ثلاثة أيام أو أطم
 ستة مساكين أو أنسل شاة وكان كعب يقول أنزلت في هذه الآية أو للتخفيف والحلق بالمعذور
 من حلق لغبر عذولانه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب والذهن واللبس لعذر
 أو غيره (فإذا أمنتم) من العدو بان ذهب أو كنتم في حال سعة وأمن (فمن تمتع بالعمرة) أى بسبب
 فراغه منها بمحظورات الأحرام (إلى الحج) أى الأحرام به بأن يكون أحرمهم فى أشهره (فما
 استيسر) أى فعليه ما تيسر (من الهدى) وهو ما تقدم يذبحه بعد الأحرام بالحج ويجوز تقديمه
 على الأحرام به بعد الفراغ من العمرة (فمن لم يجد) أى الهدى لفقدته أو فقدته (فصيام) أى
 فعليه صيام (ثلاثة أيام في الحج) أى فى حال إحرامه به ولا يجوز له أن يقدمه على الأحرام لانه
 عبادة بدنية فلا يجوز تقديمه على وقته ولأنما خيره عنه والافضل أن يحرم قبل السادس لكرامة
 صوم عرفة ولا يجب عليه أن يحرم قبل زمن يسع الصوم بل يستحب له لكن إذا أحرم وجب عليه
 الصوم ولا يجوز أن يصوم يوم النحر ولا أيام التشريق على أصح قولى الشافعى وهو ما عليه

الاكثر (وسبعة) من الايام (اذا رجعت) الى وطنكم مكة أو غيرها وقبل اذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة وفائدة قوله تعالى (تلك عشرة) أن لا يوهم أن الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسا معا وواحد منهما ما كان ممثلا وأن يعلم العدد جملته كما علم تفصيلا لماط به من جهتين فينأ كذا العلم فان أكثر العرب لم يحسنوا الحساب وفي أمثال العرب علمان خير من علم وأن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما وقوله تعالى (كاملة) صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد بأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بأمر تأمر به وكان منك غفلة الله الله لا تقصر أو مبينة كمال العشرة فانه أول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد ونتم مراتبها وقيل كلمة في وقوعها بدل من الهدى بحيث لا يقصر فواب الصوم عن ثواب الهدى (ذلك) أي الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهم من مساكنهم دون مرحلتين من الحرم اقر بهم منه والقريب من الشيء يقال انه حاضره قال تعالى وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي قرية منه وفي ذكر الاهل اشعار باشتراط الاستيطان فلما قام قبل أشهر بالحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أصح قولي الشافعي والثاني لا والاهل كناية عن النفس والحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من يحرم بالعمرة والحج معا أو يدخل الحج عليه قبل الطواف (واتقوا الله) بالمحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا في الحج (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالفه ليكون علمكم بشديد عقابه لطفلكم في التقوى (الحج أشهر) أي وقته كقولك البرد شهران (معلومات) وهي شوال وذو القعدة وعشر ثمال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر عندنا والعشر كله عند أبي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وعلى الأولين انما سمي شهرين وبعض شهر أشهر اقامة لبعض مقام الكل أو اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد كما في قوله تعالى فقد صفت قلوبكم بالحفصة وعائشة (فن فرض) على نفسه (فمن الحج) بالاحرام به عندنا وبالبلدية وبسوق الهدى عند أبي حنيفة وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا يتعد احرامه بالحج وهو قول ابن عباس وبجماعة من الصحابة واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وقال به قد احرامه عمره لأن الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلوان عقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما أن الله تعالى علق الصلاة بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لم ينفذ احرامه عن الفرض وانما انعقد عمره لأن الاحرام شديد التعلق وذهب جماعة الى أنه ينفذ احرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة أما العمرة فجميع السنة وقت لها الآن يكون عليه بقية من أعمال الحج كثرني (فلارفت) أي جماع فيه كما قال ابن عباس وجماعة من الصحابة وقيل الرفت غشيان النساء والقبلة والغمز وان يعرض لهما بالفحش من الكلام وقيل هو الفحش والقول القبيح (ولافسوق) أي ولا خروج عن حدود الشرع بالسيات وارث كتاب المحظورات وقيل هو السباب والتنازع باللقاب (ولاجدال) أي خصام مع الخدم

والرفقة وغيرهما (في الحج) أى في أيامه ففني الثلاث على قصد النهي للمبالغة وللدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون وما كان منها مستقبها في نفسه في الحج أقمج كبس الحر في الصلاة والطريق بقراءة القرآن وهو مد الصوت وتحسينه بحيث يخرج الحروف عن هياتها فانه يقيم في كل كلام لكنه في قراءة القرآن أقمج وقرأ ابن كثير وبوعمر ورفع الشاء من رقت والقاف من فسوق والتنوين فيهما على معنى لا يكون رقت ولا فسوق والباءون بنصهما ولا خلاف في ولا جدال فالجميع بالنصب ولا تنوين على معنى الاخبار ~~كانه~~ أنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قریشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو التسي من ردى الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فأخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهى عنه هو الرقت والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته أمه فانه لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من خير) كصدقة (بعلمه الله) فيه حث على الخير حيث عقب به النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة (وترزقوا فان خير الزاد التقوى) أى وترزقوا والمعادكم التقوى فانها خير زاد روى البخارى وغيره ان أهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نخرج بيت الله تعالى أفلا يطعمنا مكيونون كلال على الناس فيسألونهم وربنا يفيض الخصال بهم الى الثيب والغصب فقال الله جل ذكره وترزقوا أى ما تطلبون به وتكفون به وجوهكم قال أهل التفسير الكعك والزيت والسويق والتروخوها فان خير الزاد التقوى أى ما ياتي به سؤال الناس وغيره (واتقوا يا أولي الاباب) أى يا روى العقول فان قضية الباب خشية الله تعالى وتقواه وحنهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بهم احوال الله تعالى فيسبرأ من كل شئ سواء وهو مقتضى العقل العرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولي الاباب بهذا الخطاب (ليس عليكم جناح) فى (أن تبتغوا) أى تطلبوا (فضلا) أى رزقا (من ربكم) بالتجارة فى الحج نزات ردع الناس من العرب كانوا يتأمنون أن يعجروا أيام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وروى البخارى انه كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يعجرون فيها فى أيام الموسم وكانت معاشيتهم منها فلما جاء الاسلام تأمروا برفع عنهم الجناح فى ذلك واجتمع لهم وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قيل له هل كنتم تكثرهون التجارة فى الحج فقال وهل كانت معاشيتنا الا من التجارة فى الحج وعكاظ سوق لقيس ومجنة وهى شيخ الميم أشهر من كسرها وفتح الجيم وتشديد النون سوق لكثنة بجزالظهران وذو المجاز وهو بفتح الميم وبالزاي سوق لهذيل (فاذا أفضتم) دفعتم (من عرفات) وأصله أفضتم أنفسكم لحذف المفعول كما حذفوه من دفعوا من موضع كذا أى دفعوا أنفسهم واختلقوا فى المعنى الذى لاجله سمي الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام يرى ابراهيم

عليه الصلاة والسلام المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فسمى المكان لذلك عرفات واليوم
عرفه وقال الضحاك كان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط وقع في الهند وحواء بمجدة ففعل
كل واحد منهم ما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة فتعارفا فسمى المكان واليوم بما ذكر
وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالخج وأجابوا بالتلبية وأناه من أناه أمره الله تعالى أن
يخرج إلى عرفات ونعمته له فلما بلغ الجرة الأولى استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجرة الثانية فرماه وكبر فطار ووقع على الجرة الثالثة فرماه وكبر
فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز فلما نظروا إليه لم يعرفه فجاز
فسمى ذا الحجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعر فيها بالنعث فسمى المكان واليوم بما ذكر (فان
قبيل) هلامنعت الصر وفيها السبعان العلمة والتأنيث (أجيب) بأن التأنيث لا يجزئ لما
أن يكون بالناء التي في أفعالها وأما شاة مقدرة كما في سعاد التي في لفظها ليست للتأنيث وإنما هي
مع الألف التي قبلها علامة جمع التأنيث ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها
بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تفسد تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي فيها هي بدل من
الواو لاختصاصها بالمؤنث كما التأنيث فثبت تقديرها وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة
لأنه إذا تدل على أن المذكور بعده محقق لا بد منه فكانه قبل بعدا فاضتكم من عرفات التي
لا بد منها اذكر والله والأفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها فوجب أن يكون
الوقوف بها واجبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج
(فأذكروا الله) بالتلبية والتلهيل والتكبير والثناء والدعوات وقبل بصلاة المغرب والعشاء
(عند المشعر الحرام) وهو جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
وقف به يذكر الله تعالى ويدعو حتى أسفر جدارواهم وسلم وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا
ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القموصا حتى
أتى المشعر الحرام استقبل القبلة فدعا وكبر وهلل ووجد ولم يزل واقفا حتى أصبح جدا وقوله تعالى
عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة
والأفالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ويسمى مشعر من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم
الحج ووصف بالحرام لحرمته وتسمى المزدلفة جمعا لأنه يجتمع فيها بين صلاتي المغرب والعشاء
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه
الليلة لا ينامون وقبل سميت جمعا لأن آدم اجتمع فيها مع حواء عليها الصلاة والسلام وأدلف
إليها أي دنا منها وقبل وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله تعالى أي يقتربون بالوقوف فيها
(واذكروه كما هدىكم) لعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وان كنتم من قبله) أي الهدى
(لأن الضالين) أي الجاهلين بالآيمان والطاعة وان هي الخفة من الثقل واللام هي الفارقة
وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان تظنك لمن الكاذبين أي مائظك الامن

الكاذبين (ثم أفيضوا) يا قريش (من حيث أفاض الناس) وذلك أنهم وحلفاءهم ومن دان
 بدينهم وهم الحبس كانوا يقفون بالمزدلفة وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترتفع عليهم ويقولون
 نحن أهل الله وقطان حرمه ولا تخرج منه فأمر وأن يسألوهم ويتم للترتيب في الذكر وفي الكلام
 تقديم وتأخير تقديره من فرض فيه الحج فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من
 حيث أفاض الناس فاذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل لتفاوت ما بين
 الأفاضتين أي لتراخي الثانية عن الأولى رتبة إذا الأولى هي الصواب والثانية خطأ كما في قولك
 أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غيرك ثم فأنك تأتي بهم لتفاوت ما بين الأحسان إلى الكريم
 وإلى غيره وبعد ما بينهما وقيل بمعنى الواو كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا (واستغفروا
 الله) من ذنوبكم في تغيير المناسك وغيره (إن الله غفور رحيم) بغفر ذنوب المستغفروا ينعم عليه
 (فاذا قضيت) أي أدبتم (مناسككم) أي عبادات حكمكم كان رميت جرة العقبة وطفتم
 واستقرتم بنى وأدغم أبوعمر والكاف في الكاف بخلاف عنه ولم يدغم مثاب من كلمة في القرآن
 الا هنا وفي سورة المدثر وهو قوله تعالى ما سلككم في سقر (فاذكروا الله) بالتكبير والتحميد
 والثناء عليه (كذلك أمركم) وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت بين المسجد بنى
 وبين الجبل فيعدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم فأمرهم الله تعالى بذلك وقال
 فاذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسن إليكم واليهم وعن ابن عباس رضي الله
 تعالى عنهم فاذا ذكروا الله كذا الصبيان الصغار والآباء وذلك أن الصبي يقول ما يتكلم به
 يذكر أبيه لا يذكر غيره فقال الله تعالى فاذكروا الله لا غير كذا الصبي آباء (أو أشد ذكرا) من
 ذكركم آبائهم ونصب أشد على الحال المنصوب باذكروا أذلوها أخرجه لكان صفة له (في الناس
 من يقول ربنا آتنا نصيبنا في الدنيا) وهم المشركون كانوا لا يؤمنون الله تعالى في الحج الا الدنيا
 يقولون اللهم اعطنا غنما وبلا بقر وعبيد او كان الرجل يقوم فيقول اللهم ان أبي كان عظيم
 الفنة كبيرا الجفنة كثيرا المال فأعطني مثل ما أعطيته (وماله في الآخرة من خلاق) أي نصيب
 لأنهم مقتصرون على الدنيا (ومنهم) أي الناس (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
 حسنة وقنا عذاب النار) بعد دخولها وهم المؤمنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال علي
 رضي الله تعالى عنه الحسنه في الدنيا المرأة الصالحة والحسنة في الآخرة الجنة يدل له قوله صلى
 الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وروى عنه أيضا أنه قال الحسنه في الدنيا
 المرأة الصالحة وفي الآخرة الخوراء وعذاب النار المرأة السوء وقال الحسن الحسنه في الدنيا
 العلم والعبادة والحسنة في الآخرة الجنة وقال السدي الحسنه في الدنيا الرزق الحلال
 والحسنة في الآخرة المغفرة والثواب وأدغم أبوعمر واللام في الراي بخلاف عنه (أو أمرك)
 الداعون بالحسنتين (لهم نصيب) أي ثواب (مما كسبوا) أي من جنس ما كسبوا من
 الاعمال الحسنه أو من أجل ما كسبوا كقوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا ويجوز أن يكون
 أولئك الفريقين جميعا وإن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب)

أى إذا حسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا روى صدر ولا روية فذكر قال الحسن أسرع
 من الحج البصر وفى الحديث يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ)
 أى كبروه أذكار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (فى أيام معدودات) أى أيام
 التشريق الثلاثة وسبعت معدودات لقلتهن كقولته تعالى ذراهم معدودة والأيام المعلومات
 عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر والتكبير فى الأيام المعدودات عقب كل صلاة ولو فاتت وناقلة
 مشروعة فى حق الحاج وغيره لكن غير الحاج يكبر من صبح يوم عرفة إلى عقب عصر آخر أيام
 التشريق للاتباع رواه الحاكم وصححه أسناده وأما الحاج فيكبر من ظهر يوم النحر لانهما أول
 صلاته معنى ولا يسن التكبير عقب صلاة عيد الفطر لعدم وروده (فى التجهيل) أى استجمل بالتفكير
 من معنى (فى يومين) أى فى ثلثي أيام التشريق بعد رمى جماره بعد الزوال عند الشافعى وأصحابه
 قال فى الكشف وعند أبى حنيفة وأصحابه ينقر قبل طلوع الفجر (فلائم عليه) بالتجمل
 (ومن تأخر) حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره بعد زواله عندنا وقال فى الكشف يجوز
 تقديم الرمي على الزوال عند أبى حنيفة (فلائم عليه) بذلك أى هم مخيرون فى ذلك (فان قيل)
 أليس التأخير أفضل (أجيب) بأن التخيير يقع بين الفاضل والأفضل كما خبر المسافر بين الصوم
 والأفطار وإن كان الصوم أفضل عند عدم المشقة وقيل إن أهل الجاهلية كانوا يقرضونهم
 من جعل المتجمل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى الآثم عنهما جميعا وذلك
 التخيير وفى الآثم عن المتجمل والمتأخر (لمن اتقى) الله تعالى فى حجه لانه الحاج على الحقيقة
 عند الله تعالى وقال النبى صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم
 ولدته أمه (واقفوا لله) فى مجامع أموركم ليعبأ بكم (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فى الآخرة
 فيجازيكم بأعمالكم (ومن الناس من يعجبك قوله) أى يعظم فى نفسك ومنه الشئ المحبوب
 الذى يعظم فى النفس وهو الاخفس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه أبى وسى الاخفس
 لانه خفس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بنى زهرة عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
 منافقا حلو المنظر حلو الكلام للنبى صلى الله عليه وسلم يخالف انه مؤمن به ومحبه له ويقول بعلم
 الله فى صادق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدين مجلسه وقوله تعالى (فى الحماة الدنيا)
 متعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله فى أمور الدنيا وأسباب المعاش أو فى معنى الدنيا لأن ادعاه
 المحبة بالباطل يطلب به خطا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما يراد بالآيمان الحقيقى
 والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه إذا فى الدنيا لا فى الآخرة أو يعجبك قوله
 فى الحماة الدنيا سحلاوة وفصاحة ولا يعجبك فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الدهشة
 واللكنة أو لانه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما فى قلبه)
 أنه موافق لكلامه (وهو ألد الخصام) أى شديد الخصومة لك ولا يتأعن لعدوته لك وقال الحسن
 ألد الخصام أى كاذب القول وقال قتادة شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم
 بالحكمة ويعمل بالخطيئة وفى الحديث إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم (وَأَذْأَتُوا)

أى انصرف عنك بعد الاثنية القول وحلاوة المنطق (سجى) أى مشى (فى الارض ليقسد فيها)
قال ابن جرير يقطع الرحم وسفك دماء المسلمين (وبه لك الحرث والنسل) وذلك أن الاخنس
كان بينه وبين تقيف خصومة فيبيتهم لبلا فاحرق زرعهم وأهلك مواشيهم وقيل واذا كان واليا
فعل ما يفعله ولادة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع
الله تعالى بشوم ظلمه القطر فيه لك الحرث والنسل وحكى الزجاج عن قوم أن الحرث النساء والنسل
الاولاد قال وهذا ليس عنك لان المرأة تسمى حرثا أى ويدل له قوله تعالى فاقموا حرثكم أى شئتم
(والله لا يحب الفساد) أى لا يرضى به لان المحبة وهى ميسل القلب محالة فى حق الله تعالى فهى
مستعجلة فى حقه تعالى فى معنى الرضا (واذا قيل له اتق الله) فى فعلك (أخذته العزة) أى جلته
الاثنية والحية على العمل (بالاثم) الذى يؤمر بانقائه (خسبه) أى كافيه (جهنم) جزاء وعذابا
وهى علم لدار العقاب وهو فى الاصل مرادف للنار وسميت بذلك لبعدها عن قعرها وأصلها من الجهم
وهو الكراهة والغلف فالنون زائدة وقيل معرب نقل من العجمة الى العربية وتصرف فيه
وأصله كهنام أبادت الكفا جيماء وأسقطت الالف وقوله تعالى (ولبس المهادر) جواب قسم
مقدروا مخصوص بالذم محذوف للعلم به تقديره جهنم والمهاد الفراء (ومن الناس من يشرى
أى يبيع نفسه) أى يذلها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (أنفاه
مرضاة الله) أى طلب الرضا وقال أكثر المفسرين نزلت فى صهيبن بن سنان الرومى أخذه
المشركون فى رهط من المؤمنين فعدبوههم فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من
غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة وثققة فأقام
بكم ما شاء الله ثم خرج الى المدينة فقتلناه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فى رجال فقال له أبو
بكر ربيع يبعك أبى يحيى فقال وماذا فقال أنزل الله فىك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فعلى هذا
يكون بشرى بمعنى يشترى ليعنى يبيع ويذل وقيل نزلت فى الزبير والمقداد بن الأسود وذلك
أن كفار قريش يعنوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة أن أقدم أسلما فابعث المينا قرا
من علماء أصحابك يعلون نداءك وكان ذلك مكرامنهم فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أبو هريرة عشرة ومن جعلتهم خبيب فقتلوههم وأسر وخبيبا قال أسره والله ما رأيت أسرا خيرا
من خبيب والله وجدته يومأيا كل قطعا من عنب فى يده وأنه لم يوف بالحديد وما عكة من غرة أن
كان الارزقارزة الله خبيبا ثم أرادوا قتله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل وأرادوا أن يصلبوه
فقال دعونى أصلى وكعتين فتركوه حتى صلاهما ثم قال لولا أخشى أن تحسبوا أن ما بى من جزع
لردت اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم انشأ يقول

ولست أبانى حين أقتل مسلما * على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الآله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو بمنزع

ثم صلوه حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس أحد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبغى سلامى ثم قام
عقبه بن الحرث فقتله فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال أياكم ينزل خبيبا عن خشبته

وله الجنة فقال الربيراً يا رسول الله وصاحبى المقداد فخر جالس بران بالليل ويكمنان بالنهار حتى
وصلا اليه ليلا واداحول الخشبى أربعون من المشركين نياماً فنزله الزبير وجعله على فرسه وسارا
فاتبعه الكفار فلم يجدوه فأخبروا قریشاً فركب منهم سبعون فلما لحقوه ما قدف الزبير خيماً
فالتصت له الأرض فسمى بليغ الأرض ثم رفع الزبير العمامة عن رأسه وقال انا الزبير بن العوام
وأخى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم
وان شئتم أنصرفتم فأنصرفوا الى مكة وقد ما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده
فقال يا محمد ان الملائكة لتتباهى بهذين من أصحابك فنزلت فنهى هذه الآية (والله رؤوف بالعباد)
حيث أرشدكم لمافيه وضاه ونزل في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (بأيمانها)
الذين آمنوا ادخلوا في السلم) أى الاسلام وقوله تعالى (كافة) حال من السلم لانها توثق كما
توثق الحرب كما قال القائل

أباخرشة أما أنت ذا نضر * فأنقذنى لم تأكلهم الضبع
في السلم تأخذ منا ما رضى به * والحرب تكفى من أنفاسها جزع

أى ادخلوا في جميع شرائعه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الابل والألبانها
بعد ما أسلموا فأمره وأن يدخلوا في جميع شرائعه (ولا تتبعوا خطوات) أى طرق (الشيطان)
أى تزينه من تحريم السبت ولحوم الابل والألبانها وقرأ نافع وابن كثير والكسائى السلم بفتح
السين والباء قون بكسر هاء وتقدم الكلام في خطوات لابن عامر وقنبل وحفص والكسائى بضم
الطاء (انه لكم عدو بين) ظاهر العداوة (فان زلتم) أى ملتم عن الدخول في جميعه (من بعد
ما جاءكم بينات) أى الحجج الظاهرة انه حق (فاعلموا ان الله عزيز) لا يهزمه شئ عن انتقامه
منكم (حكيم) في صنعه * (تنبيه) قول البيضاوى حكيم لا ينتقم الا بحق تبع فيه الرخصى
وهو مذهب المعتزلة فانهم يقولون لا ينتقم الا بعد ما يستحقه العاصى ومذهب أهل السنة انه
يفتقم ويعاقب من شاء بما شاء وان كان مطيعاً اذ هو متصرف في ملكه يفعل ما يشاء بن شاء وان
لم يقع منه الانتقام الا بمن أساء وروى أن فارثاً قرأ غفور رحيم بدل عزير حكيم فسمعه اعرابى
لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه
قوله تعالى (هل ينظرون) استفهام في معنى النقي أى ما ينظرون (الآن) أى أنهم (الله) أى أمره
أو بأمره كقوله تعالى أو يأتى أمر ربك أى عذابه وقوله تعالى فإخاءهم بأسياناً أو إيتهم الله بئاسه
فخذف المائى به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزير حكيم (في ظلال) جمع ظلة وهى مأطك (من
الغمام) أى من السحاب الابيض سمى غماماً لانه يغى أى يستروا غماياً أيهم العذاب فيه لانه
مظنة الرحمة وهى نزول المطر فاذا جاء منه العذاب كان اطفاع لان الشر اذا جاء من حيث
لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير (و) تأتيتهم (الملائكة) فانهم
الواسطة في اتيان أمره أو الاتون على الحقيقة بئاسه قال البغوى والاولى في هذه الآية وفيما
شاكلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ويكلى علمها الى الله تعالى ويعتقد أن الله تعالى منزله عن

سمعت الحوادث وعلى ذلك مضت أئمة السلف وعلما السنة انتهى وأما أئمة الخلف فأنهم يقولون
 هذه الآية بنحو ما أولناه وأمثالها بحسب المقام وهو احكم ومذهب السلف اسلم وكان
 مكحول ومالك واللبث وأحمد يقولون في هذا وأمثاله أمرها كما جاءت بلا كيف (وقضى
 الأمر) أي تم أمرها كما هم وفرغ منهم ووضع الماضي موضع المستقبل لدقوه وبقين وقوعه
 (والى الله ترجع الأمور) في الآخرة فيجازيهم وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح التاء
 وكسر الجيم والباقيون بضم التاء وفتح الجيم وقوله تعالى (سئل) أمر للرسول وأولكل
 أحد (بنى إسرائيل) فوبخنا (كم آتيناهم) كم استغفاهم معلقة سئل عن المفعول
 الثاني وهي ثانيا مفعولي آتيناهم وعجزها (من آية) أي معجزة (بينة) أي ظاهرة في الدلالة على
 صدق من جاء بها كقلب العصا حمية وإبراء الأكمة والابرض وقلق البحر وانزال المن والسلوى
 فبذلوا كفرا (ومن يتدل نعمته الله) أي ما أنعم به عليه من الآيات لانها سبب الهداية
 التي هي أجل النعم كفرا (من بعد ما جاءته) أي وصلة وتمكن من معرفتها (فإن الله شديد
 العقاب) فيعاقبه أشد عقوبة لانه ارتكب أشد جريمة وهي التبديل (زين للذين كفروا الحياة
 الدنيا) أي حسنت في أعينهم وأشر بت محبتها في قلوبهم حتى تم الكدوا عليهم وأعرضوا عن غيرها
 والمزين في الحقيقة هو الله تعالى إذ ما من شيء الا هو فاعله وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
 وما خلق الله فيها من الامور الهيمية والاشياء الشهية مزين بالعرض واختلف في سبب نزول هذه
 الآية فقيل نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه كانوا يتعمدون بمسبسط لهم في الدنيا من
 المال ويكذبون بالاعاد (ويخجلون من الذين آمنوا) أي يستهزئون بالفقراء من المؤمنين قال
 ابن عباس أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبلا لا وخبايا وأمثالهم
 وقال قتادة نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتعمدون في الدنيا ويهضرون من
 ضغضاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم
 وقال عطاء نزلت في رؤساء اليهود من بنى قريظة والنضير وفيه نقاع سخروا من فقراء المهاجرين
 فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بنى قريظة والنضير بغير قتال (والذين اتقوا) أي الشرك وهم
 هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين وأحاطهم غالبية
 لحالمهم لانهم في كرامة وهم في هوان أو هم غالبون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول
 هؤلاء عليهم في الدنيا وبرون الفضل لهم عليهم فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون وروى
 عن اسامة بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتت على باب الجنة فرأيت أكثر
 أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجنة محبوبون
 الا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به الى النار وروى عن سهل بن سعد الساعدي انه قال مر
 رجلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا قال رجل من
 أشرف الناس هذا والله حري أن يخطب أن ينكح وأن يشفع أن يشفع قال فسكت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم مر رجلى آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول

الله هذا رجل من فقراء المسلمين - هذا حرقى أى حقيق ان خطب أن لا ينسكح وان شفع ان لا يشفع وان قال أن لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض من مثل هذا (والله يرزق من يشاء) في الدارين (بغير حساب) أى رزقا واسعا بغير تقدير في الدنيا للكافر اسند راجا كما وسع على فارون وللمؤمن ابتلاء كما وسع على عبد الرحمن بن عوف وفي الاسخرة للمؤمن خاصة تفضلا (كان الناس أمة واحدة) أى متفقين على الحق روى عن أبي العالية عن كعب قال كان الناس حين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية أمة واحدة مسلمين ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا بعد آدم وقال الكنجي هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت أم الى مبعث نوح وكان بينهم - ما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح وقال مجاهد أراد آدم وحده كان أمة واحدة سمى الواحد بالمفرد الجامع لانه أصل النسل وأبو البشر ثم خلق الله حواء ونشر منها ما الناس فسكانوا مسلمين الى أن قتل قابيل وهابيل فاختلفوا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال كان الناس على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمة واحدة كافرين كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين عليهم السلام كما قال تعالى (فبعث الله النبيين) أى اختلفوا فبعث الله وانما حذفت لدلالة فيما اختلفوا فيه عليه وجملة الانبياء كما رواه الامام أحمد مرفوعا في حديث ورد عن كعب مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسول منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور منهم في القرآن باسمه العلم الموضوع له ثمانية وعشرون نبيا وهم آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى وهرون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل وأيوب ويونس ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وذوالقرنين وعزير ولقمان على القول بثبوت الثلاثة (مبشرين) من آمن وأطاع بالجنسة (ومنذرين) من كفر وعصى بالنار (وأنزل معهم الكتاب) المراد به الجنس فهو معنى الكتب لكنه تعالى لم ينزل مع كل واحد كتابا يخصه فان أكثرهم لم يكن له كتاب يخصه وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وقوله تعالى (بالحق) حال من الكتاب أى متلبسا بالحق شاهد به (ليحكم بين الناس) أى الله أوالكتاب أو النبي المبعوث وروح الشان التفاتراني وقال لا بد في عوده الى الله من تكافى المعنى أى ليطهر حكمه الى النبي من تكافى في اللفظ حيث لم يقل ليحكموا وروح أبو حيان الاول وهو الظاهر قال والمعنى أنه أنزل الكتاب لفصل به بين الناس ونسبة الحكم الى الكتاب مجاز كما أن اسناد النطق اليه في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق كذلك (فيما اختلفوا فيه) من الدين (وما اختلف فيه) أى الدين (الا الذين أووه) أى الكتاب المنزل لازالة الخلاف أى عكسوا الامر فجعلوا ما أنزل من لا للاختلاف سببا لاستحكام الخلاف فآمن بعض وكفر بعض (من بعد ما جاءتهم البينات) أى الحجج الظاهرة على التوحيد

ومن متعلقة باختلاف وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى (بقيا) من الكافرين (بينهم)
 حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) وقوله تعالى (من الحق)
 بيان لما اختلفوا فيه أي فهدي الله الذين آمنوا الحق الذي اختلف فيه من اختلف (بأذنه) أي
 بإرادته قال ابن دريد في هذه الآية اختلفوا في القبلة فذهب من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي
 إلى المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس فهذا الله كعبه واختلفوا في الصيام فهذا أنا
 الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فأخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهذا أنا الله
 للجمعة واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهذا أنا
 الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعله النصارى الها فهذا أنا الله للحق فيه (والله يهدي من
 يشاء) هدايته (إلى صراط مستقيم) هو طريق الحق لا يضل سالكه (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة
 ولما ياتكم مثل) أي شبه (الذين خلوا من قبلكم) من المؤمنين من الجن تقصروا كما قصروا
 واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قتادة نزالت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين
 ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى وبلغت
 القلوب الحناجر وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد عليهم الأمر
 لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وأثروا رضا الله ورسوله
 وأظهروا اليهود العداوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر قومه النفاق فأنزله تعالى هذه
 الآية تطميناً لقلوبهم وقيل نزالت في حرب أحد واختلف في معنى أم فقال الفراء الميم صلة
 أي أحسبتم وقال الزجاج هي بمعنى بل أي بل حسبتم ولما يعني لم أي ولم يأثمكم وقوله تعالى
 (مستم البأساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي المرض والحزج جله مستأنفة مينة لما قبلها
 (وزلزلوا) أي أزعجوا أزعجا شديدا بما أصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا
 معه) لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر (نبي) يأتي (نصر الله) الذي
 وعدناه استطالة التأخره فأجيبوا من قبل الله (ألا أن نصر الله قريب) آتيانه وفي هذا إشارة
 إلى أن الوصول إلى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات وبكفاية الشدائد
 والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان وغيرهما حقت الجنة بالمكارة
 وحقت النار بالشهوات وفي رواية لهم بحيث أي جعلت المكارة حجابا دون الجنة في خرقه
 دخلها والشهوات حجابا دون النار في اقتحمه دخلها وقرأ نافع يقول بارتفاع على أنها حكاية حال
 ماضية وفائدتها تصور تلك الحال العجيبة واستحضار صورته في مشاهدة السامع ليتجنب منها
 وقرأ الباقر بالنصب (يسئلونك) يا محمد (ماذا) أي الذي (ينفقون) به والسائل كما قال ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهم ما عمر بن الجوح الانصاري وكان شيعة فاني إذا مال عظيم فقال
 يا رسول الله ماذا تنفق من أموالنا وأين نضعها فنزل (قل) لهم (ما أنفقتم من خير) أي مال
 قلنا كان أو كثيرا (فلو الدين والآخرين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي هم أولى به
 سألت عن المنفق فأجيب ببيان المصروف لانه أهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال

عروان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير
 (وما تفعلوا من خير) انفاق وغيره (فان الله به عليم) فيجازيكم به * (تبينه) * ليس في الآية
 ما ينافي فرض الزكاة لينسحب به كما قيل لان الزكاة لا تعطى للوالدين ولا للاقربين من الاولاد
 واولاد الاولاد فالآية محمولة على الانفاق على من ذكر تطوعا وعلى الانفاق على الفقراء من
 الوالدين والاولاد واولاد الاولاد وذلك ليس بنسخ (كتب) أي فرض (عليكم القتال)
 للكفار (وهو كره) أي مكروه (لكم) طمعا للمشفقة (وعسى أن تكثروا شيئا وهو خير لكم)
 وهو جميع ما كلفتم به فانه الموجب لسمه ادتكم فلعلم لكم في القتال وان كرهتموه خير لان فيه اما
 الظفر والنعمة واما الشهادة والاجر (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهو جميع ما نهى عنهم
 فان النفس تحبه وتمناه وهو يهوى بها الى الردى في ترك القتال وان أحببتموه شر لان فيه الذل
 والفقير وحرمان الاجر وانما ذكر عسى لان النفس اذا راضت بعكس الامر عليها (والله يعلم)
 ما هو خير لكم (وانتم لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به (يسئلونك يا محمد عن الشهر الحرام)
 المحرم روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جادى الآخرة
 قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة ليرصد عير القريش فيهم عمرو
 ابن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسر والثنين واستاقوا العير وفيها تجارة من تجارة
 الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنون به جادى الآخرة فقتل قريش قد استعمل محمد الشهر
 الحرام الذي يأمن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس الى معايشهم فسفك فيه الدماء وأخذ الاسارى
 وعبر بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحلتم الشهر الحرام وقاتلتم
 فيه وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما تبرح حتى تنزل فبقينا وردد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم النعمة وهي أول غنمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه تشنيعا وتعييرا
 وقيل أصحاب السرية قالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا الى هلال رجب
 فلا ندري أفي رجب أم صباه أم في جادى فأنزله تعالى هذه الآية وأكثرا لا قايلا على أنها
 منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى (قتال فيه) بدل اشغال من
 الشهر (قل) لهم (قتال فيه كبير) أي عظيم وزرا وقد تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (وصد) فهو
 مبتدأ أي منعه الناس (عن سبيل الله) أي دينه (وكفر به) أي الله (و) صدعن (المسجد الحرام)
 أي مكة (واخراج أهله منه) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ وما عطف
 عليه (أكبر) أي أعظم وزرا (عند الله) مما فعلته السرية من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام
 خطأ وبناء على الظن ومما تقرّر علم أن المسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقول البيضاوى
 ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله تعالى وكفر به على وصدة مانع منه مجاب عنه
 بأن الكفر بالله والصد عن سبيله متحدان معنى فكانه لافصل بالاجنبى بين سبيل الله وما عطف
 عليه ويصح أيضا أن يكون معطوفا على الهاء من به اذ يجوز العطف بدون اعادة الجار كما جرى

عليه ابن مالك وان كان مذهب البصريين خلافه وجرى عليه البضاوى (والفتنة) أى
الشرك منكم (أكبر من القتل) لكم فيه فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أبيس الى
مؤمنى مكة اذا عبركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيروهم أنتم بالكفر واخراج رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من مكة وسنعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون) أى الكفار
(يقاتلونكم) أيها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) الى الكفر في ذلك اخبار عن دوام
عداوة الكفار لهم وانهم لا يتفككون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعامل للالغاية كما قيل
لانه أفسد من حيث ان فيه ذكر الحامل على المقاتلة بخلاف الغاية أى يقاتلونكم كي يردوكم
وقوله تعالى (ان استطاعوا) فيه استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلاتقي
عليّ وهو واثق بأنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت) أى
بطلت (أعمالهم) أى الصالحة (فى الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بديها ولا ثواب عليها والتقييد
بالموت يفيد أنه لو رجع الى الاسلام لم يطل عمله كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه
خلافًا لابن حنيفة رضى الله تعالى عنه حيث قال ان الردة تحبط الاعمال. طلقا لقوله تعالى
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله (وأجيب) بأنه محمول على المقيدين عملا بالدليلين فلا يجب عليه أن
يعيد الحج الذى أتى به قبل الردة وكذا غيره لكن يطل نوابه كما نص عليه الشافعى رضى الله تعالى
عنه وان خالف فيه بعض المتأخرين (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة ولما
ظن السرية أنهم ان سلموا من الانتم فلا يحصل لهم أجر أنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين
هاجروا) أى فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم (وجاهدوا) المشركين (فى سبيل الله) لاعلاء
دينه وكرسجانه وتعالى الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهم مامستقلان فى تحقيق الرجاء
(أولئك يرجون رحمة الله) أى نوابه أثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع
فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم (والله غفور) للمؤمنين لما فعلوه خطأ وقلة احتياط (رحيم)
بهم بأن يجزل لهم الاجر والثواب (يسئلونك عن النجوى والميسر) روى أنه لما نزل بمكة قوله تعالى
ومن غمرات الخيل والاعناب تتخذون منه سكرًا وورقًا حسنا كان المسلمون يشربونهم وهى
لهم حلال يومئذ ثم ان عمر ومعاذ فى نفر من الصحابة قالوا أفقتنا فى النجوى يا رسول الله فأنهم مذهب
للعقل فنزلت هذه الآية فشر بهما قوم وتركها آخرون ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
فدعا ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا فحضرت
صلاة المغرب فقاموا بعضهم ليصلى بهم ففقر أقبل يا أيها الكافرون أعبدا ما تعبدون هكذا الى
آخر السورة بمحذوف لا أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون فحرم السكر فى أوقات الصلاة فتر كما قوم وقالوا الا خبر فى شئ يحول بيننا
وبين الصلاة وتر كما قوم فى أوقات الصلاة وشربواها فى غير وقتها حتى كان الرجل يشرب
بعد صلاة العشاء فيه صبح وقد زال عنه السكر وشرب بعد صلاة الصبح فيه صبحوا اذا جاء وقت
الظهر ثم ان عتيان بن مالك صنع طعاما ودعا رجلا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص رضى الله

تعالى عنه وقد كان شوى لهم رأس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اشتدت فيهم ثم افتقروا
عند ذلك واتسبوا وتناشدوا الاشعار فأشد سعد قسمة فيها هجاءاً للانصار ونفر لومه فأخذ
رجل من الانصار إلى البعير فضرب به رأس سعد فشجبه موضحاً فانطلق سعد إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكاه للانصارى فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيناً ناشياً فينزل انما الخمر
والميسر إلى قوله فهل أنتم مستهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهينا يا رب قال القفال الحكمة
في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان القوم كانوا ألغووا شرب الخمر وكان انتفاءهم به كثيراً فعلم
أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فاستعمل في التحريم هذا التدريج والرفق وسمى عصير
العنب والتمر اذا اشتد وغلا خراً لانه يخمر العقل كما سمي سكر لانه يسكره أى يحجزه وهو حرام
مطلقاً وكذا كل ما سكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة تنقيع الزبيب والتمر اذا طبع حتى
ذهب الميثاء ثم اشدت حل فيه ما دون السكر وسمى القمار ميسر لانه أخذ مال الغير بمسر والمعى
يسألونك عن تعاطيها لقوله تعالى (قل) لهم (فيهما) أى فى تعاطيها (انتم كبير) أى عظيم المحصل
بسيهما من المخاصمة والمشاغرة وقول الفعش وقرأ جزء والكسائي بالهاء المثلثة والباقون بالباء
الموحدة (ومنافع للناس) بالذات والفرح ومصادقة الفتيان وتشجيع الجبان ونفور المرأة
وتقوية الطبيعة في الخمر واصابة المال بلا كد في الميسر (وأعتهما) أى ما ينشأ عنهما من
المفاسد (أكبر) أى أعظم (من فتنعهما) المتوقع منه وما ولا يقل ان هذا هو المحرم للضعفان
المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والظاهر أن المحرم لها آية المائة كما مر
(ويستلونك) يا محمد (ماذا ينفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة
فقالوا ماذا تنفق فقال الله تعالى (قل) لهم (العفو) قرأ أبو عمرو ورفعه الواو بتدويره والباقون
بنصبها بتدوير انفقوا واختلفوا في معنى العفو وهو تقيض الجهد فقل ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه
منه الجهد واستقراغ الوسع كما قال الشاعر

خذى العفو منى تستدعى مودتى * ولا تنطق في سورتي حين أغضب

وسورة الغضب شدته وحده وقال قتادة وعطاء والسدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت
الحاجة رضى الله تعالى عنهم يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم
هذه الآية وقال مجاهد معناه التصديق عن ظهر غنى روى أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه
وسلم ببضعة من ذهب أصابها في بعض الغنائم فقال خذها منى صدقة فأعرض عنه صلى الله عليه
وسلم حتى كثر مراراً فقال هاتهما مغضباً فخذها فخذها أصابها لشجبه ثم قال يأتي
أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى واليهذا العلماء
خبر من البد السئلي وأبدأ بنقول قال ابن الأثير والظاهر قد زاد في مثل هذا الشبا على الكلام
وتمكننا كأن صدقة مستندة الى ظهر قوى من المال وقال عرو بن دينار الوسط من غير
اسراف ولا اقتسار كما قال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً
(كذلك) كما بين لكم ما ذكر (يسين الله لكم الآيات) قال الزجاج انما قال كذلك على

الواحد وهو مخاطب جماعة لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قيل كذلك أيها القبيل وقيل
 هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأن خطابه يشغل على خطاب الأمة كقوله تعالى يا أيها النبي
 إذا طلقتم النساء (لعلكم تتفكرون) زوال (الدنيا) وفتانها فتزهدوا فيها (و) في اقبال
 (الآخرة) وبقائها فتزعموا فيها (ويستولون) يا محمد (عن النبأ) وقد مر أنهم جمع نبي
 وان النبي طفل لأب له قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما نزل قوله تعالى ولا تفر بآمال
 اليتيم إلا بالتي هي أحسن وقوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية تخرج المسلمون
 من أموال اليتامى تحت جاشديد افان واكلوهم يأثموا وان عزلوا مالهم من مالهم وصنعوا لهم
 طعاما وحدهم فخرج فاشدة ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أنزل الله تعالى
 (قل اصلاح لهم) أي اليتامى في أموالهم بنعيمها وما دخلتكم معهم (خير) من مجانبتيكم
 (وان تحالطوهم) أي تخالطوا فقتلهم بنفقتكم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم في الدين ومن
 شأن الاخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك وقيل المراد بالخالطة المصاهرة (والله يعلم المفسد)
 لا مالهم بخالطته (من المصلح) بما فيجأزي كالأمن ما في ذلك وعيدو وعدلن خالطهم لافساد
 واصلاح (ولو شاء الله لعنتكم) أي انصبق عليكم بغير حريم الخالطة وما أباح لكم مخالطتهم
 وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كنسكم في كل شيء ما يشق عليكم (ان الله عزيز) غالب
 على أمره بقدر على الاعنات وغيره (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة
 (ولا تنكحوا) أي لا تتزوجوا أيها المسلمون (المشركات) أي الكافرات (حتى يؤمنن) روى
 أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين
 سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عنقا وكانت خليلته في الجاهلية فأنته وقالت
 يا مرثد ألا تخلو فقال لها ويحك اعناقك ان الاسلام قد حال بيننا وبينك فقالت هل لك أن تزوج
 بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع اليه قال يا رسول الله أبجل لي
 أن أتزوج بها فأنزات هذه الآية هذا ما أورده الواحد وغيره وله كن الذي رواه أبو داود
 وغيره انه سب في نزول آية النور الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة الآية والآية وان كانت
 شاملة للكليات لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وقد تزوج
 عثمان بنصرانية فأسلمت وتزوج حذيفة يهودية وطلحة بن عبيد الله بنصرانية (فان قيل)
 كيف أطلقتم اسم الشر على من لم ينكح الا بقرعة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الحسن بن
 فارس لانه يقول القرآن كلام غير الله ومن يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك الله غير الله
 انتهى وقال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
 عما يشركون (ولامة مؤمنة خير من) أي من حرة (مشركة ولو أعجبتكم) لجمالها ومالها
 نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملا
 الاعلى على سوادك ودمايت فأعنتها وتزوج بها وقال السدي نزلت في عبيد الله بن رواحة
 كان له أمة فأعنتها وتزوج بها فظعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنت نكح أمة وعرضوا عليه

حرمة مشركة فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولا تشكعوا المشركين حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا
منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهذا على عمومها بجماع (ولعبد من خبير من) أى من حر
(مشرك ولو أعجبكم) لماله وجاله وقيل المراد بالامة والعبد المرأة والرجل حرين كانا
أورقيقين لأن الناس عبيد الله وأماؤه (أو تلك) أى أهل الشرك (يدعون الى النار) أى الى
الكفر المؤدى الى النار فلا تليق مصاهرهم وموالاتهم (والله يدعوا) أى أوليائه المؤمنون
يخذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم أو يدعو على لسان رسله وهذا كما قال
أبو حيان أبلغ في التباعد من المشركين اجراء للفظ على ظاهره والاول ذكر كراطلب المعادلة بين
المشركين والمؤمنين (الى الجنة والمغفرة) أى العمل الصالح الموصل اليها فهم الاحق بالمواصلة
(بأذنه) أى بأمر الله ورضاه على التفسير الاول أو بقضائه وأرادته على التفسير الثانى فتجب
اجابته بتزويج أوليائه (وبين) أى الله (آياته للناس لعلهم يتذكرون) أى لكي يتذكروا
فيستعظوا (ويستلونك) يا محمد (عن الحميض) أى الحميض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه روى
أن أهل الجاهلية كانوا يمسكون الحميض ولم يربوا كلوهن كفعل اليهود فان اليهود كانت
إذا حاضت المرأة منهم أخرجهن من البيت ولم يربوا كلوها ولم يشاربوا ولم يجامعوها في البيت
واستمر ذلك الى أن سأل أبو الدحداح في نفر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الله تعالى
(قل لهم هو) أى الحميض أو مكانه (أذى) قدراً ومجدة قدر (فان قيل) لماذا ذكر الله تعالى يستلونك
بغيره وأولادهم بها لانا (أجيب) بأن السؤالات الاول كانت في أوقات متفرقة والسئلة
الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها مجزأة بالجمع وهو الواو والعطف وهى الجمع في الحكم
لا الزمان (واعترض) هذا الجواب بأنه كان يجب على هذا أن تدخل الواو على اثنين من الثلاثة
الاخيرة لأن العطف يكون في الثانية والثالثة منها (وأجيب) بأنهم لم يسألوا عما كانوا يفعلون
فأجيبوا بمصرف النفقة أعادوا سؤالهم بالواو ما يفعلون فأجيبوا بالعفو ولما كان السؤال
الثانى عن مخالطة البتامة في النفقة وهو مناسب لما قبله عطف بالواو ولما كان الثالث سؤالاً
عن اعتزال الحميض كما تعتزل البتامة فمما قبله في الاعتزال عطف بالواو ولا كذلك
الثلاثة الاول اذ لا تعلق بينها (فاعتزلوا النساء) أى اتركوا وطأهن (في الحميض) أى وقته
أو مكانه لأن ذلك هو الاقتصاد بين افراط اليهود ونشر بطالنصارى فانهم كانوا يجامعونهن
ولا يسألون بالحميض وما استدلل به البضاوى من قوله صلى الله عليه وسلم إنما أمرتم أن تعتزلوا
بجامعتن إذا حضن ولم تأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم قال شيخنا القاضي
ذكر بالمرء هذا اللفظ في بعض التفاسير لغيره وقوله تعالى (ولا تقربوهن) أى بالجماع (حتى
يطهرن) تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريح اقراء
شعبة وحزرة والكسافى بتشديد الطاء والهاء أى يطهرن بمعنى يغتسلن والباقرن بسكون
الطاء وضم الهاء محققة واتزما قوله تعالى (فإذا تطهرن فأتوهن) أى بالجماع فانه يقتضى تأخر
جواز الاتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان طهرت لا كثر الحميض وهو

عنده عشرة أيام جازقربانهم اقبل الغسل (من حيث أمركم الله) بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعتدوه الى غيره أما الملاسة فيمأهدا ما بين السرة والركبة والصاحجة معها اقبل الغسل ولوقبل اقطاع الحيض فجائز قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان يأمرني صلى الله عليه وسلم فأنزرفياشرفي وأنا حائض وكان يخرج رأسه الى وهو معتكف فاغسله وأنا حائض وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت حضرت وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخيلة فأنزلت فخرجت منها فأخذت ثياب حيصتي فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفت قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الخيلة (أن الله يحب) أي يثيب ويكرم (التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) أي المتزهرين عن الفواحش والافتاد كجماعة الحائض والاتبان في غير القبل (نسأوكم حرث لكم) أي مزرع ومنبت للولد كالارض للنبات (فأنوا حرمكم) أي محله وهو القبل (أي) أي كيف (شتمت) من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار روى الشيطان أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها أي من خلفها في قبلها جاء ولدها حول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (وقدموا لأنفسكم) من الاعمال الصالحة كالسجدة عند الجماع وطلب الولد أي ما يدخلكم من الثواب (واقنوا الله) في أمره ونهيهِ (واعلموا أنكم ملاقوه) بالبعث فتزودوا مالا تفتضون به فانه يحازيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصهم ويبشر من صدقه وامثله أمرهم وقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما حلف أن لا يتق على مسطح حين خاض في حديث الافك لا فتراته على عائشة رضي الله تعالى عنها أوفى عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم خنته أي زوج أخته بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته فالعرضة كل ما يعرض فبمع عن الشيء أي لا تجعلوا الحلف سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعي أحدكم الى صلى الله عليه وسلم أو بر فمقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعمل بينه في ترك البر كَمَا قال تعالى (أن تبروا) أي مخافة أن لا تبروا فهو في موضع نصب منفعل من أجله وعند الكوفيين ثلاث تبروا كقوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا أي لا تضلوا وقال أبو اسحق في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف أي أن تبروا وتوقوا خير لكم وقيل التقدير في أن تبروا فلما حذف حرف الجر نصب وقيل هو في موضع جر بالحرف المحذوف (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) فسكرو العين على ذلك ويسن فيه الحديث ويكفر لما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف بين فرأى غيرها خيرا منها فليكن منه ويضلل الذي هو خير بخلافها على فعل البر ويخوه فهي طاعة (والله سميع) لافوا لكم (عليهم) باحوالكم (لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (في أيمانكم) واللغو كل مطروح من الكلام لا يعتد به واختلف أهل العلم في اللغو بين المذكور وفي الآية فقال قوم هو ما سبق الى اللسان على جملة لصله كلام من غير عقد ولا قصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لغوا العين كقول الانسان

لا والله وبلى والله ورفعهم بعضهم وبهذا قال الشافعي رضي الله عنه وقال قوم هو أن يحلف على
 شيء يرى أنه صادق ثم يتبين أنه خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقال زيد بن أسلم هو
 دعاء الرجل على نفسه كقول الانسان أعني الله بصرى اذ لم أفعل كذا وكذا فهذا القول لا يؤخذ
 الله به قال تعالى ويدعوا الانسان بالشرك دعاء بالخبر وقال تعالى ولو يحمل الله للناس الشر
 استنجاهم بالخبر لقضى اليهم أجلهم (ولكن يؤخذ كما كسبت قلوبكم) أي قصدته من الايمان
 اذا حننتم (والله غفور) حيث لم يؤخذكم باللغو (حليم) حيث لم يجعل بالمؤاخاة على عين الجدة
 تربصا للتوبة * (تنبيه) * العبد لا يعتقد الا بالله العظيم أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته
 فالعين بالله كأن يقول الذي أعبدوه والذي نفسي بيده وأسمائه كأن يقول والله الرحمن
 وبصفاته كأن يقول وعزة الله وعظمته الله وجلال الله فاذا حلف بشيء من ذلك على أمر مستقبل
 ثم حنن وجبت عليه الكفارة وسبأ في بيانها ان شاء الله تعالى في سورة المائدة واذا حلف على
 أمر ماض أنه كان ولم يكن وهو عالم به حالة ما حلف فهي العين الغموس وهي من الكفار ويجب
 بها الكفارة كما قاله الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال بعض العلماء لا كفارة فيها كما كثر
 الكفار وأما الحلف بغير ما ذكر كالحلف بالكعبة وبيت الله ونبي الله أو بأبيه وفخوه فلا يكون
 يمينا ولا تجب به الكفارة اذا حنن وهو عيّن مكره وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر
 وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم أن تحلفوا
 بأبائكم فمن كان حائفا فيحلف بالله أو يصمت (للذين يؤولون من نسائهم) أي يحلفون أن
 لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعل ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بن قال
 قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار اهل الجاهلية
 كان الرجل لا يحب المرأة ولا يريد أن يزوجها غيره فيحلف أن لا يفرجها أبدا فيتركها أبدا لا أبدا
 ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فضرب الله لهم أجلا في الاسلام كما قال تعالى (تربص)
 أي انتظر (أربعة أشهر) أي للمولى حق التثبت في هذه المدة فلا يطالب بفسخه ولا طلاق ولذا قال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه لا ايلاء الا في أكثر من أربعة أشهر وبؤيده (فان قارأ) أي رجعوا
 في المدة أو بعد ما عان العيّن الى الوطء لان الفسقة وعزم الطلاق مشروعان عقب الايلاء وحصول
 التربص فلا بد أن يكون مدخول الفاء واقعا بعدهما (فان الله غفور) لهم ما نوه من ضرر المرأة
 بالحلف (رحيم) بهم (وان عزموا الطلاق) أي صمموا عليه بأن لم يقبوا فليوقعوه (فان الله
 سميع) لقولهم (عليم) بعزمهم أي ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الفسقة أو الطلاق فقيه دليل
 على أنها لا تطلق بعد مدعى المدة ما لم يطلعهازوجهها لانه شرط فيه العزم وقال فان الله سميع
 فدل على أنه يقتضى مهوعا والقول هو الذي يسمع وقال بعض العلماء اذا مضت أربعة أشهر وقع
 عليه طلاقه بآنية وهو قول ابن عباس وأصحاب الرأي وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليه
 طلاقه واحدة رجعية ولو حلف أن لا يعاها أقل من أربعة أشهر لا يكون مولى بالحل اذا
 وطئها قبل مضي تلك المدة وجبت عليه كفارة يمين ان كان الحلف بالله ولا يحتص الايلاء بالحلف

بالله تعالى فلو قال الزوجته ان وطئتك فعبدي حر او ضرتك طالق أو رقه على عتق رقبه أو صوم
 أو صلاة فهو مولى لان المولى من يلزمه أمر يتخضع بسببه من الوطء (والمطلقات يترصن) ينتظرن
 (بأنفسهن) عن النكاح (ثلاثة قروء) تمضي من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وضمها
 وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام كبروا له أبو داود وغيره دعى الصلاة أيام اقرائك
 وللطهر الفاصل بين حيضتين وهو المراد في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال به
 بعض العلماء لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
 في الحيض وأما مارواه أبو داود والترمذى وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة
 تطليقتان وعدتهما حيضتان فلا ية يوم مارواه البخارى في قصة ابن عمر مره فليار جمعها ثم ليعسها
 حتى تظهر ثم تحيض ثم تظهر ثم ان شاء أمسك وان شاء طلق قبل أن يمس فذلك العدة التي امر الله
 تعالى ان تطلق لها النساء أى بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن (فان قيل) ما معنى ذكر
 الانفس فهلا قيل يترصن ثلاثة قروء (أجيب) بأن في ذكر الانفس تمهيداً ليجالهن على التربص
 وزيادة بعث لان فيه ما يستتبعن منه فيصملهن على أن يترصن وذلك أن نفس النساء طوامح
 أى توافر الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص
 وكان القياس في جمع قرء ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتوسعون في ذلك
 فاستعملوا كل واحد من البناءين مكان الآخر ألا ترى الى قوله بأنفسهن وما هي الا نفوس
 كثيرة قال البيضاوى ولعل الحكم لماعى المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
 بناء الكثرة وجوب ذلك في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة لهن لقوله تعالى وان طلقوهن
 من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وفي غيرها الآية والصغيرة فعدهن ثلاثة
 اشهر والحوامل فعدهن أن يضعن حملهن كافي سورة الطلاق والاماء فعدهن قرآن بالسنة
 (ولا يحل لهن أن يكنن ما خلق الله في أرحامهن) من الولدان كانت حاملاً ومن الحيض ان
 كانت حائضاً (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) قال البيضاوى ليس المراد تقييدنى الحبل
 بإيمانهن بل التسمية على أنه ينافى الايمان أى كاله وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبت على له أن
 يفعل (وبعولتهن) أى أزواجه المطلقات والبعولة جمع بعل والنساء لاحقة لتأنيث الجمع
 كالعوممة والخلوة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به مبالغة
 كافي رجل عدل وأقيم مقام المضاف المحذوف أى وأهل بعولتهن (أحق برذهن) أى بما رجعتهن
 (في ذلك) أى في زمن التربص (فان قيل) كيف جعلوا أحق بالرجعة فكان للنساء محققاً فيها
 (أجيب) بأن أفعالهن بما معنى الفاعل فان غير البعل لاحق له في الرد فكانه قيل وبعولتهن
 حقيقة برذهن وقيل انه على بابة للفضل أى أحق منهن بأنفسهن لو أبن الرد ومن أبانهن
 يسمى الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك (ان أرادوا) أى
 البعولة (اصلاحاً) بالرجعة لا ضرار المرأة وليس المراد من هذا الشرط قصد الاصلاح للرجعة
 بل الحرص عليه والمنع من قصد الضرار والصارف عن اعتباره فهو هذا الشرط الاجماع

(ولهن) على الأزواج (مثل الذي) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعا من حسن العشرة وترك الضرر ونحو ذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في معنى ذلك اني أحب أن أترين لامرأتي كما تحب أن تترين لي لهذه الآية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل المؤمنين ايماناً حسناً هم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم (فان قيل) ما المراد بالماله (أجيب) بأن المراد أن لهن حقوقا على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها في الجفد اذ ليس الواجب على كل منهما من جفد ماوجب على الآخر فلو غلبت ثيابه أو خبزت له لم يلزمه أن يفعل مثل ذلك ولكن يقابلها بما يليق بالرجال (ولرجال عليهن درجة) أي فضيلة في الحق لأن المرأة تنال من الرجل من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها ولان حقوقهم في أنفسهم بالوطء والتمتع وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرر وقيل بصلاحيته للامانة والقضاء والشهادة وقيل بالجهاد وقيل بالبراث وقيل بالدية وقيل بالعقل (والله عزير) في ملكه فادري على الانتقام ممن خالف الاحكام (حكيم) فيعادي به خلقه بشرعها لحكم ومصلح (الطلاق) أي التطلق كالسلام بمعنى التسليم اي الذي يراجع به (متنان) أي اثنتان روى عن عرو بن الزبير قال كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد كان الرجل يطلق امرأته فاذا اقربت انقضاه عدتها ارجعها ثم طلقها كذلك ثم ارجعها بقصد مضارتها فترت هذه الآية وروى أبو داود وغيره أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم أو تسريح باحسان (فأمسك) أي فعليك اسمك كهن اذا راجعتوهن بعد الطلقة الثانية (معروف) وهو كل ما يعرف في الشرع من أدا حقوق النكاح وحسن العشرة (أو تسريح باحسان) بالطلقة الثالثة أو بأن لا راجعها حتى تبين منه * (تنبيه) * اختلف العلماء فيما اذا كان أحد الزوجين رقيقا فذهب الاكثر ومنهم الشافعي رضي الله تعالى عنه الى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج فالطريق ثلاث على زوجته الامة ثلاث طلاقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقين وذهب الاقل ومنهم أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه الى ان الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق كالعدة فبطلان العبد على زوجته الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحرة على زوجها الامة الا طلقين (ولا يحل لكم) أيها الأزواج (أن تأخذوا مما يتيقوهن) من المهور (شيئا) اذا طلقتموهن روى أنهن نزلت في جيلة أخت عبد الله بن أبي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكته الى أبيها فقال ارجعي الى زوجك فاني أكره للمرأة ان لاتزال رافعة يديها تشكوز زوجها فلما رأت أنها عالم يشكها رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل خلفه فجاء فقال له مالك ولاهلك فقال والذي بعث بالحق نبيا ما لي وجه الارض أحب الى منها غيرك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولين فقالت هو مني أكرم الناس حب الزوجه ولكن لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله لا أعيبه في دين ولا خلق ولكن أكره الكفر في الاسلام ما أطيقه بغضا أي أكره ان أقت عنده ان أقع فيما يقتضي الكفر بغضافه ويحتمل أن تريد كقران العشرة اني رفعت

جانب الخياء فرائته أقبل في عدة فاذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهها فقال ثابت
 قد أعطيتها حديقة فقل لها فلتردها علي وأخلى سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتلكين
 أمر لثالث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها واخل سبيلها ففعل
 وفي رواية أقبل الحديقة وطلقها تطليقة (الأن بخافاً) أي الزوجان (أن لا يقيم أحدهما الله)
 أي لا يأتيا بحادثة لهما من الحق وقرا حجة بما يضمن الياء بالبناء للمفعول فان مع صلتهما بدل
 اشغال من الضمير في يخافا والباقون بقصصها بالبناء للفاعل (فان خفستم) أيها الأئمة والحكام
 (أن لا يقيم أحدهما الله) أي ما حادثة من الأحكام (فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) نفسها من
 المال ليطلقها أي لا يخرج على الزوج في أخذه ولا على الزوجة في بذله وهذا هو الأصل والا
 فيصور على عوض وان لم يخافا * (تنبيه) * علم مما تقرر أن الخطاب في الأول للزوجين وثانياً
 للأئمة والحكام ونحو ذلك غير عز في القرآن وغيره ويجوز أن يكون الخطاب كله للأئمة
 والحكام ولا ينافي ذلك قوله تعالى ان تأخذوا بما آتيتوهن شيئاً لانهم الذين يأمرن بالآخذ
 والائتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون (تلك) أي الأحكام المذكورة
 (حدود الله) وهي ما منع الشرع من الجاوزة عنه (فلا تعتدوها) أي فلا تعتدوها بالخاصة
 وقوله تعالى (ومن يعتد حدود الله فأولئك هم الظالمون) تعقيب للنهي بالوعيد وبالغنة
 في التهديد * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا يجمع
 ما ساق الزوج إليها فضلاً عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كراها البهقي أيما
 امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس أي ضرر فإمرأته عليها راحة الجنة وما روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال ليلته أتدري عليه حديقته فقالت أردتها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
 أتمأ الزائد فلا تجالجه واستكروها الخلع ولكن نفذه فان المنع من العقد لا يدل على فساده وانه
 يصح بلفظ المفاداة فانه ساء اقتداء (فان طلقها) أي الزوج بعد الثنتين (فلا تفعل لمن بعد) أي
 بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح) أي تزوج (زوجاً غيره) أي المطلق والنكاح يتناول العقد
 والوطء وتعلق بظاهر الآية من اقتصر على العقد كإبن المسيب والجمهور على أنه لا بد من
 الإصابة لما روى الشيخان ان امرأة رفاعه قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعه
 طلقني وان عبد الرحمن بن الزبير أي بفتح الزاي وكسر الباء تزوجني وانما معه مثل هدية الثوب
 فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدن أن ترجعي الى رفاعه لآحق تذوق عسيلة
 ويذوق عسيلتك فالآية مطلقه قبيحتها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون العقد
 مستفاداً من لفظ الزوج والعسيلة بخارج عن قليل الجماع اذ يكفي قليل اقتدار شهت تلك اللذة
 بالفضل وضغرت وطقها الهاء لان الغالب على العسل التأنيث فله الجوهرى وروى انها
 لبست ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان زوجي قد مسني فقتال
 لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت في قولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبست حتى قبض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبابكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الأول

فان زوجي الآخر سني وطلقتني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
اتينيه وقال لك ما قال فلا تزجي اليه فلما قبض أبو بكر أنت حرة وقالت له مثل ذلك فقال لها
عمر لن نجعت اليه لا لربك والحكمة في التحلل الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى
الطلة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوز أبو حنيفة رضي
الله تعالى عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له رواه
الترمذي والنسائي وصححه وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا وفي بحلل ولا يحلل له الا رجعتما
* (تنبيه) * شملت الآية الكريمة ما اذا طلق الزوج زوجته الاثام ملكها فانه لا يحلل له
أن يطأها بملك المين حتى تنكح زوجا غيره (فان طلقها) الزوج الثاني بعدما أصابها (فلا جناح
عليهما) أي المرأة والزوج الأول (أن يترجعا) الى النكاح بعد عقد جديد بعد انقضاء العدة
(ان طنا) أي ان كان في ظنهما (أن يعا حاد والله) أي ما حده الله وشعره من حقوق الزوجة
هذا هو الاصل والافهول ليس بشرط للعواز ولم يقل ان علما أنهم ما يقيمان لان اليقين مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله قال في الكشف ومن فسر الطن هنا بالعلم فقد وههم من طريق اللفظ
والمعنى لانك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما
يظن ظنا (ولك) أي الاحكام المذكورة (حدود الله بينهن القوم يعلمون) أي يدبرون ما أمرهم
الله تعالى به ويفهمونه ويعملونه بمقتضى العلم واذا اطلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي قارب
انقضاء عدتهن ولم يرد انقضاء العدة حقيقة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها
فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة وفي قوله تعالى بعد ذلك فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء
العدة والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغ المدينة اذا قرب منها واذا دخلها (فامسكوهن) بان
تراجعهن (يعرف) من غير ضرار وقيل بأن يشهد على رجعتها وان تراجعها بالقول بالالوط
(أو سرحوهن يعرف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن أملاك بأنفسهن
(ولا تمسكوهن) بالرجعة وقوله تعالى (ضرارا) مفعول له (لتمعدوا) أي لا تقصدوا بالمراجعة
المضارة بظن بل الحبس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته
حتى اذا قرب انقضاء عدتها تراجعها ثم طلقها بقصد مضارتها (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه)
أي أضر بها بتعريضها الى عذاب الله وقرأ أبو الحارث الليث بادغام اللام من يفعل في المذال حيث
جاءه والباقون بالاطهار (ولا تقضوا آيات الله هزا) أي مهزوا بها بمخالفتها لان كل من خالف
أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزا وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب
فتزلت وروى عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدتهن جد وهزلهن جد الطلاق
والنكاح والرجعة (واذ كرا نعت الله عليكم) التي من جملتها الاسلام والايان وبعثة النبي صلى
الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة أفرد ههنا بالذكر
اطهارا للشرع فما ذكر ههنا مقابلهما بالشكر والقيام بحقوقها (يعظكم به) أي بما أنزل عليكم ليدعركم
به الى دينه (واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه شيء في ذلك تأكيدهم بدينه (واذا

طلقت النساء فبلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) أى تمنعهن من (أن ينكحن
 أزواجهن) أى المطلقين لهن وعن الشافعي رضى الله تعالى عنه دل سباق الكلامين أى
 وهما أمسكوهن الخ وفلا تعضلوهن على افتراق البلوغين فالمراد بالاول المقاربة وبالثاني
 الوصول كما تنقروا العضل الحبس والتضييق ومن العضل به هذا المعنى عضلت الدجاجة اذا
 عقلت يضنها فلم تخرج (فائدة) رسمت التاء في نعمت بالتاء المجرورة ووقف ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي بالهاو وعملها الكسائي في الوقف ووقف الباقون بالتاء على الرسم والمخاطب بذلك
 الاولياء لما روى أنهم انزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته ان ترجع الى الزوج الاول ففي
 الآية دليل على أن المرأة لاتزوج نفسها اذ لو عصى كفت منه لم يكن لعضل الولي فائدة
 ولا يعارض ذلك باسناد النكاح اليهن لانه انما أسند اليهن لتوقف النكاح على اذنهن وقيل
 الخطاب للاولياء والازواج وقيل للناس كلهم أى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه ان وجد بينهم
 وهم راضون به كانوا كالنساء على قوله تعالى (اذا تراضوا بينهم) أى الازواج والنساء نظرف
 لان ينكحن ولا تعضلوهن وقوله تعالى (بالمعروف) أى بما يعرفه الشرع ويستحسنه من
 كونه بعد حلال حال من ضهر تراضوا وصفة مصدر محذوف أى تراضيا كائنا بالمعروف
 وفيه دلالة على أن العضل عن التزوج من غير كف غير منهي عنه (ذلك) أى النهي عن العضل
 (بوعظبه من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظأ والمتعظبه (فان قيل) لمن الخطاب
 في قوله ذلك يوعظبه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد كما
 في قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقت النساء فوهوه (ذلكم) أى ترك العضل (أركي) أى انفع
 (لكم وأطهر) لكم ولهن من دنس الاثم لما يخشى على الزوجين من الرية بسبب العلاقة
 بينهما (والله يعلم) ما فيه المصلحة (وأنتم لاتعلمون) ذلك لقصور علمكم وقوله تعالى (والوالدان
 يرضعن أولادهن) خبر يعنى الامر بكفوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن وهو امر استحباب
 لا امر ايجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة
 الطلاق فان أرضعن لكم فأتوهن أجورهن فان رغبتم الاتم في الارضاع فهى أولى من غيرها
 أما اذا لم يوجد من يرضعه فيجب عليها ارضاعه والوالدان يرضعن المطلقات وغيرهن وقيل يختص
 بالمطلقات اذ الكلام فيهن (حولين) أى عامين (كاملين) مئة مائة وكذا في قوله تعالى تلك عشرة
 كاملة لان العرب قد تسمى بعض الحول حول ولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى الحج أشهر
 معلومات وانما هو شهران وبعض الثالث وقال تعالى فنجعل في يومين فلاثم عليه وانما
 يتجمل في يوم وبعض يوم وقال قتادة فرض الله على الوالدات ارضاع حولين كاملين ثم أنزل
 التخفيف فقال (من أراد أن يرضعها) أى هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حدة
 مجد وانما هو على مقدار اصلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولودة) أى الوالد (رزةهن)
 أى اطعام الوالدات (وكسوتهن) أجرة لهن على الارضاع اذا كن مطلقات واختلف
 في استنجاز الام للارضاع فجوزه الشافعي ومنعه أبو حنيفة مادامت زوجة أو معتقة نكاح

(فان قيل) لم قال تعالى المولود له دون الوالد (أجيب) بأنه تعالى انما ذكر ذلك ليعلم أن
الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد لا ياء ولذلك يتسبون اليهم لآلى الاتهام وأنشد للها مومن
ابن الرشيد

فانما أتهات الناس أوعبة * مستودعات ولاد آباءنا

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم الا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم
يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازع عن والده
شيأ وقوله تعالى (بالمعروف) يفسره ما يعقبه وهو قوله تعالى (لا تكلف نفس الا وسعها) أى
طاقاتها فلا يكلف واحد منها ما ليس في وسعه (لا تضار والدة بولدها) أى بسببه بأن تكرمه على
أرضاعه أو تكلف فوق طاقتها (ولا يضار) (مولوده بولده) أى بسببه بأن يكلف فوق طاقتة
وأضافة الولد الى كل منهما للاستعفاف وللتنبية على أن الولد حقيق بأن ينفق تعالى
استصلاحه وقرأ ابن كثير وأبو عمر وتضارب ضم الرأ بدل من قوله لا تكلف والباقون بقضها
(وعلى الوارث) أى وارث الاب وهو الولد أى على الولد (مثل ذلك) أى الذى كان
على الاب للوالدة من الرزق والكسوة وقيل هو وارث الولد الذى لومات الولد لورثته وقيل الباقي
من الابوين أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا يا سمعنا وأبصارنا واجعلهما الوارث
أى الباقي معنا والمعنى واجعل كل واحد منهما فى لزومه لنا مدة الحياة كأنه باق بعد الموت (فان أرادنا)
أى الوالدان (فصلا) أى فطامهما صادرا (عن تراض) أى اتفاق (منهما ونشاور) بينهما فقتلهم
مصلحة الولد فيه (فلا جناح عليهما) فى ذلك زاد على الحولين أو نقص وهذه توسعة بعد التصديد
وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الولد حذرا أن يقدم أحدهما على ما يضرب به لغرض أو غيره
(وان أردتم) خطاب للوالد (ان تسترضعوا) مرأض غير الوالدات (أو لادكم) يقال
أرضعت المرأة الطفل واسترضعتهما اياه تخفف المفعول الاول للاستغناء عنه كما يقال استجبت
الحاجة ولا تذكر من استجيبته وكذلك حكم كل مفعولين يكون أحدهما عبارة عن الاول هذا
ما جرى عليه الزحشرى من أن استرضع يتعدى لمفعولين بنفسه والجمهور على أنه انما يتعدى الى
الثانى بحرف الجر وتقديره هنا لادكم (فلا جناح عليكم) فى ذلك (اذا سلمتم) اليهن (ما آتينتم)
أى أردتم آتيانهن من الاجرة كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وانما أقدر
ذلك لان ما تحقق آتاءه لا يتصور تسليمه فى المستقبل وقوله تعالى (بالمعروف) مله سلم أى
بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط
التسليم لجواز الاسترضاع بل لاول ما هو الاولى والاصح للطفل وقرأ ابن كثير بقصر همزة
آتينتم من أى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ما تبا أى مفعولا والباقون
بالمد وهم على مراتبهم وقوله تعالى (واتقوا الله) (مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى أمر الاطفال
والمراضع ثم حثهم على ذلك وهددهم بقوله تعالى (واعلموا ان الله جاعلهمون بصير) لا يخفى عليه
شئ منه (والذين يتوفون) أى يموتون (منكم ويذرون) أى يتركون (أنزوا جابتهم من)

أى يتقنن (بأنفسهن) وهو خبر يعنى الامر وهو امر ايجاب أى يجب عليهن ان يرتبسن
بعدهم عن النكاح (أربعة أشهر وعشرا) أى عشرة أيام وكان القياس تذكير العدد بأن
يؤتى فيه بالتاء ولكن لما حذف المعدود جازفه ذلك كما فى قوله تعالى ان لبنتم الا عشر اثمن ان
لبنتم الا يوما لأن قوله فى سورة طه ان لبنتم الا يوما بعد قوله ان لبنتم الا عشر ايدل على ان المراد
بالعشر الايام وان ذكر بما يدل على اليسالى لانهم اختلفوا فى مدة اللبث فقال بعضهم عشر
وبعضهم يوم فدل على ان المقابل باليوم انما هو أيام الياى وكفى قوله صلى الله عليه وسلم من صام
رمضان واتبعه ستا من شوال قال السواوى ولعل مقتضى هذا التقدير أى هى هذه المدة ان
الجنين فى غالب الامر يتحرك الثلاثة أشهر ان كان ذكر ولاربعة ان كان أنثى باعتبار أقصى الاجلين
وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادئ فلا يحس بها أى بالحركة اه وهذا
فى غير الحوامل أمّا هن فعدتهن أن يضعن حملهن بأية الطلاق وفى غير الاماء فانهن على النصف
من ذلك بالسنة وعن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الحامل تمتد بأقصى الاجلين
احتياطاً وحكى عن أبى الاسود الدؤلى انه كان يشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر
الفاء فقال الله وكان أحد الأسباب الباعثة لعل رضى الله تعالى عنه على ان امره أن يضع كتاباً
فى التحول لكن يجوز الكسر على معنى أنه مستوف أجله ويدل له قوله تعالى والذين يتوفون
بفتح الباء على فرائض شاذة نقلت عن على أى يستوفون آجالهم (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت
عدتهن (فلا جناح) أى لا حرج (عليكم) أيها الاولياء (فيمعلن فى أنفسهن) أى من
التعرض للخطاب وداً ما حرم عليهن للعدة دون العقد فان العقد الى الولى وقيل المخاطب بذلك
الائمة أو السماون جميعاً (بالمعروف) أى بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومنه فهمه أنهن لو فعلمن
ما ينكر فعلى المخاطب أن يكفهن فان قصر فعليه الجناح (والله بما تعملون خبير) عالم بباطنه
كظايره فيجازيكم عليه (ولا جناح) أى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) والتعرض فى الكلام
ما يفهم منه السامع مراده بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً كقول السائل جئتكم لاسلم عليكم
ولا نظرت الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وجئتكم بالتسليم منى تقاضيا * ويسمى التلويح لانه
يلوح منه ما يريد والفرق بينه وبين الكناية ان الكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه
ورواده كقولك طويل النجاد لاماويل وهو بكسر النون جائل السيف وكثير الرمال للمضياف
(من خطبة النساء) المعتدات للوفاة والخطبة بالضم والكسر اسم الهيئة غير أن الخطبة موصلة
بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة للنكاح والتعرض بالخطبة مباح فى عدة الوفاة وهو أن
يقول رب واغب فيك من بجمعتك انك لجميلة وانك لصالحة وانك لعلى كريمة وانى فيك لراغب
وان من غرضى ان ان تزوج وان جمع الله بينى وبينك بالحسلا اعجبتنى ولان تزوجتك
لاحسن اليك ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت
فيه من غير أن يصرح بالنكاح فلا يقول انك جميل والمرأة تجيبه بمثله ان رغبت فيه روى ابن
المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على أبو جعفر محمد بن على وانا فى عتق

فقال قد علمت قرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدتي على وقد حدى في الاسلام فقلت
قد غفر الله لك أن تحطبي في عدي وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت إنما أخبرتك بقرايتي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن
عمر أبي سلمة فتوفي عنها فلم يذكر لها من زلت به من الله تعالى وهو متعامل على يديه حتى أثر الحصر
في يده من شدة تعامله عليها إنما كانت تلك خطبة وأما عادة الفرق في الحياة فيصل لغدير صاحب
العدة التعريض في غدير جمع لعدم ساطنة الزوج عليها أما التصريح فحرام إجماعاً وأما
الرجعية فلا يحل التعريض لها إلا أنها في حكم الزوجة أما صاحب العدة فيصل له التعريض
والتصريح إن حل له نكاحها والافلا (أو أكنتم) أي أذعنتم (في أنفسكم) من نكاحه
فلم تذكروه نصريحاً ولا تعريضاً قال السدي هو أن يدخل فيه ويهدي أن شاء ولا يتكلم بشئ
(علم الله أنكم ستذكرونه) بالخطبة ولا تصبرون عنهم فأباح لكم التعريض وفيه نوع توخي
(ولكن لا تؤاخذوهن سرا) أي نكاحاً فالسر كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر
قال الأعشى

ولا تقربن جارة إن سرها * عليك حرام فانكمن أو تأبدا

وقال امرؤ القيس

الازمعت سبابه اليوم انني * كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

ثم عبر بالسر الذي هو كناية عن الوطء عن عقد النكاح لأن العدة سبب في الوطء وقبل هو
الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فإذا
وقعت عندك أظهرت نكاحك قاله الحسن وقيل هو أن يصف نفسه لها بكثرة الجماع كان
يقول أتيتك الأربعة والخمسة ونحو ذلك (فان قيل) أين المستدرك بقوله ولكن لا تؤاخذوهن
سرا (أجيب) بأنه محذوف دلالة استدراكهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونه
فأذكرهن ولكن لا تؤاخذوهن سرا (الآن تقولوا قولاً معروفاً) أي ما عرف شرعاً من
التعريض فلكم ذلك (فان قيل) أين المستثنى منه (أجيب) بأنه محذوف أي لا تؤاخذوهن
مواعدة الأموات معروفة غير منكورة أو الأموات بقول معروف قال في الكشف ولا
يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من سر لادائه إلى قولك لا تؤاخذوهن إلا التعريض وقال
البيضاوي وقيل أنه استثناء منقطع من سرا وهو وضعيف لادائه إلى قولك لا تؤاخذوهن
إلا التعريض وهو أي التعريض غير موعود أي بل مخبر سرا أي في السر على أن المواعدة
في السر عبارة عن المواعدة بما يستقيم لأن مسارتهم في الغالب مما يستقيم من المجاهرة به
(ولا تعزموا عقدة النكاح) أي على عقده وفي ذلك مبالغة في النهي عن عقد النكاح
في العدة لأن العزم يتقدم على العقد فإذا انتهى مما يتقدمه فهو أولى بالنهي كما في قوله
تعالى ولا تقربوا الزنا (حتى يبلغ المكاتب) أي المكتوب (أجله) بأن ينهي ما فرض فيه
من العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم وغيره (فاحذروه) أي

خافوا عقابه (واعلموا أن الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خوفاً من الله (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة (الاجتناح عليكم ان طلقتم النساء لم تسوهن) أي تجامعوهن (أو) لم تفرضوا لهن فريضة (أي مهر أو ما صدقية طرفية أي لستعة عليكم في الطلاق زدن عدم المسيس والقرض بائع ولا مهر والتبعة بكسر الباء ما يتبع المال أو البدن من نوايب الحقوق وهو من تبع الرجل بحق وقرأ حجة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم والباقون بفتح التاء ولا ألف بعد الميم وقوله تعالى (ومتعوهن) عطف على مقدر لأنه طلب فلا يعطف على الاجتناح لأنه خبر أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في إيجاب المتعة جبراً يحاش الطلاق ويسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً وما قيمته ذلك وإذا تراخى أبشئ فذلك وإن تنازعا في قدرها قدرها فاقض بآية تهاد بقدر حالهما من يساره وعساره ونسبها وصفاتها كما قال تعالى (على الموسع) أي الغني منكم (قدره) أي ما يطيقه ويليق به (وعلى المقتر) أي ضيق الرزق (قدره) أي ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا نصارى طلق امرأته المفوضة قبل أن يجسها أمتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوك ومنه فهم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يسم الزوج وألحق بها الشافعي رضي الله تعالى عنه المسوسة المفوضة وغيرها قياساً وهو مقدم على المفهوم وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحزرة والكسائي بفتح الدال والباقون بسكونها وقوله تعالى (متاعاً) تأ كيد المتعوهن بمعنى متعها وقوله تعالى (بالمعروف) أي شرعاً صفة متاعاً وقوله تعالى (حقاً) صفة ثانية لمتاعاً أي متاعاً واجبا عليهم أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقاً (على المحسنين) أي المطيعين الذين يحسنون إلى أنفسهم بالسراعة إلى الامتثال أو إلى المطلقات بالتيسع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلاً فله سلبه ترغيباً وتحريضاً وما ذكر الله تعالى حكم المفوضة أتبعها حكم قسميها بقوله تعالى (وان طلقتموهن من قبل أن تسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) يجب لهن ويرجع لكم النصف وهو دليل على أن الاجتناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسميها (الآ) لكن (أن يعفون) أي الزوجات فلا يأخذن شيئاً (فان قيل) أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (أجيب) بأن الواو في الأقل ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل نصب (أو يعفو الذي يده عقدة النكاح) وهو الزوج المالك لعقدده وحله كما يعود اليه بالتشطير فيترك لها الكل وقيل هو الولي إذا كانت المرأة محبوبة وهو قول قديم للشافعي وهو مروى عن ابن عباس وقوله تعالى (وان تغفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتوى) وانطاب للرجال والنساء جميعاً لأن المذكر والمؤنث اذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر أي وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتغوى (ولانتموا الفضل بينكم) أي أن يفضل بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو تبرك المرأة نصيبها جميعاً على الاحسان (إن الله بما تعملون بصير) لا يضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم به (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها في أوقاتها ولعل الأمر

بالصلاة انما وقع في تضاعف أحكام الاولاد والازواج ثلاثا بلهيم الالة فقال بشأنهم عنها
(والصلاة الوسطى) أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم الأفضل الاوسط وانما أفردت
وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر على الرابع لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة يوتهم نارا وفضلها الكثيرة
أشغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة قال صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار وقبل صلاة الصبح لانها بين صلاة الليل والنهار والواقعة في الجزء
المشترك بينهما ما ولا نها مشمودة تشهد الملائكة الحفظة فخص عليها الشافعي رحمه الله تعالى
ليكن ربح الاصحاب الاول عملا بقوله حيث صح الحديث فهو مذهبي وقيل صلاة الظهر لانها
وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لانه صلى الله عليه وسلم مثل أي الاعمال
أفضل فقال أحزها وهو بجاه مهملة وزاى أقواها وأشدّها وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة
بالعدد لان عددها بين عددي الركعتين والاربع وقيل صلاة العشاء لانها بين جهريتين واقعتين
طرفي النهار لا يقصران وهما المغرب والصبح وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا يعينها
أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد في المحافظة على أدائها جميعها كما أخفى لي لاله القدر في شهر
رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحفظوا على جميعها
(وقوموا لله) في الصلاة (فائتين) أي طيعين لقوله صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القرآن فهو
طاعة أو سأكين لحديث زيد بن أرقم كانتكم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن
الكلام رواه الشيخان وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح (فان خفتهم) من عدواً واسع
أو سبيل أو نحو ذلك (فرجالاً) جمع راجل أي شاة صلوا (أو ركباناً) جمع راكب أي كيف أمكن
مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ويومئ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع
والصلاة في حال الخوف على أقسام وهذه صلاة شدة الخوف وسما في بقية الاقسام ان شاء
الله تعالى في سورة النساء ولا ينقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم وروى مجاهد
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال فرض الله الصلاة على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعة
وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وفي الآلية دليل على وجوب الصلاة حال المقاتلة واليه
ذهب النافعي رضي الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يصلي حال المشي
والمقاتلة ما لم يكن الوقوف وقال سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه اذا كنت في القتال وضرب
الناس بعضهم بعضاً قل سبّحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر واذا كر الله فذلك صلاتك
(فاذا أمنتم) من الخوف (فاذكروا الله) أي صلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها كما علمكم ما لم
تكنوا تعلمون قبل تعليمهم من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية
(والذين يوفون منكم ويذكرون أرواجاً وصية لازواجهم) قرأ نافع وابن كثير وشعبة والكسائي
وصية بالرفع أي فعلهم وصية والباقيون بالنصب أي فلو صاوصية وقوله تعالى (متاعاً) نصب
على المصدر أي متعوهن متاعاً أي ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (الى) تمام (الحول) من

موتهم الواجب عليهم تربيته وقوله تعالى (غير اخراج) نصب على الحال أي غير مخراجات من
 مسكنهن نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له الحنظل بن الحرث هاجر إلى
 المدينة وله أولاد ومعه أبواه وأمر أنه غلب فأبى الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه
 وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وأمرهم أن يتفقوا عليهم أن تركه زوجهما
 حولاً وكانت عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت
 قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم يخرج ولم يكن لها
 الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك
 حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والنن ونسخ عدة الحول بآية أربعة
 أشهر وعشر السابقة (فان قيل) كيف نسخ الآية السابقة المتأخرة (أجيب) بأنها
 متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول كما في قوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله فقد نرى قلب
 وجهك في السماء (فان خرجن) من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة (فلا جناح
 عليكم) بأولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) شرعا كالترين ترك الحداد وقطع
 النفقة عنها أخبرها الله تعالى بين أن تقيم حولاً ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج ولا نفقة
 لها ولا سكنى إلى أن نسجه بأربعة أشهر وعشر (والله عزين) في ملكه (حكيم) في صنعه
 لا يسئل عما يفعل (وله طلاقات متاع) أي يعطينه (بالمعروف) بقدر الإمكان وقوله تعالى (حقا)
 نصب بفعله المقدر (على المتقين) الله (فان قيل) لم كر الله تعالى ذلك (أجيب) بأن ذلك الحكمة
 وهي أن الآية السابقة في غير المسوسة وهذه أعم منها فتشمل المسوسة أيضاً (كذلك) أي
 كما بين لكم ما سبق من أحكام الطلاق والعدد (يبين الله لكم آياته) وعدصصانه وتعالى أنه
 سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشاً ومعاداً (لعلكم تعقلون)
 أي تدبرون فتستعملون العقل فيها وقوله تعالى (ألم تر) استفهام تعجيب ونشويق إلى استماع
 ما بعده لمن سمع بقصة منهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يروى يسمع
 وهذا هنا أولى فانه صار مثلاً في التعجيب أي يشبهه ملك (الذي خرجوا من ديارهم وهم
 ألوف) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثين أو أربعين أو سبعين ألفاً وقوله تعالى (احذروا الموت)
 مفعول لهم قوم من بني إسرائيل كانوا في قرية يقال لها دارودان جهة واسط وقع بها
 الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا
 فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحبنا كانوا أحرز مننا لوصفنا كما صنعوا
 لبقيتنا ولئن وقع الطاعون ثانياً لنخرجن إلى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب
 عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أضيح فلما نزلوا المكان الذي يتغون فيه النجاة ناداهم ملك
 من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موثوا فاجمعوا أحياهم الله تعالى كما قال تعالى (فقال
 لهم الله موثوا) أي فاقوا (ثم أحياهم) ليعتبروا وينبذوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره وقيل قوم
 من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففر واحذروا الموت فأماهم الله ثمانية أيام أو أكثر

ثم أحياهم بدعائهم حرّ قتل بكسر الميم والقاف وسكون الراء ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وكان يقال له ابن العجوز لأن أمته كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعظمت فوجهه الله تعالى لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسعى حرّ قتل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبيا وأنجباهم من القتل قال اذهبوا فاني ان قتلتم كان خيرا من أن تقتلوا معي جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حرّ قتل عن الانبياء السبعين قال لهم ذهبوا وما أدري أين هم ومنع الله حرّ قتل من اليهود فلما مر حرّ قتل على تلك الموقف وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم فبكى وقال يا رب كنت في قوم بحمدونك ويسجدونك ويقصدونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحدي لا قوم لي فأوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت العظام من أعلى الوادى وأدناها حتى اتروق بعضها بهض كل عظم جسد التروق بجسده فصارت أجسادا من عظام اللحم والدم ثم أوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها الاجسام ان الله يأمرك أن تكسبى لحما فاكسبت لحما ثم أوحى الله اليه ان ناد أيتها الاجساد ان الله يأمرك أن تقوى فبقى عظام احياء ورجعوا الى بلادهم وقال تجاهدانهم قالوا حين أحيوا سبحانه ربنا وبمحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وعاشوا دهر اعلمهم ثم أثم الموت لا يلبسون ثوبا لا عدا كالكنف حتى ما نوا لآجالهم التي كتبت لهم ولوجأت آجالهم ما بعنوا واستز ذلك في أسباطهم قال ابن عباس وأثر ذلك ليوم جد اليوم في ذلك السبت من اليهود وقائدة هذه القصة تنصيص المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء فان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفترقا ولى أن يكون في سبيل الله تعالى (ان الله لذو فضل على الناس) أى عامة فليزدك كل أحد ماله عليه من الفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) كما ينبغي اما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره * (تنبيه) * انما كرر الناس ولم يضر ليكون أنص على العموم لئلا يدعى مدعى أن المراد بالناس الاول أهل زمان فيخص بالناس أكرههم (وقالتوا في سبيل الله) أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا (واعلموا أن الله سميع) لا نقول لكم فيسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليهم) بأحوالكم فيعلم ما تضررونه فيجازيكم (من ذا الذي يقرض الله) الذي تفرّد بالعظمة بانفاق ماله في سبيل الله ومن استغفاه ماله فوهبه الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذاء أو بدل واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب نوابه فهو اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجا ما وعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملون لطلب نوابه وأصل القرض في اللغة القطع سمي القرض به لأنه يقطع من ماله شيئا يعطيه لرجع اليه مثله وقيل في الآية اختصار معناه من ذا الذي يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله أى عباد الله كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي (قرضا حسنا)

أي جامعاً لطيب النفس وإخلاص النية وقيل لا يبنى به ولا يؤذى ولما كانت النفس مجبولة على
 الشح بما عندها إلا لفائدة وغلب سببها ونعالى في ذلك بقوله (فبضاعته) أي جزاءه (له) في الدنيا
 والآخرة وأقول هذه المضاعفة أن الزائد ضعف ليس كسراً كان صلى الله عليه وسلم لا يقترض
 قرضاً الا وفي عليه زيادة وقال خياركم أحسنكم قضاء وقد أنبأ سبحانه ونعالى أن اقتراضه بما هو
 فوق ذلك لانه يضاعف القرض بمثله وأمثاله بقوله (أضعا فاكثيرة) من عشرين إلى أكثر من سبعمائة
 كما سيأتي روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح
 الانصاري يا رسول الله إن الله يريدنا القرض قال نعم يا أبا الدحداح قال اني يديك يا رسول
 الله فتناول به قال فاني قد اقترضت ربّي حاطلي وحاططه فيه ستمائة نخلة وأتم الدحداح فيه
 وعيالها نجاء أبو الدحداح فنأداها يا أتم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد اقترضت ربّي
 عز وجل وقرأ ابن عامر وعاصم فيضاعفه بنصب الفاء على جواب الاستفهام جملة على المعنى فإن
 من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً في معنى أي قرض الله أحد والباقيون يرفعونها واسقط الالف
 وشدد العين ابن كثير وابن عامر والباقيون بأبواب الالف وتخفيف العين ولما رغب سبحانه
 ونعالى في اقراضه أتبعه جملة حالية من ضمير يضاعف مرهبة مرغبة فقال (والله يقبض) أي
 يمسك الرزق عن يشاء ابتلاء (ويبدط) أي يوسعه لمن يشاء امتحاناً يجسب ما اقتضته حكمته
 سبحانه ونعالى وقرأ أنبل وأبو عمر وروان عامر وحفص وجزء بالسین بخلاف عن ابن ذكوان
 وخالد والباقيون بالصاد والرسم بالصاد (واليه ترجعون) أي فيجازيكم على ما قدمتم
 (ألم ترأى الملا من بني اسرائيل) أي الى قصتهم والملا من القوم اشرافهم وأصل الملا الجماعة
 من الناس لا واحد له من اقله كالقوم والرهط والابل والنخيل والجيش ومن للتبعض (من
 بعد) موت (موسى) ومن للإبتداء (أذ قال النبي لهم) أكثر المفسرين على أنه شعوبيل قال
 مقاتل هو من نسل هرون وقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه الصلاة والسلام وقيل
 هو شععون وانما سمى بذلك لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب دعاءها فسمته شععون
 تقول سمع الله دعائي والسين تصير شينا بالعبرانية وسبب سؤال بني اسرائيل نبيهم ذلك انه لما مات
 موسى عليه الصلاة والسلام وخلف في بني اسرائيل الخلو فوعظمت الخطايا سلط الله عليهم
 قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالة فظفروا على بني
 اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأمرهم وابنهم ملوكهم
 أربع مائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلائاً كثيراً
 وشدة ولم يكن لهم حينئذ نبي يذبر أمرهم وكان سبط النبوذة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امرأة حبلى
 فخبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها بغير غلام لما ترى من رهبة بني اسرائيل في ولدها
 وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً فسمته شععون تقول سمع الله دعائي
 فكبر الغلام فاسلمته لعمام التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وترباه فلما بلغ الغلام
 أنام جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد عبدك فيهم عبيداً فلما أناهم

كذبوه وقالوا استجلبت بالنبوة فان كنت صادقا (أبعث) أى أقم (لناملكنا قتال) معه
 (فى سبيل الله) فتنظّم به كلمتنا ونزجعه اليه ويكون ذلك آية من نبوتك وانما كان قوام بنى اسرائيل
 بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالجوع والنبى يقيم له أمره
 ويشير عليه برشده ويأثبه بالنظر من ربه ولما قالوا له ذلك (قال) لهم (هل عسيتم) قرأ نافع بكسر
 السين والباء قون بفتحها وقوله تعالى (ان كتب) أى فرض (عليكم القتال) مع ذلك الملك
 (أن لا تقتالوا) خبر عسى والاستفهام للتقرير المتوقع بهما حتى التثبت للمتوقع وان كان
 الشائع من التقرير هو الحمل على الاقرار (قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا
 من ديارنا وأبنائنا) بسيمهم وقتلهم أى أى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجب
 ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد (فلما كتب عليهم القتال تولوا)
 عنه وجنبوا وضيعوا أمر الله (الاقليل منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واتصروا على
 الفرقة على ما سأتى ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم
 فى ترك الجهاد * (تنبيه) * هذه الاقاصيص ليس المراد منها حديثا عن الماضين وانما هو اعلام
 بما يستقبل الآتون كما قال القائل اياك أعنى واسمعى يا جاره فذلك لا يسمع القرآن من لم يأخذ
 بحجته خطا بالهذه الامة بكل ما قص له من أقاصيص الاولين ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم
 ربه أن يعيث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون
 ملكا يكون طوله طويل وهذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش
 الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم وكان طالوت واسمه
 بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سعى طالوت لطوله وكان أطول من
 كل أحد أى فى زمانه برأسه ومنكبته وكان رجلا دانا ما يعمل الا ديم قال وهب وقال السدى
 كان سقاء يسقى على جواره من النيل فضل جواره فخرج فى طلبه وقال وهب بل ضلت جملابى
 طالوت فارس له وغلامه فى طلبه اغتربيت ثمويل فقال الغلام لطالوت لودخنا على هذا النبى
 فسلنا على امر الجملير شدنا وبيدعولنا فدخل عليه فينماهما عنده يذكروا له شأن الجملير
 اذنس الدهن الذى فى القرن فقام ثمويل فقام طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت
 قرب رأسك فقر به فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرنى الله أن
 أملكه عليهم فقال طالوت أمانت أن سبطى أدنى اسباط بنى اسرائيل وبنى أدنى بيوتهم قال
 بلى قال فبأى آية قال بأية انك ترجع وقد وجدت الجملير فكان كذلك ثم أخبرهم بنبيهم بذلك
 كما قال تعالى (وقال لهم نبيهم) الذى تقدم ذكره (ان الله قد بعث لكم) أى لاجل سؤالكم
 (طالوت ملكا) وهو اسم أعجمى كجملوت وداود وانما استع من الصبر لتعريفه وعجمته
 (قالوا أنى) أى كيف (يكون له الملك علينا) أى من أين يكون له ذلك (وفحن) أى والحال اننا نحن
 (أحق) أى أولى (بالمملكه) وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سلطان سبط نبوة وسبط مملكة
 فكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وسبط

المملكة سبطهم وذابن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ولم يكن طالوت
 من أحدهما إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملاً واذنباً عظيماً كانوا يشكون النساء
 على ظهر الطريق جهاراً فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوّة منهم وكانوا يسعون سبطاً لاثماً فلما قال
 لهم فيهم ذلك أنكروا لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو داغ (ولم) أي والحال أنه لم
 (يؤت سعة من المال) يستعين بها على إقامة الملك ولما استبعدوا وتملكه لفقره وسقوط نسبه رذ
 عليهم ذلك بأمر حكاها الله تعالى عن نبيهم بقوله تعالى (قال) أي فيهم (إن الله اصطفاه) أي
 اختاره للملك (عليكم) والعهد في الفلك اصطفاه الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم
 بالصالح منكم هذا الأمر الأول والثاني قوله (وزاده) عليكم (بسطة) أي سعة (في العلم) الذي
 يحصل به نظام المملكة ويتكمن به من معرفة الأمور السياسية (و) في (الجسم) الذي به يتمكن من
 الطفر عن بارز من الشجعان وقسده من سائر الأقران ويكون أعظم خطراً في القلوب وأقوى
 على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله في العلم فكان أعلم بنى إسرائيل
 يومئذ والجسم فكان أجملهم وأتمهم خافوا كان الرجل القائم بقية فيتناول رأس طالوت
 والثالث قوله (والله يؤتي ملكه) أي الذي هو له وليس لغيره فيه شيء (من يشاء) فأنه تعالى
 مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتبه من يشاء سواء كان غنياً أم فقيراً كما أتاكموه
 بعد أن كنتم مستعبدين عند آل فرعون والرابع قوله (والله واسع) أي واسع الفضل يوسع على
 الفقير ويعفيه (عليهم) عن يلبق بالملك من النسب وغيره (وقال لهم نبيهم) لما أذعنوا ذلك وطلبوا
 منه آية تدل على أنه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم (إن آية) أي علامة
 (ملكه أن يأتىكم التابوت) أي الصندوق وكان فيه صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنزله
 الله تعالى على آدم صلى الله عليه وسلم وكان من عود الشجر عجمتين أولاهما مكدورة
 وبينهما ميم ساكنة خشب تعمل منه الامشاط موهها بالذهب نحوها من ثلاثة أذرع في ذراعين
 فكان عند آدم إلى أن مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم ثم كان عند
 اسمعيل لأنه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بنى إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى
 ثم تدوله أنبياء بنى إسرائيل ثم استقر عند بنى إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تنكلموا وحكم
 بينهم وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم كما قال تعالى (فيه سكينه)
 أي طمأنينة لقلوبكم (من ربكم) ففي أي مكان كان التابوت اطمنأوا إليه وسكنوا فآله قتادة
 والكبي فلما عصوا وفسدوا سبط الله عليهم العمالة أصحاب جالوت فغلبوهم على التابوت
 وأخذوه وقال على هي صورة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وقال مجاهد هي شئ يشبه الهرة
 رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لها مشاع وجناحان من زمرد
 وزبرجد وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه
 قلوب الأنبياء وقال وهب هي روح من الله تنكلم إذا اختلفوا في شئ تخبرهم ببيان ما يريدون ولما
 كان الكليم وأخوه عليهما الصلاة والسلام أعظم أنبياءهم قال (و) فيه بقية مما ترك آل موسى

والهرون) والهما أنفسهما والال مقعّم لتغنيهما - ما وقيل أبناؤهما وقيل أنبياء في
 إسرائيل لانهم أبناؤ عتم موسى وهرون والبقية هي رضا الالواح أي قناتها وعصا موسى
 وميثابه ونعلاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم وقوله تعالى (تحملة الملائكة)
 حال من فاعل يأتيكم (ان في ذلك لآية لكم) على ملكه وقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) يحتمل
 أن يكون من كلام نبيهم وأن يكون ابتداء خطاب من الله تعالى لحملته الملائكة بين السماء
 والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فاقروا بملكه وقيل رفعه الله تعالى بعد
 موسى فزلزله الملائكة وهم ينظرون اليه فلما رأوه لم يشكوا في النصر به وفاقروا بملكه
 وتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لاجحة في كل ما أرى لا يخرج معي رجل يني شاة لم يفرغ
 منه ولا صاحب تجارة مشغل به ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبين بها ولا اتقى
 الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع عليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت صيفا فحز تشديد
 فشكلوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادعوا الله أن يجري لنا نهر ا كما
 قال تعالى (فلما فصل) أي خرج (طالوت) أي الذي ملكوه (بالجنود) من بيت المقدس أي
 التي اختارها والجنود جمع جند وهم اتباع يكونون نجدة للمستتب (قال ان الله مبتليكم) أي
 محتمركم ليظهر منكم المطيع والمعاصي وهو أعلم (بنهر) قال ابن عباس والسدي هونهر
 فلسطين وقال قتادة نهر بين الاردن وفلسطين عذب (فمن شرب منه) أي من مائه فليس مني
 أي من أتباعي (ومن لم يطعمه) أي يذقه (فانه مني) أي من أتباعي وانما علم ذلك بالوحى ان كان
 نبيا كما قيل أو بأخبار النبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (الامن اعترف غرقة بيده) أي
 فأكفني بها ولم يرد عليها فانه مني استثناء من قوله تعالى فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة
 الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على خبر ان في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى
 الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وقرعة بفتح الغين والباقون بضمها
 * (فائدة) * قال أبو عمرو بن العلاء سمعت أعرابيا يشهد وقد كنت خرجت الى ظاهر البصرة
 متفرجا مما نالني من طلب الحاج

صبر النفس عند كل ألم * ان في الصبر حيلة المحتمل

لا تضيعن في الامور فقد تنكس شفا لا واهاب غير احتيال

ربما تجزع النفوس من الامر * رله فرجة لكل العقال *

قد يصاب الجبان في آخر الصف وينجو مقارع الابطال

فقلت ما وراءك يا عرابي قال مات الحاج فلم أدري أيهما أفرح أبعث الحاج أم بقوله فرجة لاني
 كنت أطلب شاهد الاختيار القراءة في سورة البقرة غرقة بالضم (فتسر بوا منه) لما وافوه بكثرة
 وقوله تعالى (الاقبل منهم) أي فاقصر على القرعة نصب على الاستثناء روي ان من اعترف
 غرقة كما أمر الله قوى قلبه ومع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك القرعة الواحدة لشربه
 واروته والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفاههم وغلبيهم العطش فلم يروا بقوا على

شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو وواختلفوا في عدد الذين لم يشربوا قال البغوي الصحيح أنهم
 ثلثمائة وبضعة عشر أي عدد أهل بدر وقال السدي كانوا أربعة آلاف ويؤيد الأول ما روى
 عن البراء أنه قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدّة أصحاب بدر على عدّة
 أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلثمائة ويرى ثلثمائة
 وثلاثة عشر وفي هذا ائذان بأن أعظم الجيوش جيش يكون فيه من أهل الورع بعد التائبين
 من أصحاب طالوت الذين كان بعددهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم
 ثلثمائة وثلاثة عشر عدد المرسلين من كثرة عدد النبيين ولما كان قصص بني إسرائيل مثلاً لهذه
 الأمة كان مبتلى هذه الأمة بالنهر فابتلاهم بنهر الدنيا الجاري خلالاتها وفي أفراد البليد ائذان
 بأن الأخذ من الدنيا انما يكون بيد لا يدين لاشتمال المدين على جانب الخير والشر (فلما
 جاوزوه أي النهر هو أي طالوت) (والذين آمنوا معه) أي وهم الذين اقتصرُوا على الغرفة
 (قالوا) أي الذين شربوا (لا طاقه) أي لا قوة (لنا اليوم بجبالوت وجنوده) أي يقتالهم وجنبوا
 ولم يجاوزوه * ولما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بهذا القول نبه على أنه لا ينبغي أن يصدر عن
 ظن أن أجله متندر لا يزيد بالحب والاحكام ولا ينقص بالجرأة والاقدام وانه يلقي الله تعالى
 فيجازيه على عمله وان النصر من الله لا بالقوة والعدد فقال (قال الذين يظنون) أي يوقنون
 (أنهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم من فئة) أي جماعة وهي جمع لا واحد له من
 لفظه وجمعه فثبات وقفون في الرفع وفتن في النصب والخفض وكيمحتمل أن تكون خبرية بمعنى
 كذبهم ومن مينة وأن تكون استفهامية ومن مؤكدة والاول أولى بقدرته المقام (قائلة) كما كان
 في هذه الأمة في يوم بدر (غلبت فئة كثيرة بإذن الله) أي بإرادته وتيسيره ثم انظر الى هذا الحال
 العجيب وهو انه لما ندبهم اتدب جيش لا يحصون فاشترط عليهم الشاب الفارغ من بناء دار
 وبناء بامرأة فلم يكن الموجود بالشرط الا ثمانين ألفاً ثم امتحنوا بالنصر فلم يثبت منهم الا ثلثمائة
 وثلاثة عشر وهم دون الثلث من ثمن العشرين المتصفين بالشرط من الذين هم دون الدون
 من المستدين الذين هم دون الدون من الساتلين في بعث الملك الخارجين معه كما قال القائل

ألم تعلم — لم بأني صبري * أحل الاصدقاء على محكي

فختم بهرج لاخ — يرفيه * ومنهم من أجوزه بشك

وأنت الخالص الذهب المصفي * بتركيتي ومثلي من يزكي

ثم بين سبحانه وتعالى أن ملاك كل ذلك الصبر بقوله (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فلا
 يخذل من كان معه (ولما برزوا) أي ظهوروا وهم على ما هم عليه من الضعف والقلة (جبالوت)
 اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشأم في زمن بني إسرائيل جبار من العماقة من أولاد عمليق
 ابن عاد (وجنوده) على ما هم فيه من القوة والكثرة التجروا الى الله بالدعاء كما نبه على ذلك بقوله
 (قالوا ربنا أفرغ) أي اصعب (علينا نصراً وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا على الجهاد (وانصرنا

على القوم الكافرين) وفي الدعاء ترتيب بليغ اذ سألوا أولا فراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا (فهزمهم باذن الله) أي بارادته (وقتل داود جالوت) قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فبين عبر ايشا ابوداود في ثلاثة عشر ابناء له وكان داود أصغرهم فأرسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى أو ابرز من يقايني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنشأ في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فيها بوالقاء جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت فيهم أن يدعو الله تعالى فمدعا في ذلك فأوحى الله تعالى اليه ان في ولد ايشا من يقتل الله تعالى به جالوت وكان داود أصغرهم يرى الغم فأوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من أيه فجاء فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأناصفك ملكي قال نعم قال أنت من نفسك أن تقوى به قال نعم أنا أرى فيجيء الاسديا خذ شاة فاقوم اليه وأفتح لحية عنها وأشقهما الى لقاء فزاد في الطريق فكلهم ثلاثة أحجار وقالت له انك تقتل جالوت بناخملها في محلاته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة وكان من أشد الناس وأقراهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثمانية رطل حديد اتسب له داود وأخذ محلاته وقتلها وأخذ القلاع ومضى نحو جالوت فلما نظر الى داود أتى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب قال نعم أنت شر من الكلب قال لا جرم لا قسمين لحج بين سبع الارض وطير السماء قال داود وأقسم الله لحج فقال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم أخرج الآخر وقال باسم اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجرا واحدا وداود قرأ المتقلاع ورحم به فحضر الله له الرمي حتى أصاب أنف البيضة فحاط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله تعالى الجيش وخز جالوت قتيلا فأخذته داود ويجزوه حتى ألقاه بين يدي طالوت وفرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فقال الناس الى داود وأحبوه وأكثر واذكروه فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك فهرب فسلط عليه العميون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود عيشي في البرية فقال اليوم أقتله فركض على أثره فاشتد داود وكان اذا فرغ لم يدركه فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فسدحت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه الى أن قتل طالوت وكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل بدادوا وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم قال الكبي والفضال ملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الاعلى داود فذلك قوله تعالى (واتاه الله الملك والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل

وطالوت ولم يجعما لاحد قبله بل كان الملك في سبط والنبوّة في سبط وقبل الملك والحكمة العلم والعمل (وعلمه عما يشاء) كصنعة الدروع كان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ومنطق الطير والصوت الطيب والالخان ولم يعط الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدفوا الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتقطله الطيور ويركد الماء الجارى ويسكن الرياح والسلسلة كان لا يمسه اذ وعاهة الابراء وكانوا يتعابون اليها بعدة الى أن رفعت فن تعدي على صاحبه وأنكر له حقاً في السلسلة فمن كان صادقا مديده اليها فتناولها ومن كان كاذبا لم ينلها وكان ذلك الى أن ظهر فيهم المصكر والخديعة فأودع بعض ملوكهم رجلا جوهرة غنية فلما طلبها منه أنكرها فتحا كما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقام صاحب الجوهرة فتناول السلسلة بيده ثم قام المنكر وقال لصاحب الجوهرة خذ عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان الوديعه التي يدهيها قد وصلت اليه فرب منى السلسلة فتديده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة (ولو لا دفع الله الناس بعضهم) بدل بعض من الناس (بعض) أى ولو لا دفع الله ينجيهم من المسلمين الكفار (لفسدت الارض) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد أو افسدت الارض بشؤم الكفر فيكون المعنى ولو لا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والنجار لهلكت الارض بن فيها ولكن الله يدفع بالمومن عن الكفار وبالصالح عن الفاجر وقد روى ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاه ثم قرأ ابن عمر الآية وروى عن ابن عباس أنه قال يدفع الله تعالى بمن يصلي عن لا يصلي ومن يحج عن لا يحج ومن يزكى عن لا يزكى وعن جابر بن عبد الله ان الله ليصلح بإصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وعن ابن مسعود ان الله عز وجل في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم والله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى والله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم والله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل والله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل والله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة واذا مات واحد من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة واذا مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعة واذا مات واحد من الاربعة أبدل الله مكانه من الثلثا واذا مات واحد من الثلثا أبدل الله مكانه من العامة فيهم يحيى ويميت قال لانهم يسألون الله اكثارا لامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فينقصون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبأ لهم الارض ويدعون فيدفع الله أنواع البلاه (ولكن الله ذو فضل على العالمين) أى كلهم أو لا بالايجاد وثانيا بالذفاع فهو يكف من ظلم الظالمه اما بعضهم ببعض أو بالمالحين ويسبغ عليهم غير ذلك من أنواع نعمه ظاهرة وباطنة (تلك) أى هذه الآيات التي قصصناها عليك من حديث الاولين وتعليق طالوت وتابان

التابوت وانهم زام الجبارة على يد صبي وهو داود وقتل داود جالوت (آيات الله) الذي جلت عظمته
 وقت قدرته وقوته (تلاوها) أي نقصها (عليك) يا محمد (بالحق) أي بالوجه المطابق الذي لا يشك
 فيه أهل الكتاب لانهم يجدونه في كتبهم كذلك وأرباب التواريخ (وانك) أي والحال انك
 (لن المرسلين) بمادلت هذه الآيات عليه من علمك بها من غير معلم من البشر ثم باعجازها الباقي
 على مدى الدهر ولما تقدم في هذه السورة ذكر رسل كثيرة وختم هذه الآيات بانه صلى الله عليه
 وسلم منهم تشرفت النفس الى معرفة أحوالهم في الفضل هل هم فيه سواء أو هم متفاضلون فأشار
 الى علو مقادير الكل في قوله (تلك الرسل) بأداة البعد اعلما بعد مرآتهم وعلمونا زانهم وانها
 بالهل الذي لا ينال والمقام الذي لا يطال * (تنبيه) * تلك مبتدا والرسل صفة أي الرسل
 التي ذكرت قصصها في السورة والتي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جماعة
 الرسل واللام للاستعراق والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بصفة ليست لغيره
 لما وجب ذلك من تفضيلهم في الحسنات بعد ان فضلنا الجميع بالرسالة ولما كان أكثر السورة
 في بني اسرائيل وأكثر ذلك في اتباع موسى عليه الصلاة والسلام ذكر وصفه مع وصف نبينا محمد
 صلى الله عليه وسلم فقال (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
 وسلم كلم موسى ليلة الحيرة وهي بفتح الحاء بحيرة في معرفة طريقه من مسيرته من مدين الى
 مصر وفي الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبين التكمين بنون عظيم
 ومنهم أيضا آدم كما ورد في الحديث (ورفع بعضهم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (درجات) على
 غيره بعموم الدعوة وختم النبوة والاتباع الكثيرة في الأزمان الطويلة وبفتح جميع
 الشرائع وبكونه رحمة للعالمين بتفضيل أئمة على سائر الامم والمجرات المتكاثرة المستمرة
 وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السموات والارض عن الاتيان بسورة من مثله والآيات
 المتعاقبة تتعاقب الدهر والفضائل العلية والعملية الغالبة للعصر ولولم يوت الا القرآن وحده
 كفى به فضلا مني فاعلى سائر ما أوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر ودون سائر المعجزات
 وبانشقاق القمر بشارته وختم الجذع بشارته وتسلم الحجر عليه وكلام البهائم والنبهات
 برسالته ونسب المام من بين أصابعه وغير ذلك مما لا يحصى الا الله تعالى وروى عنه صلى الله
 عليه وسلم أنه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما
 كان الذي أوتيته وحيا وأوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة وروى عنه
 أنه قال أعطيت خمساً يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب من مسيرة شهر وجعلت لي
 الارض مسجداً وطهوراً فأيمأ رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم
 تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث الى الناس عاتته وروى
 عنه أنه قال فضلت على الانبياء سبت أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم
 وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون (واتينا عيسى
 ابن مريم البينات) من احبها الموفى وغيره (وأيدناه) أي قويناه (بروح القدس) وهو جبريل

يسرعه حيث سار وخص عيسى صلى الله عليه وسلم بأجمه لا فرط اليه وفي تحويره والنصارى
 في تعظيمه حيث قالوا هو ابن الله وأبهم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى بعضهم حيث لم يقل
 ورفع محمد صلى الله عليه وسلم لما في الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يحق لما فيه من
 الشهادة على أنه العلم الذي لا يشبهه والمتميز الذي لا يلبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول
 أحدكم وبعضكم يراد به الذي تعرفوا واشتهر فيكون أنخم من التصريح به وأنوبه احبه وسئل
 الحطية عن أشعر الناس فذكر زهيراً والناطقة ثم قال ولوشئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال
 ولوشئت لذكرت نفسي لم يفهم أمره (ولو شاء الله) أي الذي له جميع الامر هدى الناس جميعاً
 باتفاقهم على دين واحد (ما أقتل الذين من بعدهم) أي بعد الرسل أي ما أقتلت أممهم (من بعد
 ما جاءهم البينات) أي المعجزات الواضحات على أيدي رسلهم لا اختلافهم في الدين وتضليل
 بعضهم بعضاً (ولكن اختلفوا) لمشيئته تعالى ذلك (فهم) أي فتسبب عن اختلافهم ان كان
 منهم (من آمن) أي ثبت على إيمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح * ولما كان من
 الناس من أعصى الله قلبه فنسب أفعال المختارين من الخلق اليهم استقلاً لا قال الله تعالى معلماً
 أن الكل بخلقه تأكيدها ماضى من ذلك ومعيداً ذكر الاسم الأعظم (ولو شاء الله ما اقتلوا)
 بعد اختلافهم بالآيمان والكفر (ولكن الله يفعل ما يريد) فيوفق من يشاء فضلاً منه ويخذل
 من يشاء عدلاً منه والآية دليل على أن الأنبياء متقاوية الأقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على
 بعض ولكن بنص لأن اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل لا بالاعتقاد وان الحوادث بيد الله لقوله
 تعالى يفعل ما يريد تابعة لمشيئته تعالى خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً * ولما كان الاختلاف على
 الأنبياء سبباً للجهاد الذي هو حظيرة الدين وكان عماد الجهاد النفاة أتبع ذلك قوله رجوعاً الى
 أول السورة من هنا الى آخرها وأتى التأكيد بالنظ الامر لما تقدم الحث عليه من أمر النفاة
 (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أي مما أوجب عليكم انفاقه من الزكاة قاله السدي
 وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير أي فلا تبخلوا بالانفاق فإنه لاداء أدوا من
 الخجل قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وصرف الامر بالتبعض الى الحلال
 الطيب يمنع احتجاج المعتزلة بهم في أن الرزق لا يكون الا حلالاً لكونه مأموراً به واتبعه بما
 يرغب ويرهب من حلول يوم التداد الذي تنقطع فيه الاسباب التي أقامها سبحانه وتعالى في هذه
 الدار فقال (من قبل أن يأتي يوم) موصوف بأنه (لا يبيع فيه) أي فداء (ولا خلة) أي صداقة
 تنفع (ولا شفاعة) بغير إذنه والمعنى أنه لا يقدر فيه أسير عيال ولا راعى الصداقة من مساو
 ولا الشفاعة من كبر لعدم ارادة الله تعالى لشي من ذلك ولا يكون الامايرد وقرأ ابن كثير وأبو
 عمر وبالتصديق بيع وخلة وشفاعة ولا تنوين على الاصل والباقيون بالرفع والتنوين على أنهم في
 تقدير جواب هل فيه يبيع أو خلة أو شفاعة * ولما حث سبحانه وتعالى على الانفاق ختم الآية
 بذكر الكافرين بكونهم لم يتحلوا بهذه الصفة تخليصهم من الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك
 اليوم فهم لا يتقون لحوفه وارهابه فقال بدل ولا نصرة لكافر (والكافرون) أي المعالوم

كفرهم في ذلك اليوم (هم) المختصون بأنهم (الظالمون) أي الكاملون في الظلم لا غيرهم وقوله سبحانه (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير (الحق) أي الدائم البقاء (القيوم) أي الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم (لا تأخذ سنة) وهي ما يعتد به النوم من القدر الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاطلي

وسنان أقصده (أي أصابه) النعاس فرقت * في عينه سنة وليس بنائم

أي لا يأخذ نعاس (ولا نوم) وهو حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس (فان قيل) تقديم السنة على النوم قياس بالمبالغة عكسه (أجيب) بأن هذا ذكر على ترتيب الوجود اذ وجود السنة سابق على وجود النوم فهو على طريقة لا يفقد صغيرة ولا كبيرة قصد الى الاطاعة والاحصاء ولأنه لما عبر بالأخذ الذي هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان وجله لا تأخذ سنة ولا نوم في التشبيه بينه وبين خلقه وتأكيد لكونه خالقاً قوماً فان من أخذ نعاس أو نوم سكان باقة تفصل بالحياة قاصر في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده من قوله ما في السموات وما في الارض الخ وقوله تعالى (له) أي بيده وفي تصرفه واختصاصه (ما في السموات وما في الارض) أي ملكاً وخلقاً تقرير بقسوميته واحتجاج على فترده في الالهية والمراد بما فيه ما ما وجد فيه ما اختلف في حقيقة ما كالكواكب والنبات والمعادن واخراج عنهم ما متمكّن منهم ما كالملائكة والانس والجن وقوله تعالى (من ذا الذي) أي لأحد (يشفع عنده الاذنه) له ان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعته وفاوضة فضلاً أن يدفعه عناداً ومخاصمة (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلق من أمر الدنيا (وما خلفهم) أي من أمر الآخرة قاله مجاهد وقال الكلبي ما بين أيديهم يعني الآخرة لانهم يقدمون عليهم وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونهم وراؤهم وقيل ما بين أيديهم ما قدموا من خير ونشر وما خلفهم ما هم فاعلوه (ولا يحيطون بشئ) أي قليل ولا كثير (من علمه) أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته (الاجمات) أن يعلمهم بدنها باخبار الرسل (وسع كرسيه السموات والارض) اختلف في الكرسي فقال الحسن هو العرش نفسه وقال أبو هريرة هو موضع أمام العرش والاحاديث تدل عليه ومعنى وسع أن سعته مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقته في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقته في فلاة ويرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقال علي ومقاتل كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى سيرة خمسمائة عام ملك على صورة أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو البقر

قوله ان ما بين حلة الخ
كذا في الاصول التي
يأيد بنايات ما نصب
سبعين واهله على حد
ان حراسا أسدا اه

مصعبه

يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملاك على
صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل الرزق للسباع من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ما بين حلة العرش
وحلة الكرسي سبعين حجابا من ظلة وسبعين حجابا من نور غلط كل حجاب سيرة جسمه ثمانية عام
لولا ذلك لاحترق حلة الكرسي من نور حلة العرش وقيل المراد بالكرسي علمه وقيل ملكه
وقيل تصوير لعظمته وتمثيل مجرّد (ولا يؤده) أى لا ينقله ولا يشق عليه (حفظهما) أى السعوان
والارض (وهو العلى) أى الرضيع فوق خلقه المتعالى عن الاشياء والانداد (العظم) أى
الكبير الذى لا شئ أعظم منه المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية تسمى آية الكرسي
مشغلة على أهمّ المسائل الالهية فانها تدل على أنه موجود واحد في الالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجود لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المتبني لغيره منزعه عن التحيز والحلول
مبرا عن التعير والقصور لا يتأثر بالاشباح ولا يعتبر به ما يعتري الارواح مالك الملك والمذكور
ومبدع الاصول والفروع وذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء
كلها جلجلها واخذنها كلها وجرّتها واسع الملك والقُدرة اذ المقدور كل ما يصح أن يملك ويقدر
عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عابدهم وهم عظيم فلا يحيط به فهم ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام ان أعظم آية في القرآن آية الكرسي رواه مسلم وروى النسائي وابن
حبان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ آية الكرسي برب كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من
دخول الجنة الا الموت أى فاذا مات دخل الجنة وروى البيهقي في شعبه أنه صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤاخذ عليا الا صديق أو عابد وروى البيهقي أيضا ان من قرأها اذا أخذ مضجعه امنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره والايات حوله وعن أبي بن كعب أنّ النبي صلى الله عليه وسلم
سأله أى آية من كتاب الله أعظم قال قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم قال فضرِب في صدرى ثم
قال ليهنك العلم أبانا المنذر والذى نفسى بيده ان لها لسانا وشفعتين تقدس الملك عند ساق العرش
وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك حتى يمسي فان قرأهما حين يمسي حفظ
في ليلته نلك حتى يصبح وروى ما قرئت آية الكرسي في دار الايجرتما الشياطين ثلاثين يوما
ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجبرائك فانزلت آية أعظم منها
وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم على رضي الله تعالى عنه أين أنتم عن آية الكرسي
ثم قال قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا تخرو سيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم
الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي (لا اكره في الدين)
أى على الدخول فسمه أى من أعطى الجزية لم يكرهه على الاسلام فهو عام مخصوص بأهل الكتاب
لما روى أن أنصاريّا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فزعمهما أبوهما وقال والله
لا أذعكما حتى تسلما فأيافا ختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انصاري يا رسول الله

أيدخل بعض النار وأنا أنظر فزلت وقيل عام منسوخ فكان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر
بالقتال فصارت الآية منسوخة بآية السيف قاله ابن مسعود (قد تبين الرشد من الفتن) أي
ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشيد يوصل إلى السعادة الأبدية وأن الكفر غي يؤدى إلى
الشقاوة السموية والعاقلة متى تبين له ذلك بادرت بنفسه إلى الإيمان طلباً للقوز بالسعادة والنجاة
فلم ينجح إلى الاكراه والالجاء (فمن يكفر بالطاغوت) أي فن اختيار الكفر بالشيطان أو الاصنام
(ويؤمن بالله) أي بالتوحيد وتصديق الرسل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تمسك واعتصم
بالعقد الوثيق المحكم في الدين (لا انفصام) أي لا انقطاع (لها) قال التفتازاني شبه التدين
بالدين الحق والثبات على الهدى والإيمان بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبيل المحكم
المأمون تقطعها ثم ذكر المشبهة وأراد المشبهة وقال الزنجشیری وهذا قيل للمعلوم بالنظر
والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده
والتيقن به اهـ والوثقى تأنيث الاوثى وقيل العروة الوثقى السبب الذى يوصل به إلى رضا الله
تعالى (والله سميع) لما يقال (عليه) بالنيات والافعال وقيل سميع لدعائك اباهم إلى الاسلام
عليه بجرسك على إيمانهم (الله ولي) أي ناصر ومعين (الذين آمنوا) أي أرادوا أن يؤمنوا بقوله
تعالى (يخرجهم) أي بطفه وتأنيده (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان وأأنهم
الثابتون على الإيمان بأن يخرجهم من الشبهة في الدين ان وقعت لهم عياهم بهم ويوقعهم
له من أجلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين وعن ابن عباس أنهم قوم كانوا كفروا
بعبسى وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (والذين كفروا) أي أو لهم الطاغوت (أي الشيطان
وقال مقاتل هو كعب بن الأشرف وحي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم) أي
يدعونهم (من النور) الذى منعه بالظلمة (إلى الظلمات) أي الكفر (فان قيل) كيف
يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط (أجيب) بأن الطبراني روى عن ابن عباس
أنها نزلت في قوم آمنوا بعبسى فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به أو أنه تعالى ذكر
الانخراج في مقابلة يخرجهم من الظلمات فهو على العموم في حق جميع الكفار كما يقول الرجل
لا يسه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه كما قال تعالى اخباراً عن يوسف عليه الصلاة والسلام انى
تركته قومه لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم وقبل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد
الانخراج إلى الطاغوت باعتبار السبب لا بأى تعلق قدرته تعالى وارادته به والطاغوت يكون
مذكراً ومؤنثاً واحداً وجعاً قال تعالى في المذكر والواحد يريدون أن يصا كوا إلى الطاغوت
وقد أمر وأن يكفر وابه وقال تعالى في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وقال في
الجمع يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقوله تعالى (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وعيد
وتحذير قال البيضاوى وأمل عدم مقابله بوعده المؤمنين تعظيم لشأنهم ولما كان التردد الحاجج
للخيل من أخرجه الشياطين من النور إلى الظلمات ذكره عقب ذلك فقال (ألم تر) أي تعلم بما
نخبرك به علما وعندك كالمشاهدة للمالك من كمال البصيرة وبما أودعناه فيك من المعاني المثيرة

(الى الذي) وهو غر وذ (حاج) جادل وخاصم (ابراهيم في ربه) وهو أول من وضع التاج على رأسه
وتجبر في الارض وادعى الربوبية (ان) أى لان (آناه الله الملك) نطفي أى كانت تلك الحاجة
من بطر الملك وطفغينه فأورنه الكبر والعتو فخاج لذلك وقال مجاهد ملك الارض مشرقها
ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسلمان صلى الله عليه وسلم وذو القرنين
وأما الكافران فغروذ بن كنعان وبختنصر لم يملكها غيرهم وفي الآية دليل على أن الله تعالى
يعطي الكافر الملك فقها حجة على من منعه ابناء الملك للكافر من المعزلة وأول الملك بالمال
والخدم الذي يتسلط به على غلبة الناس لالملك الحقيقي وبهذا أول الزمخشري (أذ قال
ابراهيم ربى الذي) قرأ حزة ربى بسكون الياء والباقون بنصبها (يهي ويميت) أى يخلق الموت
والحياة في الأجساد وهذا جواب سؤال غير مذكور فقد ربه قال له غر وذ من ربك فقال له ابراهيم
ذلك واختلقوا في وقت هذه المناظرة فقال مقاتل لما كسر ابراهيم الاصنام سبعة غر وذ ثم
أخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذى تدعونا اليه وقال آخرون كان هذا بعد لقائه فى النار
وذلك ان الناس خطوا على عهد غر وذ وكان الناس يمتارون من عذبه فكان اذا أتاه الرجل
فى طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأناه ابراهيم فقال له من ربك فقال له
ذلك (قال أنا احى وأميت) قرأ نافع عدا الالف من أنا فبصيرمة امنه صلا والباقون بالقصر
قال أكثر المفسرين دعا غر وذ رجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر ففعل ترك القتل احياه فانتقل
ابراهيم الى حجة أخرى لا يعجز ابل لما رواه من غيباوته فان حجه لازمة لانه أراد بالاحياء احياء
الميت فكان له أن يقول فأخى من أمت ان كنت صادقاً قال كنه انتقل الى حجة أوضح من الأولى
ذكرها الله تعالى بقوله (قال ابراهيم فان الله يأبى بالشمس) وهو الذى أوجدها (من المشرق)
أى فى كل يوم قبل أن توجد أنت بدهور (فأتى بها) أنت (من المغرب) ان كنت صادقاً فيما
تدعيه ولو يوماً واحداً وفى ذلك اشهاد بأن الله تعالى لا بد وأن يأبى بالشمس من المغرب ليكون
فى ذلك اظهار نصر بضم له حيث شاء يطلعها من حيث غربت كما يطلع الروح من حيث
قبضت ليكون طلوع الشمس من مغربها آية مقاربة لقيام الساعة وطلوع الارواح من أبدانها
(فبنت الذى كسر) تحير ودهش واقتطعت حجة ولم يعط ابراهيم طعاماً فرجع فزعل كئيب
رمل أعفر فأخذ منه تطيباً للقلب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت
امرأته الى متاعه فقمته فاذا هو أجود طعام رآه فأخذته وصنعت له منه وقربته له فقال لها من
أين هذا قالت من الطعام الذى جئت به فعرف ان الله تعالى رزقه فحمد الله تعالى (فان قيل)
كيف بنت غر وذ وكان يكره ان يعارض ابراهيم فيقول له سل أنت ربك حتى يأبى بها من المغرب
(أجيب) بأن الله تعالى صرفه عن ذلك اظهار اللجج عليه أو معجزة لابراهيم عليه الصلاة
والسلام أو أنه خاف ان لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكانت زيادة فى فضيحه وانقطاعه ثم بعث الله
تعالى الى غر وذ بن كنعان ملكاً أن آمن بي وتركك على ملكك قال فهل رب غيرى فخامه الشاة
فقال له ذلك فأبى عليه ثم آناه الثالثة فأبى عليه فقال له ذلك الملك فاجع جوعك الى ثلاثة أيام

فجمع الجبار جوعه فأمر الله تعالى الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من
 كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلت خصوصهم وشربت دماءهم فليق الا العظام ونور ذكاهولم
 يصبه من ذلك شيء فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخرم فكثرت أربع مائة سنة يضرب
 رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه وكان جبارا أربع مائة سنة فعذبه
 الله تعالى أربع مائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذي نعى صر حاطو يلا لمصعد منه الى السماء
 ليقاتل أهلها فأرسل الله تعالى عليه الرمح فهدمته وسأق قصته في غافران شاء الله تعالى (والله
 لا يهدي القوم الظالمين) بالكفر الى محجة الاحتجاج (أو كالذي مر على قرية) فيه حذف تقديره
 أو رأيت مثل الذي حذف دلالة ألم تر عليه لان كليهما كلمة تعجب وتخصيصه بحرف التشبيه لان
 المنكرين للاحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل التكاف
 مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذي حاج أوالى الذي مر والمار عزير بن شرحبيل والخضر والكافر
 بالبعث ويؤيد هذا نظمه مع غرود في سلك وكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيى وأكثر المفسرين
 على القول والقرية بيت المقدس حين خربها يحننصر وقتل بنى اسرائيل حتى أفساهم ثم أمر
 جنوده ان يلا كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه ثم أمرهم أن
 يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده صغبرهم وكبرهم من بنى اسرائيل فاختر
 منهم سبعين ألف صبي فقسهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة وقرق من
 بنى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فملاقتلهم وثلاث أسابهم وثلاث أفرهم بالشام وقيل هي القرية التي
 خرج منها الألوف وقيل غيرهما (وهي حاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى سقوطها بأن سقط
 السقف وألا ثم سقطت الجدران عليه لما أخرجها يحننصر (قال أنى) أى كيف (يحيى هذه الله
 بعد موتها) أى بما صارت اليه من الخراب وذهاب الابل فيعيدها الى ما كانت عليه عامرة أهلة
 وهذا اعتراف بالجزع عن معرفة طريق الاحياء واستعظام لقدرة الهي ان كان القائل مؤمنا
 واستبعاد ان كان كافرا (فأما الله) وألبنه (مائة عام) ميتا (ثم بعثه) بالاحياء ليريه كيفية ذلك
 (قال كم لبنت) أى مكنت أى لما أحياء الله بعث اليه ملكا فسأله كم لبنت وعن ابن عباس ان عزيرا
 كان عبدا لصاحبا حكيما خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعاهد فلما انصرف انتهى الى خربة حين قامت
 الظهيرة فأصابه الحر فدخل الخربة وهو على جماره فنزل عن جماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها
 عنب فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة كانت معه فاعتصر من العنب الذى كان معه في
 القصعة ثم أخرج خبزا باباسمه فألقاه في تلك القصعة في العصور ليعتقها فأكله ثم استلقى على قفاه
 وأسند رجليه الى الحائط فظفر سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي ساقطة على عروشها ورأى
 عظاما بالية فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فلم يشك ان الله يحييها ولكن قالها تعجبا فبعث الله ملكا
 الموت فقبض روحه فأما الله ما عام فلما أتت عليه مائة عام وكان فيها بين ذلك بنى اسرائيل أمور
 واحداث فبعث الله الى عزير ملكا خلق قلبه لمعقل به وعينه لينظر بهم ما يفعل كيف يحيى الله
 الموتى ثم ركب خلقه وهو يتظر ثم ساعظاه النعم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك يرى

ويعقل فاستوى جالساً فقال له الملك كم لبنت (قال لبنت يوماً) وذلك ان الله تعالى أماته ضحى
 في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبنت يوماً وهو يرى أن
 الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) أي بل بعض يوم (قال) أي
 الله أو الملك له (بل لبنت مائة عام) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بظاهر النساء المثلثة في كم لبنت
 وفي قال لبنت وفي بل لبنت والباقيون بالادغام ثم قال له الله أو الملك (فانظر الى طعامك) وكان بينا
 أو عنباً (وشرباك) وكان عصيراً أو لبناً (لم يتسنه) أي لم يتغير عبر الزمان فكان التين أو العنب
 كأنه قد قطف من ساعته والعصر كأنه قد عصر أو اللبن قد حلب من ساعته قال الكسائي أي
 كأنه لم يأت عليه السنون وإنما أفرد الضمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد (فان قيل)
 اذا كان المار كافر فكيف يسوغ ان يكلمه الله (أجاب الزمخشري) بأن الكلام كان بعد
 البعث ولم يكن اذ ذلك كافراً وقال أبو حيان لانص في الآية ان الله كلمه شفاهها وقرأ حمزة
 والكسائي لم يتسن بأسقاط الهاء اذا وصلها بما بعدها والباقيون بآئتها وفي الوقف ناسبة للجميع
 (وانظر الى حمارك) كيف هو فرأه ميتاً وعظامه بيض وكان له حمار قد ربطه وقيل رآه حياً مكانه كما
 ربطه حفظ بلا ما ولا علف كما حفظ الطعام والشراب من التغير وقوله تعالى (ولجعلك آية للناس)
 معطوف على محذوف تقديره فعلمنا ذلك اتعلم ولجعلك آية وقيل الواو زائدة مقبحة أي لجعلك
 عبرة ودلالة على البعث بعد الموت (وانظر الى العظام كيف ننشرها) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 بالراء ومعناه نخشيتها والباقيون بالزاي ومعناه نرفعها من الارض ونزدها الى أما كنهامن الجسد
 وفي الآية تقديم وتأخير وتقديرها وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها ولجعلك آية
 للناس واختلغو في معنى الآية فقال الاكثر انهم انه أراد به عظام حماره وهذا يؤيد كون حماره
 كان ميتاً قال السدي ان الله أحيا عزيراً ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك ولبنت عظامه فبعث
 الله ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل الذي ذهبت به الطيور والسباع فاجتمعت
 فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حماراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم كسا العظام لحماً ودماً
 كما قال تعالى (ثم نكسوها لحماً) فصار حماراً لاروح فيه ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار
 فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بأذن الله تعالى وقال الاقلون أراد به عظام هذا الرجل فأحيانا الله
 عينه ورأاه وسأله جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيمته
 يوم ربطه وهذا يؤيد كون حماره كان حياً وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف
 ولا ماء قال الخليل وقتادة وتقدير الآية أي على هذا وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف
 ننشرها روى أن عزيراً لما أحياه الله تعالى ركب حماره حتى أتى محله فأنكره الناس وأنكر
 الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا هو بهجوز عظامه عدة أتى عليها مائة وعشرون
 سنة كانت أمة لهم فخرج عزير عنهم وهي بنت عشرين سنة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير
 قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً فقال فاني أنا
 عزير فقالت سبحان الله فان عزيراً فقد ناه من مائة سنة لم نسمع له بذلك قال ان الله أماته مائة سنة ثم

بعني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعوا له رضى وصاحب البلاد بالعافية فادع
 الله أن يرده على بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه وسمع يده على عينيها فصعقتا
 وأخذنيدها فقال قومي بأذن الله تعالى فاطلق الله رجلها فقامت صحيحة كأنما شطت من عقال
 ففطرت اليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت الي بنى اسرائيل وهم في أنديتهم وبجبالهم وابن
 العزير شيخ ابن مائة سنة وبثمان عشرة سنة وبنو ينيه شيوخ في المجلس قال الضحالك عاد الى قريته شابا
 وأولاده وأولاداً ولادة شيوخ وبجبالهم وأسرود الرأس واللحية فقالت هذا عزير قد جاءكم
 فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعالى ربه فرد على بصري واطلق رجله وزعم أن الله أماته
 مائة عام ثم بعته فمض الناس وأقبلوا عليه ونظروا اليه وقال انه كان لابي شامة سوداء مثل
 الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير فقال بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا أحد حفظ
 التوراة فيما حدثنا غير عزير فقرأ لهم التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
 هو ابن الله وسبق الكلام على ذلك في سورة براءة ان شاء الله تعالى (فلما تبين له ذلك بالشهادة
 وفاعل تبين مضرة تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير (قال أعلم ان الله على كل شيء قدير)
 فحذف من الاول دلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربت بنى وضربت زيدا وقرأ آية والكسائي يوصل
 الهمزة قبل العين وسكون الميم والباقون بقطع الهمزة ورفع الميم (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب
 أنى أبصرنى قرأ ابن كثير والسويبي سكون الراء من أنى وقرأ الدورى بآخرة لاس الكسرة
 والباقون بكسرة كاملة) (ككيف يحيى الموتى) قال الحسن وقائدة الضحالك كان سبب هذا
 السؤال من ابراهيم عليه السلام أنه مر على دابة مية قال ابن جرير كانت جيفة جارية لها وقد
 نوزعت ادواب البحر والبر فكانت اذا مده البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها وما وقع
 منها يصير في البحر واذا انحسر البحر جاءت السباع فأكلت منها وما وقع منها يصير اياها فاذا ذهبت
 السباع جاءت الطير فأكلت منها وما سقط قطعته الريح في الهواء فلما رأى ذلك ابراهيم تعجب
 منها وقال يا رب قد علمت أنك تجمعهم ايمان بطون السباع وحوصل الطير وأجواف دواب البحر
 فأرنى كيف تحيىها فازداد يقينا فاعاتبه الله بقوله (قال أولم تؤمن) بقدرنى على الاحياء ما لم مع علمه
 بايمان بذلك ليحيى بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه (قال بلى) يا رب آمنت (ولكن ليطمئن قلبي)
 أى ليسكن قلبي الى المعايينة والمجاهدة أراد أن يصبر له بعد علم اليقين عين اليقين فان الاعيان يفيد
 في المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال وأما قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من
 ابراهيم ولوليت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي فقال أبو سليمان الخطابي ليس
 فيه اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذ لم أشك في قدرة
 الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من
 النفس وكذلك قوله ولوليت في السجن طول ما لبث يوسف وقيل سبب سؤاله أنه لما قال له
 نروذاً بأخي وأميت قال له ان احياء الله برذال روح الى بدنهم فقال غر وذهل عاينته فلم يقدر أن
 يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان سئل عنه مرة

أخرى (فان قيل) بم تعلقت اللام في ليطمنن (أجيب) بأنها تعلقت بمحذوف تقديره ولكن
 سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (وقيل) بل كان قصده بالسؤال رؤية الهي ولكنه طلبها لولم يحا
 فأجيب بالمتع منها لولم يحا وموسى عليه الصلاة والسلام لما سألهما نصريحا أجيب بالمتع نصريحا قال
 تعالى (نخذا ربعة من الطير) قال مجاهد وابن جرير أخذوا سوادا وديكا وحمامة وغرابا وانما خص
 الطير لانه أقرب الى الانسان شها كدوير الرأس والمشى على رجلين واجمع لخواص الحيوان
 لان فيها ما يتكلم وما يهتدى للطريق كالقطاة وللمياه كالهدد وفي هذا ايماء الى أن احياء
 النفس بالحياة الابدية اغتياق بامانة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاووس والسولة
 المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب والترفع والمسارة الى
 الهوى الموسوم بها الحمام ومنهم من ذكر التسر يدل الجماء وروي بدلها البطة وبدل الغراب
 الغرورق (فصره) أي فأمسكهن واضمعهن (الذك) قرأه زكريا بكسر الصاد والباقون بضمها
 (فان قيل) ما معنى أمره بضم الطير الى نفسه بعد أن يأخذها (أجيب) بأنه لبسأملها ويعرف
 اشكالها وهيأتم اوحلاها لا تلبس عليه بعد الاحياء ولا يهزم أنها غير تلك ولذلك قال يا بنيك
 سعيها وروي أنه أمر بأن يذبحها وينف ريشها ويقطعها وينزق اجزاءها ويخاط ريشها
 ودماها ولحومها وان يمد رؤسها ثم أمر أن يجعل اجزاءها على الجبال كما قال تعالى
 (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس وقتادة
 أمره الله تعالى أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل جزء من
 كل طائر وقال السدي وابن جرير جزءا سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن
 ثم دعاهن فقال يا بن الله فجعل كل قطرة من دم طائر تصير الى القطرة الاخرى وكل ريشة الى
 الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الاخر واذا رايهم ينظر حتى صارت جثثا بغير رؤس ثم
 أقبلن الى رؤسهن سعيًا فالتقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يا بنيك سعيًا) أي
 سريعا وقبل مشيا لانها لو طارت لم يافوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان أرجلها غير سليمة قال
 البيضاوي وفي ذلك اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى
 البدنية كالشهوة والغضب فيقتلها ويعزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها تقطعها عنه مسرعات
 متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم وعنه أي بركنه حيث سلك
 مسلك الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى أراد ما أراد ان يري به في الحال على
 أيسر الوجوه وأراه عزير بعد ان أماته مائة عام (واعلم ان الله عزير) لا يعجز عما يريد (حكيم)
 ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله (مثل الذين ينفقون) أي يذلون (أموالهم) بطيب النفس
 (في سبيل الله) الذي له الكمال كله أي في طاعته كمثل زراع ومثل ما ينفقون (كمثل حبة)
 مما زرعها فلا بد من حذف كما اتفق رأوا يقال مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة
 (أثبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) والثبت هو الله سبحانه وتعالى ولكن الحبة لما كانت
 سنبلا سندا اليها الانبات كما يسهل الى الارض والى الماء وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم

باطهارناه التائب عند السين والباقون بالادغام ومعنى انبائهم اسبع سنابل أن يخرج منها
 ساق تشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبله وهذا التمثيل قصور الضعاف كأنها
 مصورة بين عيني الناظر (فان قيل) كيف صح هذا التمثيل ولم ترسبله فيها مائة حبة (أجيب)
 بأن ذلك موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرقة في الارض القوية المغلة
 فبلغ حجمها هذا المبلغ وعلى تقدير عدم وجوده هو غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا يجوز ضرب
 المثل به وتأول ذلك الضحالة فقال كل سنبله أثبت مائة حبة (فان قيل) هلا قال الله تعالى سبع
 سنبلات لانه جمع قله كما قال الله تعالى وسبع سنبلات خضر (أجيب) بما تقدم في قوله تعالى
 ثلاثة قروء (والله يضاعف لمن يشاء) بفضل تلك المضاعفة أو يضاعف على هذا ويريد لمن شاء
 ما بين سبعين الى ستمائة الى ما شاء من الضعاف مما لا يعلمه الا الله على حسب حال المنفق من
 اخلاصه وقبوعه ومن أجل ذلك تتفاوت الاعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أي غني يعطي
 عن سعة (عليه) بنية المنفق وقدر انفاقه وعن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم
 في سبيل الله) أي في طاعته قال الكلبي نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي
 الله عنهم ما جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 كان عندي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسي وعبالي أربعة آلاف وأربعة آلاف
 أقرضتها ربي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وأما
 عثمان فجهر المسلمين في غزو تبوك بألف بعير باقتنائها واحلاسها وألف دينار قال عبد الرحمن بن
 سمرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصحبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقبلها ويقول ما ضرت ابن عفان ما عمل بعد اليوم وقال يارب
 عثمان رضيت عنه فارض عنه (ثم لا يتبعون ما انفقوا منها) أي غلى المنفق عليه بقولهم مثلاً قد
 أحسنت اليه وجبرت حاله فيعده دون عليه النعمة فحذر الله عباده من بالصنعة واختص به صفة
 لنفسه لانه من العباد تعبير وتكدير ومن الله افضال وتذكير وكان السلف يقولون اذا منعتهم
 صنعة فانسوها والعرب يتدحون بترك المن ويذمون عليه في الاول قول القائل
 زاد معروفاً عندى عظما * أنه عندك مسنة ورحمير
 تناساه كان لم تأنه * وهو في العالم مشهور كبير

ومن الثاني قول القائل

وان امرأ أسدى الى صنعة * وذكر نهباً مرة لبخيل
 وقيل طعم الاساءة حلى من المن وهي أمر من الاساءة مع المن ويطلق المن أيضاً على النعمة
 يقال افلان على منة أي نعمة وأنشد ابن الانباري
 فني علينا بالسلام فانما * كلامك يا قوت ودر منظم

وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا الآية (ولأذى) له كان يذكرك ذلك الى
 من لا يحب وقوفه عليه أو يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وشم للتفاوت بين الانفاق وترك المن

والأذى (لهم أجرهم) أى ثواب انفاقهم (عند ربهم ولا خوف عليهم) أى فلا يخافون
فقد أجورهم (ولاهم يحزنون) فى الآخرة بسبب ان لا يوجد (قول معروف) أى كلام حسن
وردد على السائل جميل لأن القول الجبل وان كان يرذ السائل يفرح قلبه ويروح روحه وقيل
عدة حسنة (ومغفرة) أى بأن يستر عليه خلقه ولا يهتك ستره ويتجاوز عنه اذا وجد منه ما ينقل
عليه عند رده (خير من صدقة) يدفعها اليه (تبعها أذى) أى من وتغير السائل أو قول يؤذيه
(فان قيل) لم يؤد ذلك المثل فيقول تبعها من وأذى (أجيب) بأن الأذى يشعل المثل وغيره كما
تقرر وانما نص عليه فيما مر لكثرة وقوعه من المتصدقين وعسر حفظهم منه ولذلك قدم على
الأذى قال بعضهم الآية واردة فى صدقة التطوع لأن الواجب لا يحل منعه ويحتمل أن رادها
الواجب فانه قد يعذب به عن سائل الى سائل وعن نقرالى نفر وانما صح الابتداء بالثمرة وهى
قول لا تخصصها بالصفة وهى معروف وأما المعطوف وهو مغفرة فلا يحتاج الى تخصيص
لجبهتها (والله غنى) عن صدقة العباد وانما أمرهم ليقيم عليها (حليم) بتأخير العقوبة
عن المان والمؤذى بصدقته (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أى أجورها لأن الصدقة
وقعت فلا يصح ان تبطل (بالمثل والأذى) (فان قيل) ظاهر هذا اللفظ أن مجموع المثل والأذى
ييطان الاجر فيلزم انه لو وجد أحداهم مادون الآخر لا يعطى الاجر (أجيب) بأن الشرط
أن لا يوجد واحد منهما مادون الآخر لأن قوله تعالى ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى يقتضى أن
لا يقع هذا ولا هذا أى فتبطل بكل واحد منهما البطالة (كأذى) أى كابطال أجر نفقة الذى
(ينفق ماله رياء الناس) أى مرائبهم لبروائفهم ويقولون انه كريم سخى (ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر) وهو المنافق لأن الكافر يعلن بكفره غير مرأ (قوله) أى هذا المرأ فى انفاقه
(كمثل صفوان) وهو الحجر الأملس (عليه) أى استقر عليه (تراب) والتراب معروف وهو
اسم جنس لا يثنى ولا يجمع وقال المبرد هو جمع واحدة ترابة وفائدة هذا الخلاف أنه لو قال
لزوجته أنت طالق عدل التراب أنه يقع عليه طلاقة على الأول وهو الأصح وثلاث على الثانى
(فأصابه وابل) وهو المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صادا) أى أملس نقيا من التراب
وقوله تعالى (لا يتدرون على شئ مما كسبوا) استئناف لبيان منهل المناق المنفق رياء أى
لا يجدون له ثوابا فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شئ من التراب الذى كان عليه لا ذهاب
المطر له (فان قيل) كيف قال تعالى لا يتدرون بعد قوله كاذب ينطق (أجيب) بأنه تعالى أراد
بالذى ينطق الجنس أو الفريق الذى ينطق ولان من والذى يتعاقبان فكانت قيل كمن ينطق وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله
وما الشرك الأصغر قال الرياء يقول الله تعالى لهم يوم يحازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين
كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ويرى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حدثه أن الله تعالى اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد أى أمره ليقضى بينهم وكل
أمة جاثية وأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول

الله تعالى للمقارئين الم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى قال فإذا علمت فيما علمت قال كنت أقوم
 به آتاء الليل وآتاء النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت
 أن يقال فلان فارقى وقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك حتى لم أعدل
 تحتاج إلى أحد قال بلى يارب قال فإذا علمت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأصدق فيقول
 الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ويؤتى
 بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له فيماذا قتلت فيقول يارب أمرت بالجهاد في سبيلك فقتلت
 حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جرى
 وقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي فقال يا باهريرة أولئك الثلاثة أول خلق
 الله تسعهم النار يوم القيامة (والله لا يهدي القوم الكافرين) إلى الخبر والرشاد وفيه
 ذكر يرض بأن الربا والمن والاذى على الاتفاق صفة الكفار ولا بد أن يتجنبوا عنها (ومثل)
 نفعات (الذين يتفقون أموالهم ابتغاء) أي طلب (مرضاة الله) أي رضاه (وتنبئنا من أنفسهم)
 أي تنبئنا بالنظر في اصلاح العمل واخلاصه بالحل على الحلم والصبر على جميع مشاق التكليف
 فان من راض نفسه بحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح فان بذله أشق شيء على النفس
 لان النفس اذا رضيت بالنجاسات عليها وتسكيتها بما يصعب عليها ذلت خاضعة لاصحابها وقل
 طمعها في اتباعها لشهواتها فسهل عليه حملها على سائر العبادات ومضى تركها وهي مطبوعة
 على التأنص زاد طمعها في اتباع الشهوات فمن للتبعيض مفعول به مثلها في قولهم هزم عطفه
 وحرك من نشاطه (فان قيل) ما معنى التبعيض (أجيب) بأن معناه أن من بذل ماله لوجه الله
 تعالى فقد بذل بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فهو الذي نبها كلها أو نصديقا لاسلام وتحقيقا
 للجزا من أصل أنفسهم لانه اذا اتفق المسلم ماله في سبيل الله تعالى علم أن تصدقه وإيمانه
 بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه فمن على هذا الابتداء الغاية كقول الله تعالى حسدا
 من عند أنفسهم (كحل الجنة) أي بستان (بربوة) وهي المكان المرتفع الذي تجري فيه الانهار
 فلا يعلو الماء ولا يعلو هو على الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها أحسن وأزكى وقرأ ابن عاصم
 وعاصم يفتح الراء والباقون يضمنها (أصاها وأابل) أي مطرشا وكثير (فأنت) أي أعطت
 (أكلها) أي غرتها وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكون الكاف والباقون يضمنها (ضعفين)
 أي منلى ما يغمر غيرها بسبب الواابل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثلة لان الضعف قدر
 الشئ ومثله معه فيكون الضعفان أربعة واستظهره الباقى وقال أبو حيان يحتمل انهم التثنية
 أي ضعفا بعد ضعف أي اضعافا كثيرة لان النفقة لا تضاعف بحسنة فقط بل بعشر وسبعائة
 وأزيد ونصبه على الحال أي مضاعفا (فان يصبها وأابل فطل) أي مطر خفيف يصيبها ويكفيها
 لارتفاعها والمعنى ثمر وزكو كثر المطر أو قل فكذلك نفعات من ذكر ترك وعنده الله
 كثرت أوقات (والله جافه لون بصير) فيجاز بكم به ففيه وعد ووعد (أبودأ حدكم) أي أوجب
 حباشديدا (أن تكون له الجنة) أي بستان (من نخيل) جمع نخلة وهي الشجرة القائمة على ساق

ثم هانم اعلاها في كلها نفع حتى في خشبها مثلها كمثل المؤمن الذي يتقرب به كله (وأعتاب)
 جمع عذب وهو شجر الكرم لا يختص غيره بجمعة العلو اختصاص الخلعة بل يتفرع علوا وسفلا ويمنة
 ويسرة مثله كمثل المؤمن المتقي الذي يكرم بتقواه في كل جهة * ولما كانت الجنان لا تقوم
 ولا تدوم الا بالماء قال تعالى (تجري من تحتها الانهار) أي من تحت هذه الاشجار (له فيها) أي
 الجنة ثم عرعر النخل والعنب (من كل الثمرات) فهي محتوية على سائر أنواع الاشجار وانما
 خص النخل والعنب بالذكر لثمرتهما وكثرة منافعهما وحسن منظرهما (وأصابه) أي والحال
 انه أصابه (الكبر) أي كبر السن فصار لا يقدر على اكتساب (وله ذرية ضعفاء) بالصغر كما ضعف
 هو بالكبر (فأصابها) أي الجنة (اعصار) وهو الريح العاصف الذي يرتفع الى السماء كأنها
 عمود وتسميها العامة الزوبعة وجمعه أعاصير والاعصار من بين سائر الرياح مذكروا لهذا رجع اليه
 الضمير مذكري قوله (فيه نار فاحترقت) تلك الجنة فقذفها أحوج ما كان اليها وبقي هو وأولاده
 عجزة متحيرين لاحيلة لهم وهذا مثل ضرب به الله تعالى لعمل المنافق والمراني بقول عمله في حسنه
 كحسن الجنة يتفجع به كما يتفجع صاحب الجنة بها فاذا كبر وضعف وصار له أولاد ضعفاء صغار
 أصاب حسنة اعصار فيه نار فاحترقت أحوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها الكبر وضعفت
 أولاده عن اصلاحها اولم يجد هو ما يعوده على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا
 متحيرين عجزة لاحيلة لهم كذلك يبطل الله تعالى عمل المنافق والمراني في الآخرة حين لا مغيب
 لهما ولا نوبة ولا اقالة والاستغفار بعني التني وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما ضرب لرجل
 عمل بالطاعات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله (كذلك) أي مثل هذا
 البيان (بين الله) أي الذي له السكال كله (لكم الآيات لعلمكم) أي لكي (تتفكرون) فيها فتعتبرون
 بها * ولما ذكر سبحانه وتعالى ان الانفاق على قسمين وبين كل قسم وضرب له مثلا ذكر كيفية
 الانفاق بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) أي زكوا (من طيبات) أي جباد (ما كسبتم)
 من المال والتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث وعن
 عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكل الرجل
 من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل
 من عمل يده وكان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده والزكاة واجبة في مال التجارة فبعد
 الحول تقوم العروض فيخرج من قيمتها عشرين دينارا أو مائتي درهم فبقيت فيزكها قال سمر بن
 جندب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي يعد للبيع (وعما)
 أي ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن فحذف المضاعف
 وهو طيبات من الثاني لمقدم ذكره وفي هذا أمر باخراج العشر من الثمار والحبوب واتفق أهل
 العلم على ايجاب العشر في الخيل والكرم وفيما يقتات من الحبوب ان كان مسقيا بماء السماء
 أو من نهر يجري الماء فيه من غير مونة وان كان مسقيا بساقية أو نضح ففيه نصف العشر لقوله
 صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما يسقي بالنضح نصف العشر

وعنه صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا ثم صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق وقال قوم الآية في صدقة التطوع قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فباي كل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له به صدقة (ولا تيمموا) أي لا تقصدوا (الحديث) أي الردي منه) أي المذكور (تفقون) في الزكاة حال من ضمهم تيمموا (ولستم يا حذبه) أي الحبيث (الآن انقمضوا) أي تسامحوا (فيه) بالحبام مع الكراهة مجاز من أغض بصره إذا غضه وروى عن البراء قال لو أهدى ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استعجاب من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما كانوا يتفقون بحشف التمر وشواره فهو عن ذلك هذا إذا كان المال كله أو بعضه جديداً فإن كان كل ماله ردياً فلا بأس باعطاء الردي (واعلموا أن الله غني) عن اتفاقكم وانما يأمركم به لا تنافعكم (حميد) أي يجازي الحسن أفضل الجزاء على أنه لم يزل محموداً ولا يزال عذباً أو أتاب (الشیطان يعدكم الفقر) أي يخونكم به إن صدقتم ويقال وعداً خيراً ووعده شرّاً قال تعالى في الخير عدكم الله مغامم كثيرة وقال في الشر النار وعدّها الله الذين كفروا إذا هم بذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر وعدته والفقر سوء الحال وقلة ما في اليد أو صلته من كسر الفقار ومعنى الآية أن الشيطان يخونكم بالفقر ويقول للرجل أمسك مالك فانك إذا انصدقت افقرت (ويأمركم بالفحشاء) أي بالبخل ومنع الزكاة قال الكلي كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا في هذا الموضع (والله يعدكم مغفرة منه) لما وقع منكم من تقصير وفيه اشعار بأنه لا يقدر أحد أن يدر الله حق قدره لما له من الاحاطة بصفات الكمال ولما جيل عليه الانسان من النقص (وفضلاً) بالزيادة في الدارين وكل نعمة منه فضل ثم أكد ذلك بقوله تعالى (والله واسع) فضله (عليم) بالمنفق وغيره وفيه اشارة الى أنه لا يضيع شيئاً وان دق وعن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال يا ابن آدم أنفق أنفق عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الله على لا يفيضها نفقة - جهاد الليل والنهار وأربتم ما أنفق من خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في يمينه قال وعرشه على الماء ويده الاخرى القسط يرفع ويخفض وعن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنفق ولا تحصي فيحصى الله عليك ولا نوعي فيوعى الله عليك (بوتى الحكمة) أي العلم النافع المؤدى الى العمل وقال السدي هي النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن ناصحه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثال ذلك وقال الضحاک هي القرآن والفهم فيه وقال في القرآن مائة ونسج آيات ناضجة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يبيع المؤمن من تركهن حتى يعلموهن وقال مجاهد هي القرآن والعلم والفقه وقوله تعالى (من يشاء) مفعول أقرل أو خلا اهتمام بالمفعول الثاني وهو الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) لمصيره الى السعادة الابدية (وما يذكر) فيه ادغام التاء في الاصل في الذال أي ما يتعطل بما قص من الآيات أي ما يتفكر فان التفكر كالمزيد كالماء أودع الله تعالى في قلبه من العلوم بالقوة (الأولوالالباب) أي أصحاب العقول الخالصة من

شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم) أى أدبتم (من نفقة) قليلة أو كثيرة سرا
 أو علانية زكاة أو صدقة تطوع (أو نذرت من نذر) بشرط أو بغير شرط فوفيتهم به (فإن الله يعلمه)
 فيجازيكم به (فإن قيل) لم وحد الضمير في يعلمه وقد تقدم شيان النفقة والنذر (أجب) بأن
 العطف بأوهى لاحد الشئين تقول زيد أعز وأكرمته ولا يجوز أن كرمته ما بل يجوز أن يراعى
 الأول نحو زيد أو هـ منطلق والثاني نحو زيد أو هـ منطلق والآية من هـذا ومن مراعاة
 الأول وإذا رأوا تجارة أو لهوا أنفقوا اليها ولا يجوز أن يقال منطلقان ولهذا أول الآية قوله
 تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما كما سيأتى إن شاء الله تعالى (وما للظالمين) يمنع
 الزكاة والنذر أو بوضع الاتفاق في غير محله من معاصي الله تعالى (من أنصار) أى من ينصرهم
 من الله ويعينهم من عذابه فهو على طريق التوزيع والمقابلة أى لا ناصر الظالم قط فسد ما يقال
 أن نفي الانصار لا يوجب نفي الناصر (ان تبدوا) أى تظهروا (الصدقات) أى التوافل
 (فنعماهى) أى نفع شيئا أباؤها وقرأ ابن عامر وجزء والـ كسانى بفتح النون والباقون
 بكسرهما وقرأ قالون وأبو عمرو باختلاس كسرة العين والباقون بالكسرة الكاملة (وان
 تحفوها) أى تسروها (وتؤتوها الفقراء) أى تعطوها لهم في السر (فهو خير لكم) أى أفضل من
 ابدائها وإيتائها للفقراء أفضل من ايتائها للأغنياء مثل صلى الله عليه وسلم حل صدقة السر أفضل
 أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وفي الحديث صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال صلى الله
 عليه وسلم سمعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله
 تعالى ورجل قلبه متعلق بالـ مسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان فحبا في الله تعالى
 فاجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات
 منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله
 ما تنفق يمينه نعم ان كان ممن يقتدى به فالأطهار في حقه أفضل أم صدقة الفرض فالأفضل
 اظهارها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت أفضل وليقتدى به لا يهتم
 ولا يجوز دفع شئ منها للأغنياء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم اصدقة السر في التطوع
 أفضل علانية سبعين ضعفا وصدقة القرية علانية أفضل من سرها بمائة وعشرين ضعفا
 * (تنبيه) الصدقة تنطلق على الفرض والنفل قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وقال
 عليه الصلاة والسلام نفقة المرء على عياله صدقة والزكاة لا تطلق الا على الفرض (وسكفر
 عنكم من سيئاتكم) أى بعضها وقيل من صلاته وقرأ ابن عامر وحفص بالياء التعتية والباقون
 بالنون وقرأ نافع وجزء والـ كسانى بيجزم الراء بالعطف على محل فهو والباقون بالرفع على
 الاستئناف وقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) فيه ترغيب في الاسرار لانه عالم بباطن الشئ
 كظاهرة لا يخفى عليه شئ منه * ولما منع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من التصديق على فقراء
 المشركين كي تحملهم الحاجة ليسلوا نزل (ليس عليكم هـدام) أى لا يجب عليكم أن تجعل
 الناس مهدين فقتلهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها وانما عليك الارشاد

والحث على المحاسن والنهي عن القبايح كالن والاذى وانفاق الخبيث وقوله تعالى (ولكن الله يهدي من يشاء) أى هداية التوفيق صريح بأن الهداية من الله وبشيئته وانما يخص بقوم دون قوم أما هدى البان فكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطوهم بعد نزول الآية (وماتفقوا من خير) أى من مال وقوله تعالى (فلا أنفسكم) خبر لبدل المحذوف أى فهى لانفسكم لأن ثوابه لها فلا تنموا به على غيركم ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم ولا تنفقوا الخبيث وقوله تعالى (وماتفقون الا ابتغاء وجه الله) عطف على ما قبله أى وليس نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فالحكم تنون بها وتفقدون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله تعالى (وماتفقوا من خير يوفى اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن اتفائه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجلها والجلتان تأكيد للاولى وهى وماتفقوا من خير فلا نفسكم أو ما يخلف المنفق استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولمسك تلقارواه البخارى (وأنتم لا تطلون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا فضلا من الله تعالى عليكم وهذا فى صدقة التطوع أباح الله تعالى ان توضع فى أهل الاسلام وأهل الذمة وقبل بحت اسماء بنت أبى بكر فاتمها أمها نسأ لها وهى مشركة فأتت أن تعطى ما قبلت وروى النسائي والحاكم أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار فى اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم فزلت وعن بعض العلماء لو كان المنفق عليه أشرك خلق الله كان لك ثواب نفقتك وأما الصدقة المقرضة فلا يجوز وضعها الا فى المسلمين أهل السهمان المذكورين فى سورة التوبة لكن يجوز أن يوحى به روحه الله صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وقوله تعالى (للفقراء) خبر مبتدأ محذوف أى صدقاتكم للفقراء ومتعلق بفعل مقدر كجعلوا ما تنفقون للفقراء (الذين أحصروا فى سبيل الله) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوهم أربع مائة لم يكن لهم مساكن بالدينة ولا عشائر كانوا يسكنون صفة المسجد يستغفرون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية يعينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المشهورون بأحباب الصفة تحت الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أناهم به اذا أمسى (لا يستطيعون ضربا) أى سفرا (فى الارض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنيا من التعفف) أى لاجل تعففهم عن السؤال وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بنغ السين والياقون بكسرهما (تعرفهم) أيها المخاطب (بسميهم) أى بعلامتهم من التعفف والتواضع وصفرة الوجوه وروثاة الحالة (لا يسألون الناس) شيئا فليحفظون (الحافا) أى لاسؤال لهم أصلا فلا يقع منهم الحاف ومثل ذلك قول الشاعر

لا يفرع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجم

أى ليس فيها أرنب فيفرع لهولها ولا ضب فينجم وليس المعنى انه ينق الفرع عن الارنب ولا ينجمار عن الضب والاحاف الاحباح وهو اللزوم وأن لا يفارق الابشى يعطاه من قولهم لحفى من فضل لحافه أى اعطانى من فضل ما عنده وقيل انهم ان سألوا سألوا بيطف ولم يلحفوا

قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المحي الحليم المتعفف ويغض البذي السال المحلف وقال
صلى الله عليه وسلم لان يأخذ أحدكم حبله فيه ذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها
وجهه خيره من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو صنعوه وقال صلى الله عليه وسلم من سأل وله
ما يغنيه جأ يوم القيامة ومساءلته في وجهه خدوش قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خشون
درهما أو قمتها (وما تفقهوا من خير) أي مال (فان الله به عليم) فيجأزيكم وفي هذا ترغيب
في الانفاق (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أي يعمون الاوقات
والاحوال بالصدقة لمصرهم على الخير نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تصدق
بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وفي أبي
طالب رضي الله تعالى عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يعلك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم
نهاراً وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال الاوزاعي نزلت في الذين يربطون الخيل للجهاد فانها
تدفع ليلاً ونهاراً سرا وعلانية روى انه صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرساً في سبيل الله ايماناً
بالله وتصديقاً بوجهه فان شبعه وريه ورويه وبوله في ميزانه يوم القيامة وقوله تعالى (فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء لليسية (فان قيل) أي
فرق بين قوله فلهم أجرهم وفيما مر لهم أجرهم (أجيب) بأن الموصول ثم لم يضمن معنى الشرط
وضمنه هنا (الذين يأكلون الربوا) أي يأخذونه وهو لغة الزيادة وشرعاً قد على عوض شخص
غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدل أو أحدهما وهو ثلاثة
أنواع ربا الفضل وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر وربا الميسر وهو البيع مع تأخير
قبضهما أو قبض أحدهما وربا النساء وهو البيع الى أجل وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع
المال كقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال السباي ظلماً فنبه بالكل على ما سواه من وجوه
الاتلافات ولان نفس الربا الذي هو الزيادة لا يؤكل وانما يصرف في الماء كقول وقال صلى الله عليه
وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والمحلل له فعلنا ان الحرمة غير مختصة بالاكل
وما أكل بين الصدقة والربا مناسبة من جهة التضاد لان الصدقة عبارة عن تنقيص المال بأمر الله
بذلك والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه فكأننا كالتضادين ذكر عقب
الصدقة ورسم بالواو والالف بعد الواو وانما رسم على لغة من يفهم وهو عيل الالف أي يخرج
الواو كما كتبت الصلاة والزكاة وقيل لان أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ولغتهم الربو
بالواو الساكنة فعلموههم الخط على لغتهم وزيدت الالف بعد هاتين الواو والجمع (لا يقومون)
اذ ابتعوا من تبورهم (الا) أي قياماً (كما يقوم الذي يتخبطه) أي يصصره (الشيطان) وقوله
تعالى (من المس) أي الجنون متعلق يتخبطه من جهة الجنون فيكون في موضع نصب فانه
أبو البقاء والمعنى ان آكل الربا يبيع يوم القيامة وهو كالمصرع تلك سيما يعرف بها عند أهل
الموقف (فان قيل) لم نسب هذا للشيطان (أجيب) بأنه وارد على ما تزعم العرب ان الشيطان
يقبض الانسان فيصرع وانحيط الضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط لاني نط الناس

ونضرب الارض بقوائمها ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يمتد في فيه انه يخط خط
 عشواء ويخطبه الشيطان اذا مسسه بخجل او جنون لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش
 (ذلك) أي الذي نزل بهم (بأنهم) أي بسبب انهم (قالوا ان الله البيع مثل الربوا) في الجواز
 (فان قيل) ما الحكمة في قلب القصة ومن حق القياس أن يشبهه محل الخلاف بعمل الوفاق
 لأن حل البيع متفق عليه وهم أرادوا قياس الربا عليه فكان نظم الكلام أن يقال انما الربا مثل
 البيع (أجيب) بأن هذا من عكس التشبيه مبالغة اذ به صار التشبيه مشبهابه وبالعكس
 وشأن التشبيه أن يكون أقوى من المشبه أو بأنهم لم يكن مقصودهم أن يتسكوا بنظم القياس
 بل كان غرضهم أن البيع والربا متماثلان في جميع الوجوه المطلوبة فكيف يجوز تخصيص
 أحد المتماثلين بالحل والآخر بالحرمة وعلى هذا التقدير فأيهما قدم أو أخرجا زوجه تعالى (وأحل
 الله البيع وحرم الربوا) انكارا لدعويتهم وباطال القياس لمعارضته النص * (تنبيه) * أظهر
 قول الشافعي أن هذه الآية عامة في كل بيع الا ما خص بالسنة وانه صلى عليه وسلم لم يرد
 عن يوع والثاني انها مجملة والسنة مبينة لها وتظهر فائدة الخلاف في الاستدلال بها في مسائل
 الخلاف فعلى الأول يستدل بها وعلى الثاني لا يستدل (فن جاءه) أي بلغه (موعظة) أي وعظ
 (من ربه) وزجر بالنهاي عن الربا (فانتهى) أي فاتبع النهي وامتنع من أكله (فله ما سلف)
 أي ما مضى قبل النهي فلا يسترد منه ما أخذ من الربا وقيل ما مضى من ذنبه قبل النهي
 مفعوله (وأمره الى الله) بعد النهي ان شاء عصمه حتى ثبت على الاتهام وان شأخذه
 حتى يعود وقيل أمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس له من أمر نفسه شيء
 (ومن عاد) الى تحليل الربا مشبهه بالبيع في الحل (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
 لانهم كفروا بذلك وورد انه صلى الله عليه وسلم لعن أكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة
 والمصور وأنه صلى الله عليه وسلم قال الربا سبعون بابا أو نحوها عند الله عز وجل كالذي ينسج
 أمه (يحقق الله الربوا) أي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر
 فالى قل (ويرى الصدقات) أي يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه روى الشيخان انه
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل الصدقة ويربها كإربي أحدكم فلو روى الامام أحمد
 ما نقص مال من صدقة (والله لا يحب كل كفار) أي مصر على تحليل المحرمات كمن يحلل الربا
 (أنتم) منهم من ارتكبه (ان الذين آمنوا بالله وبرسوله وبما جاءهم عنه) وعملوا الصالحات
 وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وانما عطفهما على ما بعهم بالشرفهما (لهم أجرهم عند ربهم
 ولا خوف عليهم) من آت (ولهم يحزنون) على فائت وتقديم مثل هذه الآية ولكن جرت عادة
 الله سبحانه وتعالى في القرآن مهما ذكر وعيد أو كرمه وعدا فلما بالغ هنا في وعيد الربا تابعه بهذا
 الوعد (فان قيل) ان الانسان اذا بلغ عارفا بالله وقبل وجوب الصلاة والزكاة عليه مات فهو من
 أهل الثواب بالاتفاق فدل على ان استحقاق الثواب لا يتوقف على حصول العمل (أجيب)
 بأنه تعالى لما ذكر هذه الخصال لا لاجل ان استحقاق الثواب مشروط به فاذل لاجل ان لكل

منهما أثر في جلب الثواب كما قال تعالى في ضد هذا والذين لا يدعون مع الله الها آخر ثم قال تعالى
 ومن يفعل ذلك يلق أثاما ومعلوم أن من ادعى أن مع الله الها آخر لا يحتاج في استحقاقه العذاب
 إلى جهل آخر وإنما جمع الله تعالى الزنا وقتل النفس مع دعاء غير الله تعالى الها ليسان أن كل
 واحد من هذه الخصال يوجب العقوبة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بيني من الربوا)
 أي اتركوا بما يماشر طم على الناس من الربا الذي أخذتم بعضه قبل التحريم (أن كنتم مؤمنين)
 أي يقول بكم أو أن بمعنى إذا كان دليل الإيمان أمثال ما أمرتم به وروى أنه أنزل لما طالب بعض
 الصحابة بعد النهي بربا كان له قبل (فان لم تفعلوا) أي تذرروا ما بيني من الربا (فانذروا) أي اعلوا من
 أذن بالشئ إذا علم به أي فاعلوا أنتم وأيقنوا (يحرب من الله ورسوله) لكم (فان قيل) هذا حكمهم
 أن تابوا وأما حكمهم أن لم يتوبوا (أجيب) بأن مقتضى ذلك أنهم يقاتلون أن لم يرجعوا قال سعيد
 ابن جبيرة عن ابن عباس يقال لا كل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب
 الله تعالى النار وحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقر أشعبة وحجة فاذنوا بفتح الهمزة
 ومدها و كسر الذال أي فاعلوا بها فحرم وهو من الأذن وهو الاستماع لانه من طريق
 العلم والباقون يسكون الهمزة وفتح الذال (وان تبتم) أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه
 (فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالقصان عن رأس المال (فان قيل)
 هلا قال تعالى يحرب الله ورسوله (أجيب) بأن هذا أبلغ لأن المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم
 من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم * ولم ينزل هذه الآية قال الرازي بل يتوب إلى الله
 فانه لا شأنا يحرب من الله ورسوله فرضوا برأس المال فشكل من عليه الدين العسرة وقال لمن
 لهم الدين انخرنا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى (وان كان ذو عسرة
 فنظرة) له أي عليكم تأخير (إلى مبصرة) أي وقت يسره * (تنبيه) * فان كان ذو وجهان
 أظهرهما ما أنما تاتى بمعنى حدث ووجد أي وان حدث ذو عسرة فتكتفي بشأعلاها كإثر
 الأفعال والثاني أنها ناقصة وخبرها محذوف قال أبو البقاء تقديره وان كان ذو عسرة لكم عليه
 حق أو نحو ذلك وقد رده بعضهم وان كان ذو عسرة غريما وقرأنا مع بنهم السنين والباقون
 يفتضها (وان تصدقوا) أي بالابراء وقرأنا مع بعضهم بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد على ادغام
 التاء في الأصل والتخفيف على حذفها (خير لكم) أي أكثر نوابا من الانتظار وهذا مما فضل
 المشدوب فيه الواجب فان الإبراء منسوب إليه والانتظار واجب فيحرم حبس العسر وهل القول
 قوله في عسارته أو لا بد من بينة تشهد بذلك ينتظر أن كان الدين عن عوض كالبيع والقرض فلا
 بد من بينة وان كان عن غير عوض كالضمان والاتلاف والصدقة فالقول قول المعسر بينه
 وعلى الغريم البينة الآن يعرف له مال فلا بد من بينة (ان كنتم تعلمون) فضل التصديق على
 الانتظار فافعلوا وقيل المراد بالتصدق الانتظار فلهذا ورد هذا كما قال الامام بأن الانتظار قد علم
 مما قبل فلا بد من حمله على فائدة جديدة قال عليه الصلاة والسلام لا يحمل دين رجل مسلم فيؤخره
 الا كان له بكل يوم صدقة وروى من أنظره معسرا أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة
 تلقى روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل علمت خيرا قط قال لا فلو أنذرك قال الا انى رجل
 كنت أدين الناس فكنت آمر قتياني بأن ينظروا الموسر وينجوا زواجن المعسر قال الله
 تعالى نجوا زواجنه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم
 لا ظل الاظله (واقة وا يوم ترجعون) أى تصيرون (فيه الى الله) هو يوم القيامة أى فتأهبوا
 لمصيركم اليه وقرأ أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم والباءون بضم التاء وفتح الجيم (ثم توفى) فيه
 (كل نفس) جزاء (ما كسبت) أى علمت من خير أو شر (وهم لا يظنون) بنقص حسنة
 أو زيادة سيئة * (فائدة) * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اهذه آخر آية نزلت على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل وضعها على رأس مائتين وعثمان آية من سورة البقرة وعاش
 بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال
 سعيد بن جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليتين خلتما من شهر ربيع الاول وقيل ثلاث ساعات
 وقال الشعبي عن ابن عباس آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الرابوا لما
 منع الله من الربا أذن في السلم والقرض بما يعمله ما قال (يا أيها الذين آمنوا اذا تدانتم دينين)
 كسملم وقرض (آلى أجل مسمى) أى معلوم ولذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها
 بالطريق الحرام الا والله سبحانه وتعالى وضع لتحصيل مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسبيلا
 مشروعا (فان قيل) المداينة مفاعلة وحقيقة ما أن يحصل من كل واحد منهما دين وذلك هو بيع
 الدين بالدين وهو باطل بالاتفاق (أجيب) بأن المراد من تدانتم تعاملتم والتقدير تعاملتم بما
 فيه دين (فان قيل) هلا كتمنى بقوله اذا تدانتم الى أجل وأى حاجة الى ذكر الدين (أجيب) بأنه
 ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله (فأكتبره) اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فأكتبوا الدين فلم يكن
 النظم بذلك الحسن وثلاثيهم من الدين المجازاة ولانه أبين لتسوية الدين الى موجب وحال
 وفائدة قوله مسمى ليعلم أن من حق الاجل أن يكون معلوما كالوقت بالسنة والاشهر والايام
 ولو قال الى الحصاد أو الدراس أو رجوع الحاج لم يميز للجهل بوقت الاجل وانما أمر بكتابة
 الدين لأن ذلك أوثق وآمن من التسيان وأبعد من الخلود (فان قيل) ان كلمة اذا لا تفيد العموم
 والمراد من الآية العموم لأن المعنى كلما تدانتم دينين فأكتبوه فلم عدل عن كذا وقال اذا
 تدانتم (أجيب) بأن كلمة اذا وان كانت لا تقتضى العموم الا أنهم لا تمنع من العموم وهنا
 قام الدليل على أن المراد هو العموم واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هى واجبة
 والاكترون على أنه أمر استحباب فان ترك فلا بأس بك قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
 فى الارض وقال بعضهم كانت كتابة الدين والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله تعالى فان
 آمن بعضكم بعضا فليؤد الذين ائتمن أمانته ثم بين كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب) أى كتاب
 الدين (بينكم كاتب بالعدل) أى بالحق فى كتابته لا يديف المال أو الاجل ولا ينقص وهو
 فى الحقيقة أمر للتمتدائين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجزى مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع

مع أن ظاهره أمر للكاتب (ولايأب) أى لا يمنع (كاتب) من (أن يكتب) اذا دعى اليها
 (كامله) أى فضله (الله) بالكاتب فلا يخل بها بل ينفع الناس بها كما نفعه الله بتعليمها كقوله
 تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك والكاف متعلقة بأب (فليكتب) تلك الكتابة المعلقة أمر بها
 بعد النهى عن الإباتا كيدا (وليل الذى عليه الحق) أى وليكن العمل على الكتاب من عليه
 الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما
 القرآن فالاملال ههنا وهو لغة الجواز والاملاء قوله تعالى فهى على عليه بكرة وأصد بلا وهى
 لغة تميم (وليق الله ربه) أى كل من المولى والكاتب (ولا يخس) أى لا ينقص (منه) أى من
 الحق أو مما ألى عليه (شأفا كان الذى عليه الحق سفيها) أى مبذرا (أو ضعيفا) أى صغيرا
 أو كبير الاختل عقله لكبره (أو لا يستطيع أن يمل هو) لغرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فليل
 عليه) أى متى أمر من والدوصى وقيم ووكيل ومترجم (بالعدل) وفي هذا دليل على جريان
 النيابة فى الاقرار قال البيضاوى ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل أى دون المترجم
 ودونهما فيالم يعاطاه (واستشهدوا) أى وأشهدوا (شهيدين) أى شاهدين (من رجالكم)
 أى البالغين الاحرار المسلمين دون الصبيان والعبيد والكفار وأجاز ابن سيرين شهادة العبيد
 وأبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض (فأن لم يكونا) أى الشاهدان (رجلين فرجل) أى
 فليشهد أو فامستشهد رجل (وأمر أنان) وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال
 فى الاموال حتى تثبت برجل وامرأتين واختلوا فى غير الاموال فذهبت جماعة الى أنه تجوز
 شهادتهم مع الرجال فى غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب جماعة
 الى أن خبر المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى الى أن ما يطلع عليه النساء غالباً
 كالولادة والرضاع والثبوبة والبكارة ونحوها تثبت بشهادة رجل وامرأتين وشهادة أربع
 نسوة وانفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة فى العقوبات (بمن ترصون من الشهداء) أى
 من كان مرضا لدينه وأمانته * (تنسبه) * شروط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحريه
 والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة ففى فقد شرط منها لم نصح تلك الشهادة وانما
 اشترط التعدد فى النساء لاجل (أن تفضل) أى تنسى (احداهما) أى الشهادة لنقص عقلهن
 وضبطهن (فتذكر) قرأ ابن كثير وأبو عمر وبسكون الذال وتخفيف الكاف والباقون يفتح
 الذال وتشديد الكاف وقرأ حمزة ورفع الراء والباقون بالنصب (احداهما) أى الذاكرة
 (الاحرى) أى الناسبة قال الزمخشري ومن بدع التفسير فتذكر أى ففعل احداهما الاخرى
 ذكر ايعنى انه ما اذا اجتمعا كتاباً بمنزلة الذكور وقرأ حمزة وحده ان تفضل احداهما على الشرط
 فتذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى ومن عاد فيقيم الله منه وبجمله الاذ كارجل العلة أى التذكر
 ان ضلت ودخلت على الضلال لان الضلال سبب الاذ كارجلهم ينزلون كل واحد من السبب
 والمسبب منزلة الاسخر (ولايأب) أى ولا يمنع (الشهداء اذا ما) أى اذا (دعوا) لاداء الشهادة
 والتعمل فها من يريده وسموا شهداء على هذا الثانى تنزىلا لما يشارف منزلة الواقع (ولانسا مواء)

أى غلوا من (أن تكتبوه) أى ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوعه أو تسكروا من أن
 تكتبوه فكفى عن السأمة التى تكون بعد الشروع للكثرة الكسل الذى يكون استهـ
 لكونها من لوازمه لأن الكسل صفة المنافق قال تعالى وإذا أقاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
 وقال صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت (صغيراً) كان ذلك الحق (أو كبيراً) قليلاً
 أو كثيراً وقوله تعالى (إلى أجله) أى وقت حلوله الذى أقربه المديون حال من الهاء فى تكتبوه
 (ذلكم) أى الكتب (أقسط) أى أعدل (عند الله وأقوم للشهادة) أى أعون على إقامتها لأنه
 يذكرها * (تنبيه) * يجوز على مذهب سيبويه أن يكون أقسط وأقوم مبنيين من أقسط وأقام
 وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذى قسط وأقوم من قوم وأهما مبنيان
 من أقسط وأقام لامن قسط وقام لأن قسط بمعنى جار والمعنى هنا على العدل والفعل منه أقسط
 فلزم أن يكون أقسط فى الآيتين من المزيد لقصد الزيادة فى المقسط قال تعالى إن الله يحب
 المقسطين لامن الجرد لأن معناه الزيادة فى القاسط وهو الجار قال تعالى وأما القاسطون
 فكأنوا لجهنم حطباً وكذلك أقوم معناه أشد إقامة لأقداماً وبنائهما من ذلك على غير قياس
 والقياس أن يكون البناء من الجرد لامن المزيد ويجوز أن يكون بنائهما من قاسط بمعنى
 ذى قسط أى عدل وبمعنى قوم أى ذى استقامة على طريقة النسب كلاين وناصر فيكون
 أقفل لأفعله وانما صحت الواو فى أقوم كما صحت فى التجب لجوده (وإدنى) أى وأقرب إلى
 (أن لا ترتابوا) أى تشكوا فى قدر الحق وجنسه والشهود والاجل ونحو ذلك (الآن تكون
 قهارة حاضرة) وهى تم المبايعتين أو عين (تدبرونها بينكم) أى تعاطونها أيدياً (فليس
 عليكم جناح) أى لا بأس إذا تابعتهم أيدياً (أن لا تكتبوها) فهو استثناء من الأمر بالكتابة
 بعده حيث دعت التنازع والتسيان وقرأ عاصم نصب التاء فيهما على أن تجارة هى الخبر
 والاسم مفعول تقديره الآن تكون التجارة تجارة حاضرة والباقون بالرفع فيهما على أن تجارة
 هى الاسم والخبر تدبرونها أو على كان التامة (وأشهدوا) أى ندبوا إذا تابعتهم عليه سواء كان
 ناجراً أو كالتافاته أدفع للاختلاف فهو تعميم بعد تخصيص احتياطاً فى جميع المبيعات
 ويجوز أن يراد بهذا التبايع الذى هو التجارة الحاضرة على أن الأشهاد كاف فيه دون الكتابة
 وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) أصله يضار وأدغمت إحدى الراين فى الأخرى ونصب
 الحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلافه وانضم من قال أصله يضار بكسر الراء الأولى وجعل
 الفـهـل للكاتب والشهيد ومعناه منهم بما عن ترك الإجابة وعن التعريف والتغيير فى الكتابة
 والشهادة ومنهم من قال أصله يضار بفتح الراء على الفعل الجهول وجعلوا الكاتب والشاهد
 مذهباً ومعناه النهى عن الضرر بهما مثل أن يهمل عن مهمته ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا
 يعطى الكاتب جمعه ولا الشهيد مؤنذ بحيث كان والمنهى حيثما التبايعان فالأية محتملة
 للبناء للفعل وللبناء للمفعول فعمل على ما معاً وعلى كل منهما الأولى الأولى (وان تفعلوا)
 ما نهيتهم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) أى معصية وخروج عن الأمر (واقضوا الله)

في مخالفة أمره ونهيه (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لصالحكم (والله بكل شيء عليم) كثر لفظ
الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الأولى حدث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم
الله لشأنه عز وجل ولأنه أدخل في التعظيم من الضمير وهذا آخر آية الدين وقد حدث سبحانه وتعالى
فيها على الاحتياط في أمر الأموال لكونها سببا لمصالح المعاش والمعاد قال تعالى ولا تنفوا الأموال
أموالكم الآية قال القفال رحمه الله تعالى وبديل على ذلك أن أنفاط القرآن جارية في الأكثر
على الاختصار وفي هذه الآية بـ ط شديد ألا ترى أنه قال إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه
ثم قال ثانيا وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم قال ثالثا ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكل هذا
كالتكرار لقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل لأن العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا وليكتب
وهذا إعادة للأمر الأول ثم قال خامسا وليعلم الذي عليه الحق وفي قوله تعالى وليكتب بينكم
كاتب بالعدل كتابة عن قوله وليعلم الذي عليه الحق لأن الكاتب بالعدل إنما يكتب ما يلى عليه
ثم قال سادسا وليتق الله ربه وهذا تأكيد ثم قال سابعا ولا يبخس منه شيئا وهذا كالمستفاد من
قوله وليتق الله ربه ثم قال ثامنا ولا تساموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله وهو أيضا
تأكيد للمضى ثم قال تاسعا ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا فذكر هذه
الفوائد التالية لتلك التأكيدات السابقة وكل ذلك يدل على المبالغة في التوصية بحفظ المال
الخلال وصونه عن الهلاك لئلا يتمكن الإنسان بواسطته من الاتفاق في سبيل الله والأمر اض
عن مسأخط الله تعالى من الربا وغيره والمواظبة على تقوى الله (وإن كنتم على سفر) أي مسافرين
وتدأينتم فعلي بمعنى في الثلاثين هو أن المعنى على نية سفر (ولم تجدوا كاتباً فرهن) أي فعليكم
رهن (مقبوضة) تستوثقون بها ويثبت السنة جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب
فقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته في المدينة من يهودى بعشرين صاعاً من شعير
أخذه لاهلها فالتقيدها بما ذكر لأن التوثيق أشد وعن مجاهد والضحاك أنهم لم يجوزوا إلا
في السفر أخذاً بظاهر الآية وأفاد قوله تعالى مقبوضة اشتراط القبض أي في لزوم الرهن
لا في صحته والاكتفاء به من المرتين ووكيله ولا يشترط القبض عند مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
بضم الراء والماء ولا ألف بعدها والباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها وكلاهما جمع
رهن بمعنى مرهون (فإن آمن بعضكم ببعض) أي الدائن (بعضاً) أي المديون واستغنى بأمانته
عن الارتهان (فليؤد الذي آثمن) أي المدين (أمانته) أي دينه سماعاً أمانة لا ثقة عليه بترك
الارتهان به وقرأ ورش فليؤد بابدال الهمزة واو واذا وصل السوسى وورش الذي ياتين أبداً
الهمزة ياء وفي الابداء بهمزة مضومة للجمع (وليتق الله ربه) في الحيانة وانكار الحق وقبه
مبالغت من حيث البيان بصيغة الأمر الظاهرة في الوجوب والجمع بين ذكراته والرب وذكره
عقب الأمر بأداء الدين (ولا تسقوا الشهادة) أيها الشهود إذا دعيت لأقامتها أو المديون وعلى
هذا أقسمت عليهم إقرارهم على أنفسهم (ومن يكفها فانه آثم قلبه) فإن قبل هلاك قاصر على قوله
فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجله هي الآية لا القلب وحده (أجيب) بأن كتمان الشهادة

هو أن يضمها ولا يكلم بها فلما كان أي الكتمان غامق ترفا أي محتطاً بالقلب أسند إليه لانه محل
 كتمان الشهادة واسند الفاعل الى الجارحة التي به مل بها أبلغ الأثرى أنك تقول اذا أردت
 التوكيد هذا محاماً أبصرته عيني وعماسمته أذني وعماعرفه قلبي ولأن القلب هو رئيس الاعضاء
 والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قبل فقد تمكن الاثم
 في أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولثلا يطق أن كتمان الشهادة من الاسام المتعلقة باللسان
 فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب
 أعظم من سائر أفعال الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها لا ترى ان أصل الحسنات
 والسيئات الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من أتمام
 القلوب فقد شهد له بانه من معاطم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين كبر الكبائر
 الاشرار بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة • (تبيينه) •
 آثم خبران وقليه رفع آثم على الفاعلية كأنه قبل فانه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء
 وآثم خبر مقدم والجملة خبران وقوله تعالى (والله بما تعملون علم) تهديد لانه لا يخفى عليه منه
 شيء (لله ما في السموات وما في الارض) خلقا وملاكاً قال الجلال السيوطي وعبيداً وله ذل ذكره
 بعد ملكا للآيات وهم انما لا يعقل (وان تدوا) أي تظهروا (ما في أنفسكم) من السوء
 والعزم عليه (أو تخفوه) أي تسروا (محاسنكم) أي يجزكم (به الله) يوم القيامة والاية بحجة
 على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء)
 تعذيبه وهذا صريح في نفي وجوبه وقرأ ابن عاصم وعاصم برفع الراء من يغفر ورفع الباء من
 يعذب على الاستئناف والباقيون يجز مهماعطف على جواب الشرط وادغم الراء المحرمة في
 اللام السوسى واختلف عن الدوري وقول الزحشنري ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ
 فاحشا وراويه عن أبي عمرو يعني السوسى مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب اللحن الى أعلم
 الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة
 والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا أهل النجوم ودولانه مبنى
 على القول بأن الراء انما تدغم في الراء لتكرره الفاتت بادغامها في اللام ورد بأن ذلك قراءة أبي
 عمرو وهي متواترة مع أن القول بالامتناع ادغام الراء في اللام انما هو مذهب البصريين وأما
 الكوفيون بل وبعض البصريين كابي عمرو فثالثون بالجواز كما نقله عنهم أبو حيان ونقل
 أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر صحة ادغام صارلى وصارلك عن العرب ومن حفظ بحجة على من لم
 يحفظ ووجه الجعبرى ادغام الراء في اللام بتقارب مخرجيهما على رأى سيبويه وتشاركهما على
 رأى القراء وتجانسهما في الجهر والانشراح والاستفال (واسه على كل شيء قدير) فيقدر على
 جزائكم ومحاسنكم وقوله تعالى (آمن) أي صدق (الرسول) أي محمد صلى الله عليه وسلم
 (تعالى اليه من ربه) أي من القرآن فيه شهادة وتنصيب من الله تعالى على صحة ايمانه
 والاعتداده وانه جازم في أمره غير شك فيه وقوله تعالى (والمؤمنون) عطف على الرسول

(كل) من الرسول والمؤمنين واختلف في تنوين كل فقبل تنوين عوض من المضاف اليه وقبل تنوين التمكنين قال الشيخ خالد الوقاد وهو الاصح (آمن بالله وملائكته) وقرأ (وكتبه) حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء وألف بعدها على التوحيد على أن المراد به الجنس والباقون بضم الكاف والتاء على الجمع (ورسله) يقولون (لا نفرق بين أحد) أي جمع (من رسله) فتؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى فأحد اسم لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث حيث أضيف بين اليه أو أعيد ضمير جمع اليه أو نحو ذلك فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه ويجوز أن يقدر القول مفردا باعتبار كل وانما احتيج الى التقدير لاجل قوله تعالى لا نفرق ولوقال تعالى لا يفرقون لم يحجج الى ذلك (وقالوا سمعنا) أي ما أمرنا به سماع قبول (وأطعنا) أمرنا أن نأكل (غفرانك ربنا واليك المصير) أي المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال فاشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركعوا على الركب وقالوا أي رسول الله كفنا من الاعمال ما نطيع الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قرأها القوم وذلت أسننتهم أنزل الله تعالى في أثرها آمن الرسول الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى بقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أي ما تسعه قدرتها وان شق فضلا ورجة (لها ما كسبت) من الخير أي ثوابه (وعليها ما كتبت) من الشر أي وزره فلا يتدفع بطاعتها غيرها ولا يؤخذ أحد بذنب أحد ولا بما يكسبه مما وسوت به نفسه كما يفعله تقديم الخبر وهولها وعليها من الحصر وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمتي ما وسوت به أنفسها ما لم تسلكم أو تعمل به (فان قيل) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكسب (أجيب) بأن في الاكسب اعتيالا أي اضطرارا في العمل بمبالغة واجتهادا فلما كان الشر مما تشبهه النفس وهي مجذبة اليه ومار به كانت أشد حبا واجتهادا في تحصيله وأعمال فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعمال قولوا (ربنا لا تؤاخذنا) أي لا تعاقبنا (ان نسينا أو أخطأنا) أي بما أدى بنا الى النسيان أو الخطأ من غريظ وقلة مبالاة لأن المواخذة انما هي بالمقدور والنسيان والخطأ ليس بمقدورين ويجوز أن يراد نفس النسيان والخطأ أي لا تؤاخذنا بما كما أخذت به من قبلنا قال الكلبي كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا جعلت لهم العقوبة فحرم عليهم شئ من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مواخذتهم بذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه

(فان قيل) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فامعنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما (أجيب) بأن المراد
بذكرهما ما هما مسببان عنه من التعريط والافغال ألا ترى الى قوله وما أنساه الا الشيطان
والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتعريط الذى منه
النسيان ويجوز أن يدعى الانسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته
وذكره بلفظ الدعاء على معنى الصدث بنعمة الله فيه قال الله تعالى وأما بئنة من يك فحذث
ربنا ولا تحمل علينا اصرنا) أى لا تكفنا أصرنا يتقل علينا حمله (كما حمله على الدين من قبلنا)
أى بنى اسرائيل من قتل النفس فى التوبة واخراج ربع المال فى الزكاة وقطع موضع النجاسة
من الجلود والثوب وغير ذلك قاله الكشف قال البضاوى وخمسين صلاة فى اليوم والميلة
ونسبها غيره من المفسرين الى اليهود ولتأتى بينهما اذ المراد من بنى اسرائيل هم اليهود منهم فلا
يرد على هذا ما قيل ان بنى اسرائيل لم يفرض عليهم خمسون صلاة بل ولا خمس صلوات مع أن من
حفظ حجة على من لم يحفظ (ربنا ولا تحملنا الاطاقة) أى قوة (لنابه) من البلاء والعقوبة ومن
التكاليف التى لاتقوى به الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والامساك
بالخص منه والتشديد ههنا لتعديده الفعل الى مفعول ثان لا للمبالغة (واعف عنا) أى ارح
ذنوبنا (واعف لنا) أى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة بها (وارحمنا) وتعتطف بنا
وتفضل علينا فاقنا لاثال العمل بطاعتك ولا تترك معصيتك الا برحمتك (أنت ولانا) أى سيدنا
ومتولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) بأقامة الحجّة والغلبة فى قتالهم فان من حق
المولى أن ينصر مواليه على الاعداء والمراد بالكافرين عامة الكفرة روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس فى قوله تعالى غفرنا لك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفى قوله لا تؤاخذنا
ان نسينا أو أخطأنا قال لا تؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرنا قال لأجل عليكم ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به قال لأجلكم واعف عنا الخ قال قد غفرت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم
ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين وروى مسلم وغيره
انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعن عبد الله انه قال
لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة اليها
ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا
المقدمات وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل الله تعالى آيتين أولهما آمن الرسول من
كنوز الجنة كتبهما الرحمن يده قبل أن يخلق الخلق بالثى سنة من قرأها بعد العشاء الاخرة
أجر ناه عن قيام الليل والكتابة باليد تمثيل وتصوير لاثباتهما وتذكيرهما بالثى سنة تصوير
لقدمهما لان مثل هذا يقال لطول الزمان لا للتهديد وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أوتيت
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبى قبلى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه أي عن قيام الليل أو عن كل ما يسوء وهذا
يرد قول من استنكر أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة
كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فعملوها فان تعلمها
بركة وترصكها حسرة ولن تستطيعها البطلة قبل وما البطلة قال السحرة أي أنهم مع حذقهم
لا يوفون لتعليمها أو التأمل في معانيها أو العمل بما فيها ويسموا بطلانهم ما كهم في الباطل
أو لبطلانهم عن أمر الدين والفلسطاط الخفية أو المدينة الجامعة سميت به السورة لاشتمالها
على معظم أصول الدين وفروعه والإرشاد إلى كثير من مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة
المعاد وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه رأى الجرة ثم قال من ههنا والذي لا اله الا هو
رأى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف والمصحفة
والمجادلة وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات
والارض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلاث لبال فلا
يقر به الشيطان انتهى

(سورة آل عمران مدنية)

باتفاق وآياتها مائتان وألآة وثلاثة آلاف وأربعة مائة وعشرون كلمة
وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي له صفات الكمال فاستحق التفريد بالوهمية (الرحمن) الذي سرت رحمته خلال
الوجود فشملت كل وجود بالأكرم والجود (الرحيم) لمن توكل عليه بالعطف اليه وقوله تعالى
(ألم) تقدم الكلام عليه في أول سورة البقرة (الله الا هو) لم يقطع أحد من القراء السبعة
هذه الهمزة التي في الله في الوصل وإذا وقف على الميم بدأ بالهمزة ولكن من القراء من جعل الميم
ووصل في الوصل وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين كما هو مذهب سيوبه وجهود النحاة (فان
قبل) أصل التقاء الساكنين الكسر فلم عدل عنه (أجيب) بأنهم لو كسر والكان ذلك مفصلا إلى
ترقيق لام الجلالة والمقصود تفخيمها للتعظيم فاوثر الفتح لذلك كما حر كوها في نحو من الله وأبضا
فقبل الميم ياء وهي أخت الكسرة وقبل هذه الياء كسرة فلو كسرنا الميم الأخيرة لالتقاء
الساكنين لتوالي ثلاث متجاسسات فحر كوها بالفتح وأما سقوط الهمزة فواضح بسقوطها التي
الساكنان وقبل أن هذه الفتحة ليست لالتقاء الساكنين بل هي حركة نقل أي نقلت حركة الهمزة
التي قبل لام التعريف على الميم الساكنة نحو وقد أفلح في قراءة ورش وهذا مذهب القراء وجرى
عليه انترخسرى وأطال الكلام فيه ورده أبو حيان بما يطول ذكره وقوله تعالى الله مبتدأ وما
بعده خبره وقوله تعالى (الحى القيوم) نعت له والحى هو الفعال الدال والقيوم هو القائم بذاته
والقائم بتدبير خلقه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور في البقرة
الله الا هو الحى القيوم وفي آل عمران الله الا هو الحى القيوم وفي طه وعنت الوجوه

قوله فلا يقرآن الخ
كذا في النسخ التي
هي بأيدينا وفي
الجميل إن الله عز
وجل كتب كتابا قبل
أن يخلق الخلق بألفي
عام فأنزل منه هذه
الآيات التي
ختمت بها سورة
البقرة من قرأهن
في نفسه لم يقرب
الشيطان بيته
ثلاث لبال انتهى

للهي القيوم وتنقل البندنجي عن أكثر العلماء ان الاسم الاعظم هو الله قال الكلبي والربيع
 ابن أنس وغيرهما نزلت هذه الآية في وفد نصارى نجران وكثروا ستمين راكبا قدموا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وفي الأربعة عشر ثلاثة
 نفر يؤل إليهم أمرهم العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عنه وأباه
 واجهه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم واسمه الاهيم وأبو حارثة بن علقمة حبرهم دخلوا
 مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب الحرث والحرب بن كعب
 يقول من وراءهم مارأيتا وقد امثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم يصلوا الى المشرق فكلمهم السيد
 والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالوا قد أسلما فقلت قال كذبتمانيغك
 من الاسلام ثلاثة أشياء دعاؤكم لله ولدا وعبادتكم للصليب وأكلكم الخنزير قالوا ان لم يكن
 عيسى ولدا لله فخن أبوه وخاصوه جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألسن تعلمون
 انه لا يكون ولدا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأنى
 عليه الفناء قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل
 يعلم عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألسن تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء
 قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الاما علم الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم
 كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن عيسى حمله أمه كما تحمل
 المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدا ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
 قالوا بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران البضع
 وعشرين آية منها (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن متلبسا (بالحق) أي بالصدق في اخباره
 أو بالحق المحقق أنه من عند الله وهو في موضع الحال أي محققا (مصداقا لما بين يديه) أي قبله من
 الكتب (فان قيل) كيف سمى ما مضى بأنه بين يديه (أجيب) بأن تلك الاخبار والغاية ظهورها
 وكونها موجودة سماها بهذا الاسم (وأُنزل التوراة) جملة على موسى عليه الصلاة والسلام
 (والانجيل) جملة على عيسى عليه الصلاة والسلام (من قبل) أي قبل تنزيل القرآن واختلف
 الناس في هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أو لا يدخلهما لكونهما مجموعين
 فلا ياسبب كونهما مشتقين ورجح هذا الزمخشري وقال قالوا لان هذين اللفظين اسمان عبرانيان
 لهذين الكتابين الشريفيين وقوله تعالى (هدى) حال بعضي هاديين من الضلالة ولم يشته لانه مصدر
 (لناس) أي على العموم ان قلنا تعبدون بشرع من قبلنا وهو رأي والا فالمراد بالناس قومهما
 وانما عبر في التوراة والانجيل بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضى للتكرير لانهم أنزلوا دفعة واحدة
 بخلافه وقيل ان القرآن أنزل من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا جملة واحدة ومن سماء الدنيا
 منجما في ثلاث وعشرين سنة فثبت عبر فيه بأنزل أريد الاول وأنزل أريد الثاني (فان قيل)
 ردا الاول بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب ويقول تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك

وبقوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وبقوله تعالى وبالحق أنزلناه ويرد الثاني بقوله تعالى وقال الذين كفروا للولا أنزل عليه القرآن جلة واحدة (أجيب) بأن القول بذلك جرى على الغالب (وأنزل القرآن) أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد الكتب الثلاثة ليعلم ما عداها فكأنه قال وأنزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل ولم يجمع لانه مصدر بمعنى الفرق كالغفران والكفران وقبل القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما وإظهارا لفضلها من حيث أنه يشار إليهما في كونه وحيا منزلا وتمييز بأنه معجز يفرق به بين الحق والباطل وقيل أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال تعالى وآتينا داود زبوراً قال الزمخشري وهو ظاهر ولما قرئ سبحانه جميع ما يتعلق بمعرفة الألوهية أتبع ذلك بالوعيد زجر الله عاصيه عن هذه الدلائل الباهرة فقال (إن الذين كفروا بآيات الله) من القرآن وغيره (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) أي غالب على أمره فلا يمنع شئ من انجاز وعده ووعيده (ذوات مقام) ممن عصاه والنتمة عقوبة المجرم أي يعاقبه عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها أحد (إن الله لا يخفى عليه شئ) كائن في الأرض ولا في السماء) لعلمه بما يقع في العالم من كل شئ وجرى (فان قيل) لم خصهما بالذكر مع انه عالم بجميع الاشياء (أجيب) بأنه تعالى انما خصهما به لان البصر لا يتجاوزهما (فان قيل) لم قدم الأرض على السماء (أجيب) بأنها انما قدمت ترقياً من الأدنى الى الأعلى وهذه الآية كالدليل على كونه حيا وقوله تعالى (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) أي من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وحسن وقبح وتقام ونقص وغير ذلك كالدليل على القيومية والاستدلال على أنه تعالى عالم بانقائان فعله في خلق الجنين وتصويره وفي هذا رد على وفد تخبران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله واستدلوا على ذلك بأمرهمنا العلم فانه كان يخبر عن الغيوب ويقول لهذا انك أكف في دارك كذا ويقول لذلك انك صنعت في دارك كذا ومنها القدرة وهي أن عيسى كان يحى الموتى ويرى الاكبر والارص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا فكأنه تعالى يقول كيف يكون ولد الله وقد صورته في الرحم والمصور لا يكون أب المصور ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجر النصارى عن قولهم التثليث فقال (لا اله الا هو العزيز) في ملكه وفيه اشارة الى كمال القدرة فتقدره تعالى أكمل من قدرة عيسى على الامانة والاحياء (الحكيم) في صنعه وفيه اشارة الى كمال العلم فعلمه أكمل من علم عيسى بالغيوب وأن علم عيسى ببعض الصور وقدرته على بعض الصور لا يدل على كونه الهابل على ان الله أكرمه بذلك اظهارا للمجزة وعجزه عن الاحياء في بعض الصور يوجب قطعاً علم الالهية لان اله هو الذى يكون قادر على كل الممكنات عالم بجميع الجزئيات والكميات قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغعة مثل ذلك ثم يبعث الله اله الملك أو قال يبعث اليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشق أو سعيد وقال وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق

عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فدخلها وإن أحدكم لعمله عمل أهل النار حتى ما
يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وروى أنه
صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة بعد ما تنسحق في الرحم أربعين أو خمسة
وأربعين ليلة فيقول يا رب شقي أم سعيد فيكتمان فيقول أي رب ذكر أو أنثى فيكتمان
فيكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى العذة فلا يزد فيها ولا ينقص (هو الذي أنزل عليك)
يا محمد (الكتاب) أي القرآن (منه آيات محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت عن الاحتمال
والاشتباه فهي واضحات الدلالة (هن أم الكتاب) أي أصله المعتمد عليه في الاحكام ويحمل
المتشابهات عليها وتزد عليها ولم يقل أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها
كـ الآية الواحدة وكلام الله واحد وقيل كل آية منهن أم الكتاب كما قال تعالى وجعلنا
ابن مريم وأمه آية أي كل واحد منهما آية وقوله تعالى (وآخر) نعت لمحذوف تقديره
وآيات أخر (متشابهات) أي محتملات لا يتضح مقصودها لاجال وأخالفه ظاهره إلا بالقصص
والنظر (فان قيل) لم جعل بعضه متشابهاً وهذا كان كله محكماً (أجيب) بأن في التشابه
من الابتلاء حكمة عظيمة وهي التمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وياظهر فيها فضل
العلماء ويرتد أحدهم عن الحق على أن يجتهدوا في تدبرها وتوصل إلى العلوم المتوقف عليها استنباط
المراد بها فبقينا الواجب وباتساب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات
الدرجات العلى عند الله (فان قيل) لم فرق هذين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن
محكم في موضع آخر فقال الركاب أحكمت آياته وجعل كله متشابهاً في موضع آخر
فقال الله نزل أحسن الحديث كتابه متشابهاً (أجيب) بأنه حيث جعل الكل محكماً فغناه أن آياته
حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وحيث جعل الكل متشابهاً فغناه أن آياته يشبهه
بعضها بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ * (تنبيه) * أخرج أخرى وانما لم ينصرف
لأنه وصف معدول عن الآخريات فقيه الوصف والعدل وبعاملتان تمنعان الصرف
(فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق كالمندعة (فيقبعون ما تشابه منه) أي
فيه لمقرن بظاهره أو بتأويل باطل (ابتغاء الدنئة) أي طلب أن يقتنوا الناس عن دينهم
بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) أي وطلب أن
يؤولوه على ما يشتهونه (وما يعلم تأويله) أي الذي يجب أن يعمل عليه (إلا الله والراحمون
في العلم) أي الذين يتقوا وتمكنوا فيه وسئل مالك بن أنس عن الراحمين في العلم قال العالم
العامل بما علم المتبع وقال غيره هو من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى بينه
وبين الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين
نفسه * (تنبيه) * اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الوافي قوله والراحمون
ووالعطف أي أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراحمون في العلم وهو مع علمهم

(يقولون آمنابه) وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالامنه
والراضون في العلم فائتين آمنابه وذهب الاكثرون الى أن الواو في قوله والراضون واو
الاستئناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تأويله الا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وغيرهما
وقالوا لا يعلم تأويل المتشابه الا الله ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع
عليه أحد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة وقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
وعدد الزبانية ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالايان
به وفي المحكم بالايان به والعمل وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراضين في
العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنابه قال في الكشف والاقول هو الوجه اه ووجهه شيئا
القاضي زكريا بقوله لان المتشابه على الثاني يصير الخطاب به كالخطاب بالمهمات اه ومع هذا
فالوجه هو الثاني لانه أشبه بظاهر الآية ويدل له وجوه أحدها انه ذم طالب المتشابه بقوله
تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية وثانيها انه مدح الراضين في العلم بأنهم يقولون آمنابه
به وقال في أول البقرة فاما الذين آمنوا فبعلون أنه الحق من ربهم فهو لاء الراضون لو كانوا
عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من عرف شيئا على
سبيل التفصيل فلا بد أن يؤمن به وثالثها لو كان قوله والراضون معطوفا لصار قوله يقولون
آمنابه ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة وكان الاولى أن يقال وهم يقولون أو يقال ويقولون
(فان قيل) في تصححه وجهان الاول أن يقولون خبر مبتدأ والتقدير هو لاء العالمون بالتأويل
يقولون آمنابه الثاني أن يكون يقولون حالامن الراضون (أجيب) بأن الاول مدفوع
بأن تفسير كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه الى اضممار أولى والثاني أن ذال الحال هو الذي تقدم
ذكره وهم الراضون؛ وجب أن يكون قوله آمنابه حالامن الراضون لامن الله وذلك ترك للظاهر
ورابعها قوله تعالى (كل) أي من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) معناه أنهم آمنوا بما عرفوا
تفصيله وبما لم يعرفوا تفصيله ولو كانوا عاينين بالتفصيل في الشكل لم يبق لهذا الكلام فائدة
وخامسها نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير
لايسع أحد اجهله وتفسير تعرفه العرب بالسنته وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله
تعالى وسئل مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال
الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه مدعة (فان قيل)
ما الفائدة في لفظ عند ولو قال كل من رينا لحصل المقصود (أجيب) بأن الايمان بالمتشابه
يحتاج فيه الى مزيد التأكيذ (فان قيل) لم حذف المضاف اليه من كل (أجيب) بأن دلالة على
المضاف اليه قوية فالامن من اللبس بعد الحذف حاصل (وما يذكر) بادغام التاء في الاصل
في الذال أي ما يتعذبا في القرآن (الأولوالآلآب) أي أصحاب العقول * (تبيينه) * وجه
انصال هذه الآية وأولها هو الذي أنزل عليك الكتاب بما قبلها وأولها هو الذي يصوركم
في الارحام انه لما بين أنه قيوم وهو القائم بمصالح الخلق والمصالح قسما جسماني وروحاني

فالجسماني أشرفها تعديله البنية على أحسن شكل وهو المراد بقوله تعالى هو الذي يصوركم
 في الارحام وأما الروحاني فأشرفها العلم وهو المراد بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب ولما حكى
 سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون آمنا به حكى أنهم يقولون (ربنا لا تزغ) أى
 لا تغل (قلوبنا) عن طريق الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه (بعد اذ هديتنا) وفقنا
 لدينك والايمان بالحكم والمتشابه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين أصبعين من
 أصابع الرحمن ان شاء أقامه أى القلب على الحق وان شاء أزاغه عنه رواه الشيخان وغيرهما
 وقيل لا تلبسنا لا يترغ فيها قلوبنا وعلى هذا اقتصر الراسخون ووجه بأن ما ذكر كناية أو مجاز
 اذ لا تحسن من الله الا زاغة ليستل فيها وهذا بناء على مذهبه من الاعتزال وأما مذهب أهل
 السنة فالزبغ والهداية خلق الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا قلب القلب
 والابصار ثبت قلوبنا على دينك وعن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب كرشة بأرض فلا تقلم الرياح ظهرا وابطنا (وهب لنا)
 أى أعطنا (من ذلك) أى من عندك (رحمة) أى توفيقا وتبينة للذي نحن عليه من الايمان
 والهدى أو مغفرة للذنوب (انك أنت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال
 من الله تعالى وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ ما (ربنا انك جامع الناس) أى
 تجمعهم (ليوم) أى في يوم (الآزب) أى لاشك (فيه) أى في وقوعه ومافيه من الحشر والخزاء
 وهو يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم كما وعدت وقوله تعالى (ان الله لا يخلف الميعاد) أى
 مواعده بالبعث يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام الراسخين فيكون نفسه
 التفات عن الخطاب وكانهم لما طلبوا من ربهم الصون عن الزبغ وأن يخصهم بالهداية
 والرحمة قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها متفضية وانما الغرض
 الاعظم منه ما يتعلق بالآخرة فاننا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة وعدك حق فمن
 زاغ قلبه بقى هناك في العذاب أبدا لا يادومن وفقته وهديته ورحمته بقى هناك في السعادة
 والكرامة أبدا لا ياد (تنبيه) احقق الوعيدية بهذه الآية على القطع بوقوع وعيد
 الفساق قالوا الآن الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
 وجدتم ما وعد ربكم حقا والوعد والميعاد واحد وقد أخبر في هذه الآية أنه لا يخلف الميعاد
 واجب بأن لا ننسى القول بالقطع بوقوع وعيد الفساق مطلقا بل ذلك مشروط بعدم العفو كما
 هو مشروط بعدم التوبة بالاتفاق فكأنكم أثبتتم ذلك الشرط بدليل منفصل فكذلك نحن أثبتنا
 شرط عدم العفو بدليل منفصل سلنا أنه نؤيدهم ولكن لانسلم أن الوعيد داخل تحت لفظ الوعد
 ويكون قوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا كقوله تعالى فيبشروهم بعدذاب آليم وكقوله تعالى
 ذق انك أنت العزيز الكريم فيكون من باب التهكم وذكر الواحد في البسيطة أنه يجوز أن
 يعمل هذا على ميعاد الالواء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم هذا العرب لانهم
 يعدحون بذلك كما قال القائل

إذا وعد السراء أنجز وعده * وإن وعد الضراء فالعفو مانعه

وقال الآخر أيضاً

وإني وإن أوءدته أو وعدته * لخلف أيعادى ومنجز موعدى

ولما حكى الله سبحانه وتعالى دعاء المؤمنين وتضرعهم حتى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم بقوله تعالى (إن الذين كفروا) وهو عام في الكفرة وقيل المراد بهم وفدنجران أو اليهود أو مشركو العرب (لن نقى) أى إن تنفع ولن تدفع (عنهم) أموا لهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أى من عذابه وقيل من رحمته أو من طاعته على معنى البدلية قاله البيضاوى أى على أن من للبدل والمعنى إن تقى عنهم من رحمة الله أو من طاعته شيئاً أى بدل رحمته وطاعته قال أبو حيان وأما البدلية جمهور النحاة تأباه (وأولئك هم وقود النار) أى حطبها وفى ذلك كمال العذاب لأن كماله أن يزول عنه ما ينتفع به ثم يجتمع عليه الأسباب المؤلمة فالأول هو المراد بقوله تعالى لن تقى عنهم أموا لهم ولا أولادهم فإن المرء عند الشدة يفرغ إلى المال والولد لأنهما أقرب الأمور التي يفرغ إليها في دفع النوائب فين تعالى أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا وإذا تضرع عليه الاتضاع بالمال والولد وهما أقرب الطرق فاعداً بالعدراً ولوى وتظير يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأما الثاني من أسباب كمال العذاب وهو اجتماع الأسباب المؤلمة فهو المراد بقوله تعالى وأولئك هم وقود النار وهذا هو النهاية في العذاب فإنه لا عذاب أعظم من أن تستعمل النار فيهم كاشعة إليها في الحطب اليابس وقوله تعالى (كذاب آل فرعون) أما استئناف مرفوع المحل خبر مبتدأ مضمرة تقديره دأبهم في ذلك كذاب آل فرعون وأما متصل بما قبله أى لن تقى عنهم كالمحقق عن أولئك أو وقد النار بهم كانوا قد النار بآل فرعون وقوله تعالى (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون فيكون في محل جر وقيل استئناف فيكون في محل رفع على الابتداء والخبر وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) وعلى الأول تكون هذه الجملة مفسرة لما قبلها وقوله تعالى (والله شديد العقاب) فيه تهويل للمؤاخذه وزيادة تخويف للكفرة * ولما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق فيمنعهم وقال يا معشر اليهود احذروا من الله تعالى أن ينزل بكم مثل ما نزل بقرش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يفترقك أنك أقمنا أقواماً أعماراً أى جهالاً جمع غمراً لعلمهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة وأما والله لو فالتناك لعرفت أنا نحن الناس نزل (قل) يا محمد (لندين كفروا واستغفرون) في الدنيا بالقتل والامر وضرب الجزية وقد وقع ذلك بقتل قريظة وإسلام بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم (ومحشرون) في الآخرة إلى جهنم وبئس المهاد) أى القراض والخصوص بالذم محذوف أى بئس المهاد جهنم وفي هذه الآية أخبار عن أمر يحصل في المستقبل وقد وقع خبره على من وافقته فكان هذا الخبر بالغيب فكان معجزة ولهذه المازرات هذه الآية قال لهم صلى الله عليه وسلم وعلم أن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقرأ آية الكسائي بالياء هيتم على

الغلبة والباقون بالتاء على الخطاب (فان قيل) أى فرق بين القراءتين من جهة المعنى (أجيب)
 بأن معنى قراءة التاء الامر بأن يحبرهم بما يسجى عليهم من الغلبة والخسر الى جهنم فهو اخبار
 بما سيفعلون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة
 بالياء الامر بأن يحكى لهم ما أخبر به من وعيد بلفظه كأنه قال أدايهم هذا القول الذى هو قولى
 للذين سيقبلون ويحشرون (قد كان لكم آية) أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول لكم انكم
 ستقبلون (فان قيل) لم يقل قد كانت لأن الآية مؤنثة (أجيب) بأنه انما ذكر الفعل للفصل
 بينه وبين الاسم المؤنث بليكم فان الفصل مسوغ لذلك مع المؤنث الحقيقي كقوله
 ان امرأ غره منكنت واحدة * بعدى وبعذك فى الدنيا المغرور

قال الفراء وكل ما جاء من هذا النصف هذا وجهه والخطاب لشركى قريش وقيل لليهود وقيل
 للمؤمنين (فى فئتين) أى فرقتين (التقتا) يوم بدر (فئة) مؤنثة (تقاتل فى سبيل الله) أى طاعته
 وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة
 وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية
 المهاجرين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم
 سبعون بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمزند بن أبى مرثدوا كثروا رجالة وكان
 معهم من السلاح ستة أدرع وغاية سيوف (و) فئة (أخرى كفرة) تقاتل فى سبيل الشيطان
 وهم مشركو مكة وقوله تعالى (ير ونهم مثلهم) قرأ نافع بالتاء على الخطاب أى ترى المؤمنون
 المشركين مثل المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليشبوا لهم ويوقنوا بالنصر الذى وعدهم به فى قوله
 ان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كفوا أن يقاوموا الواحد العشرة فى قوله تعالى
 ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والباقون بالياء على الغيبة أى يرى المشركون
 المؤمنين مثل عدد المشركين وكانوا سبع مائة وخمسين أو مثل عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة
 عشر (فان قيل) هذا مناقض لقوله تعالى فى سورة الانفال وبقتلكم فى أعينهم (أجيب) بأنه
 قلهم أولا حتى اجترأ عليهم فلما لا قوهم كثروا امدادامن الله تعالى للمؤمنين فى أعينهم حتى
 غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين (رأى) أى فى رأى (العين) أى رؤية ظاهرة
 مكشوفة لابس فيها عابنة كسائر المعانيات وقد نصرهم الله تعالى مع قلتهم (واقه يؤيد) أى
 يقوى (نصرهم من يشام) نصرهم كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى عين العدو (ان فى ذلك) المذكور (آية) أى
 أى حطة (لاولى الابصار) أى لذوى البصائر فلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زين للناس حب
 الشهوات) أى ما تشتهيه النفس وتدعو اليه والمزىن هو الله تعالى لا ابتلاء كقوله تعالى انا جعلنا
 ما على الارض زينة لها لنبلوهم أولا نه من أسباب العيش وبقاء النوع الانسانى أولا نه يكون
 وسيلة الى السعادة الآخرة اذا كان على وجه يرتضيه الله وقيل الشيطان هو المزىن وذهب
 اليه المعتزلة واستدلوا بقول الحسن الشيطان والله زينها لانا لانهم أحد أذم لها من خالقها وانما
 سميت شهوات مبالغة وإيحاء الى أنهم انهم مكوا فى محبتها حتى أحبوا نهبها كقوله تعالى

أحببت حب الخير والشهوة مستردة عند الحكام مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالجمية
ثم بين ذلك بقوله تعالى (من النساء) انما بدأ بين لانهم حبائل الشيطان (والبنين والفتاخير)
جمع قنطار وهو المال الكثير قيل مل مسك نوراى مل مجلده وعن سعيد بن جبيرة رضى الله عنه
القنطار مائة ألف دينار وقال ابن عباس والضحاك ألف ومائتا مثقال (المقطرة) أى الجمعة
وقال السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم وثمانين وقال الفراء المضغفة فالقناطر
ثلاثة والمقطرة تسعة (من الذهب والفضة) قيل سمي الذهب ذهباً لانه يذهب ولا يبقى والفضة
فضة لانها تنفض أى تتفرق (والخيل المسومة) أى الحسان وقال سعيد بن جبيرة الراعية
يقال أسام الخيل وسومها والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس صكا القرم والنساء
(والانعام) جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) أى الزرع
(ذلك) أى ما ذكر من النساء وما بعده (متاع الحياة الدنيا) أى يتعقب به فيها ثم يفنى (ولله عنده
حسن المآب) أى المرجع وهو الجنة فينبغى الرغبة فيما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
دون غيره من الشهوات الذوقية الفانية (فان قيل) المآب قسمان الجنة وهى فى غاية الحسن
والنار وهى خالية عن الحسن كما قال تعالى ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآباً (أجيب)
بأن المقصود بالذات هو الجنة وأما النار فمقصودة بالعرض والمقصود بالآية التهريب فى الدنيا
والترغيب فى الآخرة (قل) يا محمد لقومك (أو نبشكم) أخبركم (بمخير من ذلكم) أى المذكور
من الشهوات وهذا استفهام تقريرى * (تنبيه) * هنا همزان مختلفتان من كلمة الاولى مقنوعة
والثانية مضمومة قرأ القون بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وأدخل بينهما ما ألفا وورش يسهل
الثانية من غير ادخال ألف وينقل حركة الهمزة الاولى الى اللام من قل فتصير اللام مفتوحة
والثانية مضمومة وابن كثير كورش الا أنه لا ينقل الحركة الى لفظ القرآن وقرآن وأبو عمرو
يسهل الثانية ويدخل بينهما ما ألفا كقانون وله وجه آخر وهو عدم ادخال ألف بينهما والباقون
بتحقيقهما وقوله تعالى (الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أى
مقربين الخلود فيها اذا دخلوها كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول
هل أدلك على رجل عالم عندى رجل عالم من صفته كيت وكيت ويجوز أن تتعلق اللام بخير
وترتفع جنات على هوجنات (وأزواج مطهرة) من الحيض وغيره مما يستتقر من النساء
وقوله تعالى (ورضوان من الله) قرأه شعبة بضم الراء والباقون بكسر ها وهم الغنان الكسر
لغة الجواز والضم لغة تميم وقيل بالكسر اسم وبالضم مصدر وعن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضىتم فيقولون ما لنا الارضى
يارب وقد أعطينا ما لم نعط أحدنا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا
وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أضغط عليكم بعده أبدا * (تنبيه) * قد نبه
سبحانه وتعالى فى هذه الآية على نعمة فآذاها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله

تعالى ورضوان من الله أصح وأوسطها الجنة ونعيمها (والله بصير) أى عالم بالعباد) أى
بأعمالهم فيجازى كل منهم بعمله أو بأحوال الذين اتقوا فذلك أعد لهم جنات وقوله تعالى
(الذين) نعت للذين اتقوا وألعباد أو بدل من الذين قبله (يقولون يا ربنا آتنا) أى صدقنا
(فأغفر لنا ذنوبنا) أى استرها علينا ونجنا وزعنا (وقنا عذاب النار) * (تنبيه) * فى ترتيب سؤال
المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجرد الإيمان دليل على أن مجرد الإيمان كافى فى استحقاق
المغفرة والاستعداد لأسبابها وأسباب ما عطف عليها وقوله تعالى (الصابرين) أى على الطاعة
وعن المعصية وعلى البأساء والضراء نعت (والصادقين) أى فى إيمانهم وأقوالهم قال قتادة هم
قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا فى السر والعلانية (والقانتين) أى
المطمئنين لله (والمتقين) أى المتصدقين (والمتقنين بالاسرار) أى أواخر الليل مكان
يقولوا اللهم اغفر لنا خصلت بالذكر لأنهم اوقت الغفلة ولذة النوم وفى هذا كما قال البيضاوى
حصر لمقامات السالك على أحسن الترتيب أى الذكرى فإن معاملته مع الله أما توسل وأما
طلب والتوسل أما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحسبها على الفضائل والصبر يشملها وأما
بالبدن وهو اتقا قولى وهو الصدق وأما على وهو القنوت الذى هو لازمة الطاعة وأما بالمال
وهو الانفاق فى سبيل الخير وأما الطلب فالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجماع لها
انتهى وتوسيط الواو بين الصابرين وما بعده للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكما لهم فيها
أول تغاير الموصوفين بالصافات وتخصيص الاسرار لأن الدعاء فيها أقرب من الدعاء فى غيرها إلى
الاجابة لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والعقل أجمع لمعانى الانباط التى ينطق بها
الاسم للمتعبدين قيل انهم كانوا يصلون الى السجدة يستغفرون ويبدعون وعن الحسن كانوا يصلون
فى أول الليل حتى اذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار فذا انهم وهذا اليهم وعن أبي
هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السماء الدنيا أى
أمره كل ليلة حين يبق ثلث الليل الاخر فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب
له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له وحكى عن الحسن أن لقمان قال
لابنه يا بنى لا تكن أبغض من هذا الديك يصوت فى الاسحار وأنت نائم على فراشه وعن زيد بن أسلم
أنه قال هم الذين يصلون الصبح فى جماعة وعبر بالسحر لقربه من الصبح (شهد الله) أى بين خلقه
بالدلائل وانزال الآيات (أنه لاله) أى لا معبود بحق فى الوجود (الاهو) قال الكلبي قدم
حبران من أسباط السام على النبی صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه
ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبی صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا
عليه مر فاه بالصفة فقال لاه أنت محمد قال نعم قال لاه وأنت أحمد قال أنا أحمد وأجد قال فانا ناسألك
عن شئى فان أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال لهم اسألا قال أخبرنا عن أعظم شهادة فى كتاب الله
عز وجل فأمر الله هذه الآية فأسلم الرجلان وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خلق الله
الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الله الارواح قبل الارواح بأربعة آلاف سنة

فشهد لنفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بحر ولا جوف فقال
 شهد الله أنه لا اله الا هو (و) شهد بذلك (الملائكة) أى أقربوا بذلك (و) شهد بذلك (أولو العلم) أى
 بالايان بذلك والاحتجاج عليه (فان قيل) ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم الله تعالى هذا العظيم
 حيث جمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله (أجيب) بأن المراد بهم أنهم
 الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالجميع الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد
 من الانبياء والمؤمنين وفيه دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وقوله تعالى (فأثما) أى
 يتدبره مصنوعاته حال من الله وانما جازا افراده تعالى به العدم اللبس وان اختلف فى جاءنى زيد
 وعمروا بكافة منعه الزمخشري وتبعه البيضاوى وجوزوه أبو حيان وقال يحمل على الاقرب
 كما فى الومف فى نحو جاءنى زيد وعمرو والطويل أوصال من هو والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد
 (بالقسط) أى بالعدل وقوله تعالى (لا اله الا هو) كزول التاكيد ومن زيد الاعتناء بمعرفة أدلة
 التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجج وليبنى عليه قوله تعالى (العزيز) أى فى ملكه (الحكيم)
 أى فى صنعه فيعلم انه الموصوف به ما وقدم العزيز لان العزة تلائم الوحداية والحكمة تلائم
 القيام بالقسط فأتى به ما لتقرير الامر من على ترتيب ذكرهم اورفعه ما على البدل من الضمير
 الاقرأ أو الشانى أو على الخبر المحذوف وعن أبى غالب القطان قال أثبت الكوفة فى تجارة
 فزلت قريسا من الاعمش وكنت أختلف اليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنهدد الى البصرة
 فقام من الليل يتجسس فترى هذه الآية أى شهد الله الى آخرها ثم قال الاعمش وأنا شهد بما شهد
 الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى فى عندنا الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها امرأ
 قلت لقد سمع فيها نصيبت معه وودعته ثم قلت انى سمعتك ترددها فبالغت فيها قال والله
 لا أحذرك بها الى سنة فمكنت على باب ذلك اليوم وأقت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد
 مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء
 بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا
 عبدى الجنة روى هذا الحديث الطبرانى والبيهقى لكن بسند ضعيف وقوله تعالى (ان الدين)
 أى المرضى (عند الله) هو (الاسلام) جملة مستأنفة وكدة للاولى أى لادين مرضى عند الله
 سوى الاسلام وهو الشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً وقال تعالى
 ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وقرأ الكسافى بفتح همزة
 ان قيل على أنه بدل من أنه الخ بذكر اشتغال وضعفه أبو حيان لان فيه فصلا بين البدل والمبدل منه
 بأجنبي قال والصواب انه معقول الحكميم باسقاط الجار أى الحكميم بأن الدين والباقون بكسرهما
 على الاستثناف (وما اختلفت الدين أو بآ السكاب) أى من اليهود والنصارى وقيل من أرباب
 الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاة آخرون
 مطلقاً وفى التوحيد فقلت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا نكأ حق بأن تكون
 النبوة فينا من قريش لانهم أميون ونحن أهل الكتاب (الامن بعد ما جاءهم العلم)

بالتوحيد انه الحق الذي لا يحمد عنه (بغيا) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بذهب
 وهو لا بذهب الاحسد (بينهم) وطلب الرئاسة وقيل هو اختلاف في نبوة محمد صلى الله عليه
 وسلم من بعد ما جاءهم العلم ببيان بعثته في كتبهم حيث آمن به بعض وكفروه بعض وقيل هو
 اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بعيسى ومنهم من آمن بهيسى ولم يؤمن بيقينة الانبياء
 وقوله تعالى (ومن يكفربايات الله فان الله سميع الحساب) أى المجازاة وعيد لمن كفر منهم
 (فان حاجوك) أى جادل الذين كفروا يا محمد في الدين (فقل) لهم (أست وجهى لله) أى
 أخلصت نفسى وجهلى لله وحده لم أجعل فيه سماعا لغيره شر كإيمان أعبد ولا أدعو الهامعه يعنى
 أن دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبت عندكم صحتكم كالثابت عندى وما جئت بشئ
 مبتدع حتى تجادلونى فيه وخص الوجه بالذكور لشرفه فهو تعبير عن جله الشخص بأشرف
 أجزائه الظاهرة وقوله تعالى (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت وحسن لأفصل ويجوز
 كما قال فى الكشاف أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معاى نظرا إلى أن المشاركين
 المتعاطفين فى مطلق الاسلام أى الاخلاص لافيه بغير وجهه حتى يتسع ذلك لاختلاف
 وجههم ما (وقل للذين آمنوا والكتاب) وهم اليهود والنصارى (والأمتين) أى الذين لا كتاب لهم
 وهم مشركو العرب (أأسلمتم) أى فهل أسلمتم كما أسلمت أنا فقد آمنتم من البيئات ما يوجب الاسلام
 ويقضى حصوله للمحالة أم أنتم بعد على الكفر وهذا كقولك إن خلصت له المسئلة ولم تبق من
 طرق البيان واكتشف طريقا لاسلكته هل فهمتها وفى هذا الاسئلة فهم استقصا وتعبيرا بالمعانة
 وقوله الانصاف لان المنصف اذا انحلت له الحجة لم يتوقف ادعانا للعق وكذلك فى هل فهمتها توابع
 بالبلادة وقيل المراد بالاستفهام هنا الامر أى أسلموا كما قال تعالى فهل أنتم منتهون أى انتهوا
 (فان أسلموا فقد اهتدوا) أى نفعلوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة
 الى النور فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا فقال لليهود
 أنتم هودون أن عيسى كلف الله وعبدوه ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أنتم هودون أن عيسى
 عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبد ا فقال عز وجل (وان تولوا) أى عن
 الاسلام لم يضروك (فانما عليك البلاغ) أى فانك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه
 على طريق الهدى وقد بلغت وليس اليك الهداية (والله بصير بالعباد) أى عالم بمن يؤمن ومن
 لا يؤمن فيجازى كل منهم بعمله وهذا قبل الامر بالقتال (ان الذين يكفرون بايات الله وقتلون
 النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) أى بالعدل (من الناس) وهم اليهود قتل أولهم
 الانبياء وقتلوا أنبياءهم ومن فى عصره صلى الله عليه وسلم كفروا به وقصدوا قتله صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنين لكن الله تعالى عصهم وعن أى عبدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى
 الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر وروى أنهم
 قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فمنهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلواهم من يومهم وخبرنا (فبشرهم)
 أى أعلمهم (بعذاب أليم) أى مؤلم وذكر البشارة تمكهم بهم (فان قبل) لم أدخل القام فى خبرنا مع أنه

لا يقال ان زيدا فقام (أجيب) بأن الموصول متضمن معنى الشرط فكأنه قيل الذين يكفرون
فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم (أولئك الذين حبطت أعمالهم) أى ما عملوه من خير كصدقة
وصلة رحم (في الدنيا والآخرة) فلا يعتد بهم لعدم شرطها (ومألهم من ناصرين) أى مانعين عنهم
العذاب (أم تر) أى تنظر (الى الذين أوفوا نصيبا) أى حظا (من الكتاب) أى التوراة أو جفرت
الكتب السماوية ومن لا تبعيض أو البيان قال البيضاوى وتكبر النصيب بحقل التعظيم والتحقير
انتهى أما التعظيم فظاهر وهو ما اقتصر عليه الرخصى وأما التحقير فنبه نظر اذ النصيب
المراد به الكتاب أو بعضه لاحقارة فيه وقد يقال ان تحقيره بالنسبة اليهم حيث لم يمدوا به
(يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعى هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن
أو التوراة واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس أى موضع صاحب
دراسة كتبهم على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعمين بن عمرو والحارث
ابن زيد على أى دين أنت قال دين ابراهيم فقال له ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمهلوا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فأبى عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية
وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رجلا وامرأة من أهل
خير زينا وكان فى كتابهم الرجم ففكر هو ارجهما لشرهما فمفهم فرفعوا أمرهما الى النبي صلى
الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فيحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى
وعدى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينى
وبينكم التوراة قالوا قد أنصفتنا قال فى أعلمكم بالتوراة قالوا رجل يقال له عبد الله بن سوريا
فأرسلوا اليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ
فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن
سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اليهودان المحسن والمحصنة اذ اذينا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت حبلى تبرص حتى تضع
ما فى بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فربحوا فغضب اليهود وانصرفوا فأنزل
الله عز وجل هذه الآية (ثم يولى فريق منهم) وأتى بتم لاستبعاد أوليهم مع علمهم بأن الرجوع
الى كتاب الله تعالى واجب للتراخي فى الزمان اذ لا تراخي فيه وقوله تعالى (وهم معروضون)
أى عن قبول حكمه جله حاله من فريق وانما ساغ تخصيصه بالصيغة (ذلك) إشارة الى ما ذكر
من التولى والاعراض (بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم (ان نغشنا النار الا أيام معدودات) أى
قالوا ذلك بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد المائل والطمع الفارغ عن
حصول المطموع فيه وهو الخروج من النار بعد أيام قليلة وهى أربعة يوم أو مائة عبادة
آبائهم المجل ثم نزول عنهم (وغرهم فى دينهم) والغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شئ
(ما كانوا يفترون) أى من أن النار لن تحسبهم الا أياما قلائل وأن آبائهم الانبياء يشفعون لهم

أولاه تعالى وعدي يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم * (تنبيه) * في دينهم متعلق بقرآنهم ولا يصح تعلقه بغيره فيمترون خلافا للسيوطي لأن ما قبل الموصول لا يتعلق بما بعده (فكيف) حالهم أو فكيف صنعهم (إذا جعناهم ليوم) أي في يوم (الآزب) أي لا تلك (فيه) وهو يوم القيامة وفي ذلك استعظام لما يجيبهم في الآخرة روي أن أقول راية أي علم ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فينفخهم الله تعالى على رؤس الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار (ووفيت كل نفس) أي من أهل الكتاب وغيرهم جزاء (ما كسبت) أي عملت من خير أو شر وفي ذلك دليل على أن العباد لا تقبض وأن المؤمن لا يحد في النار وأن دخلها إلا نوبة إيمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فإذا هي بعد الخلاص ان دخلها (وهم لا يظنون) أي بنقص حسنة أو زيادة سيئة * (تنبيه) * ذكر ضمير وهم لا يظنون وجعها باعتبار معنى كل نفس لأنه في معنى كل إنسان ولم افصح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أئمة ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيأت هيأت من ابن لمحمد ملك فارس والروم أول يكف محمد مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فأنزله الله سبحانه وتعالى (قل اللهم) أي يا الله والميم عوض عن ياء النداء ولذلك لا يجتمعان والتعويض من خصائص هذا الاسم كما اختص بدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وكما اختص بدخول نال القسم عليه وأما قولهم ترب الكعبة فنادر (مالك الملك) أي مالك العباد وما ملكوا قال الله تعالى في بعض الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تفتنوا بآيات الله بآيات الملوك ولكن توبوا إلى أعظفهم عليكم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بينكم فتوقى أي في الدنيا (من تشاء) من خلقك (وتتزعج الملك عن تشاء) منهم وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم وقال الكلبي توقى الملك لمحمد وأصحابه ونزعهم من أبي جهل وصناديد قريش وقبل نؤبته لا دم وذريته ونزعهم من أبيس وجنوده (وتعزم من تشاء) من خلقك وقيل لمحمد وأصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها (وتذل من تشاء) منهم وقيل أبا جهل وأصحابه حزت رؤسهم وألقوا في القليب وقيل تعزم من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعزم من تشاء بالقناعة وتذل من تشاء بالحرص والطمع وقيل تعزم من تشاء بالتعبد وتذل من تشاء بترك (يدلك) أي بقدرتك (الخبر) أي والشرواقتصر على الأقل لمسايرة الأدب في الخطاب أو كما كني بذلك راجعاً إلى أحد المقابلين كما في قوله تعالى سراييل تقيمكم الحرأى والبرأ ولأن الكلام وقع فيه أذرى البهيقي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم لما خطب الخندق وقطع لكل عشر أربعين ذراعا وأخذوا بحفرون فظهر فيه حفرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا السلطان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء وأخذ المعاول منه ففرض بها ضربة قصدوها وبرق منها برق أضواء ما بين لا يتيها أي المدينة فكان بها مصمما حاجبا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضواءت لي منها قصي والحيرة كأنها

أنياب الكلاب أى فى يسافها وصفرتها وانضمها الى بعض واللائتان حترتان يكتشفانها
 والحرة كل أرض ذات حجارة سوداء كأنهم محترقة من الحر ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها
 القصور المحرمة من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبريل
 أن أمتى ظاهرة على كلها أى الاراضى التى أضاءت فأبشروا فقال المنافقون ألا نهجمون
 عنكم أيها المؤمنون ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يصرون يثرب أى المدينة قصور الحيرة وأنها تفتح
 لكم وأنتم أنتم تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف ففزت ونبه أيضا على أن الشريعة بقوله
 (انك على كل شئ قدير) والشرشى ثم عقب ذلك ببيان قدرته على تعاقب الليل والنهار والموت
 والحياة وسبعة فضله فقال (توبخ) أى تدخل (الليل فى النهار) حتى يكون النهار خمس
 عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتوبخ) أى تدخل (النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس
 عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وتخرج الحى من الميت)
 كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (وتخرج الميت من الحى) كالنطفة من الانسان
 والبيضة من الطائر وقال الحسن وعطاء تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن
 فالؤمن حى القواد والكافر ميت القواد قال الله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وقال الزجاج
 تخرج النبات الغض الطرى من الحب اليابس وتخرج الحب اليابس من النبات الحى
 النامى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة الميت بسكون الياء والباقيون بكسر الياء
 مشددة (وترزق من تشاء بغير حساب) أى رزقا واسعا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فاتحة الكتاب آية الكرسي والآيتين من آل
 عمران شهد الله الى قوله إن الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب
 معلمات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب قلن يا رب تهطلنا الى أرضك والى من يعصيك قال الله
 عز وجل لى خلقت لا يقرأ كنى أحد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مشوا على ما كان فيه
 ولا سكنته حظيرة قدسى ولا تنظرن اليه بمعنى المكتوبة كل يوم سبعين مرة ولا قضين له كل يوم
 سبعين حاجة أدناها المغفرة ولا عبيدته من كل عدو وحاسد ولا نصرته منه (لا يتخذ المؤمنون
 الكافرين أولياء) يوالونهم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما زلت فى المنافقين عبد الله بن
 أبى راء صحابه كانوا يولون اليهود والمشركين ويأفونهم بالاخبار يرجون أن يكون لهم الظفر
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين أن يوالوا الكافرين
 اقربا بينهم أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك من الاسباب التى تصادق بها وعاشر وقوله
 تعالى (من دون) أى غير (المؤمنين) إشارة الى أنهم الاحقاق بالاولاد والأولاد فى والاتهم
 مندوحة عن موالاة الكفرة والهبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان
 (ومن يفعل ذلك) أى يوالى الكفرة (فليس من الله) أى من ولاية الله (فى شئ) يصح أن يسعى
 ولاية شرعية فان ولاية المتعادين لا يجتهدان لما بينهما من التضاد كما قال القائل
 فليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى فى المغايب

تَدْعُ دَقَى ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي * صَدِيقُ لَيْسَ النُّوْلُ عَنْكَ بِعَازِبٍ

بَعَيْنٍ مَهْمَلَةٍ وَرَأَى أَيْ بَغَائِبَ وَالنُّوْلُ بَضْمُ الذُّنُونِ الْحَقِّ وَالْجَنُونِ ثُمَّ اسْتَنْفَى فَقَالَ (الْأَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ نِقَاةً) أَيْ الْأَنْ تَخَافُوا مِنْهُمْ مَخَافَةً فَلَكُمْ مَوَالِيَهُمْ بِالسَّانِ دُونَ الْقَلْبِ كَمَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُنْ وَسْطاً أَيْ فِي مَعَاشِرَتِهِمْ وَمَخَافَتِهِمْ وَامْسُجِبْهُ أَيْ مِنْ مَوَاقِفَتِهِمْ فِيمَا يَأْمُرُونَ وَيَنْهَوْنَ وَهَذَا قَبْلَ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَيَجْرِي فِي بَلَدِ لَيْسَ قَوِيًّا فِيهَا قَالَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَمُجَاهِدٌ كَانَتْ التَّقِيَّةُ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ الدِّينِ وَقُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فَالَيْسَ يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَّقُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ (وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ) أَيْ يَحْذَرُكُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِمْ إِنْ وَابَتْهُمُ (وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرَ) أَيْ الْمَرْجِعَ فَيَجْازِيكُمْ فَلَا تَعْتَرِضُوا السُّلْطَانَةَ بِأَحْكَامِهِ وَمَوَالِيَهُ أَعْدَائِهِ وَهُوَ تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ مَشْعُرٌ بِتَنَاهَى الْمُنْهَى عَنْهُ فِي الْقَبِيحِ وَذِكْرُ النَّفْسِ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْهَذَرَ مِنْهُ عِقَابٌ بِصَدْرِهِ فَلَا يَلِيَّ لَهُ عِنْدَهُ بِمَا يَحْذَرُ مِنَ الْكُفْرَةِ (قُلْ) لَهُمْ بِمَا يَحْجِدُ (أَنْ تَحْقُقُوا مَا فِي صَدْرِكُمْ) أَيْ قُلُوبِكُمْ مِنْ مَوَالِيَةِ الْكُفَرَاءِ وَغَيْرِهَا بِمَا لَا يَرْضَى اللَّهُ (أَوْ تَبْدُوهُ) أَيْ تَظْهَرُوهُ (يَعْلَمُ اللَّهُ) وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَجْازِيَكُمْ بِهِ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ أَنْ نَسْرَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّكْذِيبِ أَوْ تَظْهَرُوهُ بِجَرَبِهِ وَقِتَالِهِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ (وَهُوَ الَّذِي) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فَطَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سِرُّكُمْ وَعَلَانِيَتُكُمْ (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى عِقَابِكُمْ أَنْ تَمْتَنُوا بِعَمَلِنَايَتِهِمْ عَنْهُ وَهَذَا بَيَانُ اقْوَالِهِ تَعَالَى وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ لِأَنَّ نَفْسَهُ مَتَّصِفَةٌ بِعَلَمٍ ذَاتِي عِلْمٍ بِأَلَمِهَا أَوْ قُدْرَةٍ ذَاتِيَّةٍ تَعْمُ الْمُسْتَدَوْرَاتِ بِأَسْرَافِهَا فَلَا تَعْمُوهُ إِذَا مِنْ مَعْصِيَةِ الْوَالِدِ وَهُوَ مُطْلَعٌ عَلَيْهِمْ لِأَسْخَالَةِ قَادِرٍ عَلَى الْعِقَابِ بِمَا رَوَى عَنْهُ بَعْضُ عِبِيدِ السُّلْطَانِ أَنَّهُ أَرَادَ الْأُطْلَاعَ عَلَى أَحْوَالِهِ بِأَنْ يُوَكَّلَ مِنْ يَحْسَسُ عَنْ مَوَاطِنِ أُمُورِهِ لِأَخْذِ حَذَرِهِ مِنْهُ كُلِّ الْخَذَرِ فَبَالَ مِنْ عِلْمِهِ أَنَّ الْعَالَمَ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى مَهِينٌ عَلَيْهِ وَهُوَ آمَنُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ وَذَلِكَ مَنْ اغْتَرَا زَانًا بَسْرًا لَوْ أَنَّكَ الْبِقِطَّةُ مِنْ سَنَةِ الْغَفْلَةِ (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا) نَصَبَ يَوْمَ يَضْمُرُ نَحْوًا ذَكَرَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا عَمِلَتْ) أَيْ عَمَلَتْ (مِنْ سُوءٍ) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ (تُؤْذِلُونَ أَنْفُسَهُمْ) أَيْ النَّفْسَ (وَبَيْنَهُ) أَيْ السُّوءَ (أَمْ دَابِعِيدًا) أَيْ غَايَةً فِي نَهَايَةِ الْبُعْدِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا وَكَثُرَ رَسْمَانُهُ وَتَعَالَى (وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ) قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ لِلتَّنَادُ كَيْدًا وَالتَّذْكِيرُ وَقَالَ التَّفْتَازَانِيُّ الْإِحْسَنُ مَا تَمِيلُ أَنْ ذَكَرَهُ أَوَّلًا لِلْمَنْعِ مِنْ مَوَالِيَةِ الْكُفَرِيِّينَ وَثَانِيًا لِلتَّحْذِيرِ مِنَ عَمَلِ الشَّرِّ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَاللَّهُ رُوفٌ بِالْعِبَادِ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى إِتْمَانُهُمْ وَحَذَرُهُمْ رَافِقُهُمْ وَمُرَاعَاةُ إِصْلَاحِهِمْ وَعَنِ الْحَسَنِ مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ أَنْ حَذَرَهُمْ نَفْسَهُ وَقَرَأَ أَبُو جَرُّوهُ وَشُعْبَةُ وَحِزَّةٌ وَالْكَسَايُ رُوفٌ بِقَصْرِ الْهَمْزَةِ وَالْبَاقُونَ بِالْمُتَوَرِّشِ عَلَى أَصْلِهِ فِي الْمَدِّ وَالتَّوَسُّطِ وَالْقَصْرِ وَفَزَلَ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَيْثُ قَالُوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (قُلْ) لَهُمْ بِمَا يَحْجِدُ (أَنْ كُنْتُمْ تَحْبُونُ) اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يَحْبِبْكُمْ اللَّهُ (وَقَالَ الضَّعَالِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَرِيشٍ وَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَقَدْ نَصَبُوا أَصْنَامَهُمْ وَعَلِقُوا عَلَيْهَا بَيْضَ النَّمَامِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ لَهَا) قَالَ يَاعِشِرَ قَرِيشَ وَاللَّهِ لَقَدْ خَالَفْتُمْ مِلَّةَ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَآدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ قَرِيشُ إِنَّ غِنَاءَهُمَا

حب الله تعالى ليقتر بونا الى الله زاني فقال الله تعالى قل اللهم يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون
 الاصنام لتقتر بكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فأرسله اليكم وحجته عليكم أي اتبعوا شريعتي
 وسنتي يحببكم الله فلب المؤمن لله اتباعهم أمره وايدار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله
 للمؤمنين ثناء عليهم وثواب لهم وعقوبة عنهم فذلك قوله تعالى (وبغفر لكم ذنوبكم والله غفور)
 لمن اتبعني ماسلف من ذنبه قبل ذلك (رحيم) به وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عملهم فمن ادعى محبته وخالف
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكذب الله بكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصدق
 بيده مع ذكره وطرب يسير ويصدق فلاشك أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفقه
 وطربه ونعته وصعقته الا لا تصور في نفسه الخبيثة صورة مستحقة معشقة فسماها الله سبحانه
 وادعائه ثم صفق وطرب ونعر وصعق عند تصورها وبعارأت المني قدماً لا ازار ذلك المحب عند
 صعقته وحق العامة حواله قدما لو اذفانهم بالدموع لمارأ ومن حاله * ولما نزلت هذه الآية
 قال عبد الله بن أبي لهابة ان محمداً يجعل طاعته كطاعة الله يأمرنا أن نعبه كما أحب النصارى
 عيسى نزل قوله تعالى (قل) لهم (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما يأمركم به من التوحيد (فان قولاً)
 أي أعرضوا عن الطاعة (فان الله لا يحب الكافرين) أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم وانما أتى
 بالظاهر ولم يقل لا يحبهم لتعدد العموم والدلالة على ان التولي كفر وإن هذه الخبيثة ينبغي محبة
 الله وأن محبة مخصوصة بالمؤمنين ولما أوجب الله سبحانه وتعالى طاعة الرسل عليهم الصلاة
 والسلام وبين أنها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضاً على الطاعة فقال تعالى
 ان الله اصطفى (أي اختار) آدم ونوحاً وآل ابراهيم وهم اسميل واسحق ولدهما بالرسول
 وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهرون ايشاعمران
 ابن يصر (على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك هووا على ما لم يقو
 عليه غيرهم وبهذه الآية استدلل على فضل الرسل على الملائكة وقيل آل عمران عيسى وأمه
 مريم بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين ألف وغائنة سنة وقيل آل ابراهيم وآل عمران
 أنفسهما وقوله تعالى (ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضهما من) ولد (بعض) منهم
 وقيل بعضهما من بعض في الدين والذرية تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى (والله سميع)
 لاقوال الناس (عليهم) بأحوالهم فيصطفى من كان منهم مستقيماً القول والحال واذا كرر (اذا قالت
 امرأت عمران) وهي حنة بنت فاقدوا ثم مريم وعمران هو عمران بن ماثان رئيس بني اسرائيل
 وليس هو عمران أباموسى وهرون اذ كان بين العمرانين ألف وغائنة سنة كما مر وكان بنو ماثان
 رؤس بني اسرائيل وأخبارهم ومولوكهم (فائدة) رسمت امرأه بالنساء المجرورة ووقف ابن كثير
 وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء ووقف الكسائي بالفتح والامالة واذا وقف حمزة
 سهل الحمزة وروى أن حنة كانت عاقراً فجوزا فينهاى في ظل شجرة اذ رأت طائراً يطعم فرخه
 فحنت الى الولد ونسته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكر ان رزقتني ولداً ان أتصدق به على بيت

المقدس فيكون من خدمه فعملت فلما أحست بالجل قاتت يا (رب اني نذرت) أن أجعل (لك)
 مافي بطني محررا) أي عسقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بتك المقدس وكان هذا النذر
 مشروعا في عهدهم في الغلمان فقال لها زوجها ويحك ما صنعت أ رأيت ان كان مافي بطنك
 أننى لا تصلح لذلك فوقعنا جميعا فيهم من ذلك وهلك عمران وحسنه حامل بعرىم (فتقبل منى)
 مائذرتة (انك أنت السميع) لقولى (العليم) بنيتى (فلما وضعتها) أى ولدتها جارية والضمير لما
 في بطنها وانما أنت على المعنى لأن مافي بطنها كان أننى في علم الله وأعلى تأويل النفس أو النعمة
 ولم يكن يحزر والا الغلمان وكانت ترجو أن يكون غلاما ولذلك نذرت تحريره (قالت) معذرة
 يا (رب اني وضعتها أننى) * فان قيل كمف جازا تصاب أننى حالا من الضمير في وضعتها وهو
 كقوله وضعت الانثى أننى (أجيب) بأن الاصل وضعته أننى وانما أنت لتأنيث الحال لأن الحال
 وصاحبها بالذات واحد وأما على تأويل النفس أو النعمة فهو ظاهر كأنها قالت اني وضعت
 النفس أو النعمة أننى (والله أعلم) أى عالم (بما وضعت) قرأ ابن عامر وشعبة بسكون العين وضم
 التاء فيكون من كلامها قالت تسليمه لنفسها أى ولعل لله فيه سر أو حكمته ولعل هذه الانثى خير
 من الذكر وقرأ الباقر بن بفتح العين وسكون التاء فيكون من كلام الله تعالى تعظيما لوضوعها
 وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها من معناه والله أعلم بالانثى التي وضعت وما عاقبه من عظام
 الامور وأن يجعلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فذلك تحسرت وقرأ أبو
 عمرو والله أعلم بسكون الميم واخفاؤها عند الباء بخلاف عنه والباقر بن الاظهار وقوله تعالى
 (وليس الذكر كالانثى) بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه
 ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيها للعهد أمامه ودلام الانثى
 فنى قولها اني وضعتها أننى وأمامه ودلام الذكر فنى قولها محررا ويجوز أن يكون معنى
 قولها وليس الذكر كالانثى أى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت لما يعترى الانثى
 من الحيض والنفس فتكون اللام للجنس وقوله تعالى (وانى سميتها مريم) عطف على اني
 وضعتها أننى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما ذكرت
 ذلك لربما تقر بالية وطلب الان بعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقة لاسمها فان مريم
 في افقهم معنى العابدة * (تنبيه) * في قوله تعالى حكاية عنها سميتها مريم دليل على ان الاسم
 والمسمى والتسمية امور متغايرة أو معنى سميتها مريم جعلت اسم المولود مريم (وانى أعيدتها)
 أى أعيدتها (بك) أى بحفظك (وذريتها) أى أولادها (من الشيطان الرجيم) أى المطرود روى
 الشيطان مامن مولود يولد الامسه الشيطان حين يولد فيستهل صارحا الامر مريم وابنها ولا يعد
 كما قال الطيبي اختصاص عيسى وأمه بهذه الفضيلة دون الانبياء لجواز ان يمكن الله تعالى
 الشيطان من مسهم مع عصمتهم من الاغواء ولا يمنع كما قال التفاتى أن ينس الشيطان المولود
 حين يولد بحيث يصرخ كما ترى وتسمع وليست تلك المسئلة للاغواء ليدفع أنه لا يتصور في حق
 المولود حيث يولد وحينئذ تقول البيضاء معنى ان الشيطان يطامع في اغواء كل مولود أى

لا يسميه فيه اخراج الحديث عن ظاهره وتبع فيه المخشري وهو ما سلكه المعتزلة حيث أنكروا
 هذا الحديث وقد حووا في صحته لان الشيطان انما يدعو الى الشر من له تميز وعن أبي هريرة رضى
 الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعيه
 حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب بطعنه وطعنه في الحجاب (فقط لها ربهما) أى قبل مريم من أمها
 ورضي بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
 في النذر ولم يقبل قبلها أنى (وأثبتها بنا نأحسنا) أى أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم
 كما ينبت المولود في العام (وكفلها زكريا) قرأ عاصم وحذو والكسائي بتشديد الفاء وقصروا
 زكرا يا غير عاصم في رواية ابن عباس على أن القاعل هو الله تعالى وزكرا مفعول أى جعله كافلا
 لها وضمنا لمصالحها فلا بد من تقدير مضاف في الآية وهو مصالح لان كفالة البدن لا معنى لها
 وقرأ الباقون بتخفيف الفاء ومدوا زكرا مرفوعا على القاعلية روى أن حنة لما ولدت مريم لم يفتحها
 في خرقه وجلتها الى المسجد الاقصى ووضعتهما عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
 فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم الاعظم في العلم والصلاح فقال زكريا أنا حق به الامانة خالتهما عندي
 فقالت الاحبار لا تنقل ذلك فانهم الوترت لاحق الناس به التركت لأمها التي ولدتها الكائنات
 عليها فتكون عندهم من خرج سهمه وكانوا تسعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر الاردن وألقوا
 فيه أقلامهم على أن من ثبت قلبه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلب زكريا فأخذها وضماها
 الى خالته أم يحيى حتى اذا شئت وبلغت مبلغ النساء بنى لها غرفة في المسجد وجعل بابها في وسطه
 لا يرق اليه الا بالسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكها
 الشتاء في الصيف وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى (كلم داخل عليها زكريا المحراب)
 أى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال أيضا للمسجد
 محراب قال المبرد لا يكون المحراب الا أن يرقى اليه بدرج (وجد عند هارزقا) قال الريح بن
 أنس كان زكريا اذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها غرقتها وجد عندها فاكهة
 الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فاذا وجد عندها ذلك (قال يا مريم أتى لك هذا)
 أى من أين لك هذا الرزق الا ترى في غيرا وأنه والابواب مغلقة عليك (قالت) وهى صغيرة (هو
 من عند الله) يأتيني به من الجنة قيل تكلمت في المهد وهى صغيرة كما تكلم انهما عنى وهو
 صغير في المهد ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة وفي هذا دليل وأى دليل على
 كرامة الاولياء وليس ذلك معجزة زكريا كما زعم جماعة لان ذلك مدفوع باشباه الامر عليه حتى
 قال لها أتى لك هذا ولو كان معجزة له لا داعاها وقطع به لان النبي شأنه ذلك ويدل عليها غير ذلك
 كقصه أصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين عددا بلا طعام ولا شراب وقصة آصف من
 اتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ورؤية عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر
 جيشه بنها وندين قال ياسارية الجبل وسماع سارية ذلك وكان بينهما مسافة شهر وشرب خالد
 رضى الله عنه السم من غير أن يضره وبالجملة فكرامات الاولياء حتى ثابتة بالكتاب والسنة

وليس عجيب انكارها من أهل البدع والاهواء اذا لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوها به من
 رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء فوق عوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يزعمونهم
 ويسمونهم بالجهلة المتصرفون ولم يعرفوا أن مبنى هذا الامر على صفاء العقيدة ونقاء السيرة
 واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة وانما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال فيما روى
 عن ابراهيم بن ادهم أنهم رأوا بالصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم عكة ان من ائمة تدجوا وذلك
 يكفر والانصاف ما ذكره الامام القسني حين سئل عما يحكي أن الكعبة كانت تزور بعض الاولياء
 هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند أهل السنة وروى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم جامع في زمن فاطمة فاهدت له فاطمة رضى الله تعالى عنها رغيفين وبضعة
 لحم في طبق فغطى أثره به فرجع بذلك اليها وقال هلي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مخلوع
 خبزها ولما فيهنت وعلمت ان ذلك نزل من عند الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أفى لك
 هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال لها عليه الصلاة والسلام الحمد
 لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع صلى الله عليه وسلم عليا والحسن والحسين
 وجميع أهل بيته فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها فهدت كرامة
 لفاطمة رضى الله تعالى عنها وفي هذه الرواية دليل على أن قوله تعالى (ان الله يرزق من يشاء بغير
 حساب) أى رزقا واسعا بلا تبعه من كلام مريم رضى الله تعالى عنها ويحتمل أن يكون من كلام
 الله تعالى ولما رأى زكريا كرامة مريم ومنزلتها عند الله قال ان الذى قدر على أن يأتى مريم
 بالنفاس كهيئة غير حنينها من غير سبب قادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا فى غير حنينه على
 الكبر فطمع فى الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد
 قال الله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) أى فى ذلك المكان أو الوقت قال الزمخشري قد
 نستعار هنا ونم وحيث للزمان أى لمشابهة الزمان للمكان فى الظرفية فاستعير له فدخل زكريا
 المحراب وناجى ربه فى جوف الليل (قال) يا رب هب لى أى اعطنى (من لدنك) أى من عندك
 (ذو به طيبة) كما وهبها لحنة العجوز العاقرا أى ولدا مباركا تقيا صالحا راضيا والذرية يكون
 واحدا وجهاد كراواتى وهو هنا واحد دليل قوله نهى لى من لدنك وليا يرثى وانما قال طيبة
 لتأنيث لفظ الذرية (انك سمع) أى بحبيب الدعاء لمن دعا فلا ترد فى حائبا (فنادته الملائكة)
 أى جنسهم كقولهم فلان يركب الخيل فان المنادى كان هو جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي
 فناداه بالامالة والتذكير والباقون بالتاء (وهو قائم يصلى فى المحراب) أى المسجد وذلك ان
 زكريا كان هو الحبيب الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم
 فى الدخول فينبأ هو قائم يصلى فى المحراب والناس ينتظرون أن يؤذن لهم فى الدخول فاذا هو
 برجل شاب عليه ثياب بيض ففرغ منه فناداه وهو جبريل وقرأ (ان الله يبشرك بهي)
 ابن عامر وحزرة بكسر الهمزة على ارادة القول أولان النداء نوع من القول والباقون
 بالفتح على بان وقرأ حمزة والكسائي بفتح الباء من يبشرك وسكون الباء الموحدة وضم الشين

مخففة والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين المشددة واختلفوا
 في أنه لم يسمي يحيى قال ابن عباس لأن الله أحياه عقر أمه وقال قتادة لأن الله أحيا قلبه بالإيمان
 وقيل لأن الله تعالى أحيا قلبه بالطاعة حتى أنه لم يهمهم عصية وهو اسم أعجمي منع صرفه للتعريف
 والجمعة كوسى وعيسى وقيل عربي ومنع صرفه للتعريف ووزن الفعل كينسى وجمعه يحسون
 كوسون وعيسون (مصدق بكلمة) كآنة (من الله) أي بعيسى أنه روح الله وسمى كلمة لأنه خلق
 بكلمة كن وقيل لأن الله أخبر الأنبياء بكلامه في كتابه أنه يخلق نبيا بلا أب فسماه بكلمة لحصول
 ذلك الوعد وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل
 يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وقول البيضاوي وكان يحيى وعيسى ابني خالة
 من الأب فيه تجوز إذ يحيى ابن خالة أم عيسى لابن خالته وعيسى ابن بنت خالة يحيى لابن خالته
 (وسيدا) أي بسود قومه فيصير متبوعا وقال الضحالة السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن
 جبير السيد الذي يطبع ربه وقال سعيد بن المسيب السيد النقيب العالم (وحصورا) أي مبالغا
 في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي أنه مزم وهو طفلة بل بصبيان فدعوه للعب فقال
 ما للعب خلقت وقال سعيد بن المسيب المحصور هو المعسر الذي لا مال له فيكون المحصور بمعنى
 المحصور كآنة ممنوع من النساء وقيل كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون
 أغض لبصره وقيل هو المنع من الوطء مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين
 أحدهما أن الكلام خرج مخرج النناء وهذا أقرب إلى استحقاق النناء والثاني أنه أبعد من
 الحاق الآفة بالأنبياء (ونبيا) ناشئا (من الصالحين) لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كأنما من
 جملة الصالحين فمن على هذا التبعض كقوله تعالى وأنه في الآخرة لمن الصالحين (قال رب أني)
 أي كيف (يكون لي غلام) أي ابن (وقد بلغني الكبر) أي أدركني كبر السن وأثر في وكان عمره
 مائة وعشرين سنة وقيل تسعاً وتسعين سنة (واصرأني عاقر) أي لا تلد من العقر وهو القطع لأنها
 ذات عقر من الأولاد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة (فان قيل) كيف قال زكريا بعد ما وعد الله
 تعالى أن يكون له غلام أني يكون لي غلام أكان شاكفا وعد الله وفي قدرته (أجيب) بأنه قال
 ذلك استبعادا من حيث العادة كما قالت مريم أو استعظاما وتجبها واستعظاما عن كيفية حدوثه
 أي أتجعلنني واهرا أتى شابين أو تزقنا ولدنا على الكبر منا أو تزقني امرأة أخرى وقيل إن زكريا
 لما سمع ندا الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله إنما هو من
 الشيطان ولو كان من الله لا واهد اليك كما يوحى اليك في سائر الأمور فقال ذلك دفعاً للوسوسة
 (قال) الامر (كذلك) أي من خلق غلام منك (الله يفعل ما يشاء) لا يجهز عنه شيء ولا يظهر
 هذه القدرة العظيمة ألهمه الله السؤال لإجابتها ولما تافت نفسه إلى سرعة المبرهنة (قال رب
 اجعل لي آية) أي علامة أعرف بها حمل امرأتى لا تلقى النعمة إذا جاءت بالشكر (قال آتيتك) عليه
 (أن لا تكلم الناس) أي تمنع من كلامهم (ثلاثة أيام) أي بلباليها كافي سورة مريم ثلاث ليال
 (الامرأ) أي إشارة دأورا أس والادقتنا منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام حينئذ ما دل

على ما في الضمير وما يخص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة
مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح) أي وصل
(بالعنى) وهو من حين زول الشمس الى أن تغيب (والا يكر) وهو من طلوع الفجر الى وقت
الضحى (فان قيل) لم يحبس لسانه عن كلام الناس (أجيب) بانه انما فعل به ذلك لخلص
المدة المذكورة لذكر الله تعالى لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسمية
وشكرها التي طلب الآتية من أجله كأنه لما طلب الآتية من أجل الشكر قبل له آتيتك
أن يحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مستقما من السؤال ومنع تعاضده
وقال فتادة أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسواله الآتية بعد مشاهدة الملائكة آياه فلم يقدر
على الكلام ثلاثة أيام (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أي جبريل قال لها شافها
(يا مريم ان الله اصطفاك) أي اختارك بان تقبل من أمك ولم يقبل قبلك أي وفرغك للعبادة
واغناك برزق الجنة عن الكسب وتكليمها لها شافها كرامة لها وقيل كان معجزه لذكرا
وقيل كان ارهاصا أي تأسيسا للنبوة عيسى صلى الله عليه وسلم بطريق الخوارق قبل البعثة
كاطلال النعمان ليميناصلى الله عليه وسلم قبل البعثة بطريق الشام وانما جعل على هذا التأويل
لانها ليست بنعمة على الاصح بل حكي المضاوى الاجاع على انه تعالى لم ينشأ امرأة لقوله تعالى
وما أرسلنا قبلك الا رجالا لكن نوزع في دعوى الاجاع لان الخلاف ثابت في نبوة نسوة
خصوصا مريم اذ القول بنبوتها مشهور (وظهر لك) أي من ميسر الرجال ومما يستعذر
من النساء (واصفاك) ثانيا (على نساء العالمين) بهد آيتك وارسال الملائكة اليك وتخصيصك
بالكرامات السنية كالولادة من غير أب ولم يكن لاحد من النساء (فائدة) أفضل نساء العالمين
مريم كافي الآتية اذ قيل بنوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة أمها
ثم عائشة ثم آسية امرأة فرعون (فان قيل) روى الطبراني خبر نساء العالمين مريم بنت عمران ثم
خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية امرأة فرعون (أجيب) بأن
خديجة انما افضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة (يا مريم اتقني لربك) أي أطيعه
(واسجدى واركعى مع الراكعين) أي وصلى مع المصلين في الجماعة أو وانظمى نفسك
في جملة المصلين وكوني معهم في عبادهم ولا تكوني في عداد غيرهم (فان قيل) لم قدم السجود
على الركوع (أجيب) باحتمال أنه كان كذلك في تلك الشريعة وقيل بل كان السجود قبل
الركوع في الشرائع كلها وللتنبية على أن الواو لا تقتضي الترتيب (ذلك) أي ما قصصناه عليك
يا محمد من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى (من أنباء الغيب نوحيه اليك) أي من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي (وما كنت لديهم) أي عندهم اذ يلقون أفلامهم في الماء أي سهامهم
التي ذكر حوا فيه وعليها علامة على القرعة وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة
اختروها للقرعة تبركها بالعلوم (أيهم يكفل مريم) أي يحضنها ويربها فأي متعلق بمحمد وف
كما لم من التدبير (وما كنت لديهم اذ يتخصصون) في كفالها فتعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته

من جهة الوحى (فان قيل) لم تفت المشاهدة واتفاوها معلوم من غير شبهة وتركنا في استماع الانبياء من حفاظها وهو موهورم (أجيب) بأنه كان معلوما عندهم علمائنا انه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى مع علمهم بأنه لاسماع له ولا قراءة ومثل ذلك قوله تعالى وما كنت بجانب القرى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذا اجعوا أمرهم واذا كره (اذ قالت الملائكة) أى جبريل (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) أى يابن (اسمها المسيح عيسى بن مريم) وانما خاطبها باسمه اليها تنبيها على أنها قلده بالأب اذ عادة الانبياء نسبتهم الى آبائهم لا الى أمهاتهم ونسبته اليها فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قيل) هذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (أجيب) بأن الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويميز عن غيره فكأنه قيل الذى يعرف به ويميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والقاروق وأصله مشيح بالعبودية ومعناه المباركة لقوله وجعلنى مباركا أينما كنت واشتقاقه من المسيح لانه مسح بالبركة أو بمسح طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يبق في موضع أولانه خرج من بطن أمه مسحوبا بالدهن أولان جبريل مسحه بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل أولانه كان مسح القدم لأخص له وقال ابن عباس سمي مسيحاً لانه ماسح ذاعاه البرئ ويسمى الدجال مسيحاً لانه مسح احدى العينين وعيسى معرب ايشوع وهو بالشين المعجمة السيد قال البيضاوى اشتقاقه من العيس وهو بياض تعلوه حجرة وهو تكلف لأطائل تحته وقوله تعالى (وجيهاً) أى اذ جاء حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لذكرها موصوفة (فان قيل) لم ذكر ضمير الكلمة (أجيب) بأن المسمى بها مذكر (في الدنيا) أى بالنبوة والتقدم على الناس (و) في (الآخرة) بالشفاعة والدرجات العلى (ومن المترين) عند الله تعالى لعلو درجته في الجنة ورفعته الى السماء وصحبته للملائكة (ويكلم الناس في المهدي) أى صغيراً قيل أو ان الكلام كما ذكر في سورة مريم قال انى عبد الله اتانى الكتاب الآتية وحكى عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثنى وحدته فاذا شغلنى عنه انسان سبج في بطنى وأنا أسمع والمهدى ما يهد للصبي من منجعه وقوله تعالى (وكهلاً) عطف على فى المهدي أى ويكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء وقد رفع بعد كهولته وقيل انه رفع شاباً وعلى هذا المراد كهلاً بعد نزوله وذكر تعالى أحواله المختلفة المتنافية إرشاداً الى أنه معزل عن الألوهية (فان قيل) فافائدة البشارة بكلامه كهلاً والناس فى ذلك سواء (أجيب) بأنه بشرها بأنه يبنى الى أن يتكهل وبعدم التفاوت بين الحالتين كما مر وقوله تعالى (ومن الصالحين) أى من عباد الله الصالحين حال من كلمة أو من ضميرها الذى فى يكلم (فان قيل) لم ختم الصفات المذكورة بقوله ومن الصالحين بعد كونه وجهاً فى الدنيا وفسرت بالنبوة ولا شك أن النبوة أرفع من منصب الصلاح بل كل واحدة من الصفات المذكورة أشرف من كونه صالحاً (أجيب) بأنه لا يكون كذلك الا ويكون فى جميع الأفعال والتروك ومواظبها على النهج الاصلح وذلك يتناول جميع

المقامات في الدين والدينا في أفعال القلوب وفي أفعال الجوارح ولهذا قال نبي الله سليمان بن
 داود عليهما الصلاة والسلام بعد النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فلما عُدَّ صفات
 عيسى عليه الصلاة والسلام أُرْدِفَ هاهنا هذا الوصف الدال على أرفع الدرجات (قالت رب أي
 يا سيدي فقوله الله عز وجل وقيل قائله لجبريل قائله البغوي وقال الزمخشري ومن بدع التفاسير
 أن قوله رب نداء لجبريل يعني يا سيدي (أي) أي كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر)
 أي ولم يصبني رجل بتزويج ولا غيره قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن بحوت العادة بأن يولد مولود بلا أب
 أو استقها ما عن أن يكون بتزويج أو بغيره (قال) الامر (كذلك) من خلق ولد منك بلا أب (الله
 يخلق ما يشاء) القائل جبريل أو الله وجبريل حكى لها وقوله تعالى (إذا قضى أمرا) أي أراد كون
 شيء (فإنما يقول له كن) فهو قرا (فيكون) ابن عامر يفتح النون والباقون بضمها أي فهو يكون لانه
 تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجا بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك فنفتح
 جبريل في جيب درعها فخلعت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم وسألت أن شاء الله تعالى
 الكلام عليه هنالك وقوله تعالى (ونعلمه الكتاب) أي الكتابة (والحكمة) أي العلم المقترن بالعمل
 (والتوراة والإنجيل) كلام مستأنف ذكر تطييبا لقلوبها وإراحة لقلوبها من خوف اللوم حين
 علمت أنها تلد من غير زوج وقيل المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما
 وقرأ نافع وعاصم بالياء والباقون بالنون (و) تجعله (رسولا إلى بني إسرائيل) أما في الصبا وبعد
 البلوغ وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثه اليهم وللرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم
 (فائدة) كان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى عليهم الصلاة والسلام ولما
 بعث اليهم قال لهم اني رسول الله اليكم (أي) أي باني (قد جئتكم بآية) أي علامة (من ربكم)
 تصدق قولي وانما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة
 * ولما قال ذلك لبني إسرائيل قالوا وما هي قال هي (اني) قرأ نافع وحده بكسر الهمزة على
 الاستثنا ففتح الباء من اني نافع وأبو عمر ووسكنها الباقون (أخلق) أي أصور (لكم من الطين
 كهية الطير) أي مثل صورته فيصير طيرا كسائر الطيور وحياتيا والالكاف اسم فاعول
 وقرأ ورش بالمد على الباء من هيئة والتوسط كأنه قد تم في شيء (فانفخ فيه) الضمير لكاف أي
 في ذلك المائل للطير أي في فيه (فمكون طيرا باذن الله) أي بإرادته به ذلك على أن احياه من الله
 تعالى لانه وقرأ نافع بالفتح بعد الطاء بعد هاءزة مكسورة ووقف ورش الراء على أصله والباقون
 بياسا كنه بعد الطاء من غير ألف فقراءة الجمع نظرا إلى أنه خلق طيرا كثيرا وقراءة
 المفرد نظرا إلى أنه نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه أكل
 الطير خلقا لا ناله استئنا واللائي نديا وتحيض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه
 فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليعجز فعل الخلق من فعل الله وليعلم أن الكمال لله عز وجل
 (وابري) أي أشفي (الأكمة) وهو الذي وادأعي أو ممسوح العينين قال الزمخشري ويقال لم
 يكن في هذه الامة أكمة غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير ولعل هذا على التفسير

الثاني (والابرص) وهو الذي به برص وهو بياض شديد يقع الجلد ويذهب دموبته وانما
 خص هذين الموضعين بالذكر لانهم اعيان اطباء وكان الغالب في زمن عيسى الطب فأراههم
 المهجزة من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون
 ألفا من اطلاق منهم أن يبلغه أناه ومن لم يطق أناه عيسى وما كانت مداوانه الا بالدعاء وحده
 على شرط الايمان وانما حال ثانيا (وأحى الموت بأذن الله) وكثر بأذن الله دفعه الموتهم الالهية
 فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية قال ابن عباس قدأ حياء عيسى أربعة أنفاس غارر
 وابن الجوزي وابنة العائش وسام بن نوح عليه السلام فاما غارر فكان صديقه فأسرته فأرسلت أخته
 الى عيسى عليه السلام ان أهلك غارر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأقى هو وأصحابه
 فوجدوه وقد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله
 سبحانه وتعالى فقام وخرج من قبره وبني وولده وأما ابن الجوزي فزبه ميتا على عيسى يحمل على
 سرير فدعا الله تعالى عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل
 السرير على عنقه ورجع الى أهله فبني وولده وأما ابنة العائش فكان رجلا يأخذ العشور
 ماقتله بنت بالامس فدعا الله تعالى فأحياها فبقيت وولدها وأما سام بن نوح فان عيسى عليه
 السلام جاء الى قبره ودعا فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة وما كانوا
 يشيرون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال لا والله كن قد دعوت الله تعالى فأحياك
 ثم قال له مت فقتل بشرط أن يعيد ذنبي الله تعالى من سكرات الموت فدعا الله تعالى ففعل به ما
 قال (وأنشئكم) أي أخبركم (بما أنا كاون) عالم أعيانه (وما تدخرون) أي تخبئون (في بيوتكم)
 حتى تأكلوه فكان يخبر الرجل بما كل البارحة وبما كل اليوم وبما أدخره للعشاء وقال
 السدي كان عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما تصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقدأ كل
 أهلك كذا وكذا ورفو والاك كذا وكذا قال فينطلق الصبي الى أهله ويكي هليم حتى يعطوه ذلك
 الشيء فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لهم لا تلعبوا مع هذا
 الساحر فحرمهم في بيت فجاء عيسى يطلمهم فقالوا ليسوا ههنا قال فبقي هذا البيت قالوا خنازير
 قال عيسى كذلك يكونوا ففحقون عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل ففهمت به
 بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه جلته على حمار لها وخرجت هاوية الى مصر وقال قتادة انما هذا
 في المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا كالن والسلاوي وأمر وأن لا يخونوا ولا يخونوا
 لهدنخاؤا وخبوا فجعل عيسى يخبرهم بماأكلوا من المائدة وأدخروا منها ففحنهم الله خنازير
 (ان في ذلك) الذي ذكرته لكم (لاية لكم ان كنتم مؤمنين) أي مصدقن للحق غير معاندين وقوله
 تعالى (ومصدقا) منصوب باضمار فعل يدل عليه قد جئتكم أي وجئتكم مصدقا (لما بين يدي)
 أي قبلي (من التوراة ولا تسأل لكم به من الذي حرم عليكم) فيها في شريعة موسى عليه الصلاة
 والسلام فأحل لهم كل الشحوم والثروب وهو ثمنهم رقيق يغشى الكرش والسمنك ولحوم
 الابل والعمل في السبت وقيل أجل الجميع في بعض معنى كل كقول لبيد

ترالامكنة اذالم أرضها * أويرتبط بعض النفوس حمامها

يعني كل النفوس (فان قيل) كيف يكون مصداق التوارق والاحلال يدل على أن شرعه كان
 ناعما لشرع موسى (أجيب) بأنه لا تناقض كما لا يعود نسخ القرآن ببعضه ببعض عليه
 بالتناقض والتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الزمان وانما كرر (وجئتكم
 بآية من ربكم) للتأكيدي ليعني عليه (فاتقوا الله) أي في مخالفة أمره أي جمعة لكم بآية بعد
 أخرى عما ذكرتم من خلق الطير والابرار والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادته من
 غراب ومن كلاله في المهد وغير ذلك فهي في الحقيقة آيات وانما وحدها لانها كلها جنس واحد
 في الدلالة على رسالته (وأطيعون) فيها أدعواكم اليه من توحيد الله وطاعته ثم شرع في
 الدعوة وأشار اليها بالقول المجمل فقال (ان الله ربي وربكم) لان جميع الرسل كانوا على هذا
 القول لمختلفوا فيه (فاعبدوه) أي لازموا طاعته التي هي الاتيان بالاوامر والالتزام عن
 المناهي (هذا) الذي دعوتكم اليه (صراط) أي طريق (مستقيم) أي هو المشهور ودله بالاستقامة
 روى الامام أحمد وغيره ان رجلا قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لأشغل عنه أحدا
 بعدك قال قل أنت بالله ثم استقم ولما قال لهم ذلك كذبوه ولم يؤمنوا به كما قال تعالى (فلما
 أحس عيسى) أي علم (منهم) علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (الكفر قال من أنصاري)
 قرأ نافع بفتح الباء والباقون بالهمزة أي اعوانى وقوله (الى الله) متعلق بمحذوف حال
 من الباء أي من أنصاري ذاهبا الى الله تعالى ملتجئنا اليه تعالى لا نصديقه وقيل الى هنا يعني مع
 أوفى أو اللام (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي أعوان دينه واختلقوا في الحوارين فقال
 السدي لمابعت الله تعالى عيسى الى بنى اسرائيل كذبوه وأخرجوه فخرج هو وأمه بسبحان
 في الارض فزلا في قرية على رجل فأضافه أو أحسن اليهما وكان تلك المدينة جبارته تعد فجاء
 ذلك الرجل يوما مهمتا بما قد دخل منزله ومرم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه
 كئيبا قالت لا تسئلي قالت اخبرني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل
 منا يوما أن يطعمه وجنوده ويسقيهم خرافا فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا
 سعة قالت فقولي له لا تهتم فاني امرأتي فيده والهيكتني ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك قال
 عيسى ان فعلت ذلك وقع شرفا قالت فلا تبال فانه قد أحسن البناؤا كرمنا قال عيسى قولي له
 اذا اقترب ذلك فأملأ قدورك وخوابيلك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله عيسى فتحول ماء
 القدر ورمزقا والحواماء الخواوي خرمير الناس ثم لقط فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر قال
 من أين هذا الخمر قال من أرض كذا قال فان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه قال هي
 من أرض أخرى فلما خلط على الملك شد عليه قال فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله تعالى شيئا
 الا أعطاه اياه وان دعا الله فجعل الماعخر فلما أحضره وكان للملك ابن يريد أن يستخففه فأتى قبل
 ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله تعالى فجعل الماعخر العجابه الى حتى يحبي
 ابني فدعى بعيسى اليه فكلمه في ذلك فقال عيسى لا أفعل فانه ان عاش وقع شرفا قال الملك لا علمك

قال عيسى ان احبيته تركنى انا و اى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلام وقالوا أكلنا هذا حتى اذا داموا متبه يريد أن يستخلف علينا ابنه فبأكلنا كما أكلنا بوه فاقبلوا وذهب عيسى وأمه فزوا بالحواريين وهم بمطادون السمك فقال ما تصنعون قالوا نطصاد السمك قالوا ومن أنت قال عيسى بن مريم عبد الله وروله فقالوا (أمتنا) أى صدقتنا (بالله واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم (ربنا أمتنا أنزلت) من الانجيل (وأتبعنا الرسول) عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) لك بالوحداية أومع النبيين الذين يشهدون لاتباعهم أومع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس وقال الحسن كانوا قصارين سعو ايدلكنهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها وعلى الاول سعو احوار بين لباس من ثيابهم وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين ومصباغين فدعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال يا عيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانما اخرج في سفر لا أرجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت على كل واحد منها خيط على اللون الذى يسبغ به فيجب أن تكون فارغاً منها عند قدومى وخرج فطبخ عيسى جباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الحواري الثياب كلها فى الحب فقال فرغت منها قال أين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت تلك الثياب فقال قم فانظر فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر الى أن أخرجهما على الالوان التى أرادها فجعل الحواري يتعجب وعلم أن ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن هو وأصحابه وهم الحواريون وقال الكلي وعكرمة الحواريون الاصفياء وهم كانوا أصفياء عيسى أقول من آمن به وكانوا اثني عشر من الحور وهو البياض الخالص وحوارى الرجل صفوته وخلصته وقبل للحضريات الحواريات خلوص أولادهن ونظافتهن قال القائل

فقل للحواريات يكيبن غيرنا • ولا تبكوا الا الكلاب النواج

قال الله تعالى (ومكروا) أى كفار بنى اسرائيل الذين أحسن عيسى منهم الكفر به وذلك أن عيسى عليه الصلاة والسلام بعد اخراج قومه اياماً وأمه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله ونواطوا على الفتك به ووكوا به من يقتله غيلة وهى بالكسر أن يجذع غيره فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله فذلك مكرهم اذ المكر من المداوى الخدع والجدلة وأما من الخلق وهو قوله تعالى (ومكر الله) أى هم (والله خير الماكرين) أى أعلمهم به فقال الزجاج مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الاستدانة لانه فى مقابلته كقولته تعالى الله يستنزى بهم وهو خادعهم ومكر الله تعالى بهم فى هذه الآية بأن ألقى شبهه على صاحبهم الذى أراد قتل عيسى حتى قتل روى أن عيسى استقبل رهباناً من اليهود فلما رآه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الداعلة فقد قذروه وأمه فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم ولعنهم • منهم الله خنازير فلما رأى ذلك

يهود اراس اليهود وأميرهم فرزع لذلك وخاف دعونه فاجتمعت كنيّة اليهود على قتل عيسى وساروا
اليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل فأدخله في خوخة في سقفها كوة فرفعته الله تعالى الى
السماء من تلك الكوة فأمر يهود اراس اليهود رجلا من أصحابه أن يدخل الخوخة ويقتله فلما
دخل لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا
أنه عيسى فقتلوه وصلبوه فلما صلب جاءت أم عيسى وامرأة كان عيسى دهاها فأبرأها الله تعالى
من الجنون فكان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما على من تبكيان أن الله تعالى رفعني ولم
يصبني الاخير وان هذا شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم
فانه لم ييك عليك أحد بكاها ولم يحزن حزنها ثم اجتمع لك الحوارين فيهم في الارض دعاة الى
الله عز وجل فأهبطه الله تعالى اليها فاشتعل حين أهبطوا ثم جمعت له الحوارين فيهم في الارض
دعاة ثم رفعه الله تعالى اليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تحدث
كل واحد منهم بلفظ من أرسله عيسى عليه الصلاة والسلام اليهم وروى أن الله تعالى أرسل اليه
سحابة فرفقته فقامت به أمه وبكت فقال لها ان القيامة تجعنا وكان ذلك ليلة القدر بيت
المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وقالت أهل التواريخ جلت مريم بعيسى ولها ثلاث وعشرون سنة
وولدت لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله تعالى اليه على رأس
ثلاثين سنة ورفع اله من بيت المقدس ليلة القدر من نهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة
وكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين وقوله تعالى (اذ قال الله) ظرف خبر
المساكين أولئك الله أولئك مثل اذكر (يا عيسى اني متوفيك) أي مستوفى أجلك ومعناه
اني عاصمك من أن يفتلك الكفار وموخرلك الى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لاقتلا
بأيديهم أو قابضك من الارض من توفيت مالي أي قبضته أو متوفيك نائما كما قال تعالى وهو الذي
يتوفا بالليل أي يميتكم اذ روى انه رفع نائما ومميتك عن الشهوات العائقة عن العروج
الى عالم الملكوت (ورافعلك الى) أي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي اذ روى أن الله تعالى رفعه
وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول
العرش وكان انسيا ملكا سماويا أرضيا وقال محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله تعالى توفاه
سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعته وقال الضحاك ان في الآية تنقيداً وتأخيراً معناه اني
رافعلك الى (ومطهرلك من الذين كفروا) أي مخرجك من بينهم ومنجيتك منهم ومتوفيك بعد انزالك
من السماء روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده
لمبوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض
المال حتى لا يقبله أحد وروى الشيخان حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشرية نبينا
ويقتل الديار والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي حديث مسلم انه يميت سبع سنين
وفي حديث عند أبي داود والطيالسي أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون فيعمل على
أن مجموع لبنه في الارض قبل الرفع وبعده أربعون وقيل للعشرين بن الفضل هل يحد نزول

عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا وهو لم يتكهل في الدنيا وإنما معناه كهلا بعد نزوله من السماء انتهى وهذا إنما يأتي على القول بأنه رفع شاباً وأما على القول بأنه رفع بعد ثلاث وثلاثين فلا دليل فيه اذ الكهولة من الثلاثين الى الاربعين (وجاعل الذين اتبعوه) أي صدقوا بقبولك من النصارى ومن المسلمين لانه متبعوه في أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع (فوق الذين كفروا) بك من اليهود والنصارى أي يغلبونهم بالحق والسيف (الى يوم القيامة) وقيل المراد بالذين اتبعوه النصارى وبالذين كفروا اليهود اذ لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة وملك النصارى قائم الى قريب من قيام الساعة وعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء في المحبة لا اتباع الدين (ثم الى مرجعكم) الضمير ابعسى ومن آمن معه ومن كفر به وغلب المخاطب على القائمين (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ثم بين الحكم بقوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية والذلة (و) أعذبهم في الآخرة بالنار (فان قيل) الحكم مرتب على الرجوع الى الله تعالى وذلك في القيامة فكيف يصح في تبينه العذاب في الدنيا (أجيب) بأن المقصود التأديب من غير نظر الى الدنيا والآخرة كما في قوله خالد بن فيم امدامت السموات والارض (وما لهم من ناصر من) أي مانعين منه (وأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فنوفى لهم أجورهم) أي أجور أعمالهم وقرأ حصص بالياء والباقيون بالنون (والله لا يحب الظالمين) أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى ما سبق من خبر عيسى ومريم وامرأة عمران وهو مبتدأ خبره (تألو) أي تفحصه (عليك) يا محمد وقوله تعالى (من الآيات) خبر بعد خبر وأخبر مبتدأ محذوف أو حال من الهاء (والذكر الحكيم) أي القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وقيل هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة يضاء ولما قال وقد نبحر ان للرسول صلى الله عليه وسلم مالك سببت صاحبنا قال وما أقول قالوا اتقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انفسنا قط من غير أب نزل (ان مثل عيسى) أي شأنه وحالته الغريبة (عند الله كمثل آدم) أي كشأنه في خلقه من غير أب وقوله تعالى (خلقناه) أي آدم (من تراب) جملة مفسرة لما شبه عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فان قيل) كيف شبهه وقد وجد هو من غير أب وآدم بغير أب وأم (أجيب) بأن مثله في أحد الطرفين ولا يمنع اختصاصه بدوره بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهذا في ذلك نظيران ولان الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فتشبهه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للنقص وأحسم للمادة شبهته اذا نظر فيها هو أغرب مما استقر به وعن بعض العلماء انه أسرى بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لأب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فز قيسل أولى لان عيسى أحيا أربعة أنفس وحز قيسل غنية آلاف فقالوا كان يبرئ

لا كنه والابرص قال فجر جس اولى لانا طبع وأحرق ثم قام بالماء ومعنى خلق آدم من تراب
أى صور جسده من تراب (ثم قال له كن) أى أنشأ بشرا بأن نفخ فيه الروح كقوله تعالى ثم
أنشأناه خلقا آخر وقوله تعالى (فيكون) حكاية حال ماضية أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من
غير أب فكان ويجوز أن تكون ثم لتراخى انظر لالتراخى المخبر عنه وقوله تعالى (الحق من ربك)
خبر مبتدأ محذوف أى أمر عيسى وقوله تعالى (فلا تكن من الممترين) أى الشاكين خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممتريا
(فن حاجك) أى جادلك من النصارى (فيه) أى عيسى (من بعد ما جاك من العلم) أى من
البيئات الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل) لهم (تعالوا) أى هلموا بارأى والعزم
(ندع) جزم فى جواب الامر وعلامة جزمه سقوط الخاو (أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم
وأنفسنا وأنفسكم) أى ليدع كل منا ومنكم نفسه وأهله وأهله وأهله وأهله وأهله وأهله
يحاطر بنفسه لاجلهم ويحارب دونهم فجمعهم (ثم نبتهل) أى نتضرع فى الدعاء ونبالغ فيه
(فجعل لعنت الله على الكاذبين) بأن نقول اللهم العن الكاذب بأمر عيسى فلما قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد فخرجان ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر
فى أمرنا ثم أتيتك غدا فخلع بعضهم بعض وقالوا للعاقب وكان ذأنا بهم يا عبد المسيح ما ترى فقال
والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدانى مرسل واقصد جاءكم بالفضل من أمر صاحبكم
والله ما باهل قوم نياق فعاشر كبيرهم ولا بئب صغيرهم ولئن فعلتم انهم لكانت فان أبيت
الا الأقامة على دينكم وعلى ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
الى بلادكم فأقار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا تحتنا للعيسى اخذنا بيد
الحسن وفاطمة فتمنى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنها وهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم
إذا أنادعوت فأمضوا فقال أسقف نجران وهو اسم سريانى رئيس النصارى وعالمهم وهو
غير العاقب يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لآزاه
فلا تهابوا فتملكوا ولا يأتى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا
أن لا تهابك وان نقرتك على دينك وثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فان
أبيت المباهلة فأسلموا يكن لكم مالم للمسلمين وعليكم ما عليهم ثم أتوا فقال انى أتأبذكم فقالوا ما لنا
بحرب العرب طاقة ولكن نصلحك على أن لا تغزونا ولا تحمقنا ولا تزدنا عن ديننا على أن تؤدى
اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب تؤدىهم المسلمين وعارية ثلاثين درهما وثلاثين
فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يقرضون بهارا المسلمون ضامنون
لها حتى يؤدوها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان
العذاب تدلى على أهل نجران ولولا عنوا المسخو اقرده وخنازير ولا ضطرم عليهم الوادى نارا
ولا ستمصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الطول على النصارى
حتى هلكوا كلهم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه

مرط من رجل من شعرا سود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال
 انما يريد الله ليهذه عنكم الرجس أهل البيت وفي ذلك دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى
 فضل أهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وعن بقية العصاة أجمعين * (فائدة) * رسمت لعنة ههنا
 بالتاء المجرورة ووقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي عليها بالهاء والباقون بالتاء (ان هذا)
 أى الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص) أى الخبر (الحق) الذى لا شك فيه وقرأ
 قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء من لهو والباقون بالرفع حيث جاء وهو ما فصل
 بين اسم ان وخبرها واتمام مبتدأ والقصة الحق خبره والجملة خبران (فان قيل) لم جاز دخول
 اللام على الفصل (أجيب) بأنه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أولى لانه
 أقرب الى المبتدأ وأصلها أن تدخل على المبتدأ (وما بنى الله الا الله) انما صرح فيه عن الزيادة
 للاستغراق تأكيدهم للرد على النصارى في ثلثتهم (وان الله لهو العزيز) في ملكه (الحكيم)
 في صنعه فلا أحديسأويه في القدرة التامة والحكمة البالغة فلا يشاؤك في الألوهية (فان تولوا)
 أى اعرضوا عن الايمان (فان الله عليهم بالفسدين) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر
 ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد
 النفس بل الى فساد العالم * ولما قدم وقد تجرأ المدبسة والتقوام مع اليهود واختصموا في
 ابراهيم صلى الله عليه وسلم فرعت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به
 وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم
 كلا الفريقين يرى من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وأعلى دينه فاتبعوا دينه
 الاسلام فقالت اليهود يا محمد ماتريد الان أن تخذل ربنا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت
 النصارى يا محمد ماتريد الان أن تقول فيك ما قالت اليهود في عزيز بنزل (قل يا أهل الكتاب) وهو يم
 أهل الكتابين وهم اليهود والنصارى (تعالوا الى كلمة) العرب تسمى كل قصة لها شرح
 كلمة ومنها هيت القصيدة كلمة وقوله تعالى (سواء) مصدر بمعنى مستوأمها لا تختلف فيها
 الرسل والكتب (بيننا وبينكم) هونعت الكلمة لان المصادر لا تنفي ولا تجمع ولا تؤنث فاذا
 فقت السين مدت واذا كسرت أو ضمت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى ثم نسر الكلمة بقوله
 (أن لا نعبد الا الله) أى نوحده بالعبادة ونخلص له فيها (ولا نشرك به شيئا) أى ولا نجعل غيره
 شريكا له في استحقاق العبادة لانراه أهلا لان يعبد (ولا نتخذ به ضنا بعضا) أى بامان دون الله
 أى ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما أحدوا من التحريم والتجليل
 لانهم بشر مثلنا روى الترمذى لما نزل قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون
 الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
 فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك أى أخذكم بقولهم (فان تولوا) أى اعرضوا عن
 التوحيد (فقولوا) أنتم لهم (اشهدوا أنا مسلمون) أى موحدون دونكم فقد رستمكم الحجة
 فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك كما يقول الغالب لامة غلوب في جدال أو صراع أو نحو ذلك

عترف بأن الغالب وسلم الغلبة فال البيضاء تنسب انظر ما راعى أى الله سبحانه وتعالى
 في هذه القصة من المبالغة والارشاد وحسن التدرج في الججاج فيبين أولاً أحوال عيسى وما
 نعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح أى يزيل شبهتهم فلما رأى
 عنادهم وبلجهم دعاهم الى المباحلة بنوع من الاعجاز ثم لما أعرضوا عنها واتقادوا بعض
 الانقياد دعا اليهم بالارشاد وسلك طريقاً سهلاً والزعم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى
 والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد أى ينفع ذلك أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والذعر
 لا تنفي عنهم أعرض عن ذلك وقال اشهدوا بأنا مسلمون (بأهل الكتاب) وقدم رآه يعلم اهل
 الكتابين اليهود والنصارى (لم تحتاجون) اى تحتاجون (فى ابراهيم) بزعمكم انه على دينكم
 (وما انزل التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الامن بعده) اى بزمن طويل
 اذ كان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت
 اليهودية وبعد نزول الانجيل حدثت النصرانية (أفلا تعلمون) بطلان قولكم حتى لا تجدوا
 مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم) يا هؤلاء هاللتفسيه وأنتم مبتدأ خبره (حاجبتم) أى جادلتم
 (فبنا لكم به علم) من أمر موسى وعيسى وزعمتم أنكم على دينهما (فلم تحتاجون فيما ليس لكم به
 علم) من شأن ابراهيم وليس له ذكر فى كتابكم (والله يعلم) ما حاجبتم فيه (وأنتم لا تعلمون) أى جاهلون
 به ثم قال تعالى بآية لا ابراهيم (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً) أى ما تلا
 عن الاديان كلها الى الدين القيم (مسلماً) أى موحداً متقاداً لله تعالى وليس المراد انه كان على
 دين الاسلام والاشترك الالزام لانهم يقولون له الاسلام حدث بعد نزول القرآن على محمد
 صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم قبله عدة طويلة فكيف يكون على ملة الاسلام الحادثة بنزول
 القرآن فعلم أن المراد بكون ابراهيم مسلماً انه كان على ملة التوحيد لا على هذه الملة (وما كان
 من المشركين) كالم يكن منكم وأراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشرا كههم عزير والمسيح
 (أن أولى الناس) أى أحقهم (بابراهيم) من أمته (لذين اتبعوه) من أمته (وهذا النبي) والذين
 آمنوا والله ولي المؤمنين أى ناصرهم وحافظهم ولما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعمار الى
 دينهم نزل (وذلك) أى تمت (طائفة من أهل الكتاب) لويضا لوزنكم عن دينكم ويردوكم الى
 الكفر (وما يضلون إلا أنفسهم) أى أمثالهم أو أنتم اضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم
 فيه (وما يشعرون) بذلك (بأهل الكتاب) لم تكفرون بآيات الله بما نطق به التوراة والانجيل
 وذات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) انها آيات الله عز وجل أو بالقرآن
 العزيز وأنتم تشهدون نفسه فى الكتابين أو تعلمون بالمعجزات انه حق (بأهل الكتاب) فلبسوا
 الحق أى القرآن المشتمل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (بالباطل) أى بالتحريف والتزوير
 (ونسحقون الحق) أى نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من
 أهل الكتاب) أى اليهود قالوا الجماعة منهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) أى اقرآن أى
 أنظر والايمان به (وجه النهار) أى أوله وانماسمى أول وجهه لأنه أحسنه ولانه أول ما يرى

بعد الليل (واكفروا) به (آخر لعلمهم) أي المؤمنين (يرجعون) عن دينهم اذا رآوكم رجعت
واختلف في هذه الطائفة فقال الحسن والسدي هي اثنا عشر من يهود خيبر وقيل قرينة
نواطوا وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أوّل النهار وقولوا انا نطرنافي كتبنا وشاورنا
علماءنا فوجدنا محمد ليس بذلك فظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه واتهموه
وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به منافيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلي هم
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالوا لأصحابهم ما لما تحولت القبلة وشق ذلك على اليهود
آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها أوّل النهار ثم اكفروا وارجعوا الى
قبلتهم آخر النهار وصلوا الى الصخرة لعلمهم يتولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى
قبلتنا (ولا تؤمنوا الا لمن تبع) أي وافق (دينكم) أي ولا تتزوا عن تصديق قلب الا لاهل
دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم أولى وأهم فأطاع
الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم * (تنبيه) * قال البغوي اللام في ان
صلة أي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى عسى أن يكون ردف لكم أي ردفكم
(قل) يا محمد (ان الهدى هدى الله) الذي هو الاسلام وماعده ضلال وقوله تعالى (أن يؤتى)
بمعنى الجحد أي ما يؤتى (أحدم مثل ماؤتيت) يا أمّة محمد (أو يحاجوكم) أي الا أن يجادلكم
اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله تعالى (عند ربكم) أي عند فعل ربكم بكم بكم
ذلك وهذا معنى قول سعيد بن جبير والكلي ومقاتل والحسن وهو حسن وقال القرطبي ويجوز
أن تكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقل أي حتى يعطيك حقل ويكون معنى
الآية ما أعطى أحدم مثل ماؤتيت من الدين والجنة حتى يحاجوكم عند ربكم أي يوم
القيامة وقال مجاهد قوله قل ان الهدى هدى الله كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل
بالكلام الاوّل اخبار عن قول اليهودية ضهم لبعض أي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدم مثل ماؤتيت من العلم والحكمة والكتاب والآيات من المنة
والسوى وقلق البحر وغيرهما من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لانكم أصبح ديننا
منهم وقرأ ابن كثير وحده هم مزو واحدة وقال الرخشمري ويجوز أن يكون هدى الله بدلائل من
الهدى وأن يؤتى أحدم خبران على معنى قل ان هدى الله أن يؤتى أحدم مثل ماؤتيت أو يحاجوكم
حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حججكم قال ويجوز أن يتصب
أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل ان الهدى هدى
الله فلا تنكروا أن يؤتى أحدم مثل ماؤتيت لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار
لان يؤتى أحدم مثل ماؤتيت قال تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) من عباده (والله
واسع) أي كثير الفضل (عالم) بمن هو أهله (يختص برحمته) أي نبوته (من يشاء والله ذو الفضل
الاعظم) ففي ذلك ردوا بباطل ما زعموا بالجنة الواضحة (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار)
أي عمل كثير (بوقه البك) كعب الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية

ذهباً فأداه اليه (ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) كنفخاص بن عازوراء استودعه
 رجل آخر من قريش ديناراً فجده (الأمادمت عليه قائماً) أي الآن أودعته واسترجعته منه
 وأنت قائم على رأسه لم تفارق رده اليك وإن فارقت وأخرته نكل ولم رده وقيل المأمون على
 الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائفون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم وقرأ حجة
 وأبو عمرو وشعبة يؤده ولا يؤده اليك بإسكان الهاء فهو وصل بنية الوقف فهو سكون وقف بالنية
 لا بالفعل وقالون باختلاس حركة الهاء وحفص والكسائي بالحركة الكاملة والآخر في قنطار
 ودينار بالامالة لا بي عمرو والدوري عن الكسائي وورش بين وبين والباقون بالفتح (ذلك) أي
 ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده (بأنهم قالوا) أي بسبب قولهم (ليس علينا
 في الامتين) أي العرب (سبيل) أي اثم لا يستحل لهم ظلم من خالفهم ونسبوا ذلك الى الله تعالى
 قالوا لن يجعل الله لهم في التوراة حرمة فكذبهم الله عز وجل بقوله عز من قائل (ويقولون على
 الله الكذب) أي في نسبة ذلك اليه (وهم يعلمون) أنهم كاذبون وقال الحسن وابن جرير ومقاتل
 بايع انهم ورجال من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا اتقاضوا هدم بنية أموالهم فقالوا ليس لكم
 علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم
 وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله تعالى في ذلك روى الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم
 قال عند نزول هذه الآية كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي أي
 منسوخ وتركوا الا الامانة فانهم اؤادوا الى البر والعاجر أي والديون من الامانة لان المراد
 من الامانة الرضا بالذمة وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نقوه أي بلى على اليهود في الامتين سبيل ثم ابتداء
 فقال (من أوفى بعهد) أي ولكن من أوفى بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان
 بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأداء الامانة (وانتي) الله بترك المعاصي وفعل الطاعات
 (فإن الله يحب المتقين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر أي يحبهم بمعنى يشبههم (فان قيل) فأين
 الضمير الراجع من الخبر الى من (أجيب) بأن عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير * ونزل في
 أحبار من اليهود حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانة وغيرهما
 وأخذوا على ذلك رشوة ان الذين يشترون (أي يستبدلون) بهم في الايمان للنبي
 صلى الله عليه وسلم والوفاء بأداء الامانة (وايمانهم) أي حلفهم به تعالى كاذباً من قولهم والله
 لنؤمنن ولننصرنه (غنا قليلاً) من الدنيا (وأولئك لا خلاق) أي لا نصيب (لهم في الآخرة
 ولا يكلمهم الله) أي بما يسترهم أو يبيش أصلوا والملائكة يسألونهم يوم القيامة (ولا ينظر اليهم)
 أي ولا يرهم (يوم القيامة ولا يرهم) أي ولا ينظر اليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب (ولهم
 عذاب أليم) أي مؤلم وقيل نزلت في رجل أقام سبعة في السوق خلف لقد اشتراها بعمال بشرته هابه
 وقيل نزلت في جماعة من اليهود جاءوا الى كعب بن الاشرف في سنة أصابتهم عتارين فقال لهم
 اتعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان أمركم وأكسوكم فخرمكم الله خبرا
 كثيراً فقالوا لعله اشتبه علينا فرديد احتي لنقاها فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه

وقالوا لقد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح وما رهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في
كان بيني وبين رجل خصومة في بئر وارض فاختمتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
شاهدك أو عينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من حلف على عين يستحق بها ماله وفيها فاجر
لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك هذه الآية وعن أبي ذر رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا ينزلهم
عذاب اليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسر وامن
هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل ازاره وعن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم
عذاب اليم رجل حلف على عين على مال مسلم فاقطعه ورجل حلف عينا بعد صلاة العصر
أنه أعطى بسلعته أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل منع فضل ما فأن الله تعالى يقول اليوم
امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك (وان منهم) اى اهل الكتاب (أقرىفا) اى طائفة
ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحبي بن الخطب (يلوون السننهم بالكتاب) اى يقتلونهم
بقراءته عن المنزل الى محرقوه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال
لوى لسانه عن كذا اى غيره (لتحسبه) اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون (من الكتاب)
الذى انزل الله (وما هو من الكتاب) قرأ ابن عمر وعاصم يفتح السين والباقون بكسر ها وقوله
تعالى (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة
تشفيع عليهم به ويان لانهم يزعمون ذلك نصر يحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده (فان قيل)
نبي الله تعالى ككون التعريف من عنده وهو فعل العبد فلا يكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى
والالما صح نفسه عنه تعالى (اجيب) بأن المفعول هو الازال كما تقر لا كون التعريف غير
مخلوق لله تعالى بكسب العبد وقوله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأكيد ايضا
وتسجيل عليهم بالكذب والتعمد فيه واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان) اى ما ينبغي
(لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم) اى الفهم للشريعة (والنبوة) اى المنزلة الرفيعة بالانبياء
(ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) فتدال مقاتل والضحك نزلت في نصارى نجران كانوا
يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه بافعال تعالى ما كان لبشر اى عيسى ان يؤتيه الله الكتاب
اى الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر اى محمد ان يؤتيه الله الكتاب اى القرآن وذلك
ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريد ان نعبدك وتتخذك بافعال معاذ الله ان نأمر بعبادة غيره لا ما بذلك بعنى الله ولا بذلك
امر في قنرات وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
قال ما ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والبشر
جميع نى آدم لا واحدا من لفظه كالقوم ويوضع موضع الجمع والواحد (واحد) يقول
(كونوا رباين) اى علماء عاملين منسوب الى الرب بزيادة الف ونون تفيخهما كما يقال رقباني

ولحياتي وهو الشديد النفس بدين الله تعالى وطاعته وقيل الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل بكاره وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصائر لسياسة الناس وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال هو الذي يربي علمه به عمله وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اليوم مات رباني هذه الامة (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب كونكم تعلمون الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتملم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل فيكتفي بذلك دليلا على خبسية سعي من جهد نفسه وكذروحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله كمثل من غرس شجرة حسنة ثم نفعه بظفرها ولا تنفعه بثمرها ويجوز أن يكون معناه تدرسون على الناس أقوله تعالى لتقرأه على الناس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل فليس من الله في شيء وإن السبب بينه وبين الله تعالى منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرأ نافع وابن كثير وابوعمر وبفتح الاء وسكون العين وفتح اللام مخففة والباقون بنسب التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة (ولأبامركم) قرأ ابن عامر وعاصم وحزة بنسب الراء عطفًا على يقول أي البشر والباقون برفع الراء على أنه استئناف أي الله (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما انفذت الصابئة الملائكة واليهود عزيراء والنصارى عيسى وقوله تعالى (أبامركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر والله على الوجهين السابقين وقوله تعالى (بعد اذانهم مسلمون) دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون على أن يسجدوا له (و) اذكر (اذ) أي حين (أخذ الله ميثاق النبين) أي عهدهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرأ حزة والكسائي بكسر اللام من لما فتكون متعلقة بأخذوا السابقون بالفتح على الاستدعاء ونون كيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق ومأمورة على الوجهين أي للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرأ نافع آتيناكم بالنون مفتوحة بعد الاء بعد هاء ألف والباقون بتاء مضومة (ثم جاءكم) تقدم أن حزة وابن ذكوان يميلان الالف مخففة والباقون بالفتح (رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم أي ان أدركتموه وأمهم تبعواهم في ذلك وقيل المراد اولاد النبين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أو معاهم نبيين تمسك لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوته من محمد لاننا أهل كتاب والنبيون كانوا منا (قال) الله تعالى لهم (أأقررتم) بذلك قرأ قالون وابوعمر وبتسهيل الهمزة الشائبة والفتحة بينهما وبين الهمزة الاولى وابن كثير كذلك لأنه لا يدخل الف بينهما ولورش وجهان أحدهما كابن كثير والثاني انه يبدل الثانية حرف مد ولهشام في الهمزة التحقيق والتسهيل مع دخول الف بينهما والباقون بتحقيق الهمزتين من غير دخول ألف بينهما (واخذتم) أي قبلتم تقدم ان ابن كثير وحفصا يظهران الذاال المجعدة عند التمام اخذتم والباقون بالادغام (على ذلكم أصري) أي عهدى ممي به لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصلان الذي يعقده (فالواقررتا مال فاشهدوا) على أنفسكم واتباعكم بذلك (وأما معكم

من الشاهدين) عليكم وعليهم وهو توكيد وتحذير عظيم من الرجوع اذا علموا بشهادة الله
 وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فمن تولى) أى أعرض (بعد ذلك) أى المناق
 والتوكيد بالاقرار والشهادة (فأولئك هم الفاسقون) أى المتمردون من الكفرة روى أن أهل
 الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلا الفريقين يرى من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا تأخذ بك فتزل (أفغير دين
 الله يغنون) وهذه الجملة معطوفة على الجملة المتقدمة وهى فأولئك هم الفاسقون والهمزة
 متوسطة بينهما للانكار ويجوز أن تعطف على محذوف تقديره أي تزلون فغير دين الله يغنون وقدم
 المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذى معنى الهمزة متوجه
 الى المعبود الباطل زقر أبو عمر وحفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب على
 تقديرهم (وله سبحانه وتعالى) اسلم أى خضع واقتاد (من فى السموات والارض طوعا)
 أى بالنظر فى الأدلة واتباع الحجة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف ومعانية ما يلجئ الى
 الاسلام كسحق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الفرق فرعون وقومه والاشراف على الموت
 لقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال الحسن اسلم أهل السموات طوعا وأهل
 الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقيل هذا يوم الميثاق حين قال
 ألسب ربكم قالوا بلى فقال بعضهم طوعا وبعضهم كرها قال قتادة المسلم اسلم طوعا فنفعه والكافر
 كرها فى وقت البأس فلم ينفعه قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وانتصب طوعا
 وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين (وابه ترجعون) قرأ حفص بالياء على الغيبة
 والباقون بالتاء على الخطاب (قل) لهم يا محمد (آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم
 وإسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أى أولاده (وما أوى موسى وعيسى والنيبون من ربهم
 لا تفرق بين أحد منهم) بالتصديق والتكذيب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجبر عن نفسه
 وعن تبعه بالايمان فلذلك وحد الضمير فى قل وجمعه فى آمنا وعليها لان القرآن كما هو منزل
 عليه منزل على متابعيه بتوسط بلغه اليهم أو بأن يكلم عن نفسه بالجمع على طريقة الملوك اجلا لا
 له (فان قيل) لم عدى أنزل فى هذه الآية بعلى وفيما تقدم من مثلها فى سورة البقرة بالى (أجيب)
 بأن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فعدى تارة بالى لانه ينتهى الى الرسل وتارة بعلى لانه
 من فوق وما قبل من أنه انما خص ما هنا بعلى وما هناك بالى لان ما هنا خطاب للنبي وكان واصلا
 اليه من الملائكة على بلا واسطة بشرية فناسب الاتيان بعلى المختصة بالعلو وما هناك خطاب
 للامة وقد وصل اليهم بواسطة النبي الذى هو من البشر فناسب الاتيان بالى المختصة بالاتصال
 قال الزمخشري فيه تعسف ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله تعالى
 آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا لم قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل
 (أجيب) بأنه انما قدم لان المنزل عليه هو المعترف للمنزل على سائر الرسل ولانه أفضل الكتب

المنزلة (ومن لم يمسلمون) أى موحدون مخلصون له في العبادة لا نجعل له شركاء فيها ونزل فيه
ارتد ولحق بالكفار وهم اثنا عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخبره وامن المدينة وأتوا مكة
كفارا منهم الحرث بن سويد الانصاري (ومن يتبع غير الاسلام ديناً) أى غير التوحيد والافتقار
لحكم الله فهو مشغل على الايمان به هذا التقدير وديننا تمييز مبين للاسلام والدين يشغل على
التصديق والاعمال الصالحة فالاسلام كذلك لأن المبين لا يخالف المبين وعلى هذا حمل الاسلام
على الدين في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والدين هو الوضع الالهي السائق لكل خير
(فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) لم يصيره الى النار المؤبدة عليه وقوله تعالى (كيف
يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم) لفظه استغفاهم ومعناه بخدائهم يهديهم الله ليعلم من
نصمهم على كفرهم بأنهم كفروا بعد ايمانهم (و) بعدما (شهدوا ان الرسول حق) وقد
(جاءهم البينات) أى الحجج الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم
الظالمين) أى الكافرين (أو لئلا جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)
والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فان الكافر يلعن. شكر الحق والمرد عنه ولكن لا يعرف
الحق بعينه * (تبسبه) * دلت هذه الآية بمطوقها على جواز لعن القوم المذكورين
وبفقهومها على نفي جواز لعن غيرهم من الكفار الذين لم يكفروا بعد ايمانهم قال البيضاوي
ولعل الفرق انهم أى هؤلاء مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما يوسون عن الرحمة
بخلاف غيرهم أى فلا يلعن الكافر الا صلى المعين حياً ولا ميتاً ما لا يعلم موته على الكفر
وكالا صلى المرتد وأما لعن الكافر على العموم فيجوز (خالد بن وهب) أى اللعنة أو النار
أو العقوبة المدلول باللعنة عليها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يظنون) أى يهلون (الا الذين
تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) علمهم نصديقاً لتوبتهم (فان الله غفور) لهم يقبل توبتهم
(رحيم) بهم يتفضل عليهم وذلك أن الحرث بن سويد لما ارتد ولحق بالكفار رنم فأرسل الى
قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجللاس بالآية
فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته * ونزل في اليهود (ان الذين
كفروا) يعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) موسى والتوراة (ثم ازدادوا كفراً) بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن وقبل كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالاصرار
والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض المشاق (ان تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون)
أى النابتون على الضلال (فان قيل) قد وعد الله تعالى قبول توبته من تاب فاعنى قوله تعالى
ان تقبل توبتهم (أجيب) بأن محل القول اذا كان قبل الفرغة وهو لا توبتهم كانت بعدها
وانهم لم يتوبوا أصلاً فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها وأن توبتهم لا تكون الانفاقا
(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملة) أى مقدار ما عاينوا من
(الارض) شرقتها الى غربها (ذهباً) تغليظاً في شأنهم وبرا زحالهم في صورة حال الآيسين من
الرحمة (فان قيل) لم قال في الآية الاولى ان تقبل بغير فاء وفي هذه بقوله فلن يقبل بالفاء (أجيب)

بأن الفناء انما دخلت في خبر ان لشجرة الذين بالشرط وايدنا بتسبب امتناع القديرة على الموت
على الكفر بخلافه في الآية الاولى لا دليل فيه على السبب كما تقول الذي جاءني له درهم لم يجعل
الجي سببا لاستحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم ونصب ذهباً على التمييز كقولهم عشرون
درهم ما وقوله تعالى (ولو اقتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية
ولو اقتدى به الأرض ذهباً ومعطوف على مضمرة تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض
ذهباً لوقته قرب به في الدنيا ولو اقتدى به من العذاب في الآخرة ويجوز أن يراد ولو اقتدى بمثله
كقوله تعالى ولولأن الذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومنه معه والمثل يحذف كثيراً في كلامهم
كقوله ضربته ضرب زيد وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله (أولئك لهم عذاب أليم) أى مؤلم
(وما لهم من ناصرين) أى مانعين عنهم العذاب ومن مزينة للاستعراق روى أنس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لا هون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض
من شيء أكننت فتفدي به فبقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم
أن لا تنشر لي في شئ ما فأتيت الآن تنشر لي (لن تنالوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو
كمال الخير وألن تنالوا البر الله تعالى الذي هو الرحمة والرضا والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) من
أموالكم أو ما يعيها أو غيرها كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والنفس
في سبيله وقال الحسن لن تكونوا أبراراً روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عليه بكم بالصدق
فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور
يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وكان
السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله روى لما نزلت هذه الآية جاء أبو طلحة فقال يا رسول
الله إن أحب أموالي إلى البرح وهو بفتح الباء الموحدة وكسرها وفتح الراء وضمة مع المدة
والقصر ضبيعة بالمدينة وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب فضعها يا رسول الله حدث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج ذلك مال رابع أو قال رائع وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعلى
يا رسول الله فقسمها في أقاربه قوله صلى الله عليه وسلم يخرج كلمة تنال عند المدح والرضا بالشيء
وتكثر لألمبالغة وهي مبنية على السكون فإن وصلت كسرت ونونت وربما شددت وقوله رابع
أو رائع يقال لضبيعة الإنسان مال رائع بالياء أى يروح نفعه إليه ورائع بالباء الموحدة أى ذور
كقولك لابن وتامر أى ذولبن وذوقر وجر زبد بن حارثة بفرس له كان يجبه أقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فكان زيد أوجد في نفسه وقال
انما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله قد قبلها منك وكتب
عمر رضى الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يتساع له جارية من سبي جلولاء يوم فقت
مداش كسرى فلما جاءت أعجبتة فقال ان الله تعالى قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

فأعنتها وقال لولا اني لا أعود في شيء جعلته الله لنسكتها (وما تنفقوا من شيء) أي من أي شيء
تحبونه أو غيره ومن بيان لما (فإن الله به عليم) فيجازيكم بحسبه * ولما قالت اليهود لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الابل وألبانها
وأنت تأكلها فقلت أنت على ملة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لإبراهيم
فقالوا كل ما حرمه اليوم كان حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى البنازل (كل الطعام) أي
المطعومات أو كل أنواع الطعام (كان حلالا) أي حلالا لأكله (لبني إسرائيل) والحل مصدر
يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
(الاما حرم إسرائيل) وهو يعقوب صلى الله عليه وسلم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة (أي
ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل وألبانها على إبراهيم بل كان الكل حلالا لله ولبنى
إسرائيل وانما حرمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة فليس في التوراة حرمتها واختلقوا
في الطعام الذي حرمه إسرائيل على نفسه وفي سببه فقال مقاتل والكلبي كان ذلك الطعام لحمان
الابل وألبانها وسبب ذلك انه مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنهذرتن عافاه الله من سقمه
ليجزم أحب الطعام والشراب اليه وكان ذلك أحب اليه فخرمه وقال ابن عباس والفضالة هي
العروق وسبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وهو يفتح النون والقصر عرق يخرج من الورك
فيسبطن الفخذ وكان أصل وجعه أنه كان نذرا وحبه الله انجي عشر ولدا وأتى بيت المقدس
صحيفا أن يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك في الصراع
فعالجه فلم يصريح واحدا منهم ما صاحبه فغمره الملك غمرة فعرض له عرق النسا ثم قال له أما اني
لو شئت أن أصرك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمرة لأنك كنت نذرت ان أتيت بيت المقدس
صحيفا ذبحت ولذا جعل الله لك بهذه الغمرة من ذلك مخرجا فكان لا ينال باليسل من الوجع
خلف يعقوب لئن عافاه الله تعالى أن لا يأكل كل عرقا ولا طعاما فيه عرق فخرمه على نفسه وكان
بنوه بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونهم من اللحم وقال ابن عباس لما أصاب يعقوب عرق
النسا وصف له الأطباء أن يجتنب لحمان الابل فخرمها يعقوب على نفسه ثم اختلقوا في حال
هذا الطعام المحترم على بنى إسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة
ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال النخعي لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم وانما حرموا على
أنفسهم اتباعا لإيهام ثم أضافوا تحريمه الى الله عز وجل وأكذبهم الله تعالى فقال تعالى
(قل) لهم يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتلوها) ليتبين صدق قولكم (ان كنتم صادقين) فيه فهبتوا
ولم يأتوا بما وفي اخباره صلى الله عليه وسلم عما في التوراة دليل على نوبته قال الله تعالى (فمن
افترى) أي ابدع (على الله الكذب من بعد ذلك) أي ظهورا للجنة بأن التحريم انما كان من
جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم (فأولئك هم الظالمون) أي المتجاوزون الحق الى الباطل وقوله
تعالى (قل) أي لهم (صدق الله) نريض بكذبهم أي ثبت ان الله صادق في هذا بجميع ما أخبر به
وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة إبراهيم) أي ملة الاسلام التي أنعم عليها التي هي في الأصل ملة

ابراهيم حتى تخلصوا من اليهودية التي ومنتكم في فساد دينكم ودينكم كما حيث اضطرركم
 الى تحريف كتاب الله تعالى لتسوية اغراضكم وأرستكم تحريم الطيبات التي أحلها الله تعالى
 لابراهيم عليه السلام ومن تبعه (حنيفاً) أي مائلاً عن كل دين الى دين الاسلام وقوله تعالى
 (وما كان من المشركين) فيه إشارة الى ان اتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم واجب في التوحيد
 الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط وهو تحريف التوراة وعن التفريط وهو ترك
 العمل وفيه إشارة الى التعريض بشرك اليهود ولما قالت اليهود للمسلمين بيت المقدس قبلتنا
 وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة أفضل نزل (ان أول
 بيت وضع للناس) أي جعله الله متعبداً لهم وهو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء
 والارض خلقه الله تعالى قبل الارض بألبي عام وكان زبدة يضاء على وجه الماء فحمت الارض
 تحتها بناء الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الاقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث
 الصحيحين ولما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طافنا قبلك بألبي عام وقيل
 أول من بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موه قبل آدم بيت يقال
 له الضراح بضاد مجمة وحامه ملة سمي بذلك لانه ضريح من الارض أي بعد ويطوف فيه الملائكة
 فلما أهبط أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به الملائكة
 السموات قال البضاوي وهذا القول لا يلائم ظاهر الآية وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدمه فبناه
 قوم من جرهم ثم العمالق ثم قر يش (للذي) أي لا بيت الذي (بيكة) بالباء لغة في مكة سميت
 بذلك لانها تيسر أعناق الجبابرة أي تدفعها لم يرمها جبار بسوء الاوقصه الله وسميت مكة بالبحر
 لقلة ما فيها من قول العرب ملك الفصيل ضرع أمه وامته كما اذا امتص كل ما فيه من اللبن
 وتدعى أم رحم لان الرحمة تنزل بها وقوله تعالى (مباركاً) حال من الذي أي ذا بركة لانه كثير
 الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعمره واعتكف عنده أو طاف حوله من الثواب وتكفير
 الذنوب (وهدي العالمين) لانه قبلتهم ومتعبدتهم ولأن فيه آيات بحسب ما قال تعالى (فيه آيات
 بينات) كالخريف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار فلا تعلق فوقه وأن ضرارى
 السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تعترض لها واذا قصدت الجارحة صيدا فدخلت الحرم
 كفت عنه وأنه بلد صار اليه الانبياء والمرسلون والاوياء والابرار وان الصلاة فيه تضاعف
 بمائة ألف وان كل جبار قصد بسوء قهره الله تعالى كما أصحاب القبيل وجعله فيه آيات
 بينات مفسرة لهدي أو حال كبار كاهدي وقوله تعالى (مقام ابراهيم) مبتدأ حذف خبره أي منها
 مقام ابراهيم أو خبر مبتدأ محذوف أي احدها أو بدل من آيات بدل بعض من كل وهو الحجر الذي
 قام عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي
 ولعل الذي اندرس بعضه فاني رأيت أثر القدمين فيه وفي هذا دلالة على قدرة الله تعالى ونسوة
 ابراهيم عليه الصلاة والسلام لان تأثير القدم في العصرة السماء وغوصه فيها الى الكعبين
 والانه بعض العصرة دون بعض وإبقاءه دون سائر آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحفظه

مع كثرة أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنين معجزة عظيمة و
 في سبب هذا الاثر على قولين أحدهما أنه لما ارتفع بنبان الكعبة وضعف إبراهيم
 الحجارة فقام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماء وهذا هو المشهور والقول الثاني انه لما جاز
 من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فغاءته به
 فوضعت على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه
 حتى غسلت الشق الاخر فبقى أثر قدميه عليه قال البيضاوي وقيل عطف بيان ورد هذا
 بأن آيات ~~نكرة~~ ومقام إبراهيم معرفة ولا يجوز النخالف في عطف البيان بإجماع البه
 والكوفيين وقوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) جلة ابتدائية أو شرطية معطوفة من
 المعنى على مقام لانه في معنى آمن من دخله أى ومنها آمن من دخله وذلك بدعوة إبراهيم
 الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد آمناً وفي الاقتصار على ذكر هاتين الآيتين وطم
 غرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات يثبت مقام إبراهيم وأمن من
 وكثير سواهما ونحوه في طي الذ كر قول جرير

كانت حنيفة اثلاثاً فثلثهم * من العبيد وثلث من موالها

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبيب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في ا
 والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين به
 القيامة آماناً رواه أبو داود والدارقطني وغيرهما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ا
 والبقيع يؤخذ بطرافهما ويثران في الجنة والجحون مقبرة مكة والبقيع مقبرة المدينة
 الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيره ما لم يعترض له
 لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يابى حتى يضطر الى الخروج فيقتل وكان عمر بن الخطاب
 لو ظفرت فيه بقائل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند الامام الشافعي رحمه الله
 لا يلجأ الى الخروج بل يقتل للامر في خبر الشيخين يقتل ابن خطل وقد كان ارتد وتعلق به
 الكعبة وأما قوله ومن دخله كان آمناً وخبر من دخل المسجد فهو آمن فغناء جمعاً بين الا
 من دخله بغير استحقاق قتل كان آمناً ومن دخله بعد استحقاق قتل قتل وأما اذا ارتكب ا
 في الحرم فيستوفى منه بالاتفاق (ولله على الناس حج البيت) أى قصده للزيارة على وجه محض
 وهو أحد اركان الاسلام قال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا انا
 محمد رسول الله وقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان وقرأ حفص وحزرة وال
 بكسر الحاء وهى لغة نجد وقرأ الباقر بالفتح وهى لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان وه
 واحد وقوله تعالى (من استطاع اليه) أى الحج أو البيت (سبيلاً) أى طريقاً بديل من ا
 مخصوص له وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره
~~كفر~~ أى بما فرضه الله من الحج أو كفر بالله (فان الله غنى عن العالمين) أى الانس
 والملائكة وعن عبادتهم وقيل وضع كفره موضع لم يحج تأ كيد الوجوب وتشديد على

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ملك زاداً وراحلةً تبلغه الى بيت الله ولم يحج فمات عليه أن يموت
يهودياً أو نصرانياً أو الترمذى وضعفه ونحوه في التغليب من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر
* (تنبيه) * في هذه الآية أنواع من التأكيذ والتشديد على طلب الحج منها قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت أى انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج
من عهده ومنها انه ذكر الناس ثم انه أبدل منه من استطاع اليه سبيلاً وفيه ضربان من
التوكيد أحدهما ان الإبدال تنفية للمراد وتكريه والناسي أن الإيضاح بعد الإبهام
والتفصيل بعد الإجمال إيراد في صورتين مختلفتين ومنها ذكر الاستغناء وذلك مما يدل على
المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه وفيه من الدلالة على الاستغناء
عنه برهان لانه اذا استغنى عن العالمين تساوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج
فجئوا فأتيت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفروا به خمس ملل وهم المشركون واليهود
والنصارى والصابئون والجوس قالوا لا تؤمن به ولا نصلى اليه ولا نعبده فنزل ومن كفر الخ
وعنه صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى
حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البرجانية وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حجوا هذا
البيت قبل أن تثبت في البادية شجرة لآناً كل منها دابة الانقفت اى ماتت (قل يا أهل الكتاب
لم تكفروا بآيات الله) الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدينه من وجوب الحج
وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح وانهم وإن زعموا أنهم
مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كفرون بهما (والله شهيد) أى والحال ان الله تعالى شهيد
(على ما تعملون) فيجازيكم عليه (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) أى تصرفون (عن سبيل الله)
أى دينه الحق المأمور بسلكه وهو الاسلام (من آمن) بتكذيبكم النبي صلى الله عليه وسلم
وكنتم نفعه وكافوا بفتنوا المؤمنين ويحتالون في صدقهم عن دين الله ويمنعون من أراد الدخول
فيه جهدهم وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من
العدوان والحروب ليعودوا إلى السلم وانما كرا الخطاب والاستغناء مبالغة في التوبيخ ونفي
العذر عنهم واشعاراً بأن كل واحد من الأمرين مستقيم في نفسه مستقل باستجلاب العذاب
وقوله تعالى (تغيرن) أى السبيل (عوجاً) حال من الواو أى باغين طالين لها اعوجاجاً أى
مبلاعن القصد والاستقامة بأن تلبسوا على الناس وتوهموا ان في دين الاسلام عوجاً عن الحق
بمنع التسبيح وبغير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما * (فائدة) * قال أبو عبيدة العوج
بالكسر فى الدين والقول والعمل وبالفصح في الجدار وكل شخص قائم (وأنت شهداء) أى عالمون
بأن الدين المرصى هو دين الاسلام كافى بكم (وما الله بغافل عما تعملون) من الكفر

والله كذيب وانما يؤخركم لوقتكم فيجازيكم (فان قيل) لم خفت الآية الاولى بقوله تعالى والله شهيد على ماتعملون وهذه الآية بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون (أجيب) بأنه لما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله تعالى والله شهيد على ماتعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون ولما امر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مسجد لهم يهدئون فغاضه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابان اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعث وهو موضع بالمدينة وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما قتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل قناز القوم عند ذلك وتفاحروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فبين معه من المهاجرين والانصار فقال أبدو الجاهلية وانا بين أظهركم بعد اذا كرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألغى بينكم فرف القوم انها نزعتم الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرف رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين نزل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أولوا الكتاب) أي شاسا وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قال جابر ما رأيت يوما قط أفجع أولوا وأحسن آخر امثل ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب والتوبيخ (وكيف تكفرون) أي ولم تكفرون (وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى من أين ينطق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم غصة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم وبعضكم ويزيح شبهكم (ومن يعصم بالله) أي ومن يتسلك بدينه أو يلجئ اليه في مجامع أموره (فقد هدى) أي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلا ناقدا فلت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصله ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكرم متوقع للفلاح عنده (الى صراط) أي طريق (مستقيم) أي واضح (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أي واجب تقواه وما يجئ منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم وقال ابن مسعود بأن بطاع فلا يعصى ويشكر فلا ينكر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا لما نزلت هذه الآية قالت الصعابة رضى الله تعالى عنهم يا رسول الله من يقوى على هذا فسح بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال مقاتل امس في آل عمران منسوخ الا هذه الآية (ولا تخونن الاوائتم مسلمون) أي موحدون والمعنى لا تكونن على حال سوى حالة الاسلام اذا أدرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال أو غير هاد قد توجه بالذات الى القيل تارة والى المقيد أخرى والى المجموع منها وهو هنا الى القيد كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو ولا تأتني الاوائت على حصان بكسر الحاء فلا تنه عن الايمان

ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الايمان فالتنهي هنامتوجه الى القيد وحده وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته الآية فإلوان قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بن هو طعامهم وليس لهم طعام غيره (واعنعهم واجبل الله) أى بدى به وهو دين الاسلام استعاره الجبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاح من الردى كما أن التمسك بالجبل سبب للسلامة من التردى أو بكتابه وهو القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن جبل الله المتين لانتفضى بحمائه ولا يخاف عن كثرة الزد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم وقوله تعالى (جميعا) حال أى مجمعين عليه (ولا تفرقوا) أى ولا تفرقوا بعد الاسلام بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادى بعضهم بعضا ويحاربه (واذكروا نعمة الله) أى انعامه (عليكم) التي من جعلها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التالف (اذ كنتم أعداء) في الجاهلية بينكم الا نحن والعداوات والحروب المتواصلة (فألف بين قلوبكم) بالاسلام وقذف فيها المحبة (فأصبحتم بنعمته إخوانا) متراحين متناجين مجمعين على أمر واحد وهو الاخوة في الله وقيل هم الاموس والخزرج كانوا أخوين لاب وأُم فوقع بينهم العداوة بسبب قتيل وقاتل الحروب والعداوة بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شقي) أى طرف (حفرة من النار) أى حفرة ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تتوبوا كفارا (فأنقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو النار أو الشقي وأنه لتأنيث ما أضيف اليه كقول الشاعر * كاشرفت صدر القناة من الدم * (كذلك) أى مثل ذلك البيان البليغ (بين الله لكم آياته) أى دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ان تزدادوا هدى (ولتكن منكم أمة) أى طائفة (يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فمن التبعض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الامن علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يبائره فان الجاهل ربحا نهى عن معروف وأمر بمنكر وقد يغلط في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وعلى هذا فالخطاب به الكل على الاصح ويسقط بفعل البعض الخرج عن الباقي وهكذا كل ما هو فرض كفاية فان تركوه أصلا ثم اجمعوا وقبل من رائدة وقبل للتبيين يعنى وكونوا أمة تأمر بالمعروف كقوله تعالى كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك) أى الداعون الامرون الناهون (هم المفلحون) أى الفائزون بكال الفلاح وروى الامام أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم سئل وهو على المنبر من خير الناس قال أمرهم بالمعروف وأنهم اهتم عن المنكر واتقاهم لله وأوصلهم للرحم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسا به فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان وروى انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بي

يسده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر وأوليو سكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال أيها الناس
انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله
تعالى بعذابه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم
استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يتر بالماء
على الذي في أعلاها فتأذوا به فأخذوا سفينة رجل في أسفل السفينة فأثروا وأمالك فقال
تأذيتني ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه وأنجوه أنفسهم وان تركوه أهلكوه
وأهلكوا أنفسهم وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم بحيقة الحمار أحب اليهم
من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفیان الثوري إذا كان الرجل محببا
في جيرانه محمودا عند أخوانه فاعلم أنه مدهان والامر بالمعروف تابع للأموهية ان كان واجبا
فواجب وان كان مندوبا فمندوب وأما النهي عن المنكر أرى الحرام فواجب كله لان جميع
المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح والاطهر ان العاصي يجب عليه أن ينهي عابرتكبه لانه
يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر وعن السلف مر وبالخير
وان لم تفعلوا وانما يجب الامر والنهي على المكلف اذ المي يحس ضررا ويجب ان يدفع بالاخف
فالاخف كدفع الصائل (فان قيل) الدعاء للخير عام في التكليف من الافعال والتروك فهو
شامل للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فافائدة ذلك (أجيب) بأنه من عطف الخاص
على العام ايدانا بفضل كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (ولا تكونوا كالذين
تفرقوا) عن دينهم (واختلفوا) فيه وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم البينات)
أى الآيات والحجج الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق وقيل هم مبتدعة هذه
الامة وهم المشبهة بالجبرية والحشوية وأشباههم وقوله تعالى (وأولئك لهم عذاب عظيم)
وعبد الذين تفرقوا وتمديد للمتشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) هو يوم القيامة
ونصب يوم بالنظر وهو لهم لما فيه من معنى الفعل أرباضا مراد كروا والبياض من النور
والسواد من الظلمة فن كان من أهل نور الحق وسيم بياض اللون واسفاده واشراقه وايض
صحافته واشرفت وسعى النور بين يديه ويمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسيم بسواد اللون
وكسوفه واسودت صحافته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب فعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل وأهله (فأما الذين اسودت وجوههم) فهم الكافرون فيلقون
في النار ويقال لهم تو بئنا (أ كفرتم بعد ايمانكم) واختلفوا في كيف كفروا بعد ايمانهم فقال
أبي بن كعب أراد به الايمان يوم الميثاق حين قال لهم ألسن بربكم قالوا بلى يقول أ كفرتم بعد
ايمانكم يوم الميثاق وعلى هذا هم جميع الكفرة وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايان
بأسنتهم وأنكروا بقلوبهم وعن عكرمة انه سم أهل السكاين آمنوا بآياتهم وبمحمد صلى

الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به وقال قتادة هم أهل البدع وقال أبو أمامة هم
 الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب أهل النار هؤلاء شر قتلى تحت
 أديم السماء وخير قتلى تحت أديم الأرض الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشتى نقوله
 برأيتك أم شتى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم غير مرة قال فإسألك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا
 ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ يديه فقال إن بأرضك منهم كثير فأعاذك الله تعالى منهم وقوله
 تعالى (فذوقوا العذاب) أمر اهانة (بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم أو جزاء كفركم فالباء
 متعلقة بذوقوا على الأول ويحذف على الثاني (وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله) أي
 الجنة عبر عنهم بالرحمة تنبيه على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة
 إلا برحمة وفضله (فان قيل) كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم (أجيب) بأن القصد أن يكون
 مطلع الكلام ومقطعه حلقة المؤمنين وثوابهم (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى (هم فيها خالدون)
 بعد قوله ففي رحمة الله (أجيب) بأن فائدته أنه أخرج مخرج الاستئناف والتأكيـد
 كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أي هذه
 الآيات الواردة في الوعد والوعيد (آيات الله تتلوها عليكم) يا محمد (الحق) أي متلبسة بالحق
 والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلماً للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه تعالى لانه
 لا يجب عليه شيء بل هو المالك على الإطلاق كما قال تعالى (ولله ما في السموات وما في الأرض)
 ملكا وخلاقا (والى الله ترجع) أي نصير (الامور) فيجازى كلابا وعده وأوعده (كنتم) يا أمّة محمد
 صلى الله عليه وسلم في علم الله تعالى (خيراً أمه أخرجت) أي أظهور (للفاس) وقيل كنتم في الامم
 قبلكم مذكورين بأنكم خير أمّة موصوفين به روى انه صلى الله عليه وسلم قال ألا وان هذه
 الامّة لو في سبعين أمّة هي خيرها وأكرمها على الله تعالى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال مثل
 أمّتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره وروى انه صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمت على
 الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمّتي وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
 أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامّة وقوله تعالى (تأمرون بالمعروف وتنهون
 عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير أمّة كما تقول زيد كرم بطعم الناس ويكسوهم ويقوم
 بمصالحهم أو خبر ثان لكنتم وقوله تعالى (وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن
 به لأن من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب
 أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله (فان قيل) لم آخر تؤمنون بالله وحقه أن يقدم
 (أجيب) بأنه إنما اخبر لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمر بالمعروف ونهوا عن المنكر إيماناً
 بالله تعالى وتصديقاً به وإظهاراً لدينه (تنبيه) استدلال بهذه الآية على أن إجماع هذه الامّة
 حجة لانها تقتضي كونهم هم أمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر إذا الامم فيها الاستغراق فلو
 أجمعوا على باطل كعمر بن شقبة هو في نفس الامر معروف كان أمرهم على خلاف ذلك (ولو آمن)

أهل الكتاب بالله ورؤسوله صلى الله عليه وسلم (لكن) الايمان (خير لهم) مما هم عليه لانهم
 انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبس الرياسة واستتباع العوام (منهم المؤمنون) كعبد الله بن
 سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) أى المتزددون في الكفر (لن يضروكم) أى اليهود يامعشر
 المسلمين بشئ (الأذى) أى ضررا يسيرا كسب وطعن في الدين وتهديد ونحو ذلك (وان يقا بلوكم
 يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضرونكم يقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) عليكم بل لكم النصر عليهم
 وفي هذا تنبيه لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بأنهم لا يقدر ان يتجاوزوا الاذى الى ضرر
 يالى به مع أنه تعالى وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل (فان
 قيل) هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون (أجيب) بأنه عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
 الاخبار ابتداءً كأنه قيل ثم أخبركم انهم لا ينصرون والفرق بين رفعه وجرمه في المعنى أنه
 لو جزم لكان في النصر عقيدة بما تلتهم كقولهم الادبار وحين رفع كان في النصر وعدا مطلقا
 كأنه قال ثم شأنهم وقصصهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها ابعد التولية أنهم مخذولون منصف
 عنهم النصر والقوة لا يهضون بعدها يجتاح ولا يستقيم لهم أمر كما أخبر عن حال بني قريظة
 والنضير ويهود خيبر (فان قيل) ما معنى التراخي في ثم (أجيب) بأن معناه التراخي في الرتبة
 لأن الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتولييتهم الادبار (ضربت عليهم الدلة)
 أى هدر النفس والمال والاهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية (أيما تقفوا) أى حيثما
 وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام في سائر أحوالهم (الا) في حال اعتصامهم (بجبل من الله)
 أى بركة الله أو كتابه (وحبل من الناس) أى بركة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل
 المؤمنين أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاوزهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية او دين
 الاسلام (وباؤا) أى رجعوا (بغضب من الله) أى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة)
 كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها يظهرون الفقر والمسكنة
 وفسرا كثر المفسرين المسكنة بالجزية وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه قال البيضاوي
 واليهود في غالب الامر فقراء مساكين اه (ذلك) أى ضرب الذلة والمسكنة والبؤ بالغضب
 كائن (بأنهم) أى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك)
 أى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) أى كانوا بسبب عصيانهم واعتدائهم
 حدود الله تعالى فان الاصرار على الصغار يفضي الى الكاثر والاصرار على الكاثر يفضي
 الى الكفر والعياذ بالله تعالى (ليسوا) أى أهل الكتاب (سواء) أى مستوفين وقوله تعالى
 (من أهل الكتاب أمة قائمة) أى مستقيمة ثابتة على الحق استئناف لبيان ثي الاستواء وهم
 الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما أسلم عبد الله بن
 سلام قالت أخبار اليهود ما آمن بمحمد الا أشرا رنا ولولا ذلك ماتر كوا دين آبائهم فانزل الله
 هذه الآية (يتلون آيات الله) أى يقرؤن كتاب الله (آناه الليل) أى في ساعاته وقوله تعالى
 (وهم يسجدون) حال أي يصلون لأن التلاوة لا تكون في السجود واختلفوا في معناها فقال

بعضهم هي قيام الليل وقال ابن مسعود هي صلاة العفة لأن أهل الكتاب لا يصلون لها روى أنه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أمانة أي الشأن ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله تعالى هذه الساعة غيركم رواه الإمام أحمد والشافعية وغيرهما وقوله غيركم بالنصب خبر ليس ومن أهل الأديان حال من أحد قاله التفنيزاني ثم وصف الله تعالى تلك الأمة القائمة بصفات أخر فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك) أي الموصوفون بمعاذكم (من الصالحين) أي ممن ملئت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناء أي والامة الأخرى غير قائمة بل مخرجون عن الحق غير مبعدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون لليوم الآخر بغير مصفته متباطئون عن الخيرات فترك هذا كقوله بذكر أحد القريتين (وما تفسدوا من خير فلن نخبروه) أي تعدوا نوابه بل تجازون عليه وقرأ حفص وسجدة والكسائي بالياء فيهما أي الامة القائمة والساقون بالنساء على الخطاب أي أيها الامة القائمة وقوله تعالى (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم وأشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وإن الغايز عند الله هو أهل التقوى (إن الذين كفروا لن تغني) أي تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أي من عذابه (شيئاً) وخص الأموال والأولاد بالذکر لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بقاء المال ونارة بالاستعانة بالأولاد (وأولئك أصحاب النار) أي المأزموها هم فيها خالدون مثل) أي صفة (ما ينفقون) أي الكفار (في هذه الحياة الدنيا) في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها (كمثل ريح فيها صر) قال أكثر المفسرين فيها برد شديد وحكي عن ابن عباس أنها السحوم الحارة التي تقتل وقتل فيها صر أي صوت (أصاب حوث) أي زرع (قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي (فأهلكته) عقوبة لهم لأن الإهلاك عن خطئ أشد وأبلغ والمعنى مثل أهلك ما ينفقون كمثل أهلك زرع الزرع فلم يتقوا به فكذلك نفقة هؤلاء ذاهبة لا تفتقرون بها (وما ظلمهم الله) بضائع نفقاتهم (ولكن أنفسمهم بظلمون) بالكفر الموجب لضاياعها ويجوز أن يعود الضمير لأصحاب الحوث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله تعالى بأهلك حوثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة (بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) أي أصدقاء تطلعونهم على سركم تفتك بهم شبهوا ببطانة الثوب كاشهوا بالشعار قال عليه الصلاة والسلام لا تنصروا شعا والناس دائر رواد الشيطان والشعا وما يلي الجسد والدائر فوقه وقوله تعالى (من دونكم) أي من دون المسلمين متعلق بالتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي كائن من دونكم أي غيركم من الكفار والمنافقين (لا يألونكم خبالاً) أي لا يقصرون لكم في القساد والالو التقصير وأصله أن يعتدي بالحرف وعدى إلى مفعولين كقولهم لا أولئك نصصاً على تعيين معنى المنع والنقص والمعنى لا أمتنع نصصاً ولا أمتصكم (ودوا) أي تمنوا (ما عنتم) أي عنسكم وهو شدة الضرر وما صد به أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وبالغته (قد بدت) أي ظهرت (البغضاء من أوفهم) أي في كلامهم بالوقعة فيكم وإطلاع المنكرين

على سركم لا يتجالحون أنفسهم لفرط بغضهم وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لا اطلاع بعضهم بعضا على ذلك (وما تحقق صدورهم) من العداوة والغبط (أكبر) أى أعظم عباد الان بدوه ليس عن روية واختيار (قد ينالكم الايات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم فلا تولوهم (فان قيل) كيف موقع هذه الجمل وهي لا يأتونكم وودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء وقد ينالكم الايات (أجيب) بأنها مستأنفات على وجه التعليل بمعنى ان كلاله للهنى عن اتخاذهم بطنانة (ها أنتم أولاء) هاتبيه وأنتم كناية للمخاطبين وأولاء اسم للمشار إليهم وهم المؤمنون وقوله تعالى (تحبونهم) أى هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مبايحتهم للاسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة (ولا يحبونكم) لمخالفتهم لكم في الدين بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يذلون محبتهم لاهل البغضاء (وقومون بالكتاب كله) أى بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم وفي هذا توخي شديد للمؤمنين بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حكمكم ونحو هذا قوله تعالى فانهم بالؤمن كما تأمن وترجون من الله ما لا يرجون (واذا القوكم قالوا آمنا) أى فناها وتغير برا (واذا خلوا) أى خدلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل) أى أطراف الاصابع (من الغبط) أى شدة الغضب لما يرون من اتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ويعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازا وان لم يكن ثم عرض فيوصف الغضاظ والنادم بعض الانامل والبيان والابهام قال الحرث بن ظالم المازي
فأقتل أقواما لئلا مآذلة * يعضون من غيط رؤس الابهام

(قل مونا بغيطكم) أى ابقوا الى الممات بغيطكم قلن تر واما سركم وقوله تعالى (ان الله عليم بذات الصدور) أى بما في القلوب ومنه ما يضره هؤلاء بحيث أن يكون من المقول أى وقل لهم ان الله عليم بما هو أختي مما تحفونه من عض الانامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تنهجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمايرهم (ان تفسسكم) أى تصبكم أيها المؤمنون (حسنة) أى نعمة كنصر وغنيمة وخصب في معاشكم وتتابع الناس في دينكم (تسومهم) أى تترزهم (وان تصبكم سيئة) أى اساءة كهزيمة وجذب واختلاف يكون بينكم (يفرحوا بها) وجله الضرر متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون في عداوتكم فلم يوالوهم فاجتنبوهم (فان قيل) كيف وصفت الحسنه بالمس والسيئة بالاصابة (أجيب) بأن المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا لا ترى الى قوله تعالى ما أصابكم من حسنة فمن الله وما أصابكم من سيئة فمن نفسك (وان تصبروا) على أذاهم (وتسقوا) الله في موالاتهم وغيرها (لا يضركم كيدهم شيئا) بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين وهذا تعليل من الله تعالى وارشاد الى أنه يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا أردت ان تكبد من يفسدك فازد بفضل لا في نفسك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يكسر الضاد وسكون الراء من ضاروه يفسدوه والباقيون بضم الضاد وضم الراء مشددة للاتباع

كضمة مدوهى ضمة الامر المضاعف وكل مجزوم من المضاعف المضموم العين فانه يجوز ضمه
 للاتباع كما يجوز فتحه للضمة وكسر لاجل فتحك الساكن (ان الله بآياته يعلمون محبط) أى عالم
 فيما يزكم به (و) اذكر يا محمد (ادغدوت من أهلك) أى من حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها
 (نبؤى) أى تنزل (المؤمنين مقاعد) أى مراكر يقفون فيها (للقاتل والله جميع) لا قوالكم (عليهم)
 بأحوالكم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أصحابه ودعا عبد الله بن ابى بن ساول ولم يدعه قط قبلها واستشاره فقال عبد الله وأكثرت
 الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا
 ولا دخل علينا الا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فادعهم فان أقاموا أقاموا ابشر محبس أى بكسر
 الباء وهو مكان لا مأوى فيه ولا طعام وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
 والصبيان بالجاردة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذا رأى وقال بعض أصحابه اخرج بنا الى هؤلاء الا كلب لا يرون انا قد جئنا عنهم وضعفنا
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرامد حجة حولى فأولتها خيرا
 ورأيت فى ذباب سبغى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كائى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها
 المدينة فلن رأيت ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتهم بدو أكرمهم الله
 بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم ير الا وابه حتى دخل فلبس لأمته أى درعه فلما رآه
 قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى بأية
 وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج
 يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث
 من الهجرة ونزل فى عدوة الوادى أى بالعين المهملة وهى جاتبه وجعل ظهره وعكسه
 الى أحد وسوى صفوفهم وأجلس خمسين من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفع الجبل
 وقال انضخوا علينا بالنبل لا يأتون من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نصرنا (اذ) بدل من اذ قبله
 (هت طافقتان منكم) بنوسلة من الخرزج وبنو حارثة من الاوس وهما جناح العسكر
 (ان تغشلا) أى تجبنا عن القتال وترجعوا روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى زهاء ألف رجل
 ووعدهم النصران صبر واوكان المشركون ثلاثة آلاف فلما بلغوا عند جبل أحد بالمدينة انزل
 ابن أبى المنافق فى ثلثمائة وقال علام تقتل أنفسنا وأولادنا قتبهم عمرو بن حزم الانصارى
 وقال أشهدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبى لولم نعلم قتالا لا تبنا كنهم الحيان باتباعه فثبتهم
 الله ومضامع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري واظهار أنهم ما كانت الائمة
 وحديث نفس وكلاهما النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم ردها صاحبها الى الثبات والصبر
 ويوطئها على احتمال المكر وهما قال عمرو بن الاطنابة

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكالك تحمدى أو تسترعى

(والله وليهما) أى ناصرهما فإلهما تغشلان (وعلى الله فليستوكل المؤمنون) أى ليمتقوا به دين

غيره فينصرهم كما نصرهم يدر ونزل لما همزوا من أحد تذكرة لهم بفضيلة الله تعالى (ولقد نصركم الله
ييدر) وهو ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرافسي به وقوله تعالى (وأنت أذلة أي بقلته
العدد والصلاح والمال حال من الضعيف) فان قيل قال الله تعالى وأنت أذلة وقد قال تعالى والله
العزة لرسوله وللمؤمنين (أجيب) بأنه بمعنى القوة وضعف الحال وقلة السلاح والمال كما مر
فان نقص ذلك العز وهو القوة والغلبة روى ان المسلمين كانوا المئاة وبضعة عشر رجلا
ولم يكن فيهم الا فرس واحدوا كثرة كانوا رجالة وربما كان الجمع منهم ركبون رجلا
واحدوا والكفار كانوا افراسا من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة
الكاملة (فانقوا الله) في النبات وعدم المخالفة (اعلمكم تشكرون) أي بقواكم نعمه
التي أنعم بها عليكم من نصرته وقوله تعالى (اذ تقول للمؤمنين) أي تودعهم قطيعة نظرف لنصركم
وقوله تعالى (ألن يكفيكم أن يمدكم) أي يعينكم (ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)
انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما هي بلن اشعارا بأنهم كانوا كالأيسين من النصر لضعفهم وقلة
وقوة العدو وكثرتهم وقرأ ابن عباس يفتح النون وتشديد الزاي والباقيون يسكون النون
وتخفيف الزاي وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد بلى أي بلى يكفيكم (فان قيل) قد قال تعالى
في سورة الانفال اني مذككم بألف من الملائكة مردفين فكيف قال هنا ثلاثة آلاف (أجيب)
بأنه مدد لهم أولا بألف ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (ان تصبروا) أي على لقاء العدو
(وتتقوا) الله في المخالفة (ويأتوكم) أي المشركون (من فورهم) أي من وقتهم (هذا) والقور
الجملة والسرعة ومنه فارت القدر اشتد غلبا ثم اوسار ع ما فيها الى الخروج (يعدكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة متومنين) أي معان وقد صبروا وانقوا وأوتوا فخر الله وعده بأن قاتل
معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمام صفراء وبيض أرسلوا هابن أكفاهم وعن عروة بن
الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن الفضال معان بالصوف
الايض في نواصي الدواب وأذناها وعن مجاهد مجزوة أذنا بخلهم قال أكثر المفسرين
ان الملائكة لم تقابل في غير يوم بدر روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه نسوموا فان
الملائكة قد تسومت بالصوف الايض في فلانهم ومغافهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم
يكسر الواو والباقيون بفتحها (وما جعله الله) أي الامداد (الابشري) أي بشاره (لكم) أي بالنصر
(ولتطمئن) أي ولتسكن (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم كما كانت
السكينة لبني اسرائيل بشاره بالنصر وطمأنينة اقلوبهم (وما الفصر الامن عند الله) لامن
العدو والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم الى مدد الملائكة وانما أمدتهم وودعهم به
بشارة لهم وربط على قلوبهم من حيث ان نظرا العامة الى الاسباب أكثر (العزيز) الذي
لا يقابل (الحكيم) الذي ينصرون بخلاف من يشاء بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة
والصلوة وقوله تعالى (ليقطع) متعلق بنصركم أي لهلاك (طروفا) أي طائفة (من الذين كفروا)
بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسرى سبعين من رؤساء قريش ومسايدهم

(أَوْ يَكْبِتُهُمْ) أَي يَذْلِهِم بِالْهَزِيمَةِ وَالْكَبْتُ شِدَّةُ غَيْظٍ أَوْ وَهْنٌ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ (فَيَنْقَلِبُوا) أَي يَرْجِعُوا
(خَائِبِينَ) أَي لَمْ يَسْلُوا أَمَارَامَهُمْ وَالتَّنَوُّعُ لِلتَّرِيدِ * وَنَزَلَ الْمَاءُ كَسْرَتْ رِبَاعِيَةً صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَجَّ وَجْهَهُ يَوْمَ أَحَدٍ وَقَالَ كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَعَبُوا رَأْسَ نَبِيهِمْ وَكَسَرُوا رِبَاعِيَةً وَهُوَ
يَذْهَبُ هُوَ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) بَلِ الْأَمْرُ لِلَّهِ فَاصْبِرْ إِنَّكَ عَبْدٌ مَبْعُوثٌ لِنَازِلِهِمْ
وَيَجَاهِدْتَهُمْ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمَ أَحَدٍ اللَّهُمَّ الْعَنْ الْحَرْثَ بْنَ هِشَامٍ اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمِّةٍ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْأَيَّةُ وَقَالَ قَوْمٌ
تَزَلَّتْ فِي أَهْلِ بَيْتِ مَعُونَةٍ وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْقُرَآنِ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ
مَعُونَةٍ فِي صَفَرٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أَحَدٍ لِيُعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ الْقُرْآنَ
وَالْعِلْمَ أَمِيرُهُمُ الْمُنْذَرِينَ مَرُّهُ وَقَتْلُهُمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَوَجَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَجَدَ أَشَدَّ دُونَ وَقَتِّ شَهْرٍ فِي الصَّلَاةِ كَمَا يَدْعُو عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ بِاللَّعْنِ وَالسَّبِّ
وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ) عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ أَوْ يَكْبِتُهُمْ وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ
اعْتَرَاضٌ وَالْمَعْنَى إِنْ اللَّهُ تَعَالَى مَالِكٌ أَمْرُهُمْ فَاتَّأَنَّنَ بِهِ لَكُمْ أَوْ يَكْبِتُهُمْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَسْلَمُوا
أَوْ يُعَذِّبُهُمْ إِنْ أَصْرُوا (فَانْهَ ظَالِمُ الْوَلَدِ) بِالْكَفْرِ وَقِيلَ إِنْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بِمَعْنَى إِنْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
(وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) مَلِكًا وَخَلْقًا فَالْأَمْرُ كُلُّهُ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا تَكِيدُ
مَا ذَكَرَهُ أَوَّلًا مِنْ قَوْلِهِ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ لِنَ لَهُ الْمُلْكُ وَلَيْسَ هُوَ لِأَحَدٍ إِلَّا اللَّهُ
تَعَالَى (فَإِنْ قِيلَ) نَظَاهِرُهُ مَا ذَكَرَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ وَرَدَ لِلْمَنْعِ مِنْ أَمْرٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ
أَنْ يَفْعَلَهُ وَذَلِكَ الْفِعْلُ إِنْ كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَكَفَّ عَنْهُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ بِغَيْرِ أَمْرِهِ فَكَفَّ بِصَحْ
مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (أَجِيبْ) بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ بَابِ تَرْكِ الْأَفْضَلِ وَالْأَوَّلِ فَلَا
جُرْمَ أُرْشِدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى اخْتِيَارِ الْأَوَّلِ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا عَمَلًا مَا وَعَقَبْتُمْ بِهِ
وَلَيْتُمْ صَبْرَهُمْ لِهَوَا خَيْرَ الصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ أَوَّلًا إِنْ كَانَ وَلَا يَدَّ أَنْ
تَعَاقِبَ ذَلِكَ الظَّالِمَ فَانْهَ بِالْمَثَلِ ثُمَّ قَالَ نَاقِيًا وَإِنْ تَرَكْتَهُ كَانَ ذَلِكَ أَوَّلِي * ثُمَّ أَمْرُهُ أَمْرًا جَازًا بِتَرْكِهِ
فَقَالَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) مَغْفِرَتُهُ (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تَعَذُّبُهُ * وَلَمَّا كَانَ لَهُ
فَعَلْ ذَلِكَ الْآنَ جَانِبَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ غَالِبٌ لَاعِلَى سَبِيلِ الْوَجُوبِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّغْفِيلِ
وَالْإِحْسَانِ قَالَ (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لِأَوَّلِيَانِهِ (رَحِيمٌ) لِإِمْبَادِهِ فَلَا تَدْرِي بِالدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ * وَلَمَّا شَرَحَ سَهْنَانَهُ
وَتَعَالَى عَظِيمُ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِإِرْشَادِهِمْ إِلَى الْأَخْلَاقِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْجِهَادِ أَتْبَعَ ذَلِكَ
بِمَا يَدْخُلُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّحْذِيرِ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا)
وَهُوَ جَمْعُ ضَعْفٍ * وَلَمَّا كَانَ جَمْعُ قَلَّةٍ وَالْمَقْصُودُ الْكَثْرَةُ أَتْبَعَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ الْوَصْفُ بِقَوْلِهِ
(مُضَاعَفَةٌ) بِأَنَّ تَزِيدَ وَافِي الْمَالِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ وَقَوَّضُوا الطَّلَبَ وَالتَّخْصِصَ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ
إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَرَى إِلَى أَجَلٍ ثُمَّ يَزِيدُ فِي الدِّينِ زِيَادَةً أُخْرَى حَتَّى يَسْتَغْفِرَ بِالنَّشْءِ الطَّيِّفِ
مَالِ الْمَدِينِ وَالْأَفَارِ بِأَحْرَامِ بِالْمُضَاعَفَةِ بَلْ هُوَ مِنَ الْكِبَارِ مُطْلَقًا وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ
بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ وَلَا تُفْقِدُهَا وَالْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِ الْعَيْنِ وَأُلْفَ قَبْلَهَا (وَاتَّقُوا اللَّهَ) بِتَرْكِ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ

(لعلمكم تظلمون) أى تفوزون ثم خوفهم فقال تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) بالتحريز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هذه أخوف آية فى القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه باجتناب محارمه وفى الآية تنبيه على ان النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله والرسول لعلمكم ترحمون) لما ذكر الوعيد أتبعه بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة على عادته تعالى المستقرة فى القرآن قال محمد بن اسحق بن يسار هذه الآية معانة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم يوم أحد ولعل وعسى فى أمثال ذلك دليل على عزة التوصل الى ما جعل خيرا لهما ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها لم يتحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتبني على الله تعالى (وسارعوا) أى بادروا وأقبلوا (الى مغفرة من ربكم) أى الى ما تنسحق به المغفرة كالا سلام والتوبة وأداء القرائض والهجرة والجهاد والتكبير الاولى والاعمال الصالحات وقرأنا فاع وابن عامر بغير وا وقبل السين والباقون بوا وقبلها (و) الى (جنة عرضها السموات والارض) أى عرضها كعرضها كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض وانما جعت السماء وأفردت الارض لانهما أنواع قيل بعض فضة وبعض غير ذلك والارض نوع واحد وذكر العرض للمبالغة فى وصف الجنة بالسعة لان العرض دون الطول كادل عليه قوله تعالى بطائنها من استبرق على أن الظهارة أعظم يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري انما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا على سبيل التمثيل لأنها كالسموات والارض لا غير بل معناها كعرض السموات الارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى خالد بن قيس ما دامت السموات والارض أى عند ظنكم والافهما اثنان وعن ابن عباس الجنة كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وعنه أيضا ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وروى أن ناسا من اليهود سألو عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين تكون النار فقال لهم رأيتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا انه مثلها فى التوراة ومعناه أنه حيث شاء الله وسئل أنس بن مالك عن الجنة أى السماء أم فى الارض فقال وأى أرض وسماء تسع الجنة قيل فأين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارض السبع (فان قيل) قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها ما ذكر (أجيب) بأن باب الجنة فى السماء وعرضها كما أخبر تعالى (أعدت) هيت (للمتقين) الله يعمل الطاعات وترك المعاصي وفى ذلك دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وقيل ان الجنة والنار مخلقتان بعد قيام الساعة ثم وصف الله تعالى المتقين بصفات فقال (الذين يتفقون) أى فى طاعة الله (فى السر والنجوى) أى فى العسر واليسر والاحوال كلها لان الانسان لا يتحول عن مسرة أو مضرة أى لا يتحول عن حال ما باتفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير كما يحكى عن بعض السلف أنه رجا تصديق يصلحة وعن

عائشه رضي الله تعالى عنها انها صدقت بحجة عيب فأول ما ذكر من أوصافهم الموجبة للجنة ذكر السقاء وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من العالم البخل (والكاظمين الغيظ) أى الممسكين عليه الكافين عن امضاءه مع القدرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفضه دعاه الله يوم القيامة على رأس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء وروى من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملائكة قلبه أمنا وإيمانا وروى ليس الشديد بالصرعة الذى يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس) أى التاركين عقوبة من استحقها وما أخذته روى انه صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الامن عفا وعن ابن عبينه أنه روى عن الرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان هؤلاء فى أمتي قليل الامن عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون منقطعا وهو ظاهر وأن يكون متصلا لما فى القلة من معنى انعدم كأنه قيل ان هؤلاء فى أمتي لا يوجدون الامن عصم الله فانه يوجد فى أمتي وقوله تعالى (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون الالام فيه للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء وقوله تعالى (والذين إذا ذلوا فاحشوا) أى ذنبا قبيحا كالزنا (أو ظلوا أنفسهم) أى بما دون الزنا كالقبلة وقيل الفاحشة ما يعتدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكر والله) أى ذكر وأوعده وأحكمه وأحقه العظم (فاستغفر والذنوبهم) بالندم والتوبة عطف على المتقين أو على الذين يتفقون واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن رباح فى أبي سعيد القمار أنه امرأة حسنة تتبع من تقرأ فقال لها ان هذا القمار ليس بحبيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها ففعلت له اتق الله ففكر كها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية وقال مقاتل والكجى أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفى فى غزاة واستخلف الانصارى على أهله فاستترى لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المرأة أن تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع النفسى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لأكثر الله فى الاخوان مثله ووصفت له الحال والانصارى يسبح فى الجبال تائب مستغفرا فطلبه الثقيفى حتى وجده فأتى به أبابكر رجاء أن يجد عنده راحة وفرجا وقال الانصارى هلك وذكرا القصة فقال أبو بكر ويحك ما علمت ان الله تعالى يغار للغازى ما لا يغار للمقيم ثم أتيا عمر فقال عمر مثل ذلك ثم أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال مثل مقالهم فانزلت هذه الآية وقوله تعالى (ومن) أى لاحد (بغفر الذنوب الا الله) استغفاه بمعنى التنى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول

التوبة (ولم يصروا على ما فعلوا) أى ولم يقيموا على قبيح فعلهم بل أقبلوا عنه مستغفرين روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصرم من استغفروا ن عادي اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من يصروا أى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به وقوله تعالى (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار) إشارة الى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ أو أولئك خبره وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها * (تنبيه) • لا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون كما يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم أن لا يدخلوها غيرهم فقول الزمخشري في الكشف وفي هذه الآيات بيان فاطح على أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرون ومن خلف في ذلك فقد كابر عقله وعاند به جاره على طريق الاعتزال من أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً لا يدخل الجنة ونعوذ بالله من ذلك بل كل من مات على الاسلام يدخل الجنة وهو تحت المشيئة ان شاء الله عذبه وان شاء عفا عنه وقوله تعالى (ونم أجر العاملين) المخصوص فيه بالمدح محذوف تقديره ونم أجر العاملين ذلك أى المغفرة والجنات روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مؤمن أذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الاغفر الله له وروى أى عبد أذنب ذنباً فقال يارب أذنب ذنباً فاغفر لي فقال له علم عبدى أن له ربا يغفر الذنوب ويؤاخذ به فاغفر له فكذلك ما شاء الله ثم أذنب ذنباً آخر فقال يارب أذنب ذنباً آخر فاغفر لي قال له عبدى أن له ربا يغفر الذنوب ويؤاخذ به قد غفرت له فليعمل ما شاء أى ويستغفر فاغفر له وروى أنه تبارك وتعالى قال يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ابن آدم انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقيت بك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشركني بشئ ابن آدم انك ان تذنب ذنباً حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك وروى أن الله تبارك وتعالى قال من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشركني بشئ قال ثابت البناني بلغني أن ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة الى آخرها وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما أفل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يجعل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور واتجاه الرجعة عن لا بطاع حق وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بغيري وادخلوا الجنة برحمتي واقسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تشدد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليسر
ونزل في هزيمة أحد (قد خلفت) أى مضت (من قبلكم سنن) جمع سنة وهي الطريقة التي يكون عليها الانسان ويلزمها ومنه سنة الامياء عليهم الصلاة والسلام أى قد مضت من قبلكم

طرائق في الكفار بما لهم ثم أخذهم (فسبروا) أيها المؤمنون في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (المكذبين) الرسل من الهالكين فلا تحزنوا لقلبتهم فأنا ما لهممهم لوقتهم (هذا) أي القرآن (بيان للناس) عامة (وهدي) من الضلالة (وموعظة للمتقين) خاصة (ولا تنهوا) أي تضعفوا عن قتال الكفار بما لكم من القتل والجراح يوم أحد (ولا تحزنوا) على ما أصابكم وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الأنصار سبعون رجلاً (وأنتم الاعلون) أي وحالكتم أنكم أعلى شأنهم فأنكم على الحق وقتالكم لله وقتلكم في الجنة وأنهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلهم في النار ولا أنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أوهي بشارته لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الاعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي بمعنى لا تنهوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بالله تعالى وقوله المبالة بأعدائه أو متعلق بالاعلون أي إن كنتم مصدقين بما بعدكم الله ويشرك به من الغلبة (إن عيسكم قرح) جهدهم من جرح ونحوه يوم أحد (فقد مس القوم) الكفار (قرح مثله) يوم بدر ثم أنهم لم يضعفوا ولم ينجسوا فأنتم أولى أن لا تضعفوا فأنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسلمين كان يوم أحد فدان المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالقوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو بكر وشعبة وحزرة والكسائي بضم كاف قرح في الموضعين والباقيون بالفتح وهما لغتان بمعنى وقال القراء القرح بالفتح الجرح والضم ألمه (ولتلك الأيام) تلك مبتدأ والأيام صفة وقوله تعالى (ند أولها) خبره ويصح أن تلك الأيام مبتدأ وخبر كما تقول هي الأيام تلي كل جديد والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة أي نصرتها (بين الناس) قال البغوي في وما عليهم ويومالمهم قال في الكشف كقوله وهو من آيات الكتاب

فيوما علينا ويومالنا * ويومانساء ويومانسر

تقديره فيوما يكون الأمر علينا أي بالاضرار ويومالنا أي بالنفع فيه يكون يومنا ظرفا ملائمة لقوله ويومانساء ويومانسر قاله الشيخ سعد الدين أي أدل نارة للمسلمين على المشركين وهو يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأمر واسبعين وأدل نارة للكافرين على المسلمين وهو يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين روى أنه صلى الله عليه وسلم جعل عبد الله ابن جبير على الرجلة يوم أحد وكانوا خمسة عشر رجلاً فقال إن رأيتموها من القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزمهم قال فأنا والله وأيت النساء يشددن قد بدت خلاهن وسوقهن وأفاعت نياهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنمة الغنمة فانتظرون فقال عبد الله ابن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لتأتين الناس فلتصين من الغنمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهم زمين فذلك أزيد عوهم الرسول في آخرهم فلم يثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم الاثنا عشر رجلاً فأصابوا من أسير وسبعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وسبعين أسيراً وسبعين

قتلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرّات فنهّاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه
 ثم قال أفي القوم ابن أبي خفافة ثلاث مرّات ثم قال أفي القوم ابن الخطّاب ثلاث مرّات ثم رجع
 إلى أصحابه وهو يقول أما هؤلاء فقد قتلوا غلامك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدوّ الله أن
 الذين عددت لأحياءكمهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم يوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون
 في القوم منلة ثم أخذ يرتجز * اعل هبل اعل هبل * فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه
 فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعل وأجل قال * إن لنا العزى ولا عزى لكم * فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول فقال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
 وفي حديث ابن عباس قال أبو سفيان يوم يوم وإن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر
 رضي الله تعالى عنه لا سواء قتلا نافي الجنة وقتلاكم في النار وإنما كانت الدولة يوم أحد للكفار
 على المسلمين لخالفهم لا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وليعلم الله الذين آمنوا) أي أخلصوا
 إيمانهم من غيرهم (فان قيل) ظاهر هذه الآية أن الله تعالى إنما فعل تلك المداولة ليكتسب هذا
 العلم وذلك في حقه تعالى محال ونظيره هذا الاشكال قوله تعالى أم - سبتم أن تدخلوا الجنة ولما
 يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
 وليعلمن الكاذبين وقوله لعلم أي الحربين أحصى لما لبثوا وقوله ولنبأونكم حق نعلم المجاهدين
 منكم وقوله الا لعلم من تبسّع الرسول وقوله لنبأونكم أي بكم أحسن عملا فظاهر هذه الآيات يدل
 على أنه تعالى إنما صار عالما بالحدوث هذه الاشياء عند حدوثها وأجاب المتكلمون عنها بأن
 الدلائل العقلية دلت على أنه تعالى يعلم الحوادث قبل وقوعها فثبت أن التغير في العلم محال الآن
 اطلاق لنظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان والمراد
 معلومه وهذه قدرة فلان والمراد مقدوره فكل آية يشعر بظواهرها بتجدد العلم فالمراد بتجدد المعلوم
 وإذا عرف هذا فهذه الآية محتملة لوجوه أحدها ليطهر المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر
 وثانيها ليعلم أولياء الله وأضاف إلى نفسه تفضيلا وثالثها ليحكم بالامتياز فأوقع العلم مكان
 الحكم بالامتياز لأن الحكم لا يحصل إلا بعد العلم ورابعها ليعلم ذلك واقعا كما كان يعلم أنه سيقع
 لأن المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد (ويخذه منكم شهادة) أي ويكرم ناسا
 منكم بالشهادة وهم المستشهدون يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأهم يوم
 القيامة بما وجد منهم من الثبات والصبر على الشدائد كما قال تعالى لتسكنوا شهداء على الناس
 وقوله تعالى (والله يحب الظالمين) قال ابن عباس أي المشركين كقوله تعالى إن الشرك لظلم
 عظيم وهو اعتراض بين بعض التعاليل وبعض وقفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين
 على الحقيقة وإنما يظهرهم أحيانا استدرأ جالهم وإتلاء المؤمنين (وليعص الله الذين آمنوا)
 أي ليطهرهم من الذنوب بما أصابهم (ويعق) أي يهلك (الكافرين) أي إن كانت الدولة على
 المؤمنين فللمميز والاستشهاد والتحصن وغير ذلك مما هو أصح لهم وإن كانت على الكافرين
 فللعقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة مقدرة قبل ومعنى الهزيمة فيها الانكسار أي بل (حسبتم)

أن تدخلوا الجنة وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) في الشدائد وقد مر معني يعلم * (تبيين) * قال البيضاوي والفرق بين لما يعلم ولم أن في لما توقع الفعل فيما يستقبل لكن قال أبو حيان لا أعلم أحد من النحويين ذكره بل ذكروا أنك إذا قلت لما يخرج زيد دل ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصلاً بغيره إلى وقت الأخبار وأما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا تنهى لكن قال القزامة لما تعرض الوجود بخلاف لم (ولقد كنتم تمنون) فيه حذف إحدى التامين في الأصل أي تمنون (الموت) أي الحرب فانهم من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا ليسألوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم أحسد على الخروج (من قبل أن تلقوه) أي تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتهم) أي الحرب أو الموت حتى قتل دونكم من قتل من اخوانكم (وأنتم تنظرون) أي بصرا تتأملون الحال كيف هم فلم انهم زمتم (ومحمد الرسول) قد دخلت من قبله الرسل) فيخولوا كما خولوا بالموت أو القتل ومحمد هو المستغرق لجميع المحمديين لا الحادي لا يستوجبه الا الكمال والتحميد فوق الحد فلا يستحقه الا المستولى على الامر في الكمال وأكرم الله تعالى نبيه وصفه صلى الله عليه وسلم باسمين مشتهقين من اسمه جل وعلا محمد وأحمد وفيه يقول حسان بن ثابت

ورثق لمن اسمه ليلجله * فذل العرش محمود وهذا محمد

وقوله تعالى (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لا رتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخالوه صلى الله عليه وسلم عوت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبشأنه - م متسكبه (فان قيل) قوله تعالى أفان مات أو قتل شك وهو على الله محال (أجيب) بأن المراد أنه سواء وقع هذا أو ذلك فلا تأثير له في ضعف الدين ووجود الارتداد قال ابن عباس وأصحاب المغازي لما رأى خالد بن الوليد الرماة يوم أحد اشتغلوا بالغنمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين ثم جعل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزمهم وقتلهم ورمى عبد الله بن قنقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسره وأنه ورباعيته وشجبه في وجهه فأنقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خضرة ليهلواها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقت هند والنسوة معها يئمان بالقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجحد عن الأذان والأوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبدة جزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلظفها وأقبل عبد الله بن قنقة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقتله ابن قنقة وهو يرى أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فربح وقال اني قتلت محمد وصاح صارخ ألا ان محمد اذ قتل فقبيل ان ذلك صارخ كان ابليس قائماً فأنكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى عباد الله إلى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلاً فمؤم حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد

ابن أبي وقاص حتى انذقت سبعة قوسه وبثله لرسول الله صلى الله عليه وسلم كآتته فقال ارم
 قد ان أبي وأمي وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسري يومئذ قوسين أو ثلاثاً فكان الرجل
 يمر ومعه جعبته من النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى يشرف النبي صلى الله عليه وسلم
 فينظر الى موضع نبذه وأصابت يد طلحة بن عبيد الله فميتت وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصابت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مكانها فعمدت كأنه ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف
 الجحى وهو يقول لا نجوت لا نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منافق قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا نامنه وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فيقول عندى رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دامنه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربه من الحرث
 ابن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشه فندده عن فرسه وهو يجور كما يجور
 الثور وهو يقول قتلنى محمد واحمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بل لو كانت هذه الطعنة
 بريئة ومضرت لقتلتهم أليس قال لى أقتلك فلجوزى على بعد ذلك المقاتلة لقتلنى فلم يلبث الا يوماً حتى
 مات بموضع يقال له سرف قال ابن عباس اشتد غضب الله على من قتله نبي واشتد غضب الله على
 من رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقشا في الناس أن محمد اذ قتل فقال بعض المسلمين
 لبت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فياخذنا أماناً من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا
 بأيديهم وقال اناس من أهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا به يشكم الاقول فقال أنس
 ابن مالك بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وماتنصعون في الحياة
 بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومروا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعذرا اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وأبرأ اليك مما
 جاء به هؤلاء يعنى المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق
 الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال
 عرفت عيسى تحت المغفر تهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن أم سلمة فالتحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله قد ينالنا بائناً وأمتها تانا نا الخبير بأنك قد قتلت
 فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى هذه الآية (فان قيل) انه تعالى بين في آيات كثيرة انه
 عليه الصلاة والسلام لا يقتل فقال انك ميت وانهم ميتون وقال والله يعصمك من الناس وقال
 ليظهره على الدين كله واذا علم أنه لا يقتل فلم قال أو قتل (أجيب) بأن هذا ورد على سبيل الازام
 فان موسى عليه الصلاة والسلام مات ولم ترجع أمتة عن دينه والنصارى زعموا أن عيسى عليه
 الصلاة والسلام قتل ولم يرجعوا عن دينه فكذا ههنا (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
 شيئاً) بارئ داه وانما يضر نفسه (وسيجزي الله الذاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه

كائنات واضرا به (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) أى بقضائه ومشيئته وأبذنه الملك
 الموت فى قبضه وروحه وقوله تعالى (كأنما) مصدراً أى كتب الله ذلك (موجلاً) أى مؤقلاً لا يتقدم
 ولا يتأخر فلم ينهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والنبات لا يقطع الحياة * ونزل فى الذين تركوا المركز
 يوم أحد طلب الغنمة (ومن يرد) أى بعمله (نواب الدنيا فؤده منها) ما نشاء مما قدر له كما قال
 تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وفى الذين بقوا مع أميرهم عبد الله بن جبير
 حتى قتلوا (ومن يرد) أى بعمله (نواب الآخرة فؤده منها) أى من ثوابهم (وسيجزى الشاكرين)
 أى الذين شكروا وانهمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت
 نيته طلب الآخرة جعل الله غنا فى قلبه وجعل له شهلاً وأتته الدنيا وهى راحة ومن كانت نيته
 طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشنت عليه أمره ولا يأت به منها إلا ما كتب له وقال صلى
 الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله
 فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنياه يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى
 ما هاجر إليه وقوله تعالى (وكأين) أصله أى دخلت الكاف عليها فصارت مركبة من كاف
 التشبيه ومن أى وحدث فيها ما بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ومثلاً
 فى التركيب وأفهام التكثير كذا فى قولهم عندى كذا كذا درهمما وأصله كاف التشبيه
 وهذا الذى هو اسم إشارة لما ركبنا حدث فيها ما معنى التكثير فى كم الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى
 واحد والنون تنوين فى المعنى أثبت فى الخط على غير قياس قال البغوى لم يقع للتنوين صورة
 فى الخط إلا فى هذا الحرف خاصة وقرأ ابن كثير بالفتح بعد الكاف بعدها همزة مكسورة
 والباقون بهمزة بعد الكاف مفتوحة بعدها ياء مشددة ووقف أبو عمرو على الياء والباقون على
 النون وسهل حزة الهـ مزة وحققها الباقون وقوله تعالى (من نبى) تمييز لكأين لأنهم مثل كم
 الخبرية وقوله تعالى (قتل) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وبضم القاف وكسر التاء ولا ألف بين
 القاف والتاء والباقون بفتح القاف والتاء وألف بين القاف والتاء وقوله تعالى (معه) خبر
 مبتدؤه (ريون) وهم جمع ربي وهو العالم المتنى منسوب إلى الرب وإنما كسرت راؤه فتعبيراً
 فى النسب وقيل لا تغير فيه وهو منسوب إلى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقوله تعالى (كثير)
 صفة لريون وإن كان بلفظ الأفراد لأن معناه جمع (فما وهنوا) أى ضعفوا (لما أصابهم فى سبيل
 الله) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) أى
 خضعوا العدوهم كما فعلتم حين قتل نبيكم (والله يحب الصابرين) على الشدة إذ فينبهم ويعظم
 أجرهم (وما كان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم وكوْنهم ربابين (الآن قالوا ربنا
 اغفر لنا ذنوبنا واسرفنا) أى تجاوزنا الحد وقولهم (فى أمرنا) إيدان بأن ما أصابهم لسوء فعلهم
 وهضام أنفسهم (وبئنا أقدمنا) أى بالقوة على الجهاد (وانصمروا على القوم الكافرين) أى
 فهلا قتلهم وفعلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (فأناهم الله نواب الدنيا) أى بالنصر
 والغلبة والعز وحسن الذكر (وحسن نواب الآخرة) أى بالجنة والنعيم المقيم وخص ثوابها

بالحسن اشعاراً بفضلِه وانه المعتد به عند الله (والله يحب المحسنين) أى فيكثر لهم الثواب
 (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أى اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وقال
 على يعنى المنافقين فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
 ولو كان محمد نبياً لما قتل (ردوكم على أعقابكم) أى الى الكفر (فمنقلبوا خاسرين) الدنيا
 والآخرة أما خسران الدنيا فلا تشق الاشياء على الماء على العسقله فى الدنيا لا انقياد الى العسقله
 واطهار الحاجة اليه وأما خسران الآخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع فى العقاب
 الخلد (بل الله مولاكم) أى ناصركم وحافظكم على دينكم (وهو خير الناصرين) فاستغفوا به
 عن ولاية غيره ونصره (سنقى) أى سنقذ (فى قلوب الذين كفروا والرب) أى الخوف وذلك
 أن الكفار لما هزموا المسلمين فى أحد أوقع الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفرّوا منهم من غير
 سبب حتى روى أن أباسفيان صعد الجبل ونادى يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال
 عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل انهم لما ذهبوا متوجهين الى مكة فلما كانوا فى بعض
 الطريق ندموا وقالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا حتى
 نسأهم بالكعبة فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى
 بضم العين والباقون بالسكون (بما أشركوا) أى بسبب أشركوهم (بأنه ما ينزل به سلطاناً) أى
 حجة على عباده وهو الأصنام وهذا كقوله ولا ترى الضب بها يتعجر* أى ليس به اضب فلا يتعجر
 فكذلك هؤلاء ليس لهم حجة أصلاً وأصل السلطنة القوة وبه السلط لقوة اشتعاله والسلطنة
 بحدة اللسان (وما أوهام النار وبئس مئوى) أى مأوى (الظالمين) أى الكافرين هى (ولقد
 صدقكم الله وعده) قال محمد بن سعد القرطى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه الى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا
 وقد وعدنا الله النصر فأمر الله هذه الآية لأن النصر كان للمسلمين فى الأشداء كما قال تعالى
 (اذ تحسبهم) أى تقتلهم من حسه اذا أبطل حسه وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان
 وعاصم باظهار ذال اذ عند التاء والباقون بالادغام (بأذنه) أى بإرادته (حتى اذا فشلتم) أى
 جبنتم عن القتال (وتنازعتم) أى اختلفتم (فى الأمر) أى أمر النبى صلى الله عليه وسلم
 بالمقام فى سفح الجبل الرمى حين انهزم المشركون فقال بعضهم كنتم قد نصر أصحابنا وقال
 آخرون لا تفعلوا أمر النبى فابتدأوا مكانكم فثبت عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة
 ونصر الباقر لله وهما المعنى بقوله تعالى وعصيت أى أمر النبى وتركتم المركز لطلب الغنمة
 (من بعد ما أراكم) أى الله (ماتحبون) من الظفر والغنمة وانهم أزم العذر وجواب اذا محذوف
 دل عليه ما قبله أى منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم وذلك
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحد اخلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند
 الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا سواء كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما قبل
 المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا

والمسلمون على آثامهم ثم اشتغل بعضهم بالغنمة كما قال تعالى (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا (فان قيل) فإذا كان البعض هو المخالف فكيف جاء العتاب عاما بتولية وعصيته (أجيب) بأن اللفظ وإن كان عاما فقد جاء المخصص بعده وهو قوله منكم وقوله تعالى (ثم صرناكم) أي رزقكم بالهزيمة (عنهم) أي الكفار عطف على ما قبله والجملة من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة اعتراض بين المتعاطفين وقيل عطف على جواب إذا المقدر (ليبتليكم) أي ليمتحنكم فيظهر الخاص من غيره (ولقد عاقبكم) ما ارتكبتموه من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وميلكم إلى الغنمة تفضلا منه تعالى (فان قيل) إن ظاهر الآية يدل على أن الذنب من الصغار بصفة العفو عنه من غير توبة لقيام الدليل على أن أصحاب الكفار إذا لم يتوبوا لم يكونوا من أهل العفو والمغفرة (أجيب) بأن هذا الذنب لاشك أنه كبير لأنهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانضمام المسلمين فلا بد من إضمار توبتهم (واقفه) أي المتفضل المنعم (ذو فضل على المؤمنين) أي يتفضل عليهم بالعفو أو في الأحوال كلها سواء أجهلت الدولة لهم أم علمهم إذا ابتلاه أيضا رجة وقوله تعالى (إن) العامل فيها مضر أي إذا كراذ (تصددون) أي تبعدون في الأرض هاربين (ولا تلونون) أي تعرجون (على أحد) أي لا يقف أحدا لحد ولا يحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) أي يقول إلى عباد الله إلى عباد الله أنارسل الله من يكره له الجنة (في آخركم) أي من وراءكم (فأنا بكم) أي جازاكم (غما) بالهزيمة (بغتم) أي بسبب غمكم الرسول بالخالفة وقيل الباء بمعنى على أي مضاعفا على غم فوت الغنمة والغموم كانت هناك كثرة أحدها غمهم بآنا لهم من العدو في النفس والأموال وثانيها غمهم بما وقع منهم من المعصية وخوف عقابها وثالثها غمهم بما وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ورابعها غمهم بسبب التوبة التي صارت واجبة عليهم لأنهم إذا تابوا عن تلك المعصية لم تتم توبتهم لا بترك الهزيمة والعود إلى المحاربة بعد الانضمام وذلك من أشق الأشياء لأن الإنسان بعد انضمامه يضعف قلبه ويجبن فإذا أمر بالمعاودة فإن فعل خاف القتل وإن لم يفعل خاف عقاب الآخرة وخامسها غمهم حين سمعوا أن محمدا قد قتل وسادسها غمهم حين أشرف عليهم خالد بن الوليد بجيش المشركين وسابعها غمهم حين أشرف عليهم أبو سفيان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب العترة فلما رأوه وضع رجلهم في قوسه وأراد أن يرميه فقال أنارسل الله ففر حواحين وجدوه وفرح صلى الله عليه وسلم حين رأى من تنسج به فأقبلوا على المشركين يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقوا باب الشعب فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلنوا اللهم أن تقتل هذه العصاة لا تعبد في الأرض ثم بدت أصحابه فرمهم بالحجارة حتى أتلواهم وإذا عرفت ذلك فلا يضر اختلاف المفسرين فإن بعضهم

فسر هذين الغمين بغير من هذه وبعضهم بخلافه وقال القفال وعندى أن الله تعالى ما أراد بقوله غابتم الثين وأتموا أصله الغموم وطولها أى أن الله تعالى عاقبكم بغموم كثيرة مثل قتل اخوانكم وأقاربكم ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم بحيث لم تأمنوا أن يهلك أكثركم فكانه تعالى قال أنا بكم هذه الغموم المتعاقبة ليصير ذلك زجرا لكم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله تعالى والغمم التغطية ومنه غم الهلال اذا لم يروق وقوله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) أى من الغنمة معلقة بـ «فأوبأنا بكم فلا زائدة» (ولا ما أصابكم) أى من القتل والهزيمة (والله خير بما تعملون) أى عالم بأعمالكم ويعاقبهم بها (ثم أنزل عليكم) يامعشر المسلمين (من بعد الفم أمة) أى أمنا والامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف ههنا قائما وقوله تعالى (نعاسا) بدل من أمنة وأمنة مفعول أنعاسا هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة (يعشى طائفة منكم) وهم المؤمنون وقرأ جزء والكسائي بالتاء على التأنيث ردأ الى الامنة والباقيون بالياء على التذكير ردأ الى النعاس (وطائفة) وهم المنافقون (قدأهمهم أنفسهم) أى جلتهم على الهزيمة فلا رغبة لهم الا انجابا هادون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم ينأوا فان الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرقان أحدهما الخازمون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو لا كانوا قاطعين بأن الله ينصر هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدى الى الاستئصال فلا جرم كانوا آمنين وبلغ ذلك الامن الى أن غشيتهم النعاس فان النوم لا يصح مع الخوف قال أبو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فـ كان السيف يسقط من أحدنا فآخذ ثم يسقط فآخذ وقال ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس قال الزبير كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فأرسل الله علينا النوم والله اني لا سمع قول معتب بن بشير والنعاس يغشاني ما أمع الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا والفرق الثاني هم المنافقون كانوا أشاكين في نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضر والاطلب الغنمة فهو لا اشتد جزعهم وعظم خوفهم قال ابن مسعود النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك لانه في القتال لا يكون الامن الوثوق بالله والقراع من الدنيا ولا يكون في الصلاة الامن غاية البعد عن الله (فان قيل) ما فائدة هذا النعاس (أجيب) بأن له فوائد الاولى أن السهر يوجب الضعف والكلال والنوم يفيد عود القوة والنشاط والثانية أن الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين ألغى الله تعالى النوم على الباقيين لئلا يشاهدوا قتل غيرهم فيشتد خوفهم والثالثة أن الاعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم فبقاؤهم في النوم مع السلامة في تلك المعركة من أدل الدلائل على أن الله تعالى يحفظهم ويعصمهم وذلك مما يزيل الخوف من قلوبهم ويوترتهم الامن (تنبيه) قوله تعالى وطائفة ضبدا وان خبر قدأهمهم أنفسهم (فان قيل) كيف جاز الابداء بالسكر (أجيب) بأنه جاز لاحد

أمر بن أتمالاً اعتماداً على وإحالة وقد عده بعضهم مسوقاً وإن كان لا كتم لم يذكره وأنشد
 سرياً ونجماً قد أضاع فذبحاً * محباً أخفى ضوءه كل شارق
 وأتمالاً في الموضوع موضع تفصيل فإن المعنى طائفة وطائفة لم يغشاهم فهو كقوله
 إذا ما بك من خلفها انصرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول
 وقوله تعالى (يظنون بالله غير الحق) أي أن لا ينصر الله محمد أصفه أخرى لطائفة وغير الحق
 نصب على المصدر رأى يظنون بالله غير الحق الذي يحق أن يظن به (ظن) أي كظن
 (الجاهلية) حيث اعتقدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل أو لا ينصر وقوله تعالى (يقولون)
 أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدل من يظنون (هل لنا) أي ما لنا لفظه استغفاهم ومعناه
 بحمد (من الأمر) أي النصر الذي وعدناه (من شيء) أي شيء ومن صله زيدت لنا كيد وهو أتما
 مبتدا أخبرنا وأما فاعل لنا لاعتماداً على الاستغفاهم ومن الأمر حال من المبتدا أو الفاعل
 وهو شيء ليكون مرفوعاً حقيقته لا مجروراً وقبل أن عهد الله بن أبي ابن سلول لما شاوره النبي صلى
 الله عليه وسلم في هذه الواقعة أشار إليه بأن لا يخرج من المدينة ثم أن بعض الصحابة ألحوا على
 النبي صلى الله عليه وسلم في أن يخرج إليهم فغضب ابن أبي من ذلك فقال عصاني وأطاع الولدان
 ثم لما كثر القتل في بني الخزرج ورجع ابن أبي فقبل له قتل بنو الخزرج فقال هل لنا من
 الأمر من شيء يعني أن محمداً لم يقبل قولي حين أمرته بأن لا يخرج من المدينة والمعنى
 هل لنا أمر يباع فهو استغفاهم على سبيل الانتكار (قل) لهم يا محمد (أن الأمر كله لله)
 أي الغلبة الحقيقية لله ولا ولياً له فإن حزب الله هم الغالبون والقضاء له بفعله ما يشاء وبحكم
 ما يريد وقرأ أبو عمر ورفع اللام بعد الكاف على أنه مبتدا وأخبر الله والباقون بالنصب على أنه
 توكيد (تنبيه) * هذه الآية تدل على أن جميع المحدثات خلق الله تعالى بقضائه وقدره لأن
 المنافقين قالوا لأن محمد أقبل مناراً بنا ونصحننا لما وقع في هذه الحنة فأجابهم الله تعالى بأن الأمر
 كله لله وهذا انما ينقطع إذا كانت أفعال العباد بقضائه وقدره أذلو كانت خارجة عن مشيئته
 لم يكن هذا الجواب رافعاً لشيء من المنافقين وقوله تعالى (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون) أي
 يظهرون (لك) حال من يخفون يقولون وقل أن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذی الحال أي
 يقولون مظهرين أنهم مستترشدون طالبون للنصر مبطلين الانتكار والتكذيب وقوله تعالى
 (يقولون) بيان لما قبله (لو كان لنا من الأمر شيء) أي كما وعد محمد وزعم أن الأمر كله لله
 ولا ولياً له أو لو كان الاختيار بيننا لم نخرج كما كان رأى ابن أبي وغيره (ما قلنا ههنا) أي لما
 غلبنا وما قتل من قتل منافق في هذه المعركة (قل) لهم (لو كنتم في بيوتكم) وفيكم من كذب الله
 تعالى عليه القتل (لبرز) أي خرج (الذين كذب) أي قضى (عليهم القتل) منكم (إلى مصابيحهم)
 أي مصارعهم فيقتلوا ولم ينجم قعودهم لأن قضاء الله تعالى كائن لا محالة فانه قدر الأمور ودورها
 في سابق قضائه لا معقب لحسبهم وقرأ أبو عمر وودع نص وورش بضم الباء في بيوتكم والباقون
 بالكسر وقوله تعالى (وليتنبئ) أي ليتنبأ (الله ما في صدوركم) أي قلوبكم من الإخلاص والتفاني

عليه فعل محذوف تقديره فرض الله عليكم القتال ولم ينصكم يوم أحد ليتلى وقيل معطوف على
 عليه محذوف تقديره ليعضى الله أمره وليتلى وقوله تعالى (وليمحص مافي قلوبكم) فيه وجهان
 أحدهما أن هذه الواقعة تخرج مافي قلوبكم من الوساوس والشبهات وتظهرها والثاني أنها
 تصير كفارة لذنوبكم فيمحصكم من تبعات المعاصي والسيئات (فان قيل) قد سبق ذكر الابتلاء
 في قوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليمتليكم فلم أعاده (أجيب) بأنه أعيد ما لظول الكلام بينهما
 وإتمام الابتلاء الآخر هزيمة للمؤمنين والابتلاء الثاني بسائر الأحوال (والله عليهم بذات
 الصدور) أي بما في القلوب قبل اظهارها وفيه وعد ووعد وتنبه على أنه تعالى غنى عن
 الابتلاء وانما يتلى ليطهر للناس حال المؤمنين من حال المنافقين (ان الذين تولوا منكم) عن
 القتال (يوم التقي الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهمز أكثر المسلمين
 ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي
 وطه وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص (انما استزلهم الشيطان) أي طلب منهم الزلل
 بوسوسته (بعض ما كسبوا) من الذنوب بترك المركز والحرس على الغنجة ومخالفة النبي صلى
 الله عليه وسلم فأطاعوه فنعوا انما يدرك قوة القلب حتى تولوا (ولقد عني الله عنهم) لتوبتهم
 واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبته المذنب كي يتوب (يا أيها الذين
 آمنوا لا تكذبوا كالذين كذبوا) أي المنافقين وهم ابن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم)
 أي في شأنهم ومعنى اخواتهم اتصافهم في النفاق والكفر وقيل في القسب (اذا ضربوا في
 الارض) أي سافروا فيها التجارة أو غير جانفأوا (أو كانوا غزاة) أي غزاة جمع غزاة فقتلوا (لو كانوا
 عدنا ما ماتوا وما قتلوا) أي لا تقولوا كقولهم (ليجعل الله ذلك) القول في عاقبة أمرهم (حسرة
 في قلوبهم) أي لانهم اذا ألقوا تلك الشبهة على المؤمنين لم ياتفقوا اليهم فيضج سعيهم ويسطل
 كيدهم فتصل الحسرة في قلوبهم وقيل ان اجتراحهم في تكثير الشبهات والقائه الضلالات
 يعمى قلوبهم فيعمون عند ذلك في الحسرة والخيبة وضيق الصدر وهو المراد بقوله تعالى ومن
 ير أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا (فان قيل) كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا (أجيب)
 بأن ذلك على حكاية الحال الماضية قال التفننا زاني معناه انك تفقد نفسك كأنك موجود
 في ذلك الزمان الماضي أو تفقد ذلك الزمان كأنه موجود الآن وهذا كقولنا قالوا ذلك حين
 يضربون والمعنى حين ضربوا الانك جئت بلفظ المضارع استحضار الصورة ضربهم
 في الارض وقوله تعالى (والله يحيي ويميت) ردقوله لهم أي هو المؤثر في الحياة والممات
 لا الائمة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والمغازي ويميت القيم والقاعد (والله بما تعملون
 بصير) قرأ ابن كثير وحزق الكسائي بالياء على القية رذاعلى الذين كفروا والباقيون بناء
 الخطاب رذاعلى قوله ولا تكونوا وهو خطاب للمؤمنين وفيه تمديد لهم على أن يباينوا لهم (ولئن
 قتلتم) اللام هي المواطعة أقسم محذوف (في سبيل الله) أي الجهاد (أو متم) أي أنا كم الموت
 في سبيل الله وجواب القسم قوله تعالى (لغفرة) كناية (من الله) وحذف جواب الشرط

اسد جواب القسم مستد انكونه بالا عليه (ورجة) أي من الله خذف مـ فتم الدلالة الاولى
 عليها ولا بد من حذف آخر مصحح للمعنى تقدير المغفرة من الله لكم ورجة منه لكم (فان قيل)
 المغفرة هي الرحمة لم كررها وكرها (أجيب) بأنه انما تكرها اليها بانان أدنى خير وأقل ثمن
 خير من الدنيا وما فيها وهو المراد بقوله (خير مما تجتمعون) من الدنيا وأما التكرير فغير مسلم لان
 المغفرة مترتبة على الرحمة فيرجح ثم يغفر (فان قيل) كيف تكون المغفرة موصوفة بأنهم اخبر
 مما يجتمعون ولا خير فيما يجتمعون أصلاً (أجيب) بأن الذي يجتمعون في الدنيا قد يكون من الحلال
 الذي يعد خيراً وأيضاً هذا واراد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقبل
 المغفرة خير من هذه الاشياء التي تظنونها خيرات (ولئن تم وأقنتم) على أي وجه اتفق هلاككم
 (لا الى الله) لا غيره (تخشرون) في الآخرة فيجازيكم وقرأ نافع وحزرة بكسر الميم والباقون
 بالضم وقرأ حفص يحشرون بياء الغيبة والباقون بياء الخطاب ورسعت لا الى الله بألف بعد اللام
 (فان قيل) هنا ثلاثة مواضع فقدم الموت على القتل في الأول والاخير وقدم القتل على الموت
 في المتوسط فما الحكمة في ذلك (أجيب) بأن الأول للمناجاة ما قبله من قوله اذا ضربوا في الارض
 أو كانوا غزاً فراجع الموت لمن ضرب في الارض والقتل لمن غزا وأما الثاني فلانه يحمل تحريض
 على الجهاد فقدم الهم الاشرف وأما الاخير فلان الموت أغلب (فبما رجعة) أي فبرجة (من الله
 لنت لهم) فبما يزيد للناس كيداً والجوار والجور ومن تقدم للدلالة على أن الله صلى الله عليه وسلم
 ما كان الا رجعة من الله ومعنى الرجعة توفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
 (ولو كنت ظفراً أي سبي الخلق غليظ القلب) أي جافياً (لأنفصوا) أي تفرقوا (من حولك)
 أي عنك وذلك لان المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى الى الخلق وذلك
 لا يتم الا بعمل قلوبهم اليه وسكون نفوسهم لديه وهذا المقصود لا يتم الا اذا كان رحيماً بهم
 كريماً يتجاوز عن ذنوبهم ويعفو عن سيئاتهم ويخصهم بالبر والشفقة فلهذا الاسباب وجب
 أن يكون الرسول مبرأ عن سوء الخلق وغلظ القلب ويكون كثير الميل الى اعانة الضعفاء كثير
 القيام باعانة الفقراء وجل القفال هذه الآية على واقعة أحد قال فبما رجعة من الله لنت لهم
 يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانزمام ولو كنت ظفراً غليظ القلب فشافهم بالمأمة على ذلك
 الانزمام لانفصوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم من الانزمام فكان ذلك مما
 بطمع العدو فيك وفيهم (فاعف) أي تجاوز (عنهم) أي ما أتوه (واستغفر لهم) ذنبهم حتى
 أشفعك فيهم فاعف عنهم واختلوا في معنى قوله تعالى (وتجاوزهم في الأمر) على وجوه أحدها
 ان ذلك يقتضي شدة محبته لهم فلو لم يفعل ذلك لكان ذلك اهانة لهم فيحصل سوء الخلق
 والفظاظة وثانها انه عليه الصلاة والسلام وان كان أكمل الناس عقلاً الا أن عقول الخلق
 غير متساوية فقد يحيط ببال انسان من وجوه المصالح ما لا يحيط ببال آخر لاسيما فيما يتعلق
 بأموال الدنيا قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعرف بأموالكم وأنا أعرف بأموالكم وللهذا
 السبب قال صلى الله عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدوا الارشاد أمرهم وثالثها قال الحسن

وسفيان بن عيينة انما امر بذلك لمقتدى به غيره في المشاورة وتصير سنة ورابعها انه عليه الصلاة
 والسلام شاورهم في وقعة أحد فاشاروا عليه بالخروج وكان معه أنه أن لا يخرج فلما خرج وقع
 ما وقع فلوترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على أنه بقي في قلبه منهم بسبب مشاورتهم شيء
 فأمر الله تعالى بمشاورتهم بعد ذلك الواقعة ليدل على انه لم يبق في قلبه أثر من تلك الواقعة
 وخامسها أمره بالمشاورة لا ليستفيد منهم رأيا ولكن ليعلم مقادير حقولهم ومحببتهم له وذكروا
 أيضا وجوها أخرى في هذا القدر كفاية وانفقوا على ان كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يحجز
 للرسول أن يشاور الامة فيه لان النص اذا جاء بطل الرأي (فأذاعت) أى قطعت الامر على
 امضاء ما تريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) أى ثق به بالمشاورة فليس التوكل اهمال
 التدبير بالكلية بل مراعاة الاسباب مع تفويض الامر الى الله تعالى (ان الله يحب المتوكلين)
 عليه فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (ان ينصركم الله) أى يعينكم على عدوكم كيوم بدر
 (فلا غالب لكم) أى فلا يقبلكم أحد (وان يخذلكم) بترك نصركم كيوم أحد (فمن ذا الذي
 ينصركم من بعده) أى من بعد خذلانه أى لا أحد ينصركم وفي هذا تنبيه على مقتضى التوكل
 وتحريره على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجاب خذلانه (وعلى الله فليتوكل
 المؤمنون) أى فليخصم بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه لان ايمانهم بوجوب ذلك
 ويقتضيه (وما كان لنبي أن يغفل) أى ما صح لنبي أن يغفل في الغنائم فان النبوة تنافي عن الغفلة
 واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في قطيفة جراء فقدت يوم بدر فقال
 بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقال مقاتل نزلت في غنائم أحد حين
 ترك الرماة المركز وطلبوا النعمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ
 شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كالم تقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد
 اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأبىكم أمرى فقالوا تركنا بقبعة اخواننا وقوا فقال لهم صلى الله
 عليه وسلم بل ظننتم أننا نغل ولا تقسم لكم وقال محمد بن اسحق بن يسار هذا في الوحي يقول ما كان
 لنبي أن يكتسب شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن
 وفيه سب دينهم وسب آلهتهم فسألوا أن يترك ذلك فنزلت وروى انه صلى الله عليه وسلم غنم في
 بعض الغزوات وجع الغنائم وتأخرت القسمة لبعض الموانع فجاء قوم وقالوا لا تقسم غنائمنا
 فقال عليه الصلاة والسلام لو كان لكم مثل أحد ذهب ما حبست عليكم منه درهمها ثمسجون
 اني أغلظكم مغنمكم فنزلت وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين على البناء للفاعل
 والباقون بضم الياء وفتح الغين على البناء لله فعول والمعنى على هذا وما صح لنبي أن يوجد دعاء لا
 أو ينسب الى الغلول (ومن يغفل يات بما قل يوم القيامة) قال أكثر المفسرين ان هذه الآية
 على ظاهرها قالوا هي نظير قوله تعالى في ما نفي الزكاة يوم يحصى عليهم في نار جهنم فتسكوى بها
 جبابهم وجنوبهم وظهورهم ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لأقن أحدكم بئني على رقبته
 يوم القيامة يعبه رغاء أو بقره لها خوار أو شاة لها نغاف فينادى يا محمد يا محمد فأقول لا أم لك

من الله شيئاً قبل فمات قال المحققون وفائدته أنه إذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك المغلول
 ازدادت فضيخته وعن ابن عباس أنه قال يثقل له ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل إليه نخذه
 فينزل إليه فإذا انتهى إليه جله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع في النار ثم يكلف أن ينزل إليه
 فيخرجه ففعل ذلك به وعن أبي هريرة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فقال الناس هنياً له
 الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده أن الشجرة التي أخذها يوم خيبر
 من المغانم لم تصبها المقاسم تشتمل عليه ناراً فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراً وأُشركا إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراً من النار وأشركا من نار
 وقال أبو مسلم ليس المقصود من الآية ظاهراً بل المقصود تشديد الوعيد على سبيل التمثيل كقوله
 تعالى إنهم أنك مثقال حبة من خردل فتكن في حخرة وفي السموات وفي الأرض يأتى بهم الله
 فإنه ليس المقصود نفس هذا الظاهر بل المقصود إثبات أن الله تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه
 مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فكذلك أهنا المقصود تشديد الوعيد والمعنى أن الله تعالى يحفظ
 عليه هذا المغلول ويقرره عليه يوم القيامة ويجازيه لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية وعن أبي حميد
 الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسد على الصدقة فلما قدم قال
 هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل بعهده على
 بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي فهل جلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أنهم هدى
 إليه أم لا فوالذي نفسي بيده لا يأخذ منها أحد شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان
 بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تغيث ثم رفع يديه حتى رويت عقدة بطنه ثم قال اللهم هل بلغت
 اللهم هل بلغت (ثم توفي كل نفس) أي أعطى جزاء (ما كسبت) أي عملت وأما الغال وغيره
 (فان قيل) هل قيل ثم توفي أي الغال ما كسب (أجيب) بأنه عم الحكم ليكون كالبرهان على
 المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب محملاً بما عمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى (وهم لا
 يظلمون) شيئاً فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يراد في عقاب عاصيهم وقوله تعالى (أفئن اتبع رضوان
 الله) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أفئن اتقى فاتبع رضوان الله
 (كن بام) أي رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصي (وما واه جهنم وبئس المصير) أي المرجع
 هي أي ليس مثله واختلف في المراد من هذه الآية فقال الكلبي والضمكاني أفئن اتبع رضوان الله
 في ترك الغلول كن بام بسخط من الله في فعل الغلول وقال الزجاج لما جمل المشركون على المسلمين
 دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أن يحملوا على المشركين ففعل به بعضهم وتركه آخرون فقوله
 أفئن اتبع رضوان الله هم الذين امتثلوا أمره كن بام بسخط من الله هم الذين لم يقبلوا قوله وقيل
 أفئن اتبع رضوان الله وهم المهاجرون كن بام بسخط من الله وهم المنافقون وقيل أفئن اتبع
 رضوان الله بالإيمان به والعدل بطاعته كن بام بسخط من الله بالسكينة والاشتغال بعصيته
 قال القاضي وكل واحد من هذه الوجوه صحيح **واضح** لا يجوز قصر اللفظ عليه لأن اللفظ
 عام فيجب أن يتناول الكل وإن كانت الآية تزل في واقعة معينة لكن عموم اللفظ لا يسطل

بخصوص السبب * (تنبيه) * الفرق بين المصير والمرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الاولى
 ولا كذلك المرجع فانه قد يوافق المبدأ وقرأته ربه رضوان بضم الراء والباقون بالكسر وقوله
 تعالى (هم درجات) مبتدا وخبر أى القرية بقدر درجات ولا بد من تأويل في الاخبار بالدرجات
 عن هم لانها ليست اياهم فيجوز أن يكون جعلوا نفس الدرجات مبالغة والمعنى انهم متفاوتون في
 الجزاء على كسبهم كما ان الدرجات متفاوتة فهو تشبيه ببلغ يحذف الاداة أى هم مثل الدرجات
 في التفاوت ويجوز أن يصحكون على حذف مضاف أى ذوود درجات أى أصحاب منازل ورتب
 في الثواب والعقاب (عند الله) فلن اتبع رضوانه الثواب ولن يابى بخطه العقاب (والله بصير
 بما يعملون) أى عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (القدمن الله على المؤمنين) أى انهم
 على من آمن مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذه المنية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدهوهم
 الى ما يخلصهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم الى ثوابه كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة
 للعالمين (فان قيل) لم خصهم بالنعمة مع أن البعثة عامة (أجيب) بأنهم هم المنتفعون بها كقوله
 تعالى هدى للمتقين (أذيعت فيهم رسولا من أنفسهم) أى من جنسهم عربيا منهم ليفهموا
 كلامه بسهولة ويكفونوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى
 تصديقه والوثوق به وبشر فوايه لاملكا ولا عجميا وقرئ شاذا من أنفسهم بفتح الفاء أى من اشرفهم
 لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم وقد خطب أبوطالب لما تزوج
 صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوه هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد
 لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضى معد وعنصر مضر وجعلنا حاضرة
 بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا نتحجبوا وجرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى
 هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به قى من قريريش الارجح به وهو والله بعد هذا النبأ عظيم
 وخطر جليل ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة الا هذه لكونها في شرف الرسول صلى الله عليه وسلم
 وقراءة السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها (يتلو عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا جاهلا
 لم يسمعوا الوحى (ويزكهم) أى يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال (ويعلمهم
 الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السيرة من بعدما كانوا من أجهل الناس وأبعدهم من
 دراسة العلوم كما قال تعالى (وان كانوا من قبل) أى قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لنى ضلال
 مبين) أى بين ظاهر (أولى) أى حين (أما بينكم مصيبة) بأحد يقتل سبعين منكم (قد أصبتم
 مثلها) بيد يقتل سبعين وأسر سبعين (قلتم) متجهين (أى) من أين لنا (هذا) القتل
 والهزعة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم قينا والجله الاخيرة محل الاستفهام
 الانكارى (قل) لهم (هو من عند أنفسكم) أى هو مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الامر بترك
 المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات في المركز والطاوعة في الامر وعن على رضى الله تعالى
 عنه لاخذكم الفداء من أسارى بدو قبل أن يؤذن لكم روى عبيدة السلماني عن على رضى الله
 عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد ذكره ما صنع قومك من أخذهم

البقاء من الاسارى وقد أمرك أن تحبهم بين أن يقتلهم أى الاسارى فتضرب
 أعناقهم وبين أن يأخذوا القداء على أن يقتل منهم عددهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشا نرنا واخواننا لابل نأخذ منهم فداهم فتساقطوا به على قتال
 أعدائنا وبسهم فمناعتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدداً سارى بدر وهذا معنى قوله قتل هو
 من عند أنفسكم أى أخذكم القداء واختياركم للقتل (إن الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر
 وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم نارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) أى
 جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد من القتل والجرح والهزيمة (فبأن الله) أى فهو كائن
 بقضائه وأرادته ودخلت الفاء في الخبر لانه المستند بالشرط نحو الذى يأتي فله درهم (وليعلم
 المؤمنون) وقد تقدم أن معنى وليعلم الله كذا أى عيى ويظهر للناس ما كان في علمه (وليعلم الذين
 نأفقوا) قال الواحدى يقال نأفق الرجل فهو منافق إذا أظهر كلمة الإيمان وأخفى خلافها
 قال أبو عبيدة مشتق من نأفقاء اليربوع لأن جحر اليربوع له بيان القاصعاه والنافقاء فان طلب
 من أيهما كان يخرج من الآخر فقبل للمنافق انه منافق وهم اسم اسارى لانه منع لنفسه
 طريقين أظهر الاسلام وأخفى الكفر فى أيهما طلب خرج من الآخر وقوله تعالى (وقيل لهم)
 عطف على نأفقوا أى وليعلم الذين قبل لهم ما أنصرفوا عن القتال وقالوا لم نأق أنفسنا
 في القتال فرجعوا وهم عبد الله بن أبى وأصحابه وكانوا ثلثمائة من جهة الالف الذين خرجوا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (تعالوا فالتوا في سبيل الله) الكفار (أو ادفعوا) عنا أى ان كان
 في قلبكم حب الايمان فقاتلوا الذين وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا رفاعنا أنفسكم وأهلككم
 وأموالكم وقال السدى وابن جرير ادفعوا عنا العدو بكثير سوادنا ان لم تقا تلوا معنا
 لأن الكثرة أحد اسباب الهيبة روى عن سهل بن سعد الساعدى وقد كف بصره لو أمكنى
 لبيت دارى ولحققت بغرم من تغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب
 بصره قال لقوله تعالى أو ادفعوا أرادوا كثروا سوادهم واختلفوا في القائل فقال الاصم انه
 الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل أبو جابر الانصارى قال لهم أذكركم الله
 أن تحذروا نبيكم وقومكم عند حضور العدو (قالوا لو تعلم) أى نحسن (قتالاً لا تبعناكم) فيه قال
 تعالى تكذبا لهم (هم للكفر يومئذ) أى يوم اذا قالوا لو تعلم قتالاً لا تبعناكم (أقرب منهم للايمان)
 أى لا نقطاعهم وارتدادهم وكلامهم فان ذلك أقول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل
 المعنى على حذف مضاف أى هم لاهل الكفر أقرب منهم لاهل الايمان بما أظهره ومن خذلانهم
 للمؤمنين وكانوا قبل أقرب الى الايمان من حيث الظاهر (تنبيه) فضاواها على أنفسهم
 باعتبار حالين ووقتين ولولا ذلك لم يجز تقول زيد فاعدا أفضل منه قائماً وزيد فاعدا اليوم
 أفضل منه فاعدا غد ولو قلت زيد اليوم فاعدا أفضل منه اليوم فاعدا لم يجز (يقولون)
 يا فراعهم ما ليس في قلوبهم) أى يظهرون خلاف ما يضمرون لا توطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان
 فهم وان كانوا يظهرون الايمان باللسان لكنهم يضمرون في قلوبهم الكفر (تنبيه)

اضافة القول الى الافواه تصوير لثقافتهم فان ايمانهم بوجود في افواههم فقط وبهذا اتفق كونه
 للتأكد كما قبل به لتسهيل هذه الفائدة وقال ابن هادل والظاهر ان القول يطلق على اللسان
 وعلى النفساني فتعبيده بأفواههم تعبيد لاحد محمله اللهم الا ان يقال اطلاقه على النفساني
 مجاز (والله أعلم بما يكفون) أي عالم بما في ضمائرهم وبما يحلو به بعضهم الى بعض فانه يعلم ذلك
 مفصلاً يعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملًا بامارات وجوزوا في موضع (الذين قالوا) القاب الاحراب
 الثلاثة الرفع والنصب والخز فالرفع من ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مرفوعا على خبر مبتدا
 محذوف تقديره هم الذين الثاني انه بدل من واو يكفون الثالث انه مبتدا والخبر قوله قل فادروا
 ولا بد من حذف عائدة تقديره قل لهم فادروا والنصب من ثلاثة أوجه أيضاً أحدها النصب على
 الذم أي أذم الذين قالوا الثاني انه بدل من الذين نافقوا الثالث انه صفة لهم والخز من وجهين
 أحدهما انه بدل من الضمير في أفواههم والثاني انه بدل من الضمير في قلوبهم كقول الفرزدق
 على حالة لو أن في القوم حاتم * على جوده اضن بالماء حاتم

يجوز حاتم على انه بدل من الهاء في جوده وضم مني للمفعول وهو بالماء أي ولو ان حاتم استقر في
 القوم كما على جوده وهم تلك الحالة لبخل بالماء (لاخوانهم) أي لاجل اخوانهم من جنس
 المنافقين المقنولين يوم أحد وأخوانهم في النسب أو في سكنى الدار وفي عداوة النبي صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (وقعدوا) حال مقدرة قد أي قالوا قاعدون عن القتال (لو أطاعونا)
 في القعود (ما قتلوا) كالمات في قاتل ذلك فقال أكثر المفسرين هو ابن أبي
 وأصحابه وقول الاصم هذا لا يجوز لأن ابن أبي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد
 يوم أحد وهذا القول واقع عن تخلف فيه نظر لاحتمال أن المراد بالقعود القعود عن القتال
 لأن الخروج الى القتال (قل) لهم (فادروا) أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين)
 في أن القعود ينجي منه لأنكم ان دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع
 سائر أسبابه المبنوية ولا بد لكم أن تخلق بكم بعضها وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون
 منافقا (فان قيل) ما وجه هذا الاستدلال فان التبرع عن القتل يمكن وأما التبرع عن الموت
 فغير ممكن (أجيب) بأن الكل بقضاء الله وقدره فلا فرق بين الموت والقتل وفي قوله تعالى
 فادروا عن أنفسكم الموت استهزأ بهم أي ان كنتم رجالا فدفعوا عن أسباب الموت فادروا جميع
 أسبابه حتى لا تموتوا وتزل في شهداء أحد كما رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين
 حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شاس وعبد الله بن جحش وسائرهم من
 الانصار (ولا تحسبن) أي ولا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) أي لاجل دينه والخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل أحد (أموا تابل) هم (أحياء عند ربهم) أي ذوو فاني منه فليس
 المراد القرب المكاني لاستحالة ولا بمعنى في علمه وحكمه لعدم مناسبة المقام له بل بمعنى القرب
 شرفاً ورتبة قال البيضاوي وقيل نزل في شهداء بدر أي وكانوا أربعة عشر رجلاً غلبه
 من الانصار وسنة من المهاجرين قال شيخنا القاضي زكريا وهو غلط اعترض فيهم آية البقرة

(برزقون) من غمار الجنة روى ابن عباس انه علمه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترذأنها الجنة وتأكل من غمارها وتأوى الى قناديل معلقة في ظل العرش وروى ان الله تعالى يطلع عليهم ويقول سلوني ما شئتم فيقولون يا رب كيف نسئلك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا فلما رآوا أن لا يتركوهم أن يسألوا شيئاً قالوا نسئلك أن ترذأروا نحن الى أجسادنا في الدنيا تقتل في سبيلك لما رأوا من النعيم كما قال تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة (ويستبشرون) أي ويفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم) من اخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلهم أنهم اذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا فذلك يستبشرون (من خلقهم) أي الذين من خلقهم زماناً وأرتبة وأبدل من الذين (أن) أي بأن (لاخوف عليهم) أي الذين لم يلحقوا بهم من خلقهم (ولا هم يحزنون) في الآخرة والمعنى أنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا وخلفهم من المؤمنين وهو أنهم يعمثون آمين يوم القيامة لا يكذبون بخوف وقوع محذور ولا يحزن فوات محبوب وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم عن خلقهم بعث للباقيين بعدهم على ازياة الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واجاد لحال من يرى نفسه في خير فيمتحن مثله لآخوانه لأن الله تعالى مدحهم على ذلك (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين تعالى أنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم بين هنا أنهم يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم ولذلك أعاد لفظ الاستبشار (فان قيل) أليس أنه ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح عين الاستبشار فانهم التكرار (أجيب) بأن الاستبشار هو الفرح التام فلا يلزم التكرار وبأن المراد حصول الفرح بما حصل في الحال وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصل لهم في الآخرة والفرق بين النعمة والفضل أن النعمة هي الثواب والفضل هو التفضل الزائد (فان قيل) لم قال يستبشرون من غير عطف (أجيب) بأنه تأكيدي لا دلالي لأنه قصد بالنعمة والفضل بيان متعلق الاستبشار الاول (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) لما ذكر اتصال الثواب العظيم الى الشهداء أي أن ذلك ليس مخصوصاً بهم بل كل مؤمن يستحق شيئاً من الاجر والثواب فان الله تعالى يوصل ثوابه اليه ولا يضيعه وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) أي دعاء مبتدأ (من بعدما اصابهم الفرح) بأحد وخبر المبتدأ (الذين أحسنوا انهم) بطاعته (واتقوا) مخالفته (أجر عظيم) هو الجنة روى أن أباسفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ثم مروا وهو بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهم ويريه من نفسه وأصحابه قوة فذهب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا اجراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه الفرح فتحملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر روى أنه كان فيهم من يحمل صاحب على عنقه ساعة ثم ان التحول يحمل الحامل ساعة أخرى وذلك لكثرة الجراحات فيهم وكان فيهم

من يتوكل على صاحبه ساعة ويتوكل عليه صاحبه ساعة فترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد
 الخزاعي بجهره والاسد وكانت خراعة مسلمهم وكافرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد
 يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله قد أعفانا فقيم ثم
 خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أباسفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا
 الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى أبوسفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال
 محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أزال ترحل
 حتى ترى نواصي الخليل فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت * (تنبيه) * من
 في الذين أحسنوا منهم للتيبين مثلها في قوله تعالى وعذ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
 مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لبعضهم وقوله تعالى (الذين)
 بدل من الذين قبله وأذنت (قال لهم الناس أن الناس قد جعوا لكم) أي الجوع ليستأصلوكم
 (فأخشوهم) روى أن أباسفيان نادى عند انصرافه من أحديا بموعد ناموسم بدر القابل
 أن شئت فقال صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبوسفيان في أهل مكة حتى
 نزل من الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبداه أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي
 وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا أن نلتقي بعوسم بدر وآن هذا عام جذب ولا يصلح لنا
 الاعام نزع في الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدى أن لا يخرج إليه وأكره أن يخرج محمدا
 ولا يخرج أنا فزادهم ذلك جراءة ولا أن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلي
 فالحق بالمدينة فقبضهم وأعلمهم أني في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل
 أضعها في يد سهل بن عمرو ويضمنها فقال له نعيم يا أبا يزيد انعم لي بذلك وانطلق إلى محمد
 وأبطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يجهزون لمبعدا أي سفيان فقال أين
 تريدون فقالوا واعدنا أبوسفيان بعوسم بدر الصغرى أن تقتل بها فقال بس الرأي رأيتم أو توكم
 في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد الا شريدا فتريدون أن تخرجوا وقد جعوا لكم عند الموسم
 والله لا يفلت منكم أحد فذكره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يخرجن ولو وحدي ولو لم يخرج معي أحد
 فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يلتفتوا إلى ذلك القول كما قال
 تعالى (فزادهم) ذلك القول (إيمانا) أي تصديقا بالله ويقينا (وقالوا حسبنا الله) أي كافينا
 أمرهم (ونعم الوكيل) أي المفوض إليه الأمر وحتى وافوا بدر الصغرى فجمعوا ليقولوا
 المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جعوا لكم يريدون أن يرهبوا المسلمين فيقول المسلمون
 حسبنا الله ونعم الوكيل وهذه هي الكلمة التي قالها إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه حين ألقى
 في النار حتى بلغوا بدر وكانت وضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام
 فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرى ينتظر أباسفيان ثمان ليال ولم يلق رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه أحد من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات فباعوها واشتروا

أدما وزيبا وأصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى (فانقلبوا)
 أي انصرفوا (بنعمة من الله) أي بعمالة لم يلقوا عدوا (وفضل) أي تجارة وربح وهو
 ما أصابوا في السوق (لم يسسهم سوء) أي لم يصهم أذى ولا مكروه ورجع أبو سفيان إلى مكة
 فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشرى بالسويق * (نبيه) * الناس
 الاول المشطون والاخرون أبو سفيان وأصحابه (فان قيل) المشط هو أبو نعيم فكيف قيل
 الناس (أجيب) بأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرد وماله الاقرس
 واحد ويرد واحد ولانه حين قال ذلك لم يخجل من ناس من أهل المدينة يشطون مثل تنبيطه بل قيل
 انهم كانوا جماعة فقدم بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل يعبر
 من زيب ان يشطوهم (فان قيل) كيف زادهم القول ايمانا (أجيب) بأنهم لما سمعوا ذلك وأخلصوا
 عنده النية والعزم على الجهاد وأظهر واجبة الاسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم
 كما زادوا الايمان والايقان بتناءم الحج ولان خروجهم على أثر التنبيط إلى وجه العدو وطاعة
 عظيمة والطاعات تزيد الايمان فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم ما قلنا يا رسول الله ان الايمان
 يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر
 رضى الله تعالى عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزد ايمانا وعنه رضى الله تعالى عنه
 لو وزن ايمان أبي بكر رضى الله تعالى عنه بايمان هذه الامم لرجح به (واسمعوا رضوان الله) الذي
 هو مناط الفوز بخير الدارين بجماعتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) فقد فضل عليهم بالتبني
 وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرامة على العدو
 بالحفظ على كل من وسوهم واصابة النفع من ضمان الاجر حتى اقبلوا بنعمة من الله وفضل وفيه
 تحسیر المتخاف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به (انما ذلككم) أي المشط أو أبو سفيان
 (الشيطان يحوف أولياءه) أي القاعدين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم ويحوفكم
 أولياءه وهم أبو سفيان وأصحابه ويدل على ذلك قوله تعالى (فلا تخافوهم وخافون) في مخالفة
 أمرى بخاهد وامع رسولى (ان كنتم مؤمنين) حقا فان الايمان يقتضى ان لا تخوف الله
 على خوف الناس وقرأ أبو عمر وبائبات الباء وصلوا وحذفها وقفوا والباقون بالحذف وقفوا وصلوا
 (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي يقعون فيه وقوعا سريعا حرصا عليه وهم المنافقون
 من المتصليين أو قوم ارتدوا عن الاسلام أي لا تهتم لكفرهم (انهم لن يضرروا الله شيئا) بفعلهم
 وانما يضررون به أنفسهم وقرأ نافع يحزنك بضم الباء وكسر الزاى حيث وقع ما خالقه تعالى
 في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه على فتح الباء وضم الزاى فيه والباقون كذلك في الكل
 من حزنه لغف في آخره (يريد الله ان لا يجعل لهم خطا) أي نصيبا (في الآخرة) أي الجنة فلذلك
 خذلهم وهو يدل على عمادى طغيانهم وموتهم على الكفر (ولهم) مع حرمان الثواب (عذاب
 عظيم) في النار (ان الذين اشتركوا بالكفر بالايمان) أي أخذوه بدله (لن يضرروا الله) بكفرهم
 (شيئا ولهم عذاب أليم) أي مؤلم وكرر ذلك للتأكيد وهو نعيم للكفرة بعد تخصيص من نافق

من المتخلفين أو ارتدوا من الأحزاب * ونزل في مشركي مكة كما قاله مقاتل أو في قريظة أو النصير كما قاله عطاء (ولا يحسبن الذين كفروا أنما اتىهم بطيول الاعمار) (خير لأنفسهم أنما اتى لهم ليزدادوا اثما) بكثرة المعاصي (ولهم عذاب مهين) أي ذوا هانة وروى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وقرأ حمزة ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يفتلون بالنساء فيهما على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحجرة (ما كان الله ليبدو) أي ليمترل (المؤمنين على ما أنتم عليه) أيها الناس من اختلاط المسلم بغيره (حتى يميز) أي يفصل (الخير) أي المنافق (من الطيب) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بنو يثوم بن بك ومن لا يؤمن فنزلت وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي في صورتهما في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر بمن لم يخلق بعده ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وحده الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا نبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله رضينا بالله ربنا وبالسلام بنا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله تعالى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فنزلت (فان قتل) لمن الخطاب في أنتم (أجيب) بأنه للمصدقين جمعاً من أهل النفاق والاخلاص كأنه قيل ما كان الله ليبدو المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضهم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لا اتفاقكم على التصديق جميعاً حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وأخباره بأحوالكم وبالكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يدعنها لها إلا الخالص المخلصون منكم كبذل الأموال والأنفس في سبيل الله فيختبر بها أوطانكم ويستدل بها على عقائدكم ففعل ذلك يوم أحد حدث أظهر والنفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي يميز بضم الياء وفتح الميم وتشديد الياء بعد الميم مع كسرهما والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء بعد الميم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) فبوحى إليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسوله) أي بصفة الاخلاص أو بأن فعلوا أن الله وحده مطلع على الغيب وفعلوا أنهم عباد محبتون لا يعلنون إلا ما عليهم الله تعالى ولا يقولون إلا ما يوحى إليهم وروى أن الكفرة قالوا إن كان محمد صادقاً فلينظرنا بنو يثوم ومن يكفر فنزلت الآية (وان تؤمنوا) حق الإيمان (وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) أي لا يقادر قدره (ولا يحسبن الذين يفتلون بما آتاهم الله من فضله هو) أي بظلمهم (خير لهم بل هو) أي بظلمهم (شر لهم) لاستحباب

العقاب اليهم واختلجوا في المراد بهذا الجمل فقال أكثر العلماء المراد به منع الواجب واستدلوا
بوجوه أحدها أن الآية دالة على الوعيد الشديد وذلك لا يليق إلا بالواجب وثانيها أن الله
تعالى ذم الجمل والتطوع لا يذم على تركه وثالثها قال عليه الصلاة والسلام وأى داء أدوأ من
الجمل وتارك التطوع لا يليق به هذا الوصف وانفاق الواجب على أقسام منها انفاقه على نفسه
وعلى أهله الذين تلزمه مؤنتهم ومنها الزكوات ومنها ما إذا احتاج المسلمون إلى دفع عذوق
يقصد أنفسهم وأهولهم فيجب عليهم اتفاق الأموال على من يدفعهم عنهم ومنها دفع ما يستد
رمق المضطر (سيطوقون) أى سوف بطوقون (ما يجملوا به يوم القيامة) اختلجوا في هذا الوعيد
فقال ابن عباس وابن مسعود يجعل مانعه من الزكاة حية بطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه
من فرقة إلى قدمه وتقرر رأسه تقول أنا مالك وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤدّر كأنه مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع
له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شديقه ثم يقول أنا مالك أنا كركلت ثم تلا
ولا يحسبن الذين يخلون الآية وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى
بيده أو الذى لا اله غيره أو كالحلف مامن رجل تكون له ابل أو بقرة أو غنم لا يؤدى حقها إلا أتى
بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمه تطوؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت عليه
أخرها ردت عليه وأولاه حتى يقضى بين الناس وقال مجاهد معنى سيطوقون سيكلفون أن يأثروا
بما يجملوا به يوم القيامة أى يؤمرون بأداء ما منعوا فلا يعكسهم إلا نسيان به فيكون ذلك نوعيا
وقيل إن هذه الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد
بالجمل كتمان العلم كما في سورة النساء الذين يخلون ويأمرون الناس بالجمل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله ومعنى قوله على هذا سيطوقون أى يحملون وزره وأثمه كقوله تعالى يحملون
أوزارهم على ظهورهم وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) في معناه وجهان أحدهما
أن له ما قيم ما يتوارثه أهلهم مامن مال وغيره فهو الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم
فألهم يخلون عليه بملكه ولا يتفقونه في سبيله ونحوه قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه والثانى وبه قال الأكثر أن معناه أنه يقضى أهل السموات والارض ويقضى الأملاك
ولامالك لها إلا الله فخرى هذا مجرى الوراثه قال ابن التبرارى يقال ورث فلان علم فلان إذا
انقرده بعد أن كان مشاركا فيه وقال تعالى وورث سليمان داود لأنه انفراد بذلك الأمر بعد
أن كان داود مشاركا له فيه (والله بما تعملون) من المنع والاعطاء (خير) فيجوز يكرم به وقرأ ابن
كثير وأبو عمر وبالباء على القية والباقون بالنساء على الخطاب (لقد سمع الله قول الذين قالوا
إن الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن ومجاهد لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا قالت اليهود أن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن أن قائل هذه المقالة
حي بن أخطب وقال عكرمة والسدى ومقاتل ومجد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم
مع أبي بكر الصديق إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الاسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

وان يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر ذات يوم بيت عدا رسهم فوجد اناسا ~~كثيرا~~ من
 اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فتخاص بن عازوراه وكان من علمائهم ومعه جبر آخر
 يقال له اشيع فقال أبو بكر لفتخاص اتق الله وأسلم فوالله انك تعلم أن محمد رسول الله قد جاءكم
 بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة فأمن وصديق وأقرض الله قرضاً حسناً
 يدخلك الخنة ويضاعف لك الثواب فقال فتخاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض من أموالنا
 وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقاً فان الله اذن لفقير ونحن أغنياء وانه
 ينهانا عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا يعني في قوله فيضاعفه له أضغافاً
 كثيرة فغضب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وضرب وجه فتخاص ضربة شديدة وقال والذي
 نفسي بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فتخاص الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا بى بكر ما حلك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقير
 وهم أغنياء فغضبت لله فضربت وجهه فبعد ذلك فتخاص فأنزل الله عز وجل رداه الى فتخاص
 وتصديقا لا بى بكر رضى الله تعالى عنه لقد سمع الله الآية وهذا لا يدل على أن غيره لم يقل ذلك
 لأن الآية دالة على أن القائل جماعة لقوله تعالى الذين قالوا (سنكتب) أى نأمر بكتب
 (ما قالوا) من الافن والقرية في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه ونحوه وانه كاتبون أو نسخفظه
 في علمنا لانهم لم يأتوا بكلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالله والرسول ولذلك نظمهم مع قتل
 الانبياء كما قال تعالى (وقتلهم) أى وسنكتب قتلهم (الانبياء بغير حق) وفي نظمهم به
 تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال
 هذا القول (ويقول) أى الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق)
 أى النار وهي بمعنى المحرق كما يقال عذاب أليم أى مؤلم وقرأه جزء سبب كتب بالياء المثناة
 تحت بعد السين مضرومة وفتح التاء بعد الكاف ونظم اللام من قتلهم وبالياء فى ويقول
 والساقون بالنون بعد السين مضروحة وضم التاء بعد الكاف ونصب اللام من قتلهم وبالنون
 فى ونقول ويقال لهم اذا ألقوا فى النار (ذلك) أى العذاب (بما قدمت أيديكم) من الاقتراب
 وقتل الانبياء وغير ذلك من المعاصى وعبر بالأيدي عن الانفس لأن أكثر أعمالها جهنم (وان
 الله ليس بظلام) أى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (فان قيل) ظلام للمبالغة المقتضية
 للتكثير فهو أخص من ظالم ولا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم (أجيب) بأنه لما قول بالعبء
 وهم كثيرون ناسب أن يقال الكثير بالكثير وأنه اذا نفي الظلم الكثير نفي القليل لأن الذى
 يظلم انما يظلم لاتتفاحه بالظلم فاذا ترك كثيره مع زيادة نفعه فحين يجوز عليه النفع والضرر كان لقليله
 مع قلة نفعه تركه وبأن ظلام للنسب كما قدرته فى الآية الكريمة كما فى بزاز وعطاري لا ينسب
 اليه ظلم البتة وقوله تعالى (الذين) نعت الذين قبله (قالوا) لمحمد صلى الله عليه وسلم تزعم أن الله
 بعثك بالحق رسولا وأنزل عليك كتاباً وأن تؤمن بك أى وقالوا (ان الله) قد (عهد اليك) أى أمرنا

وأوصاني كتيبه (ان لا تؤمن لرسول) أي لا تصدق رسولا أنه قد جاء من عند الله (حتى يأتيكم)
بقران تأكله النار) أي حتى يأتيكم بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبيا بني اسرائيل فيكون
دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله من نسجكة وعمل صالح وكأنوا اذا
قربوا قربانا أو غنما أو غنمة جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولا هادوي وحققت قنأ كل
ذلك القربان وتأكل الغنمة ومعنى أكلها أن تحبب ذلك الى طبعها بالاحراق فيكون ذلك علامة
القبول واذا لم يتقبل بقي على حاله وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم
يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات في ذلك سواء وقال السدي هذا الشرط
جاء في التوراة ولكنه مع شرط آخر وهو أن الله تعالى أمر بني اسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول
الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقران تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فأتوا
بهم ما فهم ما يتبين بغير قربان قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم (قل) لهم يا محمد (قد جاءكم رسل
من قبلي بالبينات) أي بالمعجزات (وبلذی قلتم) من القربان كزكريا يحيى فقتلوههم (فلم
تقتلوههم) والخطاب لمن في زمن نيناوان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به (ان كنتم صادقين)
في أنكم تؤمنون بالرسول عند الاتيان بذلك ثم قال الله تعالى تسليمة لنبية صلى الله عليه وسلم من
تكذيب قومه واليهود (فان كذبوا فقد كذب رسل من قبل جاءوا بالبينات) أي المعجزات
(والزبر) أي الصحف كصحف ابراهيم (والكتاب) أي التوراة والانجيل (الذير) أي الواضع
فاصبر كما صبروا وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام
وقرأ ابن عامر وبالزبر بالباء الموحدة والباقون بغير ياء بعد الواو وقرأ هشام وبالكسب بالباء
الموحدة بعد الواو والباقون بغير ياء وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) زيادة تأكيد
في نسيته صلى الله عليه وسلم وبالسنة في ازالة الحزن عن قلبه فان من علم أن عاقبته الى الموت
زالته عن قلبه الغموم والاحزان روى ان الله تعالى لما خلق آدم اشتكت الارض الى ربها
أخذ منها فوجد هاهنا يرد فيها ما أخذ منها فامن أحد الايد في التربة التي أخذ منها ولا بعد
هذه الدار دارا تميز فيها المحسن من المسيء والمحق من المبطل ويجازي كل بما يستحقه
كم قال تعالى (واعتابوهم أجوركم) أي جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان خير انخير
وان شر افشمر (فن زحج) أي بعد (عن النار وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد
والغوز بالظفر بالبقية بالنظر الى وجهه الله تعالى الكريم (وما الحياة الدنيا) أي العيش فيها
(الاستماع الغرور) أي الباطل يتبع به قليلا ثم يضي روى أن الله تعالى يقول أعددت لعبادي
الصالحين ما لايحسبون ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نقص
ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل محمد و موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
واقرؤا ان شئتم فن زحج عن النار الآية وروى من أحب أن يزحج عن النار ويدخل
الجنة فله رزق منه وهو يومئذ بالله واليوم الآخر ويؤتى الناس ما يربحون أن يؤتوا

اليه أى يفعل لهم ما يحب أن يفعل به وقوله تعالى (تنبأون) جواب قسم محذوف تقديره والله تنبأون وحذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع وحذفت واو الرفع لالتقاء الساكنين أى لتنبأون (في أمواكم) بالفرائض فيها والجوانح (و) في (أنفسكم) بأعبادات والبلاء والاسمر والجراح وغير ذلك (ولتسمعن من الذين أدنوا الكتاب من قبلكم) أى اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) أى مشركى العرب (أذى كثيرا) وذلك أنهم كانوا يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثلاث ثلاثة وكانوا يقطعون فى النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما يتدرون عليه وهجاه كعب بن الأشرف وكانوا يحرضون الناس على مخالفته صلى الله عليه وسلم ويجمعون العساكر لمحاربته وينبطون المسلمين عن نصرته (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) الله (فإن ذلك من عزم الأمور) أى من صواب التدبير والرشد الذى ينبغى لكل عاقل أن يقدم عليه واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن جرير والكلبى ومقاتل نزلت فى أبي بكر وفخماص وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فخماص اليهودى ليستمده وكتب إليه كتابا لافتنان على بنى حنى حتى ترجع إلى نجف أبو بكر رضى الله تعالى عنه وهو متوشح بالسيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال احتاج ربك إلى أن نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف فتذكر أبو بكر قول النبي صلى الله عليه وسلم وكف عنه فترك وقال الزهرى نزلت فى كعب بن الأشرف فإنه كان يجهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعره ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه فى شعره ويتشبه بنساء المسلمين (تنبيه) * فى الآية تأويلان أحدهما المراد بالمصاهرة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على الابتلاء فى النفس والمال وتحمل الأذى وترك المعارضة والمقاومة وذلك لأنه أقرب إلى دخول المخالف فى الدين كقوله تعالى فقول لاهلنا لعلهم يتذكروا ويخشى وقال تعالى قل للذين آمنوا يغفر من الذين لا يرجون أيام الله وقال تعالى واذمروا باللغو متروا كراما وقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم قال الواحدى وهذا قبل نزول آية السيف وقال القفال والذى عندى أن هذا ليس بمسوخ والظاهر أنها نزلت عقب قصة أحد والمعنى أنهم أمروا بالصبر على ما يؤذون به الرسول عليه الصلاة والسلام من طريق الأقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم فى كثير من الأحوال والأمر بالقتال لا ينافى الأمر بالمصاهرة التأويل الثانى أن المراد بالصبر على مجاهدة الكفار ومناذبتهم والانكسار عليهم فالسبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوى عبارة على الاحتراز عما لا ينبغى (و) اذكر (إذا أخذ الله ميثاق الذين أدنوا الكتاب) أى الله هد عليهم فى التوراة أى على علمائهم (ليسمينه) أى الكتاب (للناس ولا يكفونه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بالياء فى النعيلين على القية لأن أهل الكتاب الخاطئين بذلك غيب والباقيون بالتاء على الخطاب حكاية لمخاطبتهم (فتبذوه) أى طرحو الميثاق (ورأى ظهورهم) أى لم يعملوا به ولم يلتفتوا اليه ونقيض هذا جعله نصب عينيه (واشتروا به) أى أخذوا بدله (عنا قليلا) من حطام

الدنيا واعراضها من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه وخوف قوتها عليهم وقوله تعالى (فبئس
 ما يشترون) العائد محمد وفقد قدره يشترونه قال قتادة رضي الله تعالى عنه هذا صياق أخذه
 الله على أهل العلم فن علم شياً فليعلمه وأياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أبو هريرة رضي الله
 تعالى عنه لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية وقال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وقال أبو الحسن بن
 عمار رضي الله تعالى عنه أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فالتقيته على باب فقلت ان رأيت أن
 تحدثني فقال أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت أما أن تحدثني وأما أن أحدثك فقال حدثني
 فقلت حدثني الحكيم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
 عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني
 أربعين حديثاً (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) أي فعلوا من اضلال الناس (ويحبون أن
 يحمدا) بما أتوا ومن علم التوراة (بما لم يفعلوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال وهذا أيضاً
 من جملة أذاهم لانهم يفرحون بما أتوا به من أنواع الخبث والتليس على ضعفة المسلمين ويحبون
 أن يحمدا وبأنهم أهل البر والصدق والتقوى ولا شك أن الانسان يتأذى بمشاهدة مثل هذه
 الاحوال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلا بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين
 يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليكم ويحبون أن يحمدا وبما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
 عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم قوم يخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة
 في التخلف واستمعدوا به وقيل هم المنافقون فانهم يفرحون بمناقتهم ويصعدون الى المسلمين
 بالايان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ويجوز أن يكون شامل لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها
 فرح الجاهل ويحب أن يحمدا الناس ويشنوا عليه بالديانة والزهدي باليس فيه وقوله تعالى
 (فلا تحسبنهم) تأكيد (بمنازة) أي مكان ينجون فيه (من العذاب) في الآخرة بل هم في مكان
 يعذبون فيه وهو جهنم (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم فيها وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بالتاء على
 الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة والباقون بالكسر
 ومفعول لا تحسب الاولى دل عليهم ما مفعول الثانية على قراءة الصنانية وعلى القوافية حذف
 الثاني فقط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فلا يحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء الموحدة والباقون
 بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة كما تقدم (ولله ملك
 السموات والارض) فهو على أمرهما وما فيهما من خزائن المطر والرزق والنبات وغير ذلك
 (واقه على كل شئ قدير) ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين (ان في خلق السموات
 والارض) وما فيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالجمي والذهاب والزيادة
 والنقصان (آيات) أي دلالات واضحة على قدرته تعالى وباهر حكمته (لاولى الالباب)

لذوى العقول الذين يتفكرون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا يتطرون الباطن المبهائم
غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النماذج الصغار أملا عينيك من زينة هذه الكواكب
وأجلاها في جملة هذه العجائب متفكر في قدرة مقدرها متدبر احكامه مدبرها قبل أن
يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم اقلت لعائشة
رضي الله تعالى عنها أخبرني بأعجب ما رأيت من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت
وأطالت ثم قالت كل أمره عجيب أنا في ليلة فدخل في الحافي حتى التصق جلده بجلدي ثم قال
يا عائشة هل لك أن تأذني الليلة في عبادة ربّي فقلت يا رسول الله اني لأحب قريبك وأحب هوالك
قد أدنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من
القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يده فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرأى يبكي فقال
يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا
شكورا ثم قال ومالي لأبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة أن في خلق السموات والأرض ثم
قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كهاتين فكيفه ولم يتأملها وعن علي رضي الله
تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتوالتيم ينظر الى السماء ثم يقول
ان في خلق السموات والأرض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة
أظلمت له هاهنا فعبدها فمضى من قيسانهم فلم تظلم فقال أنه لعل فرطه فرطت منك في مدت فقال
ما أدرك قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت الا من ذلك وقوله
تعالى (الذين) نعت لما قبله أو بدل (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أي مضطجعين
أي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين لان الانسان قل أن يتحول
من إحدى هذه الحالات الثلاث وروى الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن
يرقع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه هذا في الصلاة يصلي
قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب وعن عمران بن حصين قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى
جنب * (تنبية) * قياما وقعودا حالان من فاعل يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا فيعلق
بمعدوف والمعنى يذكرونه قياما وقعودا ومضطجعين فعطف الحال المؤولة على الصريحة عكس
الآية الاخرى وهي قوله دعائا بالجنبه أو قاعدا أو قائما حيث عطف الصريحة على المؤولة
(ويتفكرون في خلق السموات والأرض) وما أبدع فيه ما أبدلهم ذلك على قدرة الله تعالى
ويعرفون ان لهم مديرا حكما قال بعض العلماء الفكرة تذهب الفطنة وتحدث في القلب الخشية
كما يحدث الماء للزرع النبات وما جلبت القلوب بمنال الاحزان ولا استنارت بمنال الفكرة وروى
عنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على نونس بن متى أي تفضلوا بؤدى الى تنقصه والا فهو صلى
الله عليه وسلم سيد ولد آدم فانه كان يرفع له كل يوم مثل على أهل الأرض قالوا وانما كان ذلك

التفكر في أمر الله تعالى الذي هو عمل القلب لأن أحد الأيادى أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل
 عمل أهل الأرض وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكير أى لأنه المخصوص بالقلب والمقصود
 من الخلق لكن الحديث رواه البيهقي وغيره وضعفه وقال صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يعمل مستلق
 على فراشه أو رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأخاف الله ثم اغترلى
 فنظر الله تعالى إليه فغفر له رواه الشيخان بسند فيه من لا يعرف قال البيضاوى وهذا دليل واضح
 على شرف علم أصول الدين وفضل أهله وقوله تعالى (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على أوادة القول
 أى يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى الخلق بمعنى المخلوق من السموات والأرض وأولى
 السموات والأرض لأنهم فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقتهم عبثا وضايعا من غير حكمة بل خلقته
 لحكم عظيمة من جلالتها أن يكون مبدء الوجود للإنسان وسبب المعاشة ودليله على معرفته
 ويحتمل على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السموية فى جوارحه (تنبيه) * نصب
 باطلا على الحال من هذا وهى حال لا يستغنى عنها لأنها لو حذفت لاختل الكلام وهى كقوله
 تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين وقيل على إسقاط حرف الخفض وهو الباء
 والمعنى ما خلقتهما بباطل بل بحق وقدره (سبحانك) أى تنزيها لك عن العبث وهو معترض بين
 قوله ربنا وبين قوله (فقد أعذاب النار) أى للاخلال بالنظر فى خلق السموات والأرض والقيام
 بما يقتضيه قال أبو البقاء ودخلت الفاء معنى الجزاء والتقدير إذا نزل هذا وأوحى ذلك فقتل ابن
 عادل ولا حاجة إليه بل التسبب فيها ظاهر نسب عن قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
 طلبهم وقاية النار (ربنا انك من تدخل النار) أى للخلود فيها (فقد أجرته) أى أهنته
 (وما للظالمين) أى للكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بتخصيص الجزى بهم (من
 أنصار) أى أنصار من زائدة زيدت لتأكيد النفي (ربنا أشاء معنا منادى) أى يدعو
 الناس (للإيمان) أى إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم (أن) أى بأن (آمنوا)
 بربكم فآمنوا به (فان قيل) أى فائدة فى الجمع بين منادى منادى (أجيب) بأنه ذكر المبدأ
 مطلقا ثم مقيد بالإيمان فغنىما الشأن المنادى لأنه لا منادى أعظم من منادى منادى للإيمان
 ونحوه قولك مرتبها هدى للإسلام وذلك أن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد
 للعرب أو لأغاثة المكروب أو نحو ذلك وكذا الهادى قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى
 أسداد الرأى وغير ذلك فاذا قلت ينادى للإيمان ويهدى للإسلام فقد رفعت من شأن المنادى
 والهادى ونفخته ويقال دعاه لكذا وإلى كذا (ربنا غفر لنا ذنوبنا) أى الكبار منها (وكفرنا
 سيئاتنا) أى الصغار منها ويكون ذلك من باب التعميم والاستيعاب كقوله الرحمن الرحيم ولأن
 الإصلاح والمبالغة فى الدعاء أمر مطلوب (وتوفنا مع الأبرار) أى مخصوصين ببعضهم معدودين
 فى جملتهم وهم الأنبياء والصالحون وفيه تنبيه على أنهم يحجبون لقاء الله تعالى ومن أحب لقاء الله
 تعالى أحب الله لقاءه رواه الشيخان (ربنا وآتينا) أى اعطنا (ما وعدتنا) به (على) السنة (رسلك)
 من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يختلف سؤال أن يجعلهم من مستحقه

لانهم لم يتفقوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وتكرر ربنا مباينة
 في التضرع وفي الآثام من حربه أي اصابه أمر فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله تعالى عما يخاف
 وأعطاه ما أراد (ولا تخزنا) أي ولا تعذبنا ولا تفضحنا ولا تهتنا (يوم القيامة) لأنك لا تختلف الميعاد
 أي الموعد بانابة المؤمنين واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت (فاستجاب لهم
 ربهم) دعاهم وهو أخص من أجاب لانه يقيد حصول جميع المطالب الكثيرة مباينة لأن كثرة
 المباني تدل على كثرة المعاني ويتعذى بنفسه وباللام (أني) أي باني (لأضيق عمل عامل منكم)
 وقوله تعالى (من ذكر أو أنى) بيان عامل (بعضكم من بعض) أي بجمع ذكر كم وأشاكم أصل
 واحد فكل واحد منكم من الآخر أي الذكور والانات والانات من الذكور وقيل المراد
 وصله الاسلام وهذه الجملة وهي بعضكم من بعض معترضة بين عمل عامل منكم من ذكر أو أنى
 وما فصل به عمل عامل من قوله فالذين هاجروا الخيفت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله
 تعالى عباده العاملين روى أن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله أجمع الله بذكر الرجال
 في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى (فالذين هاجروا) أي من مكة الى المدينة (وأخرجوا
 من ديارهم) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه
 الاعمال السنية الفاتحة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارتب إلى الله تعالى بدينهم من دار الفسنة
 واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشؤا (وأودوا في سبيلي) أي ديني (وقاتلوا)
 الكفار (وقتلوا) في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بتقديم قتلوا وتأخير قاتلوا وشدد ابن كثير
 وابن عامر التاء من قتلوا للتكثير (لا كفرن عنهم سبتهم) أي استرها بالمفخرة (ولادخانهم
 جنات تجري من تحتها الانهار نوابا) أي انيسهم بذلك اثابة (من عند الله) أي فضلا منه تعالى فهو
 مصدر وكذا لما قبله لأن قوله تعالى لا كفرن عنهم ولا دخلهم في معنى لا يبينهم (والله عنده حسن
 الثواب) أي الجزاء ولما كان المشركون في رخاؤلين من العيش يجرون ويتنعمون وقال بعض
 المؤمنين ان أعداء الله فيما ترى من الخير وفطن في الجهد نزل (لا يغرنك تقلب) أي تصرف
 (الذين كفروا في البلاد) للقبارات وأنواع المكاسب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمرار
 منه غيره وقوله تعالى (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي ذلك الثقاب متاع قليل يتمتعون به في
 الدنيا يسيرا ويغنى فهو قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين
 من الثواب قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم
 فليظفر به يرجع رواءه وسلم وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال جئت فاذا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في مشربة وانه لعل حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها
 ليف فرايت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسري وقبصر
 قيامه ما فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة (ثم ما واهم)
 أي مصيرهم (جهنم وبقيس المهاد) أي القراش هي (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
 من تحتها الانهار خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها نزل من عند الله) وهو ما بعد اللضيف ونصبه

على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل فيها معنى الظرف (وما) أى والذي (عند الله) من الثواب لكثرة ودوامه (خبر الأبرار) مما يقاب فيه الكفار من متاع الدنيا قلته وسرعة زواله واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) فقال جابر وابن عباس وأنس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أحممة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نهاه جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اخرجوا فاصلوا على أخ لكم مات بغير أَرْضكم فتكلموا ومن هو قال النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر عليه أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على عجل حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه نزل الله تعالى هذه الآية وقال عطاء نزلت في أربعين رجلا من أهل شجران واثنين وثلاثين من الحبشة وغنائمة من الروم وكانوا على دين عيسى فأمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريح نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مجاهد نزلت في مؤمنى أهل الكتاب (وما أنزل اليكم) أى القرآن (وما أنزل اليهم) أى التوراة والانجيل وقوله تعالى (خاضعين) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من لانهم فى معنى الجمع أى متواضعين (لله لا يستخرون) أى لا يستبدلون (بآيات الله) التى عندهم فى التوراة والانجيل من نعت النبي صلى الله عليه وسلم (تغافلوا) من الدنيا بأن يكتموها خوفا على الرياسة كما فعل غيرهم من اليهود (أولئك لهم اجرهم) أى ثواب أعمالهم (عند ربهم) وهو ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه فى قوله تعالى (ولئك يؤتون أجرهم مرتين) وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لغزو فعله فى كل شئ فهو عالم بما يستوجب كل عامل من الاجر بحسب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعة وما يصيبكم من الشدائد وعن المعاصى (وصابروا) أى وتغابوا أعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب فلا يكونوا أشد صبرا منكم (ورابطوا) أى اتفقوا فى الثغور رابطين خلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله تعالى ومن رباط الخيل زهر بون به عدو الله وعدوكم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من رباط يوم ما وليه فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يقطر ولا ينقل عن صلاته الا الحاجة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة (واقفوا لله) فى جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون) أى تفوزون بالجنة وتنجون من النار وقال بعض العلماء اصبروا على البأساء والضراء ورابطوا فى دار الأعداء واقفوا لله الارض والسما لعلكم تفلحون فى دار البقاء روى الطبري لكن بأسنا ضعيف من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم ملائكة حتى تحجب الشمس أى تغيب وما رواء البضاوى تعالى لم يخشى ربهم ما ابن عادل من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها ما نال على جسر جهنم فهو من الاحاديث الموضوعة على أبي بن كعب فى فضائل السور فليتنبه لذلك ويحذر منه وقدمه أئمة الحديث قد عجزوا وحدها على ذلك وعابوا على من أورد من المفسرين فى تفاسيرهم والله تعالى أعلم

﴿سورة النعام مدنية﴾

مائة وخمسة وأربعون آية وثلاثة آلاف وخمسة وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً

(بسم الله) الظاهر الملك العلام (الرحمن) الذي عم عباده بالانعام (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بدار السلام وقوله تعالى (يا أيها الناس) خطاب بيم المكلفين من أولاد آدم من المؤمنين الذكور والإناث الموجودين منهم في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم وقيل كما يحتص بالعرب منهم لقوله تعالى واتقوا الله الذي تسمعون به والأرحام أذا المنشأدة بالله وبالرحم إعادة مختصة بهم فيقولون أنشدك بالله وبالرحم وأجيب بأن خصوص آخر الآية لا يمنع عموم قوله (اتقوا ربكم) أي عذابه بأن تطيعوه (الذي خلقكم من نفس واحدة) أي فوّضكم إليه أصل واحد وهو نفس آدم أيكم وقوله تعالى (وخلق منها زوجها) معطوف على خلقكم من خلقكم من شخص واحد هو آدم وخلق منها أمكم حواء بالمتن ضلع من أضلاعه اليسرى أو معطوف على محذوف كأنه قبل من نفس واحدة أنشأها وأندأها وخلق منها زوجها ونحوه حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء وهو تقرير لخلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى (وبث منهما) أي من آدم وحواء (رجالاً كثيراً ونساءً) أي كثيراً لبيان لكيفية تولدهم منها والمعنى وبث أي نشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بالحدس الحكمة تقتضي أن يكن أكثر الذل للرجل أن يزيد في عصيته على واحدة بخلاف المرأة وذكر كثيراً لاجل الجمع ولا تكرر في الآية لأن خلقكم من نفس واحدة مغاير لخلق حواء منها لأنها خلقت من ضلعه وهم من مائهما ولبث الرجال والنساء لانه بينه أن خلقهم من نفس واحدة معناه من نفس آدم وحواء مع زيادة التصريح بالرجال والنساء (واتقوا الله الذي تسمعون) فيه ادغام التاء في الأصل في السين أي تسمعون (به) فيما يشكم حيث يقول بعضكم لبعض أسألت بالله وأنشدك بالله (فان قيل) الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجواز التمه أن يجاء عقب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويعت عليها فكيف كان خلقه أيها هم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره من جبال التقوى ودعائها إليها (أجيب) بأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على ذلك كان قادراً على كل شيء ومن القدر والرات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن تبقى القادر عليه ويحصى عقابه ولا يبدل على النعمة السابقة عليهم لحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها وقرأعاصم وحزمة والكسائي بخفيف السين والباقون بتشديدها (و) اتقوا (الأرحام) أي بأن فصلوها ولا تقطعوها وكانوا يتناشدون بالرحم وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتهما بكان منه تعالى روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة

بالعرش تقول الأمان وصلني وصله الله تعالى ومن قطعني قطعته الله تعالى وقرأ غير حزمة بالنصب
 عطف على الله تعالى فالعامل فيه اتقوا كما قدرته أو معطوف على محل الجار والمجرور كقولك
 مررت بزيد وعمر أو أجازة فقرأ أجازة عطف على الضمير المجرور وقول البضاوي وهو ضعيف
 أي كما هو مذهب البصريين ممنوع والحق أنه ليس بضعيف فقد جوزه الكوفيون وكيف
 يكون ضعيفا والقرآن فيه متواتر فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين
 وتعليهم عدم الجواز بكونه كـ بعض كلمة لا يقتضي الحاقه به في عدم جواز العطف اذ حذف
 الشيء مع القرينة جائز ومنه * رسم دار وقفت في طلله * أي ورب رسم دار وقول الشاعر
 * اذهب فابلك واليام من عجب (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا لأعمالكم فيبازيكم
 أي لم يزل منصفا بذلك (وأنوايتامي) أي بعد البلوغ والرشد (أموالهم) وهو أيتامي
 بعد البلوغ مع أن الأيتام في عرف الشرع صغير لا أب له على معنى أنهم كانوا أيتام وان كان
 اليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدرّة اليتيمة وقيل اليتيم في الأناس من قبل الآباء وفي البهائم من
 قبل الأمهات وفي الطير من قبلهما والخطاب للأولياء والأوصياء روى أن رجلا كان معه مال
 كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال من عمه فنفقه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه
 وسلم فتركت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطمعنا الله وأطمعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
 فدفع إليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه يوسع الله له فخرج به هكذا فانه يحله داره أي
 جنته وسبأ في تفسير الحوب الكبير فلما قبض النبي ماله أنفق في سبيل الله فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو
 ينقضي في سبيل الله فقال ثبت الأجر للفلان وبقي الوزر على والداه أي ولعله كان لا يخرج زكاته
 (ولا تقبلوا الخبيث) أي الحرام (بالطيب) أي الحلال أي لا تأخذوا به كما يفعلون في أخذ
 الجيد من مال اليتيم وجعل الردي من مالكم مكانه قال الزمخشري وهذا ليس بتبدل وانما هو
 تبدل قال التفتازاني لأن معنى تبدل هذا بذلك أنك أخذت هذا وتركت ذلك وكذا استبدلت
 لأن معنى بدلت هذا بذلك أخذت ذلك وأعطيت هذا قال تعالى ومن تبدل الكفر بالإيمان فإذا
 أعطى الردي وأخذ الجيد فقد أعطى الخبيث وأخذ الطيب كما لو أخذ الخبيث وترك الطيب
 ليكون تبدل الخبيث بالطيب فالخاص أن في التبدل ما دخلته الباء متروكا وما تعدى إليه
 الفعل بنفسه مأخوذ وفي التبدل بالعكس ٥ وقد أوضحت ذلك في شرح المنهاج
 (ولأنكم أموالهم إلى) أي مع (أموالكم) كقوله تعالى من أنصاري إلى الله أي مع الله أي
 لا تنفقهوا معا ولا تسوا بينهم ما فاء كلكم أموالكم حلال لكم وأكلكم أموالهم حرام عليكم
 فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجر تكلم ونفقتكم (فان قيل) قد حرم الله
 عليهم كل مال اليتيم وحده ومع أموالهم فلم يرد النبي عن أكله معها (أجيب) بأنهم كانوا
 يفعلون كذلك فأنكر عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أجزاؤهم ولأنهم اذا كانوا مستغنين عن
 أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم مع ذلك يطعمون فيها كان القبح أبلغ والذم

أحق (أنه) أي أكلها (كان حوبا) أي ذنبا (كبيرا) أي عظيما أول نزل هذه الآية في اليتامى وما كان في أكل أموالهم من الحبوب **الكبير** خاف الاولياء أن يلحقهم الحبوب بترك العدل في حقوق اليتامى وأخذوا يتزوجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحتها العشر من الأزواج والثمان والست ولا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن نزل (وان خفتم) أي خشيتن (أن لاتنسلطوا) أي تعدلوا (في اليتامى) فنزع جتم من أمورهم تخافوا أيضا ترك العدل بين النساء وقيلوا عدد المنكوحات (فانكحوا ما طاب) أي حل (لكم من النساء) لأن منهن ما حرم كاللاني في آية التحريم (منى وثلاث ورباع) أي تزوجوا اثنتين أو ثلاثا وأربعا لأن من يخرج من ذنب أو ناب عنه وهو منكمب مثله فهو غير مختبرج ولا ناب لأنه انما يجب أن يخرج من الذنب ويتاب عنه لقبه والقبح قائم في كل ذنب وانما عبرتهن بما ومن يعقل انما يعبر عنه بمن ذاهبا الى الصفة لأنه انما يفرق بين من وما في الذوات لاني الصفات أو أجزاها تجري غير العقلاء لانتصان عقولهن وقيل كانوا لا يتزوجون من الزنا وهم يتزوجون من ولاية اليتامى فقبل أن خفتم الحبوب في حق اليتامى تخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تجولوا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال فيتزوجها ضنا أي بخلافه أفر ما يجمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن (فان قيل) الذي أطلق للنكاح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فانه في التكرار في منى وثلاث ورباع حتى ان بعض الرافضة قال للشخص ان يتزوج بثمانية عشر (أجيب) بأن الخطاب للجمع فوجب التكرار بل يصيب كل نكاح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فان قيل) لم جاء العطف بالواو دون أو حتى قال بعض الرافضة ان له أن يتزوج تسعة (أجيب) بأنه لو عطف بأول ذهاب معنى تجوز أنواع الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليها الواو (فان خفتم أن لاتعدلوا) بين هذه الأعداد أيضا بالقسم والنفقة (فواحدة) أي فانكحوا واحدة وذروا الجمع (أو ما ملكت أيمانكم) أي اقتصروا على ذلك سواء بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراير خلفه مؤنثته وعدم وجوب القسم بينهما • (تنبيه) • هذا في حق الحر أمان فيه رفق فلا يتزوج أكثر من ثنتين باجتماع الصداقة وقد يعرض للحر عراوض لا يراذ فيها على واحدة كجنون أو سفه (ذلك) أي نكاح الأربعة فقط أو الواحدة أو التسري (ادنى) أقرب الى (أن لاتعدلوا) أي تجوزوا يقال عال الحاكم في حكمه اذا جاز وروى ان اعرايا حكم عليه حاكم فقال له اتعول على وقد ورد عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاتعدلوا أن لاتجوزوا وحكي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه انه فسر ان لاتعدلوا بأن لاتكثروا عيالكم قال البيهقي وما قاله أحد انما يقال من كثرة العيال أعال يعمل أعال اذا كثرت عياله وقال الزخشمي ووجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك ما نهم بمعونهم اذا اتفق عليهم لأن من كثرة عياله أنه أن يعولهم ثم قال وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشريعة ورؤس المجتهدين حقيق بالجل على الصحة والسداد وان لا يظن

به يجرى فعلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا تظن بكلمة
 خرجت من فى أخيك سوءاً وانت تجد لها فى الخير مجحلاً وكان الشافعى رحمه الله تعالى أعلى
 كعباً وأطول باعاً فى علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ٥ (وَأَوْثَرُ) أى أعطوا
 (النساء صدقاتهن) جمع صدقة أى مهرهن (نحلة) أى عطية يقال نحله كذا نحله أى أعطاه
 إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ونصها على المصدر لأن النحلة والاياء بمعنى الاعطاء فكانه قيل
 وأحلوا النساء صدقاتهن نحلة قال الكلبى وجماعة والخطاب للاولياء وذلك ان ولى المرأة
 كان اذا تزوجها فان كان معهم فى العشرة فلم يعطها من مهرها شيئاً وان زوجها غريباً لم يولها
 البس على بعير ولا يعطوها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق
 الى أهلها (فان ظن لكم عن شئ منه) أى الصداق وقوله تعالى (نفساً) محوّل عن الفاعل أى
 ان طابت نفسهن لكم عن شئ من الصداق فوهبتهن لكم (فكاهن) أى أخذوه وأنفقوه (هنيئاً)
 أى طيباً (مريباً) أى محموداً العاقبة لا ضرر فيه عليكم فى الآخرة روى ان ناساً كانوا يأتون
 ان يرجع أحدهم فى شئ مما ساقه الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير
 اكراه ولا خديعة فكاهه هنيئاً مريباً قال الزمخشري وفى الآية دليل على ضيق المسالك فى ذلك
 وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقبل فان طين ولم يقبل فان وهب
 أو سمعن اعلاماً بأن المراعى هو تجافى نفسه عن الموهوب طيبة وعن الشعبي ان رجلاً أتى
 مع امرأته شريفاً فى عطية أعطته إياه وهى تطلب أن ترجع فقال شريح ردّ عليهم ان قال
 الرجل أليس الله تعالى قد قال فان طين لكم قال لو طابت نفسها عنده لما رجعت فيه وحكى
 ان رجلاً من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه فلبث شهر ثم طلقها
 فخافته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتنى طيبة بها نفساً فقال عبد الملك فأين
 الآية التى بعدها ولا تأخذوا منه شيئاً اردد عليها وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كتب الى
 قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأعيا امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلها
 (ولا تؤنوا) أيها الاولياء (السفهاء) أى المبذرين من الرجال والنساء (أموالكم) أى أموالهم
 وانما أضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وقبل نهى الى كل أحد أن
 يعتمد الى ما حوله الله من المال فيعطيه امرأته وأولاده ثم ينظر الى ما فى أيديهم وانما سماهم سفهاء
 استخفافاً به قلوبهم واستهجاناً لجهلهم قواماً وهذا أوفق لقوله تعالى (الذى جعل الله لكم قياماً) أى
 تقوم بمصالحكم ومصلح أولادكم فيضعوها فى غير وجهها وعلى القول الاول بقرينة أن أموال
 السفهاء التى من جنس ما جعل الله لكم قياماً ومعنى الله ما به القيام قياماً بالعبادة وقرأ نافع
 وابن عامر قياماً بغير ألف بعد الياء والقيم جمع قبة ما يقوم به الامتعة والباقيون بالالف مصدر قام
 (وارزقوهم) أى أطعموهم (فيها وأكسوهم) فيها وانما قال تعالى فيها لجهل الاموال ظروفها
 للرزق فيكون الاتفاق من الربح لامن الاموال التى هى الظروف بأن يتجرروا فيها ويحصلوا من
 ربحها ما يحتاجون اليه ولو قبل منها لكان الاتفاق من نفس الاموال (وقولوا لهم قولاً)

معروفاً) أي عدوهم عدة جيلة باعطائهم أموالهم إذا ارشدوا وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته
لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبه فهو منكرو
وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإذا غنمت في غزاة جعلت لك حظاً وقيل إن لم يكن ممن وجبت
عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك بارك الله فيك وقيل لا يختص ذلك بالأولياء بل هو أمر لكل
أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه بضيعه فيها
لا ينبغي ويفسده (وابتلوا) أي اختبروا (اليساعى) في دينهم وتصرفهم بأن يختبروا ولد التاجر
بالببيع والشراء والمما كسبه فيهما وولد الزراع بالزراعة والنفقة على القوام بهما والمرأة فبها
يتعلق الغزل والظن وصون الاطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الأمير ونحوه
بالانفاق مدة في خبر ومها ولحم ونحوها كل ذلك هي العادة في مثله ويشترط تكرار الاختبار مرتين
أو أكثر بحيث يقيد غلبة الظن برشده ووقت الاختبار قبل البلوغ ولا يدع عقده بل يتحس في
المما كسبه فإذا أراد العقد عقد الولي (حتى إذا بلغوا النكاح) أي صاروا أحلالاً متقابلين وهو
استكمال خمس عشرة سنة تحديدية لطهران عمر رضى الله تعالى عنه عرضت على النبي صلى الله عليه
وسلم يوم أحد وأما ابن أربع عشرة سنة لم يجزى ولم يرى بلنت وعرضت عليه يوم الخندق وأما ابن
خمس عشرة سنة فأجازى ورأى بلغت رواه ابن حبان وأصله في الصحيحين وأبداً رواه من انفصال
جميع الولد قبل عرض عليه صلى الله عليه وسلم سبعة عشر من العداية وهم أبناء أربع عشرة
فلم يجزهم وعرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة فأجازهم وأما بخروج المتي في وقت امكانه وأقل
تسع سنين قرية تحديدية سواء أخرج في نوم أم بقلة بجماع أو غيره وتزيد المرأة على هذين
الامرئين الحيض لوقت امكانه وأقل تسع سنين قرية تفرية تفرية في غنم فيها زمن لا يسع - أيضاً
وطهرها والولادة لأنها يسبقها الانزال ويحكم بالبلوغ قبلها بسنة أشهر وثني وأنبات شعر العانة
المحسن دليل للبلوغ في حق الكفار لاني - في المسلمين ولا عبرة بأنبات شعر الابط واللحية (فان
أنتم) أي أبصرتم (منهم) أي أبصرتم (منهم) أي أبصرتم (منهم) أي أبصرتم (منهم) أي أبصرتم
يسقط العدالة من كبيرة أو أصراً على صغيرة ويعقب في رشد الكافر دينه وأما صلاح المال
فلا يضيعه بالقائه في بحر أو يصر في محرم أو باحتمال الدين الفاحش في المعاملة ونحوها
وليس صرفه في الخير تبذير ولا صرفه في النياب والاطعمة النفيسة وشراء الجوارى والاستمتاع
بهن لأن المال يتخذ لينفع به نعم إن صرفه في ذلك بما ريق الاقتراض له حرم عليه (فادفعوا اليهم
أموالهم) من غير تأخير (ولأننا كلوها) أيها الأولاد وقوله تعالى (اسرفوا) أي بغير حق
(وبدارا) حالاً أي مسرفين ومبادرين إلى انفاقه واختافه (أن يكبروا) رشداً فيزنيكم تسليمها
اليهم (ومن كان) من الأولياء (غنياً فليستغف) أي يعف عن مال البتير ويعتق من أهله
(ومن كان فقيراً فليأكل) منه (بالمعروف) أي بقدر الاقل من حاجته وأجره عليه كما مر
ولفظ الاستعفاف والإكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي وروى النيسابى
وغيره أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن في عجري يتيماً أفك كل من ماله قال بالمعروف

• (تنبيه) • ابرأ هذا التقسيم بعد قوله ولاتأكلوا مما يدل على أنه منى للاغتناء منهم
 أن لا يأخذوا لانفسهم من أموال البتائى شيئا ولانقرء منهم أن لا يأخذوا منها شيئا بغير المعروف
 كما أن قوله ولاتأكلوا مما اسرافوا به أن يكبروا يدل على أنه منى للفرقة عن أكلها اسرافا
 ومبادرة لكبرهم (فادفعهم اليهم) أى البتائى (أموالهم فأنشدهوا) ندبا (عليهم) بانهم
 قبضوها فان الشهاد أنى للتمسك وأبعد من الخصومة فقتلوا جون الى البيعة وهذا يدل على
 أن القيم لا يصدق في دعواه الدفع ولو أبا البيعة وهو مذهب الشافعى ومالك خلافا لابي حنيفة
 (وكفى بالله حسبا) أى حافظا لعمل خلقه ومحاسبهم (لرحال) أى المذكور (نصيب) أى حظ
 (مما ترك الوالدان والاقربون) أى المتوفون (ولنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
 مما قل منه) أى المال (أو أكثر) جعله الله نصيبا مفرضا أى مقطوعا بتسليمه اليهم روى أن
 أوس بن ثابت الانصارى رضى الله تعالى عنه توفي وترك امرأته أم حكمة بضم الكاف والحاء
 المشددة وثلاث بنات له منها أقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصيها سويد وعرفجة فأخذ مالها
 ولم يعطها امرأته ولا بناته شيئا وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وان كان الصغير
 ذكرا انما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا تعلى الامن قاتل وحاز النخبة فجاءت أم حكمة الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيج وهو بالضاد واغلاء المجتمعين موضع بالمدينة قيل
 لعله المسجد الذى كان يسكنه أصحاب الصفة لانهم كانوا يرخصون فيه النوى فشكت اليه
 فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك على ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندى
 ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة لم يعطيانى ولا بناته شيئا وهن
 في حجرى لا يطعمن ولا يسترن فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدا
 لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا يشكى عدوا فنزلت هذه الآية فأثبت لهن الميراث فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقربا من مال أوس شيئا فان الله جعل لبناته نصيبا مما ترك
 ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى بوصيكم الله في أولادكم فأعطى صلى الله
 عليه وسلم أم حكمة الفم والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهذا دليل على جواز تأخير البيان
 عن الخطاب (واذا حضر القسمة) للميراث (أولوا القربى) أى ذوو القرابة بمن لا يرث
 (واليتامى والمساكين فارقوهم) أى أعطوهم (منه) أى القسوم شيئا قبل القسمة تأمينا
 لقلوبهم ونصد قلوبهم وهو أمر يندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب واختلف العلماء
 في حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بآية الموارث كالوصية وعن سعيد بن جبيران
 ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنكم اعماهاون بها الناس (وقولوا لهم قولوا معروفا)
 وهو أن يدعوا اليهم وبسبب قولوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والتخفى أدركنا الناس
 وهم يصنعون على القربات والمساكين واليتامى من العدين يعنيان الذهب والورق فاذا قسم
 الذهب والورق وصارت القسمة الى الاقربين والرفيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولوا معروفا كان
 يقولون ببول قبكم (ويخسر) أى يخلف صلى البتائى (الذين لو تركوا) أى قاربوا أن

يتركوا (من خلفهم) أي بعدموتهم (ذرية ضعافاً) أي أولاداً صغاراً (خافوا عليهم) أي
الضباع (فليتقوا الله) في أمر اليتامى وغيرهم وليأثروا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريعتهم من
بعدهم (وليقلوا) أي للمريض (قولا سديداً) أي عدلاً وصواباً بأن يأمره أن يصدق بدون
ثقله ويترك الباقي لورثته ولا يتركهم عالة وذلك أنه كان إذا حضر أحدهم الموت يقول له من
يحضره انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغفون عنك شيئاً قدم لنفسك اعتق وصدق
وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عز وجل وأمرهم أن يأمره
أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته إن الذين يأكلون أموال اليتامى
ظلمات أي بغير حق (انما يأكلون في بطونهم ناراً) أي ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه
وفي بعض بطنه قال الشاعر * كوافي بعض بطنكم تعفوا * ومعنى يأكلون ناراً يأكلون
ما يجزى إلى النار فكأنه نار في الحقيقة روى أنه يبعث كل مال اليتيم يوم القيامة والدخان
يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه فمعرفة الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا
وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى نبي قوما لهم مشافر كشافر الأبل أحداهما
قائمة على منخرية والأخرى على بطنه وخزنة النار يقومونهم بجر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل
من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمات (وسيلون سعيراً) أي ناراً شديدة تجترقون
فيها وقرأ ابن عامر وشعبة بنصم الباء والباقون بالغنة (يوصيكم الله) أي يأمركم (في أولادكم)
أي في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا أجمال تفصيله (لذكر) منهم (مثل حظ)
أي نصيب (الأنثيين) إذا اجتمعن معاً فله نصف المال ولهما النصف فان كان معهما واحدة فلهما
الثلث وله الثلثان وانما فضل الذكر على الأنثي لاختصاصه بالزوم ما يلزم الأنثي من الجهاد
وتحمل الديّة وغيرهما وله حاجتان حاجة لنفسه وحاجة لزوجته والأنثي حاجة واحدة لنفسها
بل هي غالباً مستغنية بالتزويج عن الانفاق من مالها ولكن لما علم الله تعالى احتياجها إلى
النفقة وإن الرغبة تقل فيها إذا لم يكن لها مال جعل لها حظاً من الارث وابطل حرمان الجاهلية
لها (فان قيل) هلا قبل للأنثيين مثل حظ الذكر وللاثنى نصف حظ الذكر (أجيب) بأنه انما
بدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما هو مذهبنا من ذلك ولا نقوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى
بيان فضل الذكر وقوله للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثي وما كان قصداً
إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون
الرجال دون النساء والصبيان وكان في ابتداء الاسلام بالمهاجرة قال تعالى والذين عقدت
أيمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت الورثة بالمهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم
من ولايتهم من شيء ثم نسخ ذلك كله بالآية الكريمة واختلف في سبب نزولها فن جابر قال
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودي وأنا مريض لأعقل فتوضأ وصب على من وضوئه
فقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثي كذالة فنزلت وقال مقاتل والكاتب نزل في أم
كسة امرأة أو سبن ثابت وبناته وقال عطاء استتم بسعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك

امرأة وبنتين وأخاف أخذ الاخ المال فأنت امرأه أسعد الى النبي صلى الله عليه وسلم فابتنى سعد
 فقالت يا رسول الله ان هاتين اغتاسعد وان سعد اقل يوم أحد شهيد او ان عههما أخذهما لهما
 ولا ينكحان الاولهما مال فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي ففعل الله سبحانه في ذلك فزلت
 فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عههما وقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأمتهم الثلثين وما بقي
 فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام وكأنته قيل كني الذكور أن ضعف لهم نصيب
 الاناث ولا يضارون في حظهن حتى يجر من مع ادلائهن مع القرابة مثل ما دلون به (فان قيل)
 حظ الاثنين الثلثان فكأنته قيل للذكر الثلثان (أجيب) بأن المراد حالة الاجتماع كما رأينا في
 حالة الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنات الثلثان والدليل على ان الفرض حكم
 الاجتماع أنه اتبعه حكم الانفراد بقوله تعالى (فان كن) أي ان كان الاولاد (نساء) خلفه ليس
 معهن ذكر وأنثى الضمير باعتبار الخبر وعلى تأويل المولدات وقوله تعالى (فوق اثنتين) خبر ثان
 أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (فان قيل) قوله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين كلام
 مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح أن يردف قوله فان كن
 نساء وهو لبيان حظ الاناث (أجيب) بأنه وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا أنه لما علم منه
 حظ الاثنين مع أخيهما كان كأنته مسوق للامرين جميعا فذلك صح أن يقال فان كن نساء
 (فلهن مثل ما ترك) أي المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت) أي المولودة (واحدة فلها
 النصف) وقرأ نافع واحدة بالرفع على كان التامة والباقيون بالنصب على كان الناقصة
 واختلاف في ميراث الاثنين فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حكمهما حكم الواحدة لانه
 تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقيون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى ما بين أن حظ
 الذكر مثل حظ الأنثيين اذا كان مع اثني وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما
 أوهم ذلك أن يراد النصيب بزيادة العدد كذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد
 ذلك ان البنت الواحدة لما استحققت الثلث مع أخيهما الاولى والاحرى أن تستحقه مع
 أخوت مثلهما ويؤيده أيضا ان البنيتين أمس وحامن الاثنتين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما
 الثلثان مما ترك وقيل فوق صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق
 البنيتين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر (ولا يؤيه) أي الميت وقوله تعالى (لكل واحد منهما
 السدس مما ترك) يدل بعض من كل فالسدس مبتدأ ولا يؤيه خبر وفائدة البديل دفع توهم أن
 يكون للاب ضعف ما للام أخذ من قوله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين وبهذا اندفع كما قال
 التفتازاني ان البديل ينبغي أن يكون بحيث لو أسقط استقام الكلام معنى وهنا قيل لا يؤيه
 السدس لم يستقم هذا (ان كان له) أي الميت (ولد) ذكر أو غيره والحق بالولد والابن وبالاب
 الجد (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه) أي فقط بقرينة المقام (فلامه الثلث) مما ترك وانما يلزم
 حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث أبواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأنته قال
 فلها مما ترك اثلاثا ولو كان معهما أحد الزوجين كان لهما ثلث ما بقي يعد فرضه كما قال الجوهري

لاثالث المال كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه فإنه ينفذ إلى تفضيل الأنثى على الذكر
 المساوي لها في الجهة والقرب وهو كما قال البيضاوي خلاف وضع الشرع (فإن كان له أخوة)
 أي اثنتان فصاعدن كوراء وأنثى كما عليه الجمهور (فلا تمة السدس) والباقي للاب ولأنثى
 للأخوة وقال ابن عباس لا يجب الاتم من الثلث إلى السدس الاثلاثة أخوة كوراء أخذوا بظاهر
 اللفظ وأطلق اللفظ يدل على أن الأخوة يرذونها من الثلث إلى السدس وإن كانوا لا يرثون مع
 الأب شيئاً وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنهم يأخذون السدس الذي يجبو عنه الأم
 وقرأ حجة والكسائي في الوصل فلا تمة بكسر الهمزة فراراً من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين
 والباقيون بضعها وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) متعلق بما تقدمه من قسمة
 الموارث كلها أي هذه الانصاف للورثة من بعد وصية أو ودين وانما عبر بأودون الوارث للدلالة
 على أنهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين (فإن قيل) لم تقدمت
 الوصية في الذكر على الدين مع انهما متأخرة في حكم الشرع عنه (أجيب) بأنهم لما كانت شاقبة
 على الورثة لكونها مأخوذة بلا عوض وهي مستحقة لكل مكلف بحسب لاف الدين فإنه لا يكون
 على كل مكلف فقد تمت لذلك وقرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة يوصي بفتح الصاد ووافقهم حفص
 على فتح الصاد في الحرف الثاني والباقيون بكسر الصاد فيما وقوله تعالى (أباؤكم وأبناؤكم)
 مبتدأ خبره (لا تدرسون أيهم أقرب لكم نفعا) أي لا تعملون من أنفع لكم من يرثكم من
 أصولكم وفروعكم في عاجلكم وأجللكم فذلكم من يظن أن الأب أنفع له فيكون الابن أنفع له
 منكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له وانما العالم بذلك هو الله تعالى وقدر
 أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه وقال ابن عباس أطوعكم الله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة
 يوم القيامة والله يرفع المؤمنين بعضهم في بعض فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع إليه
 ولده وإن كان الوالد أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل الله أن يرفع إليه فيرفع بشفاعته
 (فريضة) أي ما قد روي الموارث فرض فريضة (من الله أن الله كان عليماً) بأمور عباده
 (حكماً) فيما قضى وقد رأى لم يزل متصفاً بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن
 ولد) ذكر أو غيره منكم أو من غيركم (فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
 يوصي بها أو دين) وولد الابن في ذلك كالولد اجاعاً (ولهن) أي الزوجات تعددن أولاً (الربع
 مما تركن إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد) منهن أو من غيرهن (فلهن الثمن مما تركن من
 بعد وصية يوصي بها أو دين) وولد الابن كالولد في ذلك اجاعاً فقد فرض للرجل بحق العقد
 الصحيح ضعف مال المرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة وارثن اشتركا في الجهة
 والقرب من الميت ولا يستثنى من ذلك الأولاد الأم والمعتق والمعتقة (وإن كان رجل) أي
 الميت (يورث) أي منهن ورث صفة رجل وخبر كان (كلالة) أو يورث خبر كان وكلالة من
 الضمير في يورث واختلفوا في الكلالة فذهب ~~أبناؤكم~~ ثم العداية إلى أنهم آمن ولولده ولا والد قال
 الشعبي سئل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن الكلالة فقال اني سأقول فيها برأيي فإن كان

صواباً فمن الله وان كان خطأ فني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال اني لا أستحي من الله ان أردت شيئاً فانه أبو بكر وذهب طائوس ان الكلالة من لا ولده وهي احدى الروايتين عن ابن عباس وأحد القولين عن عبد الله بن عمر وسأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا سألني وما أضل بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء ما أضلت بهم الكلالة وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثلاث لأن يكون النبي يبينهن لنا أحب اليامن الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وأبواب الربا وقال سعيد بن أبي طحمة خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اني لا أدع بعدى شيئاً أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما أغفلت في شيء ما أغفلت فيه حتى طعن باصبعه في صدرى وقال يا عمر ألا يكفئك آية الصنف التي في آخر سورة النساء وانى ان أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن وقوله ألا يكفئك آية الصيف أراد أن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين أحدهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والاخرى في الصيف وهي التي في آخرها وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليه وقوله تعالى (أو امرأة) عطف على رجل أى أو امرأة تورث كلالة (وله) أى الرجل (أخ أو أخت) واكتفى بحكم الرجل عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ويصح أن يعود الضمير على المورث الكلالة فيشمل الرجل والمرأة فلكل واحد منهما السدس وقد أجمعوا على أن المراد به الاخ والاخت من الام (فان كانوا) أى الاخ والاخوات من الام (أو كثر من ذلك) أى من واحد (فهم شركاء في الثلث) يستوى فيه ذكورهم وناتهم لان الادماء يعض الاثوة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) وقوله تعالى (غير مضار) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث وعن قتادة كره الله الضرر ادى الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وقوله تعالى (وصية من الله) مصدر مؤكد ليوصيكم أى يوصيكم بذلك وصية كقوله نريضة من الله (والله عليم) بما دبر من خلقه من الفرائض (حليم) بتأخير العقوبة عن خافه (تنبيه) خصت السنة ثورث من ذكر بن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق (تلك) أى الاحكام المذكورة في أمر البنات والوصايا والموارث (حدود الله) أى شرائعه التي حدتها لمبادله لعمالها ولا تعدوها (ومن يطع الله ورسوله) فيما حكيه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائد غدا (وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله (ويتعد حدود) أى الله (يدخله ناراً) وقوله تعالى (خالداً فيها) حال كبره ولا يجوز أن يكون خالد بن خالد اصنفين لجنات ونار لانهم ما جرى على غير من همالة فلا بد من الضمير وهو قولك خالد بن هم فيه وأخاها وفيها هذا على مذهب البصريين أما على مذهب الكوفيين فهو جائز عندهم عنداً من اللبس كما هنا وهو الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره (وله عذاب مهين)

أي ذواتها تروى في الضمائر في الآيتين لفظ من وفي خالدين معناها وقرأ نافع وابن عامر
 ندخله جنات وندخله ناراً بالنون فيهما على الالتفات والباقون بالياء (واللآتي يأتي الفاحشة)
 أي الزنا (من نسألكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي من رجال المسلمين وهذا خطاب
 للحكام أي فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود وفيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود
 (فان شهدوا) عليهن بها (فأشكوهن) أي أحبسوهن (في البيوت) واجعلوا لها
 سجنالهن وامنعوهن عن مخالطة الناس وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون
 بكسرهما (حتى يوفاهن الموت) أي ملائكته (أو) إلى أن (يجعل الله لهن سبيلاً) أي طريقاً
 إلى الخروج منها أمر وبذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلاً بجوار البكرامة وتقريرها عاماً
 ورجم المصنفة وفي الحديث لما بين الحديث قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً رواه
 مسلم (والذان) أي الزاني والزانية وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (يأتينها)
 أي فاحشة الزنا (منكم) أي الرجال (فأذوهما) بالسب والضرب بالنعال (فان تابا) أي
 منها (وأصمما) أي العمل (فأعرضوا عنهما) ولا تؤذوهما (إن الله كان تواباً) على من تاب
 (رحيماً) به وهو علة الأمر بالأعراض وترك المذمة وهذا منسوخ بالحدثة روى ابن مسعود
 عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما أخبرا أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال أحدهما يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقال الآخر وكان أفقههما أجمل
 يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن أتكم فقال إن ابني كان عسيماً فاعلى هذا فزني
 بأمرأة فاخبروني إن علي ابني الرجم فاقضت منه بمائة شاة وبجارية فزني ثم أتى سألت أهل العلم
 فاخبروني أن ما علي ابني جلد مائة وتغريب سنة وانما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا قضين بينكما بكتاب الله أما غمك وجاريك فرد عليك
 وجلدائه مائة وغزبه عاماً أي لأنه كان غير محصن وأمر أن يسأل الأسلي أن يأتي امرأته الآخر
 فان اعترفت برجمها فاعترفت برجمها وروى ابن عباس عن عمر رضي الله تعالى عنهم أنه قال إن
 الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها
 ورجعناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده فأخشي أن طال بالناس زمان أن
 يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب
 الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الاعتراف وجملة حسد
 الزنا أن الزاني إذا كان محصناً وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف العقل والبلوغ والحزنية
 والاصابة بالكاح الصحيح فخذ الرجم مسلماً كان أو ذمياً وعند أبي حنيفة أن الإسلام من
 شرائط الإحصان فلا يرمي عنده الذمى ويرد ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
 رجم يهوديين زنياً وكانا قد أحصنا وإن كان الزاني غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف
 نظر إن كان غير بالغ أو مجنوناً فلا حد عليه وإن كان حرّاً عاقلاً بالغاً غير أنه لم يصب بشكاح صحيح
 فعليه جلد مائة وتغريب عام وإن كان رقيقاً فعليه جلد خمسين وتغريب نصف عام ومثل الزنا

اللواط عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لكن المفعول به لا يرجع عليه وان كان محصنا بل
 يجلد ويغرب وقيل نزلت آية والافق يأتيين الفاحشة في المساحقات وآية واللذان يأتيانها
 منكم في اللواطين (انما التوبة على الله) أي ان قبول التوبة كالمحترم على الله تفضلا منه
 بمقتضى وعده لانه تعالى وعد بقبول التوبة فاذا وعد شيئا لا بد أن ينجز وعده لان الخلف في وعده
 سبحانه وتعالى محال (للذين يعملون السوء) أي المعصية وقوله تعالى (بجهالة) في موضع
 الحال أي يعملون السوء جاهلين أي سقاها فان ارتكاب الذنب عمدا عو اليه السفة والشهوة
 لا مائدة عو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع أي يخرج
 من جهالة وقال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصى به الله
 فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله تعالى فهو جاهل (ثم يتوبون من) زمن (قريب)
 أي قبل أن يغرقوا وقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله صلى الله عليه وسلم ان
 الله يقبل توبة العبد ما لم يغرق رواه الترمذي وحسنه وعن عطاء ولوقبل موته بفواق ناقة
 وعن الحسن ان ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك لا فأقار ابن آدم مادام روحه في
 جسده فقال وعزتي وجلالي لا اغلق عليه باب التوبة مالم يغرق والغرق عزة الروح في الخلق
 * (تبيه) معنى من في قوله تعالى من قريب التبعض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه معنى
 ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع
 الدنيا قليل ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والافه تائب من بعيد
 (فاولئك يتوب الله عليهم) أي يقبل توبتهم (فان قبيل) ما فائدة ذلك بعد قوله تعالى انما
 التوبة على الله (أجيب) بأن ذلك وعد بالوفاء بما وعده وكتبه على نفسه كما يعد العبد الوفاء
 بما عليه (وكان الله عليما) بخلقهم (حكيم) في صنعهم بهم (ولست التوبة للذين يعملون السيمات)
 أي الذنوب (حتى اذا حضر أحدهم الموت) أي أخذ في النزح (قال) عنده مشاهدة ما هو فيه
 (التي نبت الآن) حين لا يقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبة قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم
 لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه الغرق (ولا الذين يموتون وهم كفار) أي
 اذا تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب لا ينفعهم ذلك ولا تقبل توبتهم فسوى سبحانه وتعالى
 بين الذين سوفوا وتوبتهم الى حضور الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لان حضور
 الموت اقل أحوال الآخرة فكأن المصرون على الكفر قد فاتتهم التوبة على اليقين فكذلك
 المسوف الى حضور الموت لمجاوزة كل منها أو ان التكليف والاختيار وقوله تعالى (اولئك أعدنا
 لهم عذابا ليلا) أي ولما كنا كيد لعدم قبول توبتهم ويان ان العذاب أعد لهم لا يمحى عذابهم
 متى شاء والاعتداد التوبة من العناد وهو العدة وقيل أصله أعدنا أبدا بدلت الدال الاولى تاء
 (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) أي ذواتهن (كرها) نزلت في أهل المدينة كانوا
 في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة وللرجل عسبة وألقي توبه على امرأة
 الميت أو على خباثتها صار أحق بهما من نفسها ومن غيرها ثم ان شاء تزوجها بصدقها الأول وان

شاهزوجهما غيره وأخذ صداقها وإن شاء عضلها ومنعهما من الأزواج يضارها لتفقدى منه بما
ورثته من الميت أو قوت هي فيرثها فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقى عليها صفة الميت
ثوبه فهي أحق بنفسها وكانوا على هذا حتى توفي أبو القيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته
فقام ابن له من غيرها فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينطق عليها يضارها
لتفقدى نفسها منه فأثمت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث
نكاحي ابنه فلا هو ينطق علي ولا يدخل بي ولا يخرج بي فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أقعدى في بيتك حتى يأتي أمر الله فأئز الله تعالى هذه الآية وقرا جزء والكسائي بضم
الكاف والباقون بفتحها قال الكسائي وهما لغتان وقال القزاة الكسري بالفتح ما كره عليه
وبالضم المشقة وقوله تعالى (ولا تعضلوهن لتذهبن ما أتيتهن) عطف على أن تزواي
لا تمنعوا أزواجهن عن نكاح غيركم بما سأكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا لتمدنوا ببعض
ما أتيتهن من المهر وقيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح كما قال البغوي أنه خطاب
للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له المرأة وهو كاره محبتها ولها عليه مهر فيضارها
لتفقدى وترد إليه ماساق اليها من المهر فهي الله تعالى عن ذلك قال الزمخشري والعضل الحس
والضيق ومنه عطلت المرأة بولدها إذا اختنقت رجها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الآن يأتي
بفاحشة مينة) كالزنا والنشوز وسوء العشرة فينشد يعل لكم اضرارهن ليعتدين منكم قال
عطاة كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق اليها وأخرجها فندسح ذلك
بالحدود وقرا ابن كثير وشعبة بفتح الباء المثناة تحت والباقون بالكسر وقوله تعالى (وعاشروهن
بالمعروف) قال الحسن رجوع إلى قول الكلام يعني وآتوا النساء صداقاتهن ثلثة وعاشروهن
بالمعروف وهو النصفة في الميت والنفقة والاجال في القول وقيل هو أن يصنع لها كما
تصنع له (فإن كرهتموهن) فاصبروا ولا تغارقوهن (فعمى أن نكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا) أي فرما كرهت النفس ما هو أصح في الدين وأجد وأدنى إلى الخير وأحب
ما هو بضد ذلك وليكن ظنكم ما هو أصح للدين وأدنى إلى الخير فاعل أن يرزقكم الله تعالى منهن
ولدا صالحا أو يعطىكم الله عليهن وقد بينت الآية جواز مسالة المرأة مع الكراهة لها ونهت
على معنيين أحدهما أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح والثاني أن الإنسان لا يكاد يجد محبوبا
ليس فيه ما يكره فليصبر على ما يكره لما يحب وأنشدوا في هذا المعنى

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه ميت وهو عائب

ومن يتبع جاهدا كل همة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

ولما كان الرجل إذا طمعت عينه إلى استظراف امرأته بالحققة ورماها بفاحشة حتى
يلجئها إلى الاقتداء منه بما أعطاه الصبر فله إلى زوج غير هازل (وان أردتم استبدال زوج
مكان زوج) أي أخذها بدلها بأن طلقتموها (و) قد (أتيت أحدهن) أي الزوجات (قنطارا)
أي مالا كثيرا صداقا (فلا تأخذوا منه) أي القنطار (شيئا) وقوله تعالى (أناخذونه بهنانا)

أى ظلماً (وإنما مبنيًا) أى يباحل أى أناخذونه باهين وآمين وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه
 قام خطيباً فقال أيها الناس لانفوا بصدائق النساء فلو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله
 لكان أولاً كم بهار. ولله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأته من نسائه أكثر من اثنتي عشرة
 أوقية فقامت إليه امرأته فقالت لها أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله تعالى يقول وآتينهم
 أحداهن قطعاً فقال عمر رضى الله عنه كل أحد أعلم من مهر ثم قال لأصحابه تسمعوننى أقول
 مثل هذا القول ولا تنكرونها على حتى تردها على امرأة ليست من أعلم النساء وقوله تعالى (وكيف
 تأخذونه) استفهام توبيخ وانكار أى تأخذونه بأى وجه (وقد أفضى) أى وصل (بعضكم إلى
 بعض) بالجماع المقتر بلمه وهوى الله تعالى عن الجماع بالافضاء وهو الوصول إلى الشيء من غير
 واسطة تعليل العباد له مما يستحي منه (وأخذن منكم ميثاقاً) أى عهداً (غليظاً) أى شديداً
 وهو ما أخذته الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبی صلى
 الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
 وقد قيل حصة عشرين يوماً فكيف يجازى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ولما نوى
 أبو قيس وكان من صالحى الانصارى خطب ابنه قيس امرأة أبيه وصكان أهل الجاهلية
 ينكحون أزواج آبائهم فقالت انى أعدك ولداً وأنت من صالحى قومك وليكنى أبنى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أسماً ثم أمره فأنه وأخبرته بذلك فنزل (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء)
 وإنما عبر بمادون من لأنه أريد به صفة ذات معينة وهى كونهن منكم ككوحات الآباء وقيل
 ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر وقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء من المعنى
 اللازم للنهي فكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم اما قد سلف أو من اللفظ
 للمبالغة في التحريم والمعنى لا تنكحوا احداً من آباءكم اما قد سلف ان أمكنكم أن تنكحوه
 ولا يمكن ذلك والغرض بالمبالغة في تحريمه وسد الطريق الى إباحته كإعلاق المحال في التأيد في
 فهو قوله تعالى حتى يبلغ الجبل فى سم الخياط أو منقطع أى لكن ما قد سلف من فعلكم ذلك فإنه
 معدود عنه وقوله تعالى (إنه) أى نكاحهن (كان فاحشة ومقتناً) غلة للنهي أى انه فاحشة
 فكان مزيدة أى فيها عند الله تعالى ما رخص فيه لانه من الامم محمودة عند ذوى المروآت من
 الجاهلية وغيرهم وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه الملقى ويسمى به الرجل
 المذكور أيضاً قال فى القاموس نكاح المقت أن يتزوج امرأة أبيه بعده فالمقت ذلك المتزوج أو
 ولده أى ومن ثم قيل ومقتاً كأنه قيل هو فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح محموت فى المروأة
 ولا مزيد على ما يجمع القبحين (وساء) أى بئس (سبيلاً) أى طريقاً لذلك روى عن البراء بن هازب
 أنه قال مرتبى خالى ومعه لواء فقلت أين تذهب فقال بعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 رجل تزوج امرأة أبيه بمرأته واعلم أن أسباب القهرى المؤبد ثلاثة قرابة ورضاع
 ومصاهرة وضابط المحرمات بالنسب والرضاع أن يقال محرم نساء القرابة الامن دخلت تحت
 ولد العمومة أو ولد الخولة وقد بدأ الله بالسبب الأول وهو القرابة فقال (حرمت عليكم

أُمّهاتكم) أي العقد عليهن وكذلك يقدر في الباقي لأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من
تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله والامتهات
جمع أم وأصلها أمّته قاله الجوهري وضابط الأم هي كل من ولدتا فهي أمك حقيقة أو ولدت
من ولدك ذكرًا كان أو أنثى كأم الأب وإن علت وأم الأم كذلك فهي أمك مجازًا وإن شئت
قلت هي كل أنثى ينتهي اليها نسبك (وبنائكم) جمع بنت وضابطها هو كل من ولدتا فهي بنتك
حقيقة أو ولدت من ولدها ذكرًا كان أو أنثى كبنت ابن وإن نزل وبنت بنت وإن نزلت فبنتك
مجازًا وإن شئت قلت كل أنثى ينتهي اليك نسبها وخرج بالفتى المخلوقة من ماء زنا الرجل فإنها
تخل له لأنها أجنبية عنه بدليل منع الارث بالاجماع فلا تنبعض الاحكام ويحرم على المرأة ولدها
من زنا بالاجماع كما أجمعوا على أنه برتها والفرق أن الابن كالعصومتها وانفصل منها انسانا
ولا كذلك النطفة التي خلقت منها البنت بالنسبة للأب (وأخواتكم) جمع أخت وضابطها هو
كل من ولدها أبو الك أو أحدهما فهي أختك (وعمتكم) جمع عمة وضابطها هو كل من هي
أخت ذكر ولدك بلا واسطة فعمة أمك - حقيقة أو بواسطة كعمة أهلك فعمتك مجازًا وقد تكون
العمة من جهة الأم كاخت أمي (وخالاتكم) جمع خالة وضابطها هو كل من هي أخت أنثى
ولدتك بلا واسطة فخاليتك حقيقة أو بواسطة كخاليتك مجازًا وقد تكون الخالة من
جهة الأب كاخت أم الأب (بنات الأخ وبنات الاخت) من جميع الجهات وبنات أولادهم
وإن سفلن ثم نبى بالسبب الثاني وهو الرضاع فقال (وأمتهاكم التي أرضعتكم) وضابط
أمك من الرضاع هو كل من أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك أو صاحب اللبن أو أرضعت من
ولدتك بواسطة أو غيرها أو ولدت مرضعتك بواسطة أو غيرها أو صاحب لبنها وهو الفعل بواسطة
أو غيرها فأم رضاع (وأخواتكم من الرضاعة) وضابط أخت الرضاع هو كل من أرضعتها أمك
أو أرضعت بلبن أهلك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها الفعل ويلحق بذلك بالسنة باقي السبع
لخبر الصحابي يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وفي رواية حرموا من الرضاعة ما يحرم
من الولادة وفي رواية حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب وضابط بنت الرضاع هو كل
أنثى أرضعت لبنك أو لبن من ولدته بواسطة أو غيرها أو أرضعتها امرأة ولدها بواسطة
أو غيرها وكذا بناتها من نسب أو رضاع وإن سفلن وضابط عمة الرضاع هو كل أخت للفعل
أو أخت ذكر ولد الفعل بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط خالة الرضاع هو كل
أخت للرضعة أو أخت أنثى ولدت المرضعة بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط
بنات الاخوة وبنات الاخوات من الرضاع كل أنثى من بنات أولاد المرضعة والفعل
من الرضاع والنسب وكذا كل أنثى أرضعتها أختك أو أرضعت بلبن أخيك وبناتها وبنات
أولادها من نسب أو رضاع وانما شئت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل
استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله صلى الله
عليه وسلم لا يحرم من الرضاع إلا ما اتفق الامعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

لإرضاع الاما أنشرا العظم وأثبت اللبعم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند أبي حنيفة مدة
الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهي عند الأكثرين لأقل مدة الحمل
وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر وابتداء الحولين من تمام انقصاله والشرط الثاني
ان توجد خمس رضعات متفرقات لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت فجاء أنزل
الله في القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن أي يقرؤها من لم يبلغه نسختها فقد نسخت تلاوتها
وبقي حكمهن وهذا ما ذهب اليه الشافعي وذهب أكثر أهل العلم الى أن قليل الرضاع وكثيره
محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب واليه ذهب سفيان النوري ومالك
والاوزاعي وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة ويقوى الأول قوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم
المسة من الرضاع والمستان ثم نالت بالسبب الثالث وهو النكاح فقال تعالى (وأتمهات
نساءكم) أي بواسطة أو بغيرها من نسب أو رضاع سواء أدخل بزوجه أم لا لاطلاق الآية
(وربائبكم) جمع ربية وهي بنت الزوجة من غيره وسيت ربيعة لانه يربها كما يرب ولده في غالب
الامر ثم اتسع فيه وسمي بذلك وإن لم يربها وقوله تعالى (اللاتي في مجوركم) أي تربونهما صفة
موافقة للغالب فلا مفهوم لهما (من نساءكم اللاتي دخلتم بهن) أي جامعتهن سواء كان
ذلك بعقد صحيح أم فاسد لاطلاق الآية (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) أي في
نكاح بناتهن اذا فارقهن (فان قيل) لم أعيد الوصف الى الجملة الثانية ولم يعد الى الجملة
الاولى وهي وأتمهات نساءكم مع أن الصفات عقب الجمل تعود الى الجميع (أجيب) بأن نساءكم
الثاني مجرور بحرف الجز ونساءكم الاول مجرور بالاضافة واذا اختلف العامل لم يجز الاتباع
وتعين القطع واعتراض بأن المعمول الجز وهو واحد (تنبيه) قضية كلام الشيخ أبي حامد
وغيره أنه يعتبر في الدخول أن يقع في حياة الام فلو ماتت قبل الدخول ووطئها بعد موتها لم تحرم
بنتها لان ذلك لا يسمى دخولا وان تردد في الرواين (فان قيل) لم لم يعتبر الدخول في تحريم أصول
البنات واعتبر في تحريمها الدخول (أجيب) بأن الرجل يتلى عادة بمكة أمهات عقب العقد
لترتيب أموره فحرم بالعقد ليسهل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخال الماء المحترم ثبت
المصاهرة كالوطء وتحرم البنت المنقضية باللعان وان لم يدخل بأمهات لانهم لا تنتفي عنه قطعا
(وحلائل) أي أزواج (أبتائكم) واحدها حليلة والذكر حليل مما بذلك لان كل واحد منهما
حلال لصاحبه وقيل مما بذلك لان كل واحد يعمل اذا رصاح به من الحبل وهو ضد العقد وقوله
تعالى (الذين من أصلا بكم) احتراز عن حليلة المتبني فانها لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان
النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لانه حليلة
ولده من الرضاع فانها تحرم عليه ولا عن حلائل أبناء الولدان سنلوا (تنبيه) كل امرأة
تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين والوطء بشبهة النكاح فاذا وطئ امرأة
بشبهة أو جارية بملك اليمين حرم على الواطئ أمها وبنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وابنه

أُمّهاتكم) أي العقد عليهن وكذلك يقدر في الباقي لأن تحريرهم نكاحهن هو الذي يفهم من
تحريرهن كما يفهم من تحرير الحر تحرير مملوك ومن تحرير المملوك تحرير حريرهم أكله والامتهات
جمع أم وأصلها أمته قاله البلجوهري وضابط الأم هي كل من ولدت فهي أمك حقيقة أو ولدت
من ولدك ذكرا كان أو أنثى كأم الأب وإن علت وأم الأم كذلك فهي أمك مجازا وإن شئت
قلت هي كل أنثى ينتهي اليها نسبك (وبناتكم) جمع بنت وضابطها هو كل من ولدتها فهي بنتك
حقيقة أو ولدت من ولدها ذكرا كان أو أنثى كبنت ابن وإن نزل وبنت بنت وإن نزلت فبنتك
مجازا وإن شئت قلت كل أنثى ينتهي اليك نسبها وخرج بالبنات المخلوقة من ماء زنا الرجل فانها
تخل له لانها أجنبية عنه بدليل منع الارث بالاجماع فلا تتبع بعض الاحكام ويحرم على المرأة ولدها
من زنا بالاجماع كما أجمعوا على أنه يربنها والفرق أن الابن كالعصوم منها وإن فصل منها انسانا
ولا كذلك النطفة التي خلقت منها البنت بالنسبة للأب (وأخواتكم) جمع أخت وضابطها هو
كل من ولدها أبواك أو أحدهما فهي أختك (وعمتكم) جمع عمة وضابطها هو كل من هي
أخت ذكرا ولد بلا واسطة فعمتك حقيقة أو بواسطة كعمة أباك فعمتك مجازا وقد تكون
العمة من جهة الأم كاخت أمي الأم (وخالاتكم) جمع خالة وضابطها هو كل من هي أخت أمي
ولدتك بلا واسطة لخالتك حقيقة أو بواسطة كخالته أمك لخالتك مجازا وقد تكون الخالة من
جهة الأب كاخت أم الأب (بنات الأخ وبنات الأخت) من جميع الجهات وبنات أولادهم
وإن سفلن ثم نفي بالسبب الثاني وهو الرضاع فقال (وأُمّهاتكم اللاقي أرضعتكم) وضابط
أمك من الرضاع هو كل من أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك أو صاحب اللبن أو أرضعت من
ولدت بواسطة أو غيرها أو ولدت مرضعتك بواسطة أو غيرها أو صاحب لبنها وهو الفعل بواسطة
أو غيرها فأم الرضاع (وأخواتكم من الرضاعة) وضابط أخت الرضاع هو كل من أرضعتها أمك
أو أرضعت بلبن أباك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها الفعل ويلحق بذلك بالسنة باقي السبع
نسب الرضاعة يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وفي رواية حرمان الرضاعة ما يحرم
من الولادة وفي رواية حرمان الرضاعة ما يحرم من النسب وضابط بنت الرضاع هو كل
أنثى أرضعت لبنك أو لبن من ولدت بواسطة أو غيرها أو أرضعتها امرأة ولدها بواسطة
أو غيرها وكذا بناتها من نسب أو رضاع وإن سفلن وضابط عمه الرضاع هو كل أخت للفعل
أو أخت ذكرا ولد للفعل بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط خالة الرضاع هو كل
أخت للرضاعة أو أخت أمي ولدت المرضعة بواسطة أو غيرها من نسب أو رضاع وضابط
بنات الأخوة وبنات الأخوات من الرضاع كل أنثى من بنات أولاد المرضعة والفعل
من الرضاع والنسب وكذا كل أنثى أرضعتها أختك أو أرضعت بلبن أخيك وبناتها وبنات
أولادها من نسب أو رضاع وإنما ثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل
استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله صلى الله
عليه وسلم لا يحرم من الرضاع إلا ما اتفق الامعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

لإرضاع الاما أنشر العظم وأثبت اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند أبي حنيفة مدة
الرضاع ثلاثون شهرا والقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهي عند الأكثرين لأقل مدة الحمل
وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر وابتداء الحولين من تمام انقصاله والشرط الثاني
ان توجد خمس رضعات متفرقات لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت فيما أنزل
الله في القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن أي يقرؤها من لم يبلغه نسخهن فقد نسخت تلاوتهن
وبقي حكمهن وهذا ما ذهب اليه الشافعي وذهب أكثر أهل العلم الى أن قليل الرضاع وكثيره
محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعد بن المسيب واليه ذهب سفيان النوري ومالك
والاوزاعي وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة ويقوى الاول قوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم
المصة من الرضاع والمصتان ثم ثلث بالسبب الثالث وهو النكاح فقال تعالى (وأتممات
نساءكم) أي بواسطة أو بغيرها من نسب أو رضاع سواء أدخل بزوجه أم لا لاطلاق الآية
(وربائبكم) جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره وسيت ربيبة لانه يربها كإربي ولده في غالب
الامر ثم اتسع فيه وسيت بذلك وان لم يربها وقوله تعالى (اللائي في محجوركم) أي تربونه باصقة
موافقة للغالب فلام مفهوم لها (من نساءكم اللائي دخلتم بهن) أي جامعتهن سواء أكان
ذلك بعقد صحيح أم فاسد لاطلاق الآية (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) أي في
نكاح بناتهن اذا فارقتهن (فان قيل) لم أعيد الوصف الى الجملة الثانية ولم يعد الى الجملة
الاولى وهي وأتممات نساءكم مع أن الصفات عقب الجمل تعود الى الجميع (أجيب) بأن نساءكم
الثاني مجرور بحرف الجز ونساءكم الاول مجرور بالاضافة واذا اختلف العامل لم يجب زال اتباع
وتعين القطع واعتراض بأن المعمول الجز وهو واحد * (تنبيه) قضية كلام الشيخ أبي حامد
وغيره أنه يعتبر في الدخول أن يقع في حياة الام فلو ماتت قبل الدخول ووطئها بعد موتها لم تحرم
بنتها لأن ذلك لا يسمى دخولا وان تردد في الرواين (فان قيل) لم لم يعتبر الدخول في تحريم أصول
البنات واعتبر في تحريمها الدخول (أجيب) بأن الرجل يتلى عادة بمائة أمته عقب العقد
لترتيب أموره فحرمت بالعقد ليسهل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخال الماء المحترم ثبت
المصاهرة كالوطء وتحرم البنت المنقضية باللعان وان لم يدخل بأمتها لانها لا تنقضي عنه قطعا
(وحلائل) أي أزواج (أثبتكم) واحدها حليلة والذكر حليل مما بذلك لان كل واحد منهما
حلال لصاحبه وقيل مما بذلك لان كل واحد يعمل إذا رصاحبه من الحبل وهو ضد العقد وقوله
تعالى (الذين من أصلا بكم) احتراز عن حليلة المتبني فانها لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان
النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لانه حليلة
ولده من الرضاع فانها تحرم عليه ولا عن حلائل أبناء الولدان سنلوا * (تنبيه) كل امرأة
تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك العيين والوطء بشبهة النكاح فاذا وطئ امرأة
بشبهة أو جارية بملك العيين حرم على الواطئ أمها وبنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وابنه

ولوزني بامرأة لم تحرم أمها ولا بنتها على الزاني ولا تحرم الزانية على أبي الزاني وابنه كما قاله ابن عباس وأبيه ذهب مالك والشافعي - وذهب قوم إلى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وهو قول أصحاب الرأي وهذا المباشرة بشهوة لكس وقبلة كالوطء في تحريم الزانية فيه قولان أحدهما وهو الأصح من مذهب الشافعي - لأن ذلك لا يوجب العدة فكذلك لا يوجب الحرمة والثاني نعم لأن ذلك كالوطء يجامع التام بالمرأة ولأنه استمتاع يوجب القدبة على المحرم فكان كالوطء وبهذا قال جمهور العلماء * ثم ذكر سبحانه وتعالى تحريم الجمع بقوله تعالى (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ) أي ولا يجوز للرجل أن يجمع بين أختين في نكاح سواء كانتا من نسب أم رضاع سواء أنكحهما معا أم مترتبا فإذا أنكح امرأته طلقها بائنا جازله نكاح أختها وخرج بالجمع في النكاح الجمع بملك اليمين فإنه جائز لكن لا يجوز أن يجمع بينهما في الوطء فإذا وطئ أحدهما لم يجعل له وطء الأخرى حتى يحترم الأولى على نفسه ويطلق بالأختين بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها وأختها من نسب أو رضاع ولو بواسطة قال صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمه على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها ولا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى رواه الترمذي وغيره وصححه وموافقه من قطيعة الرحم وإن رضيت بذلك فإن الطبع يتغير وإليه أشار صلى الله عليه وسلم في خبر النهي عن ذلك بقوله أنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهم كما رواه ابن حبان وغيره وضابط تحريم الجمع ابتداء ودواما هو كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع ولو فرضت أحدهما ذكرا حرم الجمع بينهما نكاح أو وطء بملك اليمين وقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء عن لازم المعنى وهو المؤاخذه فكانه قال تعالى فواخذون بذلك الاما قد سلف قبل النهي فلا تأخذوا منه أبداً ونقطع أي لكن ما قد سلف من نكاح بعض ما ذكرناه مغفولosكم ويؤيد هذا قوله تعالى (إن الله كان عفورا) لما سلف منكم قبل النهي (رحيما) بكم في ذلك وقرأنا نافع وابن كثير وابن عاصم من رواية ابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند السين والباقون بالادغام (و) حرمت (المحصنات) أي ذوات الأزواج (من النساء) أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن سواء كن حرائر أم لا مسلمات أم لا قال أبو سعيد الخدري نزلت في نساء كن هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فترجوهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استنق فتال (الاما ملكت أيمانكم) أي من الاماء السبي فلكم وطوهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين أزواجهن قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين فكبروا فغشيها عنهن وتخرجوا فنزل الله هذه الآية * (فائدة) * قرأ الكسائي جميع ما في القرآن من لفظ المحصنات ومحصنات بكسر الصاد لا هذا الحرف فإنه وقع الصاد موافقة للجمع ووجه تسميتهن بذلك لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج نهن محصنات ومحصنات بالكسر في غير هذه الآية وقوله تعالى (كتاب الله) مصدر مؤكد للمضمون الجملة التي

قبله وهي حرمت عليكم الخ أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كتاباً وقوله تعالى (وأحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله إذا قرئ بالبناء للفاعل كما قرأ غير حفص وحجة والكسائي وأما هم فقرؤه بالبناء للمفعول عطف على حرمت (ماوراء ذلكم) أي سوى ما حرم عليكم من النساء وقوله تعالى (ان يتبعوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى أحل لكم ماوراء ذلكم إرادة أن يتبعوا أي تطلبوا النساء بأموالكم التي جعل الله لكم قياماً في حال كونكم محصنين أي متزوجين غير مسافحين أي زانين لثلاثضيعوا أموالكم وتفقرؤا أنفسكم فيما لا يصل لكم فحصر وادنياكم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الحسنانين والاحسان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المسقى وكان السابري يقول للفاجرة سافح ماذني من المذنى والأموال المهور وما يخرج في المناكح * (تنبيه) * يجوز أن يكون مفعول يتبعوا مقدر وهو النساء كما قدرته لك قال الزنجشري والاجودان لا يقدروا كأنه قليل أن يخرجوا أموالكم ويجوز أن يكون أن يتبعوا بدلا عماوراء ذلكم بدل اشتمال لأن المبدل منه ذات والمبدل معنى والذات مشقة عليه (فما) أي فن (استمتعتم) أي تمتعتم (به منهن) أي بمن تزوجتم بالوطء (فأتوهن أجورهن) أي مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع وقوله تعالى (فريضة) حال من الأجور بمعنى مفروضة أو مصفة مصدر محذوف أي إتيانه رضاء أو مصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتن) أنتم وهن (به من بعد الفريضة) فيما يراذ على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضياه من نفقة أو مقام أو فراق وقبل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهت كان الرجل ينكح المرأة وقتما عولوا لله أو ليلتين أو أسبوعاً بشرب أو غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاع بها أو لمتعة لها بما يعطيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلا أن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال لا أتوني برجل تزوج بامرأة إلى أجل إلا رجعتها بالجارية وعن ابن عباس أنه قال هي محكمة أي لم تنسخ وكان يقرأها استمتعتم به إلى أجل مسمى وروي أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقيل انها أبهت مرتين وحرمت مرتين (إن الله كان عليماً) بخلفه (حكيماً) فيما دبره لهم (ومن لم يستطع منكم طولاً) أي غنى وأصل الطول الفضل يقال فلان على فلان طول أي زيادة فضل وقطله طوله فهو طائل كما قال القائل لقد زادني حمالاً نفسي اني * بغض إلى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم هذا أمر ما تحته طائل أي شيء يعتد به ثماله فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما أن القصير قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة (أن ينكح المحصنات) أي الحرار وقوله تعالى (المؤمنات) جرى على الغالب فلا يفهم له فإن الحرائر الكليات كذلك (فن ما ملكت أيمانكم من قياتكم المؤمنات) أي أمانتكم المؤمنات

أى ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة أى أو الكفاية كما ترقيت تزوج الامة المؤمنة وظاهر الآية
 مجده للساقى رضى الله عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صدق حرة ومنع نكاح
 الامة الكفاية مطلقا وأقول أبو حنيفة رضى الله عنه طول المحصنات بأن ملك فراشهن على أن
 النكاح هو الوطء وجل قوله من قياتكم المؤمنات على الافضل كما جعل عليه قوله المحصنات
 المؤمنات ومن أعجبنا من حله أيضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة والكفاية
 دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمخذوفى نكاح الامة ورق الولد ولا نها
 بمتهنة مبتذلة خراجه ولا جنة وذلك كله نقصان راجع الى النكاح ومهانة والعزة من صفات
 المؤمنين واما وطؤها بملك اليمين فجاز باتفاق * (فائدة) * قوله تعالى فمن مملكت من مقطوعة
 عن ما (والله أعلم بما يكتمكم) أى بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم فى الايمان وربحانه
 ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة أرحم من ايمان الحرة والمرأة أفضل فى الايمان من
 الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الافضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تائيس
 بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه فانه العالم بالسراير (بهضكم من بهض) أى أنتم واما ترك
 سواء فى النسب والدين نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فلا تستكفوا من نكاحهن
 (فانكنهن باذن أهلهن) أى مواليهن (وأوهن أجورهن) أى أدوا اليهن وهو رهن باذن
 أهلهن فحذف باذن لتقدم ذكره وأدوا الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لانه
 عوض حقه فيجب أن يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذاهبا الى ظاهر الآية (بالمعروف)
 أى من غير مطلق ولا ضرار وقوله تعالى (محصنات) أى عفيفات حال من صغير فأنكوهن
 وهو محمول على الذب بناء على المذهب ومن جواز نكاح الزواني (غير مسافحات) أى زانيات
 جهرا (ولا متعضات أخدان) أى اخلام يزنون بهن سراج خدن وهو الصديق فى السر وفيل
 المسافحات اللاتى يزني مع أى رجل وذوات الاخذان اللاتى يزني مع معين وذلك بحسب
 ما كان فى الجاهلية (فأذا أحسن) قرأ شعبة وحرة والكسافى أحسن بفتح الهزة والصاد على البناء
 للفاعل أى تزوجن والباقون بضم الهزة وكسر الصاد على البناء للمفعول أى تزوجن (فان أتيتن
 بفاحشة) أى زنا (فعلين نصف ما على المحصنات) أى الحرائر لا بكرا اذا زني (من العذاب)
 أى الحد فيجلدن خمسين ويغرم نصف سنة ويقاس عليهن العبد (فان قيل) ما فائدة وجوب
 تنصيف الحد عليهن بتقييده بترزجهن اذ تنصيف العذاب لازم للامة الزانية تزوجت أم لا
 (أجيب) بأن فائدة ذلك بيان أن لا رجم عليهن أصلا وبأنه انما ذكر لبيان جواب سؤال اذ
 العصابة رضى الله تعالى عنهم عرفوا قد ارحد الامة قبل التزوج دون مقدار بعده فسالوا
 عنه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وذهب بعضهم الى أنه لا حد على من لم يترزج
 من المالك اذا زنا أخذ بظاهر الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم
 فنين زناها فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها ثم ان عادت فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها فان زنت
 الثالثة فنين زناها فليعبها ولو يجبل من شعر (ذلك) أى نكاح الاماء عند عدم الطوق (لمن)

خشى) أى خاف (العنت) أى الزنا وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سبب بالحد في الدنيا أو العقوبة في الآخرة (منكم) أيها الأحرار بخلاف من لم يخفه أما العبيد فيجوز لهم فكاح الاماء مطلقا لكن ان كان العبد مسلما فلا بد أن تكون الامة مسلمة (وان تصبروا) عن نكاح الاماء متعفين (خير لكم) لئلا يصير الولد رقيقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحر ائصال البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بأن وسع له ذلك (يريد الله ليعين لكم) شرائع دينكم ومصالح أموركم (ويهديكم) أى يرشدكم (سنن) أى شرائع (الذين من قبلكم) من الانبياء في التعريم والتحليل فتتبعوهم (ويتوب عليكم) أى ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم (والله عليم) بكم (حكيم) فيما يبره لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) ان وقع منكم تقصير في دينه (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم الجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنات الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكم وابتات الاخ والاخت فزلت وقال مجاهد هم الزناة (أن عميوا) أى تعدلوا عن الحق (ملا عظيما) بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) أى يسهل عليكم احكام الشرع وقد سهل كما قال تعالى ويضع عنهم اصرهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية الصمحة أى السهلة (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما أبس الشيطان من أحد قط الا أنه من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعش وبالآخرة وان أخوف ما أخاف على فتنة النساء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما نمان آيات في سورة النساء خبر هذه الامة مما طاعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليعين لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كما فرماتهنون عنه تكفر عنكم سيما تكلم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعد ذلك (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) كلوا أموالكم بينكم بالباطل) أى عالم تبعه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار والربا وقوله تعالى (الا أن تكون تجارة) استثناء منقطع أى لكن أن تقع تجارة على قراءة الرفع وهى قراءة غير عاصم وحزرة والكسائي وأما هؤلاء فقروا بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم أى الا أن تكون الاموال تجارة (عن تراش منكم) أى فلکم ان تأكلوها (ولا تقتلوا أنفسكم) أى بارتكاب ما يؤدى الى هلاكها في الدنيا والآخرة وقال الحسن بن سعيد بن اخوانكم أى لا يقتل بعضكم بعضا ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل نفسه بنى في الدنيا عذاب به يوم القيامة وروى ان الله تعالى يقول يا ادرى عبدى بنفسه فخرمت عليه الجنة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم خلوف البرد فلم يشكر عليه صلى الله عليه وسلم (ان الله كان بكم) يا أمة محمد (رحيما) حيث أمر بنى اسرائيل يقتل الانفس وهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) أى ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المهرمات

وقوله تعالى (عدونا) حال أي متجاوزا للعلل وقوله تعالى (وظلما) تأكيدي وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم الشخص نفسه بتعريضه للعقاب (فسوف نصلبه) أي ندخله (نارا) يحترق فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لا عسر عليه فيه (ان تجتنبوا كباثر ما تنهون عنه) أي كلامها وفسر جماعة الكبيرة بأنهم ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أوسنة وقال جماعة هي المعصية الموجبة للعدو الأول وأولى لانهم عدوا الربا وكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكباثر ولا حدة فيها وقال الامام هي كل جرعة تؤذي أي تعلم بقله اكثر من تركها بالدين وقال سفيان الثوري الكباثر ما كان بينك وبين العباد والصغار ما كان بينك وبين الله واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات فواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وهي أشياء كثيرة قال ابن عباس هي الى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبير هي الى السبع مائة أقرب أي باعتبار أصناف أنواعها (تكفر عنكم سيئاتكم) أي الصغائر وهي ماعد الكباثر أي تكفر بفعل الطاعات كالصلاة والصوم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكباثر ولا بأس بذكر شيء من النوعين في الاول تقديم الصلاة وتأخيرها عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن والبأس من رحمة الله وأمن مكره تعالى والقتل عمدا أو شبهه وعدو الكفر والفرار من الزحف أو شغل الربا أو كل مال اليتيم والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا والواط وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيده جماعة بما يبلغ ربع مثقال كما يقطع به في السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب الصحابة وأخذ الرشوة والتمعة وأما الغيبة فان كانت في أهل العلم وأوجه القرآن فهي من الكباثر والافهية صغيرة ومن الصغائر النظر المحرم وكذب لادفنيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث وكثرة الخصومات الا ان راعى حق الشرع فيها والفتن في الصلاة والنياحه وشق الجيب في المصيبة والتجسفر في المشي والجلوس بين الناس في الشقاق أو ساسا لهم وادخال مجاثب وصبيان يغلب تهييسهم ونجاسة المسجد واستعمال نجاسة في بدن أو قوب لغير حاجة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم الا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل الكباثر الشرك وما عدا من الصغائر قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وندخلكم مدخلا) قرأنا ففتح الميم أي موضعا (كراما) أي حسنا وهو الجنة وقرأ الباقر بن فضال على المصدر يعني الدخال مع الكرامة (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من جهة الدنيا والدين لا يؤول الى التحاسد والتباغض لان ذلك التفضيل قسمته من الله صادرة عن حكمه وتدبيره وعلم باحوال العباد وما يصلح للمنة وسوم له من بسط في الرزق وقبض ولو بسط الله الرزق لم يعبأه لبعوث في الارض فعلى كل

أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو المصلحة ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد
أخاه على حظه قال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزو ولهم ضعف مالنا
من الميراث فلو كنا رجالاً غزونا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فغزت هذه الآية وقيل لما
جعل الله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث قالت النساء نحن أحوج إلى الزيادة من
الرجال فأناضعناهم وهم أقوىاء وأقدر في طلب المعاش منا فغزت وقال قتادة والسدي لما أنزل
الله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين قال الرجال إننا لنترجو أن نفضل على النساء في الآخرة فيكون
أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فأنزل الله تعالى (للرجال نصيب) أى ثواب
(بما اكتسبوا) أى بسبب ما عملوا من الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن) أى من
حفظ فرجهن وطاعة الله وطاعة أزواجهن فالرجال والنساء فى الأجر فى الآخرة سواء
وذلك أن الحسنة تكون بعشر أمثالها يستوى فى ذلك الرجال والنساء وفضل الرجال على النساء
اتما هو فى الدنيا (واسألوا الله من فضله) أى لا تقنوا ما للناس واسألوا الله ما أحببتم إليه
يعطىكم من خزائنه التى لا تحصى فمنهى الله عن التفتى لما فيه من دواعى الحسد والحسد أن يتنى
الشخص زوال النعمة عن صاحبها سواء تمنى لنفسه أم لا والغبطة أن يتنى لنفسه مثل
ما لصاحبه وهو جائز قال صلى الله عليه وسلم لا حسدأى لا غبطة الا فى اثنتين الحديث (ان الله
كان بكل شئ علماً) فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبين (ولسلك) من الرجال
والنساء (جعلنا أموالى) أى عصبية يعطون (عمارتك الوالدان والاقربون) لهم من المال
فالوالدان والاقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا أموالى أى ورثته يشارك أى من
الذين تركهم فتكون ما يعنى من ثم فسر الموالى فقال الوالدان والاقربون أى هم الوالدان
والاقربون فعلى هذا القول الوالدان هم الوارثون (والذين عاقدت إيمانكم) والمعاهدة
المعاهدة والمخالفة والإيمان جمع يعنى القسم وألبد وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ
بعضهم بيد بعض على الوفاء والتسليم بالعهد ومخالفتهم أن الرجل كان فى الجاهلية يعاقد الرجل
فيقول دعى دمك وتارى تأرك وحرنى حربك وسلى سلمك وترتنى وأركك وتطلبنى وأطلبك
وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الخليف وكان ذلك ثابتاً فى السدس
الاسلام فذلك قوله تعالى (فأتوهم نصيبهم) أى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال مجاهد أراد فأتوهم نصيبهم من النصر
والرفد ولا ميراث وعلى هذا الآية غير منسوخة لقوله تعالى أوفوا بالعقود وقوله صلى الله عليه وسلم
فى خطبته يوم فتح مكة لا تحذوا أحلفاء فى الاسلام وما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به فإنه
لم يرد به الاسلام الأشدة قال الزمخشري وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لو أسلم رجل على يد رجل
وتعاقد على أن يتعاقدا لويثارا ناصح عنده وورث بحق الموالاة خلافاً للشافعى رحمه الله تعالى
اه وقرأ غير عاصم وحزرة والكسائى عاقدت بألف بين العين والقاف وأما هؤلاء الثلاثة
فقرأوا عاقدت بغير ألف بمعنى عقدت عهدهم إيمانكم فحذف الهمزة وأقيم الضمير المضاف

إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القرامطة الأولى (إن الله كان على كل شيء شهيدا) أي معلما
 تخافوه (الرجال قوامون على النساء) أي يقومون عليهن قيام الولاية على الرعية وعلى ذلك
 بأمر من أحدهما وهي والآخرة كسبي وقد ذكرنا قول بقوله تعالى (بما فضل الله
 بعضهم على بعض) أي بسبب تفضيله الرجال على النساء بكل العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
 في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنسوة والأمانة والولاية وقامة الشعار والشهادة
 في مجامع القضايا وجوب الجهاد والجمعة والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد
 بالفرق والرجعة وعدد الأزواج واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحي والعمائم ثم ذكر
 الثاني بقوله تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالمهر والنفقة روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لو أمرت أحد أن يسجد لأحد لا مررت الزوجة أن تسجد لزوجها وروى
 أن سعيد بن الربيع أحد نقباء الانصار نشرت عليه زوجته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فطمعها
 فانطلق بها أبووها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كبريتي فطمعها فقال
 لتقتص منه فتركت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص
 (فالساحات) منهن (فاتات) أي مطيعات لازواجهن (حافظات لغيب) أي لما يجب
 عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الفروج والبسوت والأموال وعن أبي هريرة رضي
 الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك
 وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظت في مالك ونفسها (بما حفظ الله) أي بما حفظهن
 الله حين أوصى بين الأزواج في كتابه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء
 خيرا وبما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وبما حفظهن حين وعدهن الثواب
 العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة (واللاق تحاقون) أي
 تعلمون (نشوزهن) كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جهن أو أمثا (نعضوهن) أي خوفهن
 كأن يقول لزوجته اتق الله في الحق الواجب عليك واحذري العقوبة وبين لها أن النشوز
 يسقط النفقة والقسمة (واهجرهن في المضاجع) أي اعتزلوهن في الفراش (واضربوهن)
 وإن لم يتكزرن النشوز أن أفاد الضرب والافلا يضرب كما لا يضرب ضربا مبرحا ولا وجهها ولا
 مهالك ومع ذلك فالأولى له العفو وخرج بالعلم بالنشوز ما إذا ظهرت أماراته فقط أما يقول كان
 صارت نجس به بكلام خشن بعد أن كان بلين وأما بشعل كان يجدها عراضا وعيوسا بعد تطفل
 وطلاقة وجهه فانه يعظها بلا هجر وبلا ضرب لعلها تبدى عذرا أو تتوب عما وقع منها فبغير عذر
 وخرج بالجميع الهجر بالكلام فلا يجوز الهجر فوق ثلاثة أيام ويجوز فيه اللجج العجيج لا يعمل
 لمسلم إن هجر أخاه فوق ثلاث إن قصد بهجره ردها لحظ نفسه فان قصد به ردها عن المعصية
 وإصلاح دينها فلا تجريم إذا النشوز حينئذ عذر شرعي والهجر له في الكلام جائز مطلقا
 ومنه هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبه ونهيه العصابة عن كلامهم
 (فإن أظعنكم) فيأمر أدمنهن (فلا تبعوا) أي لا تطلبوا (عليهن سبيلا) أي طرية إلى ضربهن فلما

واجعلوا ما كان منهنّ كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كن لا ذنب له رواء الطبراني وابن
 ماجة وغيرهما (إن الله كان عليا كبيرا) فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهنّ فإنه أقدر عليكم
 منكم على من تحت أيديكم (وإن خفستم) أي علمتم (شقاقي) أي خلاف (بينهما) أي بين المرأة
 وزوجه وذكرهما بضميرهما وإن لم يجرد ذكرهما لجرى ما يدلّ عليه ما هو الرجل والنساء
 وإضافة الشقاق إلى الطرف إما لاجترانه مجرى المقبول به كقوله بأسارق الليله أهل الدار
 أو الفاعل كقولهم نهارة صائم (فابعثوا) أي أيها الحكام حتى اشتبه عليكم حالهما اليهما لكن
 برضاهما (حكمان أهله) أي أقاربه (وحكما) آخر (من أهلها) أي أقاربها لينظر في أمرهما
 بعد اختلاف حكمه به وحكمها به ومعرفة ما عندهما في ذلك ويصلح بينهما أو يفترقان عسر
 الإصلاح على ما يأتي فإن الأقارب أعرف بيوطن الأحوال وأطلب للصالح * (تنبيه) *
 بعث الحكمين على سبيل الوجوب وكونهما من الأقارب على سبيل التنبه وهما وكيلان لهما
 فاشترط رضاهما للحكام من جهة الحاكم لأن الحال يؤدي إلى الفراق والبضع حق الزوج
 والمال حق الزوجة وهما رشيدان فلا يولي عليهما في حقهما فبشكل هو حكمه بطلاق أو خلع
 وتوكل هي حكمها بئذل عوض وقبول طلاق ويشترط فيهما سلام وحرية وعدالة واهداء إلى
 المقصود من بعثهما وإنما اشترط فيهما ذلك مع انهما وكيلان لتعلق وكلتاهما بنظر الحاكم كما
 في أمثله ويستكونهما ذكرين ولا يكفي حكم واحد (إن يريد) أي الحكمان (اصلاحا يوفق
 الله بينهما) أي الزوجين أي أن قصد اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناهضة
 لوجه الله تعالى يورل في وساطتهم ما وقع الله بطيب أنفسهم وأحسن سعيهما بين الزوجين
 الوفاق والالفة وألتي في نفوسهما المودة والرحمة وقبل الضمير الاول للزوجين والثاني للحكمين
 أي أن يرد الزوجان اصلاحا يوفق الله بين الحكمين اختلافهما حتى يعلا بالصالح وقيل
 الضميران للحكمين أي أن قصد اصلاح يوفق الله بينهما تتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
 للزوجين أي أن أرادا اصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على
 أن من أصلح نيته فيما بينهم أصلح الله تعالى مبتغاه وإن لم يرضيا به عنهما ولم يتفقا على شيء أدب
 الحاكم الظالم واستوفى للمظلوم حقه (إن الله كان عليما) بكل شيء (خبيرا) بالبوطن كالظواهر
 فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق قال تعالى لو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألقت بين
 قلوبهم ولكن الله أف بينهم (واعبدوا الله) أي وحدوه وأطيعوه (ولا تشركوا به شيئا) أي
 شيئا من الأشرار جلجا كان أو خفيا وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت رديف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله ورسوله
 أعلم قال حقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله تعالى
 إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الناس على الله أن لا يعذبهم قال قلت
 يا رسول الله ألا تبشر الناس قال دعهم يعملون (رو) أحسنوا (بالوالدين احسانا) أي برأوليين
 جانب (وبنى القربى) أي صاحب القرابة (واليتامى والمساكين) (ويدخل في المساكين)

الفقراء روى انه صلى الله عليه وسلم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة وفي رواية من مسح رأس يقيم
 ولم يحسه الله كان له بكل شجرة تمر عليهم ايام حسنة ومن أحسن الى يتيمة أو يقيم عنده كنت
 أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه (والجار ذى القربى) أى القريب منك في النسب
 أو الجوار (والجار الجنب) أى البعيد عنك في النسب أو الجوار روى عن عائشة رضى الله
 تعالى عنها انها قالت يا رسول الله ان فى جارين فالى أيهما أهدى قال الى أقربهما منك يا رسول الله
 انه صلى الله عليه وسلم قال لا بى ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وإذا
 طلعت مرقعة فأكثر ماها واغرف بطيرانك منها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل
 يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يزنيته (والصاحب بالجنب) أى الرفيق في السفر كما قاله ابن عباس
 ومجاهد والمرأة تسكون معه الى جنبه كما قاله علي والنخعي وألذى يصحبك رباء تفعل في نعلم علم
 أو حرفة أو فهو ذلك كما قاله ابن جريج وابن زيد (وابن السبيل) أى المسافر لانه يلزم السبيل
 أو الضيف كما عليه الاكثر روى انه صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم
 الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفي رواية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن
 كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليكرم ضيفه جأرتة يوم وليله والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن
 يشوى عنده حتى يخرج به (وماملكت أيمانكم) أى من الارقاء من عبيد واماروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه
 مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فباعه عنه عليه وفي رواية
 انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الصلاة وماملكت أيمانكم فجعل يتكلم وما يفيض
 به لسانه (ان الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا على الناس من أقاربه وأصحابه وجيرانه
 وغيرهم ولا يلتفت اليهم (خورا) أى يتفاخر عليهم بما آتاه الله روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 بينما رجل يتجترى بردين وقد أعجبته نفسه خسف به الارض فهو يتجلى فيها الى يوم القيامة
 وفي رواية لا ينظر الله يوم القيامة الى من جتره خيلاء وقوله تعالى (الذين) مبغضون (بغضوا)
 أى بما يجب عليهم (ويا أمرؤن الناس بالجل) بذلك (ويكفون ما آتاهم الله من فضله) من العلم
 والمال وهم اليهود يجلوا ببيان صفته صلى الله عليه وسلم وكفوها وكانوا يأتون رجالا من الانصار
 ويخاطبونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانما نخشى عليكم النقر ولا تدرؤن ما يكون وخبر
 المبتدأ محمد وفي تقديره لهم وعيد شديد ويصح أن يكون الذين بدل من قوله من كان أو منصوبا
 على التثنية أو مفعولا عليه أى هم الذين قرأوا سورة الكساف بالجل بفتح الباء والخاء والباقون
 بضم الباء وسكون الخاء (واعتدوا للكافرين) بذلك وبغيره (عذابا مهينا) أى ذاهبا وضع
 الظاهر فيه موضع الضمرا ظاهرا بأن من هذا شأنه فهو كافر بالله لكتفائه صفة النبي صلى الله
 عليه وسلم وكافر بنعمة الله عليه وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أنتم الله على عبد نعمة

أحب أن ترى نعمته على عبده وبني عامل الرشيد قصر احداً قصره فتم به عنده فقال الرجل
 يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن ترى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك
 فأعجبه كلامه وقوله تعالى (والذين عطف على الذين قبله) يتفقون أموالهم رثاء الناس) أي
 مراثين لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أي كالمنافقين ومشركي مكة المنفقين أموالهم
 في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي صاحباً يعمل بأمره
 كهولاءه (فساء) أي فئس (قريناً) هو حيث حلهم على الجمل والرياء وكل شرويه لهم كقوله
 تعالى إن المذيرين كانوا إخوان الشياطين والمراد ابليس وأعدائه الداخلية في باطن الإنسان
 والخارجة عنه ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم
 لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مآثر زعمهم الله) أي أي ضرر عليهم في ذلك والاستغفار
 للذنوب ولو لمصدرية أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه وقوله تعالى (وكان الله بهم
 عليماً) وعيداً لهم فيجاز بهم عاقلوا (إن الله لا يظلم) أحداً (مثقال) أي وزن (ذرة) وهي أصغر
 نمله ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء في الكوة أي لا ينقص قدر ذلك من حسناته ولا يزيد
 في سيئاته كما قال تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئاً وفي ذكر المثقال إيماء إلى أنه وإن صغر قدره
 عظم جزؤه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما أنه أدخل يده في التراب فرفعها ثم نفخ فيه
 فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة (وإنك حسنة) أي وإنك المثقال حسنة (بضاعفها) أي
 ثوابها من عشر إلى أكثر من سبع مائة وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لابي هريرة بلغني أنك
 أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة
 الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لابل سمعته يقول إن الله يعطيه ألفي ألف حسنة ثم
 تلا هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يناب عليها الرزق
 في الدنيا ويجزيه بها في الآخرة قال وأما الكافر فيقطع بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى
 الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً وفي رواية إذا خلاص المؤمنون من النار وأمنوا بما
 مجادله أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادله من المؤمنين ربه في آخوانهم
 الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا
 فأدخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فأنخرجوا من عرفتم منهم فبأوتن فبأوتن فبأوتن فبأوتن فبأوتن فبأوتن
 النار صورهم ففهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقبه ومنهم من أخذته إلى ركبتيه فيخرجونهم
 فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال فيقول اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار ثم من كان
 في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال أبو سعيد فمن لم يصدق
 فليقرأ هذه الآية إن الله الخ قال فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فليقرأ في أحد في النار فيه خير
 ثم يقول الله عز وجل شفت الملائكة وشفت الأنبياء وشفت المؤمنين وبني أرسهم الراجين
 قال فيقبض قبضة من النار وقال قبضتين ناساً لم يعملوا خيراً حتى احترقوا حتى صاروا جماً
 فيؤتى بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة فيصعب عليهم فيسببون كاتبت الحبة في جهنم السيل وهي بكسر

الحاء المهملة وتجمع على حبيب قال فتخرج أجسادهم مثل المولود في أعناقهم الخاتم عطاء الله
 فقال لهم ادخلوا الجنة فاستنتم أو رأيتم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا أعظمنا ما لم نعط
 أحدا من العالمين قال فيقول الله تعالى فإن لكم عندي أفضل منه فيقولون ربنا وما أفضل من
 ذلك فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا (فان قيل) لم أثبت الضمير مع انه راجع للمثقال
 وهو مذكر (أجيب) بأنه أنه لتأنيث الخبر أولاضافة المثقال الى مؤنث وقيل ان الضمير راجع
 الى ذرة وهي مؤنثة لا الى مثقال وحذفت النون تشبيها بحروف العلة وقرأ نافع وابن كثير
 حسنة برفع التاء على كان الساقطة والباقون بضمها على كان الناقصة وقرأ ابن كثير وابن عامر
 بضعفها بتشديد العين ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف العين وألف قبلها (ويؤن) أي يعط
 صاحب الحسنة (من لده) أي من عند الله على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
 العمل (أجر اعظيما) أي عطاء جزيل واغما اسماء أجزالانه تابع للاجر مزيد عليه لا يثبت
 الاثباته (فكيف) حال الكفار (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليها بعملها وهو نبي القوله
 تعالى وكنتم عليهم شهداء مادمت فيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) الشهداء (شهداء)
 أي شاهدات تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك على مجامع قواعدهم
 وقيل هؤلاء اشارة الى المؤمنين لقوله تعالى لتكنوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
 شهيدا وقيل الى الكافرين المستفهم عن حالهم وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال حسبك (يومئذ) أي المحي وهو يوم القيامة (يؤن) أي يتن (الذين كفروا وعصوا
 الرسول لو) أي أن (تسويهم) الارض (كلهم) أولم يعصوا أولم يخلقوا وكانوا هم والارض
 سواء وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا
 فتسويهم الارض فعند ذلك يتن الكافر أنه لو كان ترابا كما قال تعالى ويقول الكافر بالتني
 كنت ترابا وقرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم تسويهم بضم التاء للبناء للمفعول والباقون بالفتح
 بالبناء للمفاعل مع حذف إحدى التاءين في الاصل وشدد السين نافع وابن عامر وخففها
 الباقر (ولا يكتفون الله حديثا) أي مما علموه لان جوارحهم تشهد عليهم وقال الحسن انها
 مواطن في وطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون
 ما كانوا مشركين وما كانوا يعمل من سوء وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن ينجم على
 أفواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتفون الله حديثا وقال سعد بن جببر قال رجل
 لابن عباس اني أجدي القرآن شيئا يختلف على فقال هات ما اختلف عليك قال قال الله تعالى
 فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتسألون وقال تعالى
 ولا يكتفون الله حديثا وقال واقعه بن مالك كانوا مشركين فقد كفوا وقال تعالى أم السماء بناها الى
 قوله والارض بعد ذلك دحاها فذلك خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال أم أنتم لتكفرون
 بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين فذكر في هذه الآية خلق الارض قبل خلق السماء وقال

تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال وكان الله عزيزا حكيما فكانه مكان ثم مضى فقال ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهم ما فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الأولى قال ونفخ
 في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم نفخ
 فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون في النفخة الآخرة ثم أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما
 قوله والله ربنا ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم
 فقال المشركون نعوذوا لنقل لم نكشركين فيضتم على أفواههم فتنتطق أيديهم وأربابهم
 فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
 الأرض وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين
 آخرين ثم دحا الأرض في يومين ودحوها أن أخرج منها الماء والمرى وخلق الجبال والآكام
 وما بينهما في يومين آخرين فقال خلق الأرض في يومين خلقت الأرض وما فيها من شيء
 في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما أي لم يزل كذلك
 فلا يختلف عليك القرآن فإن كلامنا عند الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) أي
 لا تغشوها ولا تقربوا إليها واجتنبوها (وأنتم سكارى) من الشراب (حتى تعلموا ما تقولون)
 بأن تحصى أمانه كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش روى أن عبد الرحمن بن عوف
 صنع طعاما وشربا فدعا نذرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان الخمر مباحا
 فأكلوا وشربوا فلما سكروا وجاء وقت صلاة المغرب فقدّموا أحدهم يصلي بهم فقرا أقل يا أيها
 الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا هكذا إلى آخر السورة فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات
 الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
 ثم نزل تحريمها وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وقيل أراد بالسكر سكر النوم
 ونهى عن الصلاة عند غلبة النوم قال صلى الله عليه وسلم إذا نكس أحدكم وهو يصلي فليرقه حتى
 يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو نكس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقوله تعالى
 (ولا جنباً) منصوب على الحال أي ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب بايلاج أو انزال يقال رجل
 جنب وامرأة جنب ورجل ونساء جنب لأنه يجري مجرى المصدور لأنه مصدر بل هو اسم
 مصدر لأنه لم يستوف حروف الفعل لأن فعله أجنب فصدره اجنبا بالاجنبا وأصل الجنابة البعد
 وسمى جنبا لأنه يجنب موضع الصلاة ولجنابته الناس وبعده منهم حتى يغتسل (الاعابري) أي
 مجتازي (سبيل) أي طريق أو مسافرين (حتى تغتسلوا) أي فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر له
 حكم آخر سمي وفي هذا دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث لأنه غيابه بقوله حتى تغتسلوا ومن
 فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء أو الطريق
 إلى الماء (وإن كنتم مرضى) أي مرضا يخاف معه من استعمال الماء فإن الواجب كالتفاد
 (أو على سفر) أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي أحدثتم

بخروج الخارج من أحد السيلين والغائط المكان المظلم من الارض تنفض فيه الحاجة
 وهي باسمه الخارج للمجاورة (أو لأمست النساء) قرأ جزءة والكسائي بغير ألف بين اللام والميم
 والباقون بألف واختلف في معنى اللبس والملازمة فقال قوم هما التقاء البشريين سواء
 أكان يجماع أم بغيره وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والخنبي وبه استدل الشافعي
 رضى الله تعالى عنه على أن اللبس ينقض الوضوء وقال قوم هما المجامعة وهو قول ابن عباس
 والحسن ومجاهد وقتادة كفى باللبس عن الجماع لأن باللبس يوصل الى الجماع (فلم تجدد الماء)
 تطهرون به للصلاة بعد الطلب لأنه لا يسمى غير واحد لا بعد الطلب وهذا راجع الى ما عدا
 المرض (فتميموا) أى بعد دخول الوقت (صعيدا طبيا) أى ترابا طاهرا أى طهورا أما المرضى
 فيتميمون مع حضور الماء لأن وجوده بالنسبة اليهم كالعديم (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم)
 مع المرفقين منه بضريرتين كما ثبت في الحديث وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان
 أو غيره وإن كان خيرا لا تراب عليه لوضرب التيميم به عليه ومسح لكان ذلك طهوره والى هذا
 ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وأجاب عن قوله تعالى في آية المائدة فامسحوا بوجوهكم
 وأيديكم منه أى بعضه وهو لا يتأتى في الصخر الذى لا تراب عليه بأن من لا بداء الغاية قال
 الزخشري وقولهم انها لا بداء الغاية فيه تعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل
 مسحت برأى من الدهن ومن الماء ومن التراب الامعنى التبعيض قال والاذعان للعق أحق
 من المراء والتيميم من خصائص هذه الامة روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس ثلاث جعلت صفونا كصفوف الملائكة
 وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وكان بدء التيميم
 ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
 أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجبلش انقطع عقدي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبابكر فقالوا ألا ترى
 ما صنعت عائشة فأمرت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء
 فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله
 أن يقول وجعل يطعن يده في خصرى ولا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على فخذي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ما أنزل الله آية التيميم
 فقال اسد بن حضير وهو أحد النقباء ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة فبعشنا
 البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد تحته وفي رواية أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت
 فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلا بغير وضوء
 فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكروا ذلك اليه فنزلت فقال اسد بن حضير جراك الله خيرا
 فوالله ما نزل بك أمر قط الا جعل الله لك منه محرجا وجعل للمسلمين فيه بركة وقوله تعالى

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَ غَفُورًا) كآية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو عن
 الخطأين ويغفر لهم آثم ما كان ميسورا غير معسر (ألم تر) أي تنظر (إلى الذين أوتوا نصيبا)
 أي حظا يسيرا (من الكتاب) أي من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون) أي يشتترون
 (الضلالة) على الهدى (ويريدون أن تضلوا) أيها المؤمنون (السييل) أي تحفظون طريق الحق
 لتكفونوا مثلهم (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) فيخبركم بهم ليجنبوهم ولا تنس محببوهم فانهم
 أعداؤكم (وكفى بالله وليا) أي حافظا (وكفى بالله نصيرا) أي مانعا لكم من كيدهم وقوله تعالى
 (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله تعالى والله
 أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جل وقت بين البيان والمبين على سبيل
 الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما ينههم عما اعتراض أو صلة لنصير أي ينصركم من الذين هادوا
 كقوله تعالى ونصرتهم من القوم الذين كذبوا بآياتنا وأخبر مبتدأ محذوف صفته (يحرفون)
 الكلام عن مواضعه) أي من الذين هادوا وقوم يحرفون أي يغيرون الكلام الذي أنزل في
 التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم عن مواضعه التي وضع عليها آياته عنها وإنشأت غيره
 فيها وفي المسألة من بعده مواضعه والمعنيان متقاربان قال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر فيخبرهم ويرى أنهم يأخذون بقوله فاذا انصرفوا
 من عنده حرفوا كلامه (ويقولون) للنبى صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم (سمعنا) قولك (وعصينا)
 أمرنا (واسمع غير مسمع) بمعنى الدعاء أي لا سمعت بصعهم أو عوت أو بمعنى اسمع منا ولا نسمع
 منك أو بمعنى اسمع غير مسمع كلاما رضاه (و) يقولون له (راعنا) يريدون به النسبة إلى الرعونة
 وقد نسي عن خطابه صلى الله عليه وسلم بها وهي كلمة سب بلغتهم (لبا) أي تحريفها (بالسنتهم) أي
 يحرفون ما ينظرون من الدعاء والتوفير إلى ما يضررونه من السب والتحقير فاعفا (وطعنا) أي
 قدحنا (في الدين) أي الإسلام (ولوأنهم قالوا سمعنا وأطعنا) بدل وعصينا (واسمع) أي فقط
 (وانظروا) أي انظر المتبادل راعنا (لكن خيرا لهم) مما قالوه (وأقوم) أي أعدل وأصوب
 (ولكن لعنهم الله) أي أبعدهم عن رحمة (يكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) أي ايماننا قليلا
 لا يعاباه وهو الايمان ببعض الآيات والرسول ويجوز أن يراد بالقلة العدم أو الانقراض قليلا منهم
 كعبد الله بن سلام وأصحابه (بأيها الذين أوتوا الكتاب) يخاطب اليهود (آمنوا بما نزلنا) أي
 القرآن (مصدقا لما هم في الكتاب) أي التوراة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كأم أحبار اليهود
 عبد الله بن صوريا وأصحابه وكعب بن أسد وقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأطيعوا الله فأنتم
 لتعلمون أن الذي جنتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وانصرفوا على الكفر فنزلت (من قبل أن
 نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنت وفيهم (فتردها على أديارها) أي
 فنجعلها كالأقفام مطموسة مثلها أو تنكسها إلى ورائها في الدنيا وفي الآخرة روى أن عبد
 الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله ويده على
 وجهه وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي وكذلك

كعب الاحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فقتل يارب آمنت يارب
 أسلمت مخافة أن يصيبه وعبد هذه الآية (فان قيل) قد أسلم وعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ثم
 يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك (أجيب) بأن هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسح في اليهود قبل قيام
 الساعة أو أن هذا كان وعيداً بشرط فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقيين
 وقبل أراد به في القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أي نتركهم في الضلالة فيكون
 المراد طمس وجه القلب والرذع بصائر الهدى على أديارها في الكفر والضلالة (أو نلعنهم)
 أي نلعنهم قردة وخنازير (كالمعنا) أي مسخنا (أصحاب السبت) منهم قردة وخنازير (وكان
 أمر الله) أي قضاؤه (مفعولاً) أي نافذاً وكان نافذاً لا محالة ما وعدتم به إن لم تؤمنوا (إن الله
 لا يغفر أن يشرك به) أي لا يغفر الانسداد به قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما نزل يا عبادي
 الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً قالوا يا رسول الله
 والشرك فنزلت * ولما أخبر بعدله أخبر تعالى بفضله فقال (ويغفر ما دون ذلك) الأمر الكبير
 العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة أم كبيرة سواء أتأب فاعلمها أم لا ورهب بقوله أعلاماً
 بأنه مختار لا يجب عليه شيء (لمن يشاء) وقال الكلبي نزلت هذه الآية في وحشي بن حرب
 وأصحابه وذلك أنه لما قتل حزة وذهب إلى مكة نذمهم هوراً وأصحابه وكتبوا إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن قد ندمنا على ما صنعنا وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أن اسمعناك تقول وأنت بكفة
 والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر الآيات وقد دعونا مع الله الهاً آخر وقتلنا النفس التي حرم الله
 قتلها وزيننا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزل الأمن تأب وآمن وعمل عملاً صالحاً الآيتين فبعث
 بهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما قرؤهما كتبوا إليه إن هذا شر شديد نخاف أن لا
 نفعل عملاً صالحاً فنزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بهم إليهم فبعثوا
 إليه أن نخاف أن لا نكون من أهل مشيقتك فنزل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
 من رحمة الله الآية فبعث بهم إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقبل منهم ثم قال لو وحشي أخبرني كيف قتلت حزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فطقت
 وحشي بالسأم فكان بها إلى أن مات (ومن يشرك بالله فقد افترى) أي ارتكب (أثماً عظيماً)
 أي كبيراً فالافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذا الاختلاق روي أن رجلاً قال
 يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً
 دخل النار وروي أبو ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك
 إلا دخل الجنة قلت وإن زني وإن سرق قال وإن زني وإن سرق قلت وإن زني وإن سرق قال
 وإن زنا وإن سرق قلت وإن زني وإن سرق قال وإن زني وإن سرق على رغم أنف أي ذروك
 أبو ذر إذا حدث بهذا قال وإن رغم أنف أبي ذر (لم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما
 وقادة نزلت في اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
 كان هوداً أو نصارى وقال الكلبي نزلت في رجال من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيتهم ما علمنا بانهار
كفر عنا بالليل وماعلمنا بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل في الآية كل من زكى نفسه ووصفها
بزكا العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزاني عند الله الا اذا كان لغرض صحيح وطابق الواقع
كقول سيدنا يوسف صلى الله عليه وسلم اجمعنى على خزان الارض انى حفيظ عليهم وقوله صلى
الله عليه وسلم انى أمين فى السماء أمين فى الارض حين قال له المنافقون اعد فى القسعة اكذابا
لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه ولكن شتان بين من شهد الله له بالتركيب ومن شهد لنفسه
أو شهد له من لا يعلم (بل الله) الذى له صفات السكال (يزكى من يشاء) أى بما له من العلم التام
والقدرة الشاملة والحكمة البالغة وأصل التركيب تقي ما يستقبح فعلاً أو قولاً (ولا يظلمون) أى
ينقصون من أعمالهم (فتبلاً) أى قدر ما يكون فى شق النواة قاله عكرمة عن ابن عباس
فهو اسم لما فى شق النواة والقسط ميراسم للقشرة التى على النواة والتعبير اسم للنقطة التى
تكون على ظهر النواة وتبيل القليل من القليل وهو ما يحصل بين الاصبعين من الوسخ
عند القتل * ولما أخبر سبحانه وتعالى أن التركيب انما هى اليه قال لنيه صلى الله عليه وسلم
(انظر متجباً كيف يفترون) أى يعمدون (على الله) الذى لا يتجنى عليه شئ ولا يهجره
شئ (الكذب) من غير خوف منهم لذلك عاقبة ذلك (وكفى به) أى به هذا الكذب (انما مينا)
أى يبنوا وحدها (ألم ترى الذين أو توأصبوا من الكتاب يؤمنون بالحب والطاغوت) وهما
صنعتان بمكة لتريش وذلك أن كعب بن الاشرف خرج فى سبعين رجلاً من اليهود الى مكة بعد
وقعة أحد ليعاقدوا قريشاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مواءمة وزات اليهود
فى دور قريش فقال أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولانأمن أن يكون هذا
مكرامنكم فامجدوا ولا تهتسأ حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهدا ايمانهم بالحب والطاغوت
لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس فيما فعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ فقرأ
الكتاب وتعلم ونحن أمتيون لانعلم فأينأ اهدى طريقنا نحن أم محمد قال كعب اعرضوا على
دينكم فقال أبو سفيان نحن ولادة البيت نسق الحجاج الماء ونقرى الضحى ونفك العاني ونصل
الرحم ونعم ريت ربنا ونظوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائهم وقطع الرحم وفارق
الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله اهدى سبيلاً مما علمه محمد فأمر الله
تعالى ألم ترى الى الذين أو توأصبوا أى حظامن الكتاب وهم كعب بن الاشرف وأصحابه يؤمنون
بالحب والطاغوت أى الصنمين (ويقولون للذين كفروا) وهم أبو سفيان وأصحابه
(هؤلاء) أى أنتم (أهدى من الذين آمنوا) وهم محمد وأصحابه (سبيلاً) أى اقوم ديننا
وأرشد طريقنا (اولئك الذين انعم الله) أى طردهم وأبعدهم من رحمته (وون يلعن الله
فلن تجده نصيراً) أى مانعاً يمنع العذاب عنه بشفاعته أو غيرها * (تنبية) فى هؤلاء
أهدى هم زمان من كتبنا الاولى مكسورة والثانية مفتوحة قرأنا فوابن كثير

وابوعرو وبإبدال الثانية يا خاصة والباقون بالتحقيق (أم) منقطة أي بل (لهم نصيب)
 أي حظ (من الملك) ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم شيء من الملك ومحمد لما زعمت اليهود من
 أن الملك سيصير لهم ولو كان لهم نصيب منه (فإذا) أي فيسبب عن ذلك أنهم (لا يؤتون الناس)
 أي واحدا منهم (نقيرا) ومزأه النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة ~~تلك~~ القليل والقطمير
 والمراد بالملك إمام الملك الدنيا وإمام الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا
 لامسكم خشية الانفاق وهذا المعالفة في شعهم فانهم يخجلوا بالنسبة وهم ملوك فساظنك بهم إذا
 كانوا إذ لا معتقدين ويصح أن يكون معنى الهمزة في أم لانكار أنهم قد أو انصيابا من الملك
 وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وانهم لا يؤتون أحدا
 مما يعلكون شيئا (أم) أي بل (بمحمد بن الناس) أي محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمع فضائل
 الناس الأولين والآخرين (على ما آتاهم الله من فضله) أي من النبوة والكتاب والنصرة
 والاعزاز وكثرة النساء أي يتنمون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء (فقد آتينا
 آل إبراهيم) وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم ومن آل إبراهيم موسى وداود وسليمان (الكتاب)
 أي ما أنزل إليهم (والحكمة) أي النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يبعد أن يؤتيه الله تعالى
 مثل ما آتاهم فكان لداود تسع وتسعون امرأة وكان لسليمان ألف وثلاثمائة امرأة وسبع مائة
 سرية وقيل المراد بالناس جميعا وقيل العرب وحسب ودهم لأن النبي الموعود منهم
 وقيل النبي وأصحابه لأن من حسد على النبوة فكانت محاسن الناس كلهم على كمالهم ورشدهم
 (فهم) أي اليهود (من آمن به) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومهم
 من صد) أي أعرض (عنه) فلم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) أي عذابا لمن لم يؤمن وقوله تعالى
 (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) أي ندخلهم (نارا) كالباقين والتقرير لذلك (كلما
 نضجت) أي احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى
 روى أن هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال عمر للقارئ أعدها
 فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبده الله تعالى في ساعة مائة مرة قال
 عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف
 مرة كلما أكلتهم قبل لهم عودا فيعودون كما كانوا (فان قيل) كيف تعذب جلودهم تكن في الدنيا
 ولم تنقص (أجيب) بأن المعاد أغواها الجلد الأول وإنما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول
 صنعت من خاتمي خاتما غيره فان الخاتم الثاني هو الأول إلا أن الصنعة والصفة تبدلت وروى أن
 ما بين منه كفى الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام لراكب المسرع وروى أن ضره وأنباه مثل
 أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (ليذوقوا العذاب) أي ليتأسوا شدته وقيل يخاف مكان ذلك
 الجلد جلد آخر والمعذب في الحقيقة على كل حال هي النفس العاصية القائمة بالبدن لانها
 المدركة دونه (إن الله كان) ولم يزل (عزيزا) أي لا يعجزه شيء (حكيمًا) في خلقه يعاقب على وفق
 حكمته (والذين آمنوا) أي آمنوا بالإيمان وعملوا الصالحات سندخلهم) أي بوجه لا خلاف

فيه ورجعاً فهم التنقيس لهم بالسبين دون سوف كما في الكافرين انهم أقصر الامم مدة أو انهم أقصرهم أعماراً راحة لهم من دار الكدر الى محل الصفاء وانهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من أهل الموقف (جنات) أي بساتين ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم نضرتها وزهرتها فقال (تجري من تحتها الأنهار) أي أن أرضها في غاية الرى كل موضع صالح لان يجري منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها أتبعه بجائها واه النفوس من استقرار الاقامة بها فقال (خالدين فيها أبداً) وانما قدم تعالى ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ولما وصف تعالى حسن الدار ذكر حسن الجار فقال تعالى (لهم فيها أزواج مطهرة) أي من الخبث والقذر (فان قيل) المطرد في وصف جمع القلة لمن يعقل أن يكون بالالف والتاء فقال مطهرات (أجيب) بأنه عدل عن ذلك الى الوحدة لافهام انهن لشدة الموافقة في الطهر كذات واحدة (وبذلك فهم) أي فيها (طلا) أي عظيم وأكده تعالى بقوله (طليلاً) أي متصلاً لا فوج فيه منبسطة الاضيق معه دائماً لا تصيبه الشمس يوماً ما لا حرقه ولا يربد بل هو في غاية الاعتدال وهو ظل الجنة جعلنا الله تعالى ومن يحبنا ونحبه من أهلها السابقين مع النبيين والصديقين وقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وصعد الأسطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ليدخلها فأبى وقال لو علمت أنه رسول لم أنمعه المفتاح فلوى على رضى الله تعالى عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر بفعل ذلك وقال هالك خالدة فذهب من ذلك وقال عثمان أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق فقال قد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليه فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فهب طجربل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة تكون في أولاد عثمان أبداً فلما مات عثمان دفعه الى أخيه شيبه فالفتح والسدانة في أيديهم الى اليوم والى يوم القيامة فالآية وان وردت في سبب خاص فعمومها معتبر بقريسة الجمع (وإذا حكمت بين الناس) أي قضيت بين من ينقد عليه أمركم ويرضى بجهكمكم (أن تحكموا بالعدل) أي بالسواء بأن تأمر وامن وجب عليه حق بأدائه الى من هو له فان ذلك من أعظم الصالحات الموجبة لحسن القبول في الغل الطليل أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث وروى ان احب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر ولما أخبرهم بأمره زادهم رغبة بقوله (ان الله نعماً) فيه ادغام ميم نعم في ما النكرة الموصوفة أي نعم شياً (يعظكم به) وهو تأدية الامانة والحكم بالعدل وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح النون وكسر هاء الباقون واختلس كسر الهين قالون

وأبوهم وشعبه (إن الله كان) أي ولم يزل ولا يزال (جميعا) لكل ما يقال (بصرا) بكل ما يفعل
(يا أيها الذين آمنوا) أي أقرؤا بالآيمان وبدأوا العمددة في العمل على ذلك فقال (أطيعوا الله)
أي فاعملوا أمركم به (وأطيعوا الرسول) أي فيما بينه لكم (و) أطيعوا (أولى) أي أصحاب (الامر)
أي الولاية (منكم) أي إذا أمرتكم بطاعة الله ورسوله سواء كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أم بعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمر السيرة يروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وروى أنه صلى الله عليه
وسلم خطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا رحمكم وصلوا أئمتكم وصوموا شهركم وأدوا
زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمرتكم تدخلوا الجنة ربكم وقيل المراد بأولى الأمر أبو بكر وعمر
انقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال عطاءهم المهاجرون
والانصار والتابعون لهم باحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان روى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي وأمتي كالملح
في الطعام ولا يصح الطعام إلا بالملح قال الحسن فقد ذهب خلفا فكيف نصلح وقيل المراد علماء
الشريعة لقوله تعالى ولورثوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم أعلم الذين يستنبطونه منهم
(فان تنازعتم) أي اختلفتم (في شئ فردوه إلى الله) أي كتابه (والرسول) أي مدته حياته وبعد
وفاته إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما والرد إلى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما خالفتم
بوجد فسيبيله الاجتهاد وقيل الرد إلى الله والرسول أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي فان الآيمان بوجوب هذا (فذلك) أي الرد إليهما (خير)
لكم من التنازع والقول بالرأي (وأحسن تأويلا) أي من تأويلكم بلاردا وعاقبة (ألم تر إلى
الذين يزعمون أنهم آمنوا) أي أوجدوا هذه الحقيقة وأقعوها في أنفسهم (بما أنزل اليك) أي
القرآن (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والإنجيل قال الأصمعي ولا يستعمل أي الزعم
في الاكثر الا القول الذي لا يتحقق يقال زعم فلان كذا اذا شك فيه فلا يعرف كذبه أو صدقه
(يريدون أن ينصرواكم إلى الطاغوت) أي الباطل المغرق في البطلان وقيل هو كعب بن
الاشرف روى عن ابن عباس أن بشر المنافق خاصم يهوديا فقال اليهودي تطلق إلى محمد صلى
الله عليه وسلم وقال المنافق بل إلى كعب بن الاشرف فأبى اليهودي أن ينصحه الا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص
رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر رضي
الله عنه فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فنقصي إلى عليه فلم يرض بقضائه
وزعم انه يتخاصم اليك فقال عمر للمنافق كذا قال نعم فقال لهم ما عمر مكانكما حتى أخرج اليكما
فدخل وأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أنت القاروق والطاغوت على هذا هو كعب بن الاشرف سمى بذلك

لفرط طغيانه أو تقسيمه بالشيطان أو لان التهاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
 عليه (وقد) أي والحال انهم قد (أمرُوا) بمن له الامر في كل ما أنزل اليك من كتاب وما قبله (أن
 يكفروا به) أي بالشيطان فحق تهاكموا اليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله وهو معنى قوله (ويريد
 الشيطان) أي بارادتهم ذلك التهاكم اليه (أن يضلهم) أي التهاكم اليه (ضلالا بعيدا) أي
 بحيث لا يمكنهم معه الرجوع الى الهدى وما ذكر ضلالهم بالارادة ورغبتهم في التهاكم الى الطاغوت
 ذكر فعلهم فيه في نفرتهم عن التهاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (واذا قبل لهم) أي من
 أي قائل كان وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بالكسر وتقدم ذكر الادغام لابي عمرو
 (تعالوا) أي اقبلوا وافعين أنفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم (الى ما أنزل الله) أي الذي
 عنده كل شيء (والى الرسول) أي الذي يجب طاعته لاجل مرسله مع انه أكل الرسل الذين هم
 أكل الخلق رسالة (وأبى المنافقين يمدون) أي يعرضون (عنك) الى غيرك وأكذلك بقوله
 (صدودا) أي هو أعلى طبقات الصدود فكيف يكون حالهم (إذا أصابتهم مصيبة) أي عقوبة
 كقتل عمرو رضي الله عنه المناق (عاقدمت أيديهم) أي من التهاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
 ومن الكفر بغير ذلك أي أيقدرون على الاعراض والفرار عنها لا اوتهم الكلام ههنا وقوله
 تعالى (ثم جاؤك) أي حين يصابون للاعتذار معطوف على يمدون وما يهمل ما اعراض
 (يخلفون بالله ان) أي ما (أردنا) أي بالحاكمة الى غيرك (الاحسانا) أي صلحا (وتوقيفا) أي
 تأليفا بين الخصمين ولم يرد مخا الفتك وقيل جاء أصحاب القتيل طالين يدهم وقالوا ما أردنا بالتهاكم
 الى عمر الآن يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه بالتقريب في الحكم دون الجمل على
 من الخلق (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أي من النفاق والبغض للاسلام وأهله
 وان اجتهدوا في اخفائه وكذبهم في حلقهم وذرهم (فأعرض عنهم) أي عن عتابهم بالصفح
 لانهم أقل من أن يحسب لهم حساب (ولكن عظمهم) أي خوفهم الله القادر على استئصالهم
 (وقل لهم في أنفسهم) أي في شأنهم أو خالبا بهم فان النصيح السر أضع (قولوا بلغنا) أي
 مؤثراتهم أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم وقبل هذا منسوخ بآية القتال ولما أمر الله
 زهالى بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذنم من حاكم الى غيره وهدده وختم تهديده بأمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنه والوعظ له فكان التقدير فإا أرسلناك وغيرك من الرسل
 الالرفق بالآلة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله (وما أرسلنا
 من رسول الا بطاع) أي فيما يأمر به ويحكم لان منصبه الشريف يقتضي ذلك (بأذن الله)
 أي بارادته من أنه يطاع فلا يعصى ولا يخالف (ولو أنهم اذ) أي حين (ظلموا أنفسهم) أي
 بالتهاكم الى الطاغوت أو غيره (جاؤك) أي تأييد (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص
 (واستغفر) أي شفع (لهم الرسول) اي اعتذروا اليه حتى انتصب لهم شفيعا وانما عدل عن
 الخطاب تفخيما لثأته (لوجدوا الله توابا) عليهم (رحيما) بهم وقرأ أبو عمرو وادغام الراء في اللام
 بخلاف عنه (فلا وربك) أي فوريك ولا مزيد لتأكيده القسم (لا يؤمنون) أي يوجدون هذا

الوصف ويجدونه (حتى يحكموك) أى يجعلوك حكماً (فيما شجر) أى اختلف واختلط (بينهم)
من كلام بعضهم لم بعض الناس حتى كانوا كأغصان الشجرة في التداخل والتضايق
(ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً) أى نوعاً من الضيق (عما قضيت) به عليهم (ويسلموا تسليماً) أى
ويتقادوا والآن انقياداً بطواهرهم وبواطنهم وفي الصحيح أن الآية نزلت في الزبير وخصمه له من
الانصار وقد شهد بدر في شراج من الحرة كانا يستقيان بها النخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير اسق يا زبير ثم اهدل الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله أن كان ابن عمك
فما نون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الحد رواه ستوف
حقن ثم رسله الى جارك وقيل نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمر
(ولوأنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما أمر نبي اسرائيل أو تعرضوا بها للقتل بالجهاد
وان مصدرية ومفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة والكسائي بكسر
الفون في الوصل والباقون بالضم (أو اخرجوا من دياركم) أى التي هي لاسباحكم كاشباحكم
لأرواحكم بقرية تركم (ما فاعلوه) أى المكتوب عليهم أى انما كتبنا عليهم الاطاعة لله ورسوله
والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج من الديار ما كان يفعل (الا قبل منهم) قال
الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمرو بن عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو أمرنا فاعلنا والمجد لله الذي عافانا فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ان من أمتى رجالا لا يمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي
وقرأ ابن عامر قليلاً بالنصب على الاستثناء والباقون بالرفع على البدل (ولوأنتهم) أى هؤلاء
المنافقين (فعلوا ما يعظون به) من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم (لكن خيرا لهم) في عاجلهم
وأجلهم عما اختاروه لأنفسهم (وأشد تنبيهاً) أى تحقيقاً لايمانهم (واذا) أى لو ثبتوا (لا يتناهم
من لدنا) أى من عندنا (أجر أعظيماً) وهو الجنة (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) يصلون بسلكه
جنات القدس وتفتح لهم أبواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
رواه أبو نعيم في حليته وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف
الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض
ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة وأخاف
أن لأراك لأنك ترفع مع النبيين وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلة لك وإن لم
أدخل الجنة لأراك أبداً فأنزل الله تعالى (ومن يطع الله) في امتثال أو امره والوقوف عند
زواجره (والرسول) أى في كل ما أراه فان منصب الرسالة يقتضي ذلك لاسيما من بلغ نهايتها
(فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) أى معدود من حزبهم فهو بحيث إذا أراد زيارتهم أو رؤيتهم
وصل اليهم بسهولة وقوله تعالى (من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين) بيان للذين حال
منه أو من ضمير قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على

أن لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء القانزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
 التكامل ثم الصديقون الذين سعدت نفوسهم نارة جبراق النظر في الحجج والآيات وأخرى
 بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنهم على
 ما هي عليه ثم الشهداء الذين أدي بهم المحرص على الطاعة والجسدة في اظهار الحق حتى بذلوا
 مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في
 مرضاته (وحسن) أي وما أحسن (أولئك أي العالمون الاخلاق السابغون (رفيها) من
 الرفق وهولن الجانب ولطافة الفعل وهو بما يستوى واحده وجهه أي رفيقا في الجنة بأن يستمتع
 فيها برؤيتهم ورواياتهم والحضور معهم وان كان منتهى درجات عالمة بالنسبة الى غيرهم
 روى عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قومًا ولم يلحق بهم قال
 النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وروى أيضا أن رجلا قال يا رسول الله متى الساعة
 قال وما أعددت لها فلم يذكر كثيرا إلا أنه يجب الله ورسوله قال فانت مع من أحببت وقوله تعالى
 (ذلك) أي كونهم مع من ذكره مبتدأ خبره (الفضل من الله) أي تفضل به عليهم لانهم نالوه
 بطاعتهم (وكفى بالله عليمًا) أي بجزاء من أطاعه وأبقاها بالفضل واستحقاق أهلها روى أبو هريرة
 رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد
 منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وفضل (يا أيها
 الذين آمنوا) أي أقرؤا بالايمان (خذوا حذركم) من عدوكم أي احتذروا منه وتنبذوا له والحذر
 الحذر كالإزالة (فانظروا) أي اخرجوا الى قتاله مسرعين (ثبات) أي جماعات متفرقين سرية
 في اثر سرية تجمع شتة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة (أو اتفروا جميعا) أي مجمعة كوكبة
 واحدة قال البيضاوي والآية وانزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة
 الى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل القوات (وان منكم) الخطاب لعسكر النبي صلى الله
 عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين (لمن ليبطئن) أي ليتأخروا وليتأقلا عن القتال وهم
 المنافقون كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في
 الجنسية والنسب واطهار الاسلام لافى حقيقة الايمان (فان أصابكم مصيبة) كقتل وهزيمة
 (قال) هذا المتبطئ جهلا منه وغفلة (قد أنعم الله على إذ) أي حين (لم أكن منهم شهيدا) أي
 حاضرًا فأصاب (ولئن) لام قسم (أصابكم فضل) أي فتح وطرز وغنيمة (من الله) الذي كل شئ
 بيده (ليقولن) نادما على ما فاتته من الاغراض الدنيوية وأكده بتبسيها على فرط تحسره وقوله
 تعالى (كان) مخففة واسمها محذوف أي كأنه (لم تكن بينكم وبينه مودة) أي معرفة وصداقة
 رجع الى قوله قد أنعم الله على اعتراض بين القول ومقوله وهو (يا) للتبسيه (لئن كنت معهم
 فأفوز) أي بشاركتهم في ذلك (فوزا عظيما) أي أخذ حظا وافرا من الغنيمة وقرأ ابن كثير وحفص
 بالتاء في تكن على التأنيث والباقون بالياء على التذكير ولما بين أن محط رجال القاعد
 عن الجهاد الدنيا علم أن قصد الجهاد الآخرة فقال تعالى (فليقاتل في سبيل الله) أي لاعلاء

دينه (الذين يشرون) أى يبيعون برغبة (الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المؤمنون والمعنى ان ساطا
هو لا عن القتال فليقاتل المجاهدون الباذلون أنفسهم فى طلب الآخرة ويشرون أى يأخذون
وهم المتباطلون فيختارونها على الآخرة والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم وفى هذا استعمال
للمشترك فى مدلوليه (ومن يقاتل فى سبيل الله) لاعلاء دينه (فيقتل) أى يستشهد (أو يغلب)
أى يظفر به - يدقوه (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أى نؤاينهم بلا وانما وعدله الاجر العظيم غلب
أو غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا للقول المتبطل قد أنعم الله على اذلم أكن معهم شهيدا وانما
قال فيه قتل أو يغلب تنبيه على أن المجاهد ينبغي أن يثبت فى المعركة حتى بعد نفسه بالشهادة
أو الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء كلمة الحق واطهار
الدين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرج منه من يته
الا الجهاد فى سبيله وتصديق كلفه أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع
ما نال من أجر أو غنمة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القات
الصائم الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى أهله انما يرجعه من غنمة وأجر
أو يتوفاه فيدخله الجنة وقوله تعالى (ومالكم لا تتقاتلون) استنفاهم توبيخ أى لا مانع لكم من
القتال (فى سبيل الله) لاعلاء دينه وقوله تعالى (والمستضعفين) عطف على اسم الله أى وفى
سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر ووصونهم عن العدو وقوله تعالى (من الرجال والنساء
والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وادوهم قال ابن
عباس كنت أنا وأممى منهم وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيه على تنهى المشركين بحيث
بلغ اذا هم الولدان وان دعوتهم أجميت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركونا فى استئزال
الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد بهم العبيد والاماهم جمع وليد (الذين يقولون) أى
داعين يا ربنا أخرنا من هذه القرية انظالم أهلها) أى بالكفر (واجعل لنا من لدنك) أى من
عندك (وليا) يتولى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يمنعنا منهم وقد استجاب الله تعالى
دعاهم فيسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى أن فتحت مكة له صلى الله عليه وسلم
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد بفتح الهمة وكسر السين فغاهم ونصرهم
حتى صاروا أعز أهلها وكان حينئذ ابن ثمان عشرة سنة والقرية مكة والطالم صفتها ونذكره
لتذكر ما أسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر
ويؤتى على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) أى فى طاعة الله (والذين
كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى فى طاعة الشيطان (فقاتلوا) أيها المؤمنون (أو ليا
الشيطان) أى حربه وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان) أى مكره بالمؤمنين (كان
ضعيفا) بالاضافة الى كيد الله تعالى بالكافرين لا يعتد به فلا تخافوا أو لياهم فان اعتمادهم على
أضعف شئ وأوهنه كما فعل الشيطان يوم بد لما رأى الملائكة خاف أن تأخذه فتهرب وخذ لهم
(ألم ترالى الذين قبل لهم كفرا أيديكم) أى عن قتال الكفار وهم جماعة من العصاة كانوا يلقون

من المشركين أذى كثيرا قبل أن يهاجروا ويقولون يا رسول الله أئذن لنا في قتالهم فإنهم قد أذونا
 فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أصر بقتالهم (وأقيموا الصلوة
 وآتوا الزكاة) فلما هاجروا إلى المدينة وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم
 كما قال تعالى (فلما كتب) أي فرض (عليهم القتال) قرأ أبو عمر وبكسر الهاء والميم في الوصل
 وجزة والكسافي بضم الهاء والميم في الوصل وأما الوقف فالجميع يسكنون الميم وحزرة بضم
 الهاء على أصله وكسرها الباقيون (إذا فرق منهم يخشون) أي يخافون (الناس كخشية الله)
 أي كخشيتهم من الله (أو أشد خشية) من خشيتهم له * (تنبيه) * نصب أشد على الحال
 وجواب لما دلل عليه إذا وما بعده أي فاجاءتهم الخشية (وقالوا) جزعاً من الموت (وإذا
 لم كتبت علينا القتال لولا) أي هلا (أخرتنا إلى أجل قريب) وهو الموت أي هلا تر كسنا حتى
 نموت يا آجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقبيل قاله قوم من المنافقين لأن قوله لم كتبت
 علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقبيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه
 خوفاً وجبناً لا اعتقاداً ثم تابوا وأهل الإيمان يتفاضلون فيه وقبيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما
 كتب عليهم القتال ناقضوا من الجبن وتخلعوا عن الجهاد وقرأ البري في الوقف لم يها بعد الميم
 بخلف عنه والباقيون بالميم بغير هاء والهاء ساكنة في الوصل للجميع (قل) لهم يا محمد
 (متاع الدنيا) أي ما يتمتع به فيها والاستمتاع بها (قليل) أي آيل إلى الزوال (والآخرة)
 أي ثوابها وهو الجنة والنظر إلى الله تعالى (خير من اتقى) عقاب الله بترك معاصيه روى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليستظر
 به يرجع (ولا تظنون) أي تنقصون من أعمالكم (قليلاً) أي قد وما يكون في شق النواة
 كما مر عن عكرمة وقرأ ابن كثير وحزرة والكسافي بالياء على الغيبة والباقيون بالياء على
 الخطاب ونزل في المنافقين الذين قالوا في قتلي أحد لولا كانوا عندنا ما ماؤا وما قتلوا (آيئاً
 تكونوا) أيها الناس كما هم مطيعكم وعاصيكم (يدرككم الموت) أي فإنه طالب لا يقوته هارب
 واختلف كتاب المصاحف في رسم آيئاً هنا فتم من كتب ما مقطوعة من آين ومنهم من وصلها
 (ولو كنتم في روج) أي حصون روج داخل روج أو كل واحد منكم داخل روج (مشيدة) أي
 مرتفعة كل واحد منكم شاهق في الهواء منيع فلا تخشوا القتال خوف الموت ونزل في اليهود
 لما قالوا حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في شمارنا ومزارعنا
 منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه (وإن تصبهم) أي اليهود (حسنة) أي خصب ورخص في
 السعر (يقولون هذمن عند الله) لنا لا مدخل لك فيها (وإن تصبهم سيئة) أي جدد وغلاء في
 الأسعار (يقولون هذمن عندك) أي من شؤم محمد وأصحابه وقبيل المراد بالحبسة الظفر
 والغنية يوم بدر والسبيته القتل والهزيمة يوم أحد يقولون هذمن عندك أي أنت الذي حملتنا
 عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا قول المنافقين (قل) لهم يا محمد (كل) أي الحسنات والسبيته
 (من عند الله) ثم عبرهم بالجهل فقال (فألهؤلاء القوم) أي اليهود والمنافقين (لا يكادون)

يفقهون) اى لا يقاربون ان يفهموا (حديثاً) يعظون به وهو القرآن لانهم لو فهموه وتدبروا
 معانيه لعلموا ان الكل من عند الله اوحديثاً ما يلحق اليهم كجهانهم لا افهام لهم وما استفهام نجيب
 من فرط جهلهم وفي مقاربة الفعل اشتد من فقيه (ما اصابك) اى أيها الانسان (من حسنة) اى
 نعمة دينوية واخرية (فمن الله) انتك تفضل الله والايان احسن المحسنات قال الامام انهم
 اتفقوا على ان قوله ومن احسن قولاً من دعا الى الله المراد به كلمة الشهادة (وما اصابك من سيئة)
 اى بلية وامر تكرهه (فمن نفسك) انتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب (فان قيل)
 كيف الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله فمن نفسك (اجيب) بأن قوله قل كل
 من عند الله اى انصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك اى
 ما اصابك من سيئة من الله فبذنوب نفسك عقوبة ذلك كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة
 فبما كسبت ايديكم وقيل ان هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمرة تقديره فما هؤلاء
 القوم لا يكادون يفقهون حديثاً يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
 نفسك قل كل من عند الله (وارسلناك) يا محمد (للناس) اى كافة وقوله تعالى (رسولاً) حال قصد
 بها التاكيد (وكفى بالله شهيداً) على ارسالك بنصب المعجزات ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 من اطاعني فقد اطاع الله ومن احنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل
 الا ان يتخذ ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم زلاً (من يطع الرسول فقد اطاع الله)
 لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى (ومن تولى) اى اعرض عن طاعتك فلا يمسك
 (فما ارسلناك) يا محمد (عليهم حفيظاً) اى حافظاً لاعمالهم وتحاسنهم عليها انما عليك البلاغ
 وعليها الحساب فيجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال (ويقولون) اى المنافقون اذا امرتهم
 بشئ من امرنا وهم يحضرونك (طاعة) اى امرنا وشأننا طاعة اى نطيعك فيما تأمرنا به
 (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك) بيت طائفة منهم اى اضمرت (غير الذى تقول) لك في
 حضورك من الطاعة اى عصمتك وقرأ ابو عمرو وحزرة بادغام التاء فى الطاء فانهم عندهم ما سكتة
 اى التاء فاذا سكت التاء قبل الطاء وجب ادغامها فيها والباقيون بالظهار فان التاء عندهم
 مفتوحة (والله يكتب) اى بأمر يكتب (ما يبينون) اى ما يسرون من النفاق فى صماتفهم
 ليما زاول عليها (فاعرض عنهم) اى قلل المبالاة بهم (وتوكل على الله) اى ثقبه فانه كافيك معرفتهم
 وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلاً) اى مفوض اليه (افلا يتدبرون) اى يتأملون (القرآن)
 وما فيه من المعاني البديعة (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم
 الكفار (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) اى تناقضاً فى معانيه ونبأينا فى نظمهم فكان بعضهم فصيحاً
 وبعضه ركيكاً وبعضه فصيحاً معاً ووضه وبعضه تسهل وتختلف عن الصدق فى الاخبار عن الغيب
 بما كان وما يكون افلا يتفكرون فيه فيعرفون عدم التناقض فيه وصدق ما يخبرهم به انه كلام
 الله ولان ما لا يكون من عند الله لا يتخلو عن تناقض واختلاف والمراد من التقييد بالكثير
 المبالغة فى اثبات الملازمة اى لو كان من عند غير الله لزم ان يكون فيه اختلاف كثير فضلاً عن

القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل (واذا جاءهم) اى المنافقين
(امر) اى خبر عن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم (من الامن) اى الفئمة (او الخوف) اى
القتل والهزيمة (اذا عاوه) اى افشوه وكنات اذا عاتهم مفسدة والباء من بدءا ولتضمن
الاذاعة معنى التحدث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فاذا غلبوا
بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفشونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين ويأذى النبي صلى الله عليه وسلم (ولو ردوه) اى ذلك الخبر
(الى الرسول) اى لم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى يحدث به (والى اولى
الامر منهم) اى ذوى الراى من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم
(اعلمه) على اى وجه يذكر اى (الذين يستنبطونه منهم) اى يستخرجون تدابيره بتجاربهم وانظارهم
هل ينبغى ان يكتم او يفشى (ولو لا فضل الله عليكم) بالاسلام (ورحمته) لكم بارسال الرسل
وانزال القرآن (لاتبعن الشيطان) فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (الا قليلا) اى منكم
فانهم لا يتبعونه حفظا من الله سبحانه وهم الله من جميع العقول والعصمة تنال في حق غير الانبياء ايضا
لانها المنع من المعصية ولكن الشائع ان يقال في حق النبي معه ومضى في حق غيره محفوظ
(فقاتل) يا محمد (في سبيل الله لا تكف الانفسك) فلاتهم يتخلفهم عنك اى قاتل ولو وحده
فانك موعود بالنصر من الله وليس النصر الا بيده وما كان ليارك لبشئ الا وانت كقولها فانت
كفولمقاتلة الكفار وان كانوا اهل الارض كلهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعدا باسفيان بعد حرب اُحدموسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد ودعا الناس الى
الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية * (ففيه) * الفاء في قوله تعالى فقاتل في سبيل الله
قال البغوى جواب عن قوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا
عظيما فقاتل انتهى (وحترض المؤمنين) اى حثهم على القتال ورغبهم فيه اذما عليك في شأنهم الا
الهرىض (عسى الله ان يكف بأس) اى حرب (الذين كفروا) وعسى في كلام الله وعد واجب
الوقوع بخلافها في كلام المخلوق (والله اشد بأسا) اى صولة منهم (واشد تنكيلا) اى عقوبة
منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يخرجن ولو وحدى نخرج بسبعين راكبا
الى بدر الصغرى فكف الله بأس الذين كفروا بالقاء العرب في قلوبهم ومنع ابا سفيان من
الخروج كما تقدم في سورة آل عمران (من يشفع شفاعا حسنة) راى بها حق مسلم بأن دفع عنه
بها ضررا أو جلب اليه نفعا ابتغاء وجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا
لاخيه المسلم نظر الغيب استحيب له وقال له الملك ولك مثله اى مثل ذلك اى ودعاء الملك لا يرد
(يكن له نصيب) اى اجر (منها) اى بسببها قال أبو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا اذ جاءه رجل يسأل أو يطلب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال
اشفعوا فلتؤجروا وليقبض الله على لسان نبيه ما شاء (ومن يشفع شفاعا سيئة) مخالفة للشرع
(يكن له كفل) اى نصيب من الوزر (منها) اى بسببها (وكان الله على كل شئ مقبلا) قال ابن

عباس مقتدر ابحاريا قال الشاعر

وذى ضغن (أى رب صاحب حقد) كفت الضغن عنه

وكنت على اسائه (أى اساءتى لذى الضغن) مقبلة

أى مقتدرا وقال مجاهد شاهدنا وقال قتادة حفيظا وقيل معناه على كل حيوان مقبلة أى يوصل
القوت اليه وجاء فى الحديث كفى بالمرء انما أن يضيع من يقوت (واذا حسيتم بحبة فقبوا بأحسن
منها) التحية هى دعاء الحياة ولكن جمهور المفسرين على أن ذلك فى السلام أى اذا سلم عليكم
مسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم فاذا قال السلام عليكم فزيد الراد ورجعة الله فاذا قال ورجة الله
فزيد الراد وبركاته (أوردوها) أى بأن ترده عليه مثل ما سلم روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم السلام عليكم فقال وعليك السلام ورجة الله وقال آخر السلام عليكم ورجة الله فقال
وعليك السلام ورجة الله وبركاته وقال آخر السلام عليكم ورجة الله وبركاته فقال وعليك أى
السلام ورجة الله وبركاته فقال الرجل تفصنى أى الفضل على سلامى فأين ما قال الله أى من
الفضل وتلا الآية فقال لم تترك فى فضلا فردت عليك مثله لأن ذلك هو النهاية لاستجماعه اقسام
المطالب وهى السلامة من المضار وحصول المنافع وثبوتها وظاهر الآية أنه لو رد عليه بأقل مما سلم
عليه به أنه لا يكتفى وظاهر كلام الفقهاء أنه يكتفى وتحمل الآية على أنه الاكل وابتداء السلام
على المسلم سنة عين من المنقرد وكفاية من الجماعة ورد فرض عين اذا كان المسلم عليه واحدا
وكفاية من الجماعة ويشترط فى الرد القور والوجوب مستقادم من الامر والقور من القاء
وأما كونه كفاية فله خبر أبى داود يجزئ عن الجماعة اذا مر وأى سلم احدهم ويجزئ عن
الجلوس ان يرد احدهم والراد منهم هو المختص بالشواب ويسقط الخارج عن الباقي وان أجابوا
كاهم كانوا مؤذنين للفرض سواء كانوا مجتمعين ام متفرقين كصلاة الجنائزة ولا يسقط الفرض
بردا الصبي المميز (فان قيل) قد سقط به فرض الصلاة عن الجنائزة (أجيب) بأن المقصود من
الصلاة الدعاء والصبي أقرب الى الاجابة والمقصود من السلام الامان والصبي ليس من أهله
ولا يسقط أيضا برده من لم يسمع ولو سلم على امرأة ان كان يساح له النظر اليها كحرمة وزوجته
يسن له السلام عليها ووجب عليها الرد والاكراه ابتداء وردا وحرم عليها ابتداء وردا وهذا
اذا كانت مشتهمة فان كانت عجوزا أو جماعة نسوة لم يكره ويجب الرد لا لقاء خوف الفتنة
ولا بسن ابتداءه على قاضى حاجة ولا على اكل ولا على من فى حمام ولا على مصل ومؤذن
وخطيب ومب و مستغرق القلب بالدعاء ولا يجب الجواب عليهم ويحرم ابتداءه على الكافر
ويرد عليه اذا سلم عليكم فقط وهذا باب طويل قد بينته السنة وقد أكثر منه فى شرح المنهاج
(أن الله كان) أى أولا وأبدا (على كل شئ حسيبا) أى محاسبا فيجازى عليه وقال مجاهد حفيظا
وقال أبو عبيدة كافيًا يقال حسبى هذا أى كفى وقوله تعالى (الله الا اله) مبتدأ وخبر
وقوله تعالى (ليجمعنكم) اللام لام القسم أى والله ليجمعنكم الله من قبوركم (الى) فى يوم
القيامة) وهى بذلك لأن الناس يقومون من قبورهم قال تعالى يوم يحرجون من الاجداث

سرا عا وقيل اقبامهم الى الحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (لارب) أى لاشك
 (فيه) أى فى ذلك اليوم اربى الجوع ومن اصدق من الله حديثا) أى قولاً (فان قيل) الصدق
 لا يتفاوت كالعلم اذ لا يقال هذا اصدق اصدق من هذا اصدق كالأيقال هذا العلم أعلم من هذا
 العلم (أجيب) بأن اصدق صفة للقائل لا صفة للحديث أى لا أحد غير الله اصدق منه لأن غيره
 يتطرق الى خبره الكذب وذلك مستحيل فى حقه تعالى والانبيا مخبرون عن الله تعالى وقرأ حجة
 والكسافى بأشمام الصاد أى يحرف متولدين الصاد والزأى (فما لكم) أى فاشأ أنكم صرتم
 (فى المنافقين) أى فى أمرهم (فتبين) أى فرق بين ولم تتفقوا على صكهمهم وذلك اناس منهم
 استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البلد ولا اجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا
 راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا المشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقال مجاهد هم قوم
 خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليأتوا
 يضايع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة واختلف المسلمون فيهم فتنازل بقولهم منافقون
 وطائل بقولهم مؤمنون وقال قوم فى الذين تحلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض
 الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم
 تكلموا بالاسلام (والله أركسهم) أى نكسهم بأن صيرهم الى النار وأردتهم الى حكم الكفرة
 (عما كبوا) من الكفر والماء أصى (أتريدون أن تهذوا من أضل الله) أى أنه ذوهم من جملة
 المهتدين والاستغفام فى الموضوعين للأنكار (ومن يضلل الله) أى ومن يضله الله (فلن تجد له
 سبيلا) أى طريقا الى الهدى (ودوا) أى قنوا (لوتكفرون كما كفروا فتكونون) أنهم وهم
 (سواء) فى الكفر* (تنبيه)* قوله تعالى فتكونون لم يرد به جواب التثنية لأن جوابه بالقاء منصوب
 وانما أراد النسق أى ودوا لوتكفرون وودوا لوتكونون سواء مثل قوله ودوا لوتدنه فيدزون
 أى ودوا لوتدنه وودوا لويدهنون (فلا تتخذوا منهم أولياء) أى فلا توالوهم وان اظهروا
 الايمان (حتى يهاجروا الى سبيل الله) معكم هجرة صحيحة تتحقق ايمانهم قال عكرمة هى هجرة أخرى
 والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين فى أول الاسلام وهى قوله تعالى للفقراء المهاجرين وقوله
 تعالى ومن يخرج من بينهم مهاجرا الى الله ورسوله ونحوها من الآيات وهجرة المنافقين وهى
 خروج الشخص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا بالانغراض الدنيا وهى المراتة ههنا
 وهجرة عن جميع المعاصى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه (فان
 تولوا) أى اعرضوا عن التوحيد والهجرة وأقاموا على ما هم عليه (تخذوهم) أى بالأسر
 (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أى فى حل وفى حرم كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم ولدا) تولونه
 (ولا نصيرا) تتصرون به على عدوكم أى بل جابوهم بمجانبة كلية وقوله تعالى (الا الذين يصلون)
 استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يصلون أى ينتهون (الى قوم يذكركم وبينهم ميثاق)
 أى عهد بالامان لهم ولين وصل اليهم كعهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة لعل
 ابن عبيد الاسلى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقوله تعالى

(أوجأوكم) عطف على الصلة أي أوالذين جاؤكم وقوله تعالى (حصرت) أي ضاقت حال باضممار قد
 أي وقد ضاقت (صدرهم ان يقاتلوكم) أي عن قتالكم مع قومهم (أو يقاتلوا قومهم) معكم أي
 ممكن عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا لهم باخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية القتال
 وقرآنافع وابن كثير وعاصم باظهار تاء تأنيث حصرت عند الصاد وأدغمها الباقون (ولو شاء الله)
 تسليطهم عليكم (لسلطهم عليكم) بأن يقوى قلوبهم ويسيطر صدورهم ويزيل الرب (فلقاتلوكم)
 ولكنه لم يشأ فألقى في قلوبهم الرعب (فان اعترفوا لكم فلم يقاتلوكم) أي بأن لم يتعرضوا لكم (وألقوا
 اليكم السلم) أي الاسلام والانقياد (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) أي طريقا بالاختد والقتل
 (سحبون) أي عن قريب بوعده لا شك فيه (آخرين) أي من المشافقين روى عن ابن عباس أنه
 قال هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة فكلموا بالاسلام رباهم وغيرهم سائر وكان الرجل
 منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب وانخفساه واذا القوا
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اناعلى دينكم يريدون بذلك الامن من القريريين كما قال
 تعالى (يريدون أن يأمنوكم) باظهار الايمان عندكم (وأيأمنوا قومهم) باظهار الكفر اذا رجعوا
 اليهم (لما ردوا) أي دعوا (الى الفتنه) أي الكفر (أو كسوا) أي انقلبوا منكوسين (فيها) أي
 الفتنه أقمع قلب (فان لم يعترفوا لكم) أي بترك قتالكم (ويلقوا) أي ولم يلقوا (اليكم السلم ويكفوا) أي
 ولم يكفوا (أيديهم) عن قتالكم (نخذوهم) أي بالامر (واقبلوهم حيث ثقفوهم) أي وجدوهم
 (وأولئكم) أي أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي حجة واضحة في التعرض لهم
 بالقتل والسبي لظهور عدوتهم ووضوح كفرهم (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا) أي ما ينبغي
 أن يصدر منه قتل لا بغير حق (الايضا) أي مخطئا في قتله من غير قصد نزات في عباس بن زرعة
 وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عكة قبل الهجرة وأسلم ثم خاف أن يظهر الاسلام
 لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في أطعم من أطامها فجزعت أمته لذلك جزعا شديدا وقالت
 لانيها الحرث وأبي جهل ابني هشام وهما أخوة لأمته والله لا يظلمني سقفة ولا أدوق طعاما
 ولا شرابا حتى تأتيا به فخرجاني طلبه وخرج معهم ما الحرث بن زيد حتى أتوا المدينة فأبوا عياشا
 وهو في الأطعم وقالوا له انزل فان أمك لم يأوها سقفة بيت بعدك وقد حلفت أن لا تأكل طعاما
 ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولك والله علينا عهد أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك
 وبين دينك فلما ذكر والده ذلك أي جزع أمته وأوثقوا باقه نزل اليهم فأخرجوه من المدينة ثم أقنعوه
 وجلدته كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به الى أمته فلما أتاها قالت له والله لا أحلك من وثاقتك
 حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا مطروحا في الشمس ماشا الله فأعطاهم الذي أرادوا
 فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عباس أهدأ الذي أنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى
 ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عباس من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا أبدا الاقتلتك
 ثم إن عياشا بعد ذلك أسلم وهاجر ثم أسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وليس عياش حاضر يومئذ ولم يشعر بالسلامه فبينما عياش يظهر قبالة لقي الحرث فقتله فقال

الناس ويحك أي شيء صنعت انه قد أسلم فرجع عباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له
 قد كان من أمري وأمر الحرب ما قد علمت وانني لم أشعر بإسلامه حتى قتله فنزلت الآية (تنبيه)
 قوله تعالى الا خطأ أمانتمصوب على الحال أي وليس من شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً حاله من
 الاحوال الاحال الخطا واما مفعول لاجله أي لا يقتله لعله لا الخطا وقيل الابعنى ولا أي ليس له
 قتله في حال من الاحوال ولا خطا نظير قوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم وقوله
 لا يكون للناس على الله حجة الا الذين ظلموا منهم (ومن قتل مؤمناً خطاً) كان قصدي غير
 كسبياً أو شجر فاصابه (فتحرى رقبته) أي فعله أي فواجبه تحرى رقبته كاملة الرق فلا يجزى
 مكاتب كغاية صححة ولا أم ولد والنحر ير الاعتناق ويعبر عن النسيئة بالرقبة كما يعبر عنها بالراس
 (مؤمنة) أي محكوم بإسلامها وان كانت صغيرة ولو كان اسلامها بتسعة الدار والساني سلمية عما
 يحل بالعمل (ودية مسلمة) أي مؤداة (الى أهله) أي ورثة المقتول يقتسمونها كسائر
 الموارث (الا ان يصتقوا) أي يصتقوا بها عليه بأن دفعوا عنها وهي العنوت عنها صدقة
 حشاعله وتنبه على فضله قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وينت السنة اذية
 الخطا ما تم من الابل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون بنت لبون وعشرون
 حقة وعشرون جذعة وان عاقلة القاتل تصملها عنه وهم عصيته لا أصله وفرضه موزعة
 عليهم على ثلاث سنين على النقي منهم نصف دينار المتوسط ربع دينار كل سنة فان لم يقوا فنيت
 المال فان تعذر فبقي الجاني (فان كان) أي المقتول (من قوم عدو لكم) أي محاربين (وهو)
 أي والحال أنه (مؤمن) أي ولم يعلم القاتل ايمانه (فتحرى) أي فالواجب على القاتل تحرير
 (رقبة مؤمنة) ولاديه تسلم الى أهله اذ لا وراثته بينه وبينهم لانهم محاربون (وان كان) أي المقتول
 (من قوم) أي كفرة أيضاً عدو لكم (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد كأهل الذمة وهو كافر
مثلهم (فدية) أي فالواجب فيه دية (مسلمة) أي مؤداة (الى أهله) وهي ثلث دية المؤمن ان كان
نصربانيا أو يهوديا تحل منا حكمته وثلاثا عشرها ان كان مجوسياً أو كتابياً لا تحل منا حكمته
(وتحرى رقبته مؤمنة) على قاتله (فن لم يجد) أي الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به (فصيام) أي
فالواجب عليه صيام (شهرين متتابعين) حتى لو أفطر يوماً واحداً الفجر حيض أو نفاس وجب
الاستئناف ولم يذكر تعالى الانتقال الى الطعام كالطهار وبه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه
في أصح قوليه وقوله تعالى (توبة من الله) نصب على المصدر أي وتاب عليكم توبة أو على المفعول له
أي وشرع لكم ذلك توبة مأخوذة من تاب الله عليه اذا قبل توبته (وكان الله) أي ولم يزل
(عليها) أي بأحوالكم وبما يصلحكم في الدنيا والآخرة (حكيماً) فيما دبره لكم من نصب
الزواج بالكفارات أو غيرهما فآلزموا وأمره وباعدها وزواجهم لتقربوا بالعلم والحكمة (ومن
يقتل مؤمناً مستعداً) بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالمياً بما عناه (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) وغضب
الله عليه ولعنه) أي أبعده من رحمته (وأعد له عذاباً عظيماً) في النار وهذا مخصوص بالسفيل له
كما قاله عكرمة وغيره ويؤيده ان الآية نزلت في نفيس بن ضبابه وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني

النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا إليه دينه فدفعوا إليه ثم
 جعل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة ثم نادى والمراد من الآية التغليب كقوله تعالى والله على
 الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غفي عن العالمين على تفسيرين كفر
 بمن لم يحج وكقوله صلى الله عليه وسلم للمقداد لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلة ذلك قبل أن يقتله وإنك
 بمنزلة قبل أن تقول الكلمة التي قال أو أن هذا جزاؤه أن جوزى ولا بدع في خلف الوعيد لقوله
 تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والمراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن
 عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم ولهذا يذكرون في الآية أبدا وما روى عن ابن عباس أنه قال
 لا تقبل نوبة قاتل المؤمن عدا كإرواء الشيخان أراد به التشديد كما قاله البيضاوي أذروى عنه
 خلافه ورواه البيهقي في سننه وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وإن عليه الدية إن عفى عنه
 وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطاقتلا يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما يقتل غالبا
 فلا قصاص فيه بل فيه دية كالعمد في الصفة والخطا في التأجيل والحمل وهو أى العمد أولى
 بالكتابة من الخطا بابيها الذين آمنوا إذا ضربتم أى سافرتم للجهاد (في سبيل الله فبينوا) وروى
 أن سيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فذل ففهرى وأبقى رجل يقال له مرداس لأنه كان
 على دين المسلمين فلما رأى الخليل خاف أن يكونوا من غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلى
 غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو إلى الجبل فلما تلا حقت الخليل سمعهم يكررون فلما سمع
 التكبير علم أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر ووزل وهو يقول لا اله الا الله محمد
 رسول الله السلام عليكم فقتلوا أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه فنزلت ثم رجعوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان
 سبقتهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوه إرادة ما معه ثم قرأ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفرنى فقال وكف بلا اله
 الا الله قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها على حتى وددت أنى لم أكن أسألت
 الا يومئذ ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفرنى ثلاث مرات وقال اعنق رقبة وقال
 عكرمة عن ابن عباس قال ماز رجل من بنى سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومعه غنمه فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم الا ليعوذ منكم فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه وأتوا بها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقرأ حنزة والكسائي بالشاء المثلثة مكان الباء الموحدة
 وبالباء الموحدة مكان الباء المثلثة تحت وبالباء المثلثة فوق مكان النون فهو من التثب والباقون
 من البيان (ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلام) أى لمن حياكم بقية السلام وقرأنا نافع وابن عامر
 وحزق بن غير ألف بعد اللام من السلام أى الاستسلام والالتقياد والباقون بالالف (لست
 مؤمنا) وإنما فعلت ذلك متعوذا (تبعون عرض الحياة الدنيا) أى تطلبون ماله الذى هو حطام
 سريع التفاد (فعند الله مغام كثيرة) تفنيكم عن قتل مشهله (لله) لذلك كنتم من قبل أى
 أول ما دخلتم في الاسلام نفقوهم بكلمة الشهادة فصفتم بها أموالكم ودماءكم من غير أن تعلم

مواطاة قلوبكم ألسنتكم (فإن الله عليكم) أي بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين (فتبينوا)
 أي وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا إلى قتلهم فظننا أنهم قد دخلوا انتقام
 وخوفاً فإن بقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيده عظيم الأمر
 بالتبيين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (إن الله كان) ولم يزل (يعامدون خبيراً) أي عالماً
 به وبالغرض منه فيجاز بكم به فلا تتساهلوا في القتل واحتاطوا فيه (لا يستوى القاعدون) أي
 عن الجهاد حال كونهم (من المؤمنين) روى أن زيد بن ثابت أخبر أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أُمي عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء ابن أم مكتوم
 وهو عليها على فقال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد بلأحدث وكان رجلاً أعمى فأُنزل الله تعالى
 على رسوله صلى الله عليه وسلم ونخذه على نخذي فنقلت على حتى خفت أن ترض نخذي أي تكسر
 ثم سري عنه أي أنزل وكشف ما به من برء الوحى (غير أولى الضرر) أي من زمانه أو عي
 أو نحوه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر وقرأ نافع وابن عامر
 والكسائي بنصب الراء على الحال من القاعدين أو الاستثناء والباقيون بالرفع صفة للقاعدين
 لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم بل أراد به الجنس كما في قوله * ولقد أمر على التميم يسبني * فصم
 جعل غير صفة للقاعدين (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أي لا مساواة بينهم وبين
 من قعد عن الجهاد من غيرهم * (تنبه) * فائدة ذكر قوله تعالى لا يستوى القاعدون الخ تذكير
 ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد وفعار تبته وانتقام عن الخطأ منزلة وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال المراجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال إن في المدينة لقواماً
 ما سرتهم من مسير ولا قطعهم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم
 بالمدينة حبسهم العذر (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) (الضرر
 درجة) أي فضله لاستوائهم في النية وزيادة المجاهد بالبشارة (وكلا) من القاعدين للضرر
 والمجاهدين (وعدا الله الحسن) أي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة
 العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) لغير ضرر (أجر أعظمياً)
 ويدل منه (درجات منه) أي منازل بعضها فوق بعض من الكرامة وقوله تعالى (وهرة
 ورجة) منه وبان بفعلهما المقدر (وكان الله) أي ولم يزل (غفوراً) لا يلبسه (رحباً) بأهل
 طاعته وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الذين آمنوا
 ربوا بالإسلام ديناً وجمعة دنيا وجمعة دنيا وجمعة دنيا وجمعة دنيا وجمعة دنيا وجمعة دنيا
 ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين
 كل درجتين كما بين السماء والأرض فقال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله وعن أبي
 هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام
 الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس
 في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا تذر الناس بذلك فقال إن في الجنة مائة درجة

أعدّها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كابين السماء والأرض فاذا أسألتوه فاسألوه
 الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وقوفه عرش الرحمن ومنه تنفجر أنهار الجنة وانما يجب
 الجهاد على كل مسلم مكلف حرد كمرستطيع له وهو فرض كفاية لا لامة المتقدمة اذا كان
 الكفار يبلادهم ويجب على الامام أن يغزوهم في كل عام مرة بنفسه أو بوابسته أو بشخص الثغور
 بما يقاوم العدو وأما اذا دخلوا بلادنا والعاذ بالله تعالى تعيين على أهل البلدة وعلى من دون
 مسافة القصر حتى على فقير وولد ومدن ورفيق بلاذن ويجب على من هو في مسافة القصر
 بقدر الكفاية وان أسروا مسلما مننا النهوض لخلاصه ان ربح وان لم يدخلوا بلادنا ونزل
 في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فلما خرجوا الى بدر رجعوا معهم فقتلوا مع الكفار ان الذين توفاهم
 الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه أملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي
 وكل بكم والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع (طالبي أنفسهم) أي في حال ظلمهم أنفسهم بترك
 الهجرة وموافقة الكفرة بالمقام في دار الشرك فان الهجرة كانت واجبة قبل فتح مكة ثم نسخ
 الوجوب بعد فتحها فقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرأ البري بشديد التمساة المشناة
 فوق من توفاهم في الوصل والباقون بالتخفيف وأدغم أبو عمر والتاء في الظاء بخلاف عنه
 والباقون بغير ادغام (قالوا) أي الملائكة لهم (فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمر
 دينكم وقرأ البري فيهم بالهاء بعد الميم في الوقف بخلاف عنه (قالوا) معتذرين مما وجبوا به
 (كأستضعفين) أي عاجزين عن اظهار الدين واعلاء كلمته (في الارض) أي في أرض مكة
 (قالوا) أي الملائكة تكذبا لهم وتوبيخا (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) من أرض
 الكفر الى بلاد أخرى كما فعل غيركم من المهاجرين الى المدينة والحبيشة قال تعالى (فأولئك ما أوامهم
 جهنم) أي تركهم الواجب ومساعدتهم الكفار (وساءت مصيرا) أي جهنم وفي الآية دليل على
 وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
 فزديته من أرض الى أرض وان كان ما بينهما شبرا استوجب أي وجبت له الجنة وكان رفيق
 أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم * ثم استثنى أهل العذر منهم فقال (الا المستضعفين) أي
 الذين وجد ضعفهم في نفس الامر وعدواضعفاء وتقوى عليهم غيرهم (من الرجال والنساء
 والولدان) ثم بين ضعفهم بقوله (لا يستطيعون حيلة) أي لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة لهم
 (ولا يهدون سبيلا) أي طريقا الى أرض الهجرة (فأولئك عسى الله أن يعفو) أي يعاوزه
 (عنهم) وعسى من الله واجب للاطماع والله تعالى اذا أطلع عبده بشيء أو صله اليه ولكن
 في ذكر الطماع والعفوايدان بأن أمر الهجرة مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر المين
 الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره (وكان الله عفوا غفورا) قال
 ابن عباس كنت أنا وأبي من عذر الله أي من المستضعفين وكان صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء
 المستضعفين في كل صلاة قال أبو هريرة كان اذا قال سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة من صلاة
 العشاء قفت يقول اللهم أعج عياش بن ربيعة اللهم أعج الوليد بن الوليد اللهم أعج سلمة بن هشام

اللهم أفلح المستضعفين من المسلمين اللهم أشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
 كسنى يوسف (ومن يهاجر في سبيل الله يجحد في الأرض مرانها كثيرا) أى مقصولا بقول اليه
 وقيل طريقا يرغم بسلوكة قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم مأخوذ من الرغام والرغم الذل
 والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره
 مفارقتك المذلة لحقه بذلك (و) يجحد (سعة) في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصحوا
 وسافروا تغنوا أخرجه الطبرانى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظه واغزوا تغنوا
 وهاجر وانظروا ولم يسمع هذه الآية رجل من بنى قيس يقال له جندب بن ضمرة قال ما تأمن
 استثنى الله عز وجل وانى لا جديله ولى من المال ما يبلغنى المدينة وأبعد منها والله لأبیت الليلة
 بمكة اخرجوني فخر جوابه بحملونه على سبر رحتى أنوابه التنعيم فادركه الموت فصعق بميمنه على
 شمالك ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما يابيعك عليه رسولك فأتى قال التفات را فأتى
 الظاهر أن هذه إشارة الى اليمين وهذه الى الشمال لا قصد اسناد الجارحة الى الله تعالى بل على
 سبيل التصوير وتمثيل بمبايعة الله تعالى على الايمان والطاعة بعبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اياه وقيل إشارة الى البيعة والصفقة والمعنى أن يعته كبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيعة
 كبيعة الناس فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والوا فى المدينة كان أتم
 وأوفى أجرا وضحا للمشركون وقالوا ما أدركك هذا ما طلب فنزل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
 الله ورسوله ثم يدركه الموت) أى فى الطريق قبل مقصده (فقد وقع أجره على الله) أى ثبت أجره
 عنده تعالى بثبوت الاجر الواجب تفضلا منه ورحمة (وكان الله غفورا) لتقصير ان كان (رحيما)
 يكرم بعد المغفرة بأنواع الكرامات ولما أوجب الله السفر للجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مغفلة
 المشقة فكيف بغيرها مع ما ينضم الى المشقة فيه ما من خوف الاعداء ذكر تخفيف الصلاة
 بالقصر بقوله تعالى (واذا ضربتم) أى سافرتم (فى الأرض) سفرا طويلا لا غير معصية والطويل
 عند الشافعى رحمه الله تعالى أربعة بردى من حلتان كما ثبت ذلك بالسنة وعند أى حنيفة رحمه
 الله تعالى ثلاثة أيام ولبس البهت بسرا الا بل ومضى الاقدام على القصد وقوله تعالى (فلبس عليكم
 جفاح) أى اثم وميل فى (أن تقصروا من الصلاة) أى من أربع الى ركعتين وذلك فى صلاة
 الظهر والعصر والعشاء ميل على جواز القصر دون وجوبه ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام
 أتم فى السفر كما رواه الشافعى وغيره وعن عائشة رضى الله تعالى عنها اعترت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى
 قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب على رواء الدارقطنى وحسنه
 البيهقى رحمه الله وكان عثمان رضى الله عنه يتم ويقصر وأوجب القصر أبو حنيفة لقول عمر
 رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم رواه النسائى وابن
 ماجه واقول عائشة رضى الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت
 فى السفر وزيدت فى الحضر رواه الشيخان (فان قيل) ظاهرها يخالف الآية (أجيب) بأن

الا قول بأن القصر كالتمام في الحصة والاجزاء ومعنى الثاني لمن أراد الاقتصاد عليهما جميعا
 بين الأدلة وقوله تعالى (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) أى ينالوكم بكمبره بيان باعتبار
 الغالب في ذلك الوقت فلا مفهوم له قال يعلى بن أمية قلت لعمران قال الله تعالى ان خفتم وقد
 آمن الناس قال قد عجبتم بما عجبتم منه فسات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق
 الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم (ان الكافرين كانوا) أى جبهه وطباعا (لكم عدوا مينا)
 أى بين العداوة وقوله تعالى (واذا كنت) أى يا محمد حاضرا (فيهم) أى وأنتم تخافون العدو
 (فأقت لهم الصلاة) تعلم بفهمه من خص صلاة الخوف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعامة
 الفقهاء على أنه تعالى علم نبيه صلى الله عليه وسلم كيف يستهاليقدي به الأئمة بعده فانهم نواب عنه
 فيكون حضورهم كحضوره روى ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندوا أن لا كانوا أكبواعليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فإن لهم
 بعدها صلاة هي أحب اليهم من آياتهم وأبنائهم وهي صلاة العصر فاذا قاموا فيها افشذوا عليهم
 فاقتلوهم فزل جبريل فقال يا محمد انهم صلاة الخوف وان الله يقول واذا كنت فيهم فأقت لهم
 الصلاة فعلمه صلاة الخوف وهي أنواع * الأول اذا كان العدو في جهة القبلة ولا سائر والمسلمون
 كثيرون فيصلى بهم الامام ثم يسجد بصف أول ويحرس صف ثان فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه
 وسجد معه بعد تقدمه وتأخر الأول بلا كثرة أفعال في الركعة الثانية وحرس الآخرون فاذا
 جلس لتشهد جلس الآخرون وتشهد وسلم بالجميع روى هذا النوع مسلم وقد صلا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لم يعسفان وهي قرية على مرحلتين من مكة بقرب خليص سميت بذلك لعسف
 السبول فيها وجازعكس هذه الكيفية * والنوع الثاني اذا كان العدو في غير جهة القبلة أو فيها
 وشم سائر فيصلى الامام بهم ركعتين مرتين كل مرة بفرقة كما قال تعالى (فلتقم طائفة منهم معك)
 أى وتأت أخر طائفة (ولياخذوا) أى الطائفة التي قامت معك (أسلحتهم) معهم (فاذا سجدوا) أى
 صلوا (فليكونوا) أى هذه الطائفة الأخرى (من ورائكم) يحرسون الى أن تقضوا الصلاة
 وتذهب هذه الطائفة الأخرى تحرس (ولتأت طائفة أخرى) تحرس (لم يصلوا فليصلوا معك
 ولياخذوا وحذرهم وأسلحتهم) معهم الى أن يقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك يظن
 نخل رواه الشيخان وهذه الصلاة وان جازت في غير الخوف سنت فيه عند كثرة المسلمين وقلة عدوهم
 وخوف هجومهم عليهم في الصلاة (فان قيل) أخذ الحذر وهو الخوف مع التحفظ مجاز
 وأخذ الأسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما (أجيب) بأن أخذ الحذر حقيقة أيضا تنزيلا له منزلة الصلاة
 على سبيل الاستعارة بالكناية فالجمع انما هو بين حقيقتين على أن الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز كما
 عليه الشافعي رضي الله تعالى عنه (فان قيل) لم ذكر أخذ الحذر في الثانية دون الأولى (أجيب) بأن
 الكفار ينهبون الثانية ما لا ينهبون للأولى والنوع الثالث صلاة ذات الرافع رواها الشيخان أيضا
 وهي العدو في غير جهة القبلة أو فيها وشم سائر أن تقف فرقة في وجه العدو ويصلى الامم بفرقة
 ركعة ثم عند قبالة الثانية تفارقه وتتم بقية صلاتها وتقف في وجه العدو في الركعة الثانية والامام

ينظر لها فيصلي بها ثمانية فاذا جلس للشهادة قامت وأنت برصعة وتلقه ويسلم بها أو يصلي
 الثلاثة بفرقة ركعتين وبالثانية ركعة وهو أفضل من عكسه ويصلي الرابعة بكل فرقة ركعتين
 موبق نوع رابع تقدم عند قوله تعالى فان خفتم فرحالا أو ربكنا (ود) أي تنفي (الذين كفروا ولو
 تغفلون) اذا قمتم الى الصلاة (عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) بأن يحملوا
 عليكم فيأخذوك وهذه ملة الامر بأخذ السلاح ولما كان الله تعالى قد تفضل على هذه الامنة
 ورفع عنها الحرج وكان المطر والمرض بشقان قال (ولاجفاح) أي حرج (عليكم ان كان بكم
 اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) لأن حمل السلاح في المطر يكون سببا للبلل
 وفي المرض يزيد حمله المرض وهنا هو هذا أيضا يجب حمله عند عدم العذر وهو أحد قولي
 الشافعي والثاني أنه سنة ورج بشرط أن لا يؤذى ولا يحصل بترك حمله خطر ولا ينفع صحة الصلاة
 فان أدى كرمح وسط الصف كرمحه بل ان غلب على ظنه ذلك حرم وان حصل بتركه خطر وجب
 حمله ويمكن حمل الآية على هذه الحالة وحمله وضعه بين يديه ان سهل متديدا اليه بل يتعين ان منع
 حمله الصحة من نجس أو غيره (وخذوا حذركم) من العدو أي احذروا منه ما استطيعتم كمالا
 يهجم عليكم (فان قيل) كيف طابق الامر بالحذر قوله تعالى (ان الله أعد للكافرن عذابا)
 أي قتلا وأسرا ونهبا في الدنيا (مهينا) أي ذاهنا (أجيب) بأن الامر بالحذر من العدو
 يوهم توقع غلبته واعتراذه فنفى عنهم ذلك الإيهام بأخبارهم أن الله تعالى يمين عدوهم ويحذله
 وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم ويعلموا أن الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تبع من الله تعالى
 كما قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ولما أعلمهم بما يفعلون في الصلاة حال الخوف اتبع ذلك
 ما يفعلون بعد حال لا يظن أنهم اتفقوا عن مجزئ الذكرك فقال مشيرا الى تعقيبهم (فاذا قضيت الصلاة)
 أي فرغتم من فعلها وأدبروها على حالة الخوف أو غيرها (فاذكروا الله) أي بالتهليل والتسبيح
 والتحميد والتعجيل (قياموا وقعودا وعلى جنوبكم) أي مضطجعين أي اذكروه في كل حال
 وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل
 أحيانه وقبل صلواته ما في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم عند الحرج
 والزمانة (فاذا اطمانتم) أي أمنت بما كنتم فيه من الخوف (فاقيموا الصلاة) أي أدوها
 بحقوقها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا) أي
 مكتوبا أي مقروضا (موقوتا) أي مقدرا وقتها لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه قال صلى الله عليه وسلم
 أنبي جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس والعصر حين كان ظله أي الشيء
 مثله والمغرب حين أظفر الصائم أي دخل وقت افطاره والعشاء حين غاب الشفق الاحمر والفجر
 حين حرم الطعام والشراب على الصائم فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله والعصر
 حين كان ظله مثله والمغرب حين أظفر الصائم والعشاء الى ثلث الليل والفجر فأمر وقال هذا
 وقت الانبياء من قبلك رواء أبو داود وغيره وصححه الحاكم وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم لم يصلي
 الظهر حين صار ظله مثله أي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول حينئذ قاله

الشافعي رضي الله عنه نافيًا به اشتراكهما في وقت ويدل له خبر مسلم وقت الظهر إذا زالت
 الشمس ما لم يحضر العصر ونزل للمائدة صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه
 لما رجعوا من أحد فشقوا الجراحات (ولا تمنخوا) أي تضعفوا (في ابتغاء القوم) أي في طلب
 أبي سفيان وأصحابه (ان تكونوا بالمون) أي تتوجهون من ألم الجراح (فأنهم بالمون) أي
 يتوجهون من الجراح (كما نالمون) ولم يجبنوا عن قتالكم فلا تجبنوا عن قتالهم (وترجون)
 أنتم (من الله) من النصر والنواب على جهادكم (ملا يرجون) هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك
 فيجب أن تكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها (وكان الله عليهم) بأعمالكم وضمائمكم
 (حكيمًا) أي فيما يأمر وينهى (إننا أنزلنا إليك الكتاب) أي القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق
 بأنزل (لتحكم بين الناس بما أراهم) الله أي عرفكم وأوحى به اليك وليس أرى من الرؤى يعنى
 العلم والالاس تدعى ثلاثة مفاعيل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما
 أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك الاليسه ولكن ليثبت رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان مصيبا لأن الله تعالى كان يريه إياه وهو منا الظن والتكليف وروى الكلبي عن أبي
 صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بكسر الطاء
 وقفعها والاول أفصح ابن أبي عمير من بن ظفر بن الحارث مرفق درع من جاره يقال له قتادة بن
 النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى الدار
 ثم أخبرا عن درع رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتفت الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
 ما أخذها وما له به علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فأخذوها فقال
 دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم واسألوه ان يجادل عن صاحبهم فقالوا ان لم تفعل اقتضض صاحبنا فهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يفعل لانه برئ بحلفه وان يعاقب اليهودي لثبوت المال عنده وقبل هم أن يقطع يده
 فقال تعالى (ولا تكن للظالمين) كطعمة (خصيما) أي محاصم ما دافعنا عنهم (واستغفر الله) أي
 عاظمته به أي من الذب عنه وهذا الاستغفار لا عن ذنب اذ هو منزه عن ذلك معصوم ولكن عن
 مقام عال سام للارتقاء الى أعلى منه وأتم (ان الله كان عفورا رحيمًا) لمن يستغفره (ولا تجادل
 عن الذين يخفون أنفسهم) أي يخفونهم بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم (فان قيل) لم قال
 للظالمين ويخفون أنفسهم وانما نحن واحد فقط (أجيب) بأنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان
 خيانتها وليتناوله وقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائه وخصاه واعنه وقبل
 ان هذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما
 أنزلنا اليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على احد وجوه ثلاثة اما الذنب تقدم على
 النبوة والذنب أتمه أو لمباح جاء الشرع بغيره فيتركه كدالاستغفار فالاستغفار يكون معناه
 السمع والطاعة لحكم الشرع (ان الله لا يحب) أي يعاقب (من كان خوفًا) أي كثير الخيانة
 (أنبياء) أي منهم مكانه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد وثقب حائطًا ليسرق متاع أهله

الحائط عليه فقتله (فان قيل) لم قال شؤنا انما على المبالغة (أجيب) بأن الله تعالى كان
 عالما من طعمة بالانواط في الخيانة وركوب المأثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقبل
 اذا عثرت من رجل على سبيته فأعلم ان لها أخوات وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه أمر بقطع يد
 سارق فجاءت أمه تسكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف منه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ
 عبده في أول مرة (يستخفون) أى طعمة وقومه يستترون ويستنجبون ويخافون (من الناس
 ولا يستخفون) أى ولا يستنجبون ولا يخافون (من الله) وهو أحق أن يستصبا ويخاف منه (وهو
 منهم) بعله لا يخفى عليه سرهم (اذيبتون) أى يدبرون لبلا على طريق الأمعان في الكفر
 والاتقان للرأى (ملا يرضى من القول) أى من رى اليهودى بالسرقه وشهادة الزور عليه
 والحلف الكاذب على نفيها (فان قيل) لم سمى التدبير قولا وانما هو معنى في النفس (أجيب) بأنه
 لما حدث بذلك نفسه سمى قولا مجازا قال في الكشف ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب
 الذى حلف به بعد أن بينه (وكان الله بما يعملون محيطا) أى علما وقدره لا يفوت عنه شئ وقوله
 تعالى (ها أنتم هؤلاء) خطاب لقوم طعمة أى ياهؤلاء (جادلتم) أى خاصمتم (عنهم) أى عن طعمة
 وذويه (في الحياة الدنيا) أى بما جعل لكم من الاسباب (فنجادل الله عنهم يوم القيامة)
 اذا عذبهم (أم من يكون عليهم وكيل) يتولى أمرهم ويذب عنهم أى لا أحد يفعل ذلك
 * (فائدة) * اتفق كتاب المصاحف على قطع أم عن من (ومن يعمل سوا) أى ذنبا يسوءه غيره
 كرمى طعمة اليهودى (أو يظلم نفسه) أى يعمل ذنبا يختص به لا يعتداه وقيل المراد بالقول
 الصغيرة والثانى الكبيرة (ثم يستغفر الله) أى يطلب من الله تعالى غفرانه بالتوبة بنسروطها
 (يجد الله غفورا) أى يحيا للزلات (رحيما) أى ما الغا في اكرام من يقبل اليه كما في الحديث
 عن الله من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى
 بشى أتته هرولة وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ان هذه الآية نزلت من بعد ما
 يجزيه (ومن يكسب اثما) أى ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) أى لا توبه راجع عليه اذ الله له
 بالمصادفه ومجازيه عليه فلا يعتد به وبالله قال تعالى وان أسأتم فلها (وكان الله عليما) بالغ العلم
 بدقيق ذلك وجليله فلا يترك شئ أمته (حكيم) فى منعه فلا يجازيه الا بعقد اذنبه (ومن يكسب
 خطيئة) أى ذنبا صغيرا أو مالا همد فيه (أو اثما) أى كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به بريئا) أى
 ينسبه الى من لم يعمل كما فعل طعمة باليهودى (فتداحل) أى تحمل (به ثانا) أى خطر كذب
 يهت المرى به (واثما) أى ذنبا كبيرا (مبين) أى يينا يكسبه بسبب رى البرى (ولو لا فضل الله
 عليك يا محمد (ورحمته) بالعصمة (لهم طائفة منهم) أى من قوم طعمة أى هـ ما مؤثر عندك
 (أن يضلوك) أى عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال بتدليسهم عليك فلا ينافى ذلك أنهم قد هموا
 بذلك لأن الهم المؤثر لم يوجد (وما يضلون إلا أنفسهم) اذ وبال ذلك عليهم (وما يضرونك من شئ)
 فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميسلا فى الحكم
 * (تنبيه) * من شئ فى موضع نصب على المصدر أى شيا من الضرف من زيادة (وأرسل الله عليك

الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السنة فأنه الست قرأ ما تلى وفسرت أيضا بانها علم
 الشرائع وكل كلام وافق الحق (وعلم ما لم تكن تعلم) أى من المشكلات وغيرها غيبا وشهادة
 من أحوال الدين والدنيا (وكان فضل الله عليه عظيما) أى بهذا وغيره من أمور لا تدخل تحت
 الحصر وفى هذا دليل على أن العلم من أشرف الفضائل (لاخبرني كثير من نجبواهم) أى الناس
 قوم طعمة فانهم ناجوا النبي صلى الله عليه وسلم في الدفع عنه وكذا غيرهم (الا) بخوى (من أمر
 بصدقة) راجبة أو مندوبة (أو معروف) أى عمل بر وتميل المراد بالصدقة الواجبة والمعروف
 صدقة التطوع (أرأى صلاح بين الناس) وسواء اصلاح ذات البين وغيرهم قال صلى الله عليه وسلم
 كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ما كان من أمر معروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وسمع سفیان
 رجلا يقول ما أشده هذا الحديث فقال ألم تسع الله يقول لاخبرني كثير من نجبواهم فهو هذا
 بعينه أو ما سمعته يقول والعصران الانسان لني خسر فهو هذا بعينه وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول
 الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الخالقة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
 ليس بالكذب من أصل بين الناس فقال خيرا أو أئني خيرا (ومن يفعل ذلك) أى هذا المذکور
 (انقاه) أى طلب (مرضاة الله) أى لاغيره من أمور الدنيا لان الاعمال بالنيات (فوف
 بوعده) أى الله في الآخرة بوعده لاخلف فيه (أجر أعظيما) هو الجنة والنظر الى وجهه الكريم
 وفى هذه الآية دلالة على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال الباطن في اخلاص
 النية وتصفية القلب من الالتفات الى غرض دنيوى وقرأ أبو عمرو وحزرة بؤبه بلباس والباقون
 بالنون (ومن يشاقق الرسول) أى يخافه فيما جاء به مأخوذ من الشق فأتى كلام المتخالفين
 في شق غير شق الآخر (من بعدد ما تبين) أى ظهر (له الهدى) أى الدليل الذى هو سببه
 (ويتبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بأن يتبع غير دين
 الاسلام (توله ما تولى) أى يجعله واليا لما تولى به من قبله وبينه وبينه فى الدنيا (وفصله) أى ندخله
 فى الآخرة (جهنم) يحترق فيها (وسامت مصيرا) أى مرجعها وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة قوله
 ونصله بسكون الهاء واختم بسكرة الهاء فالون ولهشام وجهان الاختلاس كفالون واشباع
 الحركة بكافى القراء (فان قيل) ما الحكمة فى فك الادغام فى قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
 والادغام فى سورة الحشر فى قوله تعالى ومن يشاقق الله (أجيب) بأن أل فى لفظ الجلالة لازم
 بخلافه فى الرسول والزوم يقتضى النقل تخفيف بالادغام فيما صحبه الجلالة بخلاف ما صحبه
 لفظ الرسول (فان قيل) يرد هذا قوله تعالى فى سورة الانفال ومن يشاقق الله ورسوله (أجيب)
 أنهما انضم الرسول الى الله صار المعطوف والمدةطوف علمه كالشي الواحد (ان لله لا يقفر
 ان يشرك به) أى وقوع الشرك به من أى شخص كان وبأى شئ كان (وبقوله فما) أى كل
 شئ هو (دون ذلك) أى من سائر المعاصى لكن (لم يشاء) لان جميع الامور بمشيئته روى
 ان شيئا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى شئ منكم فى الذنوب الا فى

أشرك بالله شيأ من ذرئته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم وقع المعاصي جراءة وما توهمت
 طريقة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم نائب مستغفر فأتى حالى عند الله فزلت (ومن يشرك بالله
 فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وابعدها عن الصواب
 والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ
 شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله (ان) اى ما (يدعون) اى يعبد المشركون (من
 دونه) اى غير الله (الا انا) وهى اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حتى من احياء
 العرب الا اولهم صنم يعبدونه ويسمونه اثنى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى اصنامهم هت بنات
 الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله (وان) اى ما (يدعون) اى يعبدون
 عبادتها (الاشية طامر يذا) اى خارجا عن الطاعة وهو ابليس لانه الذى امرهم بعبادتها
 واغراهم عليها فكانت طاعته فى ذلك عبادة له (لغنه الله) اى ابعدته عن رحته (وقال)
 الشيطان المذكور (لا اتخذ من عبادك نصيبا) اى حظا (مقروضا) اى مقطوعا ادعواهم فيه
 الى طاعتي قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار (ولا ضلنهم) اى عن
 طريق السوى بماسلطينه من الوسواس وتزيين الاباطيل (ولا منينهم) اى بكل ما أقدر
 عليه من الباطل من عدم البعث والحساب والجنة والنار وغيره وألقى فى قلوبهم طول الاعمار
 وبلغ الآمال من الدنيا والآخرة بالرجة والخنو والاحسان ونحوه مما هو سبب للتسوية
 بالتوبة (ولا مننهم فليستكن) اى يقطعن (أذن الانعام) كما كانت العرب تفعله بالهائم
 والسوايب التى حرّموا على أنفسهم كانوا يشقون أذان النساء اذا ولدت خمسة أبطن وجاء
 الخامس ذكر امرؤا على أنفسهم الانتفاع بها (ولا مننهم فليغيرن خلق الله) اى فطره الله
 التى هى دين الاسلام بالكفر وحلال ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله ويدخل فى ذلك اللواط
 والسحر والوشم وهوان يغرز الجلد بآبرة ويمشى بغيره والوشم وهوان تحسد المرأة أسنانها
 وترققها ونحو ذلك وكل نكاح وهو حرام فى بنى آدم قال الزمخشري وعند أى حنفية بكرة شراء
 الخصبان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصامهم وأما فى اليها ثم فيصوزن
 المأكول الصغير ويحرم فى غيره وقيل الحسن رحمه الله تعالى ان عكرمة يقول المراد هنا هو
 الخمص فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم (ومن يتخذ الشيطان وليا)
 أى يتولاه ويطيعه (من دون الله) أى غيره (فقد خسر خسرانا كبيرا) ينال مصيره الى النار
 المؤبدة عليه (يهدم) ما لا يجزه بأن يخيل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالسوسة فى شئ من
 الاباطيل انه قريب الحصول فيسعون فى تحصيله فيضيع عليهم فى ذلك الزمان ويركبوا
 ما لا يصل من الاحوال والهوان (ويجنهم) نيل الآمال فى الدنيا ولا بعث ولا جزاء (وما) أى
 والحال انه ما (يهدم الشيطان) بذلك (الاعرورا) أى باطلا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
 وهذا الوعد اما بالخواطى أو بلسان أو لبانه (أولئك) أى الشيطان وأولياؤه (وأوهم) أى
 مقترهم (جهنم) يحترقون فيها ولا يجدون عنها محمصا) أى معدلا ومهربا ولما ذكر ما للكافرين

ترهبنا تبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال (والذين آمنوا) أى أقروا بالآيمان (وهملوا الصالحات) أى
 الطاعات تصد بقا لأقارهم (سندخلهم) بوعد لا خلف فيه (جنات تجري من تحتها الأنهار) أى
 لرى أرضها نخشا أجري منها نهر جري (خالدين فيها) ولما كان الخلود يطلق على المكث
 الطويل دفع ذلك بقوله تعالى (أبدا) أى لا إلى آخر (وهذا الله حقا) أى وعدهم الله ذلك وهو
 قوله تعالى سندخلهم وحقه حقا (ومن) أى لا أحد (أصدق من الله قولا) أى قولاً أكثر
 سبحانه وتعالى من التأكيد هنا لأنه في مقابلة وعد الشيطان ووعد الشيطان موافق للهوى
 الذى طبع عليه النفوس فلا تنصرف عنه إلا بعسر شديد * نزل لما افتخر المسلمون وأهل
 الكتاب وهم اليهود والنصارى فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبكمم وكنا قبلكم كما تكلم قبض أولى
 بأمة منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكنا نبيا يقضى على الكتب وقد آمننا بكم ولم تؤمنوا
 بكمنا فنحن أولى (ليس) أى الأمر منوطا (بأمانيتكم) أيها المسلمون (ولا أمانى أهل الكتاب)
 بل بالآيمان والعمل الصالح (من يعمل سواء يجزيه) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية شقت
 على المسلمين وقالوا يا رسول الله أينالم يعمل سواء غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا
 أى بالبلاء والهن كما ورد فى الحديث من يعمل حسنة لله عشر أمثالها ومن جوزى بالسببة
 نقصت واحدة من عشرته ونبي له تسع حسنات فويل لمن غلبت أحاده أعشاره وأما ما كان جزاء
 فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيائه فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى
 الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال كنت عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه الآية من يعمل سواء يجزيه (ولا يجزى من دون الله)
 أى غيره (ولما) أى يحفظه (ولا نصبر) أى يمتعه منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا
 بكر ألا قرئت آية نزلت على قلت بلى يا رسول الله قال فأقرأنيها قال ولا أعلم أنى قد
 وجدت انقصا ما فى ظهري حتى غطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر
 فقلت يا رسول الله بأنى أنت وإمى وإيا لم يعمل سواء وأنا لجزىون بكل سوء عملناه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فيجزون بذلك فى الدنيا أى بالبلاء والهن
 كما مر حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة
 (ومن يعمل) شيئا (من الصالحات) فإن كل أحد لا يتكبر من كلها وإيسر مكلفاها وقوله تعالى (من
 ذكر أو أنشئ) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان أن من الصالحات أى كائنه من
 ذكر أو أنشئ ومن للإبدا وقوله تعالى (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء
 الثواب المذكور ترتيبها على أنه لا اعتداد بالعمل الصالح دون اقترانها (فأولئك) أى العالو
 الرتبة (يدخلون) أى يدخلهم (الجنة) أى الموصوفة (ولا يظلمون فيها) قدرقرة النواة
 من ثواب أعمالهم وإن لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى أن لا يزاد عقاب العاصى لأن الجاهزى
 هو أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقب الثواب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بضم
 الباء وفتح الخاء والباءون بفتح الياء وضم الخاء (ومن) أى لا أحد (أحسن ديناً من أسرك وجهه)

اى اتقاد واخلص عله (لله) فلا سرکه ولا سكون الا فيما يرضاه وفي هذا الاستفهام تنبيه على
 ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية (وهو) اى والحال انه (محسن) اى مؤمن مراقب ات
 بالحسنات تارك للسيئات لانه يعبد الله كأنه براء وقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين
 كله اصلا وفرعاً مع الترغيب بالممدح الكامل لتبجعه وافهام الذم الكامل لغيره (واتبع ملة
 ابراهيم) اى الموافقة لملة الاسلام وقوله تعالى (حنيفاً) حال اى ما تلاحن الاديان كلها الى الدين
 القيم (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) اى صفيها خالص المحبة له وانما اعاد ذكره ولم يضمه تغنيما له
 وتنصيصاً على انه المددوح والخلة من الخلال فانه قد تخلل النفس وخالطها قال الزجاج
 الخليل الذى ليس في محبته خلل والخلة الصداقة فسمى خليلاً لان الله تعالى أحبه واصطفاه
 روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف
 من مر به من الناس فأصاب الناس سنة عشر والى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرزة
 كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلماناً بالابل الى الخليل الذى بمصر فقال خليله لعلهم
 لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من
 الشدة فرجع غلمانهم فزوا بطعام أى بأرض ذات حصص فقالوا لو اننا حللنا من هذه البطعام ليرى
 الناس اننا قد جئنا بميرة فانا نسعى ان نغريهم والبلنا فارغة فقلوا تلك القرائن ثم أتوا ابراهيم فلما
 أخبروه بذلك وسارة نائمة ساءم الخبر فغلبته عيناه فقام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت
 سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى فقامت الى القرائن ففتحتها فاذا هو أجرد حواري أى وهو
 بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الدقيق الذى تخلل مرة بعد اخرى فأمرت الخبازين
 لغريزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد رائحة الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت من
 خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسمي الله خليلاً (ولله ما فى السموات
 وما فى الارض) خلقاً ولم يكافعل فيه ما مائشاء (وكان الله بكل شئ محيطاً) علماً وقدره أى ولم
 يزل متصفاً بذلك فهو ما أراد كان في وعد وعيد لم يطيع والعاصي لا يخفى عليه أحد منهم
 ولا يعجزه شئ (ويستفتونك) أى يطلبون منك الفتوى (فى) شأن (النساء) أى فى شأن النباى
 (قل الله يفنيكم) أى يبين لكم حكمه (فيهن) والافتاء يبين المبهم (و) يفنيكم أيضاً (ما يتلى
 عليكم فى الكتاب) أى القرآن من آية الميراث (فى نباى النساء) اى فى شأن النباى (اللاقى
 لا تقولن من ما كذب) اى فرض (لهن) أى من الميراث (وترغبون) أيها الاولياء (ان) أى فى ان
 أوعن ان (تفكوهن) لجمالهن أودمامتهن قالت عائشة رضى الله تعالى عنها هى اليتيمة
 تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة
 صداقها وان كانت مرغوبة فى قلة المال والجمال تركها وفى رواية هى اليتيمة تكون فى حجر
 الرجل قد سركتها فى ماله فيرغب عنها أن يتزوجها لدمامتها ويكره أن يتزوجها غيرة فيدخل عليه
 فى ماله فيهبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله تعالى عن ذلك (و) يفنيكم فى (الاستضعفين) أى
 الصغار (من الولدان) أى أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب كانوا يورثونهم كالأورثون النساء

وقوله تعالى (وان تقوموا) في محل نصب باضمار فعل أي وبما ركم ان تقوموا (للسامى) بالقسط
 أي العدل من المبراث وغيره والخطاب للامة في ان ينظر والهم ويستوفوا حقهم أو لتمام
 بالنصفة في شأنهم (وما تفلحوا من خير) أي في ذلك أو غيره (فان الله — كان به عليم) أي
 فيجاز يكتم عليه فانه اكرم الاكرمين فطيس وانفسا وقر واعينا قال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة
 قد كبرت وله منها أولاد فاراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت له لا تطلقني ودعني على ولدي
 واقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو واجب الي
 فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأ نزل الله تعالى (وان امرأة) مرفوع بفعل بفسره
 (خافت) أي توقعت (من يعاها) أي زوجها (نشوزا) أي تجافيا عنها وترفعان محبة كراهة
 لها ومنه الحقوقها (أو اعراضا) بأن يقل محادثتها ويجالسها (نلاجناح ليم) أي الزوج
 والزوجة (ان يصلحا بينهما صلحا) أي في القسم والتفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد
 دخلت في السن واني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أو ثرها عليه في القسم لئلا ينهارا
 فان رضى بي بهذا فقبلي وان كرهت خليت سبيلك فان رضىت كانت هي المحسنة ولا تجبر على
 ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيهما حقهما من القسم والتفقة أو يسرحهما
 باحسان فان أمسكها وفاها حقهما مع كراهة فهو المحسن وقرأ أصم وحجزة والكسائي بضم
 الياء وسكون الصاد ولا ألف من أصل بين المتنازعين والباقون بفتح الياء وفتح الصاد مع
 التشديد ولا ألف بعدها وفتح الهم وفيه ادغام التاء في الاصل في الصاد وغلظ ورش اللام من
 يصلح لاجل خلاف عنه (والصلح) بأن يترك كل منهما حقه أو بعض حقه (خير) من الفرقة والنشوز
 والاعراض كما يروى أن سودة كانت امرأة كبيرة أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفارقها
 فقالت لا تطلقني وانما بي أن ابعت في نساءك وقد جعلت نوبتي لعائشة فأمسكها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة ثم بين سبحانه وتعالى ما جبل عليه الانسان
 بقوله (وأحضرت الانفس الشح) أي جبلت عليه فكانها حاضرة لا تغيب عنه فلا تنكح المرأة
 تسمح بالاعراض عنها والقسم في حقها ولا بنفسه بأن يمسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغي اذا الزوج
 لا يكاد يسمع بنفسه اذا كرهها وخصوصا اذا أحب غيرها والشح أقبح البخل وحقه الحرص
 على منع الخير (وان تحسبوا) أي في عشرة النساء وان كنتم كارهين (وتتقوا) أي النشوز
 والاعراض ونقص الحق (فان الله كان) أزلا وأبدا (بما تعملون) أي من الاحسان والخصومة
 (خيرا) أي علميا به وبالغرض منه فيجاز يكتم عليه (ولن تستطيعوا) أي توجدوا من أنفسكم
 طواعية بالغة دائمة (ان تعدلوا) أي تسووا بين (النساء) أي في المحبة لان العدل أن لا يقع
 ميل البتة وهو معذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل
 ويقول هذا قسمي فيما أملك فلا تقرأخذني فيما تملك ولا املك رواه ابو داود وغيره وصححه الحاكم
 (ولو حرصتم) على تحزى ذلك وبالغتم فيه (فلا تميلوا) أي الى التي تحبون (كل الميل) في القسم

والدفقة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله (فتذكروها) أى تتركوا المرأة الممال عنها (كلما لعلقة)
 أى التى لاهى أيم ولا ذات بعل وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كان له امرأتان عيب الى
 أحدهما جاء يوم القيامة واحدى شقيه مائل رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم وروى أن عمر
 رضى الله تعالى عنه بعث الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال فقات عائشة رضى الله
 تعالى عنها الى كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات
 بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا
 فى القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتته لهن جميعا وكان لما ذرضى الله تعالى عنه
 امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ فى بيت الاخرى قياتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر
 واحد (وأن تضلوا) أى ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فبالمستقبل (فإن الله
 كان غفورا) أى لما فى قلوبكم من الميل (رحيما) بكم فى ذلك وغيره فإنه أرحم الراحمين
 (وأن يتقوا) أى يتقوا كل من الزوجين من صاحبه بالطلاق (بغنى الله كلا) منهما عن الآخر
 ببدل بأن يرزقها زوجها ويرزقه غيرها أو سلوا (من سعة) أى من فضله وكرمه (وكان الله واسعا)
 أى واسع الفضل والرحمة بخلقه (حكيم) أى فيما دبره لهم وفى قوله تعالى (ولله ما فى السموات
 وما فى الارض) أى ملكا وعبيدا تنبيه على كمال سعة وقدرته (ولقد وصينا الذين
 أوثنا الكتاب) أى جنس الكتاب (من قبلكم) أى اليهود والنصارى ومن قبلهم وقوله تعالى
 (وإياكم) عطف على الذين وهو خطاب لاهل القرآن (أن اتقوا الله) أى بأن اتقوا الله أى خافوا
 عقابه بأن تطيعوه وقوله تعالى (وأن تكفروا) أى بما وصيتم به (فإن لله ما فى السموات
 وما فى الارض) على ارادة القول قال التقمنا زانى لأن الجملة الشرطية لا تصح أن تقع بعد
 أن المصدورية فلا يصح عطفها على الواقع بعدها أى وقتنا لهم ولحكم ان تكفروا فإن الله مالك
 الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما يوصيكم لرحمته
 لا لحاجته ثم قرأ ذلك بقوله تعالى (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حمدا) فى ذاته حمد
 أولم يحمد (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيل) أى شهيد بأن ما فيه ماله (فان
 قيل) ما فائدة تكرير لله ما فى السموات وما فى الارض (أجيب) بأن لكل واحدة منها وجهها
 أما الاول فعناء الله ما فى السموات وما فى الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته وأما
 الثانى فعناء الله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا حمدا أى هو الغنى المطلق فاطلبوا
 منه ما تطلبون فإنه لا ينعدم ما عنده وأما الثالث فعناء الله ما فى السموات وما فى الارض وكفى
 بالله وكيل ولا تتوكلوا على غيره فذكرت كل مرة دلالة على شئ غير الذى قبله وكررت لأن الدلائل
 الواحدة اذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن أن يستدل به على كل واحد منها واعادته
 مع كل واحد أولى من الاكتفاء بذكره مرة واحدة لأن اعادته تفضل فى الذهن ما يوجب العلم
 بالمدلول فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجل وفى ختم كل جملة بصفة من الصفات
 الحسنى تنبيه الذهن بها الى أن هذا الدليل محتوم على أمر اشرىفة ومطالب جلية لا ينحصر

فيجتهد السامع في التفكير لاظهار الامرار والاستدلال على صفات الكمال لان الغرض التكملي
 من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفته
 سبحانه وتعالى وهذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكد (ان يشأ يذهبكم) أي
 ينسفكم (أيها الناس) كما وجدكم (ويأت بآخرين) أي ويوجد قوما آخرين مكانكم
 أو خلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) أي الاعداء والايجاد (قدرا) أي بليغ
 القدرة لا يمنع عليه شيء أواده وقبل هذا خطاب لمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من العرب ان يشأ ينسفكم ويأت بناس آخرين يوالونه وروى أنه لما نزلت ان يشأ يذهبكم
 الآية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا أي سلمان
 وهم بنو فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) الخسيسة الفانية كالجهاد والجهاد للجنة لقصور
 نظره على الخسيس الحاضر مع خسسته كالبهايم (فعد الله ثواب الدنيا) الخسيسة الفانية
 (والآخرة) النفيسة الباقية لا عند غيره فإله يطلب الخسيس فليطلب ما منه كن يقول ربنا
 آتيناك الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو لطلب الاشرف منها فان من غلب همته فأقبل بقلبه
 اليه وقصر همه عليه جمع له سبحانه وتعالى بينهما كن بجاهد الله خالصا يجمع له بين الآخرة
 والغنى (وكان الله سمعا) أي بالغ السمع لكل قول وان خفي (بصيرا) أي بالغ البصر لكل ما يصر
 وان خفي (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي قائمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه
 (بالقسط) أي بالعدل (شهد الله) بالحق أي تقيمون شهادتكم لوجه الله (ولو) كانت الشهادة
 (على انفسكم) فاشهدوا عليه بان تقروا بالحق ولا تسكتوه (أو الوالدین والاقرین) أي ولو كانت
 الشهادة على والديكم وأقاربكم (ان يكن) أي المشهود عليه (غنيا) فلا تنزع الشهادة عليه لغناه
 طلب الرضا (أو فقيرا) فلا تنزع ترجاع عليه (فإنه أولى بهما) أي الغنى والفقير وبالنظر لهما
 فلو لم تكن الشهادة لهما أو عليهم ماصلا لما شرعها * (تنبيه) * الضمير فيهما راجع الى ما دل
 عليه المذكور وهو جنس الغنى والفقير لا الهما والاولو حرا لكون العطف بأو فكأنه قال
 فإنه أولى بجنس الغنى والفقير أي بالاعنياء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) أي في شهادتكم
 بان تحابوا الغنى لرضاء أو الفقير رجة له (ان تعدلوا) أي ارادة ان تعدلوا فعد بان لكم
 ان لا عدل في ذلك أولئك تعدلوا أي يتلو عن الحق (وان تلوا) أي ألسنتكم تعرفوا الشهادة
 (أو تعرضوا) أي عن آذانها (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به وقرأ ابن عامر وجزء
 بضم اللام وحذف الواو الاولى والباقيون بسكون اللام وواوین الاولى مضمومة (يا أيها الذين
 آمنوا آمنوا) أي داوموا على الايمان (بأنه ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) محمد صلى الله
 عليه وسلم وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) على الرسل بمعنى الكتب أي آمنوا بجميع
 كتب الله المنزلة وقيل ان الخطاب في ذلك لاهل الكتاب روى ان ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول
 الله اننا نؤمن بك وبكتابك وبعيسى والتوراة وعزير ونكفر عساؤه فقال لهم النبي صلى الله
 عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله تعالى هذه الآية

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم النون من نزل وضم الهمزة من أنزل وكسر الزاي فيها
 والباقون بفتح النون والهمزة وفتح الزاي فيها (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه) التي أنزلها على
 أنبيائه (ورسله) أي من الملائكة والبشر (واليوم الآخر) أي الذي أخبرته به رسله وهو يوم
 القيامة أي ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل صلا لا بعيدا) عن الحق بحيث لا يكاد يعود إليه
 وقرأ قالون وابن كثير وعاصم بظاهر دال قد عند الضاد والباقون بالادغام (أن الذين آمنوا)
 أي بموسى وهم اليهود (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عود موسى إليهم (ثم كفروا)
 بعيسى (ثم ازدادوا كفرًا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) أي ماداموا
 على هذه الحالة لأنه لا يغفر أن يشركه (ولا يهديهم سبيلا) أي طريقا إلى الحق (بشر المنافقين)
 يا محمد (بأن لهم عذابا أليما) أي مؤلما هو النار (تنبيه) وضع بشر مكان أنذرتم كلهم وقوله
 تعالى (الذين) بدل أو نعت للمنافقين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما يتوهمون
 فيهم من القوة وقوله تعالى (أيتقون) أي أيعلمون (عندهم العزة) استغفاهم انكارى أي
 لا يجدونها عندهم (فإن العزة لله جميعا) في الدنيا والآخرة ولا يناله إلا أوليائه قال الله تعالى
 ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد) أي تتخذونهم والحال أنه قد (نزل عليكم) أي أيها الأمة
 الصادقين منكم والمنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الانعام النازلة بمكة المشرقة النهى
 عن مجاسمتهم فضلا عن ولايتهم (أن) أي انه فهمى مخففة واسمها محذوف (إذا سمعتم آيات الله)
 أي القرآن (يكفروا بها ويستمزجوها فلا تتعدوا معهم) أي الكافرين والمستتمزجين
 (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يأخذوا في حديث غير ذلك قال الضمالي عن ابن
 عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل متدع إلى يوم القيامة وقرأ عاصم نزل بفتح
 النون والزاي والباقون بضم النون وكسر الزاي (انكم إذا) أي ان قد تم معهم (مثلهم) أي
 في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو الكفران رضيت به وقيل كان الذين
 يتقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون ف قيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في
 الكفر وبذل عليه قوله تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أي القاعدین
 والمقعود معهم كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستمراء وقوله تعالى (الذين) اما بدل من
 الذين قبله واما صفة للمنافقين واما نصب على الذم منهم (يتربصون) أي ينظرون وقوع
 أمر (بكم) فان كان لكم فتح من الله أي ظفر وغشمة (قالوا) لكم (ألن كنن معكم) أي في الدين
 والجهاد فاجعلوا لنا نصيبا من الغنية (وان كان للكافرين نصيب) أي من الظفر فان الحرب
 سجالا وعبر نصيب تحقيرا لظفرهم بالنسبة لما حصل للمسلمين من الفخ (قالوا) لهم
 (ألن نستحوذ) أي نستول (عليكم) ونقتدر على أخذكم وقتلكم فأبشع عليكم (وتنعمكم من
 المؤمنين) أي من تسلطهم عليكم عما كانوا قد فعلوا به ونشيع فيهم من الارجافات والامور
 المرعبة الصارفة لهم عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لاطهارنا للايمان ومراد المنافقين
 بذلك اظهار المنة على الكافرين (فأنه يحكم بينكم) وبينهم (يوم القيامة) بأن يدخلكم الجنة

ويدخلهم النار (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى طريقا بالاستئصال واحتج
 أصحابنا بهذه الآية على فساد شراء الكافر العبد المسلم (أن المنافقين يخادعون الله)
 أى باظهارهم خلاف ما يظنون من الكفر ليدفعوا عنهم احكامهم الدينية (وهو خادعهم) أى
 مجازيهم على خداعهم فيه فتضعهم في الدنيا باطلاع نبيه على ما يظنون ويبيعهم في الآخرة
 (واذا قاموا الى الصلاة) مع المؤمنين (قاموا اكسائي) أى متناقلين كما ذكره بن على الفعل
 (يراؤون الناس) بصلاتهم ليعظموهم مؤمنين (ولا يذكرون الله) أى ولا يصلون (الا قليلا) أى حين
 يتعين ذلك طريقا لخادعتهم ولا يصلون غائبين قط عن عيون الناس وما يجهرون به أيضا الا
 قليلا لانهم ما وجدوا مندوحة عن تكلف ما ليس في قلوبهم لم يكفوه ويحوز أن يراد بالقلة
 العدم (فان قيل) اما معنى المرا آة وهي مفاعلة من الرؤية (أجيب) بأن المرائي يريهم عمله وهم
 يرون استخسانه وقوله تعالى (مذبذبين) حال من واوراؤون أى مترددين (بين ذلك) أى الكفر
 والايان (لا) منسوبين (الى هؤلاء) أى الكفار (ولا الى هؤلاء) أى المؤمنين (ومن يضلل الله)
 أى يضله (فان يجده سبيلا) أى طريقا الى الهدى ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله نورا فلما
 له من نور (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (أولياء من دون
 المؤمنين) فانه صنع المنافقين ودينهم فلا تشبهوا بهم (أتريدون ان يجعلوا الله عليكم) أى
 بعبادتهم (سلطانا) أى دليلا على كفركم باتباعهم غير سبيل المؤمنين (مبيننا) أى واضحنا على
 نفاقكم (ان المنافقين في الدرك) أى البطن (الاسفل من النار) أى لان ذلك أخفى ما في النار
 وأستره وأخبئه كما أن كفرهم أخفى الكفر وأخبشه وأستره وسجيت طبقات النار دركات لانها
 متدركة متتابعة الى أسفل كما كان الدرج متراقية الى فوق (فان قيل) لم كان المنافق أشد عذابا
 من الكافر (أجيب) بأنه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله وقرأ أعاصم
 وحزق والكسائي بسكون الراء والباقر بن قحطبا (ولن يجادلهم نصيرا) أى مانعا يمنعهم من
 عذاب الله تعالى فيخرجهم (الا الذين تابوا) أى رجعوا عما كانوا عليه من النفاق (وأصلحو)
 أى أعمالهم (واعصموا) أى وثقوا بالله وأخلصوا دينهم لله) من الرياء فلا يريدون بطاعتهم
 الا وجهه تعالى (فأولئك مع المؤمنين) في الجنة (وسوف يوثق الله المؤمنين أجرا عظيما)
 فيشاركونهم ويساهمونهم (فان قيل) من المنافق (أجيب) بأنه في الشريعة من أظهر الايمان
 وأطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا للتغليظ كقوله صلى الله عليه وسلم
 من ترك الصلاة متعمدا فهو كافر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق
 وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخاف واذا اثنى خان
 وقيل لحديثه رضى الله تعالى عنه من المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به (وقيل)
 لابن عمر رضى الله تعالى عنهما دخل على السلطان وتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه
 فقال كنا نعهده من النفاق (فائدة) اتفق كتاب المصاحف على حذف الياء من يوثق الله ولا سبب
 لحذفها (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم) نعماءه (وآمنتم به) أى لبنتي به غيظا ويدفع ضرا

أو يستجاب به شفاعته وهو الغنى المطابق المتعالى عن النفع والضرة والاستفهام بمعنى النفي أى
 لا يعذبكم (فان قيل) لم قدم الشكر على الايمان مع أنه لا ينفع مع عدم الايمان (أجيب)
 بأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكرهم ما فاذا انتهى الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر
 شكره منفصلاً فكان الشكر متقدماً على الايمان وكأنه أصل التكليف ومداره فيؤمن به والشكر
 ضد الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها (وكان الله شاكراً) لأعمال المؤمنين بالاثابة
 يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليه) بخلافه (لا يحب الله الجهر بالسوء) أى القبيح (من القول)
 من أحد أى يعاقب عليه (الامن) أى جهر من (ظلم) وهو ان يدعو على الظالم ويذكر بما هو فيه
 من سوء فلا يؤاخذ به قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال
 الحسن البصرى دعاءه عليه أن يقول اللهم أعنى عليه اللهم استخرج حقى منه وقيل ان شتم
 أجازله ان يشتم عمله لا يزيد عليه وقال مجاهد هذا فى الضيف اذا نزل بقوم فلم يقره ولم يحسنوا
 ضيافته فله ان يشتمك ويذكر ما صنع به روى أن رجلاً اضاف قوماً أى نزل بهم ضيفاً فلم
 يطعموه فأصبح شاكياً فعوتب على الشكاية فترأت وعن عقبه بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك
 تبعنا فنزل بقوم فلا يقر ولا نأمرى فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم بقوم فأمروا
 لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى يبغي لهم (وكان الله
 سميعاً) لكل ما يقال ومنه دعاء المظلوم (عليه) بكل ما يفعل ومنه فعل الظالم (ان تبدوا) أى
 تظهروا (خيراً) من أعمال البر (أو تخفوه) أى تعملوه سرا (أو تعفوا عن سوء) أى عن مظلمة
 (فان الله كان) أى دائماً أزلاً وأبداً (عذواً قديراً) أى يكفر العفو عن العصاة مع كمال قدرته
 على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على تهمة العفو بعد ما رخص له فى الانتصار رجلاً
 على مكارم الاخلاق وقوله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله) نزل فى اليهود وذلك انهم آمنوا
 بموسى والتوراة وعزروا كفرة وابعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويريدون أن
 يفترقوا بين الله ورسوله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى
 نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) أى طريقاً وسطاً
 بين اليهودية والاسلام ولا واسطة اذا الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسوله
 ونصدقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً واجمالاً والكافر ببعض ذلك كالكافر بالسكل فى الضلال قال
 تعالى فإذا بعد الحق الاضلال (أولئك هم الكافرون) أى الكاملون فى الكفر وقوله تعالى
 (حقاً) مصدر مؤكد لضمون الجملة قبله (وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً) أى ذاهاتة وهو
 عذاب النار ولما بين سبحانه وتعالى ما أعد له للكافرين بين ما أعد للمؤمنين بقوله تعالى (والذين
 آمنوا بالله ورسوله) كلهم (ولم يفرقوا بين أحد منهم) بان كفر واحد وبعض وآمنوا ببعض كما فعل
 الاشقياء منهم وانما أدخل بين على أحد وهو يقتضى متعدداً العموم من حيث انه وقع فى سياق
 النفي (أولئك) أى العالوا الرتبة فى رب السعادة (سوف نؤتيهم) بوعده لا خلف فيه وان تأخر
 (أجورهم) الموعودة لهم بما يمنهم بالله وكتبه ورسوله وقرأ حفص بالياء على الغيبة والباقون

بالنون (وكان الله غفورا) لما يريد من الزلات (رحيما) أى لمن يريد إعادته بالحنان ونزل لما
 قال أحبار اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبياً فأتنا بكتاب جله من السماء كما أتى به
 موسى (يستلك) يا محمد (أهل الكتاب) أى أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) جله كما
 أنزل على موسى وقيل كتاباً محمداً أى بمحمد دامصوناً بخط سحرى على ألواح كما كانت التوراة
 وقيل كتاباً عيسى حين نزل أو كتاباً يساباً عما تنبأ أنك رسول الله قالوا ذلك تعنتا قال الحسن
 لوسلوا الكي تبينوا الحق لا عطاءهم وفيما آتاهم كفاية وقوله تعالى (فقدسأولوا) أى آباؤهم
 (موسى) جواب شرط مقدر معناه انك ان استكبرت ما سألوهم منك فقدسأولوا موسى (أكبر)
 أى أعظم (من ذلك فقالوا) أرنا الله جهرة (أى عياناً وانما أسند السؤال اليهم وان وجد من
 آباؤهم فى أيام موسى عليه الصلاة والسلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم
 وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت (فأخذتهم الصاعقة) أى عقب هذا السؤال وهى
 نارجات من السماء فأهلكهم (بظلمهم) أى بسببه وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك
 الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقاً (ثم) بعد العنوت عنهم واحباطهم
 من امانة هذه الصاعقة (اتخذوا العجل) أى تكفوا أخذهم وجعلوه الهياً (من بعد ما جاءتهم
 البينات) المحجزات على وحدانية الله تعالى وليس المراد التوراة لانهم تأتتهم فيما مضى بل
 أتتهم بعد (فعمقوا عن ذلك) أى الذنب العظيم يتو بقنا عليهم من غير استئصالهم (وأبينا
 موسى سلطاناً) تسلطوا واستلبوا (ميناً) أى ظاهر أمانه أمرهم يقتل أنفسهم توبة من عبادة
 العجل فبادروا الى الامثال (ورفعنا فوقهم الطور) أى الجبل العظيم (عينا قهم) أى بسبب
 أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فقبولهم (وقلنا لهم) على لسان موسى صلى الله عليه وسلم والطور
 مظلل عليهم (ادخلوا الباب) أى الذى لبيت المقدس (سجداً) أى سجوداً تخفوا (وقلنا لهم)
 أى على لسان داود (لا تعبدوا) أى لا تعبدوا وما حدناه لكم (فى السبت) أى لا تعملوا فيه
 علامن الاعمال تسمية للشيء باسم سببه سعى عدواً لأن العامل للشيء يكون لشدة إقباله عليه كأنه
 بعدو ويحتمل أن يكون ذلك على لسان موسى حين ظلل عليهم الجبل فانه شرع السبت أى ترك
 العمل فيه ولكن كان الاعتماد فى السبت والمسخ به فى زمن داود وقرأ ورش بفتح
 العين مع تشديد الدال وقرأ فالفون باختلاس حركة العين مع تشديد الدال والباقون يسكون
 العين وتخفيف الدال (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا
 ومعهادتهم على ان يقيموا عليه ثم نقضوه بعد كما قال تعالى (فما نقضهم) أى بنقضهم وما مزيدة
 للتوكيد والباء للسببية متعلقة بمحذوق أى لعناهم بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات
 الله (أى القرآن) وعما فى كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) فانهم معصومون من كل نقصة
 ومبرزون من كل رية لا يتوجه عليهم حق (وقولهم قلوبنا غاف) أى أوعية للعلوم أو قى كنهها
 تدعونا اليه فلاننى كالمك (بل طبع الله) أى ختم (عليها بكفرهم) فلاننى وعظاً (فلا يؤمنون
 الا قليلاً) منهم كعبادته بن سلام وأصحابه أو ايماناً قليلاً لا عبرة به بأن يؤمنوا وقنا سيرا

كوجه النهار ويكفروا في غيره ويؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض وقوله تعالى (ويكفروا بهم) معطوف
 على فيما تقضهم ويجوز عطفه على يكفروا وقد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بعيسى ثم عيسى ثم
 بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفروا على بعض وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه
 (وقولهم على مريم) أي بعد ما ظهر على يدها من الكرامات الدالة على براءتها وانها ملازمة
 للعبادة بأنواع الطاعات (بهنا ناعظيها) وهونسيها الى الزنا (فان قيل) كان مقتضى الظاهر
 أن يقول في مريم (أجيب) بأنه ضمن القول معنى الافتراء وهو يتعدى بعلى (وقولهم انا قتلنا
 المسيح عيسى بن مريم رسول الله) أي بجموع ذلك عذبناهم (فان قيل) كانوا كافرين
 بعيسى أعداء له عامدين لقتله يسعون الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا
 قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (أجيب) بأنهم قالوه بزعم عيسى عندهم أنهم قالوه على
 وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال الرختري ويجوز أن
 يضع الله الذكرا الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفع العيسى عليه الصلاة والسلام
 عما كانوا يذكرون به اع قال الله تعالى تكذبا لهم في قتله (وما قالوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)
 أي المقتول والمصلوب روى النسائي عن ابن عباس أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فذما
 عليهم فشبهم الله فردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه الى السماء
 ويظهرهم من محبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقي الله عليه شبه فيقتل ويصلب ويدخل
 الجنة فقال رجل منهم أنا فأتى الله عليه شبه فقتل وصلب وقيل كان رجلاً ينافق عيسى
 أي يظهر له الاسلام ويخفي الكفر فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل في بيت عيسى
 فرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وصلبوه وهم
 يظنون انه عيسى وقيل انهم حبسوا عيسى عليه الصلاة والسلام في بيت وجعلوا عليه رقبياً
 فألقى الله شبه عيسى على الرقيب فقتلوه (وان الذين اختلفوا فيه) أي في شأن عيسى فإنه
 لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذباً فقتلناه حقاً وتردد
 آخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
 بدن صاحبنا وكان الله ألقى شبه وجه عيسى عليه ولم يلق على جسده وقال من سمع من عيسى
 ان الله يرفعه الى السماء انه رفعه الى السماء وقال قوم صلب الناسوت أي الانسانية وصعد
 اللاهوت أي الالهية (لن يشك منه) أي من قتله (مالهم به) أي قتله (من علم) وقوله تعالى
 (الاتباع الظن) استثناء منقطع أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه (فان قيل) قد وصفوا
 بالشك والشأن أن لا يترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف
 يكونون شاكين طائنين (أجيب) بأن الشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق على
 مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم فيشمل الاعتقاد (وما قتلوه) أي اتنى قتلهم له اتقاء (بقينا)
 أي اتقاءه على سبيل القطع ويجوز أن يكون حالاً من واقتلوه أي ما فعلوا القتل متيقنين ان
 عيسى عليه الصلاة والسلام بل فعلوه شاكين فيه والحق انهم لم يقتلوا الا الرجل الذي ألقى عليه

شبهه قال البقاعي والوجه الاول اولى لقوله تعالى (بل رفعه الله اليه) أى الى مكان لا يصل اليه حكم آدمي وعن وهب انه أوحى اليه وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين فكانت رسالته ثلاث سنين (وكان الله عزير) أى في ملكه لا يغلب عما يريد (حكيم) في صنعه لا يطمع. أحد في نقص شيء منه (وأن من أهل الكتاب) أى وما من أهل الكتاب أحد (اليومن به) أى بعيسى عليه الصلاة والسلام هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم (قبل موته) اختلف في عود هذا الضمير فقال عكرمة ومجاهدوا الضمير يعود للكتاب أى إن الكتابي يؤمن بعيسى حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات جفاة فقبل لابن عباس وأرأيت من خرمين فوق بيت فقال يتكلم به في الهوى فقبل أرأيت أن ضرب عنق أحدهم قال يتلجج بها لسانه وذهب قوم الى عود الضمير الى عيسى أى وما من أهل الكتاب الا اليومن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكت في الارض أربعين سنة ثم يوفى فيصلى عليه المسلمون قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم وأن من أهل الكتاب الآية ثم أعادها أبو هريرة ثلاث مرات ولا يعارض هذا ما في مسلم في قصة الدجال إن الله يبعث عيسى بن مريم فيطلبه فيهلك ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة لأن قوله ثم يلبث الناس بعده أى بعد موته فلا معارضة أولان السبع محمول على مدة إقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكانه فيها قبل رفعه الى السماء وكان عمره اذ ذلك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور وروى عكرمة أن الهاء في قوله تعالى ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت كافي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الهاء راجعة الى الله عز وجل يقول وأن من أهل الكتاب الا اليومن بالله عز وجل قبل موته عند المعينة حين لا ينفعه إيمانه (ويوم القيامة يكون) أى عيسى على القول الاول (عليهم شهيدا) انه قد بلغهم رساله ربه وأقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبر عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبي شاهد على أمته قال تعالى فكيف اذا اجتمعنا من كل أمة بشهيد وجئتنا بك على هؤلاء شهيد (فيظلم من الذين هادوا) وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم (حزنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى كان وقع احلالها لهم في التوراة ثم حرمت عليهم وهي التي في قوله تعالى في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (وبعد ذلك) أى الناس (عن سبيل الله) أى دينه وقوله تعالى (كثيرا) صفة مصدر محذوف أى صدا كثيرا بالاضلال عن الطريق فذهبوا مستلذات تلك المآكل كل بما منهوا أنفسهم وغيرهم من لاذة الايمان (وأخذهم الزبا وقد) أى والحال انهم قد (نموا عنه) في التوراة فكان محرما عليهم كما هو محرم علينا لانه قبيح في نفسه مزرب صاحبه وفي الآية دليل على أن النبي

للتحريم (وأكلهم أموال الناس بالباطل) أى من الرشا في الحكم والمسا كل أى التي كانوا يصيدونها
 من عوامهم عاقبتهم بأن حرمت عليهم طبقات فكافوا كلها ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شئ من
 الطبقات التي كانت حلالا لهم قال تعالى ذلك جزئناهم بغيرهم وانا للصادقون (واعتدنا للكافرين
 منهم عذابا أليما) أى مؤلداون من تاب وآمن «ولما بين سبحانه وتعالى ما لم يطوع على قلوبهم
 الغريبتين في الكفر من العقاب بين ما لنرى البصائر بالروح في العلم والايان من الثواب فقال
 (لاكن الراشخون) أى الشايتون المتكثرون (في العلم منهم) أى من أهل الكتاب كعبدا لله
 ابن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أى من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك) أى
 القرآن (وما أنزل من قبلك) أى من سائر الكتب المنزلة وقوله تعالى (والمقيمين الصلاة) نصب
 على المدح لان الصلاة لما كانت أعظم دعائم الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر
 نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات اظهرها افضلها وحكى عن عائشة رضى الله تعالى
 عنها وأبان بن عثمان ان ذلك غلط من الكتاب ينبغى أن يكتب والمقيمين الصلاة وكذلك
 قوله في سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى وقوله تعالى ان هذان
 لساحران فالاذك خطأ من الكتاب وقال عثمان ان في المصحف لحنا وسقمة العرب بألفتها
 فقبل له لاتعبره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة وأهل العلم على
 انه صحيح كآفته ناه وقيل نصب بانها فعل تقديره أعنى المقيمين الصلاة وقوله تعالى (والمؤمنون
 أذكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) رجوع الى الذي الاول (أولئك سفوتهم) بوعد لاخلف
 فيه على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح (أجر أعظما) وهو الجنة والنظر الى وجهه
 الكريم وقوله تعالى (انا وأخينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل
 الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم
 بأن شأه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا وابدأ بك نوح عليه الصلاة والسلام لانه
 كان أب البشر مثل آدم عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وجعلنا ذرية هم الباقين ولانه أول
 نبي من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشرك وأول من عذبت أمته لدهم دعونه وأهلك أهل
 الارض بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة فلم ينقص له
 سن ولم يسب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر أحد على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره (و) كما
 (أوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق) ابنى ابراهيم (وبعقوب) بن اسحق (والاسباط) أولاد
 يعقوب وظاهر هذا انهم كلهم أنبياء وهو أحد قولين والقول الآخر أن يوسف هو النبي فقط
 وعلى هذا فالمراد الجوع (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أباه (داود وزورا)
 قرأ جزء بضم الزاى مصدر يعنى مزورا أى مكتوبا بالباقيون بالنصب على انه اسم للكتاب الموثق
 وكان فيه التعميد والتعجيد والثناء على الله عز وجل كان داود يبرز الى البرية فيقوم ويقراء
 الزبور ويقوم معه علماء بنى اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء فيقوم الجن
 خلف الناس الا عظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين

يديه تعجب الماسع من منه والطير تزفر على رؤسهم فلما عارف الذنب لم يزدك فقبل له ذلك
 أنس الطاعة وهذا وحشة المعصية قال السيوطي في شرح التبيين أن الزبوة مائة وخمسون
 سورة ما بين قصار وطول والطويلة منها قدر ربع حزب والقصيرة قدر سورة النصر اه وعن
 أبي موسى قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لورايتني البارحة وأنا أسمع لقراءتك لقد
 أعطيت من ما رامن من امير داود وكان عمرا ذراة قال ذكرنا يا أبا موسى فمقر أعنده وانما خص
 هؤلاء بالذكر مع اشتغال النبيين عليهم تعظيما لهم وقوله تعالى (ورسلا) أى غير هؤلاء نصب
 بعضهم دل عليه أوحينا اليك مثل أرسلنا (قد قصصناهم) أى تلونا ذكركم (عليكم من قبل)
 أى قبل انزال هذه السورة وهذه الآية (ورسلا نقصصهم عليكم) أى الى الآن وروى انه
 سبحانه وتعالى بعث غانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من
 سائر الناس قاله الجلال المحلى في سورة غافر وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)
 هو منتهى مراتب الوحي أى كلفه على التدريج شيئا فشيئا بحسب المصالح بغير واسطة ملك فلا
 فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة وخص به موسى من بين سائر الانبياء
 غير دينيا وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم
 وقوله تعالى (رسلا) بدل من رسلا قبله (مبشرين) أى بالثواب من آمن (ومنذرين) أى محققين
 بالاعذاب من كفر وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة) متعلق بإرسالنا وبمبشرين
 ومنذرين أى حجة نقال (بعد) ارسال (الرسل) فيقولوا ربنا لولا أرسلنا رسولنا فنتعجب آياتك
 ونكون من المؤمنين فبعثناهم قطع عذرهم (فان قيل) كيف يكون للناس على الله حجة قبل
 الرسل وهم محبوبون بما نصبه الله تعالى من الأدلة التي النظر فيها يوصل الى المعرفة (أجيب)
 بأن الرسل ينهون عن العقول وبعثون على النظر في الأدلة فارسلهم ضرورى (وكان الله عزيزا)
 في ملكه لا يغلب فيما يريد (حكما) في صنعه روى أن سعد بن عباد قال لورايت رجلا
 مع امرأى لضربت به بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنعجبون
 من غيرة سعد والله لا تأغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا
 أحد أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة قال ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اناسا ناعنك اليهود وعن صفك في كتابهم
 فزعوا أنهم لا يعرفونك ودخل عليهم جماعة من اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم والله
 انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فأمر الله عز وجل (لكن الله يشهد) أى بين
 نبوتك (بما أنزل اليك) أى من القرآن المجزئ الدال على نبوتك ان جدد لك وكذبوك (أنزل)
 مثلنا (بعلهم) الخصاص به وهو العلم بما ليقه على تطم يهجز عنه كل بليغ وروى أنه لما نزل انا
 أوحينا اليك قالوا ما نشهدك فزالت (والملائكة يشهدون) لك أيضا (وكفى بالله شهيدا)
 على ذلك بما ظلم من الخبيث على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيرهم ان الذين كفروا وصدوا الناس

(عن سبيل الله) أي دين الاسلام بكتهم دين محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قد ضلوا ضلالاً
بعيداً) عن الحق لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولا أن المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد
من الانقلاص عنه (أن الذين كفروا بالله وظلموا) بيه كفان نعمته (لم يكن الله ليغفر لهم) لكفرهم
وظلمهم (ولا يلهيهم طرقها) من الطرق (الأطريق جهنم) أي الطريق المؤدى إليها (خالد بن)
أي مقتدر بن الخلود (فيها) إذا دخلوها أو كذلك بقوله (أبدًا) لأن الله لا يغفر أن يشركه
وكان ذلك على الله يسيراً) أي هيئاً لا يصعب عليه ولا يستعظمه (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول)
محمد صلى الله عليه وسلم (بالحق من ربكم) لما قرئ من أمر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من أنكرها خاب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعود بالاجابة والوعود على الرد
(فأمنوا) بالله وقوله تعالى (خير لكم) وكذلك قوله تعالى فبما يأتي أنتموا خير لكم من صواب
بعضهم وذلك أنه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيراً
لكم أي أقصد وأمر أخيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد وقيل
تقديره يمكن الايمان خيراً لكم قال البيضاوي ومنعه البصريون لأن كان لا يحدف مع اسمه
الافعال لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه اهـ (وان تكفروا) بالله (فان الله
ما فى السموات والارض) ملكا وخلفاء فهو غنى عنكم فلا يضره كفركم كما لا ينفعه ايمانكم ونبه
على غناه بقوله تعالى ما فى السموات والارض وهو يوم ما اشتلتا عليه وماز كنمانه (وكان الله
علماً) بأحوالكم (حكماً) أي فيما دبره لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا) أي تجاوزوا الحد (في دينكم)
الخطاب للقرىين غلت اليهودى في حط عيسى حتى رموه بالزنا والنصارى في رفعه حتى اتخذوه
الها وقيل للنصارى خاصة والمراد بالكتاب الانجيل فانه أوفق لقوله تعالى (ولا تقولوا على الله الا
القول الحق) أي من تزويه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ولكنه)
ألقاها) أي أوصلها (الى مريم) وجعلها فيها (وروح) أي ذور روح (منه) لا توسط ما يحوى
يجرى الاصل والمادة ومعنى عيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير
واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لانه ذور روح ووجد من غير جزء من ذى
روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحى وانما اخترع اختراعاً عن عند الله وقدره بأن أمر
جبريل فنفخ في جيب درعها فخلت به فأضيف الى الله تعالى تشريفه وليس كما زعمت أنه ابن
الله أو له معه أو ثالث ثلاثة لأن الروح مركبه والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه
روى انه صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله
وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله
الجنة على ما كان من العمل (فأمنوا بالله ورسوله) أي عيسى وغيره ولا تؤمنوا ببعض وتكفروا
ببعض (ولا تقولوا) كما قالت النصارى الآلهة (ثلاثة) الله وعيسى وأمه قال تعالى (أنتموا) عن
ذلك واتنوا (خير لكم) من ذلك وهو التوحيد (انما الله الواحد) أي لا تعدد فيه بوجه ما
(سبحانه) تنزيهاً له (أن) أي عن ان (يكون له هاد) أي كما قلتم أيها النصارى فان ذلك يقتضى

الحاجة ويقضى التركيب والمجانسة ثم علل ذلك بقوله (له مافى السموات ومافى الارض)
 خلقا وملاك فلا يتصور أن يحتاج الى شئ منهما ولا الى شئ متعريف - ما ولا يصح بوجه أن يكون
 بعض ما يملكه المالك جزءا منه وولده لان الحكمة تنافى البنوة وعيسى وأمه كل منهما محتاج
 الى مافى الوجود (وكفى بالله وكبلا) أى يحتاج اليه كل شئ ولا يحتاج هو الى شئ فهو غنى عن الولد
 فان الحاجة اليه ليكون وكبلا يبه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كافى في ذلك مسغن
 عن يخلقه أو يعينه روى ان وفد نجران قالوا يا رسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
 قالوا عيسى قال وأى شئ أقول قالوا نقول انه عبد الله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا
 بلى فنزل قوله تعالى (لن يستنكف) أى يتكبر ويأتف (المسيح) أى الذى زعمتم انه اله (أن)
 أى عن أن (يكون عبد الله) فان عبوديته له شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية
 غيره وقوله تعالى (ولا الملائكة المقربون) أى عنده عطف على المسيح أى ولا تستنكف
 الملائكة المقربون أن يكونوا عبيد الله وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم
 انها آلهة أو بنات الله كما رد على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطاهم - ثم فلاحجة
 فيه على أن الملائكة أفضل من الانبياء كما زعمه بعض المعتزلة قائلا بأن المعطوف أعلى
 درجة من المعطوف عليه قال الطيبي وانما تنهض الحجة على النصارى اذا سلوا ان الملائكة
 أفضل من عيسى ودونه خوط القنادف كيف والنصارى رفعوا درجة عيسى الى الالهية
 فطهران ذكر الملائكة للاستطراد كما رد على النصارى وأنه من باب التميم لامن باب
 الترقى اه أو من باب الترقى فى الخلق لافى المخلوق كما قاله البقاعى قال لان الملائكة أعجب خلقا
 من عيسى فى كونهم ليسوا من ذكر ولا أنثى ولا ما يجانس عضو البشر فكانوا لذلك أعجب خلقا
 من آدم عليه الصلاة والسلام أيضا وفى القوة لانهم أقوى من عيسى لانهم يقتلون الجبال
 ويأتون بالمياه العظيمة والعبادات الدائمة المستمرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) أى
 يطلب التكبر عن ذلك قال الراغب الاستنكاف تكبر فى أنفة والاستكبار بخلافه (فسيحشرهم)
 أى المستكبرين وغيرهم (اليه جميعا) فى الآخرة بوعد لا يخلف فيجازيهم (فأما الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات) تصدقوا لاقرارهم بالايمان (فيؤفهم أجورهم) أى ثواب أعمالهم
 (ويريدهم من فضله) أى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين
 استنكفوا واستكبروا) عن عبادته (فيعذبهم عذابا أليما) أى مؤلما هو عذاب النار بما
 وجدوا من لذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم) أى حالا ولا مآلا (من دون الله) أى غيره
 (وليا) يدفع عنهم (ولا نصيرا) ينصهم منه (يا أيها الناس) أى كافة أهل الكتاب وغيرهم (قد
 جاءكم برهان من ربكم) أى حجة نيرة واضحة مفيدة لليقين التام وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالادلة القاطعة من المجهزات وغيرها (وأرسلنا اليكم تورا مبينا) أى واضحنا نفسه موضع الخلق
 وهو القرآن الجامع بايجاز وحسن بيانه فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل المراد بالبرهان المعجزات
 وبالنور القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم) أى بوعد لا يخاف فيه (فى رجة)

منه) أى ثواب عظيم وورثته لهم لا بشئ استوجبوه (وفضل) أى احسان زائد عليه
(ويهد بهم) أى فى الدنيا والآخرة (إليه صراط مستقيماً) أى طريقاً مستقيماً وهو الاسلام
والطاعة فى الدنيا والآخرة (يستفتونك) أى فى الكلالة حذف دلالة الجواب عليه
روى ان جابر بن عبد الله قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لأعقل فتوضأ
وصب علىّ من وضوئه فعقلت وقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثى كلالة فتزل يستفتونك
(قل الله يفتيكم فى الكلالة) وقد تقدم معنى الكلالة وحكم الآية فى أول السورة وفى
هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وأولاد وقوله تعالى (ان امرؤ) هو مرفوع
بفعل يفسره (هلك) أى مات (ليس له ولد) أى ولا ولد وهو الكلالة قال الاصمغانى عن
الشعبي اختلاف أبو بكر ومهر رضى الله تعالى عنهم ما فى الكلالة فقال أبو بكر هو ماعد الوالد
وقال عمر ماعد الوالد والولد ثم قال عمر انى لاستحقاق الله أن أخلف أبابكر وقوله تعالى (وله
أخت) بحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين أو الاب لانه جعل أخوها
عصبة والذى لام لا يكون عصبة والولد يشمل الذكر والأنثى فان الاخت وان ورثت مع البنت
قد لا ترث النصف وذلك عند تعدد البنات (فلها نصف ما ترك وهو) أى هذا الاخ للميت (يرثها)
أى ان ماتت هى وبقي هو جميع مالها (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ولد ذكر فلا ترث له وأنثى
فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الاخت أو الاخ من الام ففرضه السدس كما مرّ أول السورة
(فان كانتا) أى الاختان (اثنتين) أى فصاعداً انتهت زلت فى جابر وقد ماتت عن أخوات
(فلهما الثلثان مما ترك) أى الاخ (وان كانوا) أى الورثة (اخوة رجالاً ونساءً قل ذلك) (كر)
منهم (مثل حظ للثنتين بين الله لکم) أى ولم يککم فى بيانه الى بيان غيره وقال مرغبا مرها
(ان) أى كراهة أن (تضلوا) وقيل للثلاثة واخذ فى لا وهو قول الكوفيين وقيل بين الله لکم
ضلالکم أى الذى من شأنکم أى اذا خلیتم وطباعکم لتعترفوا عنه وتعرفوا خلافه (والله بكل
شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات ومنه الميراث روى عن البراء رضى الله تعالى
عنه انه قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت قال السيوطى أى من القرائن خاتمة
سورة النساء يستفتونك الآية وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آخر آية نزلت آية
الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت قوله تعالى واتقوا ما
ترجعون فيه الى الله وروى بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها عاماً
فتزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ستة
أشهر ثم نزل فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزل
هو واقب بعرفة اليوم أممكت لکم دينکم فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدًا وعشرين
ويوماً ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا ما ترجعون فيه الى الله فعاش النبي صلى الله عليه وسلم
بعدها أحدًا وعشرين يوماً وقول البيضاوى تبعاً للزخشرى عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مسلمة ومؤمن ومؤمنة وورث ميراثاً وأعطى

من الاجر كن اشترى محزراً رقيقاً وحزرة وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم حديث موضوع

﴿سورة المائدة مدنية﴾

مائة وعشرون آية أو اثنتان أو ثلاث وكلتاها ألفان، ثمانمائة وأربع كلمات وحروفها أحد عشر ألفاً وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً

(بسم الله) الذي له الامر كله فلا يستعمل عيانه فعل (الرجن) الذي عم نعمة ايجاده وبيانه فنعمته أتم نعمة وأشمل (الرحيم) الذي خص خلص عباده بخوفيقته وأتم نعمته عليهم وأكمل (يا أيها الذين آمنوا) أفوا بالعقود أي التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها بالهاهم من مواجب التكليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان جعلنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الخطيب

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا والعناج جبل يشد في أسفل الدلو ثم يشد الى العراقي ليكون عوناً له والكرب جبل الذي يشد في وسط العراقي والعرقوتان الخشبان المعترضتان على الدلو كالصليب وقوله تعالى (أحلّت لكم بهيمة الانعام) تنصّل للعقود لان العقود مجعلة فهي وشامل لجميع العقود لان ذلك أمهات التكليف وجميع ما في هذه السورة من الاحكام تفصيل لذلك * (فائدة) * روى عن ابن مسعود قال أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكماً ينزلها في غيرها قوله تعالى والمتخفة والموقودة والمتردية والطبيعة وما أكل السبع الا ما ذكبت وما ذبح على النصب وأن تستهيموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أولوا الكتاب حل لكم والمحسنات من الذين أولوا الكتاب من قبلكم ونظام الطهر في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت وزيد عليها ناسع عشر وهو قوله تعالى واذا ناديتهم الى الصلاة ليس للاذان ذكر في القرآن الا في هذه السورة وأما في سورة الجمعة فهو مخصوص بالجمعة وهو في هذه السورة عام في جميع الصلوات والبهيمة كل حي لا يميز أي من شأنه أنه لا يميز فلا يدخل في ذلك الجنون ونحوه والانعام الابل والبقر والغنم وهي الأزواج الثمانية والحق بها الطبايع وبقر الوحش * (تنبيه) * اضافة البهيمة الى الانعام للبيان كقولك ذوب خز ومعناه البهيمة من الانعام (فان قيل) لم أفرد البهيمة وجمع الانعام (أجيب) بارادة الجنس وقوله تعالى (الا ما لي عليكم) أي تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم عرض من الموت ونحوه وقوله تعالى (غير محلى الصيد) حال من شبه بركم وقوله تعالى (وأنتم حرم) مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من الضمير

في محلي جمع حرام وهو المحرم (إن الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل
 الإطلاق لا يجب عليه مراعاة مصلحة ولا حكمة كما تقوله المعتزلة فلا يستل عن تخصيص
 ولا تفصيل خافهم حكمته فذلك وما لا فكلوا اليه وارغبوا في أن يلهمكم حكمته (يأيها
 الذين آمنوا لا تتحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ما شعر أي جعل شعارا وعلم للناس من
 مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والسعي والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من
 الأحرار والطواف والسعي والخلق والتحر وقيل معالم دينه وقيل فرائضه التي حدها العبادة
 (ولاً) تحلوا (الشهر الحرام) أي القتال فيه قال تعالى إن عدة الشهر عند الله اثنا عشر شهرا
 في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض. إنها أربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
 ورجب فيجوز أن يكون ذلك إشارة إلى جميع هذه الأشهر كما يطلق اسم الواحد على الجنس لأن
 الأشهر كلها في الحرم سواء ولكن قال الزمخشري والشهر الحرام شهر الحج (ولاً) تحلوا
 (الهدى) أي بالتعرض له وهو ما أهدى إلى الحرم من التيم (ولاً) تحلوا (القلائد) أي صاحب
 القلائد من الهدى وعبرهم بمبالغة في تحريمها أو القلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة
 في النهي عن التعرض للهدى والقلائد جمع قلادة وهي ما قلده الهدى من نعل أو غيره ما علم
 به أنه هدى فلا يتعرض له (ولاً) تحلوا (أمين) أي قاصدين (البيت الحرام) لزيارته أي بان
 تقابلهم (يتغنون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) أي وأن يرضى عنهم والجملة
 في موضع الحال من المستكن في أمين أي لا تعرضوا القوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا
 أن يتعرضوا لهم وقيل معنا يتغنون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا برزقهم لأنهم كانوا يظنون
 ذلك فوصفوا به بناء على ظنهم ولأن الكافر لا نصيب له في الرضوان كقوله تعالى ذق انك أنت
 العزيز الكريم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما كان المسلمون والمشركون يجعون جميعا
 فهى الله تعالى المسلمين أن يتعوا أحدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تتحلوا شعائر الله فعلى الأول
 الآية منسوخة قال الحسن ليس في المائدة منسوخ وعلى الثاني قال السضاوى فالآية
 منسوخة أي لم يبق فيها من حرمة القتال في الشهر الحرام ومن حرمة منع المشركين عن المسجد
 الحرام والأول منسوخ بقوله تعالى اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم والشافى بقوله تعالى فلا
 يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فقول منسوخ منزل على هذا لكن إذا قلنا بشمول أمين
 للمسلمين والمشركين أغايبكون النسخ في حق المشركين خاصة وهو في الحقيقة تخصيص لأنسخ
 ففي تسميته نسخا نسمح وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بالكسر (وإذا حللتم) أي من الأحرام
 وقوله تعالى (فاصطادوا) أمر بإباحة أباح لهم الاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل وإذا حللتم
 فلا جناح عليكم أن تصطادوا كما في قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
 (ولا يجرمونكم) أي يمحلكم أو يكسبكم (شأن قوم) أي شدة بغضهم وقرأ ابن عامر وشعبة
 يسكون النون بعد الشين والباقون بنصبها وقوله تعالى (ان صدوكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بكسر الهمزة على أن الشرطية والباقون بقصها أي لاجل أن صدوكم في عام الحديبية أو غيره

(عن المسجد الحرام) وقوله تعالى (أن تعبدوا) أى يشهد عدوكم عليهم بأن تستقيموا منهم بالقتل
 وغيره فإني مفعول يجر منكم فأنه تعالى إلى واحد وإلى اثنين ككسب (وتعاونوا)
 والتقوى) أى بفعل ما أمرتم به (ولا تعاونوا) فيه حذف إحدى التامين في الأصل (على
 أى المعاصي للتشني (والعدوان) أى التعدي في حدود الله للانتقام (وانتقوا الله) أى
 عقابه بأن تطيعوه (إن الله شديد العقاب) لمن خالفه فانتقامه أشد وقوله تعالى (حرمت
 الميتة) أى أكلها بيان ما يلى عليكم والميتة ما فارقت الروح من غير ذكاة شرعية (والدم) أى
 المسفوح قال تعالى أزدما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها (ولطم
 الخنزير) قال العلماء الغذاء يصير جزءا من جوهر المتغذى ولا بد أن يحصل للمتغذى أخلاق وصفات
 من جنس ما كان حاصلًا في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المنهيات
 فحرم أكله على الإنسان لثلاث تكيف بتلك الكيفية ولذلك أن الغرغرة لما واطبوا على كل لحم
 الخنزير بأورنهم الحرس العظيم والرغبة الشديدة في المنهيات وأورنهم عدم الغيرة فإن الخنزير
 يرى الذك من الخنازير يترى على الأذى التي له ولا يعترض لعدم الغيرة (وما أهل لغير الله به) أى
 رفع الصوت به لغير الله بأن ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت ومنه يقال فلان أهل بالحي
 إذا لى وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى قال ابن عادل وقد مر هنا لفظ الجلالة
 في قوله لغير الله وأخرت في البقرة لأنهما الفاصلة أو تشبه الفاصلة بخلافها هنا لأن بعدهما
 معطوفات (والمخنقة) وهى التى ماتت بالخنق سواء أفعال به ذلك آدمى أم اتفق لها ذلك
 (والموقوذة) وهى التى وقذت أى ضربت حتى ماتت ويدخل في الموقوذة ما رمى بالبنقذات
 (والمتردية) أى الساقطة من علوبان سقطت من جبل أو مشرف أو في بئر فانت ولو رمى صيدا
 في الهواء بسهم فأصابه فسقط على الأرض ومات حل لأن الوقوع على الأرض من ضرورته
 وإن سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات لم يحل لأنه من المتردية الآن يكون السهم ذبحه
 في الهواء فيحل كغيره ما وقع لأن الذبح قد حصل قبل المتردية * (تنبيه) * دخلت الهاء في هذه
 الكلمات لأن المخنقة هى الشاة المخنقة كانت قبل حرمت عليكم الشاة المخنقة والموقوذة
 والمتردية وخصت الشاة لأنها من أعم ما يأكل الناس والكلام يخرج على الإعم ويكون
 المراد الكل وأما الهاء في قوله تعالى (والنطيحة) وهى التى تسطحها أخرى فقوت فلتنقل من
 الوصفية إلى الاسمى والأفكان من حقها أن لا تدخلها تاء التأنيث كقتيل وجريح وما في قوله
 تعالى (وما أكل السبع) بمعنى الذى وعائده محذوف أى وما أكل السبع ولا بد من حذف
 ولهذا قال الرخشمى وما أكل بعضه السبع وهذا يدل على أن جوارح الصيد إذا كانت
 ما اصطادته لم يحل أكله وقوله تعالى (الاماذ كيتم) استثناء متصل أى الاماذ كيتم ذكاته
 وصار فيه حياة مستقرة من ذلك فهو حلال وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع وقيل
 الاستثناء منقطع أى ولكن ما ذكيت من غير اهلال أو فكلوه وكان هذا القائل رأى أنها
 وصلت بهذه الأسباب إلى الموت وإلى حالة قريبة منه فلم تغد ذكيتها عنده شيئا وقيل الاستثناء

من التحريم لامن المحرمات أى حرم عليكم ما مضى الاماذا كيتّم فانه لكم حلال فيكون الاستثناء منقطعا أيضا وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمرى وكلاهما أن يقطع إلى دجين معهما وهما عرقان في صفحتي العنق ويجوز بك محدود يخرج من خديد أو قصب أو زجاج أو غير ذلك الاسن والظفر وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وقوله تعالى (وما يجزى على النصب) في محل رفع عطفا على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والنصب واحد الانصاب وهي حجارة كانت حول الكعبة يذبح عليها تقربا اليها وتعظيما لها وقيل هي الاصنام لانها نصب لله عبد وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الانصاب وقيل هو جمع الواحد نصاب ويدل للآثر قول الاعشى

وذا النصب المنسوب لا تعبدنه * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وقوله تعالى (وان تسيءوا بالازلام) في محل رفع أيضا فكان عطفا على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والازلام جمع ولم يفتح الزاي وضعها مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير وهو سهم لا ريش له ولا نصل وذلك انهم كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر خزنهاني ربي والثالث غفل أى لاسمة عليه فان خرج الآخر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل أداروها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو قسمة الخبز وبالاقداح على الانصاء المعلومة وقوله تعالى (ذلكم فسق) إشارة الى ما ذكر بحريه أى خروج عن الطاعة وقيل إشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر بعلمه علام الغيوب وقد قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وضلال باعثة اذ ذلك طريق اليه وقوله أمرني ربي ونهاني ربي اقتراعى الله عز وجل ان كان أراد بربي الله وما يدريه ان الله أمره أو نهاه فالله كنهه والمنجّمون بهذه المناسبة وجهالة بشر لان أراد به الصنم وقوله تعالى (اليوم) لم يرد به يوم بعينه وانما أراد الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية وقيل الالف واللام للعهد قيل أراد يوم نزولها وقيل نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع وقيل هو يوم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة سنة تسع وقيل غمان وقوله تعالى (يئس الذين كفروا من دينكم) فيه قولان أحدهما يئسوا من أن يحلوا هذه الخبايا ثم بعد أن جعلها الله تعالى محرمة والثاني يئسوا من أن يغلبوكم على دينكم فترددوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته لانه تعالى كان وعدا بعلاء هذا الدين على كل الاديان بقوله تعالى ليظهره على الدين كله فحق ذلك النصر وأزال الخوف (فلاتخشوهم) أن يظهر واعليكم (واخشون) أجمع القرآن السبعة على حذف الياء بعد النون لحدفها في الرسم أى واخلصوا الخشية لي وحدي فان دينكم قد اكتمل بديره وجل عن انهماق محله وقدره ورضى به الامر ومكنه على رغم أنوف الاعداء وهو قادر وذلك قوله تعالى مسوقا مساق التعليل (اليوم اكملت لكم دينكم) أى الذي أرسلت به أكل خلقي محمد صلى الله عليه وسلم

نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
 واقف بعرفات على ناقته العضاء فكادت عضد الناقة تنشق من ثقلها فبركت وعن عمر رضى
 الله تعالى عنه أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية من كتابكم تقرأونها الوعدنا
 معشر اليهود نزل لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال أى آية قال اليوم أكملت لكم دينكم
 (وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى
 أنزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطم بعرفة يوم الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم كان
 عيداً قال ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصرارى
 والمجوس ولم يجمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى أنهم المازنات هذه الآية بكى عمر
 رضى الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني أنا كافي في زيادة من ديننا
 فإذا كمل فلم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نهي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عاش بعدها أحداً وعشرين يوماً ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر
 ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة وقبل توفي يوم الثلاثاء عشر من شهر ربيع
 الأول وكانت هجرة في الثاني عشر منه فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم أى الفرائض
 والسنن والحدود والجهاد والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من
 الفرائض وهذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبيرة وقتادة اليوم أكملت لكم دينكم
 فلم يبح معكم مشرك وقيل أظهرت دينكم وأمنسكم من عدوكم (فان قيل) قوله تعالى
 اليوم أكملت لكم دينكم يقتضى ان الدين كان ناقصاً قبل ذلك وذلك يوجب ان الدين الذى
 كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم أكثر منه كان ناقصاً وانما وجد الدين الكامل في آخر عمره
 مدة قليلة (أجيب) بأن الدين لم يكن ناقصاً بل كان أبداً كاملاً وكانت الشرائع النازلة من
 عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالماً في أول وقت المبعث بأن ما هو
 كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا مصلحة فيه فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان ينزل
 بعد العدم وأما في آخر زمان المبعث فأنزل شريعة كاملة وحكم يبقائها الى يوم القيامة فالشرع
 أبداً كان كاملاً الا أن الأول كمال الى زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلماذا قال
 اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بأكمله وقيل بدخول مكة آمين ورضيت أى
 اخترت لكم الاسلام ديناً من بين الاديان وهو الذى عند الله لا غير قال الله تعالى ومن يتبع غير
 الاسلام ديناً فاني سبيل منه وقوله تعالى (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهم ما اعتراض
 بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين ~~الكامل~~ والنعمة
 التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (في خصمة) أى
 جماعة (غير متجانف) أى مائل (لاثم) أى معصية بأن كل ذلك تلذذوا بمجوار واحد الرخصة
 كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فان الله غفور) له ما أكمل (رحيم) به في اباحتها فلا يؤخذ ومن
 المائل الى الائم طاع الطريق ونحوه فلا يحمل له الا كل محاذ قرأ أبو عمرو وعاصم وحزمه بكسر

فوق فن اضطر في الوصول والباقون بالضم (يستلونك) يا محمد (ماذا أحل لهم) من الطعام
وانما أنى بقوله لهم بلفظ الغيبة لتقديم ضمير الغيبة في قوله تعالى يستلونك ولو قيل في الكلام
ماذا أحل لنا لكان جائزا على حكاية الجملة كقولك أقسم زيد ليضربن ولا ضربن بلفظ الغيبة
والتكلم الا ان ضمير المتكلم يقتضي حكاية ما قالوه كما أن لا ضربن يقتضي حكاية الجملة
المقسم عليها وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لكم منها فقال تعالى (قل)
لهم (أحل لكم الطيبات) أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت بتحريمه في كتاب أو سنة
أو قيام من يجتهد ولا مستغذ من ذى الطباع السليمة وهذا يشمل كل ما ذبح وهو مأذون في ذبحه
عما كانوا يحرمونه على أنفسهم من السائبة وما معها وكل ما أذن فيه من غير ذبح كحيوان البحر
وما أذن فيه من غير المطاعم وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح) معطوف على الطيبات
أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف للعلم به والجوارح جمع جارحة من
سباع البهائم والطير كالكلب والقط والتمر والعقاب والصقر والباز والشاهين والهائم المبالغة
سميت بذلك لأن الجرح الكسب لانها تكتب الصيد ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
أي كسبتم أو لانها تجرح الصيد غالبا وقوله تعالى (مكئين) حال من ضمير علمتم أي حال كونكم
معلمين هذه الكواكب الصيد والمكئب المؤتب الجوارح ومغريها مأخوذة من الكاب يسكون
اللام وهو الحيوان الناج لان التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فأخذ من لفظة لكثرة
في جنسه أو لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عتبة بن أبي لهب حين أراد سفر
الشأم فغاط النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد
وقوله تعالى (تعلمونهن) حال ثانية من ضمير علمتم أو استثناء (فان قيل) ما فائدة هذه الحال وقد
استغنى عنها بعلمتم (أجيب) بأن فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح فقيها عالم بالاشراط المعتمدة
في الشرع لحل الصيد وفي هذا فائدة جليلة وهي أن على كل طالب للشيء ان لا يأخذه الا من أجل
العلماء به وأشد هم دراية له وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج في ذلك الى أن يضرب
اليه أكاد الابل فكلم من أخذ من غير متقن قد ضيع أيامه وعرض عند لقاء التعاريف أنامله
(عما علمكم الله) أي من علم التكليبات لانه الهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة
منه أو عاينكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد برسالة صاحبه وان جاز به جرحه وانصرافه
بدعائه وامسالك الصيد عليه وأن لا يأكل منه (فكلوا مما أمسكن) أي الجوارح مستقرا
امساكها (عليكم) أي على تعليمكم وان قتلته بأن لم تأكل منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها
وشروط التعليم فيها ثلاثة أشياء اذا ارسلت استرسلت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد
أمسكته ولم تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فان أكلت منه فليس مما أمسكن على
صاحبها فلا يحل أكله كما في حديث النخعيين وان أكل منه فلان أكل منه انما أمسك على نفسه
وعن علي رضي الله عنه اذا أكل البازي فلان أكل والى هذا ذهب أكثر الفقهاء وبعضهم
لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا وفي هذا

الحديث ان صيد السهم اذا ارسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (واذكروا اسم الله عليه) في هذه الكفاية ثلاثة أوجه أحدها انها تعود الى المصدر المفهوم من الفعل وهو الاكل كانه قبل واذكروا اسم الله عليه على الاكل ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لم يمسك الله وكل مما يملك الشاني انها تعود الى ما علمتم أى اذكروا اسم الله على الجوارح عند ارسالها على الصيد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك وذكر اسم الله عليه الثالث انها تعود الى ما أمسكن أى اذكروا اسم الله تعالى على ما أدركتم ذكره مما أمسكت عليكم الجوارح (واتقوا الله) أى فى محرمانه (ان الله سر بيع الحساب) فيؤاخذكم بما جلد ودق وقوله تعالى (اليوم) الكلام فيه كالقلام فيما قبله (أحل لكم الطيبات) أى المستلذات (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أى ذبايح اليهود والنصارى ومن دخل فى دينهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (حل) أى حلال (لكم) فأما من دخل فى دينهم بعد المبعث فلا تحل ذبيحتهم ولو ذبح يهودى أو نصرانى على اسم غير الله تعالى كالنصرانى يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب فى قتر بهم بالجزيه دون كل ذبايحهم ونكاح نسائهم قال صلى الله عليه وسلم سنواهم سنة أهل الكتاب غيرناكمى نسائهم ولا أكل ذبايحهم رواه الامام مالك (وطعامكم) ايهم (حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم ولا تتبعوهم ولولم يحرم عليهم لم يميز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) أى الحرائر (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وهم اليهود والنصارى أى - ل لكم أن تنكحوهن وان كن حريات وقال ابن عباس لا تحل الحريات وأما الاماء المسلمات فيحل نكاحهن فى الجملة بخلاف الاماء الكليات فلا يحل نكاحهن عندنا ويحل عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى (اذا أتيتوهن أجورهن) أى مهرهن فتقيدهن الحل باتيانها لثا كيد وجوبها والحث على الاولى وان من تزوج امرأه وعزم أن لا يعطى صداقها كان فى صورة الزانى وورد فيه حديث ونسبته بالاجريد على انه لا حد لاقله كما ان أقل الاجر فى الاجارة لا يتقدر (محصنين) أى قاصدين الاعفاف والعفاف وقيل متزوجين (غير مسافحين) أى معلنين بالزناهم (ولا متخذى آخذان) أى مسرين بالزنا منهم وان لحدن الصديق يقع على الذكروا لثا قال الشعبي الزنا ضربان السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الحدن وهو الزنا سرى والله تعالى حرمهما فى هذه الآية وأباح القمع بالمرأة على جهة الاحصان وهذه الآية مخصوصة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فبقى على التحريم ما تضمنته تلك ما عدا الكليات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المستقلة من الكليات من دينها الى غير دين الاسلام وقرأ الكسافى بكسر صاد المحصنات والباقون بنصبها وقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان) اختلف المفسرون فى معناه فقال ابن عباس ومجاهد ومن يكفر بالايمان أى بآلله الذى يجب الايمان به وانما حسن هذا الجواز لانه يقال رب الايمان ورب الشئ على سبيل الجواز وقال الكلبي ومن يكفر بالايمان أى بكلمة التوحيد وهى شهادة أن لا اله الا الله لان الايمان من لوازمها واطلاق الشئ على لازمه مجاز مشهور وقال قتادة ان ناسا من المسلمين قالوا كيف

تزوج نساهم مع كونهم على غير ديننا فنزل الله هذه الآية ومن يكفر بما أنزل الله في القرآن
فهو كذا وكذا فسمى القرآن إيمانا لانه مشتق على بيان كل ما لا بد منه في الإيمان والمراد من ذلك
أن يأتي بشئ يصير به مرتدا (فقد حبط) أي فسد (عمله) الصالح قبل ذلك ان اتصل بذلك بالموت
بدليل قوله تعالى (وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى في آية أخرى فيمت وهو كاذر أما
من أسلم قبل الموت فان ثوابه يفسد دون عمله فلا يجب عليه اعادته حج قد فعله ولا صلاة قد صلاها
قبل الرقة (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أي أردتم القيام اليها كقوله تعالى فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله عمن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز والتبسيط على ان من
أراد العبادة ينبغي أن يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة وظاهر الآية الكريمة يوجب
الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا لكن صدعته الاجماع لما روى انه صلى الله
عليه وسلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم القع فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا
فعلته فقيل هو مطلق أريد به التقيد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب
وقيل كان ذلك أول الامر ثم نسخ قال البيضاوي وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة
من آخر القرآن نزولا فلا حلوا حللها حرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أي أمر والماء عليها
ولا يجب الدلك خلافا لما لاك رضى الله تعالى عنه (و) اغسلوا (أيديكم الى المرافق) أي معهما ان
وجدت وقد رها ان فقدت لما روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه في صفة وضوء رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه يوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشبع في
العضد الخ ولا اجاع أو ان الى في الآية بمعنى مع كما في قوله تعالى من انصاري الى الله وزدكم قوة
الى قوتكم أو يجعل اليد التي هي حقيقة الى المتكبر مجازا الى المرفق مع جعل الى غاية للغسل
الداخله هنا في المغايرة بينة الاجماع والاحتياط للعبادة والمعنى اغسلوا أيديكم من رؤس
الاصابع الى المرافق أو تجعل باقية على حقيقة الى المتكبر مع جعل الى غاية للترك المقدّر فتخرج
الغاية والمعنى اغسلوا أيديكم واتركوا منها الى المرافق والمرافق جمع مرفق بفتح الميم وكسر الفاء
على الفصح من اللغة وهو مفصل ما بين العضد والمعصم ولو قطع بعض ما يجب غسله وجب غسل
الباقى لأن المسور لا يسقط بالمسور وان قطع من المرفق فان سل عظم الذراع وبقي العظام
المهيان برأس العضد وجب غسل رأس عظم العضد لانه من المرفق وهو مجمع العظمين
والابرة الداخلة بينهما وان قطع من فوق المرفق ندب غسل باقي عضده (واستمسحوا برؤسكم)
أي ببعضها لما روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم مسح بياصته وعلى عمامته واكتفى بمسح البعض
لانه المفهوم من المسح عند اطلاقه ولم يقل أحد بوجوب خصوص الناصية وهي الشعر الذي
بين الزعنين والاكتفاء به يمنع وجوب الاستيعاب ويمنع وجوب التقدير بالربع أو أكثر
لانما دونه والباء اذا دخلت على متعدد كما في الآية تكون للتبعض أو على غيره كما في قوله
تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق تكون للإصاق (فان قيل) صبغة الامر بمسح الرأس والوجه
في التيمم واحدة فهلا أوجبتم التعميم أيضا (أجيب) بأن المسح ثم بدل للضرورة فاعتبر بيده

ومسح الرأس أصل فاعتبر لفظه (فان قيل) المسح على الخف بدل فيها واجب تعممه بكبدله
 (أجيب) بقيام الاجماع على عدم وجوبه ولا فرق بين أن يمسح على بشرة الرأس أو شعرها
 ولو بشرة واحدة في حد الرأس لأن ذلك يصدق عليها مسمى الرأس عرفا فالرأس اسم لما الرأس
 وعلا وقوله تعالى (وأرجلكم) قرأه نافع وابن عامر وحفص والـ **الكسائي** نصب اللام
 عطفا على وجوهكم وقيل على أيديكم والباقون بالكسر على الجوار ومنهم من عطف على
 الجرو ويحلى قراءة الجرو والمسوح ليفيد مسح الخف وعطف على المنسوب على قراءة النصب على
 المغسول ليفيد غسل الرجل المتجردة منه فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الاخرى وقوله
 تعالى (الى الكعبين) وهما العظمان الناثان في كل رجل من جانبيه عنده فصل المساق والقدم
 دل على دخوله ما في الفسل ما دل على دخول المرفقين فيه وقدمت **(فتبيه)** الفصل بين الايدي
 والارجل المغسولة بالرأس والمسوح فيه دليل على وجوب الترتيب في طهارة هذه الاعضاء
 وعليه الشافعي رضي الله عنه ولو قطع بعض القدم وجب غسل الباقي وان قطع فوق الكعب
 فلا فرض عليه ونذب غسل الباقي كما مر في اليد ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه
 كغيره من العبادات (وان كنتم جنبا) من جماع وغيره (فاطهروا) أي بالغسل لجميع
 البدن لانه أطلق ولم يخص الاعضاء كما في الوضوء (وان كنتم مرضى) أي من ضايضه الماء
 (أو على سفر) أي مسافرين سفرا مباحا طويلا أو قصيرا (أو وباء أحدكم) **ص**
 من الغائط أي الموضع المظلم من الارض الذي يقضى فيه حاجته الانسان التي لا بد منها
 سمى باسمه الخارج للمجاورة قيل وفي ذلك حكمة وهي شدة هجز الانسان ليكف عن اعلمه
 وكبره وترفعه وغفره كما حكى أن بعض الامراء اتى بعض البلدة فلم يسمع له فغضب وقال كائنك
 لم تعرفني فقال بلى والله اني لا عرفك أولك نقطة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت فيما بين ذلك
 تحمل العذرة وقرأ قالون والبرز وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المتو والقصر وسهل
 ورش وقبل الهمزة الثانية وحقق الباقر الهمزتين معا (أو لأمستم النساء) بالذكر أو غيره
 أمستم أم لا وقرأ جزة والـ **كسائي** بغير ألف بين اللام والميم والباقر بالالف (فلم تجدوا ماء)
 بعد طلبه لفقده حسا ومعنى بالعجز عن استعماله للمرض بجرح أو غيره (فيمسحوا) أي أقصدوا
 (صعيدا) أي ترابا (طيبا) أي طهورا خالصا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم مع المرفقين
 (منه) بضمين والباء للالصاق وينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالسبح وتقدم مثل
 هذه الآية في النساء قال البيضاوي ولعل تكريره لينصل الكلام في بيان أنواع الطهارة
 (ما يريد الله ليجعل عليكم) في الدين (من حرج) أي ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل
 والتيمم (ولكن يريد ليخففكم) من الاحداث والذنوب فان الوضوء يكفر الذنوب (وليس نعمته
 عليكم) ببيان شرافع الدين (لعلكم تشكرون) نعمته فتبينكم قال البيضاوي والآية مستقلة على
 سبعة أمور كلها متفق طهارتان أصل وبذل والاصل اثنتان مستوعب وغيره مستوعب وغير
 المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح باعتبار الحمل محمد ود وغير محمد ود وان التيمم ما مانع وبطلان

وموجبهما حدث أصغر وأكبر وإن المبيع للعدول الى البذل مرض أو سفر وإن الموعود عليه تطهير
الذنوب وإتمام النعمة (وإذ كررنا نعمة الله عليكم) أي في هدايته لكم الى الاسلام بعد ان كنتم
على شفا حفرة من النار فأفقدكم منها وفي غير ذلك من جميع النعم ليدرككم المنعم ويرغبكم في شكره
لأن كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بمجدة المنم والانتقاد لآثاره ونواحيه وقال
تعالى نعمة الله ولم يقل نعم الله لأن هذا الجنس لا يقدر عليه الا الله لأن نعمة الحياة والنعمة
والعقل والهداية والصون من الآفات وإيصال الخبرات في الدنيا والآخرة لا يعلمه الا الله
فعلى وان المراد التأمل في هذا النوع من حيث انه مما زعن نعمة غيره (فان قيل) قوله تعالى
واذكر نعمة الله يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانهم ما هم متواثرة متواليه علينا
في جميع الساعات والاولقات (أجيب) بأنها الكثرة وتعاظم اصارت كالامر المعتاد فصار غاية
ظهورها وكثرها سببا لوقوعها في محل النسيان (و) اذكر (واميثاقه) أي عقده الوثوق (الذي
وأنفكم به) أي بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بايعكم ايمه بالعقبة على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره والمنشأطة فعل من النشاط وهو الامر الذي ينشط له والمكره
مفعل من الكره وهو الامر الذي تكرهه النفس وأضاف المشاف الصادر من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى نفسه كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكذلك بأنكم التزمتموه (اذ)
أي حين قلتم سمعنا وأطعنا وفي ذلك تذكرا وأوجب الله صلى الله عليه وسلم عليكم من الشكر
بهدايته لكم الى الاسلام ثم حذركم عن نقض تلك العهود بقوله (واتقوا الله) أي في ميثاقه أن
تنقضوه (ان الله) الذي له صفات الكمال (عالم) أي بالز العلم (بذات الصدور) أي بما في القلوب
فغيره أولى فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم وقيل المراد بالميثاق هو الذي أخذ الله
منهم حين أخرجه من ظهرا دم وأشهدهم على أنفسهم ألست بركم قالوا بلى قاله بمجاهد وقيل
المراد به الدلائل العقلية والشرعية التي نصبها الله على التوحيد والشرائع قاله السدي وأدغم
أبو عمر والشاف في وأنفكم في الكاف بخلاف عنه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي
مجتهدين في القيام (لله) تعالى بمحقوقه (شهداء) أي متيقظين محضرين أفعالكم غاية الاحضار
بحيث لا يشذعنكم شيء مما تريدون الشهادة به (بالقسط) أي العدل (ولا يجبر منكم) أي
ولا يجهلنكم (شأن) أي شدة بغض (قوم) أي الكفار (على أن لا تعدلوا) فاعتدوا
عليهم بارتكاب ما لا يحل كقتله وقذف نساء وصية ونقض عهدتكم فيما في قلوبكم
(اعدلوا) أي تمروا العدل واقدروا في كل شيء (هو) أي العدل (أقرب) من تركه (للتقوى)
لذكره لطفافها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله اذا كان
بهذه الصفة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أوليائه وأحبائه (تنبيه) يؤخذ من
هذا أن التكليف مع كثرتها المحصورة في نوعين التعظيم لاهر الله والشفقة على خلق الله فقوله
تعالى كونوا قوامين لله إشارة الى التعظيم لاهر الله ومعنى القيام هو ان تقوم لله بالحق في كل
ما يلزمك وقوله تعالى شهداء بالقسط إشارة الى الشفقة على خلق الله وفيه قولان الاول قال عطاء

لا تخاف في شهادتك أهل ودك وقرباك ولا تمنع شهادتك أعداءك وأعداك الثاني أمرهم
 بالصدق في أفعالهم وأقوالهم وتقدم نظير هذه الآية في النساء الآن هناك قدم لفظة القسط
 وهذا آخرها قال ابن عادل فكان الغرض من ذلك والله أعلم أن آية النساء هي بها في معرض
 الاقرار على نفسه ووالديه وأقاربه فبدأ فيها بالقسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس
 ولا والد ولا قرابة والتي هنا هي في معرض ترك العداوة فبدأ فيها بالامر بالقيام به لانه أردع
 للمؤمنين ثم ثنى بالشهادة بالعدل فجاء في كل معرض بما يناسبه وقال البيضاوي وتكرر بهذا
 الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود ولما زيد
 الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نار الغيظ (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)
 فيجازيكم به (وعند الله الذين آمنوا) أي أقروا بالايمان بأنفسهم (ومهلوا) تصديقاً لهذا الاقرار
 (الصالحات) وحذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) فانه استئناف
 بيينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول لانه لا يعقد الا به فكانه قال
 وعدهم هذا القول والاجر العظيم هو الجنة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
 الجحيم) أي النار التي اشتدت نيرانها فاشتد حمرارها فلا يراها أحد الا بحجم عنها فيلقون فيها
 ثم يلازمونها فلا يتفككون عنها كما هو شأن الصاحب وهذا من عادة الله سبحانه وتعالى انه يسمع
 حال أحد القريبتين حال الفريق الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وقطييب
 لقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) رسمت نعمت هنا بالتاء فوق فوقف عليها
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وفي الوصل الجميع بالتاء روى أن المشركين
 رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معاً وذلك بعد ما كان
 وهو وادينه وبين مكة مرحلتان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندبوا ان لا كانوا اكبروا عليهم
 فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آياتهم وأبناهم يعنون صلاة العصر وهموا
 بأن يوقعوهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف رواه مسلم وغيره والآية
 اشارة الى ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
 يستعرضهم أي يطلب منهم ما لا قرض الدية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ بحسبهما
 مشركين لكن في رواية البيهقي أن المقتولين كانا معا هدين لاسلمين وأن الخروج كان لبني
 النضير لا الى قريظة فقالوا نعم يا أبا القاسم وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك
 القتال وعلى أن يعينوه في الديار فقالوا قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك
 ونعطيك الذي تسألنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلص بعضهم بعض وقالوا
 انكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الا نحن فنظر على هذا البيت فطرح عليه صخرة فبرحنا
 منه فقال هرو بن جحاش أنا نجأ الى رعا عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل
 جبريل عليه السلام فأخبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً الى المدينة ثم دعا علياً
 وقال لا تبرح مقامك فن خرج عليك من أصحابي فسأل عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى

تناهوا اليه ثم تبعوه وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وتفرق الناس في العشاء
 يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فحاء اعرابي فسل سيف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا
 رسول الله فزلت (أذهمت قوم أن يسطوا اليكم أيديهم) ليعقكم واكم يقال بسط اليه لسانه
 إذا شقه وبسط اليه يده إذا بطشه قال تعالى ويسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى
 بسط اليدهم مدتها الى المبطوش به ألا ترى الى قولهم فلان بسط الباع ومديد الباع بمعنى
 (فكف أيديهم عنكم) أي منعها أن تغد اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله) في جميع
 أموركم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فإنه الكافي لا يصل الخبير ودفع الشر (ولقد أخذ
 الله ميثاق بني إسرائيل) أي العهد الموثق بما أخذ عليه من السمع والطاعة (وبعنا منهم اثني
 عشر نقيبا) أي شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم بالوفاء بما عليهم الوفاء به كبعضنا منكم ليله
 العقبة اثني عشر نقيبا وأخذنا منكم الميثاق على ما به كمال الاسلام والنقيب الذي يتقرب
 عن احوال القوم كما قيل له عرف لانه يعرفها ومن ذلك المناقب وهي الفضائل لانها
 لا تظهر الا بالنقيب عنها روى أن بني إسرائيل لما استقر وأبحر بعدهم لافرعون أمرهم
 الله تعالى بالسفر الى أريحا فأتوا أرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبابرة وقال اني كتبت
 لكم درا وقرارا فاخرجوا اليها وبأهدوا فيها واني ناصركم وأمر موسى صلوات الله وسلامه
 عليه أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفلا على قومه بالوفاء بما أمروا به بوقته عليهم
 واختار النقيب وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم النقيب وسار بهم فلما دنا
 من أرض كنعان بعث النقيب يعجسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكه فهابوا ورجعوا
 وحدثوا قومهم وقدمهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فكذبوا الميثاق الا كaleb بن يوفنا
 من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقيب (وقال) لهم
 (الله اني معكم) أي بالعون والنصرة (لان) لام قسم (أقم الصلاة) التي هي وصلة العبد والخالق
 بجميع شروطها وأركانها (وآتيت الزكاة) التي تقرب العبد الى الله عز وجل (وآمنت برسلي)
 أي بجميع الرسل (وعزرتوهم) أي نصرتهم وقيل التعزير التعظيم وقيل هو الشناء بخير قاله
 يونس وهو قريب من الثاني (فان قيل) لم أخر الايمان بالرسول عن اقام الصلاة وآيتاء الزكاة مع
 أنه مقدم عليهما (أجيب) بأن اليهود كانوا مقرين بأنه لا بد في حصول النجاة من اقام الصلاة
 وآيتاء الزكاة الا أنهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر أن بعد اقام الصلاة
 وآيتاء الزكاة لا بد من الايمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود والالام يكن لا قام الصلاة وآيتاء
 الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الايمان بجميع الرسل (فان قيل) قوله تعالى (وأقرضتم الله
 قرضا حسنا) داخل تحت آيتاء الزكاة فإثباته أعادته (أجيب) بأن المراد بالزكاة الواجبة
 وبالقرض الصدقة المندوبة وخصها بتبسيها على شرفها وقرضها يحتمل المصدر والمفعول به

ولما كان الانسان محل النقصان فهو لا ينفك عن زلل أو نقصير وان اجتهد في صلاح العمل قال
 سيد الخواب القسم المدلول عليه باللام في لئن مسد جواب الشرط (لا كفرن) أى لا سترن
 (عنكم ميا - فكم) أى فعلكم الذى من شأنه أن يسوء (ولا دخلكم) فضلا ورحمة مفعلى (جنات
 تجري من تحتها الأنهار) أى من شدة الرى (فن كفر بعد ذلك) المشاق (منكم فقد ضل) أى
 ترك وضيع (سواء السبيل) أى أخطأ طريق الحق والسواء فى الأصل الوسط (فان قيل) من
 كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (أجيب) بأن الضلال بعد أظهر وأعظم لانه الكفر
 بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره لانه قد يكون له قبل ذلك شبهة يتوهم له معذرة وقرأ قالون
 وابن كثير وعاصم باظهار دال قد عند الضاد والباقون بالادغام وقد تقدم ولما نقضوا المشاق
 مرة بدمرة بنكذيب الرسل وقتل الانبياء وكنههم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم
 فى سورة البقرة قال تعالى (فجاء) ما مزيدة للتأكيد (نفضهم مينا فقههم لغناهم) قال عطاء
 أبعدناهم من رجعتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم قرده وخنازير وقال ابن عباس ضربنا
 الجزية عليهم (وجعلنا قلوبهم فاسية) أى لاتلين لقبول الايمان وقرأ حمزة والكسائي بغير
 ألف بعد القاف وتشديد الياء بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو أيضا
 من القسوة فان المغشوش فيه ييس وصلابة والباقون بألف بعد القاف وتخفيف الياء وقوله
 تعالى (يحزفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لاقسوة أشد من تغيير
 كلام الله تعالى والافراء عليه (ونسوا حظا) أى نصيبا نافعا (عماد كروا به) أى من التوراة على
 أنبيائهم عيسى ومن قبله عليهم الصلاة والسلام تركوه ترك النامى لثقله مبالا فيهم به بحيث
 لم يكن لهم رجوع اليه وقيل معناه انهم حزفوها فزلت لشؤمهم أشياء منها عن حفظهم وعن ابن
 مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال ينسى المربض العلم بالعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا
 نصيب أنفسهم مما مروا به من الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعمته (ولا تزال) أى بما
 نطلع عليه يا كرم الخلق فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (تطلع) أى تظهر (على خائنة)
 أى خيانة (منهم) بنقض العهد وغيره لأن ذلك من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم
 (الاقلام منهم) لم يحفونوا وهم الذين آمنوا منهم (فأعف عنهم) أى امح ذنبهم ذلك (واصفح) أى
 أعرض عن ذلك أصلا ورأسا ن تابوا وآمنوا وعاهدوا واثتموا الجزية وقيل مطلق ونسخ
 بآية السيف وقوله تعالى (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتبنيه
 على أن العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره روى الشيخان وغيرهما عن
 عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له البدين الاعمص
 وفي رواية البخارى أنه رجل من بني زريق حليف لليهود وكان منافقا حتى كان يخيل اليه أنه بأنى
 النساء ولا يأتين وذلك أشد السحر ثم ان الله تعالى شفاه واعلمه أن البحر في بئر ذروان فقالت له
 عائشة رضى الله عنها أفلا أخرجه فقال لا أمأنا فقد عافاني الله وكرهت ان أثير على الناس شرا
 فأمرت به فدفنته وهو في مجهم الطبراني الكبير وهذا القطة وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال

كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له عقد الجفلة في يتر رجل من الانصار فأتاه
 ملكان بعدوانه ففعدا أحدهما عند رأسه والاخر عند رجله فقال أحدهما أتدري ما وجهه
 قال فلان الذي يدخل عليه عقد فألقاه في يتر فلان الانصارى فلما أرسل رجلا لوجده الماء
 أصفر فبعث رجلا فأخذ العقد فخلها فبرئ فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه
 وسلم فلم يذكرك له شيئا منه ولم يعاتبه وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فسألتها عن ذلك فقالت أردت لاقلاك فقال ما كان الله ليلسلطك على ذلك أو قال
 هل قالوا أفلا نقلتها قال لا قال أنس فارتدت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم فانظر
 الى عفوهم صلى الله عليه وسلم واقتدبه وفي ذلك غاية العفو والاحسان امتثالاً لأمر ربه تعالى
 وقيل فافع عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (ومن الذين قالوا انانصارى أخذنا من مشاقهم)
 أى وأخذنا من النصارى مشاقهم كما أخذنا من قبلهم (فان قيل) هلا قال من النصارى
 (أجيب) بأنهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء للنصرة الله تعالى لقولهم لعيسى نحن أنصار الله
 وليسوا موصوفين به قال الحسن فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى (ففسوا)
 أى تركوا ترك الناسى (حظاً) أى نصيباً عظيماً يتنافس في مثله (عما ذكرناه) أى فى الانجيل من
 الايمان ومن أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ونقضوا الميثاق (فأغرينا) أى أوغرينا
 (بينهم) أى النصارى بعد أن جعلناهم فرقا متباينين وهم نسطورية ويعقوبية ومكائنية وكذا
 بينهم وبين اليهود (العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) أى بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة
 تكفر الاخرى وقرأنا فو أبوعرو وابن كثير بتحقيق الهمة الاولى وتسهيل الثانية والباقيون
 بتحقيقهما (وسوف يشبههم الله) أى يميزهم فى الآخرة (عما كانوا يصنعون) فيجاز بهم عليه
 وقوله تعالى (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى ووجد الكتاب لانه الجنس (قد جاءكم
 رسولنا) وهو أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (بين لكم) أى يوضح ايضا حاشافيا (كثيرا
 مما كنتم تحفون) أى تكتمون (من الكتاب) أى التوراة والانجيل كمنعت محمد صلى الله عليه وسلم
 وآية الرحمة فى التوراة وبشارة عيسى بأجد فى الانجيل (ويعفون عن كثير) أى عما تخفونه فلا يبينه
 اذا لم يكن فيه مصلحة فى أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذ بجرمه (قد جاءكم من الله نور) هو
 محمد صلى الله عليه وسلم الذى جلا ظلمات الشرك والشرك (وكتاب) هو القرآن العظيم (مبين) أى
 بيز فى نفسه مبين لما كان خافيا على الناس من الحق (يهدى به الله) أى بالكتاب وقيل بهما ووجد
 الضمير لان المراد بهما واحدا لانهما كواحد فى الحكم (من اتبع رضوانه) أى رضاه بأن آمن
 (سبل) أى طرق (السلام) أى السلامة من العذاب أو الله باتباع شرائع دينه (ويخرجهم
 من الظلمات) أى أنواع الكفر والوساوس الشيطانية (الى النور) أى الاسلام (بأذنه) أى
 بأمره أو بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) أى طريق هى أقرب الطرق الى الله تعالى وموّد
 اليه لا محالة وهو الدين الحق (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وذلك حيث جعلوه
 الها وهم البعقوبية فرقة من النصارى وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث

اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم (قل) لهم يا محمد (قن ذلك) أي يدفع (من) عذاب (الله شيئاً) أي من الأشياء التي يتوهم أنها قد تنفعهم بما يريد (إن أراد أن يميتك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي لا أحديك ذلك ولو كان المسيح اله القدر عليه فدل ذلك على أنه بعزل من الألوهية وأنه مقدور مقهور وقابل للقضاء كسائر الممكات وأراد يعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تغاوت بينهم وبينهما في البشرية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) أي بين النوعين وبين أفرادهما مما يحياه تمام أمرهما (يخلق ما يشاء) أي على أي كيف أراد (والله على كل شيء قدير) أي قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض ومن أصل كما خلق ما بينهما وينشئ من أصل ليس من جنسه كما دم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه أمان ذكر وحده كما خلق حواء من آدم أو من أنثى وحدها كعيسى بن مريم أو منها كسائر الناس وقوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى) أي كل طائفة قالت على حدتها (نحن أبناء الله وأحباؤه) اختلف المنكرون في معنى ذلك على أربعة أوجه أحدها أن هذا من باب حذف المضاف أي نحن أبناء رسول الله كقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله الثاني أن لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب قد يطلق أيضاً على من اتخذنا بمعنى تخصيصه بزيد الشفقة والمحبة فالقوم لما ادعوا غناية الله بهم ادعوا أنهم أبناء الله الثالث أن اليهود زعموا أن العزيز ابن الله والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ثم زعموا أن العزيز والمسيح كانا منهم فصارتهم قالوا نحن أبناء الله ألا ترى أن أقارب الملك إذا فاضروا أحداً يقولون نحن ملوك الدنيا والمراد كونهم مختصين بالشخص الذي هو الملك فكذا هنا الرابع قال ابن عباس رضي الله عنهما إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم من عقاب الله فقالوا كيف نخوفنا بعد عذاب الله ونحن أبناء الله تعالى وأحباؤه فهذه الرواية إنما وقعت عن تلك الطائفة وأما النصارى فأنهم يتلون في الإنجيل إن المسيح قال لهم اني ذاهب إلى أبي وأيكتم وقيل أرادوا أن الله كالأب لنا في الحنو والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة وقال إبراهيم النخعي إن اليهود وجدوا في التوراة أبناءاً أجماري فبدلوه بأبناء إسرائيلي فحين ذلك قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وجعله الكلام إن اليهود والنصارى كانوا يرون أن نفعهم فضلاً على سائر الخلق بسبب أسلافهم من الأنبياء إلى أن ادعوا ذلك (قل) لهم يا محمد (فلم يعد بكم بذنوبكم) أي فإن صح ما زعمتم فلم يعد بكم بذنوبكم ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعتزمت بانه سيعذبكم بالنار أيام معدودة وقرأ البرزى في الوقف فلم يخلاف عنه (بل أنتم بشر من) (جمله) (من خلقه) الله تعالى من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم (يعذركم بيشاء) أي بمن خلقه منه ثم ومن غيركم تفضل الله تعالى (ويعذب من يشاء) كذلك كما تشهدونه بكرم ناسا منكم في هذه الدار ويهين آخرين لا اعتراض عليه وقرأ أبو عمر وباندغام الراية في اللام من يغفروا ليا في الميم من يعذب بخلاف عنه ورقق ورش الراية على أصله (وقللك السموات والأرض وما بينهما)

أى وأنتم بما بينهما فمن كان هكذا وقد رتبته هكذا كيف يستحق عليه البشر الضعيف حقاً واجباً
 وكيف يملك عليه الجاهل بهبائذه الناقصة ديناً لازماً كبرن كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون
 الا كذباً ثم قال (واليسه المصير) أى المرجع فيعزى المحسن بإحسانه والمسيء بأسائه (يا أهل
 الكتاب) أى من الفريقين (فقد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (بين لكم) أى ما كنتم
 وحذف لتقدم ذكره أو الدين وحذف لظهوره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى ويبدل
 لكم البيان وجملة بين لكم فى موضع الحال أى جاءكم رسولنا مبیننا لكم وقوله تعالى (على فترة من
 الرسل) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى قال ابن
 عباس يريد على انقطاع من الانبياء فتشبهه فقد هم وبعد العهد بهم ونسيان أخبارهم وبلاء
 رسوهم وأثارهم وانطماس معالمهم وأنوارهم بشئ كان يغفلون عنه ولم ينم عن وصفه المقصود
 منه الا أثر خاف ورسم دارس يقال فترة الشئ يذتر فتور اذا سكنت حركته وصار أقل مما كان
 عليه وسببت المدة بين الانبياء فترة لفتور الدواعى فى العمل بترك الشرائع واختلوا فى مدة
 الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عثمان النهدي ستمائة سنة وقال قتادة خمسمائة
 وستون سنة وقال معمر والكبي خمسمائة وستة وأربعون سنة وعن السكبي بين موسى وعيسى
 ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة من الانبياء ثلاثه من
 بنى اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي وفى الآية امتنان عليهم بان بعث
 اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا أحوج ما يكون اليه قال البقاعي ولعله عبر بالمضارع
 فى بين إشارة الى ان دينه وبيانه لا ينقطع أصلاً بحفظ كتابه فكما درست سنة مخ الله تعالى بعالم
 يرذل الناس اليها بالكتاب العزيز المجزأ القسام أبداً فلذلك لا يحتاج الامر الى نبى يتحدث الا عند
 الفتنه التى لا تطيقها العلماء وهى فتنة الدجال وبأجوج ومأجوج ثم علل ذلك بقوله تعالى
 (ان) أى كراهة ان (تقولوا) أى اذا حشرتم وسلمتم عن أعمالكم (مجاة ناهى بشرى) أى يشرف
 زائدة لتأكد النفي أى يشرفنا لترغب فنعلم بما يسعدنا نفوز (ولا نذير) أى يحذرنا لترهب فنتذكر
 ما يشقىنا فنسلم وقوله تعالى (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا بما جاءنا من
 بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير (واقه على كل شئ) أى فيقدر على الارسال تنورا واحدا بعد
 واحد على التعاقب كما فعل بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وعلى الارسال على فترة كما
 فعل بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام (واذ قال موسى لقومه) أى من اليهود (يا قوم
 اذكروا نعمة الله عليكم) أى انعامه فذكرهم بثلاثة أموراً ولها قوله تعالى (اذ) أى حين (جعل
 فيكم) أى منكم (انبياء) فأرشدكم وشرّفكم بهم ولم يعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء
 وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وحزرة والكسائي باظهار ذال اذ عند الجيم وأدغمها
 أبو عمرو وهشام ونابها قوله تعالى (وجعلكم مملوكاً) أى وجعل منكم أوفقكم فقد تكاثرت فيهم
 الملوكة تكاثرت الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهما يقتل عيسى وقال ابن عباس أصحّاب
 خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن أبي سعيد الخدري

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة وداية يكتب ملكا وقال أبو عبد الرحمن الجبلي سمعت عبيد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال السنان فقراء المسلمين المهاجرين فقال عبد الله له يا هذا لك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألا تسكن تسكنه قال نعم قال فانت غنى من الاغنياء قال ألا خادم قال نعم قال انت من الملوك وقال السدي وجعلكم احرارا غلب كون أمر أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقال الفصاح كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك وثالثها قوله تعالى (وأتاكم مالم يوت أحد من العالمين) وذلك لانه تعالى خصهم بأنواع عظيمة من الاكرام كذلتي البحر لهم وأهلك عدوهم وأورثهم أموالهم وأنزل عليهم المن والسوى وأخرج لهم المياه الغزيرة من الحجر وأحل فوقهم الغمام ولم يجمع الملك والنبوة لقوم كما جمعه الله لهم وكانوا في تلك الايام هم العلماء بالله تعالى وهم أحباب الله وأنصار دينه وقيل المراد بالعالمين عالمو زمانهم وقال الكلبي ان جعلت العالمين عاما وجب تخصيص ما تلائم انهم أو توأما لم تؤت هذه الامتياز من الكرامة والفضل وغير ذلك وان خصصته بالعالمين زمانهم فباقية على عمومها اذا لم يحذروه ولما ذكرهم هذه النعم وشرحها لهم أمرهم بعد ذلك بجهاد العدو فقال (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أي المطهرة وهي أرض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت مسكن الانبياء والمؤمنين وقال مجاهد في الطور وما حوله وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وهو بضم الدال وتشديد النون اسم نهر أو كورة بالشأم قاله الجوهري وقال قتادة هي الشام كلها (التي كتب الله لكم) أي في اللوح المحفوظ انزل لكم مساكن وقال السدي أمركم بدخولها (فان قيل) على القول الاول كيف كتبها لهم بعد قوله تعالى بعد فانهم محرومة عليهم (أجيب) بأجوبة أولها قال ابن عباس انها كانت هبة ثم حوزها عليهم ثم غردهم وعصيانهم فانها اللفظ وان كان عاما لكن المراد به الخصوص فكأنها كتبت لبعضهم وحزمت على بعضهم ثالثها ان الوعد بقوله تعالى كتب الله لكم مشروط بقيد الطاعة فلم يلزمه الشرط لم يوجد المشروط رابعها انها محترمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون حصل ما كتب (ولا تردوا على أدياركم) أي ولا ترجعوا مدبرين خوفا من العدو (فتقلبوا خاسرين) أي في سركم وذلك ان قوم موسى لما أخرجوا من مصر وعدهم الله تعالى اسكان أرض الشام قال الكلبي سمع ابراهيم عليه السلام جيل لبنان فقيل له انظر ما أدركك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك وكان بنو اسرائيل يسمون أرض الشام أرض الموعد ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيباً ليتجسسوا الهيم عن أحوال تلك الارض فلما دخلوا تلك الاماكن رأوا أجساما عظيمة قال ابن عادل قال المفسرون فأخذهم أحد أولئك الجبارين وجعلهم في كهف فأكهه قد جعلها من بساطته وأقي بهم الملك ونثرهم بين يديه وقال تعجب الملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه بما شاهدتم ثم انصرف هؤلاء النقباء الى موسى عليه السلام فاخبروه بما لواقعة فأمرهم أن يكفوا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا جليل منهم وهم ابوشع ابن نون بن افرايم بن يوسف فقي موسى وكالب بن يوفنا فقي موسى وكان من سبط يهوذا فانما

سهلا الامر وقال هي بلاد طيبة كثيرة النعم والاقوام وان كانت اجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم
ضعيفة واما العشرة الباقية من التقاء فانهم ارفعوا الجبن في قلوب الناس حتى اظهروا
الامتناع ورفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا بالتي انا متنا في ارض مصر وليتنا موت في هذه البرية
ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واثقالنا غنيمتهم ويقولون لا تصيبهم
تعالوا لنجعل علينا رؤساء وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى (فالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين)
اي عتاة قاهرين لغيرهم ~~مكرهين~~ لغيرهم على ما يريدون (وانال ندخلها) خوفا منهم (حتى
يخرجوا منها) اي بان وجهه كان (فان يخرجوا منها فاناد اخلون لها واصل الجبار المتعظم المنع
عن القهر يقال فخله جبارا اذا كان طويله تمتعة عن وصول الايدي اليها وسعى هؤلاء القوم
جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة اجسادهم وكانوا من العمالة وبقية قوم عاد فلما قال بنو
اسرائيل ما قالوا وهو ابانا نصراف الى مصر ختم موسى وهرون عليهما السلام ساجدين وخرق
يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله تعالى عنهما في قوله (قال رجلان من الذين يخافون)
اي مخالفة امر الله تعالى (انعم الله عليهما) اي بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) اي باب
قريه الجبارين ولا تخشوهم فاناروا ناهم واجسادهم عظيمة بلا قلوب (فاذا دخلوها فانكم
غالبون) اي لان الله تعالى منجز وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) به ومصديق بوعده
فأراد بنو اسرائيل ان يرجعوا بالجارية وعصوا امرهما ثم (فالوا يا موسى انال ندخلها أبدا)
نفوا دخولهم على التاكيد والتأييد وقوله تعالى (ماداموا فيها) يدل من ابد ابدل البعض
(فاذهب أنت وربك فقاتلا) هم (فاهما فاعدن) عن القتال لا القعود الذي هو ضد القيام
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاهم ما قيل وربك أي هرون لانه أكبر منه وقيل
تقديره اذهب أنت وربك يعينك فلما سمع من قومه ذلك (قال رب اني لأملأ لك الانفسى وأخى)
أي لأملأ لك التصرف ولا ينفذ أمرى الانفسى وأخى لان الانسان لا يملك نفسه في الحقيقة انما
المراد به التصرف واني أفعل ما أمرتني به وأخى كذلك قاله ليشكوى به وحرته الى الله عز وجل
لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان
المذكوران وان كانوا اوقسان لم يثق بهما مما كذب من تلقن قومه أو ان المراد بأخى من
يوأخيه في الدين فبدخلان فيه وأظهر وجوه الاعراب في أني أنه منصوب عطفا على نفسي
والمعنى ولأملأ لك الأخي مع ملكي نفسي دون غيرنا (فأفرق) أي فافصل (بيننا وبين القوم
الفاسين) بأن تحكم لنا فيستحقه ويحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتباعد بيننا وبينهم (قال)
تعالى (فانها) أي الارض المقدسة (محزومة عليهم) ان يدخلوها وقوله تعالى (اربعين سنة
يتيمون) أي يتيمون (في الارض) اختلاف في العامل في اربعين فقيل محزومة فيكون التعريم
موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله تعالى التي كتب الله لكم وقيل هو يتيمون أي يسرون
فيها متهمين قال الزجاج والاول خطأ لانه جاء في التفسير أنهم محزومة عليهم ابدافضها يتيمون
أي فيكون التعريم مطلعا قال البغوي لم يرد به تعريم تعبد وانما اراد تعريم منع وأوحى الله

تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام بي حلفت لاحترم عليهم دخول الارض المقدسة غير
 عبدي يوشع وكالب ولا تبنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي
 تجسسوا فيها سنة ولا أربعين جيفةهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشر فدخلوها
 فلبثوا أربعين سنة في ستة فرائخ وقبل تسعة فرائخ قال ابن عباس وهم ستمائة ألف مقاتل
 وكانوا يسرون كل يوم جادين فاذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان الغمام
 يظلمهم من الشمس وعمود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم
 من الحجر الذي يحملون فاذا ولد لاحدهم مولود كان عليه ثوب مثل الظفر في رأى العين يطول
 بطوله ويتسع بقدره الله والله أعلم بما يحكي من ذلك (فان قيل) كيف ينزل المن والسلوى
 في حال العقوبة (أجيب) بأنه سبب البقاء وهو أبقى للعقوبة فهو كاقامة الحد ودعم بقاء الخطاب
 واختلاف اهل كان موسى وهرون عليهم ما السلام فيهم أولا قال البغوي الاصح انهما كانا فيهم
 الا انه كان ذلك راحة لهما وزيادة في درجاتهما وعقوبة لهما وهو أبلغ في الاجابة أن يشاهدوا
 في حال العقوبة فلا يصيبهما ما أصابهم ولم يدخل الارض المقدسة أحدهما قال ابن ندخلها بل
 هلكوا في التيه وعمما قال الجبارة أولادهم واختلاف اهل مات موسى وهرون في التيه أم لا
 قال البيضاوي الاكثر انهما كانا معهم في التيه وانهما ماتا فيه مات هرون قبل موسى
 وموسى بعده سنة قال عمر بن ميمون مات هرون قبل موسى وكانا خراجا الى بعض الكهوف فأت
 هرون فدفنه موسى وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا قتله لحينا اياه وكان محببا في بني اسرائيل
 فتمضت موسى الى ربه فأوحى الله تعالى اليه ان انطلق بهم الى هرون فاني باعته فانطلق بهم الى
 قبره فناداهم هرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك قال لا ولكن مت قال فعاد الى
 مضجعتك وانصرفوا وعاش موسى صلى الله عليه وسلم بعده سنة وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب أمر ربك فاطم
 موسى عين ملك الموت فقفاها فقال ملك الموت يا رب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وقد قفا
 عيني قال فردا الله عينه وقال ارجع الى عبدى وقل له الحيازة تريد فان كنت تريد الحيازة فضع يدك
 على متنو رفا وارت يدك من شعرة فانك تعيش بهم اسنة قال ثم قال ثم قوت قال الا ان من
 قريب قال رب أدنى من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني
 عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكتيب الاحمر قال وهب خرج موسى ليقضى حاجة
 فزبره من الملائكة يحضرون قبر الميرسيا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة
 والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحضرون هذا القبر فقالوا العبد كرم على ربه فقال
 ان هذا العبد لي الله بمنزلة ما رأيت كالיום أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله
 تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه
 الى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب وقبل
 ان ملك الموت أنابه بتفاحة من الجنة فشماها قبض الله روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة

فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة بعث الله تعالى يوشع عليه السلام نبيا
فأخبرهم ان الله تعالى قد أمرهم بقتال الجبارة فصعد قومه وبايعوه فتوجه بين اسرائيل الى
اربعاء ومعه تابوت الميثاق وأحاط بمدينة أريحا سبعة أشهر ونحوها في الشهر السابع
ودخلوها فقاتلوا الجبارين وهزموهم وجمعوا عليهم وقتلواهم وكانت العصابة من بني اسرائيل
يحييهم على عنق الرجل وضر بونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس
تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس على وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في
طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقسم حتى ينقسم من أعداء الله قبل دخول
السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وروى الامام أحمد
في مسنده حديثا ان الشمس لم تحبس على بشر الا لبوشع ليلالى سارا الى بيت المقدس ثم تبع
ملوك الشام فاستباح منهم أحد أو ثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام
كلها لبني اسرائيل وفروا عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى
يوشع ان فيها غلولا ففرهم فلبسوا بعلوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال لهم ما عندك
فاتاه برأس نوري من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر وكان قد غلبه فجعله في القربان وجعل
الرجل معه خفات النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل ابراهيم وكان
عمره مائة وستة وعشرين سنة وتدرأمر بني اسرائيل بعد موسى سبعة وعشرين سنة فسبحان
الباقى بعد فناء خلقه * ولما ند موسى عليه السلام على الدعاء عليهم قال تعالى (فلاناس
على القوم الفاسقين) فبين تعالى انهم أحقاء بذلك لنفسهم (واتل عليهم نبا ابني آدم) وهما
هايل وقايل وقوله تعالى (الحق) صفة مصدر محذوف أى تلاوة متلبسة بالحق وقصتهما أن
الله تعالى أوحى الى آدم أن يزوجه كل واحد منهما ما توأم الآخر وكانت حواء تلد لا دم كل بطن
غلاما وغازية وظاهر كلام المؤرخين ان آدم لا يحل له أن يزوجه واحدة من بناته ولا من
بنات أولاده ولهذا ألف بعضهم بقوله ماتت زوجة رجل فحرم عليه نساء الدنيا وكان جميع
ما ولدته أربعين ولدا في عشر من بطنها أولهم قاييل وثلاثة اقلما وثانيهم هايل وثلاثة يلودا
وأخروهم عسدا المغيث وثلاثة أم المغيث ثم باولك الله تعالى في نسل آدم عليه السلام قال ابن
عباس رضى الله عنهم لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد له أربعين ألفا فأراد آدم ان ينكح قاييل
يلودا أخت هايل وينكح هايل اقلما وكانت أخت قاييل أحسن من أخت هايل فذكر ذلك
لولده فرضى هايل وصخط قاييل وقال هى أختى وأنا أحق بها فقال له أبوه انه لا تحل لك فأبى أن
يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا قربا فابكيا تقبل قربانه
فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار يضافا كلتها واذا لم تكن
مقبولة لم تنزل النار وأكله الطير والسباع فخر جال قريبا وكان قاييل صاحب زرع فقرب صبرة
من طعام من أردا زرعه وأضمر في نفسه ما أبالى تقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أبدا وكان هايل
صاحب غنم فعمدا الى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا

قربانه ما على الجبل ثم دعا آدم قزلب نار من السماء فأكل قربان هابيل ولم تأكل قربان قاييل
كما قال تعالى (أذ قربا بقربان فقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يقبل من الآخر) وهو قاييل
لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده فغضب قاييل لرذوبانه
وأضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت الحرام فلما غاب آدم أتى قاييل لهابيل وهو
في غنمه (قال لاقتلك) قال ولم قال لأن الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح أختي الحسناء
وأنكح أختك الدميعة فيحدث الناس أنك خير مني ويفتخروا بك على ولدي (قال) هابيل
وما ذنبي (انما يقبل الله من المتقين) فان قيل كيف كان قول هابيل انما يقبل الله من المتقين
جوابا لقوله لاقتلك (أجيب) بأنه لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي جعله
على نوعه بالقتل قال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخهما من لباس التقوى لان قبلي
فلم تقتلني ومالك لاتعاقب نفسك ولاتحملها على تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول
فأجابه بكلام حليم مختصر جامع لمعان وفيه اشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من
تقصيره ويجهتد في تحصيل ما صار به المحسود ومحظوظا لا في ازالة حظ المحسود فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين
حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال اني اسمع الله يقول انما يقبل الله من
المتقين (الذين) لام قسم (بسطت) أي مددت (الي يديك لقتلي ما أبايا سيطي اليك لاقتلك اني
أخاف الله رب العالمين) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وایم الله ان كان المقتول لاشد
الرجلين ولا يكن منعه التخرج أن ييسط إلى أخيه يده خوفا من الله عز وجل لان الدفع لم يقع بعد
أو تخرج إلى ما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
وانما قال ما أبايا سيطي في جواب ابن عباس للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتبري عن أن
يوصف به وبطلان عليه ولذلك أكد النبي بالبلاء وقرأ نافع وأبو عمر ووحفص بفتح الياء من يدي
والباقون بالسكون واتفق القراء السبعة على بقا صفة الطاء في بسطت وادغام الطاء في التاء
لان مخرج الطاء والتاء واحد ولكن الصفة مختلفة فالطاء منطبعة والتاء منفتحة والطاء
مستعيلة والتاء مستعيلة والطاء مجهورة والتاء هموسة ويقال في ذلك ادغام الحرف وابقاء
الصيغة (انني أريد أن تبوء) أي ترجع (بائي) أي بائم قسلي (وانك) الذي ارتكبت من قبل
(فتكون من أصحاب النار) ولا أريد أن أبوء انك اذا قتلتك فأكون منهم (فان قيل) كيف قال
أريد أن تبوء بائي وانك واردة القتل والعصية لا تجوز (أجيب) أن ذلك ليس بحقيقة ارادة
لكنه لما علم انه يقتله لاجل الهوى ووطن نفسه على الاستسلام طلبا للشواب فكانت صار مریدا
أقله مجازا وان لم يكن مریدا حقيقة (وذلك جزاء الظالمين) أي الراسخين في وصف الظلم وأكون
أنا من أصحاب الجنة جزاء لي باحساني في ايشاؤى حيائك علي حياتي وذلك جزاء المحسنين
(فقطعت) قال قتادة فزيت (له نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير يقتل له ابليس وأخذ له
طائرا ووضع رأسه على حجر وشدخ رأسه بحجر آخر وقاييل نظر إليه فعلم القتل فوضع قاييل

رأس هابيل بن حجر بن وقسله وهو مستسلم وقبل اغتاله في النوم وهو نائم فشدخ رأسه فقتله
 (فأصبح) أي فصار (من الخامس من) بقوله ولم يدوما يصنع به لانه أول ميت على وجه الارض من
 بني آدم وكان له ايل يوم قتل عشر ون سنة فحمله بعد قتله في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس
 سنة حتى أروح وعكف عليه الطير والسباع تنظر متى يرمى فتأكله فبعث الله غرابين فاقتلا
 فقتل احدهما صاحبه ثم حضر له بقار ووجليه حتى مكته ثم ألقاه في الحفرة ووراه وقايل ينظر
 اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه) أي الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه
 لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل الجواز (كيف يوارى) أي يستر (سواء)
 أي جيفة (أخيه) وقيل عورته لانه كان سلبه ثيابه فلما رأى قاييل ذلك (قال يا بليق) كلمة
 جزع وتحمس والاف فيها يدل من ياء المتكلم والمعنى يا بليق احضري فهذا أو أناث والويل
 والويله الهلكة (أعجزت) أي مع ما جعل الله من القوة الساطقة (أن) أي عن أن (أكون)
 مع مالي من الجوارح الصالحة لأعظم من ذلك (مثل هذا الغراب فاواري سواء أختي) أي
 لا تهدي الى ما اهتدى اليه وقوله تعالى فأواري عطف على أكون وليس جواب الاستفهام
 اذ ليس المعنى لو عجزت لو اريت (فأصبح) أي بسبب قتله (من التامين) أي على ما فعل لانه فقد
 أخاه وأغضب ربه وأباه وما انتفع من قتله بشئ قال المطلب بن عبد الله بن حنبل لما قتل ابن
 آدم أخاه رجحت الارض بما فيها سبعة أيام وعن ابن عباس لما قتله وكان آدم عليه السلام بمكة
 اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحضت وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام
 قد حدث في الارض حدث وروى أنه لما قتله اسود جوده وكان أيض وشرب الارض الدم
 فسأله آدم عليه السلام بعد مجيئه من مكة عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتلته
 ولذلك اسود جوده قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض من يوهئ
 أن تشرب دما بعده أبدا وعن الواقدي ان السودان كلهم من ولده وعن محمد بن اسحق
 كان نوح نوحا قرا ما بنه حام عريا فلم يستره فاسود في الوقت قال السودان من ولده ورأه ابنه سام
 فستره وروى ان آدم صلوات الله وسلامه عليه مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه لما أتى
 من مكة الى الهند رثاه بشعر وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال من قال ان آدم قال شعر انك قد كذب ان محمدا
 والانباء كلهم عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء وروى انه رثاه فلم يزل يتقل
 حتى وصل الى يعرب ابن فطان وكان يقول الشعر فنظر الى المربة فاذا هي سجع فقال ان هذا
 يقوم منه شعر فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعر اوزيد فيه أبيات منها

أرى طول الحياة على غما * فهل أنا من حياقي مستريح

ومالي لأجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

قربانه ما على الجبل ثم دعا آدم فغزب نار من السماء فأكل قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل
كما قال تعالى (أذقنا قرباناً فقبل من أحدهما) وهو هابيل (ولم يقبل من الآخر) وهو قابيل
لأنه سقط حكم الله ولم يتخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده فغضب قابيل ردّ قربانه
وأضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت الحرام فلما غاب آدم أتى قابيل لهابيل وهو
في غمّه (قال لا قتل لك) قال ولم قال لأن الله تعالى قبل قربانك وردّ قرباني وتمسك أختي الحسنة
وأنتكم أخذت الدميعة فيحدث الناس أنك خبر مني ويفتخروا بك على ولدي (قال) هابيل
وما ذنبى (انما يقبل الله من المتقين) فان قيل كيف كان قول هابيل انما يقبل الله من المتقين
جواباً لقوله لا قتل لك (أجيب) بأنه لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله
على توعده بالقتل قال له انما أوتيت من قبل نفسك لأنسا لهما من لباس التقوى لأن قبلى
فلم تقتلى وما لك لاتعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول
فأجاب به بكلام حلیم مختصر جامع لمعان وفيه اشارة الى أن الحسد ينبغي أن يرى حرمانه من
تقصيره ويجهتد في تحصيل ما صار به المحسود محظوظاً لافي ازالة حظ المحسود فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين
حضرته الوفاة فقبل له ما يبيحك وقد كنت وكنت فقال اني اسمع الله يقول انما يقبل الله من
المتقين (لئن) لام قسم (بسطت) أي مددت (الى يدك لقتلني ما) أي باسط يدي اليك لا قتل اني
أخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإيم الله ان كان المقتول لأشدّ
الرجلين ولكن منعه التخرج أن ييسط الى أخيه يده خوفاً من الله عز وجل لان الدفع لم يبع بعد
أو تخرج بالمأهول الأفضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
وانما قال ما أنا باسط في جواب ابن عباس لما تبرى عن هذا الفعل الشنيع رأساً والتجوز من أن
يوصف به وبطلق عليه ولذلك أكد النفي بالباء وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء من يدي
والباقون بالسكون واتفق القراء السبعة على بقاء صفة الطاء في بسطت وادغام الطاء في التاء
لان مخرج الطاء والتاء واحد ولكن الصفة مختلفة فالطاء منطبعة والتاء منفتحة والطاء
منستعلة والتاء مستعلة والطاء مجهورة والتاء مهموسة ويقال في ذلك ادغام الحرف وابقاء
الصفة (انني أريد أن تبوء) أي ترجع (بإثم) أي بإثم قتلى (وانك) الذي ارتكبه من قبل
(تسكون من أصحاب النار) ولا أريد أن أبوء انك اذا قتلتك فأكون منهم (فان قيل) كيف قال
أريد أن تبوء بإثمى وانك وارادة القتل والمعصية لا تجوز (أجيب) أن ذلك ليس بحقيقة ارادة
لكنه لما علم انه يقتله لالهة ووطن نفسه على الاستسلام طلباً للشواب فكانه صار مريداً
لقوله محازوا وان لم يكن مريداً حقيقة (وذلك جزاء الظالمين) أي الراسخين في وصف الظلم وأكون
أنا من أصحاب الجنة جزاء لي بإحساني في إيتاؤي حياتك على حياتي وذلك جزاء المحسنين
(فطوّعت) قال قتادة فزيت (له نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير يمثله ابليس وأخذله
طائراً ووضع رأسه على حجر وشدخ رأسه بحجر آخر وقابل نظر ابليس فعله القتل فوضع قابيل

رأس هابيل بن حجرين وقتله وهو مستلم وقيل اغتاله في النوم وهو نائم فشدخ رأسه فقتله
 (فأصبح) أي نصار (من الخاسرين) بقتله ولم يدروا يصنع به لانه أول ميت على وجه الارض من
 بني آدم وكان له ايل يوم قتل عشر و سنة فخله بعد قتله في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس
 سنة حتى أروح وعكف عليه الطير والسباع تنظر متى يرى فتأكله فبعث الله غرابين فاقتلا
 فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بقاوده وجلبه حتى مكته ثم القاه في الحفرة ووراه وقايل ينظر
 اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه) أي الله أول ربه الغراب أي ليعلمه
 لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز (كيف يوارى) أي يستر (سوءة)
 أي جيفة (أخيه) وقيل عورته لانه كان سلبه ثيابه فلما رأى قايل ذلك (قال يا ويلتي) كلمة
 جزع وتحسر والاف فيها يدل بيا المتسكهم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوائل والويل
 والويل الهلكة (أهجرت) أي مع ما جعل الله من القوة الساطقة (أن) أي عن أن (أكون)
 مع مالي من الجوارح الصالحة لأعظم من ذلك (مثل هذا الغراب فاواري سوءة أخى) أي
 لا هتدي الى ما هتدى اليه وقوله تعالى فاواري عطف على أكون وليس جواب الاستفهام
 اذ ليس المعنى لو هجرت لو اريت (فأصبح) أي بسبب قتله (من التادمين) أي على ما فعل لانه فقد
 أخاه وأغضب ربه وأباه وما انتفع من قتله بشئ قال المطلب بن عبيد الله بن حنطب لما قتل ابن
 آدم أخاه رجعت الارض بما فيها سبعة أيام وعن ابن عباس لما قتله وكان آدم عليه السلام بمكة
 اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وجضت وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام
 قد حدث في الارض حدث وروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض وشربت الارض الدم
 فسأله آدم عليه السلام بعد مجيئه من مكة عن أخيه فقال ما كنت عليه وكبلا فقال بل قتلت
 ولذلك اسود جسدي قال فأين دمه ان كنت قتلتك فحرم الله عز وجل على الارض من يومئذ
 أن تشرب دما بعده أبدا وعن الواقدي ان السودان كلهم من ولده وعن محمد بن اسحق
 كان نوح نائما فراه ابنه حام عريانا فلم يستره فاسود في الوقت فالسودان من ولده ورآه ابنه سام
 فستره وروى ان آدم صلوات الله وسلامه عليه صكت بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه لما اتى
 من مكة الى الهند وثناه بشعر وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الملاح

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا
 والانباء كلهم عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء وروى انه وثناه فلمزل ينقل
 حتى وصل الى يعرب ابن خطان وكان يقول الشعر فنظر الى المربية فاذا هي صبيح فقال ان هذا
 يقوم منه شعر فرد المقتدم الى المؤخر والمؤخر الى المقتدم فوزنه شعرا وزيد فيه أبيات منها

أرى طول الحياة على نغما * فهل أنا من حياقي مستريح

ومالى لأجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيئا
ونفسه هبة الله أى انه خلف الله من هابيل عليه الله ساعات الليل والنهار وأعلمه الله عبادة
الخلق في كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده وأما قاييل فقبل
له اذهب طريقا شريدا فزعا مر عوبالا يأمن من يراه فأخذ يداخته اقليما وهرب بها الى عدن
من أرض اليمن فأتاه ابليس لعنه الله تعالى وقال له انما كنت النار قربان أخيك لانه كان يعبد
النار فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار قال مجاهد
واتخذ أولاد قاييل آلات المهور من البراغ والطبول والمزامير والعبيدان والطباير
وانهم مكوا في المهور وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والقوا ش حتى أغرقهم الله تعالى بالطوفان
أيام نوح عليه السلام وبقي نسل ثبت عليه السلام قال المتاعى في تفسيره والله أعلم بما روى
من ذلك ولا يعتمد على مثل هذه الاحاديث وقد أحسن الطبري بقوله أخبر الله تعالى
بقتله ولاخير يقطع العذر بصفة قتله على ما ذكرنا منه في مثله ولا فائدة في طلب الصحيح منه في الدين
اه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلم الا كان على ابن آدم الأول ~~كف~~ من
دمها لانه أول من سن القتل (من أجل ذلك) أى الذى فعله قاييل (كتبتنا) أى قضينا
(على بن اسرائيل) في التوراة لانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل ولذلك كانوا يقتلون
الانبياء (انه) أى الشأن (من قتل نفسا) أى من بنى آدم (بغير نفس) أى بغير قتل نفس يوجب
الاتصاص (أو) قتلها بغير (فساد) أناه (في الارض) كالشرك والزنا بعد الاحصان وقطع
الطريق وكل ما يبيع اراقه الدم (فكأنما قتل الناس جميعا) أى من حيث هتك حرمة الدماء وسن
القتل وحرارة الناس عليه أو من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استحلال غضب الله
والعذاب العظيم (ومن أحياها) أى بسبب من الاسباب كانه قد من هلكة أو غرق أو دفع من
يزيد أن قتلها ظلم (فكأنما أحيا الناس جميعا) قال ابن عباس من حيث عدم اتهام حرمتها
وصونها قال سليمان بن علي قتل للعسن يا ناس عيدا هي لنا أى هذه الآية كما كانت لبني
اسرائيل قال اى الذى لا اله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل أكرم على الله من دمانا اه وما
يحسن ابراده هنا ما ينسب لامير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقبل انه للشافعي رحمه
الله تعالى الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوههم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم في أصلهم حسب * يغافرون به فالطين والماء
ما الغفر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * وللرجال على الافعال أسماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله * والجاهلون لاهل العلم أعداء
فدفع علم تعش حيا به أبدا * فالناس موتى وأهل العلم أحياء
(ولقد جاءتهم) أى بنى اسرائيل (رسالة بالبينات) أى المعجزات وقرأ أبو عمر وبسكون السين

والباقون بضمتها) ثم ان ~~كثيرا~~ منهم بعد ذلك) أى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم
وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيذا للامر وتجديدا للعهد (في الأرض لمسرفون)
أى مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها * وزل
في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى أنوا النبي صلى الله عليه وسلم وابعوه على الاسلام
وهم كذبة فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من ألبانها وأبو الهافلما
صعوا قتلوا الراعى واستاقوا الأبل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أى يحاربون
أولياءه هم وأهلهم المسلمون جعل محاربتهم محاربة لما تعظما (ويسعون في الأرض فسادا) أى يقطع
الطريق (أن يقتلوا) أى أن قتلوا (أو يصلبوا) أى مع ذلك أن قتلوا وأخذوا المال أى والصلب
ثلاثا بعد القتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى
ان اقتصر وأعلى أخذ المال (أو ينقلوا من الأرض) أى أن أربعوا ولم يأخذوا شيئا أى ينقلوا
من بلاد الى بلاد أن رأى الامام ذلك وان رأى حبسهم فله ذلك ولوفى بلدهم هكذا فسر الآية
ابن عباس رضى الله عنهما غملا كلمة وعلى التنويع لا التحريم كما في قوله تعالى وقالوا كونوا
هودا ونصارى أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى اذ لم يخبر أحد
منهم بين اليهودية والنصرانية (ذلك) أى الجزاء العظيم (لهم خزي) أى ذل واهانة (في الدنيا
ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار واحتج كذا أهل العلم على أن هذه الآية نزلت
في قطاع الطريق بقوله تعالى (الا الذين تابوا) أى رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من
الله تعالى (من قبل أن تقدر واعلهم) أى فان حقوقه تعالى تسقط عنهم كالقطع والصلب
وتحتم القتل ويحق القصاص والمال لانه حق آدمى لا يسقط بالتوبة (فاعلموا أن الله غفور)
لهم ما نوه (رحيم) بهم ولو كانت نزلت في الكفار لكانت توبتهم بالاسلام وهورا فاعل للعقوبة
قبل القدرة بعبدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى خافوا عقابه بأن تطيعوه (وابتغوا
إليه الوسيلة) أى اطلبوا ما تتوسلون به الى ثوابه والرزق منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اذا تقرب اليه قال لبيد

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذي لب الى الله واسل

وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه لتكون كلمة الله هي
العليا (عليكم تفهون) بالوصول الى الله عز وجل والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو) ثبت
(أن لهم ما في الأرض) من صنوف الاموال وأكده بقوله (جميعا ومثله معه ليفتدوا به)
أى ليصلوا فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة ما تنبل منهم) أى لان المدفوع اليه ذلك تام
القدرة وله الغنى المطلق (ولهم) بعد ذلك (عذاب أليم) أى مؤلم (يريدون أن يخرجوا) أى أن
يكون لهم الخروج في وقت ما اذا رفعهم الله الى أن يكاد أن يلقهم خارجا (من النار) ثم نفي
خروجهم على وجه التأكيذ فقال (وما هم بخارجين منها) أى ما ينبت لهم خروج اصلا (ولهم)
خاصة دون عصاة المؤمنين (عذاب مقيم) أى دائم نارة بالبرد ونارة بالحرق وتارة بغيرهما (فان قبل)

قال تعالى لا يدعون فيها بارداً فهو يتأني ماذا ذكر (أجيب) بأن المراد بالبرد في الآية النوم فلا منافاة وأل في قوله تعالى (والسارق والسارقة) موصولة مبتدأ أي والذي سرق والتي سرق ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاقطعوا أيديهما) أي عين كل واحد منهما من الكوع كما بينته السنة كما ثبت أنه لا بد أن يكون المسروق ربع دينار أو فاعداً من حوز مثله من غير شبهة له فيه وأنه إذا عا د قطع رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم بعد ذلك يعزله ثم على تعالى ذلك بقوله (جزاء بما كسباً) أي فعلاً من ذلك ثم على تعالى هذا الجزاء بقوله (نكالا) أي عقوبة لهما (من الله) وأعاد الاسم الأعظم تعظيماً للامر فقال (والله عزيز) أي غالب على أمره (حكيم) أي بالغ الحكمة والحكمة في خلقه (فن تاب) أي من السارق (من بعد ظله) أي سرقته (وأصلح) أمره بالتخلص من التبعات والعزم على أن لا يعود إليها (فإن الله يتوب عليه) أي يقبل توبته بنقض لأمته تعالى (إن الله غفور رحيم) فلا يعذبه في الآخرة وأما القطع فلا يسلط عنه بالتوبة عند الأكثرين وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أصحاب كثر أهل العلم وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه وبالأ اتفاق إن كان المسروق قائماً عند يده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله عز وجل والغرم حق العبد ولا يمنع أحدهما الآخر وقوله تعالى (ألم تعلم) الاستفهام للتقريب والخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فككون خطايا لكل أحد من الناس (أن الله له ملك السموات والأرض) أي أن الملك خالص له عن جميع الشوائب (يعذب من يشاء) تهذيبه (ويعفو لمن يشاء) المغفرة له (والله على كل شيء قدير) أي ومنه التعذيب والمغفرة فليس هو كغيره من الملوكة الذين قد يجزأ عنهم عن تقرب ابنه وتباعد أعداءه قوله (يا أيها الرسول) أي المبلغ لما أرسل به وقوله تعالى (لا يحزنك) قرأنا نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي (الذين يسارعون في الكفر) أي يتعجلون فيه بسرعة بأن يظهره وإذا وجدوا منه فرصة وقوله تعالى (من الذين قالوا آمنا) البيان وقوله تعالى (بأفواههم) أي بالسنتهم متعلق بقالوا (ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون وقوله تعالى (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا وقوله تعالى (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف أي هم سماعون والضمير في سماعون للفرقة الأولى والذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن اليهود وقوم سماعون للكذب الذي أفتره أحمارهم سماع قبول (سماعون) منك (لقوم) أي لأجل قوم (آخرين) من اليهود (لم يأتوك) أي لم يحضروا مجلسك وتجاوفاً عنك تكبراً وإفراطاً في البغضاء (يحترقون الكلم) أي الذي في التوراة كآية الرجم (من بعد ما وضعه) أي التي وضعها الله عليها أي يبدلونه (يقولون) أي الذين يحترقونه لمن رسالهم للنبي صلى الله عليه وسلم (إن أوتيتهم هذا) أي المحرف أي أفتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم (فخذوه) أي فاقبلوه منه واعلموا أنه الحق واعملوا به (وإن لم تؤمنوه) أي بأن أفتاكم بخلافه (فاخذروا) أن تقبلوه منه فإنه الباطل والضلال. روي أن شريفاً في خيبر زنا بشر بقة وكانا محصنين وحدهما الرجم في التوراة

فكر هو ارجهم ما لشرهـ ما قالوا ان هذا الرجل الذي يثرب ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوه مامع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان أمركم بالجلد والتعقيم أى تسويد الوجه من الحجة بالضم والتشديد وهى السواد فأقبلوا وان أمركم بالرجم فلا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانية والزانية اذا أحصنا ما حدثهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضائى فقالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم هل تعرفون شابا أمردا يرضع أعور يسكن فذلك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال هو أى رجل فيكم فقالوا هو أعلم به ودى بقى على وجهه الارض بما أنزل الله على موسى بن عمران فى التوراة قال فأرسلوا اليه فقهوا فأتاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال تجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفعه فوقكم الطور وأنجاكم وأعز آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحملاه وحرماه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سذلة اليهود فقال خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أنشدك الله الذى لا اله الا الله وأنك رسول الله النبى الاتى العربى الذى بشر به المرسلون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرايين فربما عند باب مسجده وقال اللهم أنى أتول من أحيا أمرك اذا ما أتوه فأنزل الله عز وجل يا أيها الرسول الآية وروى أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نقتضهم ويجلدون قال عبد الله ابن سلام كذبتم أن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة ففسروها فوضع أحد يده على آية الرجم وقرأ ما بعدها فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرأيت الرجل يقبض يده عن المرأة المجارة (فائدة) كانت آية الرجم فى القرآن فنسخت تلاوتها وبقي حكمها وروى البيهقى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم أنه قال فى خطبته ان الله بعث محمدا وأنزل عليه كتابا وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فتسلوا هاو وعيناها الشيخ والشيخة اذا زيا فارجوهما البتة تكالامن الله والله عزيز حكيم وسيأتى الكلام فى سورة الاحزاب أن هذه الآية كانت فيها (ومر يرد الله قننته) أى اضلاله أو فضيحه (فمن تلك) أى ان تستطيع (له من الله شيئا) فى دفعها واذ لم تلك أنت وأنت أقرب الخلق الى الله تعالى فمن تلك (أولئك) أى البعدا من الهدى (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) أى من الكفر ولوأراد له لكان وهذا كما ترى نص على فساد قول المعتزلة بأنه أراد ذلك (لهم فى الدين اخرى) أى ذل بالفضيحة والخزبة والخوف من المؤمنين (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين

هادوا ان استأنفت بقوله تعالى ومن الذين والاقلضريقين وقوله تعالى (سماعون للكذب) كره
 للتأكد (أكلون للصح) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سخته اذا استأصله لانه مسجوت
 البركة كما قال تعالى يحق الله الربا والربا باب منه وكانوا يأخذون الرشاعلى الاحكام ويحليل
 الحرام وعن الحسن رحمه الله تعالى كان الحاكم في بنى اسرائيل اذا اتاه أحدهم برشوة جعلها في
 كفه فأراه اياها ونكاهم بها حتى يسهع منه ولا ينظر الى خصمه فبأكل الرشوة ويسمع الكذب
 وعنه صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فانما رأى به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
 بضم الحاء والباء قون بالسكون (فان جأؤك) أى لتحكم فيهم (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)
 هذا تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل نسخ هذا التخيير أم لا فقال أكثر أهل العلم
 هو محكم ثابت وليس في سورة المائدة منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب ان
 شأوا حكموا وان شأوا لم يحكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة
 وقال قوم يجب على حكام المسلمين ان يحكموا بينهم والاية منسوخة نسخها قوله تعالى وان
 احكم بينهم بما أنزل الله وهو قول مجاهد وعكرمة ومروى ذلك أيضا عن ابن عباس وقال لم ينسخ
 من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى
 فان جأؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله ومذهب
 الشافعي رضى الله تعالى عنه ان الذين وان اختلفت ملتهم ما كيهودى ونصرانى يجب الحكم
 بينهم ما عند الترافع وكذا الذى مع المعاهد بخلاف المعاهدين فان الحكم لا يجب بينهم لانهم لم
 يلتزموا بأحكامنا ولا التزمنا دفع بعضهم عن بعض فيحمل التخيير على هذا والاية الاخرى على
 أهل الذمة ويعلم من ذلك ان الحكم بين الحريين لا يجب بطريق الاولى ولورافع اليها ذميان في
 شرب خمر لم يحددهما وان رضيا بحكمنا لانهم لا يعمدان تخيرجه ولورافع اليها مسلم وذمى وجب
 الحكم بينهم اجماعا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) بأن يعادوك لاعتراضك عنهم فان الله
 تعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذى أمر الله تعالى به
 (ان الله يحب) أى يثيب (المقسطين) أى العادلين فى الحكم وقوله تعالى (وكيف يحكمونك)
 وعندهم التوراة فهم احكم الله استنفهاهم تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان
 الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى هو عندهم وتنبه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
 الحق واقامة الشرع وانما طلبوا منه ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم
 (ثم يقولون) أى يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم (من بعد ذلك) التحكيم وهذا داخل فى
 حكم التعجب فانه معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (المؤمنين)
 أى بكتابهم لاعتراضهم عنه أولا وبك وبه (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدى من الضلالة
 الى الحق (زبور) يكشف ما اشقبه عليهم من الاحكام (يحكمهم النبيون) أى من بنى
 اسرائيل وقوله تعالى (الذين أسلموا) ذكر على وجه الصفة للانبياء للتبويه بشأن الصفة
 دون الخصيص والتخير لانهم كلهم بهذه الصفة متقادون لله تعالى والتبويه على عظم قدرها

حيث وصف بها عظيم كما وصف الانبياء بالصلاح والملائكة بالايان فان أوصاف الاشراف
 أشرف الاوصاف وقوله تعالى (لَّذِينَ هَادُوا) متعلق بأنزل أو يصفكم أي يحكمون بها في تحاكمهم
 وهو يدل على أن النبيين أنبياء وهم وقوله تعالى (وَالرَّابِّيُونَ) أي الزهاد الذين انسلطوا من الدنيا
 وبالعواقيم يوجب النسبة الى الرب (والاحبار) أي العلماء السالكون طريقة أنبيائهم عطف على
 النبيون (عما) أي بسبب الذي (استحفظوا) أي استودعوه (من كتاب الله) أي استحفظهم الله
 تعالى اياه بأن يحفظوه من التضييع والتخريف أو بأن يحفظ فلا ينسى وقد أخذ الله على العلماء
 حفظ كتاب الله من هذين الوجهين معا أحدهما ان يحفظ في صدورهم ويدرسوه بأنسنتهم والثاني
 أن لا يضيعوا أحكامه ولا يملوا شرائعه والراجع الى ما محذوف ومن النبيين والضمير في
 استحفظوا للانبياء والربابين والاحبار جميعا وكذلك الضمير في قوله تعالى (وكانوا عليه شهداء)
 أي رقباء حاضرين لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته أصلا وقوله تعالى (فلا تخشوا الناس
 واخشوني) نهي للحكام أن يخشوا غير الله تعالى في حكوماتهم خوفا من سلطان ظالم أو خيفة
 أذية أحد من الاقرباء والاصدقاء وقرأ أبو عمر وبائبات الماية في الوصل دون الوقف والباقيون
 يحذفها وصلوا وقفوا (ولا تشتروا) أي تستبدلوا (بآياتي) أي بأحكامي التي أنزلتها (شئنا قليلا) أي
 من الرشا وغيرها لتكنوا أو تبدلوا كما فعل أهل الكتاب وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فالولئك
 هم الكافرون) قال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحده فقد كفر ومن أقربه ولم يحكم
 به فهو ظالم فاسق فحمل الآيات على هذا وهو ظاهر وقال الفضال وقتادة نزلت هذه الآيات
 الثلاث في اليهود ودون من أساء من هذه الامة (وقيل) أولئك هم الكافرون في المسلمين لان اتصالها
 بخطابهم والظالمون في اليهود والفا سقون في النصارى (وكتبنا) أي فرضنا (عليهم) أي اليهود
 (فيها) أي التوراة (أن النفس) تقتل (بالنفس) اذ قلتم (والعين) تقف (بالعين) أي يعين من فقهاها
 (والانف) تجدد (بالانف) أي بأنفس من جدد (والاذن) تقطع (بالاذن) أي باذن من قطعها
 (واللسن) تقلع (باللسن) أي بسن من قلعها (والجروح قصاص) أي يقتص فيها اذا أمكن كاليد
 والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب عليهم
 فهو مفروض في شرعنا وقرأ الكسائي هذه الالفاظ الخمسة وهي العين بالعين الى آخرها بالرفع على
 انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس
 والعين بالعين فان الكتابة والقراءة يتبعان على الجمل كالقول أو مستأنفة ووافق الكسائي ابن
 كثير وأبو عمر وابن عامر في الجروح فقط والباقيون بالنصب في الجميع وسكن نافع الذال من الاذن
 وقرأ الباقيون برفعها (فن تصدق به) أي القصاص بأن مكن من نفسه (فهو) أي التصديق
 بالقصاص (كفارة له) أي لما أتاه فلا يعاقب ثانيا في الآخرة وقيل فن تصدق به من أصحاب
 الحق فالتصدق به كغارة للمتصدق بكفر الله تعالى به من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر
 طاعاته وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه ما تهم بدم عنه دنوبه بقدر ما تصدق به وقيل
 فهو كفارة للحياتي اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) أي

في القصاص وغيره (فأولئك هم الظالمون) أي الذين تركوا العدل فضلوا فصاروا كمن يعيش
 في الظلام فإن كان تدينا بالترك كان نهاية للظلم وهو الكفر والالكان عصيانا لأن الله تعالى أحق
 أن يخفي ويرجي (وقفينا) أي أتبعنا (على آثارهم) أي النبيين الذين يحكمون بالتوراة
 (يعيسى بن مريم) صلى الله عليه وسلم ونسبه تعالى إلى أمته إشارة إلى أنه لا والد له فكذبنا
 لليهود وإلى أنه عبد مريبوب تكذبا للنصارى (مصدقاً لما بين يديه) أي قبله مما أتى به موسى
 عليه السلام (من التوراة) وأشار تعالى بقوله (وآتيناه الانجيل) أي أنزلناه عليه كما أنزلنا
 التوراة على موسى عليهما الصلاة والسلام إلى أنه ناسخ لكثير من أحكامها (فيه هدى)
 من الضلالة (ونور) أي بيان للأحكام وقوله تعالى (ومصدقاً) أي الانجيل حال (المابين يديه)
 أي قبله * ولما كان الذي نزل قبله كثيراً من المراتب قوله (من التوراة) أي لما فيها من الأحكام
 فالاول صفة لعيسى عليه الصلاة والسلام والثاني صفة لكتابه أي فهو التوراة والانجيل
 يتصادقون فكل من الكتابين يصدق الآخر وهو يصدقهم الم يتفاهوا في شيء بل هو متفلق
 بجميع ما أتى به (وهدى وموعظة للمتقين) أي كل ما فيه يهتدون به ويتعظون فترقى قلوبهم
 ويعتبرون به (وليحكم أهل الانجيل) وهم اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام (بما أنزل الله فيه) أي
 من الأحكام وقرأ جزء بكسر اللام ونصب الميم عطف على معمول آتيناه والباقيون بكسر
 اللام وسكون الميم على الأمر أي فليمنه أهل التوراة عما نسخ منها وليحكم أهل الانجيل الخ
 (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي المختصون بكال الفسق فإن كان تدينا كان
 كفراً وإن كان لا اتباع الشبهوات كان مجرد معصية لأن الخطيئة والشبهوات تحمل على الخروج
 من دائرة الشرع مرة بعد أخرى (وأنزلنا اليك) يا محمد خاصة (الكتاب) أي الكامل في جمعه
 لكل ما يطلب منه وهو القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق بأنزلنا (مصدقاً لما بين يديه) أي
 قبله * ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد عبر تعالى بالمفرد قال (من
 الكتاب) أي الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء من قبل فاللام الأولى في الكتاب للعهد لانه
 عني به القرآن والثانية للجنس لانه عني به جنس الكتب المنزلة (ومهمنا عليه) أي رقيباً على سائر
 الكتب أي يحفظها من التغيير والتبديل ويشهد لها بالصحة والثبات (فاحكم بينهم) أي بين
 جميع أهل الكتاب إذا تراءفوا اليك (بما أنزل الله) اليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم
 المهيمن عليها في إثبات ما أسقطوه منها من أمرهم باتباعك ونحو ذلك من أوصافك (ولا تبس
 أهواءهم) فيما خالفه عادلاً (مهاجاً لمن الحق) بالاضراف عنه إلى ما يشتهونه (لكل جعلنا
 منكم) أيها الأمم (شريعة) أي ديناً موصلاً إلى الحياة الأبدية والشريعة هي الطريقة إلى
 المشابهة بها الدين لانها موصلة إلى الماء الذي به الحياة الدنيوية (ومهاجاً) أي طريقاً واضحاً
 في الدين ناصحاً لما قبله وقد جعلنا شريعتك ناسخة لجميع الشرائع وأمثلة لما قبل على أناسنا
 متعبدين بالشرائع المتقدمة وأن كل رسول غير متعبد بشرع من قبله وهو محمول على الفروع
 ومادل على الاجتماع كآية شرع لكم من الدين محمول على الأصول (ولو شاء الله لجعلكم أمة)

أى جماعة (واحدة) أى متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل (ولكن)
 لم يشأ ذلك بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة (ليلوكم) أى ليصيركم (فما آتاكم) من
 الشرائع المختلفة ليرزى الوجود المطيع منكم والعاصى (فاتبقوا الخيرات) أى اتدبروها
 اتهازاً للفرصة بغاية الجهد فقل من يسابق شخصاً يخشى العار بسببه وقوله تعالى (إلى الله
 مرجعكم جميعاً) أى بالبعث استئناف فيه تعليل للأمر بالاستباق ووعدهم بالدين ووعيد
 لهم بقصر ين (فينبئكم) أى يحذرهم بما كنتم فيه تختلفون (أى من أمر الدين ويميز كلامكم بهمه
 وقوله تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله) عطف على الكتاب أى أنزلنا اليك الكتاب والحكم
 أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبأن أحكم وقدراً أبو عمرو وعاصم وحيدة بكسر نون وأن
 احكمم والباقون بضمهما (ولا تنسج أوهامهم واحذرهم ان) أى انسابهم فلوك أى يضلوك
 ويصرفوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) روى أن اخبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا
 نفقته عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا اخبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وأن
 نبينا وبين قومنا خمسة فتحاكم فتفضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فأن تولوا) أى عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد
 الله أن يصيهم) أى بالعقوبة فى الدنيا (ببعض ذنوبهم) أى التى أوهاموها التولى وبجازهم على
 جميعها فى الآخرة (وان كثيرا من الناس) أى هم وغيرهم (لفاسقون) أى خارجون عن
 دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أحكم الجاهلية) أى خاصة مع أن احكامها الأرضى
 بها عاقل لكونهم لم يدع اليها كتاب بل هى مجرد أهواءهم أهل الكتاب (يغفون) أى يريدون
 بإعراضهم عن حكمك مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهدك كالمهجوز عن معارضته من وجوب
 رسالتك الى جميع الخلائق وهذا استفهام انكارى وقرأ ابن عامر بالتاء على الالتفات من
 الغيبة الى الخطاب وهو أدل على الغضب والباقون بالياء على الغيبة وقيل نزلت فى بنى
 قريظة والنضير طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به الجاهلية من
 النفاصل بين القلتى أى بين ديات بعضهم على بعض (ومن) أى لأحد (أحسن من الله حكما
 لقوم) أى عند قوم (يوقنون) به خصوصاً بالذكر لانهم الذين يتدبرون الامور ويتخيّلون الاشياء
 بانظارهم فيعلمون ان لأحسن حكما من الله جل وعلا (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء) أى نوالهم ووادتهم وتعاشرهم ومعاشره الاحباب وقوله تعالى (بعضهم
 أولياء بعض) فيه ايماء الى علة النهى أى فانهم متفقون على خلافكم بوالى بعضهم بعضا
 لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضاررتكم (ومن يتولهم منكم) أى ومن والا هم منكم
 (فانه منهم) أى من جلتهم وهذا تشديد فى وجوب مجازيتهم ولأن الموالين كانوا منافقين
 (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى الذين ظلموا أنفسهم عوالة الكفار ومن لم يرد الله هدايته
 لم يقدر أحد يهديه (تبيينه) * اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى عبادة بن
 الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول المتافق وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى أولياء من

اليهود كثيرا عددهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من موالاتهم ولا مولى الى الا
الله ورسوله فقال عبد الله لكنى لا ابرأ من ولاية اليهود لانى اخاف الدوائر ولا بدلى منهم فأنزل الله
تعالى هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتحققوا
أن تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودى أخذ منه أمانا نانى أخاف
أن تدال علينا اليهود وقال الآخر أمانا أنا ألحق بفلان النصرانى من أهل الشام وأخذ منه أمانا
فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عكرمة نزلت فى أبى لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه
وسلم الى بنى قريظة حين حاصروهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل
اصبعه على حلقه يعنى أنه الذبح أى يقتلكم فنزلت (فترى الذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف
اعتقاد كعبد الله بن أبى (يسارعون فيهم) أى فى موالاتهم (يقولون) معتدلين عنها (نخشى)
أى نخافى خوفا بالغا (أن نصيبنا دائرة) أى مصيبة تعبط بنا ويدور بها الدهر علينا من جدب
أو غلبة ولا يثبت أمر محمد فلا يغيرونا (فسمى الله أن يأتى بالفتح) أى باظهار الدين على الاعداء
(أو أمر من عنده) أى بهتك ستر المنافقين واقتضاهم (فيمصوا) أى هؤلاء المنافقون (على
ما أمرنا فى أنفسهم) أى على ما سيطنوه من الكفر والشك فى أمر الرسول فضلا عما أظهره
ما أشعر به نفاقهم (فادمين) أى ثابت لهم غاية الندم فى الصباح وغيره وقوله تعالى (ويقول
الذين آمنوا) قرأ معاصم وحزوة والكسائى بالرفع على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير
ونافع وابن عامر مر فوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول لماذا يقول المؤمنون حينئذ قرأ
بالنصب ابو عمرو وعطفا على يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى الله أن يأتى بالفتح ويقول الذين
آمنوا (أهلؤا الذين أقسموا بالله جهدا بما بهم) أى غاية اجتهادهم فيها (أنهم لعلمكم) فى الدين
أى بقوله المؤمنون بعضهم لبعض نجباء من حال المنافقين وتجبنا بجان الله تعالى عليهم من
الاخلاص أو يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله
وان تواتم لننصرنكم (حبطت) أى بطلت (أعمالهم) أى الصالحة (فأصحبوا) أى فصاروا
(خاسرين) الدنيا بالقضيجة والاخرة بالعقاب (يا أيها الذين آمنوا) أى أقرؤا بالايان
(من يرتد) أى يرجع (منكم عن دينه) الى الكفر وهذا من الكائنات التى أخبر الله تعالى
عنها فى القرآن قبل وقوعها وكان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاثة فى عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاولى بنو مدج وكان رئيسهم ذوالخمار بالخاء المهمله قال الثقات نانى كان له جار
يقول له قف فمقف وسرفسبر وكانت النساء أى نساء أصحابه يتعطرون بروث حماره وقيل
يعقدون رونو بخمره قسمى ذوالخمار أيضا بالخاء المعجمة وذو رهناء فيما قبله بالواو وعلى الحكاية
وهو العنقى يفتح العين وسكو النون منسوب الى عنس وهو يزيد بن مذحج بن ادد بن كعب العنقى
ويلقب بالاسود كان كاهنا تابعا ليعن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه والى
سادات البين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم والنهوض الى حرب الاسود فقتله

فيروز الدليلى على فراشه قال ابن عمر رضى الله عنهما وأتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 السماء الليلة التي قتل فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الأسود البارحة قتل رجل
 مبارك قبل ومن هو قال فيروز فسر المسلمون ببشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود
 وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من العدو وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع
 الآخر وكان ذلك أول فتح جاء إلى أبي بكر رضى الله تعالى عنه وأرضاه والفرقة الثانية بنو حنيفة
 باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب وكان تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سنة
 عشر وزعم أنه اشتراك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصها إلى ونصها لك
 وبعتك إليه مع رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل
 لضربت أعناقكما ثم أجاب من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله ورسولها
 من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفى فبعث أبو بكر
 رضى الله عنه خالد بن الوليد في جيش كبير حتى أهلكت الله تعالى على يد وحشي غلام مطعم بن عدي
 الذي قتل حزة بن عبد المطلب ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حرب شديد وكان وحشي
 يقول قتل خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي واسلامى الفرقة
 الثالثة بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة أحد من ارتدوا دعى النبوة في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من قتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الردة
 فبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد رضى الله عنه إليه فهزمهم خالد بن الوليد رضى الله
 عنه بعد قتال شديد وأفلت طليحة فز على وجهه هارباً نحو الشام ثم أنه أسلم بعد ذلك وحسن
 إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضى الله تعالى عنه الأولى فرقة قوم عيينة بن حصن والثانية
 غطفان قوم قزوين سلة والثالثة بنو سليم قوم النجاة بن عبد المطلب والرابعة بنو يربوع قوم مالك بن
 نويرة والخامسة بعض عجم قوم سجاج بنت المنذر المنمنمة التي زينت نفسها المسيلة الكذاب وفيها
 يقول أبو العلاء المعرى أنت سجاج ووالاهامسيلة * كذابة في الدنيا وكذاب
 والسادسة كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد
 وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبي بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضى الله تعالى
 عنه وهي غسان قوم جبل بن الأيهم تنصروا إلى الشام واليهود رآه مات على رذته وذكر
 طائفة أنه عاد إلى الإسلام وقرأ نافع وابن عامر يرتد دبالين الأولى مكسورة مخففة والثانية
 ساكنة والباقون بدال مفتوحة مشددة واختلف في القوم في قوله تعالى (فوفيات
 الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال قتادة بن غنم الأزدى لما نزلت الآية قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنه وكانوا من البين وعن أبي
 هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال
 الكلبي هم أحبا من البين ألفان من النعم وخمسة آلاف من كندة ويحييه ثلاثة آلاف من

أفناء أى لم يعلم عنهم قاله الجوهرى فجاءه وفى سبيل الله يوم القادسية وقيل هم الانصار
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرِب على عاتق سلمان رضى الله عنه فقال هذا
وذروه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لثاله رجال من أبناء فارس والراجع الى من محذوف
تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك ومحبة الله تعالى لعباده
أن يسيهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم ومحبة العباد لهم
طاعته واستغفار مرضاته وأن لا يقع لوايايوجب بخطه وعقابه (أدلة على المؤمنين) أى عاطفين
عليهم متذللين لهم جميع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذى هو تقيض
الصعوبة فقد فني عنه لأن ذلولا لا يجمع على أدلة (فان قيل) هلا قال أدلة للمؤمنين (أجيب)
بأنه تضمن معنى الخنوع والعطف كأنه قال عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وأنهم
مع شرفهم وعلاوة طبقتهم وفصلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنتهم وللمعاقلة فى قوله تعالى
(أعزة على الكافرين) أى شدد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقوله تعالى (يجاهدون
فى سبيل الله) حال من الصبر فى أعزة أو صفة أخرى لقوم وقوله تعالى (ولا يخافون لومة لائم)
يحتمل أن تكون الواو للعالم على أنهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم
كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أو أياها هم اليهود فلا يعملون شيئا
مما يلعبون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون
لومة لائم قط وان يكون للعطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجاهدون بين المجاهدة فى سبيل الله
والتصلب فى دينه واللومة المزة من اللوم وفيها فى تنكير لائم بالفتان (ذلك) اشارة الى
الاصناف المذكورة وقوله تعالى (فضل الله يؤتية من يشاء) أى يمنحه ويوفق له فيبذل الانسان
جهده فى طاعته لينظر اليه هذا النظر برحمته (والله واسع) أى كثير الفضل (عليه) أى بمن
هو أهله ونزل لما قال ابن سلام رضى الله عنه يا رسول الله ان قومنا هجرونا وانما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا وانما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتبعية على أن الولاية لله على الاصل
ولرسوله والمؤمنين على التسع اذ التقدير انما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون ولوقيل انما
أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا ليكن فى الكلام أصل وتبع ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى
(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أى متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم
وقيل يصلون صلاة التطوع (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) أى ومن يتخذهم أولياء
وقيل من يعينهم وينصرهم (فان حزب الله هم الغالبون) أى فانهم هم الغالبون ولكن وضع
الظاهر موضع المضمير اظهارا لما شرفهم به ترغيبا لهم فى ولايته ونشر يقالهم بهذا الاسم
فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتقر يضاجع بوالى هؤلاء
بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ونزل فى رفاعه بن زيد وسويد
ابن حارث اللذين أظهرهما الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهم (يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) أى الذى شرفكم الله به (هؤلاء) أى مهزولاه (ولعبا)

ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى اليهود * ولى
خصصهم بقوله (والكفار) أى من عبدة الأوثان وغيرهم (أو لبياء) أى فأن الفريقين اجتمعوا
على حسدكم وازدراؤكم فلا تصح لكم مولاتهم وقرأ أبو عمرو والكسافى بخفض الراء والباقون
بالنصب عطف على الذين اتخذوا على أن المنهى عن موالاتهم ليس على الحق وأساسوا من كان
ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله)
أى بترك المنهى (أن كنتم مؤمنين) أى صادقين فى إيمانكم فأن الإيمان حقا يقتضى ذلك
وقوله تعالى (وإذا ناديتهم) معطوف على الذين قبله أى ولا تتخذوا الذين إذا ناديتهم أى
دعوتهم (إلى الصلاة) بالأذان (اتخذوها) أى الصلاة (هزوا ولعبا) بأن يستهزؤا بها
ويتضاحكوا ويقولوا صاحوا كصياح العير وفى هذا دليل على أن الأذان مشروع للصلاة
المكتوبات روى الطبرانى أن نصراينيا بالمدنية كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا
رسول الله قال أحرقت الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة تبار وأهله نيام فقطار بشره
فى البيت فأحرقه وأهله (ذلك) أى الاتخاذ (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) أى فأن
السفاهة يؤدى إلى الجهل بالحق والهزيمة والعقل يمنع منه ونزل المسأل نضر من اليهود النبهى صلى
الله عليه وسلم عن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل البنا الآية فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولادينا شر من دينكم
(قل يا أهل الكتاب هل تنقمون) أى تنكرون (منا) وتعيبون يقال نقم منه كذا أنكره وانقم
إذا كفاؤه (الآن آمننا بالله وما أنزل البنا وما أنزل من قبل) أى إلى الانبياء وقوله تعالى
(وأن أكثركم فاسقون) عطف على أن آمننا والمعنى ما تنكرون منا إلا إيماننا ومخالفتكم
فى عدم قبول الإيمان المعبر عن عدم قبوله بالفسق اللازم عن عدم القبول وليس هذا مما
ينكر (قل) لهم يا محمد (هل أثبتكم) أى أخبركم (بشر من ذلك) أى الذى تنقمونه (مثنوية
عند الله) نصب مثنوية على التميز أى ثوابا بمعنى جزاء (فان قيل) المثوبة مختصة بالاحسان كما
أن العقوبة مختصة بالشر (أجيب) بأن ذلك على سبيل التكميم كفى قوله تعالى فى بشرهم بعذاب
أليم وقوله تعالى (من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على
حذف مضاف قبل لفظ ذلك أو قبل لفظ من لعنة وتقديره بشر من أهل ذلك من لعنة الله أو
بشر من ذلك دين من لعنة الله لأن الدين المشار إليه غيره مطابق لقوله من لعنة الله فى معنى
يشترك فيه لفظ شرفه قدر أهل قبل ذلك أو دين قبل من ليطابق (فان قيل) هذا يقتضى
كون الموصوفين بذلك الدين محكوموا عليهم بالشر ومعهم ما علم أنه ليس كذلك (أجيب) بأنه
انما خرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم فأنهم حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شرفه قيل
لهم هب أن الأمر كذلك لكن لعنة الله وغضبه ومسخ الصور بشر من ذلك والذين لعنهم الله
فى هذه الآية هم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانغمما بهم فى المعاصى بعد
وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم سم خماز يروهم كفارا أهل

مائدة عيسى وقيل كالأسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير
 روى أنهم لما نزلت كان المسلمون يعبرون اليهود ويقولون يا أخوة القردة والخنازير فمستكسون
 رؤسهم وقوله تعالى (وعبد الطاغوت) عطف على صله من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وقرأ
 حزة بضم باء عبد وكسر تاء الطاغوت على انه اسم جمع لعبد عطف على من والباقون نصب
 الباء من عبد والتاء من الطاغوت والطاغوت الشيطان أو الجبل لانه معبود من دون الله
 ولأن عبادتهم للجلل مماز به لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
 وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما للطاغوت الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى
 * (تنبيه) * روى في منهم معنى من وفيما قبلها الفظها وهم اليهود (أو لئلا) أى الملعونون
 الممسوخون (شتر مكاناً) لأن ما وأهم الذار وجمعت الشمرارة للمكان وهى لاهله وفيه مبالغة
 ليست في قولك وألئك شر ومكان تميز (وأصل عن سواء السبيل) أى طريق الحق وأصل السواء
 الوسط (فان قيل) ذكر شر وأصل يقتضى مشاركة المؤمنين والكفار في الشر والضلال
 وإن الكفار أشرو وأصل مع أن المؤمنين لم يشاركوا الكفار في شئ من ذلك (أجيب) بأن
 مكان هؤلاء فى الآخرة شر وأصل من مكان المؤمنين فى الدنيا لما يلحقهم فيها من الشر والضلال
 الحاصل لهم بالهموم الدنيوية كسماح الأذى وغيره وأن ذلك على سبيل التمثيل والتلصص
 على زعمه الزامه بالاجته وهذا أولى * ونزل فيهم وناقوا النبي صلى الله عليه وسلم (واذا جاؤكم
 قالوا آمنوا وقد) أى قالوا ذلك والحال انهم قد (دخلوا) اليكم متلبسين (بالكفر وهم قد خروا)
 من عندكم متلبسين (به) أى الكفر كما دخلوا لم يتعلق بهم شئ مما معوا به من تذ كبرك
 بآيات الله ومواعظك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغيره فى جميع أحوالهم من
 أقوالهم وأفعالهم وفى هذا وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) أى اليهود والمنافقين (يسارعون) أى
 يقعون سريعا (فى الآثم) أى الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الآثم (والاعدوان) أى الظلم
 وقيل الآثم ما يختص بهم والاعدوان ما يتعدى الى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام كالرشا
 (لبئس ما كانوا يعملون) عملهم هذا (لولا) هلا (بنهاهم) أى يجدد لهم النهى (الربانيون) أى
 المذهبون للتخلى من الدنيا الى سبيل الرب (والاحبار) أى العلماء (عن قولهم الآثم) أى الكذب
 (وأكلهم السحت) أى الحرام هذا تخفيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على
 الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المضارع المستقبل أفاد التخفيض (لبئس ما كانوا
 يصنعون) ترك نهيهم (فان قيل) لم عبر فى الأول يعملون وفى الثانى يصنعون (أجيب) بأن
 كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرّب ولذلك ذم بهذا
 خواصهم ولأن ترك الانكار على المعصية أقبح من واقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتقبل
 اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديراً بالبلغ الذم فيدخل فى الذم كل من كان قادراً على
 النهى عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما أشد آية ترات
 فى القرآن وعن الصحابة ما فى القرآن آية أخوف عندى منها (وقالت اليهود) مما ضيق عليهم

بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية (يد الله مغلوله) أى
 هو ممسك يقر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن الجذل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك
 مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا تصد من تكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولو أعطى
 الأقطع الى المنكب عطاء جزيل لقالوا ما بسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان
 وقعنا متعاقبتين للجذل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقولهم بسط اليأس كفيه
 في صدرى فجعلت اليأس الذى هو معنى من المعانى لامن الاعيان كفان (فان قيل) قد تقدم
 أن قوله يد الله مغلوله عبارة عن الجذل فما تفعل في قوله تعالى (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق
 ما تقدمه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالجذل والتكدي ومن ثم كانوا أبجذل
 خلق الله تعالى وأنكدهم والمطابقة على هذا ظاهرة ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي
 حقيقة يغولون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم كما قال تعالى اذا اغلال
 في أعناقهم والسلاسل وعلى هذا تكون المطابقة حاصلة من حيث لفظ مغلوله وغلت من
 حيث ملاحظة أن الاصل في القول الشنيع أن يقابل بالدعاء على قائله (ولعنوا) أى أبعدوا
 مطرودين عن الجنة الكريم (بما قالوا) فن لعنهم أنهم مسخو اقرده وخناير ثم رثه الله تعالى
 عليهم بقوله (بل يدها مبسوطتان) مشيرا بالتنبيه الى غاية الجود وان غاية ما يذله السخط من ماله
 أن يعطى يديه جميعا (ينفق كيف يشاء) أى هو محتار في انفاقه يضيّق تارة ويوسع أخرى على
 حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا اعتراض عليه وقيل القائل هذه المقالة فخصاص بن عازوراء فلما
 لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله تعالى فيها (وليزيدن كثيرا منهم) أى عن أراد
 الله فتنه ثم ذكر فعال الزيادة فقال (ما أنزل اليك من ربك) من القرآن (طغيانا) أى غاديا
 في الجود (وكفرا) بآيات الله فيزدادون على كفرهم وطغيانهم طغيانا وكفرا عما ليس بهون من
 القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (وألقينا بينهم العداوة
 والبغضاء الى يوم القيامة) فيكل فرقة منهم تحالف الاخرى فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
 أقوالهم (كلأ وقد وانار للعرب أطفأها الله) أى كلأ أراد ومحاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم
 لهم نصر من الله تعالى على أحد وقد أناهم الاسلام وهم في ملك الجحوس وقيل خالفوا حاكم
 التوراة فبعث الله عليهم مجتصم ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس بالفاء الروى ثم أفسدوا فسلط
 الله عليهم الجحوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلأ حاربوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود بيلدة الا وجدت منهم من أذل الناس (ويسعون في الارض
 فسادا) أى ويجهتدون في الكيد للاسلام ومحمود كرسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم
 واثارة الحرب والفتن وهتك المحارم (والله لا يحب المفسدين) أى فلا يجازيهم الا شرا (ولو أن
 أهل الكتاب آمنوا) أى بعمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) أى الكفر (لكفروا عنهم
 سيئاتهم) أى التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولا دخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين وفي هذا
 اعلام بعظيم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رجة الله تعالى

وقمحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى
 وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكافي لا يدخل الجنة ما لم يسلم (ولو أنهم أقاموا
 التوراة والانجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدثهما وما قبلهما من نعت محمد صلى الله عليه
 وسلم (وما أنزل اليهم) أي من الكتب المنزلة (من ربهم) لانهم مكفون بالايمان بجميعها
 فكأنما أنزل اليهم وقيل هو القرآن وقوله تعالى (لا كما ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم)
 عبارة عن التوسعة أي لوسع عليهم أرواقهم بأن يفيض عليهم من بركات السماء والارض
 أو ان تكثرا الاشجار الممرة والزروع المغلة أو ان يرزقهم الجنان البانعة الثمار فيجنيحون من رأس
 النمر والشجر ويلقظون ما تناسط على الارض من تحت أرجلهم بين سبحانه وتعالى بذلك
 ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا يقصروا لفيض ولأنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به
 لوسع عليهم وجعل لهم خيرا دارين (منهم أمة) أي جماعة (مقصدية) أي عادلة غير غالية
 ولا مقصرة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى آمنوا بالنبي صلى الله
 عليه وسلم وقيل متوسطة في عداوته (وكثير منهم ساء) أي بس (ما) أي شيا (يعملون) فيه معنى
 التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما سوا عملهم وقيل هو كعب بن الاشرف وأصحابه والروم روى
 مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت من حدثك أن محمدا كتم شيا مما أنزل الله فقد
 كذب وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ) جميع (ما أنزل اليك من ربك) أي لا تكتتم شيا منه خوفا ان
 تنال بكمروه (وان لم تفعل) أي وان لم تبلغ جميع ما أنزل اليك (فابلق رسالته) أي لان كتمان
 بعضها ككتمان كلها أي ولان بعضها ليس بالاولى بالادام من بعض فاذا لم تؤذ بعضها فكأنك
 أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكها وعن ابن عباس رضي الله
 تعالى عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالتى واختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في عتب
 اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا ألسنا قبلك وجعلوا بيوتهم
 به ويقولون تريد أن نخذلك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه
 وسلم ذلك نزلت هذه الآية وقيل نزلت في الجهاد وذلك ان المنافقين كانوا يكرهونه فكان يسئ
 أحيانا من حنهم على الجهاد وقيل لما نزلت آية التخيير وهي قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك
 فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا فنزلت وقيل غير ذلك وقروا نافع وابن عامر وشعبة
 بألف بعد اللام وكسر التاء والباقون بغير ألف ونصب التاء (والله يعصمك من الناس) أي
 يحفظك ويمنعك منهم (فان قيل) أليس قد شج وجهه وكسرت ربايته صلى الله عليه وسلم وأذى
 بضرب من الأذى (أجيب) بأن معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك وفي هذا تنبيه على
 أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء كما أشدته كليف الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام وقيل نزلت هذه الآية بعد ما شجر رأسه لآن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن
 وروى اسحق بن راهويه في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثنى الله برسالاته
 فضقت بها ذراعا فأوحى الله الى ان لم تبلغ رسالتى عذبك وضمن لي العصمة ففوت وعن أنس

رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم فقال
انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمتني الله من الناس قال البيضاوي وظاهر الآية يوجب تبليغ
كل ما أنزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بازالته إطلاعهم عليه فان من
الأسرار الالهية ما يحرم افشاؤه اهـ قال بعض العارفين ولهذا قال تعالى بلغ ما أنزل اليك
ولم يقل ما تعزفتاه اليك واعلم أن المراد من الناس ههنا الكفار بدليل قوله تعالى (إن الله لا يهدي
القوم الكافرين) أي لا يمكنهم عماريدون وروى انه عليه الصلاة والسلام نزل تحت شجرة في
بعض أسفاره وعلني سيفه عليها فأتاه أعرابي وهو نائم وأخذ سيفه واختارطه وقال من يملك
مني يا محمد قال الله تعالى فرعدت يد الاعرابي وسقط من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر
دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) أي دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لفساده وبطلانه كما تقول
هـ هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتضعيف شأنه وفي أمثالهـم أقل من لاشئ (حتى تقيموا التوراة
والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) أي بأن تعملوا بما فيها ومن أقامتها ما لا يمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم والادعاء لحكمه فان الكتب الالهية بأسرها أمره بالامان بمن صدقته المعجزة
ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد إقامة أصولها وما ينسج من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم
ما أنزل اليك من ربك) أي من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (فلأناس) أي تحزن
(على القوم الكافرين) ان لم يؤمنوا بك أي لآتهم بهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يخطأهم
وفي المؤمنين مندوحة عنهم لك (ان الذين آمنوا والذين هادوا) هم اليهود (والصابئون)
فرقة منهم (والنصارى) وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة (فان قيل) برفع الصابئون
وكان حقهم والصابئين (أجيب) بأنه رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما
في خبر ان مع اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق

والشاهد في أنتم فانه مبتدأ حذف خبره والتقدير والافان باغاة وأنتم كذلك (فان قيل) ما فائدة
هذا التقديم والتأخير (أجيب) بأن الصابئين أشد العرب المذكورين في هذه الآية ضلالا
وما هو صابئين الا أنهم صبوراء عن الاديان كلها أي خرجوا فكاثروا قال هؤلاء الفرق الذين
آمنوا أو أتابوا العمل الصالح قبل الله تعالى بهم حتى الصابئون فانهم ان آمنوا كانوا أيضا كذلك
وقيل منصوب بالفتحة فكما جاوز بالفتحة مع الباء في بنين وسنين جوز مع الواو كما هنا وقوله تعالى
(من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل رفع بالابتداء وخبره (فلا خوف عليهم ولا هم
يَحْزَنُونَ) في الآخرة والغناء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والجملة خبر ان (فان قيل) كيف قيل
الذين آمنوا من آمن (أجيب) بأن المراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المناقون
أو ان المراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يتحلى به رية فيه (لقد أخذنا ميثاق
بنى اسرائيل) أي على الايمان بالله ورسوله (وأرسلنا اليهم رسلا) أي ولم نكفهم بهذا العهد بل

أرسلنا رسلنا ليدكرهم وليبينوا لهم أمر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أي بما
يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكليف (فريقا) أي من الرسل (كذبوا) أي كذبهم
بنو إسرائيل من غير قتل كعيسى (وفريقا) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى وإسماعيل يقتلون موضع
قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضار تلك الحالة الشنيعة للتعجب منها وتبيينها على أن ذلك
ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي (وحسبوا) أي ظن بنو إسرائيل (أن
لا تمكون) أي توجد (فئة) أي لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا ولا في الآخرة بل استخفوا بأمرها
فلا تعجب أنت من جراءتهم في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباءه وقرأ أبو عمر ووجهه والكسائي رفع
الذون تنزيل الحساب منزلة العلم فتكون مخففة من الثقيلة وأصله أنه لا تكون فئة والباقيون
بالنصب على أن الحساب على باب (فعموا) أي عن الحق فلم يصروه وهذا العمى هو الذي لا عمى
في الحقيقة سواء وهو انطماس البصائر فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
(وصموا) عنه فلم يسمعهوا أي عوا وصموا بعد موسى ويوشع عليهم السلام والصمم أضمر من العمى
فصاروا كمن لا يهتدى إلى سبيل أصله لأنه لا يبصر له بعين ولا قلب ولا سمع (ثم تاب الله عليهم) يبعث
عيسى بن مريم فرفعوه إلى الحق (ثم عموا وصموا) كآخرة بالكفر بحمد صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى (كثير منهم) يدل من الضمير (والله بصير عما يعملون) أي وإن دق فيجازيهم به وفق أعمالهم
(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) وهم اليهودية منهم القائلون بالانحسار (وقال
المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله وبيروا بكم) أي أني عبد مربيوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم
(أنه من يشرك بالله) أي يشرك في العبادة غيره (فقد حرم الله عليه الجنة) أي منعه من دخولها
منها حتما فانها دار الموحدين (وأما النار) أي محل سكنا فانها المعدة للمشركين (وما للظالمين
من أنصار) أي ومالهم أحد ينصرهم من النار لا بداء ولا بشفاععة ولا بغيرهما فوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلوا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل أن يكون من
كلام الله تعالى بنسبه على أنهم عدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم وردده وأنكره وإن كانوا عظمين له بذلك ورافعين من مقداره
وأن يكون من كلام عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد مني فيما تقولون ولا يساعداكم
عليه لاستعماله وبعده عن العقول أو لا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله (لقد كفر
الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملاكنة وفيه
اضمار معناه ثالث ثلاثة الآلهة لأنهم يقولون الآلهة مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكل واحد
من هؤلاء فههم ثلاثة آلهة بين هذا قوله تعالى المسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأى الهين
من دون الله ومن قال إن الله تعالى ثالث ثلاثة بالعلم ولم يردبه الآلهة لم يكفر فإن الله يقول
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بى بكر ما ظنك باثنين
الله ثالثهما ثم قال الله تعالى رد عليهم (وما من إله إلا الله واحد) أي وما في الموجودات واجب
مستحق للعبادة من حيث أنه مبدأ جميع الموجودات إلا الله واحد موصوف بالوحدانية مآمال

عن الشرك ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينهوا) أي الكفرة بجميع أصنافهم (عما يقولون)
 أي من هاتين المقالتين وما دناهما (ليسن) أي مباشرة من غير حائل (الذين كفروا) أي داوموا
 على الكفر (منهم عذاب أليم) أي مؤلم لم ينقطع عنهم لعدم توبتهم ولذلك عقبه بقوله تعالى
 (أفلا يتوبون) أي يرجعون بعده هذا الكفر الذي لا أوضح من بطلانه ولا أبين من فساده
 (إلى الله ويستغفرونه) أي يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من تلك العقائد والاقوال
 الزائفة ويستغفرونه بالتوحيد والتز به عن الاتحاد والخلول بعده هذا التفرع والتهديد (والله
 غفور) أي بالغ المغفرة يجمع الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (رحيم) أي بالغ الإكرام لمن أقبل
 عليه فيغفر لهم ويخفف عنهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستغفار تعجب من اصرارهم (ما المسيح
 ابن مريم الا رسول قد خلت) أي مضت (من قبله الرسل) أي ليس هو باله كالرسل الذين مضوا
 لم يكونوا آلهة وما من خارقة له الا وقد كان مثلها أو أعجب منها لمن كان قبله فان كان قد أحيا
 الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب وان كان قد خلقه
 من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب (وأمة صديقه) أي بليفة الصدق في نفسه
 كسائر النساء اللاتي يلازم الصدق او يصدقن الانبياء كما قال تعالى في وصفها وصدقت
 بكلمات ربها وهذه الآية من أدلة من قال ان مريم عليها السلام لم تكن نبيه فانه تعالى ذكر
 أشرف صفاتها في معرض الرد على من قال بالهيمتها الإشارة الى ما هو الحق في اعتقاد ما لها من
 اعلى الصفات فان أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل صفات أمه عليها السلام
 الصديقية * (فائدة) * مريم من أزواج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة * ولما بين سبحانه
 وتعالى أقصى ما لها من الكمال بين أن ذلك لا يوجب لهما الاوهية بقوله (كانا يا كلان
 الطعام) لأن من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم لم يكن الاجساما مركبا من
 عظم ولحم وعروق وأعصاب واخلط وغير ذلك مما يلد على أنه مصنوع ودلف مدبر كغيره من
 الاجسام فكيف يكون الها وخص الكل بالذكر لانه أصل الحاجات والاله لا يكون محتاجا وقبل
 هذا كناية عن الحدث لأن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط ومن كانت هذه صفته كيف
 يكون الها * ثم لما أوضح الله تعالى لهم الادلة في أمرهما حتى ظهر كالشمس بعدهما دعا فيهما
 اتبعه التعجب بقوله (انظر) متعجبا (كيف نبين لهم الآيات) على وحدهما ينسأ (ثم انظر أي) أي
 كيف (يؤفكون) أي يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (فان قبل) مامعنى التراخي في قوله
 تعالى ثم انظر (أجيب) بأن معناه التفاوت بين المجيبين أي أن بيانتنا لا يات عجب واعراضهم
 عنها أعجب (قل أتعبدون من دون الله) أي غيره يعنى عليه السلام (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا)
 أي لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله تعالى به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال
 ولأن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان والسعة والخصب وكل ما يستطيعه النشر
 من المضار والمنافع فباقدار الله تعالى وعيونه وكأنه لا يملك شيئا وهذا دليل قاطع على ان أمر
 عيسى مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب تعالى أن يكون قادرا

على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته تعالى (فان قيل) اذا كان المراد السيد عيسى فلم عبر بـ عبدون من مع ان المراد من يعقل (أجيب) بأنه أتى بما نظر الى ما هو عليه في ذاته توطئة لئني القدرة عنه رأسا وتنبها على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فنجعل عن الالهية وان المراد كل ما عبد من دون الله تعالى سواء كان عن يعقل أم لا (ولله هو السميع) لاقوالكم (العليم) بأحوالكم فيجازي عليها ان خير الخيرة وان شرافته والاستفهام للانكار (قل يا اهل الكتاب) أي عامة (لا تقولوا) أي تجاوزوا الحد (ودينكم) وقوله تعالى (غير الحق) صفة للمصدر أي لا تقولوا في دينكم غلو غير الحق أي غلو باطلا لأن الغلو في الدين غلو ان حق وهو أن يجتهد في تحصيل حجيجه كما يفعل المتكلمون وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الأدلة فيرفعوا عيسى عليه السلام الى أن يتدعوا له الالهية أو يضعوه ويرتأوا فيه وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) في غلوهم وهم أسلافهم الذين قد ضلوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شريعةهم (وأضلوا كثيرا) أي من الناس بمقاديهم في الباطل من التثليث وغيره حتى ظن حقا (وضلوا) أي بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) أي طريق الحق وهو الاسلام والسواء في الاصل الوسط والا هواء ههنا المذهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحق فآل أبو عبيدة لم يذكر الهوى الا في موضع الضر لا يقال فلان هوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي الهوى لانه هوى بصاحبه الى النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هوى على هو النفاق كل هوى ضلالة (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) أي لعنهم الله في الزبور على لسان داود وان أهل ايله لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية ففسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى (وعيسى بن مريم) عطف على داود أي لعنهم الله في الانجيل على لسان عيسى بن مريم وهم أصحاب المائدة لما لم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية ففسخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى قال بعض العلماء ان اليهود كانوا يقضرون باناس من أولاد الانبياء فذكر الله تعالى هذه الآية ليدل على أنهم ملعونون على أسنة الانبياء (ذلك) أي اللعن المذكور (بما) أي بسبب ما (عصوا وكانوا بعيدين) ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله تعالى (كانوا لا يتناهون) أي لا ينهي بعضهم بعضا (عن منكر) أي معاودة منكر (فعلوه) أو عن مثل منكر أو عن منكر ارادوا فعله وتبوءوا له وانما ذكره لما ذكر لان التناهي عن منكر قدم في محال (لبئس ما كانوا يفعلون) أي يفعلونه والمخصوص بالذم محذوف أي فعلهم هذا قال بعض المفسرين فيا حسرتا على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المنكر وقلة عيشهم به كانه ليس من مله الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبانيات في هذا الباب (ترى كثيرا منهم) أي من أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) أي يوالون المشركين بغضار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) من العمل لمعادهم (أن يحض الله عليهم) أي غضب عليهم (وفي العذاب هم خالدون) أي دائما

(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم) وما أنزل اليه (من عند الله تعالى أعم
من القرآن وغيره بما أخلصا من غير نفاق) ما اتخذهم (أي المشركين) أولياء) إذا الإيمان يمنع
ذلك (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الإيمان وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون
بالله وموسى كأيديهم ما اتخذوا المشركين أولياء كالم يولاهم المسلمون (لتجدن) يا محمد (أشد
الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم
وانهم ما كهم في اتباع الهوى وفي جعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين دلالة على
شدة عداوتهم لهم بل نية على تقدم قدمهم فيها على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله تعالى
ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان
بسلم الأهما بقتله (ولتجدن أقربهم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصاري) انما
أسند تسميتهم نصارى اليهم دون تسمية اليهود لانهم الذين سمو أنفسهم نصارى حين قال لهم
عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله الآية ولأنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها ناصرة وكهم
لم يكونوا ساءا كذين فيها وعلى التقديرين فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود
يهودا فانها حقيقة سواء سموا بذلك لكونهم أولاد يهود ابن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة
البحل بقولهم أنا همدنا الذين أولئحز كهم في دراستهم ثم علل سبحانه وعلل سهولة مأخذ
النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين) أي علماء (ورهبانا) أي
عبادا (وأنهم لا يستكبرون) عن اتباع الحق كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة نزلت
في وفد النجاشي القادمين من الحبشة لافي كل النصارى لانهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود
في قتلهم المسلمين وأسرههم وتخريب ديارهم وهدم مساجدهم وحرق مصاحفهم قال أهل التفسير
اثمرت قريش أن يقتلوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم
ويعدونهم فافتتن من افتتن وعصم الله تعالى منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم ببعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أباحوا به ولم يقدر على منعهم ولم
يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم
عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو
بالعربية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم قيمصر وكسرى نجرج اليه سرا احدث عشر رجلا
وأربع نسوة من جماعتهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا
الى البحر وأخذوا سفينة الى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في شهر رجب في السنة
الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن أبي
طالب بن عبد المطلب وتتابع المسلمون اليهما فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين
اثني وعشرون رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك أرسلوا الى النجاشي بالهدايا
ليردهم اليهم ففهمهم الله تعالى وانصرفوا خائبين وأقام المسلمون هناك بحسن دار وخير
جوار الى أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا دينه في سنة ست من الهجرة ~~كتب~~

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليروجه أم حبيبة بنت أبي
 سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فأتى زوجها فأتى رسول النجاشي الى أم حبيبة جارية
 تخبرها بخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستسمرت بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يرزوها
 وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فانفذ اليها أربع مائة دينار وقالت أم حبيبة
 فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فخرج من خرج اليه وأقت بالمدينة
 حتى قدم ووافي جعفر بن أبي طالب وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا
 عليهم ثياب الصوف منهم اثنتان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فبكوا وأسلوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى (وإذا
 سعوا ما أنزل الى الرسول) من القرآن (ترى أعينهم قفوض من الدمع) أي جعلت أعينهم من
 فرط البكاء كأنهم تفيض بأنفسها (مما عرفوا من الحق) من الأولى للابتداء والثناء لتبيين
 ما عرفوا من الحق أو التبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف
 إذا عرفوا كله وقال ابن عباس يريد النجاشي وأصحابه رضى الله عنهم بعث اليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بكتابه فقرأ عليهم ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجر بن معه وأحضر الرهبان
 والقسيسين وأمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ عليهم كله معصفا زالوا ليكون حتى فرغ
 جعفر من القراءة قالوا آمنا كما قال تعالى (يقولون ربنا آمنا) أي صدقنا نبيك وكاتبك
 (فاكتبنا مع الشاهدين) أي أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الامم يوم
 القيامة دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وإذا نظرت مكاتبات النبي صلى الله
 عليه وسلم ازددت بصيرة في صدق هذه الآية فانه ما كان نصرانيا الا آمن أو كان
 لبناء ولم يسلم كهرة وللقوقس وهودة بن علي وغيرهم وغايتهم أنهم ضنوا بملكهم وأما غير
 النصاري فانهم كانوا على غاية في الغظاظه ككسرى فانه مزق كتبه صلى الله عليه وسلم ولم يحجز
 رسوله بشئ قال البقاعي السرف في ذلك انه لما كان عيسى عليه الصلاة والسلام أقرب الانبياء
 زمانا من النبي صلى الله عليه وسلم كان المنتقون اليه ولو كانوا كفرة أقرب الامم موادة
 لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا في جواب من غيرهم بالاسلام من اليهود (وما نانا
 لاؤمن بالله وما جاءنا من الحق) وهو القرآن لا مانع لنا من الايمان مع وجود مقتضيه وقوله
 تعالى (ونقطع) معطوف على تؤمن (أن يدخننا ربنا مع القوم الصالحين) أي المؤمنين
 الجنة (فأنا لله بما قالوا) أي جعل قواهم على هذا القول المسند الى خلوص النية
 الناشئة عن حسن الطوية (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك) أي الجزاء
 العظيم (جزاء المحسنين) أي بالايمان (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
 الجحيم) أي الذين لا يتقون عنها الاغبرهم من عصاة المؤمنين وان كثرت كفرهم وعطف
 التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم
 في معرض المصدين بهم اجمعين الترغيب والترهيب (يا أيها الذين آمنوا لا تعصموا) أي

لا تمنعوا أنفسكم بنذرا وعين أو غير ذلك (طيبات) أى مسئلات (ما أحل الله لكم) كنع
 التحريم أى لا تقولوا حرمناها على أنفسنا بما ألغى منكم في العزم على تركها تزهدها منكم
 وتقسفا (ولا تعتدوا) حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم (إن الله لا يحب المعتدين) أى
 لا يفعل فعل الحب من الأكرام للمفترطين في الورع بحيث يحرمون ما أحل الله ولا للمفترطين فيه
 الذين يخلطون ما حرم أن يفعلوا فعل المحترمين من المنع وفعل المحلل من التناول فالأية ناهية
 عن تحريم ما أحل وتحويل ما حرم داعية إلى القصد بينهما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وصف يوم القيامة لأصحابه فبالغ وأشبع في الكلام في الإنذار ففرق الناس وبكوا واجتمع
 عشرة من الصحابة رضى الله عنهم في بيت عثمان بن مظعون وهم أبو بكر الصديق وعلي بن
 أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبوذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة
 والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى
 عنهم وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويحبوا ما كبرهم
 ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يشاموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقرئوا
 النساء والطيب ويسبحوا في الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقت على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله ما أردنا إلا الخير
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائني لم أمر بذلك ثم قال إن لانفسكم عليكم حقا فصوموا
 وأفطروا وقوموا واناموا غنى أقوم وأنام وأصوم وأفطروا وكل اللحم والدم وأتى النساء فغن
 رغب عن سقى فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام يحرمون النساء والطعام
 والطيب والنوم وشهوات الدنيا ما لم أكن أمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس
 في ديني ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانية هم الجهاد
 عبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحيروا واعثروا وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وصوموا رمضان
 واسمعوا واستمعوا لكم فاعلموا من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله تعالى هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف
 نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فأنزل الله تعالى لا يؤخذكم الله
 باللغو في أيمانكم الآية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والقارور
 وكان يحب الحلو والعسل وقال المؤمن حلوي يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضى الله تعالى
 عنه أن رجلا قال له إنى حرمت القراش ففلا هذه الآية وقال نعم على فراشك وكفر عن عينك
 وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السنجي وأصحابه فتعدوا على المائدة وعليها الألوان
 من الدجاج والقارور وغير ذلك فاعتزل فرقدنا حمية فسأل الحسن أهو صائم فقالوا لا ولكنه يكره
 هذه الألوان فقال يافرقد ترى لعاب الخيل بلباب البربخا الصائم يعيبه مسلم وعنه أنه قيل
 له فلان لا يأكل القارور يقول لا أؤذى شكره قال أفيشرب الماء البارد قال نعم قال أنه جاهل
 إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في القارور وعنه أن الله تعالى أدب عباده

فأحسن أدبهم قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا
وأطاعوه ولا عدوا قوما ذواها عنهم فعصوه وروى أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أئذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم من خصي ولا من
اختصي ان خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله أئذن لي بالسباحة فقال ان سباحة أمتي الجهاد
في سبيل الله قال يا رسول الله أئذن لي في الترهيب قال ان ترهب أمتي الجاهلوس في المساجد لا تظن
الصلاة وروى ان رجلا قال يا رسول الله اني أصبت من اللحم فانتشرت فأخذتني شهوة فحزمت
اللحم فانزل الله تعالى هذه الآية ولا تعارض بين الخبرين لأن الشيء الواحد قد يكون له أسباب
بجسة بعضها أقرب من بعض وروى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل نهيا شديدا وقال
ترزقوا الولود والود وفاني مكاتركم الا يوم القيامة وكما واما رزقكم الله ولما كان
الرزق يقع على الحرام قبله بعد القيد بالتبع بعض بقوله (حلالا طيبا) وهو مفعول كل او مما حال
منه تقدمت عليه لانه نكرة وقوله تعالى (وانقوا الله) تأكد للتوصية بما أمر الله به
وزاده تأكيذا بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لأن الايمان به يوجب التقوى في الاتساع الى ما أمر
به ومما نهى عنه (لا يؤاخذكم الله بالغفوة) الكاش (في أيمانكم) هو ما يدوم من المرة بلا قصد
كقول الانسان لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقيل هو الحلق على
ما ينطق أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم)
أى وثقتكم (الآيمان) عليه بأن حلفتم عن قصد روى أن الحسن سئل عن اغفال العين وكان عنده
الفرزدق فقال يا أبا عبد الله عبيد عني أجب عنك فقال

ولست بما خوذ بل غوت قوله * اذالم تعد عاقدا العزائم

والمعنى ولكن يؤاخذكم الله بما عقدتم اذ احننتم أو بنكت ما عقدتم فحذف التقدير بأحد
الامرئين لانه لم يقرأ ورش يؤاخذكم بأبدال الهمة واوا مفتوحة وقرأ ابن ذكوان عاقدتم
بألف بعد العين وتحذف القاف والباقون بغير ألف مع تشديد القاف (فكفارته) أى البين
اذا حننتم فيه التي تذهب انهم وتزيل أثره بحيث تصيرون كأنكم ما حلفتم (اطعام عشرة
مساكين) أى لكل مسكين مد عندنا ونصف صاع عند أبي حنيفة رحمه الله (من أوسط) أى
أعدل (ما تطعمون أهل بيكم) من برأ وغيره لامن أعلاه ولا من أدناه (أو كسوتهم) بما يسمى كسوة
كقميص وعمامة وازار وسراويل ومقتعة من صوف وقطن وكفان وحري رولورجل وان لم
يجز له لبسه لو قوع اسم الكسوة عليه ردشا كان أوجيدا ويجزئ لبدا وفروة اعتبر في البلد لبسها
ولا يكتفى دفع ما ذكر لمسكين واحد وعليه الشافعي ولا يكتفى المكعب والنعل والخف والقلنسوة
والتبان وهو سراويل قصيرة لا تبلغ الركبة ونحو ذلك مما لا يسمى كسوة (أو عير رقيقة) أى
مؤمنة كافي كفار في القتل والظهار جلالا للمطلق على المقيد وجوز أبو حنيفة عتق الكافرة
في كل كفر الا القتل وخرج بالتصيرين هذه الثلاثة أنه لا يجزئ أن يطعم خمسة ويكسو
خسة كما لا يجزئ اعتاق نصف رقبة واطعام خسة (فمن لم يجد) أى بان عجز عن أحد ما ذكر

(فصيام ثلاثة أيام) أى فكفاره صيام ثلاثة أيام ولا يجب متابعتها (فان قيل) قرئ شاذاً متتابعات والقراءة الشاذة كغير الواحد في وجوب العمل كما أوجبنا قطع يد السارق البغى بالقراءة الشاذة في قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيامهما - ما ولا من عادة الشافعي رحمه الله تعالى حل المطلق على المقيد من جنسه وهو الظهار والقتل (أجيب) بأن آية البغى نسخ فيها متتابعات تلاوة وحكما فلا يستدل بها بخلاف آية السرقة فانها نسخت تلاوة لاحكاماً وبأن المطلق ههنا متردد بين أصليين يجب التتابع في أحدهما وهو كفارة الظهار والقتل ولا يجب في الآخر وهو قضاء رمضان فلم يكن أحد الأصلين في التتابع بأولى من الآخر وبسبب متابعتها وجابن خلاف أبي حنيفة فانه شرط متابعتها * (تنبيه) * المراد بالجزء أن لا يقدر على المال الذى يصرفه في الكفارة كن يجده كفايته وكفاية من قرضه مؤتمه فقط ولا يجده ما يفصل عن ذلك وضابط ذلك أن من جازله أن يأخذ منهم الفقراء والمساكين من الزكاة والكفارات جازله أن يكفر بالصوم لانه فقير في الأخذ فكذا في الاعطاء (ذلك) أى المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلقتن) أى وحنثن (واحفظوا أيمانكم) أى من أن تنكثوا ما لم تكن من فعل برأوا إصلاح بين الناس كما تر في سورة البقرة (كذلك) أى مثل ما بين لكم ما ذكر (بين الله لكم آياته) أى أعلام شريعته (لعلكم تشكرون) أى يحصل منكم شكر يحفظ جميع الحدود والآمرة والنهي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الخمر) أى المسكر الذى خامر العقل سواء فيه كثيره وقليله (والميسر) أى القمار (والانصاب) أى الاضنام (والازلام) أى قدام الاستقسام (رجس) أى خبيث مستقذر وانما وحد الخبر للنص على الخمر والاعلام بأن أخبار الثلاثة حذف وقدرت لأنهم أهل لان يقال في كل واحدة منها على حدتها كذلك ولا يكتفى عنها خبر واحد على سبيل الجمع ثم زاد في التفسير عنها قاء كيد الرجسيتها بقوله تعالى (من عمل الشيطان) الذى يزيه (فاجتنبوه) أى الرجس المعبر به عن هذه الاشياء أن تفعلوه (لعلكم تفلحون) أى تظفرون بجميع مطالبكم واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأن صدر الجملة بأنما وقرنهما بالاضنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على أن الاشتغال بهما شر خاص وأغالب وأمر بالاجتناب عن عنيهما وجعل الاجتناب سبيبا ربح منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيه من المفساد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم بقوله تعالى (اتقوا الشيطان) أى يتزين الشرب والقمار لكم (أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) أى اذا أتيتنهما لما يحصل فيه من الشر والفتن أما العداوة في الخمر فأن الشارب اذا سكر عر يد كما فصل الانصارى الذى شج رأس سعد بن أبي وقاص بلحى الجمل وأما العداوة في الميسر فقال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبق حزيناً مأسلوب الاهل والمال من انظار على حرقائه (ويصدتم) بالاشتغال بهما (عن ذكر الله وعن الصلاة) وذلك لان من اشتغل بشرب الخمر والقمار أهمل ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلته كما فعل بأضاف عبد الرحمن بن عوف فقدم رجل منهم يصلى بهم صلاة المغرب بعدما مشى وافتقر أقل بايهم الكافرون أعبد بخذف لا وانما

خصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيه - ما من الوبال تنبيهه على أنهما المقصودان بالبيان وذكر
 الانصاف والازلام للدلالة على أنهما مثلهم في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب
 الخمر كعابد الوثن ر واه البزار ورواه ابن حبان بلفظ مدمم الخمر كعابد الوثن قال ويشبهه أن
 يكون فيمن يستحلها وهو كذلك وخص الصلاة بالذكر للأفراد بالتعظيم والاشعار بأن الصادق
 عنها كالصادق عن الإيمان من حيث أنها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث
 على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف بقوله تعالى (فهل أنتم
 منتهون) أي أنا بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الاعتذار قد انقطعت فلنقله
 الاستفهام ومعناه أمر كقوله تعالى فهل أنتم شاكرون (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما
 أمراكم به من اجتناب ذلك (واحدروا) مخالفتها فيما فيها لكم عنه (فان توليتم) أي عن اطاعة
 (فاعلموا) أنما على رسولنا البلاغ المبين أي فلا يضركم توليكم فاعلموا عليه البلاغ المبين وقد أدى
 وانما ضررتم أنفسكم * ولما نزل تحريم الخمر قال العصاة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف
 يا خواتنا الذين ما توأموهم بشر بون الخمر ويا كلون الميسر نزل (ليس على الذين آمنوا وعمالوا
 الصالحات) تصديقاً لإيمانهم (جناح) أي حرج (فيما طعموا) أي من مال الميسر وشر بوا من
 الخمر قبل التحريم (إذا ما اتقوا) أي المحرمات (وآمنوا وعمالوا الصالحات) أي يتوأ على الإيمان
 والأعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد الخمر (وآمنوا) بحريمه (ثم اتقوا) أي استمروا
 وبتوأ على اتقاء المعاصي (وأحسنوا) أي وتحذروا الأعمال الجملة واشتغلوا بها وأن
 التمسك برباعتبار الاوقات الثلاثة الماضي والحال والمستقبل التي تقع فيها الأفعال
 المذكورة وباعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والإيمان بينه وبين نفسه
 وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولاجل استعمال الانسان التقوى بينه وبين الله
 ابتدل الإيمان بالاحسان في السكرة الثالثة إشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام في نفسه
 الاحسان من قوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وباعتبار المراتب
 الثلاثة المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتق به فانه ينبغي أن يترك المحرمات توقياً من العقاب
 والشبهات تحذراً للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صوتاً لها عن الخسة وتهذیباً لها
 عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) أي يشيهم * ونزل عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم
 الله بالصمد فكانت الوحوش تغشى رجالهم فهموا بأخذها (يا أيها الذين آمنوا يباليكم الله) أي
 أي ليحسبكم (بشيء) يرسله لكم (من الصيد) وانما بعض لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة وفائدة
 الابتلاء اظهار المطيع من العاصي والا فلا حاجة به الى البلى (تأله أيديكم) أي ما لا يقدر أن
 يفتر من الصيد لغراً وغيره (ورماحكم) أي ما يقدر على الفرار لكبراً وغيره (ليعلم الله) أي علم
 ظهور فانه تعالى يعلم ما تخفى الصدور (من يخافه بالغيب) أي ليقر من يخاف عقاب الله وهو
 غائب مستتر في الآية فليحسب الصمد والمعنى أنه سبحانه وتعالى يخرج بالامتحان ما كان من
 أفعال العباد في عالم الغيب الى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقاً شهودياً كما كان تعلقاً غيبياً

ليقوم بذلك على الفاعل الحجة في مجاري عاد انكم (فن اعتدى) اى فاصطاد (بعد ذلك) اى الاستلاء بالصيد (فله عذاب اليم) اى مؤلم وان من لا يملك نفسه في مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون فيه النفس أميل اليه وأحرص عليه (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) اى محرمون بنسلك أو في الحرم والنهي عما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا وأما غير المأكول فيجوز قتله فانه لا حظ للنفس في قتله الا لراحة من أذاه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفأرة والكلب وفي رواية أخرى الحبسة بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ وغاصد ذكر القتل دون الذئب والذي كاذل تعميم فان مذبح المحرم مينة (ومن قتله منكم متعمدا) اى فاصد للصيد ذاكر الانحرام ان كان محرم والحرم ان كان فيه عالما بالتحريم وذكر العمد ليس لتعبيد وجوب الجزاء فان اطلاق العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية تزلت فين تعمد اذ روى أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعمه أبو قتادة برحمه فقتله فترأت وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالمخطئ وعن سعيد ابن جبيرة لا أرى في الخطأ شيئا بأشراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان وقوله تعالى (فجزاء) منون في قراءة عاصم وحجز والكسائي وما بعده مرفوع اى فعليه جزاءه هو (مثل ما قتل من النعم) اى شبهه في الخلقة لا التساوى في القيمة وقرأ الباقر وغيره في جزاء وخفض لام مثل (يحكمهم به) اى المثل رجلان (ذو عدل منكم) اى لهما فطنة يميزان بها أشبه الاشياء به فيحكم به وقد ذهب الى ايجاب المثل جماعة من الصحابة حكموا في بلدان مختلفة بالمثل من النعم فحكم ابن عباس وعمر وعلي في العامة بيذنة وهي لا تساوى بيذنة وعمر في الضبع بكبش وهو لا يساوى كبشا وابن عباس وأبو عبيدة في بقرة الوحش وجارية بقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكمهم ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لانه يشبهها في اللعب والحمام كل ما عاب وهذ من الطير كالقواخت والقسمري والذبسي قدل ذلك على أنهم ينظرون الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة وقوله (هديا) حال من جزاء وقوله تعالى (بالغ الكبشة) اى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان وهو نعت لما قبله وان أضيف الى معرفة لان اضافته لفظة لا تفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم كالصقور والجراد فعليه قيمته (أو) عليه (كفارة طعام مسكين) في الحرم من غالب قوت البلد ما يساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مئة وقرأ نافع وابن عامر كفارة بغير تنوين وخفض ميم طعام والباقر بالتنوين ورفع ميم طعام اى هي طعام (أو) عليه (عدل) اى مثل (ذلك) اى الطعام (مسكينا) يصومه في كل موضع يتيسر له عن كل مديوم ماقا وللخير لانه الاصل فيها قال البخاري والقول بأن الترتيب يحتاج الى دليل وقوله تعالى (لذوق وبال امره) متعلق بمعدوف اى فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليدوز سوء عاقبة هذه حرمة الاحرام والوبال المكروه والضرب الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لنقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذاً ويلا اى

ثقبوا الطعام الويل الذي ينقل على المعدة ولا يستقر (عفا الله عما سلف) أي من قتل الصيد قبل تحريمه فلا يؤخذ كمن به (ومن عاد) إلى تعدد شيء من ذلك بعد النهي وقوله تعالى (فإنتم لله منه) خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخل الفاء ويحذف قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخس ولا رهقا أي ينتقم الله تعالى منه في الآخرة وإذا تكثر من المحرم قتل الصيد تعددت عليه الكفارة عند عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح لا كفارة عليه تعلقا بنظر الآية فإنه لم يذكر الكفارة قال لأن الانتقام من العائد يمنع وجوب الكفارة (والله) الذي له صفات السكال (عزيز) أي غالب على أمره (ذوانتقام) أي ممن أمر على عصيانه • ولما كان هذا عام في كل صيد بين تعالى أنه خاص بصيد البر فقال (أحل لكم) أي ما للناس حلالا كنتم أو محرمين (صيد البحر) أي ما صيد منه وهو ما لا يعيش إلا في الماء كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر عند الشافعي رحمه الله تعالى وذبح قوم إلى أن جميع ما في البحر حلال وظاهر الآية تجزئه وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا يحل منه إلا السمك وقوله تعالى (وطعامه) عطف على صيد البحر أي وأحل لكم طعام البحر وهو ما يقذفه من السمك ميتا قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهو وماؤه الحسل ميتته رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وصححه وقال قتادة صيده طريه وطعامه مالحه وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله وعلى هذا فالصيد بمعنى الاصطياد والمعنى أحل لكم اصطياد الصيد وأكل المصيد من النهار والليل وغيرهما من جميع الماء كالبحر وقوله تعالى (مما) مفعول أي أحل لكم (لكم) تنبيه لكم تأكلونه طريا (والسبابة) أي المسافر من منكم يترودونه قديدا كما ترود موسى صلى الله عليه وسلم في سيره إلى الخضر الحوت (وحرم عليكم صيد البر) أي اصطياده وأكل ما صيد منه لكم وهو ما لا يعيش إلا فيه وما يعيش فيه وفي البحر فإن صيد الحلال حل للحرم أكله لقوله صلى الله عليه وسلم لحم الصيد حلال لكم ما لم تطأوه أو يصد لكم (مادهم حرما) أي محرمين وقد ذكر تعالى تحريم الصيد على المحرم في ثلاث مواضع من هذه السورة قوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم إلى قوله تعالى وإذا حملتم فاصطادوا وقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر مما دمتم حرما تشديد على المحرم أنه لا يتعاطى ذلك وأكد ذلك بقوله تعالى (واتقوا الله) أي في ذلك الاصطياد وغيره (الذي إليه تحشرون) فإنه مجاز يكم بأعمالكم (جعل الله الكعبة) أي صبرها وصلى البيت كعبة لتكعبه أي تربعه وقال مجاهد سميت كعبة لترفعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وقال مقاتل سميت كعبة لأنفرادها من البناء وقوله تعالى (البيت الحرام) أي المحترم عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما نجي الصفة كذلك (قياما للناس) أي يقوم به أمر دينهم بالحج أو العمرة إليه وديانهم بأمن داخله وعدم التعرض له وبجي ثمرات كل شيء إليه قال الرازي والمراد ببعض الناس وهم العرب وإنما حسن هذا الجواز لأن أهل كل بلد إذا قالوا الناس فعلوا كذا وصنعوا كذا فهم لا يريدون إلا أهل بلدتهم فلذلك السبب خوطبوا بهذا الخطاب على وفق عاداتهم وقرأ ابن عامر قريبا غير ألف مصدر قام غير معمل والباقيون بالألف

(والشهر الحرام) أى الأشهر الحرم وهى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم وربى أى صير الأشهر الحرم قياماً للناس بأمنون فيها من القتال (والهدى) أى الذى لم يقد (والقائد) أى الهدى الذى يقاد فيه ذبح ويقسم على الفـ قراء ومز الكلام عليه فى أول السورة (ذلك) أى الجعل المذكور وهو الأربعة الأشياء التى جعلها الله قياماً للناس (لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل على علمه بما فى الوجود وما هو كائن وقوله تعالى (وأن الله بكل شىء عليم) نعميم بعد تخصيص ومباغلة بعد اطلاق وقوله تعالى (اعلموا أن الله شديد العقاب) فيه وعيد لأعدائه عن انتكاح محارمه وقوله تعالى (وأن الله غفور) فيه وعيد لوليائه من حافظ عليها (رحيم) بهم وقوله تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التقريط (والله يعلم ما تبدون) أى تظهر من العمل (وما تكتون) أى تخفون منه فيجازيكم به وقوله تعالى (قل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام فى نفي المساواة عند الله تعالى بين الردى من الأشخاص والاعمال والأموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال (ولو أعجبك كثرة الخبيث) إذا عبرة بالقلة والكثرة بل بالجودة والرداءة فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير والمطاب لكل معتبر ولذلك قال تعالى (فاتقوا الله) أى فى ترك الخبيث وإن كثرت الحسن لنفسه فى المعنى وآثر والطيب وإن قل فى الحسن لكثرتة فى المعنى (يا أولى الألباب) أى أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفلحون) أى لتكونوا على رجاء من أن تفوزوا بجميع المطالب * ونزل لما كثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد) أى تظهر (لكم تسوكم) أى لما فيها من المشقة فقبل سبب نزولها ما فى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه أنهم لما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه المسئلة أى بالغوا فى السؤال فغضب وصعد المنبر وقال لا تسألونى اليوم عن شىء إلا بينته لكم وشرع يكثر ذلك وإذا رجل كان إذا لحنى الرجال يدعى أقبر أبىه فقال يارسول الله من أبى فقال حذافة فقال عمر رضى الله تعالى عنه رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ونعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت فى الخير والشرك اليوم قط أنه قد صورت لى الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط فى آخره فنزلت هذه الآية وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال يارسول الله أنا حديث عهد بجاهلية أعف عنا يغف الله عنك فسكن غضبه وللبخارى فى التفسير عن أنس أيضاً قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً قط قالوا فقلون ما أعلم أنكم قلباً ولا لبكيتكم كثيراً فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين فقال رجل من أبى قال فلان فنزلت هذه الآية وللبخارى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنه ما قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمهم زاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل نضل ناقته أين ناقتى فأنزل الله فيهم هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنه ما أنه صلى الله

عليه وسلم كان يحطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيههم فقال
صلى الله عليه وسلم لا أسأل عن شيء إلا وأجيب فقال رجل أين أمّاها في النار وقال آخر من أبي
قال حدافه وكان يدعى لغيره فنزلت هذه الآية وقيل غير ذلك ولا تعارض بين هذه الاخبار
ولو تعذر ردّها الى شيء واحد لما مرّ عند قوله تعالى لا تخرموا طيبات ما أحل الله لكم من أن الأمر
الواحد قد تعدّد أسبابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسهيل المهمزة الثانية مع تحقيق
الاولى والباقيون بتحقيقهما ولما كان ربحا وقع في وهم متعنت أن هذا الزجر إنما هو لقصد راحة
المسؤول عن السؤال خوفا من عواقبه قال تعالى (وان تسألوا عنها) أي تلك الاشياء التي
توقع مسألتكم عند ابدانها (حين ينزل القرآن بتدلكم) المعنى اذا سألتكم عن أشياء في زمنه صلى
الله عليه وسلم ينزل القرآن بآياتها ومتى أبداهاسا تكلم فلا تسألوا روى أنه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى قد فرض فرايض فلا تضيعوها وحدود فلا تعدوها ثم عقا عن أشياء
من غير نسيان فلا تبغضوا عنها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون النون وتخفيف الزاي والباقيون
بفتح النون وتشديد الزاي وقوله تعالى (عفا الله عنها) استئناف أي عفا الله عما سلف من
مسئلتكم فلا تعودوا الى مسئلتها وصفة أخرى أي عن أشياء عفا الله عنها ولا يكف بها وروى انه
لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراق بن مالك الكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولوجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم
فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بأمر فخذوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه (والله غفور) يحو الزلات عينا وأترا ويهبطها
بالاكرام (حليم) لا يجهل على العاصي بالعقوبة وقوله تعالى (قد سألهما قوم) الضمير فيه للمسئلة
التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بها أو الاشياء محذوف الجار وقوله تعالى (من قبلكم) قال
البضاوي متعلق بسألهما وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة لجثة ولا حالاً لهما
ولا خبراً عنهما قال أبو حيان هذا محله في ظرف الزمان المجزأ من الوصف اما اذا لم يجزأ عنه
فيصح أن يكون صفة للجثة أو حالاً لهما وخبراً عنها وقيل وبعد وصفان في الاصل فاذا قلت
جاء زيد قبل عمرو فالعنى جاء في زمان قبل زمان مجيئه أي تقدم عليه ولذا صح وقوعه صلة
للموصول ولو لم يلحظ فيه الوصف ولو كان ظرف زمان مجزأ لم يجز أن يقع صلة قال تعالى والذين
من قبلكم ولا يجوز والذين اليوم وعن سألهما قبلهم ثم ودأوا صالحا الناقه وسأل قوم عيسى
المائدة (ثم أصحبوا) أي صاروا (بها) أي بسببها (كافرين) حيث لم يأمر واعمالاً أو اجودا
وقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ردوا نكارنا لابتدعته أهل
المجاهلة روى أن أهل الجاهلية كانوا اذا تجت الناقه خمسة أبطن آخرها ذكر يجر وأذنهم
أي شقوها وتركوا الحمل عليها وتركوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلا وقيل انهم
كانوا ينظرون الى خامس ولدها فان كان ذكر انحروه فأكله الرجال والنساء وان كان أنثى يجرها
أذنهم أي شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنتها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال واذا

ماتت حلت للرجال والنساء وأما السائبة فكان الرجل منهم يقول ان شئت أوردت غائبى فناقى
 سائبة ثم يسبها فلا تجبس عن مرعى ولا ماء ولا تركب ويحلبها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها
 وقيل كانت الناقة اذا تابعت فاقى عشرة سنة انا ناسبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم
 يشرب لبنها الاضيف فان تجبت بعد ذلك انى شق اذنهم ثم يحلب سبيها مع اثمها فى الابل فلم يركب
 ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف كما فعل بآتها فهي البهيرة بنت السائبة وأما الوصيلة
 فمن الغنم كانت اذا ولدت سبعة أبطن نظر فان كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال
 والنساء وان كانت أنثى تركوها فى الغنم وقيل اذا ولدت المشاة أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو
 لأهلهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكرا لأهلهم وكان ابن الانثى
 حراما على النساء فان مات منها شئ أكله الرجال والنساء جميعا وأما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد
 ولده ويقال اذا تجبت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
 ولا يمنع من ماء ولا مرعى واذا مات أكله الرجال والنساء وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا كنتم
 الخزاعى يا أكنتم رأيت عمرو بن لحي يجره قصبه فى النار فخارأت من رجل أشبهه برجل مثله ولا به
 منسك وذلك انه أول من غدر دين اسمعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسب السائبة ووصل
 الوصيلة وحى الحامى ولقد رأيته فى النار يؤذى أهل النار برج قصبه فقال أكنتم يا بضرنى
 شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر ومعنى ما جعل الله أى ما شرع ذلك ولا أمر بالتجسير
 ولا التسيب ولا غير ذلك (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) فى قولهم ان الله أمرنا
 بها (وأكنتمهم لا يعقلون) أن ذلك افتراء لانهم قلدوا فيه آباءهم كما قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا
 الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا) أى كافينا (ما وجدنا عليه آباءنا) اذ لا مستند لهم
 سوى ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) اى الى الحق والاستغفار
 لا نكار أى أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين وقرأ هشام والكسائى قيل
 بضم القاف قبل الياء والباقون بالكسر (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها
 والزمو اصلاحها (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) أى لا يضركم الضال اذا كنتم مهتدين ومن
 الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا
 فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وروى عن أبى
 بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال يا أيها الناس انكم تفترون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
 عليكم أنفسكم الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هى والى سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروا يوشك أن يعذبهم الله به عذابا وفى رواية
 لتأمرن بالمعروف وتنهعن عن المنكر اولى سمعتان الله عليكم شراركم فبى وموتكم سوء العذاب
 ثم ليدعون الله خياركم فلا يسعجبالهم قال أبو عبيدة خاف الصديق رضى الله عنه أن يتأول
 الناس الآية غير معناها فلهذا فدهوهم الى ترك الأمر بالمعروف فأعلمهم أنها ليست كذلك قال أبو
 ثعلبة الخنسي سألت عن هذه الآية فلهذا فدهوهم الى ترك الأمر بالمعروف فأعلمهم أنها ليست كذلك قال أبو

وتأهو ابن المكر حتى اذا رأيت سهام طاعا وهوى متبعها وديناً مؤثرة واجهاب كل ذى رأى رأيه
ورأيت الامر لا بد لك منه فعليك نفسك ونزع امر العامة وان وراءكم أيام الصبر فمن صبر فحين
قبض على الجروان وراءكم أياماً لا تعامل فيهن مثل أجر خنسين رجل لا يعملون مثل عمله قال ابن
المبارك وزادنى غيره قال يا رسول الله أجر خنسين منهم قال أجر خنسين منكم وعن ابن عباس
رضى الله عنهما أن هذه الآية قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انما اليوم مقبولة ولكن
يوشك أن يأتى زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهى على هذا تسلية لمن
يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط له ذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قبل فنى قال اذا حال دونها
السيف والسوط والحبس وروى المؤمن القوى خبراً أحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى
كل خيراً حرص على ما ينفعك واستغن بالله ولا تنجز وان أصابك شئ فلا تقل لوائى فعلت
كان كذا وكذا فان لو تفتح عمل الشيطان ولكن قل قدرا لله وما شأ فعل وقيل كان الرجل اذا
أسلم قالوا له سقت أباهم ولا موه فزالت عليكم أنفسكم وعليكم من أسماء الفاعل بمعنى
الزمنوا أنفسكم ولذلك نصب أنفسكم (الى الله مرجعكم جميعاً) الضال والمهتدى (فبينكم
بما كنتم تعملون) فيجازيكم به وفى ذلك وعد ووعد للقرين وتنبه على أن أحد الايواخذ
بذنب أحد غيره (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أى فيما أمرتم شهادة بينكم فشهادة مبتدأ
خبره محذوف قيل هذه الآية وما بعدها من أشكل أى القرآن حكوا وأرأوا وتفسروا والمراد
بالشهادة الشهادة بالوصية وقيل المراد بها العين بمعنى عيني ما بينكم أن يحلف اثنان قال
القرطبي ورد لفظ الشهادة فى القرآن على أنواع مختلفة بمعنى الحضور قال تعالى فى شهد منكم
الشهر فليصمه وبمعنى قضى قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو وبمعنى أقر قال تعالى والملائكة
يشهدون وبمعنى حكم قال تعالى وشهد شاهد من أهلها وبمعنى حلف قال تعالى شهادة أحدكم
أربع شهادات وبمعنى وصى قال تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم (اذا حضر أحدكم الموت) أى
أسبابه (حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) وهذا خبر بمعنى الامر أى يشهد واضافة شهادة
لبين على الاتساع وحين يدل من اذا أو ظرف للحضر واثنان فاعل شهادة أو خبر مبتدأ محذوف
أى الشاهدان اثنان وقوله تعالى (أو آخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغر باهل
الذمة جعله مفت وخافان شهادة على المسلم لا تسمع اجماعاً وقد اتفق الاكثرون على انه لا نسخ
فى سورة المائدة وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم وانما جازت
فى قول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر (ان أئمت خريتم) أى سافرت
فى الارض فاصابكم مصيبة الموت) أى قاربتم الاجل وقوله تعالى (تحبسونهم) أى
توقفونهم وتضربونهم ماضية لا آخران (من بعد الصلاة) أى صلاة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة كانت (تقسمان) أى
يحلفان (بالله) وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان العين انما تكون اذا كان من غير نفاق كانا
مسلمين فلا عين وعن غيره ان كان الشاهدان على حقيقةهما فقد نسخ تخليفهما وان كانا الوصيين

فلا ثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال اعتراضا بين القسم والمقسم عليه (ان ارنبتم) أي شككنتم فيما
أخبر به عن الواقعة ثم ذكر القسم عليه بقوله (لا تشترى به ثمنا) أي بهذا الذي ذكرناه ثمنا أي لم
نذكر ليحصل لنا به عرض ذنوبى وان كان في نهاية الحلالة وليس قصدنا به الاقامة الحق (ولو كان)
أي القسم له (ذا قربي) أي لنا (ولا انكم شهادة الله) أي التي أمرنا باقامتها (انما إذا) أي اذا كفناها
(لمن الا) بمن فان هنر أي اطلع بعد حلفهما (على أنهما استحقا ثمنا) أي فعلا ما يوجب من خيانة
أو كذب في الشهادة ثمان وجد عندنا مثلاما اتهمنا به وادعيا أنهما يتابعان من الميت أو وصى لهما
به (فأخران) أي فشا هذان آخران (يقومان مقامهما) أي في توبية العيين عليهما (من الذين
استحق عليهم) الوصية وهم الورثة على قراءة غير حصن بضم التاء وكسر الحاء على البناء للمفعول
وعلى البناء لفاعل فهو الاوليان ويبدل من آخران (الاوليان) بالميت أي الاقربان اليه وقرأ
جزوة وشعبة بتشديد الواو وكسر اللام وبسكون الياء ورفع النون على الجمع أنه مفعلة للذين
أوبدل منه أي من الاولين الذين استحق عليهم والباقيون بسكون الواو ورفع اللام والياء والت
بعد الياء وكسر النون على التنبيه على انه بدل من آخران كما مر وأخبر محذوف أي هما الاوليان
(فيقتسمان) أي هذان الا آخران (بالله) ويقولان (لشهادتنا) أي بمقتنا (أحق) أي أصدق
من شهدتهما) أي بمقتنهما (وما اعتدينا) أي تجاوزنا الحق في البين (انما إذا) أي اذا وقع منا
اعتداء (لمن الظالمين) أي الواضحين الشيء في غير موضعه ومعنى الآيتين أن المختصر اذا أراد
الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوى نسبه أو دينة على وصيته أو يوصى اليهما احتياطا فان
لم يجد هما بان كان في سفر فأخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتبأ أقساما على صدق
ما يقولان بالتغليب في الوقت فان اطلع على أنهما كذبا بامارة أو مظنة حلف آخران من اولياء
الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فان الشاهد لا يحلف ولا تعارض بينه وبين
الوارث وثابت ان كانوا وصيين ورثة البين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
الوصي بالبين لاماته أو لتغير الدهوى وتخصيص الحلف في الآيتين اثنتين من أقرب الورثة
لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي ما روي أن رجلا من بني سهم خرج مع غنم الدارى وعدى
ابن زيد الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
فلما قدموا الشام مرض بديل فدونق معه في صحفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما بها وأوصى
اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذاهما من فضة فيه ثلثمائة منقولة
بالذهب ثم قضى ما حاجتهما وانصرفا الى المدينة ودفعا المتاع الى أهل الميت ففتشوا فأنصأوا
الصحفة فيها تسعة ما كان معه بخا وأتبعها وعدا فاقوا الواهل باع صاحبنا شأبا قال لا فالواهل
اتجر تجارة قال لا فالواهل طال مرضه فأنفق على نفسه قال لا فالواهل فأنفق على متاعه صحفة
فيها تسعة ما معه وانفتقدنا منها انما من فضة بمخوها بالذهب ثلثمائة منقولة من فضة قال لا ما ندري
انما أوصى لثانتي وأمرنا أن ندفعه لكم فدفعناه وما نتاعه بالاناء فاخضعوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاجترأ على الانكار وحلفا فأنزل تعالى آية ما بها الذين آمنوا الآية فلما نزلت هذه

وعدى بن زيد هكذا

في بعض النسخ كافي

البضاي والكشاف

وفي نسخة ابن بداه كما

في حاشية العلامة

الجل وعبارته وعدى

ابن بداه بفتح الموحدة

وتشديد الدال

المهملة محدود

مصرف اه

الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا قايما وعديا فاستخلفهما عند المنبر بالله
 الذي لا اله الا هو انهما لم يجتأنا شيئا مما دفع اليهما خلفا على ذلك وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم سيداهما ومجدا لانا في أيديهما فبلغ ذلك بنى سهم فأتوهما في ذلك فقالا لانا كما قد اشتريناه
 منه فقالوا أتم زعمان صاحبنا لم يبيع شيئا من متاعه قال لا يمكن عندنا بئنه وكرهنا أن نفر لاكم
 فكفنا ذلك فرفعهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترت فان عثر فقام عرجوبن العاص
 والمطلب بن أبي رفاعه السهمان وحلفا وتقدم أن تخصيص الحلف في الآية بانين من أقرب
 الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها (ذلك) أي الحكم المذكور من رد العين على الورثة
 (أدنى) أي أقرب (أن) أي الى أن (يأتوا) أي الذين شهدوا أولا (بالشهادة) أي الواقعة
 في نفس الامر (على وجهها) أي الذي تحموا له عليه من غير تغير ولا خيانة (أو) أي أقرب الى
 أن (يحافوا أن ترد أعيان بعد ايمانهم) أي على الورثة المدعي فيحلفون على خيانتهم وكذبهم
 فيسقطون ويفرمون فلا يكذبوا وانما جاع الضمير لانه حكمهم الشهود كلهم (واقفوا الله) بترك
 الخيانة والكذب (واسمعوا) ما ترومون به سمع قبول (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي
 الخارجين من طاعته لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة وقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل)
 أي يوم القيامة منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من منهول واقفوا بديل اشكال (فيقول لهم)
 توبوا القوم منهم كأن سأل المؤمنة لتوبيع الوائد (ماذا) أي الذي (أجبتهم) به حين دعوتهم الى
 التوحيد (قالوا لا علم لنا) أي لا علم لنا بما أنت تعلم (أنك أنت علام الغيوب) ففعل ما أجابونا
 وأظهروا لنا وما لم نعلم مما أضمرنا في قلوبهم وقوله تعالى (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر
 نعمتي عليك وعلى والدتك) أي اشكرها منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم يجمع وهو على
 طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
 وتصديدها ما أظهر واعلمهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسوءهم صخرة وغلا آخرون فالتخذوهم
 آلهة وقوله تعالى (اذ أيدتك) أي قوتك ظرف لنعمتي أحوال منه (روح القدس) أي جبريل
 عليه السلام فكان له في الصغر حفظ لم يكن لغيره وقوله تعالى (تسكن الناس) حال من الكاف
 في أيدتك (في المهد) أي طفلا (وكهلا) أي تكلمهم في الطفولة والكهولة على السواء
 والمعنى الحاق حاله في الطفولة بهال الكهول في كمال العقل والتكلم به وبه استدلال على انه
 ينزل قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران (واذ علمت الكتاب) أي الخط
 الذي هو مبدأ العلم (والحكمة) أي الفهم لحقائق الاشياء والعمل بما يدعو اليه العلم (والقراءة)
 أي المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم (والانجيل) أي المنزل عليك (واذ خلق من الطين) أي
 هذا الجنس (كهية) أي كصورة (الطين) والكاف اسم بمعنى مثل مفعول (باذني) أي بأمرى
 (فتفصيح فيها) أي في الصورة المهيأة (فتكون) تلك الصورة التي هيأتها (طيرا باذني) أي
 بارادتي وقرأ نافع بالذبد الطاء وبعد الالف همزة مكسورة وورش يرقق الراء على أصله
 والباقرن ياء ساكنة بعد الطاء (وتبرئ الاكس والابرص باذني) وسبق تفسيرهما في سورة آل

عمران (واذخرج الموقى) أى من قبورهم احياء (باذنى واذ كففت بنى اسرائيل) أى اليهود
 (عنك) أى حين هموا بقتلك وقوله تعالى (اذجنهم) ظرف لكففت (بالينيات) أى
 المعجزات (فقال الذين كفروا منهم ان) أى ما (هذا) الذى جئت به (الاحقرمين) أى بين ظاهر
 وقرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء اشارة الى عيسى عليه السلام
 والباقون بكسر السين وسكون الحاء ولا ألف بعدها اشارة الى ما جاء به (واذا وحيت) أى
 بالالهام باطنا وبايصال الاوامر على لسانك ظاهرا (الى الحواريين) أى الانصار (ان) أى
 بان (انتمواى ورسولى) عيسى صلى الله عليه وسلم (قالوا امنا) بهما (واشهد باننا مسلمون) أى
 منقادون انتم انقياد وقوله تعالى (اذ قال الحواريون) منصوب باذكر وقيل ظرف لقالوا
 فيكون تنبيه على أن ادعاهم الاخلاص مع قولهم (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرأ
 الكسائي بالتاء على الخطاب وادغام لام هل فيها على أصله وفتح الباء الموحدة من ربك أى هل
 يستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل تسأل ذلك من غير صراف وقرأ الباقر بالباء على
 الغيبة ورفع الباء أى يجهل ربك اذا سألته (أن ينزل علينا مائدة) وهى الطعام ويقال أيضا
 للخوان اذا كان عليه الطعام والخوان شئ يوضع عليه الطعام لئلا كل هو فى العموم عنزلة
 السفر قلما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص وقال أهل الكوفة سميت مائدة لانها تخدم بالأكواب
 أى قبل وقال أهل البصرة فاعلة بمعنى مفعولة أى تخدم أى تخدم بالأكواب أى تخدم بالأكواب
 أى مرضية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسكون النون وتخفيف الزاى والباقر بفتح النون وتشديد
 الزاى وقولهم (من السماء) أى لاصنع للادميين فيها المختص بهما عن تقدمنا من الامم يكن
 بعد عن تحقيق واستحكام معرفة (قال) عيسى عليه الصلاة والسلام محبب اليهم (اتقوا الله)
 أن تسألوه شيئا لم نسأله الامم من قبلكم (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته تعالى وصحة توفيقه وأصدق قنكم
 فى ادعائكم الايمان فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان (قالوا نريد) أى بسؤالنا من أجل (أن)
 نأكل منها) تبر كالأكل حاجة وقولهم (وتطمئن) أى تسكن (قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى
 علم الاستدلال بكمال قدرته بيان لما دعاهم الى السؤال وتهدى عذرهم وقولهم (ونعلم) أى نزداد علما
 (أن) مخففة أى انك (قد صدقنا) فى ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا وقبل ان عيسى عليه
 السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما فاذا أفطروا لا يسألون الله شيئا الا أعطاهم ففعلوا
 وسألوا المائدة قالوا ونعلم ان قد صدقنا فى قولك أنا اذا صمنا ثلاثين يوما لا نسأل الله تعالى شيئا
 الا أعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا ومن الشاهدين العين دون السامعين
 للغير (قال عيسى بن مريم) لما رأى أن لهم غرضا صحيحا فى ذلك وأنهم لا يظفون عنه فأراد الزامهم
 الحجة بكالها (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) وحقق موضع الانزال بقوله (من السماء تكون)
 هى أو يوم نزولها (لنا عيدا) نعلمه ونشرفه وقال سفيان فصل فيه وروى أنها نزلت يوم الاحد
 فلذلك اتخذها النصارى عيدا وقيل ان عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصل ركعتين
 وطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا الخ وقيل الفيد السرور والعائد ولذلك سمي

يوم العبد عبد اوقوله (لا تلتوا آخرنا) بدل من لنا باعادة العامل أى عبد الازل زمانا ولان
 جاء بعدنا وقال ابن عباس بأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقوله (وآية) عطف
 على عبد اوقوله (منك) صفة لها أى آية كاشفة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا)
 المائدة والشكر عليها (وأنت خير الرازقين) أى من يرزق لانه تعالى خالق الرزق ومعطيه
 بلا عرض (قال الله) تبارك وتعالى مجيبا لعيسى عليه السلام (انى منزلها عليكم) أى المائدة
 وقرآنافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف
 الزاى (فمن يكفر بعد) أى بعد نزولها (منكم فانى أهدبه عذابا) أى تعذيبا أو مفعولا به على
 السعة والتخفيف (لا أعذبه) للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بدم الباء (أحدا
 من العالمين) أى عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مسخروا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك
 غيرهم قال عبد الله بن عمر أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب
 المائدة وقوم فرعون واختلف العلماء هل نزلت المائدة أو لا فقال مجاهد والحسن لم تنزل فأتى
 الله تعالى الماء وعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا
 لا نزيدها فلم تنزل وقوله تعالى انى منزلها عليكم أى ان سأتم والصحيح الذى عليه الاكثر أن أنها
 نزلت لقوله تعالى انى منزلها عليكم ولتواتر الاخبار فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واختلافه فى صفتها فقال عطاء بن أبى رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة
 لبس عيسى عليه السلام مسها وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الآبة فنزلت سفرة حمراء
 بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها ودهم ينظرون إليها وهى منقضة حتى سقطت
 بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها راحة
 ولا تجعلها عقوبة فقام فتوضأ وصلى وكشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
 مشوية بلا فلوس أى بلا قشر كالفلوس ولا شوك تسيل دهنا وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل
 وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى
 الثانى عسل وعلى الثالث سمع وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون الصفا
 وهو رأس الحواريين يا روح الله أؤمن طعام الدنيا هذا أؤمن طعام الآخرة فقال لبس شيئا مما
 ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شئ اختره الله تعالى بقدرته كوا مما
 سأتم واشكروا بعد ذلك ويرى من فضله فقال يا روح الله كن أول من يأكل منها فقال معاذ الله
 أن أكل منها ولكن يأكل منها من سألهأنا فوا أن يأكلوا منها فعدا أهل الفاقة والمرضى
 وأهل البرص والجذام والمقعدين وقال كلوا من رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا
 وصدر واعنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومرض ومبتلى كلهم شعبان
 والسمكة كهيتتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعودا ودهم ينظرون إليها حتى نوارت فلم يأكل
 منها زمن ولا مريض ولا مبتلى الا عوفى ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل فلبثت أربعين
 صباحا تنزل ضحاها فانزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء

ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء النبي أي زالت الشمس طارت وهم ينظرون في ظلها حتى
تواثف عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كثافة غود وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكثرة
وعشا حيث كانوا كالمق والسلاوي لبني اسرائيل وقال وهب بن منه أنزل الله تعالى أقرصا
من شعير وجبنا فان كان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيى آخرون فبأكلون حتى أكلوا جميعهم
وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليه اخبز أرز
وبقل وقال قتادة كان عليها تمر من غمار الجنة وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنزل على
المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال كعب الاحبار نزلت منكسة تطير بها الملائكة بين السماء
والارض عليها كل الطعام ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها كانت تنزل تارة كذا وتارة كذا
وقيل لما نزلت قالوا يا رسول الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احياي باذن الله
تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعصاها
فسحقوا سحقا منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا من ليلتهم على فراشهم مع نسائهم فاصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات والكسائات يأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى
عيسى وبكوا فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطوف بعيسى وجعل
عيسى يدعوهم باسمائهم فيسبحون ويقرعون ويسلمون ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة أيام
ثم هلكوا وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمرها أن لا يخبثوا ولا يدخروا
لغد فخبثوا وادخروا وسحقوا وردة وخنازير (و) اذكر (اذ قال الله) أي يقول لعيسى
في القيامة تو بما لقومك وانما عير بالماضي لتحق وقومه كقوله تعالى أتى أمر الله (يا عيسى
ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأهل الهين من دون الله) أي غيره وقال السدي قال الله
هذا القول لعيسى حين رفعه الى السماء لان حرف اذ يكون للماضي وسائر المفسرين على
الاول وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبشيميل الهمزة الثانية وأدخل ألفا بينهم ما قالون
وأبو عمرو وورش وابن كثير لم يدخلوا ألفا بينهم ما قالون بتحقيق الهمزتين ولا ألف بينهم ما قرأ
نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص أي بفتح الياء والباقون بالسكون (فان قيل) ما وجه هذا
السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى عليه السلام لم يقله (أجيب) بأنه ذكر لتوبيخ قومه كما مر
ولتعليم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لا تسرفعات كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعلها علما
واستغظا لا لاستغبارا واستغفارا وأيضا أراد الله عز وجل أن يقر عيسى على نفسه بالعبودية
فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا
الخطاب ارتعدت فرائضه وفاصلة وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم ثم (قال)
وهو يرعد بحسب الله (سبحانك) أي أنزهك عن أن يكون لك شريك (ما يـكون) أي ما ينبغي
(لأن) أن أقول ما ليس لي بحق) خبر ليس ولي التبيين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في الاولى بفتح
الياء والباقون بالسكون (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما) أخفيه (في نفسي) ولا أعلم ما في نفسي
أي ما أخفيه عنى من الاشياء وقوله في نفسك للمشاكسة وقيل المراد بالنفس الذات وقوله

(أنت علام الغيوب) تقرير لما قلنا تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك باعتبار منطوق أنك أنت علام الغيوب ومفهومه لأنه يدل عنطوقه على أنه تعالى لا يعلم الغيب غيره فيكون تقريراً لقوله تعالى ولا أعلم ما في نفسك وقرأ جزء وشعبة بكسر الغين والباقون بالضم (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) وهو (أن اعبدوا الله ربي وربكم) أي فانا وإياهم في العبودية سواء (وكنتم عليهم شهداء) أي رقيباً منهم مما يقولون (ما دمت فيهم فلما توفيتني) بالرفع إلى السماء لقوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلی والتوفي أخذ الشيء وافيها والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (كنتم أنت الرقيب) أي الحفيظ عليهم أي لأعمالهم (وأنت على كل شيء) من قولي وقولهم وغير ذلك (شاهد) أي مطلع عالم به (أن تعدبهم) أي من أقام على الكفر منهم (فانهم عبادك) وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (وان تغفر لهم) أي لمن آمن منهم (فأنت العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) في صنعه فان عذبت فعذل وان عفوت فننضل (قال الله تعالى) هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم أي في الدنيا كعيسى فان النافع ما كان حال التكليف لاصدقهم في الآخرة وقرأ نافع نصب الميم على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف والمعنى هذا الذي من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع والباقون بالرفع على الخبر وقيل أراد بالصادقين النبيين وقال الكلبي ينفع المؤمنين إيمانهم وقال قتادة متكلمان يحطبان يوم القيامة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو ما قص الله تعالى وعد الله إبليس وهو قوله تعالى وقال الشيطان لما نضى الأمر فصدق عدو الله يومئذ وكان كاذباً لم ينفعه صدقه قال ولما كان عيسى صادقاً في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه * ثم بين تعالى ثوابهم فقال (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وأكدمعنى ذلك بقوله تعالى (أبدًا) ولما كان ذلك لا يتم إلا برضا الله تعالى قال (رضي الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) ثوابه (ذلك) أي هذا الأمر العلى لا غيره (القور العظيم) وأما الكاذبون في الدنيا فلا ينفعهم صدقهم في ذلك اليوم كالكفار المؤمنون عند رؤية العذاب (لله ملك السموات والأرض) أي خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها (وما بين) من انس وجن وملك وغيرهم ملكا وخلقاً وأتى بصادون من تغليباً لغير العاقل (وهو على كل شيء قدير) ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب قال السيوطي ونخص العقل ذاته فليس عليها بقادر وقول البضاوى عن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ويحى عنه عشرين سيئة ورفع له عشر درجات بعد ذلك يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا حديث موضوع

(سورة الانعام مكية)

روى أنها نزلت بكة بجله واحدة ليللا ونزل معها سبعون ألف ملك قد سدقوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتعجب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم وختر

ساجدا والزجل يفتح الزاى والجيم القوة قال الباقى وروى من فروع من قرأ سورة الانعام
يصلى عليه أولئك السبعون ألف ملائكة وله من باره وقال الكلى عن أبي صالح عن ابن عباس
رضى الله عنهما نزلت سورة الانعام عكة الاخرة تعالى قل تعالوا أنل ما حترم ربكم عليه كرم الى قوله
تعالى اعلواكم تتقون فهذه الست آيات مدينا وروى أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالكتاب
فكتبه وها من ايلتهم الا الست آيات قال بعض العلماء واختصت هذه السورة بنوحين من
الفضل أحدهما أنها نزلت دفعة واحدة والثلى انها سبعها سبعون ألفا من الملائكة والسبب
فيها أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذهب المبطلين
والمطهدين روى مائة وخمسة وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واقتان وخمسون كلمة وعدد
حروفها اثنا عشر ألفا وأربع مائة واثنون وعشرون حرفا (بسم الله) الذى تعالت عظمته عن كل
شائبة نقص فكان له كل كمال (الرحمن) الذى عمت نعمته المحسن والمسى فغفر الكل بالتوال
(الرحيم) الذى خص أولياءه بانعام النعمة فهذه اهم بركة الايصال (الحمد) هو الوصف بالجبل
ثابت (الله) وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به أو الثناء به أوهما احتمالات قال الجلال الهلى
فى سورة الكهف أفيد هذا الثالث وثقه الكلام على الحمد لغة واصطلاحا فى أول الفاتحة
وقال كعب الاحبار هذه الآية أول آية فى التوراة وآخر آية فى التوراة وقيل الحمد لله الذى
لم يتخذ ولدا الى آخر الآية وفى رواية أن آخر آية فى التوراة آخر سورة هود وقال ابن عباس
رضى الله عنه ما فتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله (الذى خلق السموات والارض) وختم
بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال أهل المعاني لفظ الحمد لله
خير ومعناه الامر أى احمدا والله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ فى البيان
من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدا والله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وانما
خص السموات والارض بالذكر لانهم ما أعظم الخلق فباترى العباد لان السماء بغيرهم
ترونها فيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلاق وفيها أيضا العبر والمنافع وجمع السموات
دون الارض وهى مثلها لان طبقاتها مختلفة الذات متفاوتة الآثار والحركات بالكواكب
فى سيرها وحركاتها فى السرعة والبطء واستقرار بعضها ببعض عند المسوف وغيره وغير ذلك
مما هو محجور عند أهله وقدمها لشرها قدرها وعظما وان كانت الارض أشرف من حيث أنها
مسكن الانبياء (وجعل) أى خلق (الظلمات والنور) أى كل ظلمة ونور وجهها وانه لكثرة
أسبابها والاجرام الحاملة لها اذ من جرم الاوله ظل وظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد
وهو النار ولا تزد الاجرام المنيرة كالنور ككبر لان مرجع كل نارا الى النار على ما قيل ان
الكواكب اجرام نورانية نارية وان الشهب منفصلة من نارا الكواكب فصيح أن النور من
جنس النار وأن المراد بالظلمة الضلال وبالزاهر الهدى والهدى واحد والضلال متعد وقد ذهب
لتقدم الاعداد على الملائكة وقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله خلق
أى انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم الذين كفروا بربهم يعدلون بربهم الاوان

أي يسونم به في العبادة وعلى هذا فيعدلون من العدل وهو التسوية والبال متعلقة بـ يعدلون
 أو على قوله الحمد لله على معني أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه وأنعمه على العباد ثم الذين
 كفروا برهم يعدلون فيكفرون نعمته وعلى هذا فيعدلون من العدول والبال متعلقة بكفروا
 ومعنى ثم استبعاد عدوهم بعد وضوح آيات قدرته (هو الذي خلقكم من طين) أي ابتداء
 خلقكم منه فإنه المادة الأولى وإن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه أو خلق أباًكم فحذف
 المضاف قال السدي بعث الله جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها فقالت
 الأرض اني أعوذ بالله منك أن تنقص مني فرجع جبريل عليه السلام ولم يأخذ قال يارب عاذت
 بك فبعث ميكائيل عليه السلام فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت عليه السلام فعاذت بالله
 منه فقال أنا أعوذ بالله أن أخالف أمره فأخذ من وجه الأرض غلظ الحمراء والسوداء والبيضاء
 فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم بعثهم إلى العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم
 فقال الله تعالى الملك الموت رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم تر جها لجرم اجعل أرواح
 الخلق من هذا الطين يدل ورؤى عن أبي هريرة رضي الله عنه خلق الله تعالى آدم عليه السلام
 من تراب وجعله طيناً ثم تركه حتى كان جأسمه نواتم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالاً
 كالفتار ثم نفخ فيه من روحه (ثم قضى أجلاً) أي أجلا لكم عنوانه عند انتهائه (وأجل مسمى)
 أي مضروب (عنده) أي وهو أجل القيامة وقال الحسن الأول بين وقت الولادة إلى وقت
 الموت والثاني من وقت الموت إلى البعث فإن كان الرجل راتقياً وصولاً للرحم زيد له من أجل
 البعث في أجل العمر وإن كان فاجراً قاطعاً للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث
 وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وقيل الأول النوم والثاني
 الموت وقيل الأول لمن مضى والثاني لمن بقي ولم يأق (ثم أنتم) أي الكفار (تعترون)
 أي تتكبرون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على
 الاعادة أقدر ومعنى ثم استبعاداً أيضاً كما مر لأن يعتروا فيه بعد ما ثبت أنه محيهم ومحيثهم
 وباعتهم (وهو الله) الضمير لله والله خبره وقرأ قالون وأبو عمر والكسائي يسكون الهاء من
 وهو والباقون بالضم وقوله تعالى (في السموات وفي الأرض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه
 قيل هو مستحق العبادة فهم ما ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله أو هو
 الحروف بالالهيّة أو المتوحد بالالهيّة فهم ما وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله
 (يعلم سرهم) أي ما تسرون (وجهرهم) أي ما تجهرون به بينكم في السموات والأرض وقيل
 معناه وهو الله السموات والأرض كقوله تعالى وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله
 (ويعلم ما تكسبون) أي ما تعملون من خير أو شر فيثبت عليه أو يعاقب (فان قيل) الانفعال
 أما أنفعال القلوب وهي السموات بالسر وأما أنفعال الجوارح وهي السموات بالجهر والانفعال
 لا يخرج عن السر والجهر فقوله تعالى ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف الشيء على نفسه
 وهو غير جائز (أجيب) بأن المراد بالسر ما يخفى وبالجهر ما يظهر من أحوال الأنفس

وبالمكسب أعمال الجوارح فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أى
 مكتسبه فلا يحمل على نفس الكسب والالزم عطف النى على نفسه (وماتأنيهم) أى
 الكفار (من آية من آيات ربهم) من الاولى مزينة للاستغراق والناشئة للتبعية
 أى ما يظهر لكم دليل قط من الأدلة أو مجزئة من المعجزات أو آية من آيات القرآن
 (الآ كفا وعندها عرضين) أى تاركين لها وبها مكذبين (فقد سدوا بالحق لما جاءهم) أى
 بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات (فدوف باتيهم أنباء) أى عواقب
 (ما كانوا يستترون) بنزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة أو عند ظهور الاسلام
 وارتفاع أمره (ألم يروا) أى في أسفارهم الى الشام وغيرها (كم) خبرية بمعنى كثيرا (أهلكنا من
 قبلهم من قرن) أى أمة من الامم الماضية وعلى هذا القرن الجماعة من الناس وجمعه قرون
 وقيل القرن مدة من الزمان قيل انها عشرة أعوام وقيل عشرون وقيل ثلاثون وقيل أربعون
 وقيل خمسون وقيل ستون وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل تسعون وقيل مائة لما روى أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال (بعد الله بن بشر المازني تعيش قرنا فاعاش مائة سنة وقيل مائة
 وعشرون فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن (مكاهم في الارض) أى جعلنا لهم فيها
 مكانا بالقوة والسعة وقرناهم فيها (ألم نعلمكم لكم) أى ألم نجعل لكم من السعة والقوة فيه
 الثقات عن الغيبة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما عطينا عادا وثمودا وغيرهم من البسطة
 في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) هي المطر
 (عليهم مدرارا) أى متتابعا (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) أى تحت مساكنهم
 (فأهلكناهم بذنوبهم) أى بسبب ذنوبهم بسكذبيتهم الانبياء فلم يغن ذلك عنهم شيئا (وأنشأنا)
 أى أحد ثلثا من بعدهم قرنا آخرين (بدلائمهم) فان قيل (ما فائدة ذكر أنشأنا قرنا آخرين بعدهم
 (أجيب) بأنه ذكر للدلالة على انه تعالى لا تعاطفه أن يهلك قرنا ويجزب ببلادهم فانه قادر على
 أن ينشئ مكانهم آخرين يعمرهم ببلادهم فهو قادر على أن يفعل ذلك بكم * ونزل لما قال النضر بن
 الحرث وبعده الله بن أمية ونوفل بن خويلد يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله وبعده
 أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنت رسول الله (ولو نزلنا عليك كتابا) أى مكتوبا
 (في قرطاس) أى ورق كما اقترحوه (فأسوه بأيديهم) أبلغ من عاينوه لانه أننى للشك (لقال الذين
 كفروا ان) أى ما (هذا الاصح من) أى تغشوا وعنادا كما قالوا في انشقاق القمر (وقالوا لولا)
 أى هلا (أنزل عليه) أى محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انى كقول تعالى لولا نزل الله
 ملك فيكون معه نذيرا (ولو أنزلنا ملكا لجحث) عاينوه كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى الامر) أى
 لحق أدلاكم فان شئت الله تعالى جرت فين قبلهم أنهم اذا جاءهم مقررهم فلم يؤمنوا به يهلكهم
 (ثم لا ينظرون) أى لا يميلون لتوبة أو معذرة (ولو جعلناه) أى المنزل اليهم (ملكا لجلعناهم)
 أى المالك (رحلا) أى على صورته ليقدر كنوا من رؤيته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك
 في صورته وانما رآه كذلك الافراد من الانبياء لقوتهم القدسية وقوله تعالى (وللبسنا

عليهم ما يلبسون) جواب محذوف أي ولو أنزلناه وجعلناه رجلاً لبسنا أي خلطنا عليهم يجعلنا
أي رجلاً ما يخلطون على أنفسهم وعلى غيرهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم وإنما كان
تلبسنا لأنهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنما هو بشر مثلكم
ولو أروا الملك رجلاً للحقهم من اللبس مثل ما خلق الضعفاء منهم فيكون اللبس نعمة من الله
وعقوبة لهم على ما ~~يكن~~ كان منهم من الخلط في السؤال واللبس على الضعفاء وقوله تعالى
(ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه (خلقاً)
قال الربيع بن أنس قتل وقال عطاء بن قنصل وقال الضعفاء فاط (بالذين حضر رانهم) أي من
أولئك الرسل (ما كانوا يستهزئون) وهو العذاب فكذلك يحقق عن استهزأ بقل (قل لهم
سيروا في الأرض) أي أوقعوا السير لا اعتبار فيها ولا تقصروا بأعمالكم وعيكمكم (ثم انظروا
كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (المكذبين) الرسل من هلاكمهم بالعذاب فانكم إذا شاهدتم تلك
الآثار كل لكم الاعتبار بهم (قل لهم) لمن ما في السموات والأرض خلقاً ما كلوه ووسؤال
تلك (قل لله) أن يقول له لأجواب غيره لأنه المتعين للجواب بالاتفاق إذا لم يكن أن يذكر وغيره
(كتب) أي قضى (على نفسه الرحمة) تفضلاً منه واحساناً لرحمة نعم الدارين ومن ذلك الهداية
إلى معرفته والعلم بتوحيد الله بنبص الأدلة وإنزال الكتب والأحكام على الكفرة والعصاة
والمذنبين ولشأنه السلط عليهم المضار وجعل عيشهم من غير المذنبه كالترايب وبعض النفاذورات
التي تعيش فيها الحيوانات روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده فوق
عرشه أن رجعي غلبت غضبي وفي رواية أن الله تعالى ما نه رحمة واحدة بين
الجن والإنس والبهايم والحوام فيها يتعاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحوش على أولادها
وأمر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قدم عليه سبي
فاذا امرأته من السبي قد غلبت لديها أذ وجدت صبيها في السبي أخذته والصقته بطنها وأرضعته
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن
لا تطرحه فقلنا لا والله يا رسول الله فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى (ليجمعنكم)
استئناف واللام القسم أي والله ليجمعنكم (إلى يوم القيامة) أي في يوم القيامة وإلى جمع
في أو ليجمعنكم في القبر وسبعين إلى يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم وقيل بدل من الرحمة بدل
البعض فإن من رحمة بعنه أياكم وأنعامه عليكم (لأريب) أي لاشك (فيه) أي اليوم أو الجمع
وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) في موضع نصب على الذم أو رفع على الخبر أي وأنتم الذين
خسروا أنفسهم بضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية أو بتدأ أخبره (فهم لا يؤمنون)
(فان قبيل) الفاء تدل على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسارتهم مع أن الأمر على العكس
(أجيب) بأن إبطال العقل بإتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد وأغفال النظر أدى بهم
إلى الإصرار على الكفر والاستماع عن الإيمان وقوله تعالى (وله ما سكن) أي حل (في الليل
والنهار) عطف على الله أي له كل شيء من حيوان وغيره لأنه خالقهم ومالكهم وقيل له ما سكن

فبهما أو تحملا أو كتنى بأحد الضدين عن الآخر (وهو السمع) أى لكل ما يقال (العليم)
 أى بكل ما يفعل فلا يخفى عليه شئ سبحانه وتعالى «ونزل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إلى دين آياته (قل) لهم (أعبر الله اتخذ وليا) أى ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استعظام
 ومعناه الانكار أى لا اتخذ غير الله وليا (فاطر السموات والأرض) أى خالقهما ابتداء من غير
 سبق وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أعرايان يحتمسان
 في بئر فقال أحدهما إنى فطرتهما أى ابتدأتها (وهو يطم) أى يرزق (ولا يطم) أى ولا يرزق
 وصف سبحانه وتعالى ذاته بالغنى عن الخلق باحتياجهم إليه لأن من كان من صفته أن يطم
 الخلق لا احتياجهم إليه ولا يطم لاستغنائه عنهم وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا (قل انى أمرت
 أن أكون أول من أسلم) لله من هذه الأمة لأن النبي سابق أخته في الدين والدين وضع الهى
 سائق لذوى العقول السليمة بسبب اختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات (ولا تكون من
 المشركين) أى وقيل لى يا محمد لا تكون من المشركين أى فى عدادهم باتباعهم فى شئ من
 أغراضهم وهذا التأكيد لقطع أطعاهم عنه صلى الله عليه وسلم فى سؤالهم أن يكون على
 دين آياته وقوله تعالى (قل انى أخاف ان عصيت ربي) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) مبالغة
 أخرى فى قطع أطعاهم وتعرض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب وقوله تعالى (من يصرف
 عنه) العذاب (يومئذ) أى يوم القيامة قرأه أبو بكر وجزءه والكسائى يفتح الباء وكسر الراء
 على البناء للفاعل والضمير لله تعالى والمفعول محذوف وقرأه الباقون بضم الباء وفتح الراء
 على البناء للمفعول فالضمير للعذاب (فقد رجه) ربه تعالى أى أراد به الخير (وذلك) أى
 الصبر أو الرحمة (الفوز المبين) أى النجاة الظاهرة (وان يمسك الله بصرى) أى يلازم كرمض
 وفقر والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكره وغير ذلك مما هو فى معناه (فلا كاشف)
 أى لا رافع (له الأهو) لا غيره (وان يمسك بخير) أى بصحة وغنى والخير اسم جامع لكل ما ينال
 الانسان من لذة وفرح وسرور وغير ذلك (فهو على كل شئ قدير) من الخير والضر وهذه الآية
 وإن كانت خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فهى عامة لكل أحد والمعنى وان يمسك الله بصرى
 أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الأهو وان يمسك بخير أيها الانسان فهو على كل شئ
 قدير من رفع الضر وإبطال الخير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال أهدى للنبي
 صلى الله عليه وسلم بقله أهداه له كسرى فركبها جمل من شعر ثم أردفني خلقه فسارنى مليانم
 التفت الى فقال لي يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله قال أهلك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ
 الله يحفظك ما ما إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت
 على ان يتفعلوا بشئ لم يتفعلوا الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروا بشئ
 لم يضروا الا بشئ قد كتبه الله عليهم رفعت الاقلام وجفت الصحف وفى رواية واعلم أن الضر مع
 الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وإن يغلب العسر يسرا وفى رواية فقد مضى
 القول بما هو كائن فلو سمعنا الخلق ان يتفعلوا بجملة قضاه لأن الله لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن

يضر ولا يعلم يكتب الله عليك ما قدر واعليه (وهو القاهر) أي القادر الذي لا يعجز شيء
مستعليا (فرق عبادة) فهم مقهورون تحت قدرته وكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر
والغلبة (وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) يواظبهم كظواهرهم ويزل لما خالت خريش للنبي
صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فأرنا ما يشهد لك (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحجدون نبوتك
من قومك (أي تشي) بيني وبينكم (أكبر شهادة) تميز بحول عن المبتدأ (قل الله) أكبر
شهادة أن لم يقلوه لأجواب غيره ثم ابتدأ (شهادتي وبينكم) أي هو شهادتي وبينكم
ويحتمل أن يكون الله شهيدا للجواب لأنه تعالى إذا كان هو الشهيد كان أكبر شهادته
(وأوحى إلى هذا القرآن لا تذكركم) يا أهل مكة (به) أي القرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة وقوله تعالى (ومن بلغ) عطف على ضمير مخاطبين أي لا تذكركم يا أهل مكة ومن بلغه من
الانس والجن إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تم للموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وأنه لا يؤخذ بهم من لم يبلغه قال محمد بن كعب القرطبي من بلغه القرآن فكان حمار رأي
النبي صلى الله عليه وسلم وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى كسرى وقبصر وكل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
بلغوا عني ولو آية وحدوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من
النار وفي رواية تضرع الله عبد اسمع مقالتي خفظها وعاها وأذاها قرب مبلغ أوعى من سامع
وفي رواية قرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وقال مقاتل من بلغه
القرآن من الجن والانس فهو نذيره وقوله تعالى (أنشكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى)
استفهام إنكارى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا آلهة غيري أنكم
أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها
(قل) لهم (لأشهد) بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أبجد ذلك وأنكره (قل إنما هو له
واحد) لا شريك له وبذلك أشهد (واخبري عما تشركون) معهن من الأصنام وفي الآية دليل على
إثبات التوحيد ونفي الشريك لأن كلمة إنما تفيد الحصر فثبت بذلك إيجاب التوحيد والتبري
من كل معبود سوى الله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والإنجيل وهم علماء اليهود
والنصارى (يعرفونه) أي محمد صلى الله عليه وسلم بنعمته وصفته (كإيعافون أبناءهم) من بين
الصبيان روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال عمر رضي
الله تعالى عنه إن الله تعالى أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة هذه الآية فكيف
هذا فقال عبد الله بن سلام قد عرفته حين رأيته كما عرف ابني ولانا أشد معرفة بمحمد صلى الله
عليه وسلم من ابني فقال له عمر كيف ذلك فقال أشهد أنه ربه ولله حقا ولا أدري ما تصنع النساء
(الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتاب والمشركين (فهم لا يؤمنون) بل لما سبق لهم من
القضاء بالشقاء (ومن) أي لا أحد أعظم من اقترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة نبات الله

واتخذ الله ولدا (أو كذب بآياته) الآتي بها الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات (أنه) أي
 الشأن (لا يطلع الظالمون) أي لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل
 (و) أذكر (يوم نحشرهم جميعا) أي أهل الكتاب والمشركون وغيرهم ومعبوداتهم وهو يوم
 القيامة (ثم نقول) نوبخا (للذين أشركوا) أي عواشيأمن دوتنا الها وعبدوه من الاصنام
 أو عزيرا والمسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك (أين شركاؤكم) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء
 لله تعالى وأضافها إلى ضميرهم لتسميتهم لها بذلك وقوله تعالى (الذين كنتم تزعمون) معناه كنتم
 تزعمونهم شركاء وانما تشفع لكم عند الله فحذف المفعولان (ثم لم تكن فتنتهم) أي معذرتهم
 (الآن قالوا) أي قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) فيضمت على أنفواهم وتشهد جوارحهم
 عليهم بالشرك وقرأ جزء والكسافي يكن بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
 وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص فتنتهم بضم التاء والباقون بالنصب وقرأ جزء والكسافي
 ربنا نصب الباء على النداء أو المدح والباقون بالكسر قال الله تعالى (انظر) يا محمد
 (كيف كذبوا على أنفسهم) باعتذارهم الباطل وتبريرهم من الاصنام والشرك الذي
 كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم (وضل) أي
 غاب عنهم ما كانوا يفترون أي يكذبون وهو قولهم إن الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فيعلم ذلك
 ككفي ذلك اليوم (فان قيل) كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور
 وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته (أجيب) بأن المتكذب ينطق بما ينفعه وبما
 لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشة الا تراهم يقولون ربنا أخرجنا من هنا فعدنا فانا ظالمون
 وقد أيقنوا الخلود ولم يشكوا فيه وقالوا ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم (ومنهم
 من يستمع السيل) حين تلاوا القرآن وروى انه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
 وأبو جهل وأضراهم يستمعون القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والذي جعلها بينه وبين
 الكعبة ما أدري ما يقول الا أنه يحرك لسانه فيقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم
 عن القرون الماضية وكان النضر كثيرا الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو
 سفيان اني لا أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلالا تنقر بشي من هذا فأمر الله تعالى
 ومنهم من يستمع اليك (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية (أن) أي كراهة ان (يفقهوه)
 أي يفهموا القرآن (و) جعلنا (في آذانهم وقرا) أي صمما فلا يسمعون سماع قبول ووجه
 اسناد الفعل الى ذاته تعالى وهو قوله تعالى وجعلنا اللذلة على أنه أمر نابت فيهم لا يزول عنهم
 كأهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا ورق ومن
 يبنوا وينكح حجاب (وان يروا كل آية) أي معجزة من المعجزات الدالة على صدقك (لا يؤمنوا بها)
 لقرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) أي بلغ تكذيبهم الآيات
 الى أنهم جاؤك يجادلونك وينكرونك وحتى هي التي تقع بعدها الجدل لاعمالها والجلالة اذا
 وجوابها وهو (يقول الذين كفروا ان) أي ما (هذا الا ساطير) أي كاذب (الاولين) أي

أحاديثهم من الامم الماضية واخبارهم وأقاصيصهم وما سطر واجمعى كتبوا والاساطير جمع
 أسطورة بالضم قال البخاري عن ابن عباس وهي الترهات (وهم نهون) الناس (عنه) أي
 اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن (ويثأون) أي يتباعدون عنه فلا يؤمنون به قال
 محمد بن الحنفية والسدي والفضال تزات في كفار مكة وقال ابن عباس ومقاتل في أبي طالب
 كان ينهى الناس عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وينمهم وينأى عن الايمان به أي يبعد
 حتى روى انه اجتمع له رؤس المشركين وقالوا اخذنا بامن أحسن أصحابنا وجهها وادفع
 اليها محمدا فقال أبو طالب ما أنصفوني أدفع اليكم ولدي لتقتلوه وأرني ولدكم وروى انه صلى
 الله عليه وسلم دعاه الى الايمان فقال لولان تعيرني قريش لا قررت بهامعيتك ولكن أذب عنك
 ما حيت وروى انهم اجتمعوا الى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوا فقال

والله ان يصلوا اليك يجتمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
 فاصدع يا مارك ما عليك غضاضة * وابشر بذلك وقرمته عيونا
 ودعوني وزمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
 وعرضت دينا لا محالة انه * من خير أديان البرية دينا
 لولا الملامة أو حذار مسية * لوجدتني سمعا بذلك مدينا

(وان) أي ما (يهلكون) بالنأي عنه (الأنفسهم) لأن ضرره عليهم (وما يشعرون) أن ضرره
 لا يتعداهم الى غيرهم وقوله تعالى (ولو ترى) يا محمد (أذوقوا) أي عرضوا (على النار)
 جوابه محذوف أي لو تراهم حين يقفون على النار فيعرفون مقدار عذابها رأيت أمر اشيعا
 (فقالوا) أي الكفار (يا) التنبيه (ليتنازرو) أي الى الدنيا (ولا نكذب بايات ربنا ونكون من
 المؤمنين) تنمؤ أن يردوا الى الدنيا ولا يكذبوا بايات ربهم وقرأ حفص وحزرة بنصب الباء من
 يكذب على جواب التقى والباقون بالرفع على الاستئناف وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة بفتح
 الذون من نكون على جواب التقى والباقون بالضم على العطف وقوله تعالى (بل بدلهم) أي
 ظهر لهم (ما كانوا يخفون من قبل) للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التقى والمعنى أنهم
 ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح أعمالهم فتمنوا ذلك خيرا لاعتزامهم على انهم لو ردوا
 لا آمنوا كما قال تعالى (ولو ردوا) الى الدنيا أي لو فرض ذلك بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما
 نهوا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) في قولهم لو وردنا الى الدنيا لم نكذب بايات
 ربنا وكأمن المؤمنين (وقالوا ان) أي ما (هي الاحيائنا الدنيا وما نحن بجمعين) كما كانوا
 يقولون قبل معانية القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لم يقوم
 كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحيائنا وكفى به دليلا على كذبهم (ولو ترى) يا محمد
 (أذوقوا) أي عرضوا (على ربهم) لأريت أمر اعظيما (قال) لهم على لسان الملائكة (ويضا
 اليس هذا) البعث والحساب (بالحق) وقوله تعالى (قالوا بلى وربنا) اقرارهم وكذب اليمين
 لاخلاء الامر غاية الانحلاء (قال فذوقوا العذاب) أي الذي كنتم به توهدون (عما كنتم

تكفرون) اى بسبب كفركم ووجودكم البعث (قد خسرو الذين كذبوا باقائه الله) اى بالبعث
 واستمر تكذيبهم (حتى اذا جاءتهم الساعة) اى القيامة (بغتة) اى فجأة ومميت القيامة ساعة
 لانها تفجأ الناس بغتة فى ساعة لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى وقيل لسرعة الحساب فيها لان
 حساب الخلائق يوم القيامة يكون فى ساعة واحدة وأقل من ذلك (قالوا يا حسرتنا) اى يا ادمتنا
 والحسرة التلطف على الشئ القاتل وشدة التألم ونداءها بحجازى هذا أو أنك فاحضرى (على ما
 قزطنا) اى قصرنا (فيها) اى الحياة الدنيا حتى يعضيها وان لم يجز لها ذكر لكونها معلومة لانها
 موضع التفريط فى الاعمال الصالحة ويجوز أن يكون للساعة على معنى قصرنا فى شأنها
 والايان بها كما يقول قزط فى فلان ومنه قزط فى جنب الله وقوله تعالى (وهم يحملون
 أوزارهم) اى أثقالهم وأثامهم (على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الاثام وقال السدى
 وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة وأطيبه ريحاً فيقول هل تعرفنى
 فيقول لا فيقول أنا علمك الصالح فاركبتنى فقد طال ماركبتنى فى الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر
 المتقين الى الرحمن وفداً اى ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شئ صورة وأتنته ريحاً فيقول هل
 تعرفنى فيقول لا فيقول أنا علمك الخبيث طال ماركبتنى فى الدنيا واليوم أركبك فهو مضمرة فى قوله
 تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الأساء) اى ينس (ما يرون) اى ما يحملون حملهم
 ذلك وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) جواب لقولهم ان هى الاحياتنا الدنيا اى وما
 أعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقة وقيل معناه
 ان أمر الدنيا والعمل فيها لعب ولهو فأنما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة (وللدار
 الآخرة) اى الجنة واللام فيه لام القسم (خير) اى من الدنيا وأفضل لان الدنيا سريرة الزوال
 والانقطاع (للذين يتقون) اى الشرك وقيل للهو واللعب (أفلا يعقلون) اى ان الآخرة
 خير من الدنيا فيعملوا لها وقرأ ابن عامر ولداً يتخفيف الدال وجزا التام من الآخرة والباقون
 ولداً يرتشد الدال ورفع التام وقرأ نافع وابن عامر وحفص قتلون على الخطاب والباقون
 بالياء على الغيبة (قد) للتحقيق (نعلم انه) اى الشأن (ليحزنك الذى يقولون) من التكذيب وقرأ
 نافع يضم الياء وكسر الزاى والباقون يفتح الياء وضم الزاى (فانهم لا يكذبونك) اى يقولونهم
 ولكن يجحدون بألسنتهم وأنهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموصوم بالصدق (ولكن
 الظالمين) اى الله يجحدون) اى يكذبون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرّفوا أنه لا يكذب فى شئ ولكنهم كانوا يجحدون قال السدى
 التقي الاخنس بن شريق وأوجول بن هذام فقال الاخنس لاي جهل بأبنا الحكم أخبرنى عن
 محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيرى فقال أبو جهل لى والله ان محمداً
 لصادق ما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوقصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة
 فماذا يكون لسائر قرين فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن علي بن أبى طالب رضى الله تعالى
 عنه ان أباه لقال للنبي صلى الله عليه وسلم انما لا تركبك ولما كان كاذب الذى جئت به فأنزلت

ووضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم والباء لتضمن الجحود معنى
 التكذيب وقرأ نافع والكسائي بكذبونك بسكون الكاف وتخفيف الذا من أ كذبه
 اذا وجده كاذباً ونسبه للكذب والباء قون بفتح الكاف وتشديد الذا من التكذيب وهو أن
 ينسبه الى الكذب وقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم
 وهذا دليل على أن قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذبه مطلقاً وانما هو من قولك لغلامك
 ما أهانوك ولكنهم أهانوني فصبوا على ما كذبوا أي على تكذيبهم لهم (وأودوا) أي وصبروا
 على ايذاهم لهم (حتى اتاهم نصرنا) باهلاك من كذبهم فتأس بهم واصبر حتى يأتيك النصر
 باهلاك من كذبك وفي ذلك ايمان بعد النصر للصابرين (ولامبدل لكلمات الله) أي لمواعيد
 من قوله تعالى ولقد سبقت كلنا العبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي من
 قصصهم وما كابدوا من قومهم مما يسكن به قلبك قبل من مزيدة وقيل لتبعض وبديل لقوله
 تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك (وإن كان كبر) أي عظم وشق
 (عليك اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فإن استطعت أن تنبئ) أي تطلب بجهدك
 وغاية طاقتك (تفقا) أي منفذا (في الارض) تنفذ فيه الى ما سالت تقدر الى الانتهاء اليه
 (أو سأل في السماء) أي جهة العلو لترتقي فيه الى ما تقدر عليه (فتأتيهم بآية) أي مما اقترحوه
 عليك فافعل لتشاهد أنهم لم يزدادوا عند آياتك بها الاعراض كما أخبرناك الله تعالى
 شاء ضلال بعضهم والمقصود بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم وأنه لو قدر
 أن يتكافى النزول الى تحت الارض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل (ولو شاء الله)
 هدايتهم (لجمعهم على الهدى) أي لو فقههم له ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا واعتزلة أو لو شاء
 الله بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
 وجرى على هذا الزمخشري في كشفه والمعنى أن اسناد مشيئة الجمع الى الله تعالى ظاهر في أنه هو
 المهدي والمضل والمعتزلة لما قالوا انه بفعل العبد احتاجوا الى التأويل (فلا تكون من
 الجاهلين) أي لا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين
 الذين لا صبر لهم وانما ناه عن هذه الحالة وغلط عليه الخطاب تبعيد اله عن هذه الحالة (انما
 يستجيب) دعاء الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار كقوله تعالى وألقي السمع
 وهو شهيد وهم المؤمنون الذين فتح الله تعالى لهم أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون
 له ويتبعونه دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) أي الكفار لشبههم بهم في عدم
 السماع (ييعنهم الله) في الآخرة (ثم اليه يرجعون) أي يردون فيجازيهم بأعمالهم (وقالوا) أي
 رؤساء قريش (ولولا) أي هلا (نزل عليه آية) مما اقترحوا (من ربه) المحسن اليه كالناقة
 والعصا والمائدة وآية تضطرهم الى الايمان كنق الجبل أو آية ان يحدوها هلكوا (قل) لهم
 (إن الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان أو آية ان يحدوها هلكوا
 لا يجهز شئ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها

ولهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون
بفتح النون ونشد الزاي والمعنى واحد (وما من دابة في الأرض) أى تدب على وجهها
(ولا طائر يطير بجناحيه) في الهواء وهو بالذمابين السماء والأرض وهو المراد هنا وأما الهوى
بالقصر فهو الهوى النفس وليس مراداً وإنما قال بجناحيه مع أن الطيران لا يكون إلا بهما قطعاً لهاز
السرعة ونحوها كما تقول كتبت يدي ونظرت بعيني (الأمم أمثالكم) أى محفوظة أحوالها
مقدرة أرواقها وأجالها قال العلماء جميع ما خلق الله تعالى لا يخرج عن هاتين الحالتين حتى ما
في الجحول لا سيرة في الماء أمان يكون دينياً وطيراناً مجازاً وإنما خص ما في الأرض بالذكر
ما في السماء وإن كان ما في السماء مخلوقاً له لأن الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد
واختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقال مجاهد أصناف مصنفه تعرف بأسمائها مثل بنى آدم
يعرفون بأسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة
وقال ابن قتيبة أعم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوفي الممالك وقال عطاء أمثالكم في
التوحيد والمعرفة وقيل غير ذلك والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة
تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية (ما قرطنا) أى ما تركنا أو ما أغفلنا
(في الكتاب) أى اللوح المحفوظ (من شيء) فلم نكتبه فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من
الخليل والدقيق ولم يمل فيه أمر حيوان وقيل المراد بالكتاب القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج
إليه من أمر الدين مقصلاً ومجماً ومن مزيدة وثى في موضع المصدر لا المفعول به فإن قرط
لا يتعدى بنفسه وقد عدى بنى إلى الكتاب (ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس والفضائل
حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة الدواب والطير وكل شيء
فيأخذ للجماع من القرناء ثم يقول كوني تراباً فينذني الكافر ويقول يا ليتني كنت تراباً
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد
للسااة للجماع من القرناء (والذين كذبوا بآياتنا) أى القرآن (صم) عن سماعها سماع قبول
(وبكم) عن النطق بالحق (في الظلمات) أى في ضلالات الكفر (من يشأ الله) أى الله (يضله
ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) هو دين الإسلام وهو دليل واضح لاهل السنة
على المعتزلة في قولهم إنه ما من العبد كما مر (قل) يا محمد لاهل مكة وقوله تعالى (أرايتكم)
استفهام تعجب والكاف حرف خطاب أى أخبروني (أن أناكم عذاب الله) أى في الدنيا كما أنى
من قبلكم من العرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أمتكم
الساعة) أى القيامة المشتملة على العذاب (أغير الله دعون) في كشف العذاب عنكم
(أن كنتم صادقين) أن الأصنام آلهة وجواب الاستفهام محذوف أى فادعوه وهو تنكبتم لهم
(بإباه تدعون) أى تخصونه بالدعاء كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في موضع كما في قوله تعالى وإذا
مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعاً الآية (فبكشف ما تدعون إليه) أى ما تدعون
إلى كشفه (إن شاء) كشفه في الدنيا فنفض أعلامكم كما هو عادته معكم في وقت شدائدكم ولكنه

لا يشاء كشفه في الآخرة لانه لا يريد ان يقول لديه وان كان له ان يفعل ما يشاء (وتسبون) اي
 تتركون في تلك الاوقات دائما (ما تنسركون) معه من الاصنام فلا تدعونها عليكم انما الانصر
 ولا تنفع (ولقد ارسلنا) رسلا (الى امم من قبلك) أي قبلك ومن مزيدة فكذبوهم
 (فاخذناهم بالبايساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي الامراض والابجاع وهم باصفتنا نأيت
 لا مذكر لهم (العلمهم ينصرعون) أي يتدللون ويتوبون عن ذنوبهم فيؤمنون (فلولا) أي فهلا
 (اذ جاءهم بأسنا) أي عذابنا (نصرعوا) أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (ولكن قست
 قلوبهم) فلم نلن للايمان (وزين لهم الشيطان) أي بما أدخل عليهم من باب الشهوات (ما كانوا
 يعقلون) من المعاصي فأصروا عليها (فلما نسوا) أي تركوا (ما ذكروا) أي وعظوا واثقوا
 (به) وانما كان القسيان بمعنى التلذذ التارك للشيء معرضا عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي
 (ففتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي من الخيرات والارزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم فنقلناهم
 من الشدة الى الرخاء استدرجالهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف (حقا اذا
 فرحوا بما آوتوا) أي فرح بطار (أخذناهم) بالعذاب (بغثة) أي فجأة (فاخذناهم مبلسون) أي
 متحسرون آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم بأن استوفوا
 (والحمد لله رب العالمين) أي على نصر الرسل واهلاك الكافرين والعصاة فان اهلاكهم من حيث
 انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقابهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمدهم عليها (قل) أي
 لاهل مكة (أرايتم) أي أخبروني (ان أخذ الله سمعكم) أي أصمكم (وأبصاركم) أي أعماكم
 (ونخم) أي طبع (على قلوبكم) أي بأن يغطي عليها ما يزل به عقابكم وفهمكم فلا تعرفون شيئا
 (من أمر الله) أي كيف تصرف) أي نين لهم الآيات أي العلامات الدالة على التوحيد
 ومعنى الفعل أو بما تذهب هذه المذكورات ويجوز أن يعود الى السمع الذي ذكره أو لا ويندرج
 غيره تحته كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه قالها راجعة الى الله تعالى ورضاء رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يندرج في رضا الله تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل
 فيه غيره أي انظر يا محمد (كيف تصرف) أي نين لهم الآيات أي العلامات الدالة على التوحيد
 والنمو ونكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة
 بالتبسيه والتذكير بأحوال المنتقمين (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عنهم فلا يؤمنون (قل)
 لهم (أرايتم) أي أخبروني (ان أنا كم عذاب الله بغثة) أي فجأة (أو جهرة) أي معاينة ترو
 عند نزوله وقال ابن عباس والحسن بيلادها را (هل يهلك) أي ما يهلك به هلاك سحق وتعذيب
 (الا القوم الظالمون) أي المنتمون لكون لا أنهم ظلموا أنفسهم بالشرك (وما نرسل المرسلين
 الا مبشرين) من آمن بالجنة (ومذنبين) من كفر بالنار أي ليس في ارضنا لهم أن يأوا الناس
 بما يقتربون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والنذارة (فمن آمن) أي بهم (وأصلح) أي
 عمله (فلا خوف عليهم) أي من العذاب (ولا هم يحزنون) في الآخرة بفوات الثواب (والذين
 كذبوا بآياتنا هم العذاب) أي يصيبهم (بما كانوا يفتشون) أي بسبب خروجهم عن

الطاعة (قل) لهم (لا أقول لكم عندى خزانة الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فأمره الله
 تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونبيرا ولا أقول لكم عندى خزانة الله جميع خزانة وهى اسم
 للمكان الذى يحزن فيه الشئ وخزن الشئ اسرازه بحيث لاتناله الايدى خزانة رزقه أو مقدوره
 فاعطىكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله
 فاطلب منه أن يوسع علينا ويغنى فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيدى (ولا) أقول لكم انى (أعلم
 الغيب) أى فأخبركم بما مضى وما هوآت وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بما لنا ومضانا فى المستقبل
 حتى نستغنى لتحصيل المصالح ودفع المضار فأجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فأخبركم بذلك (ولا أقول
 لكم انى ملك) وذلك أنهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوج
 النساء فأجابهم بذلك لان الملك لا يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدونه أى
 لا أقول لكم شيئا من ذلك فتسكرون ويتجددون (فان قيل) قد يستدل به ذاعلى أن الملائكة
 أفضل من الانبياء لان معنى الكلام لا دعى منزلة أقوى من منزلى ولولا أن الملائكة أفضل لم
 يصح ذلك (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تواضعا لله تعالى واعترافا بالعبودية
 حتى لا يعتقد فيه مشىل اعتقاد النصارى فى المسيح وبأن المراد بما قاله نفى قدرته عن أفعال
 لا يتقوى عليها الا الملائكة وذلك لا يدل على أنهم أفضل من الانبياء (ان أتبع الاما يوحى الى)
 تبرا صلى الله عليه وسلم من دعوى الألوهية والمملكة وادعى النبوة مع الرسالة التى هى أعلى
 كمالات البشرية الاستبعادهم دعواهم وجرهم على فساد مدعاه وظاهر هذا لا يقبل على أنه
 صلى الله عليه وسلم ما كان يحتج به نفي عن الاحكام بل جميع أو أحواله ونواحيه انما كانت
 بوحى ولكن المرجح أنه يحتج به (قل) لهم (هل يستوى الاعمى والبصير) أى هل يكونون سوا من
 ضمير مزينة فان قالوا نعم كبروا الحس وإن قالوا لا قيل فى تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير
 ومن أعرض فهو الاعمى وقيل المراد بالاول الكافر وبالثنى المؤمن وقيل الضال والمهتدى
 وقيل الجاهل والعالم (فلا تفرحوا) فى أنهم ما لا يستويان فتؤمنوا (وأنذر) أى خوف
 اذا انذار اعلام مع تخويف (به) أى القرآن وقوله تعالى (الذين يخافون أن يحشروا الى
 ربهم) اما قوم داخلون فى الاسلام ومقررون بالبعث الا أنهم مفرطون فى العمل واما أهل
 الكتاب لانهم مقررون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون اذا سمعوا
 بهديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم عن يرحى أن يصح فيهم الانذار دون المتدين منهم
 وقوله تعالى (ليس لهم من دونه) أى غير الله تعالى (ولى) أى ينصرهم (ولاشفيع) أى شافع
 لهم حال من ضمير ينصرفون يعنى يضافون أن يحشروا وغير منصورين ولا مشغوعا بهم ولا بد
 من هذه الحلال لان كلامهم محشور فان الخوف هو الحشر على هذه الحالة (فان قيل) اذا فسر
 ما ذكر بالموثنيين كان مشكلا لانه قد ثبت بصح النقل شفاعتة فيما صلى الله عليه وسلم للمذنبين
 من أمتهم وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض (أجيب) بأن الشفاعة
 لا تكون الا بالذن الله تعالى كما قال منذ الذى يشفع عنده الا بانه واذا كانت الشفاعة لا تكون

الاباذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى يؤذن لهم بالشـ فاعية فاذا اذن فيها
 كان للمؤمنين ولي وشفيع (عليهم يتقون) الله باقلا عنهم عما هم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بعد ما امر الله تعالى بنبيه عليه الصلاة والسلام بانذار غير
 المتقين لينتقوا امره باكرام المتقين وتقريرهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روى أن رؤساءهم قالوا
 للنبي صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبيد يعنون الفقراء المسلمين وهم عمار وصهيب
 وخباب وسلمان واضرابهم وكانت عليهم حجاب من صوف جلسنا اليك وحادثنا فقال عليه
 الصلاة والسلام ما نابطار المؤمن فقالوا فاقهم عنا اذا اجئنا فاذا اقمنا فاقعدهم معك ان شئت
 قال نعم طمعا في ايمانهم وروى أن عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى تنظر الى ماذا يصيرون
 قالوا فاكذب بذلك كذابا فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه فنزلت فرعى بالصحيفة واعتذر
 عمر رضى الله تعالى عنه من مقاله قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بقدمنا ونود منهنه حتى عس ركبتنا ركبتة فكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزل واصبر
 نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى
 أمرنى ان أصبر نفسى مع قوم من امتى معكم المحبا ومعكم الممات وقال الكلبي قالوا له
 اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا فعل قالوا فاجعل واحدا واقبل علينا ولهم ظهر ك فأنزل الله
 تعالى هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم معبد لبايعنا محمد فانزل الله تعالى
 هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى
 عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وذلك أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال ناس من الاشراف اذا صلينا فآخر هؤلاء فليصلوا خلفنا فنزلت هذه الآية وقوله تعالى
 (يريدون وجهه) حال من يدعون أى يدعون ربهم محضين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيهها
 على انه ملاك الامر (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) أى ليس
 عليك حساب فى اختيار رباطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير
 مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يمتد اهم اليك كما أن حسابك
 لا يمتد اليك اليهم كقوله تعالى ولا تزروا زرة وزرا أخرى (فان قيل) هلا اكتفى بقوله ما عليك من
 حسابهم من شئ عن وما من حسابك عليهم من شئ (أجيب) بأن الجملتين جعلتا منزلة جملة واحدة
 وقصد بهما مودى واحد وهو المعنى فى قوله تعالى ولا تزروا زرة وزرا أخرى ولا يفيد هذا المعنى
 الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تتواخذ أنت ولاهم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين
 والمعنى لا يتواخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهلك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا
 فيه وقوله تعالى (فقطردهم) أى قبعدهم جواب النفي وقوله تعالى (فتكدون من الظالمين)
 جواب النهى وهو ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة وراحتهم الطاهون فى عصمة الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه
 لاجل أشراف قريش عاتبه الله تعالى به على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك قدح فى العصمة وقوله

تعالى فطردهم فتكون من المظالمين (وأجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم به لاجل
استخفاف بهم وإنما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهم ولا الشراف في ادخالهم في الاسلام
فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم فاعله الله تعالى أن تقرب
هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فطردهم منه وأدناهم والظلم في اللغة وضع الشيء في غير محله
أى فلا هم بطردهم عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الأفضل والاولى لامن باب
ترك الواجبات (وكذلك قلنا) أى ابتلينا (بعضهم ببعض) أى الشريف بالوضيع والغنى
بالفقير بأن قدمناه بالسبق للايمان (ليقولوا) أى الشرفاء والاعنياء (أهؤلاء) الفقراء (من الله
عليهم من بيننا) بالهداية أى لو كان ما هم عليه هدى ماسبقونا اليه ونحن الاكابر والرؤساء وهم
المساكين والضعفاء قال الله تعالى (أليس الله باعلم بالشاكرين) أى بمن يقع منهم الايمان
والشكر فيوقفه وعن لا يقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) وقوله تعالى (قل)
لهم (سلام عليكم) أما أن يكون أمرا يتبلغ سلام الله تعالى اليهم وأما أن يكون أمرا بأن
يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم (كتب) أى قضى (ربكم على نفسه الرحمة) روى
أنها نزلت في الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم فوصفهم الله تعالى بالايان
بالقرآن واتباع الحق بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام
الله تعالى اليهم ويشهرهم بسعة رحمة وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بأنهم الجاهلون
لفضلي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطردهم ويعز ولا يذل ويشمر من الله
تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقال عطاء نزلت في الخلفاء الاربع وجماعة من
الصحابه وقيل الآي على اطلاقتها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من
مقاتله التي تقدمت وقال ما أردت الا الخير فنزلت وقيل ان قوماجاؤا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا انا صناديدو باعظا ما نرى برء عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوءا) أى
سوء كان ملته بسا (بجهالة) أى عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما انه فاعل فعل الجهلة لأن
من عمل ما يؤدى الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو طمان فهو من أهل السسفة والجهل
لأن من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تكن جاهلا

والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى
يعلم حاله وكيفية وقيل انها نزلت في عروضى الله تعالى عنه حين أشار باجابه الكفرة الى مأساؤه
ولم يعلم انها مفسدة وقرانافع وابن عامر وعاصم انه بفتح الهمزة على انه بدل من الرحمة والباقون
بالكسر على انه ضمير الشأن (ثم تاب) أى رجع (من بعده) أى من بعد ارتكابه ذلك السوء
(وأصل) عمله (فانه) أى الله (غفور) له (رحيم) به وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزة على تقدير أن
الغفورة والباقون بالكسر (وكذلك) أى ومثل ذلك التفصيل الواضح وهو تفصيل أحوال
الطوائف الاربع الاولى المطبوع على قلوبهم وهم من فى آية والذين كذبوا بآياتنا والثانية

المرجو اسلامهم وهم من في آية وأندربه الذين يحافون أن يحشروا الى ربهم والسائلة
 المطيعون وهم من في آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والرابعة الداخلون
 في الاسلام ~~لكنهم~~ لا يحفظون حدوده وهم من في آية واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
 (نفصل الآيات) أي نين آيات القرآن في صفه المطيعين والمجرمين المعسرين منهم والأتاوين
 (ولتستبين سبيل) أي طريق (المجرمين) قرأ أبو بكر وشعبة وحزرة والكسائي بالياء بعد اللام على
 التذكير أي وليظهر وينضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار والباقون بالتاء
 على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وليظهر لك الحق بالحمد وتبين لك سبيلهم فتعامل
 كلامهم بما يحق له وقرأ نافع سبيل بنصب اللام والباقون بالرفع (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين
 (التي نهيت أن عبدوا الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) وهي الاصنام التي يعبدونها
 أو ما تدعونها آلهة أي تسبونها لان الجادات أخس من ان تدعى وقوله تعالى (قل لا أتبع
 أهواءكم) تأكيد لقطع أطعاهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى (قد
 ضللت اذا) أي ان اتبع أهواءكم فأنال (وما آمن المهندين) أي وما آمن المهديين في شئ
 أي لانكم كذلك (قل اني على بينة) أي بيان (من ربي) أي معرفة وانه لا معبود سواه (و) قد
 (كذبت به) أي برى حيث أشركتم به غيره (ما عذنى ما تستعجلون به) أي العذاب الذي
 استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان) أي ما (الحكم) في ذلك وغيره
 (الآلهة) فهو فصل بين المخلفين ويقضى بانزال العذاب متى شاء (بقص الحق) قرأ نافع وابن
 كثير وعاصم بضم القاف وصاد مهمل مشددة مع الرفع ومعناه يقول الخولان كل ما أخبر به فهو
 حق والباقون بسكون القاف وضاد مجمة مخففة مع الكسر أي انه تعالى يقضى القضاء الحق
 (وهو خير الفاصلين) أي الحاكمين (قل) لهم (لو ان عذنى) أي في قدرتي وممكنتي
 (ما تستعجلون به) أي من العذاب (لقضى الامر بيني وبينكم) أي لاتفصل ما بيني وبينكم بأن
 أهللكم عاجلاً بما تستعجلون به من العذاب غضبا لى ولكنه عند الله تعالى (والله أعلم
 بالظالمين) أي ما تستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقون فيه (وعنده) سبحانه وتعالى
 (مفتاح الغيب) أي خزائنه جمع مفتاح الميم وهو الخزن أو ما يتوصل به الى المغيبات مستعار
 من المفاتيح الذي هو جمع مفتاح بالكسر وهو المفتاح (لا يعلمها الا هو) وهي الخمسة التي في قوله ان
 الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخارى فيعلم أوقاتها وما فى تعجيلها وتأخيرها من الحكم
 فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلق به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل
 وقوعها (ويعلم ما) يحدث (فى البر والبحر) قدم البر لان الانسان أكثر ملاساة له بما فيه من
 القرى والمدن والمفاوز والجلال والحسوان والنبات والمعادن وغير ذلك وآخر المعبر لان احاطة
 العقل بأحوال كل وقال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار التي على الانهار
 وقوله تعالى (وما نسقطن ورقه) أي ورقه من يد (لا يعلمها) مبالغة في احاطة علمه تعالى
 بالجزئيات وقوله تعالى (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقه

واختلف في الحبة فقبل هي من هذا الحب المعروف تكون في بطن الارض قبل ان تنبت وقبل
هي الحبة التي تنبت في العذرة التي في أسفل الارض واختلف في معنى الرطب واليابس فقال
ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقبل المراد بالرطب
الحى وباليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شئ لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة
(فان قيل) جميع هذه الاشياء داخله تحت قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو فلم افرد
هذه الاشياء بالذكر (أجيب) بأنه تعالى ذكرها أولا بحمل ثم فصل بعضها من ذلك الاجمال ليدل
به على غيرها وقوله تعالى (الافى كانه مبین) فيه قولان أحدهما انه علم الله الذى لا يغير ولا يدل
والثاني انه اللوح المحفوظ لان الله تعالى كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات
والارض فهو على الاول بدل من الاستثناء الاول بدل الكل وعلى الثاني بدل الاشتمال (وهو
الذى يتوفاكم بالليل) أى يقبض أرواحكم عند النوم (ويعلم ما جرحتم) أى كسبتم (بالنهار ثم
يعنثكم) أى يوقفكم برزاً وأرواحكم (فيه) أى النهار (فان قيل) لم خص الليل بالنوم والنهار
بالكسب مع ان ذلك يقع في غير هذا (أجيب) بأن ذلك جرى على الغالب (ليقتضى أجل مسمى)
أى ليلبلغ المستيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت والبعث (ثم ينشكم
بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده) لان من قهر شئاً وقلبه
فهو مستعل عليه اما قهره للمعدوم فبالتمكن والابجاد واما قهره للموجود فبالافتناء
والافساد ينقل الممكن من العدم الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم أخرى ويقهر
النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى غير ذلك من ضروب الكائنات
وصنوف الممكّنات (ويرسل عليكم) من ملائكته (حفظة) أى تحفظ أعمالكم وهم الكرام
الكاثرون وعن أبي حاتم السخني في أنه كان يكتب عن الاصمعي كل شئ نلفظ به من فوائد العلم
حتى قال فيه أنت شبيهة الحفظة ~~تكتب~~ لفظ النقطة فقال أبو حاتم وهذا أينما يكتب
(فان قيل) الله تعالى غنى عن كتابة الملائكة فما فائدة (أجيب) بأن فيم الطفال للعباد لانهم
إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها
في صحائف تعرض على رؤس الاسهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزر لهم عن القبيح وأبعد
عن السوء (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى ملك الموت وأعوانه (وهم لا يقرطون)
أى لا يعصرون فيما يؤمرون وقيل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء في الاخبار
أن الله تعالى جعل الدنيا بين يدي الموت كالماندة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فإذا كثرت
عليه الارواح يدعوها فتستغيب له (فان قيل) قال الله تعالى في آية أخرى الله يتوفى الانفس
حين موتها وفي أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع
(أجيب) بأن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله تعالى ملك
الموت أن يقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من
جسده فاذا وصلت الى الحلقة وتولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الآيات وقال

مجاهد ما من أهل بيت شعر ولا مدرا لا وملك الموت يطوف بهم كل يوم مرتين وقرأ سورة بعد
 فاه وقتبه بألف عمالة على التذكير والباقون بالناء على التأنيث وسكن السين من رسلنا أبو عمرو
 ورفعهما الباقيون (ثم ردوا) أي الخلق (إلى الله) أي إلى حكمه وحجائه (مولاهم) أي سيدهم
 ومدبر أمورهم كلها (الحق) أي الثابت الولاية وكل ولاية غير ولايته تعالى عدم (الاله الحسك)
 أي القضاء النافذ فيهم فلا يحكم عليه (وهو أسرع الحاسين) يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف
 نهار من أيام الدنيا الحديث بذلك لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه
 لا يشغله حساب بعضهم عن بعض (قل) يا محمد لا هل مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)
 أي من الخسف في البر والغرق في البحر أو من شدة أذى الشدة لشاركتهم في
 الهول وباطال الابصار ف قيل لليوم الشديد يوم مظم وغيره يوم ذكوا كب وقيل جله على
 الحقيقة أولى وظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف
 الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة
 السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من
 الوقوع في المهالك والمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع
 الانسان فيها الا إلى الله تعالى لأنه هو القادر على كشف الكروب وإزالة الشدائد وهو المراد من
 قوله (تدعونه تضرعا) أي علانية (وخفية) أي سرا أو قوله تعالى (لئن) اللام لام القسم
 على ارادة القول أي بقولون والله لئن (أنجيتنا من هذه) أي الظلمات والشدائد (لنكونن من
 الشاكرين) لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها لمن أنعم بها أي
 فنكون من المؤمنين وقرأعاصم وحزوة الكسائي أنجنا بحذف التاء وألف بعد الجيم بدل الماء
 لبوا في قوله تعالى تدعونه وأما الهاجزة والكسائي والباقيون بالناء بعد الماء (قل الله ينجيكم
 منها ومن كل كرب) أي غم سوى ذلك (ثم أنتم تشركون) أي تعودون إلى شركه الأصنام معه التي
 لا تضر ولا تنفع ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تعبدون تنبيها على ان من
 أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبد (قل) لهم (هو القادر على أن يعث) في كل وقت يريد
 (عليكم) في كل حالة (عذابا من فوقكم) بإرسال الصيحة والحجارة والريح والطوفان كإفعل يقوم
 نوح وعاد وغود وقوم لوط وأصحاب القبل (أو من تحت أرجلكم) بالفرق أو الخسف كإفعل
 بفرعون وقارون وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة أو من تحت
 أرجلكم العبيد السوء وقال الفخائل من فوقكم أي من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي
 من أسفل منكم (أو يلبسكم) أي يخلطكم (شيعا) أي فرقا وينش فكم الأحوال المختلفة بقتل
 بعضهم بعضا روى لما رأت هذه الآية قل هو القادر على أن يعث عليكم عذابا من فوقكم قال
 صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك ومن تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا (ويذيق
 بعضكم بأمن بعض) أي بالقتال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو يسر وفي رواية
 أنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي طويلا أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وأسلمته أن لا يهلك

أتمنى بالسنيين فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعنيها وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم
سأل الله تعالى ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعهُ واحدة سأل أن لا يسلم على أمته عدو ومن غيرهم يظهر
عليهم فأعطاه ذلك وسأل أن لا يهلكهم بالسنيين فأعطاه ذلك وسأل أن لا يجعل بأس بعضهم على
بعض فتعنه ذلك (انظر) يا محمد (كيف نصرف) أي نين لهم (الآيات) الدالة على قدرتنا
(لعلهم يفقهون) أي يعلمون أن ما هم عليه باطل فيرجعوا عنه (وكذب به) أي القرآن أو
العذاب (قولك) أي الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمر الله ويسروا بسبائك فإن القبيلة
إذا ساد أحدهم عزت به فإن عزه عزها وشرفه شرفها ولا سيما إذا كان من بيت الشرف ومعدن
السيادة وإذا سفل أحدها اهتت به غاية الاهتمام وسرت عمو به مهما أمكنها فإن عاره لاحق
لها فقهون عظيم التوبيخ لهم ودقيق التقريع لهم وزاد ذلك بقوله (وهو) أي والحال أنه (الحق)
أي الثابت الذي لا يضره التكذيب به ولا يمكن زواله (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) أي حفظ
وكل إلى أموركم فأجازيكم أو أمنعكم من التكذيب إنما أنا نذير والله الحفيظ (لكل نبي) أي
خبر أخبركم به من هذه الأخبار (مستقر) أي وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وسوف
تعلمون) صحة ذلك عند وقوعه أما الدنيا وأما الآخرة وفي ذلك تهديد لهم (وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا) أي القرآن بالاستهزاء والتكذيب (فاعرض عنهم) أي فاطرهم ولا
تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يكون خوضهم في غير الآيات والاستهزاء بها
وذكر الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون
أردع وألغيه أي وإذا رأيت أيها الإنسان (وإنما فيه ادغمان) أن الشرطية في ما المزيادة
(فيسبلك الشيطان) أي فتعدت معهم ثم نذرت (فلا تقعد بعد الذكري) أي التذكير لهذا النبي
(مع القوم الظالمين) أظهر موضع الضمير فقه ما ودلالة على الوصف الذي هو سبب الخوض
وروى أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم لكما استهزوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس بالسجدة ونطوف
فبزل (وما على الذين يتقون) الله (من حسابهم) أي الخائفين (من شيء) أي شيء مما يحاسبون
عليه إذا جالسوهم في مزيل لنا كبداً (ولكن) عليهم (ذكرى) أي تذكرة لهم ووعظ وتنبؤهم من
الخوض وغيره من القبائح ويظهر وكرهتها وقال سعيد بن جبير ومقاتل هذه الآية منسوخة
بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله
الآية وذهب الجهور إلى أنها محكمة لأنسخ فيها لأنها أخبر والخبر لا يدخله النسخ ولأنه إنما أباح
لهم القعود معهم بشرط التذكرة والموعظة (لعلهم يتقون) الخوض في الآيات (وإذا رأيت
اتخذوا دينهم) أي الذي كافوه (لعبا ولهاوا) باستهزائهم به (وغرتم الحياة الدنيا) أي خدعتم
وغلّب جماعاً على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق أي فاطرهم ولا تنال بسكذبتهم واستهزائهم
وهذا يقتضي الاعراض عنهم وهو قبل الأمر بالقتال ثم نسخ ذلك الأعراض بآية السيف
(وذكر) أي وعظ (به) أي القرآن الناس (أن) أي كراهة (أن) (تسل نفس) أي تسلم إلى الهلاك
(بما كسبت) أي بسبب ما عملت وأصل الإبدال والبسل المنع ومنه أمد باسل لأن فريسته

قوله منسوخة بالآية
الح: كذا في النسخ
ولينظر ٥١

لا تغفل منه والبأس الشجاع لا مضاعفه من قرنه وهذا بسبب عليك أي حرام ليس لها من دون
 الله أي غيره (ولي أي ناصر ولا شفيع) يمنع عنها العذاب (وأن تعدل) أي تلك النفس لاجل
 التوصل الى الفكاك (كل عدل) أي وان تفسد كل فداء والعدل القدي لاخا تعادل المفدى
 (لا يؤخذ منها) ما تغدي به (أولئك) أي الذين هموا هذه الاعمال البعيدة عن الخير (الذين
 أسلوا) أي سلوا الى العذاب (بما كسبوا) أي بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائفة
 (لهم شراب من حميم) أي ماء هو في غاية الحرارة (و) لهم (عذاب أليم) أي مؤلم (بما) أي بسبب
 ما كانوا يكفرون أي هم بين ما يغلي يتجر جرح في بطونهم وناز شعل في أبدانهم بسبب كفرهم
 (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائهم (أندعو) أي نعبد (من دون الله)
 أي غيره (ما لا يتقنا) أي بعبادته (ولا يضرنا) أي بتركها وهم الاصنام (وزد على أعقابنا)
 أي نرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) تعالى الى التوحيد ودين الاسلام (كاذبي استهوى)
 أي أضلهم (الشياطين في الارض) حالة كونه (حيران) نائها ضالا ليمتد لوجه ولا يدري
 كيف يسلك وقرأ حمزة بعد الواو في استهوى بألف محالة على التذكير والباقون بالناء على
 التأنيث ورقق ورش را حيران بخلاف عنه (له) أي المستهوى (أحباب) أي رغبة (يدعونه
 الى الهدى) أي الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر يقولون له (اثننا)
 فلا يجيبهم فيه لك والاستغهام للانكار وجهه التشبيه للعالم من ضمير نزل وهذا مثل ضربه الله
 تعالى لمن يدعو الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ومن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذي
 يضر وينفع يقول مثلهم كما مثل رجل في رفقته ضل به الغيلان والشياطين عن الطريق
 المستقيم فجعل أحبابه من أهل رفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل
 الغيلان يدعونه اليهم فبق حيران لا يدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب
 أصحابه اهتدى وسلم (قل) لهم (إن هدى الله) الذي هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه
 ضلال (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) أي بأن نخلص العبادة له لانه المستحق للعبادة لا غيره
 وقوله تعالى (وأن أقيموا الصلاة واتقوا) عطف على لنسلم أي للاسلام ولا إقامة الصلاة لأن
 فيه ما يقرب الى الله وروى ابن عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه الى عبادة الاوثان فنزلت (فان
 قيل) اذا كان هذا واردا في شأن أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكيف قبل الرسول صلى الله
 عليه وسلم قل أندعو (أجيب) بان ذلك اظهار للاتحاد الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين
 المؤمنين خصوصاً الصديق رضي الله تعالى عنه (وهو الذي اليه) الى أي غيره بعد بعثكم من
 الموت (فتمشرون) يوم القيامة فيميز بكم بأعمالكم (وهو الذي خلق السموات والارض)
 على عظمهما (بالحق) أي بسبب إقامة الحق وقبل خلقهما بكلامه الحق الذي هو قوله
 تعالى كن وهو دل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يتخلق بمخلوق بمخلوق (و) اذكر
 (يوم يقول) الله للخلق (كن فيكون) أي فهو يكون وهو يوم القيامة يقول بمخلوق قوما
 أحياء (قوله) تعالى (الحق) أي الصدق الواقع لا محالة (وله الملك يوم ينفع في الصور) أي

نة الثانية من اسرافيل عليه الصلاة والسلام وانما أخبر سبحانه وتعالى عن ما حكمه يومئذ
 كان الملك له سبحانه وتعالى في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ فان كان
 الملك من الجبابرة والقراعة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم فاعتزوا أن
 الله الواحد القهار وأنه لا منازع له تعالى فيه وعلموا أن الذي كانوا يدعونه من الملك في
 ما غرو وباطل * (تنبيه) * اختلفت العلماء في الصور المذكورة في الآية فقال قوم هو قرن
 فيه وهو لغة أهل اليمن وقال مجاهد الصور قرن كهية البوق ويدل على صحة هذا القول
 رى أن أعرايا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروى أنه
 الله عليه وسلم قال كيف أنتم وقد اتقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واضنى سمعه
 وأن يقرم فينفخ فكان ذلك نقل على الصحابة فقالوا احك كيف نعمل يا رسول الله أو كيف
 قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقال أبو عبيدة الصور جع صورة
 نفخ فيها احياؤها والاول أصح لما مر في الحديث ولا جماع أهل السنة أن المراد بالصور هو
 بن الذي ينفخ فيه اسرافيل فتعنت نفخة الصعق ونفخة البعث الحساب (عالم الغيب
 هادة) أى ما غاب وما شوهد فلا يغيب عن علمه تعالى شئ (وهو الحكيم) أى في جميع أفعاله
 بخلقته (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها بكل ما يعملونه من خير أو شر (واذ قال ابراهيم
 آزر) اختلف العلماء في اللفظة آزر فقال مجاهد آزر اسم أبي ابراهيم وهو تارح ضبطه
 بهم بالخاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة وقال البخاري في تاريخه الكبير ابراهيم بن آزر
 في التوراة تارح فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل
 ن لرجل واحد فيقول أن يكون اسمه آزر وتارح لقب له وبالعكس فالتسماء آزر
 كان عند النساين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أب ابراهيم من كوثي
 قرية من سواد الكوفة وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم
 وانما سماه بهذا الاسم لأن من عبد شياً أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماله
 لقوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم وقيل معناه واذا قال ابراهيم لايه يا عباد آزر فخذف
 ف وأقيم المضاف اليه مقامه والاول أصح لأن آزر اسم أبي ابراهيم لأن الله تعالى سماه به
 ج البخاري في افراذه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
 ز يوم القيامة على وجهه أى آزر قتره وغبرة الحديث سماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر
 ولم يقل أباه تارح كما نقل عن النساين والمؤرخين فثبت بهذا أن اسمه الاصلى آزر ولا تارح
 كان أهل تلك البلاد وهم الكنعانيون يعتقدون الهة النجوم في السماء والاصنام
 رض فيجعلون لكل نجم صنما فاذا أرادوا التقرب الى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم
 مع لهم عند ذلك النجم فقال ابراهيم منكر عليهم منبه اليهم على ظهورهم فساد ما هو من تكببه
 (أي أتكلف نفسك الى خلاف ما تدعو اليه الفطرة الاولى بان تجعل (أصناماً آلهة)
 بسداً وتحتضع لها ولا تنفع فيها ولا ضرر (إني أراكم قومون) أى في اتقاقكم على هذا

(في ضلال) أي بعد عن الصراط المستقيم (مبين) أي ظاهر جذاً يديه العقل مع مخالفته
 لكل نبي تنباه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح الياء
 والباقون بالسكون (وكذلك) أي ومثل هذا التبصير العظيم الشأن (تري إبراهيم) أي بصير
 وهي حكاية حال ماضية (ملكوت السموات والأرض) أي عجايبها وما أبدعهم وما الملكوت أعظم
 الملك والثناء فيه للمبالغة كالأربوب والرجوت من الرغبة والرهبة والرجة وقال
 ابن عباس خلق السموات والأرض وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة يعني آيات السموات والأرض
 وذلك أنه أقيم على حفرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكروسي وما في السموات
 من العجايب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا معناه أريناه
 مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجايب
 وروى عن سلمان وزعمه بعضهم عن علي قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض
 أبصر رجلاً على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال الرب تبارك
 ونعالي يا إبراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فأثماً أمان من عبيدي على ثلاث
 خلال أماناً يتوب إلى فأثوب عليه وأماناً أخرجه منه نسمة تعبدي وأماناً يبعث إلى فأن
 شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته وفي رواية فأن تولى فأن جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت
 السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار وقيل إن
 هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ذلك لا يدرك بالبال عقل فأريناه ذلك ليستدل به
 على توحيدنا (وليكون من المؤمنين) واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال
 الشبهة لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة فإذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سبباً
 لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من
 المؤمنين جلي له الأمر سره وعلايقه فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق فلما جعل يلعن أصحاب
 الذنوب قال الله تعالى انك لاتستطيع هذا فرقه الله تعالى كما كان قبل ذلك (فلما جن عليه
 الليل) أي دخل فيه (رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل) أي غاب (قال لأحب الآفلين) وذلك
 أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ولد في زمن غر وذن كنعان وكان النمرود أول من وضع التاج على
 رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومضجون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام
 يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكاً وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك
 في كتب الانبياء وقال السدي ان النمرود رأى في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوئ الشمس
 والقمر حتى لم يبق لهم ما ضوؤ ففرغ من ذلك فزعاشيداً ودعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا
 هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكاً وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه
 فأمر بدمج كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل
 عشرة رجل امرأة خلى بينها وبين زوجها الا انهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا
 طهرت حبل بينهم ما يرجع آثر فوجد امرأته قد طهرت فواقعها فحملت باراهيم قال محمد بن

اسحق بعث غروذ الى كل امرأة حبلى بقربه يحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم
 يجعلها لانها كانت صغيرة لم يعرف الحبل يطنها وقال السدي خرج غروذ بالرجال الى العسكر
 ونهاهم عن النساء خوفا من ذلك ثم بدت له حاجة الى المدينة ولم يأمن عليها أحد من قومه
 الا آزر فبعث اليه واقسم عليه أن لا يذنب من أهله فقال آزر أنا نأشع على ديني من ذلك فأوصاه
 بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لودخلت على أهلي فنظرت اليهم فلما نظرت الى أم
 ابراهيم لم يتألم حتى واقعتها فحملت بابراهيم قال ابن عباس لما جلت أم ابراهيم به قال الكهات
 لغروذ ان الغلام الذي أخبرناك عنه قد جعلته أمة الليلة فأمر غروذ بذيخ الغلمان قال محمد بن اسحق
 لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت اسلا الى مغارة وكانت قرية منها فولدت فيها ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها
 وكانت تحتل اليه فتظن ما فعل فتجده يص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا
 ومن اصبع عرا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها
 فقالت ولدت غلاما مات فصدقها وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهور والشهور كالسنة
 فلم يمكث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لآته اخرجيني فأخرجته عشاء فنظروا
 ونفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني وورقني وأطعمني وسقاني لربي مالي
 اله غيره ثم نظروا في السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل
 قال لأحب الآفلين (فلما رأى القمر بازغا) أي مبتدئا في الطلوع (قال هذا ربي) فاتبعه بصره
 (فلما أفل قال ان لم يبدني ربي لا كون من القوم الضالين) وقيل انه كان في السرب سبع سنين
 وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قال بعض أهل التفسير فلما شب ابراهيم وهو
 في السرب قال لآته من ربي قالت أنا قال فن ربي قالت ابوك قال فن ربي أبي قالت اسكت
 فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت الغلام الذي كان تحدث أنه يغرب دين أهل الارض فانه ابنك
 ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه فقال له ابراهيم يا آباء من ربي قال آتاك قال فن ربي أبي قال أنا
 قال فن ربي قال غروذ قال فن ربي غروذ فاطمه وقال اسكت فلما أخرج من السرب وجئ عليه
 اللبل رأى المشتري قد طاع وقيل الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فتأخر القمر فيها فرأى
 الكوكب فقال ذلك وهل ذلك جاري ظاهره أم مؤول جرى بعضهم على الاول وقال كان
 ابراهيم مسترشدا بالالتوحيد حتى وفقه الله تعالى فلم يضره ذلك وأيضا كان ذلك في طفوليته
 قبل قيام الحج عليه فلم يكن كفرا ولا صمحا الثاني اذ لا يجوز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه
 وقت من الاوقات الا هو لله تعالى موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه يرى ثم قال في تأويله
 أوجه أحدها وهو الاصح ان ابراهيم ذكر ذلك على وجه الاحتجاج عليهم بقوله هذا ربي أي في
 زعمكم فلما غاب قال لو كان الها المأغاب كما قال تعالى ذاك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك
 وبرزخك وكما أخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك أي في زعمك فلما أفل قال لأحب الآفلين
 فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاج يقتضي الامكان والحدوث وينافي الألوهية فلم

ينجس فيهم ذلك فلما رأى القمر بازغا قال لهم هذا ربى فلما أقل أى غاب قال اتن لم يدنى ربى أى
يشتنى على الهدى لانه لم يكن مهتديا والانبيا لم يراوا يسألون الله تعالى الثبات على الايمان
وكان ابراهيم عليه السلام يقول واجنبني وبني أن نعبد الاصنام (فلما رأى الشمس بازغة) أى
عند طلوع النهار (قال لهم) (هذا ربى هذا أكبر) أى من الكواكب والقمر ولم يقل هذه مع
أن الشمس مؤنثة لانه أراد هذا الطالع أو رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رآه أضواء من
النجم والقمر وأذكره لتذكير خبره (فلما أفلت) أى غربت وقويت عليهم الخيبة فلم يرجعوا
(قال يا قوم انى يرى مما تشركون) أى بالله من الاصنام والاجرام المهدنة المحتاجة الى محدث
التي تجعلونهم شركاء لنا فلما قلها والوجه الثانى من التأويل أنه قال ذلك على وجه الاستفهام
تقديره أهذا ربى كقوله تعالى أفأنت منهم الخالدون أى فهم الخالدون وذكره على وجه
التوبيخ منكرا لفعالهم والوجه الثالث انه أراد أن يستدرجهم بهذا القول ويعترفهم خطأهم
وجهلهم ومثل هذا مثل من ورد على قوم يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا
فى كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشا وروى فى أمره فقال الراى أن ندعو
هذا الصنم حتى ينكشف عنا ما أصابنا فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع
ولا يدفع دعاهم الى أن يدعوا الله تعالى فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يجنون قاساوا (فان قيل)
لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال (أجيب) بأن الاحتجاج
بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب ولما ظهر خلاف قومه واستمزوا فى شركهم وقالوا
لهم من تعبد أتأكلهم لهم ما هو عليه من الحق بقوله (انى وجهت وجهى) أى أخلصت
قصدى وصرفت عبادتى (للى فطر السموات والارض) أى خلقهما وأبدعهما وهو الله تعالى
(حقيقا) أى ما نالا الى الدين القويم عن كل دين يخالفه وأصل الخفيف الميل وهو عن طريق
الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الخفيف هو الذى يستقبل الكعبة بصلاته (وما آمن
المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه أى وما آمنتمكم ولا أعذنى عداكم بئى أقاربكم
به (وحاجه قومه) أى خاصهم فى التوحيد وهددوه بالاصنام أن تصيبه بسوء ان لم يرجع عن
الكلام فيها (قال لهم) (أتجأونى) أى أتجادلوننى (فى الله) أى فى وحدانيته وقرأ نافع وابن
عاصم بفتحيف النون وهى نون الرفع عند النجاة ونون الوقاية عند الفراء والباقون بالتشديد
وقد أى والحال انه قد (هدانى) الى توحيدى ومعرفة (ولا أخاف مما تشركون به)
شأ وذلك ان ابراهيم لما رجع الى أهله وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذبايح أى
ذبايح غرود وضعه أزرالى نفسه وجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها فيذهب
بها ابراهيم وينادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها
الى نهر فصب رؤسها وقال اشربى استنزاه قومه وما هم عليه حتى فشا استنزاه به فى قومه
وأهل قريته فقالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بمجبل أو جنون بعيبك اياها فقال
انما يكون الخوف من قدر على النفع والضر وهو قوله تعالى (الآن يشاء ربى شيئا) وهذا

استثناء منقطع معناه لكن ان شاء ربى شيا من المكروه يصيبني فيكون لانه قادر على النفع
والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وأيام عمره ما يكرهه
فلو صابه مكره نسبوه الى الاصنام ففني هذه الشبهة بذلك (وسمع ربى كل شئ عيلاً) أى أحاط
علمه بكل شئ من معلومه (أفلاتنكرون) أى يقع منكم تذكر فتتروا بين الحق والباطل والقادر
والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) به أى الاصنام وهى لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع
(ولا تخافون) أنتم (أنكم أشركتم بالله) وهو تعالى حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه
اشركتم المصنوع مع الصانع ونسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار النافع (ما لم ينزل به)
أى لعبادته (عليكم سلطاناً) أى حجة وبرهان وهو القادر على كل شئ (فأى الفريقين) أى حزب
الله وحزب ما أشركتم ولم يقل فأنا نعيمهم اللهم معنى (أحق بالامن) أهم الموحدون أو المشركون
(ان كنتم تعلمون) من الاحق أى ان كان لكم علم فأخبروني عما أسألكم عنه والاحق بذلك هم
الموحدون فأتبعوهم قال تعالى فاضيا بينهما (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أى لم يخلطوا
ايمانهم بشرك روى انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فأنا لم نلظم
نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعو الى ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم (أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (لهم الامن) أى من العذاب المؤبد (وهم مهتدون)
وقوله تعالى (ولئك) مبتدأ ويبدل منه (جنتنا) وهى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله تعالى
فلما حج علمه الله لى الى قوله وهم مهتدون وأمن قوله تعالى ألتحاجونى اليه والخبر (أتبناها
ابراهيم) أى أرشدناه لها حجة (على قومه) ثم انه سبحانه وتعالى لما تفصل على خليله صلى الله
عليه وسلم برفعه على قومه قال تعالى (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأعاصم
وحزرة والكسائى بنو بن التاء والباقون بغير تنوين (ان ربك حكيم) فى صنعه فيرفع من يشاء
ويخفض من يشاء (عليم) بخلفه فهو القهار لما يريد (ووهبنا له) أى ابراهيم (اسحق) أى ابنائه
(يعقوب) أى ابناء اسحق فهو ابن ابنه (كلاً) منهم ومن أيهما (هدينا) الى سبيل الرشاد
ووقفناه الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا) (من قبل) أى قبل ابراهيم (ومن ذريته)
أى نوح لا ابراهيم لانه تعالى ذكر فى جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم وقيل الضمير
لابراهيم ويكون ذلك من باب التغليب فان التغليب سائغ شائع فى انساب العرب (داود) وهو
ابن ايشاهديناه وكان من آتاه الله الملك والنبوة (وسليمان) هو ابن داود وهما اللذان بنيانيت
المقدس بأمر الله تعالى داود بنخطه وتأسيسه وسليمان بكامله وتشيدده (وأيوب) هو ابن أموص
ابن رزاح بن روم بن عيصون اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
(فان قبل) لم قدم أيوب على يوسف أقرب منه (أعجب) بأنه قدمه للمناسبة بينه وبين
سليمان لان كلا منهما بائلي بأخذ كل ما يده ثم رده الله تعالى اليه (وموسى) هو ابن عمران
ابن يصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو موسى أكبر منه بسنة صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين (وكذلك) كاجزئنا ابراهيم على توحيدده وصبره على أنى قومه

بأن رفعا درجته ووهبنا له أولادا أنبياء (نحزي الحسنين) على أحسانهم (وذكرنا) هو ابن أدن
 ابن بركا وقرأ حفص وحزرة والكسائي بغير همز والباقون بالهمز (وبحي) هو ابن زكرياء
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو أدريس وله اسمان مثل يعقوب
 واسرائيل قال البغوي والصحيح أنه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وأدريس جذأ في فوح
 وهو الياس ابن ياسين بن فحاص بن العيزار بن هرون بن عمران (كل) منهم (من الصالحين) أي
 الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واسماعيل) هو ابن إبراهيم وأما
 أخو ذكره أي هنا لأنه ذكر اسحق وذكر أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ ذكر
 اسمعيل إلى هنا (واليسع) هو أخطوب بن العجوز وقرأ حذرة والكسائي بتشديد اللام وسكون
 الياء والباقون سكون اللام وفتح الياء (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو بن هاران أخي إبراهيم
 (وكل) منهم (فضلنا على العالمين) أي بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من
 الخلق من أنس ومالك يستدل بهذه الآية من يقول إن الأنبياء أفضل من الملائكة وقوله تعالى
 (ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم) عطف على كلاً ونوحا ومن التبعض أي فضلنا بعض آباءهم
 وبعض ذرياتهم وإخوانهم لأن آباء بعضهم كانوا مشركين وعيسى وبحي لم يكن لهما ولد وكان
 في ذرية بعضهم من كان كافرا كابن نوح وقوله تعالى (واجتنبناهم) أي اختبرناهم عطف على
 فضلنا وأهدينا (وأهديناهم) أي وأرشدناهم (إلى صراط مستقيم) هو الدين الحق (ذلك) أي
 الذي هدوا إليه (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) سواء كان له أب يعلمه أو كان له من يحمله
 على الضلال أم لا فهو سبحانه وتعالى هو المفضل بالهداية (ولو أشركوا) أي ولو فرض أشركوا
 هؤلاء الأنبياء بعد علو درجتهم وفضلهم (لحبط عنهم) أي لفسد وسطهم (ما كانوا يعملون)
 أي لما كانوا يكفرون في حبوط أعمالهم بسقوط أوابها (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) أي أولئك
 الذين سميناهم من الأنبياء وهم عثانية عشر نبيا أعطيناهم الكتاب فالمراد بالكتاب الحفص
 (والحكم) أي العمل المتقن بالعلم (والنبوة) أي وشرقناهم بالنبوة والرسالة (فان يكفر بها) أي
 بهذه الثلاثة (هؤلاء) أي أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم (فقد وكنا بها) أي وفقنا للايمان بها
 والقيام بحقوقها (قوماليسوا بها بكافرين) كما يوكل الرجل بالشيء ليعوم به ويتعهد به ويحافظ
 عليه واختلف في ذلك القوم فقال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقال الحسن وقطادة هم
 الأنبياء الثمانية عشر تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله تعالى
 (أولئك الذين هدى الله فبهم دارهم اقتده) وقال عطاء الطرادى هم الملائكة ونظيره لأن اسم
 القوم لا يطلق الا على بنى آدم وقيل هم القرس وقيل هم المهاجرون والانصار واستظهر وقال
 ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا أم نبيا أم محاسبا أم تابعيا والمراد بهم
 ما وافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانه ليست هدى مضافا
 الى الكل ولا يمكن التامس بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم متبذرع من
 قبله واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء عليهم الصلاة

قوله ابن العجوز
 كذا في النسخ والذي
 في حاشية الجلباب
 العجزة اه

والسلام قال ويأمنه أن جميع الخصال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب
 احمق على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق
 ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والهن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على
 النعمة كما قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء كما قال تعالى
 انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وكان يوسف قد جمع بين الخاتمين أي الصبر والشكر وكان
 موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من
 أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واحسان ثم
 ان الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع لهم جميع الخصال المحمودة
 والمتفرقة فنبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من الخصال
 التي كانت متفرقة في جميعهم اه وقرأ آية الكسائي بحذف الهاء في الوصل وحركة الهاء
 بحركة مختلصة ابن عامر ومد على الهاء ابن ذكوان بخلاف عنه وسكن الهاء الباقون في الوصل
 وأما في الوقف فجميع القراء يثبتون الهاء ويسكنونها (قل) يا محمد لاهل مكة (لا أسألكم عليه)
 أي القرآن أو النبيلغ (أجرا) أي لا أطلب على ذلك جعلنا (ان هو) أي القرآن أو النبيلغ
 (الاذكري) أي عظة (للعالمين) أي الانس والجن (وما قدروا) أي اليهود (الله حق قدره) أي
 ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظمتهم (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه
 في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شيء) قال سعيد بن جبيرة رجل من اليهود يقال له مالم
 ابن الصيف من أخبار اليهود ورؤسائهم يخاضعون للنبي صلى الله عليه وسلم بحكمة فقال له النبي
 صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله تعالى
 يفيض الخبر السمين وكان حبرا سمينا والخبر بالفتح والكسر وهو أفصح العالم بتعابير الكلام والعلم
 وتحسينه قاله الجوهري فغضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه وبك
 ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه أعضبني فترعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي
 نزلت في فخص بن عازوراء وهو قائل هذه المقالة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قالت
 اليهود يا محمد أنزل الله تعالى عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا
 قال الله تعالى (قل) لهم (من أنزل الكتاب) أي التوراة (الذي جاء به موسى) أي الذي أنتم
 تزعمون القسك بشره حال تكون الكتاب (نورا) أي ذا نور أي ضياء من ظلمة الضلالة
 (وهدي) أي ذاهدي (لناس) أي يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن
 يتدل ويغير (بجعلونه قراطيس) أي يكتبونه في دفاتر مقطعة (يبدونها) أي يظهرون
 ما يحبون اظهار منها (ويخفون كثيرا) أي مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من
 صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالألف في المواضع الثلاثة على الغيبة جلا على قالوا وما قدروا
 والباقون بالتاء على الخطاب وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزئتها

بآباء بعض اتعجبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وقوله تعالى (وعلمتم)
 أي على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) خطاب لليهود أي علمتم
 زيادة على ما في التوراة وبما نالما التمس عليكم وعلى آباءكم الذين كانوا أعلم منكم وقطعهم بأن
 هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يحتفلون يذكروهم النعمة فيما عليهم
 على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقبل الخطاب لمن آمن من قريش وقوله تعالى (قل الله أنزله
 راجع إلى قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى أي فان أجابوا بأن الله أنزله فذاك
 والافضل أنت الله أنزله اذ لا جواب غيره (ثم ذرهم أي اتركهم (في خوضهم) أي باطلهم
 (يلعبون) أي يستمزجون ويسخرون وفيه وعبدوتهم بيد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ
 بآية السيف (وهذا) أي القرآن (كتاب أنزلناه مارك) أي كثير الخير والبركة دائم النفع يشير
 المؤمنين بالنواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبوت
 الخير (مصدق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الأنبياء لانها
 مشتملة على التوحيد والتعزية لله تعالى وعلى البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا
 لجميع الكتب المنزلة وقوله تعالى (ولنذر) قرأه شعبة بالياء على الغيبة أي لينذر الكتاب
 والباقيون بالتاء على الخطاب أي ولتنذرا بمحمد (أم القرى) أي أهل مكة وسيت أم القرى لانها
 قبله أهل القرى ومحجهم وفحمةهم وأعظم القرى شأنها وبعض المجاورين
 فمن يلقى في بعض القريات رحله * فأم القرى ملقى رحلي ومنسأبي
 وقيل لأن الارض دحيت من تحتها ولا نهامكان أول بيت وضع للناس (ومن حولها) أي جميع
 البلاد والقرى التي حولها شرفا وغربا (والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به) لأن من صدق
 بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب
 والضمير يحملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة في قوله تعالى (وهم على صلاتهم
 يحافظون) لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن حافظ عليها كانت لطفاته في المحافظة على
 أخواتها (ومن) أي لأحد (أظلم من أفتري) أي اخلق (على الله كذبا) فزعم أن الله بعنه نبيا
 كسيلة الكذاب والاسود العنسي أو اخلق عليه أحكاما كعمر بن لحي ومتابعيه (أوقال أوحى
 إلى ولم يوح اليه شيء) قال قتادة نزات في مسيلة الكذاب من بني حنيفة وكان يسبح
 ويتكهن فادعى النبوة وزعم أن الله تعالى أوحى اليه وكان قد أرسل إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم رسولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدان أن مسيلة نبي قالانم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما وعن أبي هريرة رضى
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم إذا وثبت خرائن الارض فوضع
 في يدي سواران من ذهب فكبر على وأهلاني فأوحى الله تعالى إلى أن اتعجما فنتعجما فإطارا
 فأولتم ما الكذابين الذين أنابناهم صاحب صنعا وصاحب البمامة مسيلة الكذاب وفي لفظ
 الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كأن في يدي سوارين فأولتمهما

كذا بين بخبر جان بعدى يقال لاحدهما مسيلة صاحب الائمة والعنسي صاحب صنعا وقوله
 صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى أن اتعهم ما بالهاء المهمله ومعناه الرمي والدفع من نفثت
 الدابة تبرجلها ويروى بالهاء المعجمة من النفث وهو قريب من الاول فاما مسيلة الكذاب
 فانه ادعى النبوة في الائمة وبه قوم من بني حنيفة وقتل في خلافة أبي بكر قتله وحشي قاتل
 حزة رضي الله تعالى عنهم وكان يقول قتل خير الناس يعني حزة وقتل شر الناس يعني مسيلة
 الكذاب قتل الاول وهو كافر وقتل الثاني وهو مسلم وأما الاسود العنسي بالنون ويقال له
 ذو الجار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل في حياته صلى الله
 عليه وسلم قبل موته بيومين وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتله فقتله فيروز الدبلي فقال صلى
 الله عليه وسلم فازفروا بقتل الاسود العنسي (ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله) قال السدي
 نزلت في عمه الله بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أُملي
 عليه صلى الله عليه وسلم جميعا بصيرا كتب عليا حكيمًا وإذا أُملي عليه عليا حكيمًا كتب
 غفورا رحيمًا فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فحبب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم اكتبها هكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لمن كان محمد صادقا فقد
 أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام
 فأسلم قبل فتح مكة حين نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة الظهران وقال ابن عباس ومن قال
 سأزل مثل ما أنزل الله يريد المستترين وهو جواب لقولهم لولنا لقلنا مثل هذا قال العلماء
 وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص
 السبب لا يمنع عموم الحكم (ولوزي) بالجمد (اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
 أي ولوزي الظالمين المذكورين (في غمرات) أي شدا (الموت) من غمر الماء اذا غشيه فاستعير
 للشدة الغالبة (والملائكة باسطوا أيديهم) أي قبض أرواحهم كالتقاضى المأزوم لغريمه
 لا يفارقها وبالعذاب أو الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم يقولون لهم تعنيها (أخرجوا
 أنفسكم) السالبة قبضها (فان قيل) انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فافائدة هذا
 (أجيب) بأنهم يقولون لهم أخرجوها كرها لان المؤمن يجب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل
 يقولون لهم خلاصا أنفسهم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم
 لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب
 الهون) أي الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) أي كادعاء الولد والشر بك الله تعالى
 ودعوى النبوة والايحاء كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) أي تستكبرون عن الايمان بها وجواب
 لو محذوف تقديره رأيت أمرا فطبعها (و) يقال لهم اذا بعثوا للحساب والجسزاء (لقد جنتونا
 فرادى) أي منفردين عن الأهل والمال والولد وساير ما أترغموه من الدنيا وأوعى الأهوان
 والأولان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فردوا لالتأنيث ككسالى وفي هذا تقرير

قوله ويروي الخ وهو
 الذي اقصر عليه
 الزرقاني في شرح
 المواهب والذى
 في الصبح نفثت
 النافذة برجلها
 ضربت اه

وتوجب لهم لانهم صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه واقتوا أعمالهم
 في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم ذلك شيئا يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا
 (كما خلقناكم أول مرة) أي حفاة عراة غرلا روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها
 قرأت هذه الآية فقالت يا رسول الله واسوأتاه أن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم
 الى سواة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر
 الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال وروى عنها أنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا أي غير محتوين وفي رواية زيادة على ذلك بهما قال الجوهري
 وغيره أي ليس معهم شيء قالت عائشة رضي الله عنها فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى
 بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امرأ أشد أن يههم ذلك (وتركت ما خولناكم) أي
 ما نهضنا به عليكم في الدنيا فاشغلتهم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) أي في الدنيا فما أغنى عنكم
 ما كنتم منه تستكثرون (و) يقال لهم تو بيضا (ما نرى معكم شفعاءكم) أي الاصلنام (الدين زعمتم
 أنهم فيكم) أي في استحقاق عبادتكم (شركاء) أي لله وقوله تعالى (لقد تقطع بينكم) قرأه نافع
 وحفص والكسائي بنصب النون أي لقد تقطع ما بينكم من الوصل والباقرن بالرفع أي لقد تقطع
 وصلكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل (وصل) أي ذهب (عنكم ما كنتم
 تزعمون) أي من أنهم اشفعواكم أو أن لا يبعث ولا جزاء (أن الله فائق) أي شاق (الحب) أي عن
 الثبات (والنوى) أي عن النخل وقيل المراد الشق الذي في الخنطة والنواة والحب جمع
 الحبة وهو اسم لجميع البزور والحبوب من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى والنوى جمع
 نواة وهي كل ما لم يكن جبا كالف والمشمس وغيرهما وقال الضحاك فائق الحب والنوى يعنى خالق
 الحب والنوى (يخرج الحى من الميت) أي كالانسان من النطفة والطائر من البيضة
 (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر (تنبيه) مخرج
 معطوف على فائق كما قاله الزحشرى ويصح عطفيه على يخرج لأن عطف الاسم المشابه للفعل
 على الفعل صحيح كعكسه وهو عطف الفعل على الاسم الشبه بالفعل كقوله تعالى أن المصدقين
 والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً فأقرضوا معطوف على المصدقين لشبهه بالفعل لكونه
 اسم فاعل ومخرج شبيه بالفعل لكونه اسم فاعل وقرأ نافع وحفص وجزء والكسائي بتشديد
 الهمزة والباقرن بالتخفيف (ذلكم) الهي والمميت هو (الله) الذى يحق له العبادة (فائق) أي
 فكيف (تؤفكون) أي تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وقوله
 تعالى (فائق الاصباح) مصدر يعنى الصبح أي شاق عموماً الصبح وهو أول ما يبدو من النهار
 عن ظلمة الليل أو شاق ظلمة الاصبح وهو الغدش الذى عليه في آخر الليل (وجاعل الليل سكناً) أي
 يسكن فيه الخلق راحة لهم قال ابن عباس إذ كل ذى روح يسكن فيه لأن الانسان قد أتعب
 نفسه فأحتاج الى زمان يستريح فيه ليسكن فيه عن الحركة وذلك هو الليل وقرأ عاصم وجزء
 والكسائي بنصب العين واللام ولا تألف قبل العين على الماضى جلا على معنى المعطوف عليه

فان قال قبيلى فلو والباقون بكسر العين ورفع اللام واُف قبل العين وقوله تعالى (والشمس
 والقمر) منصوبان باخبر فعل دل عليه جاءل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حساباً) أى
 حساباً باللا وفات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أى يجريان بحسبان كفى آية الرحمن وقوله
 تعالى (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره فى هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكمال علمه وهو
 المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزيز إشارة الى كمال قدرته والعليم إشارة الى كمال علمه (وهو
 الذى جعل) أى خلق (لكم النجوم) لتهدوا به فى ظلمات البر والبحر أى فى ظلمات الليل فى البر
 والبحر و اضافتها اليهم للملازمة أو فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو
 اقراد بعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم ومن منافعها أنها زينة السماء كما قال تعالى
 ولقد زينا السماء الدنيا بصابع ومنها رعى الشياطين كما قال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين
 (قد فصلنا) أى بينا (الآيات) أى الدالات على قدرتنا وتوحيدنا (لقوم يعلمون) أى يتدبرون
 فانهم المستفهمون به (وهو الذى أنشأكم) أى خلقكم (من نفس واحدة) أى من آدم عليه الصلاة
 والسلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضاً لان ابتداء خلقه من مريم وهى من
 نبات آدم فثبت ان جميع البشر من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) أى تستقر فى الرحم
 ومستودع فى القبر الى أن يبعث أو تستقر فى أرحام الاتهام ومستودع فى أصلاب الآباء قال
 سعيد بن جبيرة قال لى ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال أمانه ما كان مستودعاً فى ظهرك
 فسيخرجه الله عز وجل أو تستقر فى الرحم ومستودع فوق الارض قال تعالى ونقر فى الارحام
 ما نشاء أو تستقر على وجه الارض ومستودع عند الله فى الآخرة أو تستقر فى القبر ومستودع
 فى الدنيا وكان الحسن يقول يا ابن آدم أنت وديعة فى أهلك يوشك ان تلحق بصاحبك أو تستقر فى
 القبر ومستودع فى الجنة أو النار قال تعالى فى صفة الجنة حسنت مستقر أو فى صفة النار
 وساءت مستقر أو قرأ ابن كثير وأبو عمر وبكر القاف على اسم الفاعل والمستودع فقول أى فتكم
 قار ومنكم مستودع لأن الاستقرار من الله تعالى دون الاستبداع لأن الاستقرار فى الاصلاب
 أو فوق الارض لاصنع للعبد فيه بخلاف الاستبداع فى الارحام أو تحت الارض والباقون
 بالنصب (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أى يفهمون ما يقال لهم ذكر النجوم يعلمون
 لأن أمرها ظاهر و ذكرهم تخليقه بن آدم يفقهون لأن انشاءهم من نفس واحدة ونصر يفهمون
 أحوال مختلفة فحق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى أنزل من السماء
 ماء) أى مطرا وهو من السحاب أو من جانب السماء وقيل ان الله تعالى ينزل من السماء الى
 السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا به) أى بالماء وفى ذلك التفات حيث لم يقل
 فأخرج على وفق أنزل (نبات كل شئ) أى شئ ينبت وينمو من جميع أصناف النبات فالسبب
 واحد وهو الماء والمسيبات صنوف متفرقة كما قال تعالى تسقى بماء واحد وتفضل بعضهما على
 بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) أى من النبات أو الماء (خضرا) أى شياً أخضر يقال أخضر
 وخضر مثل أعور وعور والآخر هو جميع البقول والزرع والبقول الرطبة (تخرج منه)

أى الخضر (حماة راكبا) أى يركب بعضه بعضا كسنايل الحنطة والشعير والارز والذرة وقوله
 تعالى (ومن الخلل) خير مقدم ويبدل منه (من طلعهما) وهو أول ما يخرج منها والمبتدأ (قنوان)
 أى عراجلين (دانسة) أى قريبة من تناول يتناولها النائم والقاعد أو قريب بعضهما من بعض
 وانما اقصر على ذكرها عن مقابلها وهى البعده لدلائلها عليها كقوله تعالى سرايسل تصيكم الحتر
 أى البرد واكتفى بذكر أحدهما وحكمة تخصيص دانسة بالذكر زيادة النعمة فيها وقوله تعالى
 (وجنات) عطف على نبات كل شئ أى وأخرجنا به بساكنين (من أعذاب) وقوله تعالى (والزيتون
 والرمان) عطف أيضا على نبات أى وأخرجنا به شجر الزيتون والرمان (مشبهها وغيره متشابه) قال
 قتادة عندها مشبهها ورقها مختلفا غيرها لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشبهها
 فى النظر مختلفا فى الطعم والله سبحانه ذكر فى هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع
 وقدم الزرع على سائر الاشجار لأن الزرع غذاء وغار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على
 الفواكه وقدم الخلل على غيرها لأن غيرها يجرى مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس
 فى غيرها من الاشجار قال بعضهم وليس لنا شئ من الشجر يحتاج الى ذكر غير الخلل أى فى تطيب
 غيرها وذكر العنب عقب الخلل لانه من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من
 البركة والنفع ثم ذكر بعده الرمان لما فيه من المنافع أيضا (انظروا) أيها المخاطبون نظرا اعتبار
 (الى غره) قرأ جزء والكسائى بضم الشاء والميم والباءون بالنصب وهو جمع غرة كشجرة وشجر
 وخشبة وخشب (اذا غره) أى حين يبدو من أكامه ضعيفا قليل النفع وأوعديه (و) انظروا الى
 (ينعه) أى الى ادراكه اذا أدرك وحان قطفه كيف يصير ذا نفع ولذو المعنى انظروا نظرا استدلال
 واعتبرا وكيف أخرج الله هذه الثمرة اللطيفة من هذه الشجرة الكئيبة اليابسة وهو قوله تعالى
 (ان فى ذلك لآيات) أى دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره فان حدوث الاجناس
 المختلفة والانواع المختلفة من أصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا احداث قادر يعلم
 تفاصيلها ويرج ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله نذبه بأرضه
 أو ضديه انده وخص المؤمنين بالذكر بقوله (لقوم يؤمنون) لانهم المنفعون بها بخلاف
 الكافرين ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) أى
 الشياطين لانهم أطاعوهم فى عبادة الاوثان فجعلوا شركاء لله (فان قيل) الله مفعول ثان لجعلوا
 وشركاء مفعول أول ويبدل منه الجن فافائدة التقديم (أجيب) بأن فائدة استعظام أن يتخذ الله
 شريك من جن أو انس أو ملك فلذلك قدم اسم الله تعالى على الشركاء وقيل المراد بالجن الملائكة
 بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جننا لاجتنانهم تحقير الشأنهم وقال الكلبي
 نزلت فى الزادقة أنبتوا الشركاء لابلis فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام
 وابلis خلق الطلعة والسماع والحيات والعقارب فمقولون هو شريك الله فى تدبير هذا العالم
 فما كان من خير فى الله وما كان من شر فى ابلis تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله تعالى
 (وخلقهم) حال بتقدير قد والضمير اما أن يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف

يكون شريك الله عز وجل محمدنا مخلوقا وانما يعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى
وجها والله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكا
لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى خالق لجميع ما في الكون فاستمع أن يكون لله
شريك في ملكه (وخرقوا) قرأه نافع بتشديد الراء والباقون بالتخفيف أى اختلفوا (له بنين
وبنات بغير علم) وهو قول أهل الكنايين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق
الافلاك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة غريبة كانت العرب تقولها
كان الرجل اذا كذب كذبه في نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقة والله (سبحانه) تنزيها له
(وتعالى عما يصفون) بأن له شركاء اولاد (بديع السموات والارض) أى مبتدعهما
من غير سبق مثال ورفع بديع على الخبر والمبتدأ المحذوف أى هو بديع أى على الابتداء والخبر
(أنى يكون له ولد) أى من أين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد لان الولد لا يكون
الامن صاحبة أنى (وخلق كل شى) أى من شأنه أن يخلق (وهو بكل شى عليم) لا تخفى عليه خافية
وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه مبدع السموات والارض وهى اجسام
عظيمة من جنس ما يوصف بالولادة لكنهم اختلفوا لا يستقيم أن يوصف بالولادة لاستمرارها
وطول مدتها ومخترع الاجسام لا يكون جسمها حتى يكون والدا الثاني أن الولادة لا تكون
الامن ذكر وأنثى مجانسين وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة
والثالث أنه ما من شى الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شى والولد
اغنا يطلبه المحتاج وقوله تعالى (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
وقوله تعالى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شى) اخبار مترادفة ويجوز أن يكون
البعض في غير الله تعالى بدلا لوصفه لان الله تعالى قول وليس صفة والبعض خبرا وقوله تعالى
(فاعبدوه) سبب عن مضمون ذلك فان من اجتماع هذه الصفات استحق العباد (وهو على
كل شى وكيل) أى وهو مع تلك الصفات مال لكل شى من الارزاق والاحمال رقيب على
الاعمال فيعازى عليها (لاتدركه الابصار) جمع بصرو وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث
انها محله او الادراك الحاطة بكنه الشى وحقيقته ونفسك بظاهر هذه الآية قوم من أهل البدع
وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان
رؤيته مستحيلة عقلا لان الله تعالى أخبر أن الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا
فرق بين قولك ادركته يصبرى ورأيت به يصبرى فثبت بذلك ان لا تدركه الابصار بمعنى لاتراه
الابصار وهذا يقيد العموم ويذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي
الجنة واستدلوا المذهب بأشياء من الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من السلف في
الكتاب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففى هذه الآية دليل على أن المؤمنين
يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رضى الله
تعالى عنه يجب قوما بالمعصية وهى الكفرة ثبت أن قوما يرونه بالطاعة وهى الاعمال وقال مالك

قوله وهى اجسام
عظيمة من جنس الخ
عبارة المتساوى
وهى مع أنها من
جنس ما يوصف
بالولادة متبرأة عنها
لاستمرارها الخ اه

رضى الله تعالى عنه لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله تعالى الكفار بالجلاب وطال
 تعالى الذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة مفسرة بالنظر الى الله تعالى يوم القيامة
 ومن السنة ما روى عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر
 لاتضامون في رؤيته فان اسست طعتم أن لاتقلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
 فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومنها أن ناسا قالوا يا رسول الله
 هل نرى ربنا يوم القيامة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر
 أى هل تشكون قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك وعن أبي رزبن
 العقيلي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أكننا نرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت
 وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزبن أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله
 أعظم انعاما وخلق من خلق الله أى القمر فالله أعظم وأجل وأحجج أهل السنة أيضا على جواز
 رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بقول كليم الله موسى عليه السلام رب أرنى أنظر اليك اذ لا ينال
 نبى ما لا يحوز أو يستع وقد علق الله تعالى الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى فان استقر مكانه
 فسوف ترانى واستقر الجبل جائزا والمعاق على الجائز جائزا وأما قول المتسكين بظاهر الآية
 وإن الادراك بمعنى الرؤية فممنوع لأن الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية
 المعانية وقد تكون المعانية بلا ادراك قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام قال أصحاب
 موسى اننا لم ندركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم ففنى موسى
 عليه السلام الادراك مع ثبوت الرؤية فالله تعالى يصح أن يرى من غير ادراك ولا احاطة
 كما يعرف فى الدنيا ولا يحاط به قال تعالى ولا يحيطون به علما ففى الاحاطة مع ثبوت العلم قال
 سعيد بن المسيب لا يحيط به الابصار وقال عطاء قلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما ومقاتل لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وظاهر
 هذا التسوية بين الادراك والرؤية ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
 الى ربها ناظرة فقوله ناظرة مقيد بيوم القيامة ويكون هذا جمعا بين الاثنين (وهو يدركه
 الابصار) أى ابراهما ويحيط بها علما فلا يخفى عليه شئ ولا يغيبه شئ (وهو اللطيف الخبير) قال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما اللطيف بألبانه الخبير بهم وقال الزهرى اللطيف الرفيق بعباده
 وقبل اللطيف الموصل الشئ بالرفق والمين وقيل اللطيف الذى ينشئ العباد ذنوبهم ثم لا يحجبوا
 (فقد جاءكم بصائر) جمع بصيرة أى حجج (من ربكم) تبصرون به الهدى من الضلالة والخلق
 من الباطل (فمن أبصر) أى عمل بالادلة (فلنفسه) أى خاصة ابصاره لانه خلصها من الضلال
 الى الهدى (ومن همى) أى لم يهتد بالادلة (فعلينا) أى خاصة عما لانه يضل فلا يضر الانفسه
 (وما نأ عليكم بحفظ) أى رقيب لأعمالكم وانما نأ من ذروا الله تعالى هو الرقيب عليكم يحفظ
 أعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك) أى كائنا ما ذكر (نصرف) أى نبين (الآيات) من حال

الى حال في المعاني المستوعبة سالكن من وجوه البراهين بعبادة القوي وبجزز القدر ليعتبروا
(وليقولوا) اعتذرا عند ظهور عجزهم (دارست) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبألفين الدال والراء
أي إذا كرت أهل الكتاب والباقيون بغير ألف أي درست كتب الماضين وبحث بها منها وقرأ
ابن عامر بفتح السين وسكون التاء من الدروس أي هذه الآيات التي تتلوها علينا قدجة قد
درست وانحمت كقولهم أساطير الاولين وقبل اللام فيه لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا
دارست أي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب أهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
لكون لهم عدوا وحرنا (واينسبه) أي الآيات وذكر الضمير لانها في معنى القرآن كأنه قيل
وكذلك نصرف القرآن والقرآن وان لم يجزله ذكر لكونه معلوماً والى التبيين الذي هو مصدر
الفعل كقولهم ضربته زيدا (لقوم يعلمون) فانهم المستفيعون به وقوله تعالى (اتبع) خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم أي اتبع يا محمد (ما أوحى اليك) أي القرآن فالزم العمل به ثم أكد مدحه بقوله
(من ربك) أي المحسن اليك بهذا البيان وقوله تعالى (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب
الاتباع لما في كلمة التوحيد من القسك بجعل الله والاعتصام به والاعراض عما سواه وقول
البيضاوي أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفرد في الألوهية مبنى على جواز تأكيد الجملة
الفعلية بالاسمية وهو نادر (وأعرض عن المشركين) ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت الي رأيهم
ومن جعله مفسوخاً بآية السيف حل الاعراض على ما يمتكف عنهم (ولو شاء الله)
إيمانهم وعدم اشراكهم (ما أشركوا) وهذا نص صريح في أن شرهم كان بعيشة الله تعالى
خلافاً للمعتزلة في قولهم لم يرد الله من أحد الكفر والشرك والآية رد عليهم (وما جعلناك
عليهم حفيظاً) أي قريباً فيجازيهم بأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي فيجبرهم على الإيمان
وهذا قبل الامر بالقتال (ولاتسبوا الذين يدعون) أي يعبدون (من دون الله) وهي الاصنام
أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح (فيسبوا الله عدواً) أي اعتدوا وطلبوا
(بغير علم) أي جهلاً منهم بالله وبما يجب أن يذكر به روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يطعن
في آلهتهم فقالوا التفتين عن سب آلهتنا ولنفسجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضرت
أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخلن على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه
فأنافسني أن يقتله بعد موته فنقول العرب كان يمنعه عنه فلما مات قتله فانطلق أبو سفيان وأبو
جهل وأبي بن خلف ومعهم جماعة الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وانا بن محمد
قد اذا نانا وآلهتنا فذهب أن تدعوه وتنباه عن ذكر آلهتنا وندعه والهه فطلبه وقال هؤلاء قومك
ونحوهم كيقولون زيداً نأندعنا وآلهتنا وندهك والهك وقد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم أرايتم أن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة أن تكلمتم بها للكم
العرب ودانت لكم بها الهجهم فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكمها وعشرة أمثالها فهاهي قال
قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غير هذا يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول
غيرها فقالوا لتكفن من سب آلهتنا ولتشتكك ومن يأمرك فزت وقيل كان المسلمون يسبونهم

فنهوا الثلاب يكون سبهم سبب السبب الله تعالى وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية رابحة
 وجب تركها فان ما يؤدى إلى الشر تركه (كذلك) أى كما زينا له ولا ما هم عليه من عبادة
 الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان (زينا لكل أمة عملهم) أى من الخير والشر
 بأحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخيلا وفى هذه الآية دليل على تصديق
 القدرة والمعزة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفر وتزيينه فهو الفعل المأبى
 لا يستلحما يفعل (ثم إلى ربهم مرجعهم) فى الآخرة (فبينهم بجا كانوا يعملون) فى الدنيا
 فيجازيهم به (واقسموا) أى كفار مكة (بالله جهداً بيمانهم) أى غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءتهم
 آية) أى بما اقترحوه (ابؤمن بها) روى أن قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا أن موسى كان معه عصا
 يضرب بها الحجر فينضرب منه الماء اثنتى عشرة فينا ونضربنا أن عيسى كان يحيى الموتى فأتنا من
 الآيات حتى نصدقك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تعجبون قالوا تجعل لنا
 الصفا ذهباً وتبعث لنا بعض أمواتنا حتى نساله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة
 يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون أتصدقوننى قالوا نعم
 والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم
 حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل عليه
 السلام فقال يا رسول الله لك ما شئت أن شئت أصبح ذهباً ولكن ان لم يصدقوا بعد ينهم الله وان
 شئت تركتهم حتى يتوب تأثمهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تأثمهم فنزلت قال الله
 تعالى (قل) لهم (انما الآيات عند الله) نزلها كيف يشاء وانما أنا نذير (وما يشعركم) أى
 وما يدريكم أيها المسلمون بيمانهم اذا جاءت فأنهم كانوا يمتنون بحجى الآية طمعاً فى إيمانهم أى
 أنهم لا يدرون ذلك (انها اذا جاءت لا يؤمنون) لما سبق فى حلى وقرأ أبو عمر وبسكون الراء وروى
 عن الدورى اختلاس الضم وكسر الهمزة من انها ابن كثير وأبو عمرو على الاندواء واللام
 الكلام هند قوله تعالى وما يشعركم والباقون بالفتح فهى بمعنى لعل وهو شائع فى كلام العرب
 اتت السوق أنك تشتري لنا شئاً بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

اعاذل ما يدريك أن منىقى * الى ساعة فى اليوم أوفى ضحى غد

أى لعل منىقى وقرأ ابن عامر وحجزة لا تؤمنون بالتأنيص بالالكفار والباقون بالياء على الفية
 (وقلب أفندتهم) أى ونقول قلوبهم عن الحق فلا يفقهونه (و) تعلب (أبصارهم) عن الحق
 فلا يسمرونها فلا يؤمنون لأن الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الإيمان بقيت على
 الكفر (كالم يؤمنوا به) أى بما أنزل من الآيات (أول مرة) أى التى جاء بها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغيره من المعجزات الباهرات وقيل معجزات موسى
 وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى ولم يكفر واجماً وفى موسى من قبل وروى
 عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المرة الاولى دار الدنيا أى لوردوا من الآخرة الى الدنيا تعلب
 أفندتهم وأبصارهم عن الإيمان كالم يؤمنوا فى الدنيا قبل مجئهم كما قال تعالى ولوردوا لعادوا

لما نحن واعنه (ونذرهم) أي نذرهم (في طغيانهم) أي ضلالهم (بعمهون) أي يترددون مضطربين
 لانهم هم هداية المتقين (ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى) كما اقترحوا (وحشرنا) أي
 جمعنا (عليهم كل شيء قبلا) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهروا
 بصدقك والباقيون بضم القاف والباء جمع قبيل أي فوجا فوجا (ما كانوا يؤمنوا) لما سبق في علم
 الله وقوله تعالى (الآن يشاء الله) استثناء منقطع أي لكن ان شاء الله ايمانهم فيؤمنون أو
 استثناء من أعين الاحوال أي لا يؤمنون في حال الاحال مشيئة الله تعالى ايمانهم (ولكن أكثرهم
 يجهلون) أي أنهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهل ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
 أسند الجهل إلى أكثرهم لأن بعضهم معاندهم مع ان مطلق الجهل بعمهم فيشمل المعاندين ولكن
 أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيقسمون نزول الآية طمعا في ايمانهم (وكذلك) أي ومثل
 ما جعلنا لك أعداء من كفار الانس والجن (جعلنا لكل شيء) أي من كان قبلك (عدوا) ويبدل
 منه (شياطين) أي مرددة (الانس والجن) وفي هذا دليل على أن عداوة الكفرة للانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بفعل الله تعالى وخلقه (يوحى) أي يوسوس (بعضهم) أي الشياطين من النوعين
 (إلى بعض زخرف القول) أي موهبه من الباطل (غرورا) أي لاجل أن يغروهم بذلك (ولو شاء
 ربك) ايمانهم (ما فعلوه) أي هذا الذي أنبأ بك به من عداوتهم وما تنزع عليهم في هذا دليل ايضا
 فذرهم) أي اترك الكفرة على أي حال اتفقت (وما يفترون) من الكفر وغيره مما زين لهم
 وهذا قبل الامر بالقتال وقوله تعالى (واتصفي) عطف على غرورا ان جعل الله أي ولتقبل مبيلا
 قويا (البه) أي الزخرف الباطل (أفئدة) أي قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ليس
 في طبعهم الايمان بها لا غيب واهم لبلادهم واقفون مع وهمهم ولذلك استوات عليهم الدنيا
 التي هي من أصل الغرور ومتعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل شيء عداوا والمعزلة
 لما اضطرروا فيه قالوا اللام العاقبة وهو قول الزخشي في كشافه ان اللام للصيرورة
 (وليرووه) أي الزخرف الباطل لانفسهم (وليقتروا) أي يكتسبوا (ما هم مقترون) من
 الاثم فيعاقبوا عليها ونزل لما قال مشركوا قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا
 وبينك حكاما أحبار اليهود وان شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من
 أمرك (أنفرا الله) أي قل لهم يا محمد أفقر الله (ابنقي) أي أطلب (حكما) أي قاضيا بيني وبينكم
 (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) أي الاكمل المجز وهو هذا القرآن الذي هو تبيان لكل شيء
 (مفضلا) أي مبينا فيه الحق من الباطل (والذين آتيناهم الكتاب) أي المعهودوا من
 التوراة والانجيل والزبور (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) لما عندهم به من البشارة في كتبهم
 ولما آمن موافقتهم في ذكر الاحكام المحسنة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه
 ترقى القلوب وتفيض الدموع وتصدع الصدور مع ما يزيد به على ما في كتبهم من التفصيل بما يفهم
 المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية وانما وصف جمعهم بالعلم
 لان أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب كعبدة

الله بن سلام وأصحابه وقرأ ابن عامر وحفص بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون
 وتخفيف الزاي (فلان ككون) يا محمد (من المعتبرين) أى الشاكين فى أن علماء أهل الكتاب
 يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله وقيل فلا تكون فى شك عما قصصنا فيكون من
 باب التحريض فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وإن كان فى الظاهر للنبي صلى
 الله عليه وسلم إلا أن المراد به غيره أى فلا تكون أى بها الإنسان السامع لهذا القرآن فى شك أنه
 منزل من عند الله لمناقضه من الإعجاز الذى لا يقدر على مثله إلا الله تبارك وتعالى (وقت كلمات
 ربك) أى بلغت الغاية أخبارهم وأحكامهم ومواهبهم وقرأ عاصم وحجزة والكسائي بغير ألف
 بين الميم والتاء والباقون بالالف (صدقا) فى الأخبار والمواهب لا يقدر أحد أن يمدى فى شئ منها
 خدشا بخلاف شاعن مطابقة الواقع (وعدلا) أى فى الأقضية والأحكام ونصهما مع التمييز
 ويحتمل الحال والمفعول له (لا يبدل لكلماته) بنقض أو خاف بل كل ما أخبر به فهو كائن
 لا محالة رضى من رضى ومخط من مخط وقيل المراد بالكلمات القرآن لا يبدل له لا يزيد فيه
 المغيرون ولا ينقصون (وهو السميع) لكل ما يقال (العليم) بكل ما يفعل (وإن قطع أكثر من فى
 الأرض يضلوك عن سبيل الله) أى دينه وأكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة وقيل الأرض
 مكة وذلك أن المشركين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى كل المسئلة فقالوا للمسلمين
 انكم تزعمون انكم تعبّدون الله فكيف تأكلون ما قتلتم ولأننا نكون ما قتل ربكم فنزلت
 وقيل لا قطعهم فى اعتقاداتهم الفاسدة فأنك إن تطعمهم يضلوك عن سبيل الله أى يضلوك عن
 طريق الحق ومنهج الصدق ثم علل ذلك بقوله (إن) أى لأنهم ما (يتبعون) فى مجادلتهم لك
 (الالطون) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق (وإن) أى ما (هم إلا يحرضون) أى يكذبون على
 الله عز وجل ليعيا ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصله إليه وتحميل المسئلة
 وتحريم البهار ونحو ذلك (إن ربك هو) أى لا غيره (أعلم) أى عالم (من يضل عن سبيله وهو) أى
 لا غيره (أعلم) أى عالم (بالمهتدين) فيجازى كلامهم بما يستحقه وقوله تعالى (فكلموا عماذ كرام الله
 عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كانوا
 مما ذكر اسم الله تعالى على ذبحه ولأنما كانوا عماذ كرام عليه اسم غيره تعالى وأما حنف أنفه (إن كنتم
 بآياته مؤمنين) أى إن كنتم محققين الإيمان فكلموا عماذ كرام الله عليه فإن الإيمان يقتضى
 استباحة ما أحله الله تعالى واجتناب ما حرمه (ومالككم) أى أى تعرض لكم فى (إن لائما كانوا
 عماذ كرام الله عليه) من الذباح (وقد فصل) أى بين (لكم ما حرم عليكم) أى مما يحرم فى آية
 حرمت عليكم الميتة تفصيلا ووضح البيان ظاهر البرهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
 بضم الفاء وكسر الصاد والباقون بفحهما وقرأ نافع وحفص بفتح الحاء والراء والباقون بضم
 الحاء وكسر الراء (الما اضطررتم إليه) أى مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة (وإن
 كثيرا من الذين يجادلونكم فى كل الميتة ويحبسون عليكم فى ذلك بقولهم كيف تأكلون ما قتلتم
 ولا تأكلون ما قتل ربكم (ليضلوا بأهوائهم) أى بما تهوى أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها وقرأوا

عاصم وحزوة والكسائي بضم الياء والباقون بقصصها (بغير علم) يعتقدونه في ذلك وقيل المراد بذلك
 عمرو بن لحي فحن دونه من المشركين لانه أول من بجر البصائر وسب السواب وأباح الميتة وغير
 دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم (إن ربك هو أعلم بالمعتدين) أي الذين تجاوزوا الحق إلى الباطل
 والحرام إلى الحلال (وذرُوا) أي اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) أي ما علمتم به وما أسررت به من
 الذنوب كلها وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وبباطنه أفعال القلوب فيدخل فيه
 الحسد والكبر والعجب واردة الشر للمسلمين ونحو ذلك وقيل ظاهر الاثم الزناة في الحواشيت
 وباطنه المرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا (إن الذين يكسبون الاثم) في الدنيا بارتكاب
 المعاصي (سيجزون) في الآخرة (عما كانوا يفترون) أي يكسبون وظاهر هذا النص يدل على
 عقاب المذنب ومذهب أهل السنة انه اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا
 عنه بفضل الله اما اذا تاب من الذنب توبه صحيحة لم يعاقب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
 (ولانا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من
 الخنثى وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف
 أهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله تعالى عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء أترك
 التسمية عمدا أم نسيانا وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر الآية وذهب قوم إلى حلها
 مطلقا ويروي ذلك عن ابن عباس وهو قول الشافعي وأجد وذهب قوم إلى أنه ان ترك التسمية
 عامدا لم تحل أو ناسيا حلت وهو مذهب مالك ومن قال بالاباحة مطلقا قال المراد من الآية
 الميتات وما ذبح على غير اسم الله بدليل قوله تعالى (وإنه أنفق) أي ما ذبح على غير اسم الله كغير الله كما
 قال تعالى في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما إلى قوله أو فسقا أهل أغير الله به والضهير
 لما ويجوز أن يكون للكل الذي دل عليه لانا كلوا واحتجوا أيضا بإباحتها بما روي
 البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قالوا يا رسول الله ان هنا أقواما حديث
 عهد هم شرك ياوتنا بلحمان فلا ندري أيذرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله
 وكلا فلو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في جودها مانعا من أكلها كالشك في أصل
 الذبيح (وإن الشياطين ليوحون) أي يوسسون (إلى أوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم)
 في تحليل الميتة بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قلناه الله وهذا يؤيد
 التأويل بالميتة (وإن أظعنوهم) أي بإسفلال ما حرم (أنكم لمشركون) أي مثلهم
 في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا محرم الله أو حرم شيئا أحل
 الله فهو مشرك (أو من كان ميتا) أي بالكفر (فأحييناه) أي بالإيمان وانما جعل الكفر
 موتا لانه جعل الإيمان حياة لأن الحى صاحب بصيرة يتدى به إلى رشده ولما كان الإيمان يهدي
 إلى الفوز العظيم والحياة الأبدية تشبه بالحياة وقرأنا نافع بتشديد الياء والباقون بالتخفيف
 (وجعلناه نوراً يمتدحى به في الناس) أي بتجربته بالحق من غيره وهو الإيمان وقال قتادة هو كتاب
 الله القرآن بينة من الله مع المؤمنين به يعملون بها يأخذون بها ويتخون (كن مثله) أي كن هو

(في الظلمات) قتل فائدة (ليس بخارج منها) وهو الكافر أي ليس مثله نزلت هذه الآية في حجة ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وأبي جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل روى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرث فاخير حجة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قصصه ويده قوس وحجة لم يؤمن بعد فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يقول يا أبا يعلى ماترى ما جاء به سفة عقولنا وسفة آلهتنا وخالف آباءنا فقال حجة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقيل في عمر بن الخطاب أو عمار بن ياسر وأبي جهم (كذلك) أي كائين لاهو مدين إيمانهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي من المكفرو والمعاصي قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى زينا لهم أعمالهم وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ورد بالآية المذكورة (وكذلك) أي كما جعلنا فساق أهل مكة أكبرها (جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) أي عظماءها وأكابر جمع أكبر كأفضل وأفاضل وأسود وأسود ذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضغفاهم كما قال في قصة نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون وجعل فساقهم أكابرهم (ليكروا فيها) بالصدقة الإيمان وذلك أنهم أجلسوا على طرف مكة أربع نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون لكل من يقدم أياكم وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب فكان هذا مكبرهم (وما يكفرون الا بأنفسهم) لأن وبالهم يصح بهم (وما يشعرون) أي ومالهم نوع شعور بذلك (وأذا جاءتهم) أي أهل مكة (آية) على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (قالوا) لن نؤمن) به (حق نؤتي مثل ما أوتى رسل الله) أي من النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنى أكبر منك سناً وأكبر منك مالاً فترزت وقال مقاتل نزلت في أبي جهل حين قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كدري رهان قالوا من انبي يوحى اليه والله لا نرضى الا أن يأتينا وحى كما يأتيه وقوله تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالته) استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضايا نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجيب رسلاته من علم أنه يعلم لها وحيت مفعول به لفعل محذوف دل عليه أعلم لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهو لا يسوا أهلها وقرأ ابن كثير وحفص بنسب التاء ورفع الهاء ولا ألف قبل التاء على التوحيد والباقون بكسر التاء والهاء وألف قبل التاء على الجمع (سبب الذين أخرجوا) بقولهم ذلك (مغفار) أي ذل وهو أن (عند الله) يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله (وعذاب) أي مع الصغار (شديد) أي في الدنيا بالقتل والاسروفي الاخرة بالنار (بما) أي بسبب ما (كانوا يكفرون) من مدتهم الناس عن الإيمان وطلبهم ما لا يستحقونه (فمن رد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن يشرح له قلبه وينفسح قيل فهل لذلك أماره قال نعم الا نابة الى

دار الخلود والتجافي عن دار القرور والاستعداد للموت قبل لقي الموت (ومن يرد) أى الله
 (أن يفضله يجعل صدره ضيقاً) أى عن قبول الإيمان حتى لا يدخله وقرأ ابن كثير بسكون الياء
 والباقون بتشديد هاء الكسرة وقوله تعالى (حرجاً) قرأه نافع وأبو بكر بكسر الراء أى شديد
 الضيق والباقون بالغنة وصفا للمصدر وفى الآية دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله وأرادته
 حتى إيمان المؤمن وكفر الكافر (كأنما يصعد فى السماء) أى يشق عليه الإيمان كما يشق عليه
 صعود السماء شبه ما لغته فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه وقرأ ابن كثير بسكون الصاد
 وتخفيف العين من غير ألف بعد الصاد وقرأ شعبة بتشديد الصاد وتخفيف العين وألف بعد الصاد
 بمعنى يتصاعد (كذلك) أى مثل ما جعل الله الرجس على من أراض لاهل من أهل هذا الزمان
 (يجعل الله الرجس) أى العذاب أو الشيطان أى يسلمه (على الذين لا يؤمنون) وقال الزجاج
 الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب (وهذا) أى الدين الذى أنت عليه يا محمد (صراط) أى
 طريق (بذلك مستقيماً) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للبعثة والعامل فيها معنى الإشارة
 (قد فصلنا) أى بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء فى الأصل فى الذال أى يعطلون
 فيعلمون أن القادر على كل شئ هو الله عز وجل وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وقدره
 وخلقته وأنه تعالى عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وخصوا بالذكر لأنهم المتفكرون
 (لهم) أى المتدكرين (دار السلام) هى الجنة وأضافها لنفسه فى قول جميع المفسرين فإن
 السلام كما قال الحسن هو الله تعالى تشریفها وأقيمتم فيها سلاماً أو أراد بهادار السلامة
 (عند ربهم) أى ذخيرة لهم عنده لا يعلم كتبها غيره (وهو وليهم) أى المتكفل بتولى أمورهم
 ولا يكلمهم إلى أحد سواه (بما) أى بسبب ما (كانوا يعملون) من الأعمال الصالحة التى كانوا
 يتقربون بها إليه فى الدنيا (و) اذكر يا محمد (يوم نحشرهم) أى الخلق (جميعاً) أى لا تترك منهم
 أحداً وقرأ حفص بالياء والباقون بالنون وقوله تعالى (يا معشر الجن) فيه حذف تقديره
 ويقال لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس)
 أى من أضلالهم وأغوائهم حتى صاروا أكثرهم اتباعكم (وقال أولياؤهم) أى الذين أطاعوهم
 (من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض) أى اتفَعَ الانس بقرين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة
 الانس لهم (وبلفنا اجلنا الذى أجلت لنا) أى أن ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت
 محدد ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن الاجل الموت وقيل هو وقت البعث
 للحساب فى القيامة (قال) الله تعالى على لسان الملائكة لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من
 الجن والانس (التارمواكم) أى ماوأكم (خالدين فيها) أى الى ما لا آخر له فان الجزاء
 من جنس العمل (الامأشاه الله) أى من الاوقات التى يتقلبون فيها من النار الى الزمهرير فقد
 روى انهم يدخلون وادبا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعارون ويطلبون
 الرقائى بالحميم وقيل الامأشاه الله قبل الدخول قدر مئة بعثهم ووقوفهم للحساب وقال ابن عباس
 الاستثناء يرجع الى قوم سبق في علم الله انهم يسلمون فيضربون من النار قال البغوى فابغى من

على هذا التأويل (إن ربك حكيم) في صنعه (عليم) بعواقب أمور خلقه وما هم صائرون إليه
 (وكذلك) أي كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (فولي) من الولاية (بعض الظالمين
 بعضاً) أي على بعض روى عن ابن عباس هو أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً
 ولي أمرهم خیارهم وإذا أراد بقوم شراً ولي أمرهم شرارهم (بما) أي بسبب ما (كانوا
 يكسبون) من الكفر والمعاصي (بامعشر الجن والانس) لم يأتكم رسل منكم) أي من مجموعكم
 وهم الانس إذا رسل منهم خاصة ولكن لما جمع الجن مع الانس في الخطاب صح ذلك ونظيره قوله
 تعالى يخرج منهم اللؤلؤ والمرجان فان ذلك يخرج من الملح دون العذب أو ان رسل الجن نذرهم
 الذين يسمعون كلام الرسول فيبلغون قومهم كما قال تعالى وإذا صرفنا إليك نعمنا من الجن الآية
 وتعلق بظاهر الآية قوم فقالوا بعث الى كل من الثقلي رسل من جنسهم (يقصون عليكم آياتي)
 أي يخبرون بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحدي ونصدي رسلتي (وسيدونكم لقاء
 يومكم هذا) أي ويحذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة (فالواشهدنا
 على أنفسنا) أي اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا
 وأنهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال
 الله تعالى (وعزتهم الحياة الدنيا) أي انما كان ذلك بسبب انهم عزتهم الحياة الدنيا وما والاها
 (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي في الدنيا (فان قيل) كيف أقروا على أنفسهم
 بالكفر في هذه الآية ويحمدوا في آية أخرى وهي قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (أجيب)
 بتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاوّل فيقرون في بعضها ويحمدون في بعض آخر
 (فان قيل) لم تكرر شهادتهم على أنفسهم (أجيب) بأن الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون
 وكيف يعترفون والثانية ذمهم على سوء نظرهم وخطار أيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية
 والذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلمة حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى
 الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير السامعين عن مثل حالهم (ذلك)
 أي ارسال الرسل (أن) أي لاجل أن (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أي بسبب ظلم ارتكبهوه
 (وأهلها غافلون) أي لم يتنبهوا برسول بين لهم (واكل) أي من العاملين بطاعة أو معصية (درجات)
 أي جزاء (مما عملوا) أي من خير وشر ان كان خيراً فخير وان كان شراً فشر وانما سميت درجات
 لتفاضلها في الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج (ومار بك بغافل عما تعملون) أي عن شيء
 يعمله أحد من الفريقين بل هو عالم بكل شيء من ذلك وبما يستحقه العامل من ثواب أو عقاب وقرأ
 ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة والباقون بالباء على الغيبة (وربك الغني) أي الغني
 المطلق عن كل عابد وعبادته فليعمل العامل لنفع نفسه أو ضررها (ذو الرحمة) أي التجاوز عن
 خلقه فمن رحمة ارسال الرسل وتأخير العذاب عن المذنبين اعلمهم يتوبون ويرجعون (ان بشأ
 يدعيتكم) أي أهل مكة بالهلاك فقيه وعبد وتهديد لهم (ويستخلف من بعدكم) أي بعد اهلاككم
 (ما يشاء) أي خلقاً غيركم أمثل وأطوع منكم (كما أنشأكم من ذرية) أي نسل (قوم)

آخرين) اذهبهم لم يكونوا على مثل صفيتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام ولكنه ابقاكم
 رجة بكم (انما وعدون) من مجي الساعة والبعث بعد الموت والخسر للعاصب يوم القيامة
 (لا ت) لاحالة (وما أنتم بمجزيين) أي فاقين عذابنا (قل) يا محمد لقومك من كفار قريش
 (يا قوم اعملوا على مكاتبتكم) أي حالسكم التي أنتم عليها (اني عامل) على حلقى التي انا عليها
 والمعنى ائتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والتمديد
 بصيغة الامر صالفة في الوعيد (فسوف تغلزون) غدا في القيامة (من) موصولة بفعل العلم
 (تكون لعاقبة الدار) أي العاقبة المحجودة في الدار الآخرة أشنع أم أنتم (انه لا يفلح) أي
 بسعد (الظالمون) أي الكافرون (وجعلوا) أي كفار مكة (لله بما ذروا) أي خلق (من الحزن) أي
 الزرع (والانعام نصيبا) فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا الشركائنا. وذلك أن المشركين كانوا يجعلون
 قه من حروثهم وانعامهم وغارهم وسائر أموالهم نصيبا وللانعام نصيبا فجعلوه لله صرفوه الى
 الضيفان والسالكين وجعلوه للانعام أنفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شيء من نصيب
 الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك اواقتص شيء مما
 جعلوه لله يسألوا به واذا هلك شيء مما جعلوه للانعام جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله تعالى (فما
 كان لشركائهم) أي مما جعلوه لها من الحزن والانعام (فلا يصل الى الله) أي بلهنته فلا
 يعطونه للمساكين ولا يتفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) وفي قوله تعالى
 مما ذرأ تنبيهه على فرط جهالتهم فانهم أشركوا مع الخالق تعالى في خلقه جبارا لا يقدر على شيء
 ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له وفي قوله تعالى بزعمهم تنبيهه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم
 الله تعالى به وقرأ الكسائي برفع الزاى والباقيون بالنصب (سأه) أي بشر (ما يحكمون) حكمهم
 هذا (وكذلك) أي ومثل ما ذكرنا من جميع المشركين نصيب أموالهم والكفر بربهم شركاؤهم
 (زين) لكثير من المشركين قتل أولادهم) أي بالوادخنية الاملاق (شركاؤهم) من الجن
 أو من السدنة أي الخدمة وقرأ غير ابن عامر بفتح الزاى والياء ونصب لام قتل وكسر دال
 أولادهم وشركاؤهم بالواو مضبوطة الهمزة على أنه فاعل وقرأ ابن عامر بضم الزاى وكسر الياء
 ورفع لام قتل ونصب دال أولادهم وشركائهم بالياء مكسورة الهمزة باضافة القتل اليه مفصولا
 بينهم ما يفعله قال البضاوي تعالى مخشري وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورة
 الشعر اه وقد أنكر جماعة على الزمخشري في ذلك بأن القراءة المذكورة صحيحة متواترة
 وزكيها صحيح في العربية فلا يجوز الطعن فيها ولا في نافيها قال التفناني وهذا على عادة
 بطعن في متواتر القراءات السبع ويسند الخطأ تارة اليهم كما هنا وتارة الى الرواية عنهم وكلاهما
 خطأ لأن القراءات متواترة وكذا الروايات عنهم وأطال في بيان ذلك وقال ابن مالك في كافيته
 اضافة المصدر الى الفاعل مفصولا بينهم ما يفعله المصدر جازية في الاختيار اذ لا يحدو وفيها مع أن
 الفاعل يجوز من عامله فلا يضر فصله واضافة القتل الى الشركاء الامرهم (ليردوهم) أي
 ليلسكوهم بذلك الفعل الذي أمرهم به والارادة في اللغة الاهلاك وقال ابن عباس ليردوهم

قوله مع أن الفاعل
 الخفية تأمل

في النار (وللبسوا) أي وليخطوا (عليهم دينهم) قال ابن عباس ليس دخلوا عليهم الشك في دينهم
وكلا على دين ابراهيم واسماعيل عليهم الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاصنام وزينوها لهم
(ولوشاء الله) عصمة هؤلاء من ذلك الصيغ الذي زين لهم (ما فعلوه) فجميع الاشياء بعينته
وارادته (قد رهم) أي اتركهم يا محمد (وما يفترون) أي وما يخترعون من الكذب على الله فان الله
لهم بالمرصاد وفي ذلك تهديد لهم كما مر (وقالوا) أي المشركون صفها وجهلا (هذه) إشارة الى
قطعة من أموالهم عينوها لآلهم (أنعام وحرن حجر) أي حرام محجور عليه لا يصل أحد اليه
وهو وصف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات
(لا يطعمها) أي لا يأكل منها (الامن نشاء) أي من خدمة الاوثان والرجال دون النساء
(برعهم) أي لاجبة لهم فيه (وانعام حرمت ظهورها) أي فلا يركبونها كالبحار والسواحب
والحوامى (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) أي عند ذبحها وانما كانوا يذكرون عليها اسم
الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل خبر لان العائد لما جرت به كراهة على الخبير
ذم هؤلاء على ترك فعل الخير ونسبوا ما فعلوه الى الله تعالى (اقتراء عليه) أي اختلافا وكذبا انه
أمرهم بها (سجيزهم) أي بوعد صادق لا خلف فيه (بما) أي بسبب ما كانوا يفترون وقالوا ما في
بطون هذه الانعام أي أجنة البعائر والسواحب وقوله تعالى (خالصة) حلال (لذكورا) أي
خاصة بهم دون الاناث كما قال تعالى (ومحرم على أزواجنا) أي النساء وحذف الهاء من محرم
اما جلا على اللفظ وتحققا لان المراد بخاصة المبالغة (وان يكن) أي ما في بطونها (مينة فهم
فيه شركاء) أي الذكورا لاناث فيه سواء أي أن ما ولد منها حيا فهو لذكور دون الاناث وما ولد
منها ميتا كله الذكور والاناث جميعا وقرأ ابن عامر وشعبة بالتأنيث تكن والباقون بالتذكير
وقرأ ابن كثير وابن عامر مينة بالرفع على أن تكن تامة والباقون بالنصب على أنها ناقصة
(سجيزهم) الله (وصفهم) أي سيكافئهم على وصفهم بالكذب على الله تعالى بالتحليل والتحرير
(انه) أي الله (حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (قد خسر الذين قتلوا أولادهم صفها) أي جهلا
(بغير علم) نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يفتنون البناث أحياء مخافة
السبي والفقر وكان ينو كناية لا يفعلون ذلك وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه
بأن الله هو رازق أولادهم لان الجهل كان غالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا هو اجاهلية وسبب هذا الخسران أن أولاد النعمة عظيمة أنعم الله تعالى بهم اعلی الوالد
فاذا نسب في الزالة هذه النعمة وابطالها فقد استوجب الدم وخسر في الدنيا والآخرة أما
خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما أنعم الله تعالى به عليه وأما خسارته في الآخرة
فقد استوجب بذلك العذاب العظيم وقرأ أبو عمرو وابن عامر بشدة التاء والباقون بالتخفيف
(وحرما ما رزقهم الله) وتفضل به عليهم رجة لهم من تلك الانعام والغلات بغير شرع ولا نفع
يوجه (اقتراء) أي تعصا الكذب (على الله) وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجرادة على
الله والكذب عليه من أعظم الذنوب والكبر والبرول هذا قال تعالى (فخذوا) أي في فعلهم عن

قوله أو تحقفا لان
المراد الخ لا يعنى
ما فيه وعبارة
الكشاف وأنت
خالصة للعمل على
المعنى لأن ما في
معنى الاجتهاد وذكر
محرم للعمل على
اللفظ وتظهر ومنهم
من يستمع اليك حتى
إذا خرجوا من
عندك ويجوز أن
تكون التاء للمبالغة
منها في رواية
الشعروان تكون
مصدرا وقع موقع
الخالص كالعاقبة
أي ذو خالصة وبديل
عليه قراءة من قرأ
خالصة بالنصب على
ان قوله لذكورا
هو الخبر وخالصة
مصدرا وكذا ولا
يجوز أن يكون حالا
متقدمة لان المجزوء
لا يتقدم عليه حاله
وقرأ ابن عباس
خالصة على الاضافة
وفي مصحف عبد الله
خالص اه

الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) أى الى طريق الحق والصواب فى فعلهم روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال اذا سر لنا أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا ولادهم سفها الى قوله وما كانوا مهتدين وروى عن مهدي بن سميون أنه قال سمعت ابا رجاء العطاردي يقول كنا بعد الحجر فاذا وجدنا نجرا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر واذا لم نجد حجرا جمعنا حشوة من تراب ثم جئنا بالشاة فلبنا عليه ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة فلان دع رحما فيه حديدية ولا سم ما فيه حديدية الا نزعناه فألقيناه فى رجب (وهو الذى أنشأ) أى خلق (جنات) أى بساين (معروشات) أى مبسوطات على الارض كالطبيع والقنا (وغير معروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل وشجر الرمان وقال الضحالة كلاهما فى الكرم خاصة لان منه ما يعرض بأن يبقى على وجه الارض منبسطا ومنه ما لم يعرض بأن يرتفع على ساق وقيل المعروشات ما عرشته الناس فى البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير المعروشات هو ما أنبتته الله تعالى فى البرارى والجبال من كرم أو نخيل (و) أنشأ (النخل والزرع مختلفا كله) أى غره وجهه فى الهيئة والطعم منها الخلو والحامض والجيد والردى والغدير للزرع والباقي مقيس عليه وألنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه وألجمع مع على تقدير كل ذلك أكل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء وقرأ نافع وابن كثير يعجز الكاف والباقون بالرفع (والزيتون والرمان متشابهان) أى ورقيهما (وغير متشابه) أى فى طعمهما وقيل متشابهين فى المنظر مختلفين فى الطعم * ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلى وهو الانتفاع بها فقال تعالى (كاوا من غره) أى كل واحد من ذلك (اذا أغمر) أى ولو قيل نضجه وهذا أمر باحة وأما قوله تعالى (وأنواحقه يوم حصاده) فالامر فيه للوجوب والالية مدينة والحق هو الزكاة المفروضة والامر بالتأخير يوم الحصاد ليتم به حينئذ حتى لا يؤخره عن أول وقت يمكن فيه الاتناء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتسقيه وقيل الالية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخته افتراض العشر ونصف العشر وقرأ أجرة والكسافى برفع الثاء والميم من غره والباقون بنصبهم ما وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح حاء حصاده والباقون بكسرها ومعناها واحد (ولانسرفوا) أى باعطا كلكه فلا يبقى لعمالكم شئ روى أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة فخله وقسمها فى يوم واحد ولم يترك الا لهلشا فترت (انه لا يحب المسرفين) أى المتجاوزين ما حذر لهم وفى ذلك وعيد وزجر عن الاسراف فى كل شئ قال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله تعالى وقال لو كان أبو قيس ذهب الرجل أفنقه فى طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو أفنق درهمها واحدا أو مديا فى معصية كل مسرفا وقوله تعالى (ومن الانعام) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام (جولة) أى صالحة للعمل عليها كالابل الكبار والبغال (وفرشا) أى لانصلح للعمل كالابل الصغار والبعاجيل والغنم سميت فرشا لانها كالفرش للارض لدنوها منها وقيل هو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كاوا اعماركم الله) أى

مما أحله لكم من هذه الانعام والحرث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طارئة في التحليل
والعهر يم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية وقرأ قبل وابن عامر وحفص والكسائي بضم
الطاء والباقون بالسكون (أنه) أي الشيطان (لكم عدو مبين) أي بين العداوة وقوله تعالى
(غاية أرواح) أي أصناف بدل من جملة وفرشوا الروح لغة الفرد إذا كان معه آخر من
جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال لآل كرز زوج
وللاثنى زوج (من الضأن) زوجين (اثنين) أي ذكر وأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم
والذكر ضأن والآنثى ضائلة والجمع ضوائن (ومن المعز) زوجين (اثنين) أي ذكر وأنثى وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين والباقون بالسكون والمعز والمعزى جمع لا واحد له من
لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم وقال المغوى جمع الماعز معز وجمع الماعزة ماعز (قل)
يا محمد لن حرم ذكر كور الانعام نارة وانها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكورا أو أنثى أو مختلطة
نارة ونسبوا ذلك لله تعالى (الذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله عليكم (أم الاثنين) منهما
(أما) أي أم حرم ما (اشتلت) أي انضمت (عليه أرحام الاثنين) ذكرًا كان أو أنثى (بنوفى) أي
أخبروني (بعلم) عن كيفية ذلك بأمر معلوم من جهة الله تعالى على غير محرم ما حرمتم (ان كنتم
صادقين) فادعواكم والاستفهام للانكار والمعنى من أين جاء التحريم فان كان من قبل
الذكورة فجميع الذكور حرام وان كان من قبل الاوثة فجميع الاناث حرام أو من قبل اشتغال
الرحم فالزوجان حرام فن أن التخصيص * (نبيه) * اتفق القراء على أن في همزة الوصل وهي
التي بين همزة الاستفهام والام التعريف وجهين وهما البدل والتسهيل والبدل هو مدها
مبدلة والتسهيل هو ان تقصر هاء مسهلة (ومن الابل اثنين) ذكرًا وأنثى (ومن البقر اثنين) كذلك
(قل) يا محمد لهؤلاء الذين اختلفوا جهلا وسفها (الذكرين حرم) الله عليكم (أم الاثنين) منهما
(أما) أي أم حرم ما (اشتلت) أي انضمت (عليه أرحام) الاثنين ذكرًا كان أو أنثى (أم كنتم)
أي بل أن كنتم (شهداء) أي حاضرين (اذوصاكم الله بهذا) أي حين وصاكم بهذا التحريم
اذ أنتم لا تؤمنون بي فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا بالمشاهدة والسمع فكيف
تثبتون هذه الاحكام وتسمونها الى الله تعالى * ولما احتج عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا سند لهم في
ذلك قال تعالى (فن) أي لأحد (أظلم من افترى) أي نعمد (على الله كذبًا) كعمر بن لحي فانه
أول من يجر الجاهل وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل
من كان على طريقتة أو ابتدأ شألم بأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان القطع عام
فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد (ليضل)
الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يرشد ولا يوفق من كذب عليه وأضاف
اليه ما لم يشرع لعباده * ولما بين سبحانه وتعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من
التحريم والتحليل من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموا ممن المعلومات أتبعه
بالبيان الصحيح في ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال

قوله والمعز والمعزى
جمع لا واحد له الخ
الذى فى حاشية زاد
أن معز بفتح العين
وسكونها لقسان
فى جمع ماعز وقد
تقدم أن فاعلا
يجمع نارة على فعل
كأجر وتجر وعلى
فعل أخرى فحو
خادم وخدم ويجمع
أيضا على معزى هـ

تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الجهلة الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم (لا أجد في ما أوحى
 إلى محرمي) أي طعما محرما محرما مقبوه (فائدة) • في ما أوحى إلى في مقطوعة من ما في الرسم
 (على طاعم) أي طاعم كان من ذكر أو أنثى (يطعمه) أي يتناولها أكل أو شربا أو دواء وغير ذلك
 (الآن يكون) أي ذلك الطعام (ميتة) وهي كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية وقرأ ابن كثير
 وابن عامر وحزرة ~~تكون~~ بالتأنيث والباقون بالتذكير ورفع ميتة ابن عامر على أن كان هي
 التامة وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى (أو دما مسفوحا) عطف على أن مع ما في حيزه أي
 الوجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوحا كالدّم في العروق لا كالكدب والطحال (أو لحم خنزير
 فاته) أي الخنزير (رجس) أي نجس فالخنزير يعود على المضاف إليه لأن اللحم دخل في قوله ميتة
 وحينئذ في الآية دلالة على نجاسة الخنزير وهو حي فلحمه وكذلك أسائر أجزائه بطريق الأولى ثم
 اني رأيت البقاع في تفسيره جرى على ذلك وقوله تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) أي ذبح على
 اسم غيره عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (تنبيه) • ظاهر الآية أن المحرمات
 محصورة في هذه الأربعة وأنه لا يحرم شيء من سائر الأطعمة والحلويات وغيرها وهي الميتة
 والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على اسم غير الله تعالى ويرى ذلك عن ابن عباس وعائشة
 وسعيد بن جبيرة رضي الله تعالى عنهم لأنه ثبت أنه لا طريق إلى معرفة المحرمات إلا بوحى وثبت أن
 الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الأربعة أشياء وقال تعالى في سورة البقرة أنما حرم عليكم
 الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وأنما نفى الحصر فصارت هذه الآية المدينة
 مطابقة للآية المكية في الحكم ولكن الذي ذهب إليه جمهور العلماء أن التحريم لا يختص
 بهذه فقط بل المحترم ما كان بنص كتاب أو سنة وقد وردت السنة بتحريم أشياء غير ذلك منها تحريم
 الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع أو مخالب من الطيور وورد النهي عن أكل الهر وأكل غنمه
 ويحرم أيضا كل ما أمر بقتله كالحدأة والغراب الأبقع وأنهى عن قتله كالهدد والخفاش وما
 لافص فيه بتحريم أو تحليل أو ما يدل على أحدهما كالأمر بالقتل والنهي عنه ان استطابته عرب
 ذوو يسار وطباع سليمة حال رفاهة حل وان استغنوه فلا يحل فإن اختلفوا في استطابته اتبع
 الأكثر فإن استوا فقرش لانهم قطب العرب وفيهم الفتوة فإن اختلفت أولم تحكم بشيء اعتبر
 الاشبه به من الحيوانات فإن استوى الشبهان أولم يوجد ما يشبهه خلال لهذه الآية وما جهل
 اسمه على تسمية العرب له مما هو حلال أو حرام • ولما حرم الله تعالى هذه الأشياء أباح أكلها
 عند الاضطرار بقوله تعالى (فمن اضطر) أي حصل له جوع خفي منه التلف (غير باغ) أي على
 مضطر مثله (ولا عاد) أي ولا متجاوز قدر الضرورة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والنكسافي
 بضم النون في الوصل والباقون بالكسر (فإن ربك غفور) لا يؤاخذ به إلا كل (رحيم) به حيث
 أباح له ذلك (وعلى الذين هادوا) أي اليهود واليهود علم على قوم موسى عليه الصلاة والسلام
 وهو أبى اشتقاقا من هادوا أي مالوا الماعن عبادة الجبل واما عن دين موسى عليه السلام أو من
 هادوا يرجع من خبر إلى شر ومن شر إلى خير لكثرة اتقاهم عن مذاهم وقيل لانهم يتهودون أي

يُحَرِّمُونَ كُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ التَّوْرَةِ وَقِيلَ مَعْرَبٌ مِنْ يَهُودَ ابْنِ يَعْقُوبَ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ ثُمَّ نَسَبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ
يَهُودِيٌّ ثُمَّ حَذَفَ الْمَاءَ فِي الْجَمْعِ فَقِيلَ يَهُودٌ (حَرَّمَ) أَيْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ عَلَيْهِمْ (كُلُّ ذِي ظَفَرٍ) أَيْ
مَا هُوَ كَالصَّبِغِ لِلْأَدَمِيِّ مِنْ دَابَّةٍ أَوْ طَيْرٍ وَكَانَ بَعْضُ ذَوَاتِ الظُّفْرِ حَلَالًا لَهُمْ فَلَمَّا ظَلَمُوا أَحْرَمَ عَلَيْهِمْ
فَمُ التَّحْرِيمِ كُلُّ ذِي ظَفَرٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتُ أَحْلَتْ لَهُمْ
(وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْأَغْنَمِ) أَيْ الَّتِي هِيَ ذَوَاتُ الْأُظْلَافِ (حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) أَيْ الصَّنْفَيْنِ وَالْمُرَادُ
شُحُمُ الْجُوفِ وَهُوَ الثَّرْوَبُ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ هُوَ شُحْمٌ قَدْ غَشِيَ الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءَ رَقِيقٌ ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنْ
الشُّحُومِ مَا ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ (أَلَا مَا حَلَّتْ ظُهُورُهَا) أَيْ الْأَمْعَاءُ عُلِقَ بِالظُّهْرِ وَالْجَنْبِ مِنْ دَاخِلِ بَطُونِهَا
(أَوَ الْحَوَايَا) أَيْ مَا حَلَّتْهُ الْحَوَايَا وَهِيَ الْأَمْعَاءُ الَّتِي هِيَ مَعَاطِفُهُ مَلُوبَةٌ جَمْعُ حَوْبَةٍ قَوْزُهَا فَعَالٌ
كَسْفِينَةٍ وَسَفَنَانٍ وَقِيلَ جَمْعُ حَوْبَةٍ أَوْ حَوَايَا كَقَصَاعَةٍ فَهُوَ فَوَاعِلٌ (أَوْ مَا اخْتَلَطَ) أَيْ مِنَ الشُّحُومِ
(بِعَقْلِهِ) مِثْلُ شُحْمِ الْإِلَهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحْرَمُ عَلَيْهِمْ رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَامُ الْفَتْحِ وَهُوَ
عَمْرُكَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَرَّمَ يَسَعَ الْخَمْرَ وَالْمَيْسَةَ وَالْخَنزِيرَ وَالْأَصْنَامَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ
الْمَيْسَةِ فَأَمَّا تَطْلُبُ بِهَا السُّفْنَ وَيَدْنُ بِهَا الْجُلُودَ وَيُسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ أَيْ يَحْتَمِلُهَا
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتِلَ اللَّهِ الْيَهُودَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَا أَجْلَاهُ أَيْ أَذْبَاهُ ثُمَّ بَاعُوهُ وَكَانُوا شَهْدَةً (ذَلِكَ) أَيْ التَّحْرِيمُ الْعَظِيمُ وَهُوَ تَحْرِيمُ الطَّيِّبَاتِ
(جَزِيَّتُهُمْ) بِهِ (يَسْغِيهِمْ) أَيْ بِسَبَبِ مَجَاوِزَتِهِمُ الْحُدُودَ (وَأَنَا لَصَادِقُونَ) أَيْ فِي الْأَخْبَارِ عَامِرُنَا
عَلَيْهِمْ وَعَنِ يَغْيِهِمْ (فَأَنْ كَذَبُوا) أَيْ الْيَهُودِيَّ مُحَمَّدًا فِيمَا أَخْبَرَنَا بِهِ عَنْهُمْ (فَقِيلَ) لَهُمْ (رَبِّكُمْ ذُورَجَةٌ
وَاسِعَةٌ) أَيْ بِأَخْبَارِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ فَلَمْ يَعْجَلْ كَلِمَةً بِالْعَقُوبَةِ فِي ذَلِكَ تَلَطُّقًا بِعَائِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ
(وَلَا يَرْبَأُ سَهَةً) أَيْ عِقَابُهُ (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) إِذَا جَاءَ وَقْتُهُ وَقَبْلَ ذُورَجَةٍ وَاسِعَةٍ لِلْمُطِيعِينَ
وَذُوبِاسٍ شَدِيدٍ لِلْعَجْرَمِينَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) أَخْبَارُ عَنْ مَسْتَقْبَلِ وَقُوعِ مَخْجَرِهِ
يَدُلُّ عَلَى الْعِجَازِ وَلَمَّا لَزِمَهُمُ الْحُجَّةُ وَتَيَقَّنُوا بِإِطْلَاقِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يَحْرَمْهُ
اللَّهُ قَالُوا (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حُرْمَانًا مِنْ شَيْءٍ) أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا قَوْلَهُمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكْنَا حُجَّةً لَهُمْ عَلَى أَقَامَتِهِمْ عَلَى الشِّرْكِ وَقَالُوا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ فَادْرَيْ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ
حَتَّى لَا تَفْعَلَهُ فَلَوْلَا أَنَّهُ رَضِيَ مَا نَحْنُ فِيهِ وَارَادَهُ مِنَّا وَأَمْرُنَا بِهِ لَحَالٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
تَكْذِيبًا لَهُمْ (كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أَيْ مِنْ كَذِبِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ (حَتَّى ذَا قُوا أَبَاسًا)
أَيْ عَذَابُنَا وَيَسْتَدِلُّ أَهْلُ الْقَدَرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُونَ أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا كَذَبَهُمْ
اللَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَأَجَابَ أَهْلَ السَّنَةِ بِأَنَّ التَّكْذِيبَ لَيْسَ
فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا بَلْ ذَلِكَ الْقَوْلُ صَدَقَ وَلَكِنْ فِي قَوْلِهِمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ مَا نَاهَى وَرَضِيَ
مَا نَحْنُ عَلَيْهِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً قَالُوا وَاجِدْنَا لَهَا آيَةً
وَاللَّهُ أَمْرُنَا بِالْقَوْلِ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَيْسَ بِاللَّيْلِ عَلَى أَنْ
التَّكْذِيبُ وَرَدَّ فِيمَا قُلْنَا فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِالتَّشْدِيدِ
وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ خَبَرًا مِنَ اللَّهِ عَنْ كَذِبِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا لَقَالَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ

قبلهم بالتخفيف وكان ينسبهم الى الكذب لالى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو ذكروا
هذه المقالة تعظيما واجلالا لله تعالى ومعرفة منهم لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال ولو شاء الله
ما أشركوا وقال تعالى وما كانوا بمؤمنين الا أن يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكن المشركين
قالوا تكذبا وتحرىضا وجسدا لمن غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله تعالى وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون وقد علم من ذلك ان امر
الله تعالى بعزل عن مشيئته وارادته فانه مراد جميع الكائنات غيرا مراد جميع ما يريد وعلى
العبد أن يتبع امره وليس له أن يتعلق بعشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد (قل) يا محمد
لهؤلاء المشركين القائلين ماذا كره (هل عندكم) أي الجاهل (من علم) أي من امر معلوم يصح
الاحتجاج به على ما زعمتم من تحريم ما حرمت وان الله راض بشركم (فقرجوه لنا) أي
فتظهروه لنا وتبينوه لنا كما بينا لكم خطأكم (ان) أي ما تتبعون في ذلك (الا الظن) أي فيما
أنتم عليه ولا علم عندكم (وان أنتم الا تخرصون) أي وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون
على الله تعالى الباطل (قل) لهم حين عجزوا عن اظهار الحق (فله الحق البالغة) أي التامة على
خلقه بانزال الكتب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لاجحة لاحد عصى الله وأشرك به على
الله ولكن الله الحق البالغة على عباده (فلو شاء) الله هدايتكم (أهداكم أجمعين) ولكنه لم يشأ ذلك
بل شاء هداية بعض وضلال بعض آخر فوقع ذلك على الوجه الذي شاء لا يستل عما يفعل (قل)
لهم (هل) أي أحضروا (شهداء) هم الذين شهدون لكم (ان الله حرم هذا) أي ما تقدم من
تحريمهم الاشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به وهلم اسم فعل لا يتصرف يستوى فيه
الواحد والاثمان والجمع والمذكر والمؤنث عند الجازين وعند بني نعيم فعل مؤنث وبني وجموع
(فان شهدوا) أي فان تجرؤا على الشهادة كذبا (فلا تشهدهم) أي فاطركمهم ولا تسلم لهم
فانهم على ضلال وليست شهادتهم مستفادة الى الهوى (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا)
انما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحق
لا يكون الا مصدقا بها (ولا تتبع أهواء) الذين لا يؤمنون بالآخرة التي هي دار الجزاء فانهم
لوجوزوها ما اجتروا على ذلك (وهم برهم يعدلون) أي يشركون فيجعلون له عديلا (قل) لهم
(تعالوا) أي اقبلا على (أتل) أي أقرأ (ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا) وذلك أنهم
سألوا وقالوا أي الذي حرم الله فأمر الله تعالى نبيه أن يبين لهم ذلك (فان قبل) ما معنى قوله
تعالى حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به والحرم هو الشر لا ترك الشر (أجيب) بأن موضع أن
رفع أي هو أن لا تشركوا وقيل نصب واختلقوا في وجهه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا ولا
صلة بكفوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أي ما منعك أن تسجد وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم
ثم قال عليكم ان لا تشركوا به شيئا على وجه الاغراء وقال الزاج يجوز أن يكون هذا محجولا على
المعنى أي أتل عليكم تحريم الشر وجاز أن يكون على معنى أو صيغكم أن لا تشركوا (وبالوالدين
احسانا) أي فأحسنواهم احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة

على أن تزل الأساءة في شأنهم غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا أولادكم من أملاق) أي من
 أجل فقر تحافونه والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحياء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية
 فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرم عليهم وقوله تعالى (نحن نرزقكم وبآبائهم) منع لموجبة ما كانوا
 يفعلونه لأجله واحتجاج عليهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام
 بحق الولد وتربيته والاتكال في أمر الرزق على الله (ولا تقر بوا القواحسن) أي سائر المعاصي
 (ما ظهر منها وما بطن) أي علانيتها وسرها وقبل المراد الزنا علانيته وسرها وكان أهل الجاهلية
 يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية
 وأجاب الأول بأن السبب إذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم ثم صرح بالقتل لشدة
 أمره بالتخصيص بعد التعميم فقال (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) عليكم قتلها (الابالحق)
 وهي التي أبيع قتلها بردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم أو نحو ذلك قال
 صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا بحد يثلاث
 الذنب الزاني والنفس بالنفس والتاركة لدينه المذاري للجماعة وقوله تعالى (ذالكم) إشارة إلى
 ما ذكره مفسلا (وصاكم به) أي أمركم به وأوجه عليكم (أعلمكم تعقلون) أي تدبرون
 ما في هذه التكليف من الفوائد والمنافع فإن كمال العقل هو التدبر (ولا تقر بوا مال البنييم)
 أي بنوع من أنواع عمل فيه أو غيره (الاباتي) أي بالخصة التي (هي أحسن) بماله تحفظه
 وتنبهه وتفكره ويسقط ذلك (حتى يبلغ أشده) وهو سن يبلغ به أو ان حصول عقله عادة وهو
 البلوغ بالسن أو الاحتمال أو عقل يحصل به رشده وقيل الأشد من الثمانين عشر إلى ثلاثين سنة
 وقيل إلى أربعين وقيل إلى ستين (وأوفوا) أي أتموا (الكيل والميزان بالقسط) أي العدل من غير
 إفراط ولا إفراط (لا تكف نفسا الأوسعها) أي طاعتها في إيفاء الكيل والميزان لم يكف المعطى
 أكثر مما وجب عليه ولا يكف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عليه بل
 أمر كل واحد منهم بما يجاسه مما لا حرج عليه فيه وذلك عقب الأمر بعناء أن إيفاء الحق
 عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراء الوسع معفو عنه (وإذا قلتم) أي في حكمكم أو شهادة أو غير
 ذلك (فاعدلو) فيه بالصدق (ولو كان) المقول له أو عليه (ذاقربى) أي من ذوى قرابتكم
 (وبعد الله أوفوا) أي ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع (ذلكم) أي
 الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم) بالعمل (به لعلمكم تذكرون) أي تتعظون فتأخذون
 بما أمرتكم به وقرأ حفص وحزرة والكسائي بخفيف الذال والباقون بالتشديد (وان هذا)
 الذي وصيتكم به (صراطي مستقيما) والاشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في
 إثبات التوحيد والتبوء ببيان الشريعة وقرأ ابن عامر بخفيف النون والباقون بالتشديد
 وكسر الهمزة جزء والكسائي على الاستئناف وتفحها الباقون على تقدير اللام وفتح الياء من
 صراطي ابن عامر وسكنها الباقون وتقدم مذهب قبل في الصراطين ومذهب خاف
 في اشتمام الصاد (فاتبوه) أي بغير وجهه لكم لأنه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير

(ولا تشعوا)

(ولا تتبعوا السبل) أى الطرق المخالفة لدين الاسلام (فمفروق) فيه حذف احدى التامين أى
 فقبيل (بكم) أى هذه الطرق المضلة (عن سبيله) أى طريقه التى ارتضاها لعباده وبها أوصى
 (ذلكم) أى الامر العظيم من اتباعه (وصاكم به لعالمكم بتقون) الضلال والتفريق عن الحق
 روى انه صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطا وما عن عيسى بن ماله
 وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطى مستقيما فابعوه
 (ثم آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فان قيل) ثم للترتيب واتيأ موسى الكتاب كان قبل مجي
 القرآن (أجيب) بأن ثم للترتيب الاخبار أى ثم أخبركم انا آتينا موسى الكتاب فدخل ثم للترتيب
 انذيرا لئلا خيرا تنزل وقوله تعالى (تماما) حال أى لم ينقص الكتاب عما يطمهم شيئا (على) الوجه
 (الذى أحسن) أى أتى بالاحسان فأثبت الحسن وجعله بما بين من الشرع وما جرى طواف
 أهل الارض به من الاهلاك العام روى ان الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد نزول التوراة
 وقيل عاما على الحسين من قوم موسى فيكون الذى يعنى من أى على من أحسن من قومه وكان
 فيهم محسن ومسى وقيل الذى أحسن هو موسى عليه السلام أى انما لانعمة عليه لاحسانه
 بالعبادة أو الذى يعنى ما أى ما أحسن وقوله تعالى (وتصلا) عطف على تماما أى وياتا (لكل شئ)
 أى يحتاج اليه فى الدين (وهدى) أى فيه هدى من الضلالة (ورجعة) أى انزله عليهم رحمة لهم
 (اعلمهم) أى بنى اسرائيل (ببقا ربهم) أى بالبعث والجزاء (يوم) أى يكون حالهم بعد
 انزال الكتاب لما يرون من حسن شرائعه ونفاعة كلامه وجلالة أمره حال من يرجون ويجدد
 الايمان فى كل وقت ببقائه وليذكر ما أنعم به عليهم من آخر اجهم من مصر من العبودية
 والرف (وهذا) أى القرآن (كتاب) أى عظيم (أنزلناه) اليكم أى بلسانكم بحجة عليكم (مبارك)
 أى كثير الخير والنفع والبركة (فاتبعوه) أى اتبعوا ما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام
 (واتقوا) الكفر (لعلمكم ترجون) أى بواسمة اتباعه وهو العمل بما فيه ثم بين تعالى المراد من
 انزاله فقال (أن) أى كراهة ان (تقولوا انما أنزل الكتاب) أى التوراة والانجيل (على طائفتين
 من قبلنا) أى اليهود والنصارى (وان كان) أى وقد كان وان هى الخففة من الثقل ولذلك
 دخلت اللام الفارقة بينهما وبين النافية فى خبر كان أى وانه كان (عن دراستهم) قراءتهم لكتابهم
 قراءة مردودة (لغافلين) أى لانعرف حقيقة قمتها ولا ثبت عندنا حقيقتها ولا هى بلساننا (أو تقولوا)
 أى أيها العرب لم تكن عن دراستهم غافلين بل كانوا علمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الاعلى
 المكتوب اليه فلم يتبعوه (لأننا) أهلتنا لأهلوا له حتى (أنزل علينا الكتاب) أى جنسه (لكنا
 أهدي منهم) أى لما لنا من الاستعداد بوفور العقل وحده الأذهان واستقامة الأفكار
 واعتدال الامزجة والأذعان للحق (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى القرآن فيه بيان وحجة واضحة
 تعرفونها على لسان رجل منكم تعرفون انه أولاكم بذلك (وهدى) من الضلالة لمن تدبره
 (ورجعة) أى وهو رجعة ونعمة أنعم بها عليكم فماتوا فيه واعاوبوا به (فن) أى لأحد (أظلم عن
 كذب) بآيات الله وصدف) أى أعرض (عنها) فضل وأضل (سبحرى الذين يصدفون)

عن آياتنا ولا يتوبون (سوء العذاب) أي شدته (عما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم
 (هل ينظرون) أي ما ينظرون هؤلاء المكذبون (الآن تأتيهم الملائكة) أي ليقبض أرواحهم
 أو بالعذاب وقرأ جزء والكسافي بالياء على التذكير والباقيون بالتاء على التأنيث (أو يأتي ربك)
 أي أمره بالعذاب (أو يأتي بعض آيات) أي علامات (ربك) الدالة على الساعة كطلوع الشمس
 من مغربها وعن حذيفة والبراء بن عازب كانت إذا كر الساعة اذطلع علينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا كانت إذا كر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلاها عشر
 آيات الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال
 وطلوع الشمس من مغربها وأجوج ومأجوج ونزل عيسى ونار تخرج من عدن (يوم يأتي
 بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين (لا يقع نفسا إيمانهم
 تكن آمنتم من قبل) صفة نفسا (أو) نفسا لم تكن (سبب في إيمانها خيرا) أي
 طاعة لا ينفعها لو تبناها قال صلى الله عليه وسلم يدا الله مبسوطتان لئلا الليل ليتوب بالنهار ولئلا
 النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل ان تطلع
 الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا ميرة عرضه
 سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن
 فلا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنتم من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها (قل
 انظروا) بعض هذه الاشياء (ان انتم تظنون) ذلك وحيتئذ لنا القوز عليكم ولكم الويل (ان)
 الذين فرقوا دينهم أي بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض واقروا فيه قال صلى الله عليه
 وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على
 ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفرقت حتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها
 في الهاوية الا واحدة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه وفي بعض الروايات قالوا من
 هم يارسل الله قال ما أبا عليه وأصحابي وقرأ جزء بتخفيف الراء ألف قبلها والباقيون بتشديد
 ولألف (وكانوا شيعة) أي فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقادة كأهل
 الكتاب فانهم ابتدعوا في دينهم بدعا وصلتهم الى تكفير بعضهم بعضا فآمنوا ببعض الانبياء
 وكفروا ببعض وكالجوس الذين فرقوا دينهم باعقاد ان الاله اشان النور والظلمة وعبدوا
 الاصنام والنجوم وجعلوا لكل نجم قسما يتوسل به في زعمهم اليه وقيل هم أهل البدع وأصحاب
 الاوهام من هذه الامة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم
 وكانوا شيعا هم أهل البدع وأصحاب الاوهام من هذه الامة وعن العرياض بن سارية قال صلى
 بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
 فقال قائل يارسل الله كأنهم موعظة مودع فإوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
 وان كان عبدا حبشيا فان من يعيشر منكم فسرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
 الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وأياكم ومحدثات الامم وفاق كل محدثة بدعة وكل

بدعة ضلالة وروى ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
 وشرا الامور محمد ثاتها (است منهم في شئ) أى من السؤال عنهم فلا تعرض لهم (انما امرهم
 الى الله) يولى جزاءهم (ثم يذهبهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف
 (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله تعالى (ومن جاء
 بالسيفة فلا يجزى الا مثله) أى جزاءها قضية للعدل (وهم لا يظلمون) أى بقص الثواب وزيادة
 العقاب وما ذكر في اضعاف الحسنات هو أقل ما عدى من الاضعاف فقد قال صلى الله عليه وسلم
 اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف
 وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
 من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيفة فله سيئة مثلها وأغفر ومن تقرب منى
 شرا تقربت منه ذراعا ومن لقيني بقراب أهل الارض خطيئة لا يشركنى شيئا لقيته بمثلها
 مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا أراد عبيدى أن يعمل سيئة فلا
 تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكبها بمثلها وان تركها من أجل فاكبها بحسنة
 وان عملها فاكبها بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الآية
 في غير الصدقات من الحسنات فأما الصدقات فانها تضاعف سبعمائة ضعف (قل) يا محمد لهؤلاء
 المشركين من قومك (اننى هداني الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى ما نصب من
 الخبج وقرأ نافع وأبو عمرو وفتح الباء والباقون بالسكون وقوله تعالى (دينا) بدل من محل الى
 صراط مستقيم والمعنى وهذا الى صراطا كقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما (قيما)
 أى مستقيما وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح القاف وكسر الباء مشددة والباقون بكسر
 القاف وفتح الباء مخففة على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما فاعل لاعلال فعله كالقيام
 وقوله تعالى (مله ابراهيم) عطف بيان لديننا اذا الله تبارك وكسر الدين وان فرق بينهم ما بان الملة
 لا تضاف الا الى النبی الذى تستند اليه والدين لا تختص اضافته بذلك وقوله تعالى (حنيفا)
 حال من ابراهيم أى ما تلا من الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من حج أو اختن حنيفا
 تنبيه على انه دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان) ابراهيم صلى الله
 عليه وسلم (من المشركين) رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فأخبر الله تعالى
 ان ابراهيم لم يكن من المشركين (قل) يا محمد (ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى من حج وغيره
 (ومحياى ومماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والطاعة وأطاعات الحياة
 والخبرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير والحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع ومحيى
 بسكون الباء بخلاف عن ورش اجراء الوصل مجرى الوقف والباقون بالفتح وفتح الباء من مماتى
 نافع وسكنها الباقون (لله رب العالمين لا شريك له) فى ذلك (وبذلك) أى وبهذا التوحيد (أمرت
 وأنا قول المسلمين) أى من هذه الامة لان اسلام كل نبي مقدم على اسلام أمته وقرأ نافع بعد أنا
 قبل الهمزة المفتوحة وقالون بالمد والقصر لانها عندهم متماثلان والباقون بلا مد أصلا (قل)

يا محمد لهؤلاء الكفار من قولك (أغبر الله أبني) أي أطلب رباً أي الها فأشركه في عبادتي
وهذا جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار أي منكراً أبني رباً غيره
(وهو رب كل شيء) فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له ربوية غيره كما قال تعالى قل
أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (ولا تكسب كل نفس ذنباً إلا عليها) أي أثم الخاني
عليه لا على غيره وقوله تعالى (ولا تزرن) أي ولا تحملنفس (وأزرن) أي أثمة (وزرن) نفس (أخرى)
جواب عن قولهم اتبعوا سيولنا ولحمنا خطاياكم (ثم إلى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا فيبين الرشد من الغي والمحق من المبط (وهو الذي جعلكم
خلائف الأرض) جمع خليفة لأن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت أمته سائر الأمم
أو يختلف بعضهم بعضاً فيها أو هم خلفاء الله تعالى في أرضه بملكه أو بصرفون فيها (ورفع
بعضكم فوق بعض درجات) أي في الشرف والرزق (ليبلوكم) أي ليختبركم (في ما آتاكم) أي
اعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي * (فائدة) * في تكذيب مقطوعة عن ما (أن ربك سريع
العقاب) لمن عصاه لأن ما هو آت قريب أولانه يسرع إذا أراد (وإنه لغفور) لاهل مؤمنين
(رحيم) بهم وصف الله تعالى العقاب ولم يصفه إلى نفسه ووصف تعالى ذاته بالغفرة وضم إليه
الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيه على أنه تعالى غفور بالذات معاقب
بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها فاستألف الله العظيم أن يسامحنا وأن يغفر
زلتنا ولا يؤخذ بنا سوء أفعالنا وإن يفعل ذلك بالديننا وأقاربنا وأحبابنا وأصحابنا وجميع
المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(سورة الاحزاب مكية)

الاثنان آيات من قوله تعالى واسئلهن عن القرية التي قوله تعالى واذتقنا الجبل وهي محكمة
كلها وقيل الاقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين وعدد آياتها مائتان وخمس آيات وكلها
ثلاثة آلاف والمائة وخمسون حرفاً وأربع عشرة ألفاً وثلاثمائة وخمسة عشر حرفاً

(بسم الله) الواحد الذي لا يقدر أحد قدره (الرحمن) الذي عمّ بعمته البيان من أوجب عليهم
شكره (الرحيم) الذي خص أهل وده فاجتنبوا منه وامتثلوا أمره (المص) سبق الكلام على
معاني الحروف المقطعة في أول سورة البقرة وقوله تعالى (كتاب) خبر مبتدأ محذوف تقديره
هو وهذا أو خبر المص والمراد بالكتاب السورة والقرآن وقوله تعالى (أنزل السك) صفة
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فلا يكن في صدوركم حرج) أي ضيق (منه) أي لا يضيق
صدركم بالأبلاغ وأدعية ما أرسلت به مخافة أن تكذب لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له
وأعراضهم عنه وإذا هم وكان يضيق صدره من الأذى ولا ينسبط له فأمنه الله ونزهه عن
المبالغة بهم وقيل الحرج الشك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وسمى الشك
حرجاً لأن الشك يضيق الصدر كما أن التيقن منشرح الصدر وقوله تعالى (تصدرون) متعلق بأنزل

أى للأنذار به (وذكري) أى ونذرة (للمؤمنين) به وحذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل
 من أمكن انذاره ونذره من العقلاء قال بعض المفسرين وهذا من المؤخر الذى معناه
 التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لنذره وذكري للمؤمنين فلا يسكن في صدره حرج منه ويدل
 لهذا انعلق لتسذيرنازل وقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن والسنة لقوله
 تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله تعالى وما أناكم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا أى قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وذروا ما أنتم عليه من
 الشرك (ولا تتبعوا من دونه) أى ولا تتخذوا من دون الله أى غيره (أولياء) تطيعونهم من
 شياطين الانس والجن فيا همروكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (قلبلا
 ماتذكرون) أى تتعظون وقرأ ابن عامر ياء قبل التاء وتخفيف الذال وقرأ أحدص وحجرة
 والكسافى تخفيف الذال ولا ياء قبل التاء والباقون بتشديد الذال ولا ياء قبل التاء (وكم من
 قرية أهلكناها) أى أهلكنا أهلها وقيل لا يحتاج الى تقدير صاف لان القرية تهلك كما يهلك
 أهلها وانما يقدر في غناءها لاجل قوله تعالى وأهم قائلون وكم خبرية مفعول أهلكنا وهى للتكثير
 والاهلاك على حقيقته أو يقتدر اننا أهلكنا لقوله تعالى (فجاءها) أى أهلها (أسنا) أى عذابنا
 فان مجىء الباس قبل الاهلاك يقتدر الارادة وقيل الاهلاك الانذالان وعلى هذا فلا حاجة الى
 تقدير (بيانا) أى وقت الاستسكان فى السوت ليلا كما جاء قوم لوط عليه السلام (أوهم قائلون)
 أى نائمون وقت القائلة وهى نصف النهار وأستريحون من غير نوم كما أهلكنا قوم شعيب عليه
 السلام أى مرة جاءه ليل لاومرة نهوا وانما خص هذين الوقتين لانهم ما وقت دعة واستراحة
 فيكون مجىء العذاب فيهما أقطع وفي هذا وعيد وتخويف للكفار كانه قبل لا تفتروا بأبواب
 الامن والراحة فان عذاب الله اذ انزل نزل دفعة واحدة (فما كان دعواهم) أى قولهم (اذ جاءهم
 بأسنا) أى عذابنا (الآن قالوا) أى الاقوالهم (انا كنا ظالمين) أى فيما كنا عليه حيث لم تتبع ما أنزل
 اليان من ربنا وذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فلنستلن الذين أرسل اليهم) أى المرسل اليهم وهم
 الامم يسألهم الله تعالى عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنستلن المرسلين) أى عما اجيبوا به كما
 قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتهم وقيل نسأل المرسلين عن الابلاغ والمراد من هذا
 السؤال توبيخ الكفرة وتقر يعهم والمنقضى قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
 الاستعلام الاول فى وقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) أى
 الرسل والمرسل اليهم (بعلم) تخبرهم عن علم بما فعلوا باطنا وظاهرا وبما قالوه سرا وعلانية
 (وما كنا غائبين) عنهم فيخبر عينا شئ من أحوالهم وأقوالهم (والوزن) أى اصناف الاعمال
 بميزان لسان وكفتان ينظر اليها الخلاق اطهارا للعدل وقطع للممذرة كايها لهم عن أعمالهم
 فتعرف بها ألسنتهم وتنسبها جوارحهم ويؤيده ما روى ان رجلا يوقى به الى الميزان فينشر
 عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مائة البصر فيخرج له بطاقة فيها كل ما كذب الهادة فتوضع
 السجلات فى كفة والطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة والبطاقة رقيقة صفيحة

تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه وقيل توزن الاعمال روى عن ابن عباس يؤتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وقيل توزن
الاشخاص لما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اباقى الرجل العظيم السمين يوم القيامة
فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقوله تعالى (يومئذ) أى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة
خبر المبتدأ الذى هو الوزن وقوله تعالى (الحق) أى العدل السوى صفته (فن نقلت موازينه)
أى رجعت على ما يعهد في الدنيا بصانف الاعمال أو حسناته أو بيه على الاقوال الماضية وعن
الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يرجح وينقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان
يحقر (فان قيل) الميزان واحد فواجه الجمع (أجيب) بأن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد
وقيل انه ينصب لكل عديم ميزان وقيل انما يجمعه لأن الميزان يشقل على الكفتين واللسان
والساهون ولا يمت الوزن الا بذلك كله وقيل جميع لاختلاف الموازنات وتعدد الجمع فهو جمع
موزون أو ميزان (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت) أى طاشت
(موازينه) أى السيات أى بسيمها (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أى تصيبيرها الى النار
(بما كانوا بآياتنا يظلمون) أى يجهلون (ولقد مكناهم) أى آدم (في الأرض) أى في
مسكنها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة أى اسبابا يعيشون بها
أيام حياتكم من أنواع التجارات والصنائع والمساكن والمشارب وذلك بفضل الله تعالى
وانعامه على عبده وكرمه الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع
هذا الافضل على عبده وانعامه عليهم لا يقومون بشكرها كما ينبغي فقال تعالى (قليلًا
ما تشكرون) أى على ما صنعت لكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون
لأن الانسان قديكر نعمة الله فيشكره عليها فلا يخاف في بعض الاوقات من الشكر على النعم
وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسرها (ولقد
خلقناكم) أى اباكم آدم (ثم صورناكم) أى اباكم آدم والمراد بغيري خلقنا اباكم آدم طينًا غير
مصور ثم صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم وقيل خلقناكم في
اصلاب الرجال ثم صورناكم في أوحام النساء (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) (فان قيل)
ثم للترتيب والترخي وهى ظاهرة على القول الاول فواجهه على الثانى (أجيب) بأنها تكون
معنى الواو أى وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية بالانحناء (فسجدوا) أى الملائكة
كلهم لآدم (الا ابليس) أبا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين) أى عن سجد (قال)
الله تعالى لآبليس (ما منعك أن تسجد) أى أن تسجد (إذا مرتك) فلا زائدة لتساكيد كما
في قوله تعالى لا أقسم أى أقسم وقوله تعالى وحرام على قرية أهلكها أنهم لا يرجعون أى
يرجعون ثم ان جل ما منعك على ما حلك لم تكن زائدة (قال) ابليس مجيبا له تعالى (أنا خير منه)
(فان قيل) كيف يكون قوله أنا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب أن يقول معنى كذا
(أجيب) بأنه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاد الان يكون مثله مأثورا بالسجود

للملئكة كانه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن
يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولاً وعلى الخبرية بقوله تعالى
(خلقنا من نار) فهي أغلب أجزائي وهي مشرقة مضيئة عالبة غالبية (وخلقنا من طين) أي
خو أغلب أجزائه وهو كدر مظلم ساقل مغلوب فكل منهما مركب من العناصر الاربعة فالإضافة
الى ما ذكر باعتبار الجزء الغالب قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من قاس إبليس فأخطأ في
قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله تعالى مع إبليس قال ابن سيرين ما عبدت الشمس الا بالقاس
وانما خطأ إبليس لانه رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار
اليه بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بفرد واسطة وباعتبار الصورة كما نبه
عليه تعالى بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهي ملاك ولذلك
أمر الملائكة بالسجود للميتين لهم انه أعلم منهم وإن له خواص ليست لغيره وقال محمد بن جرير
ظن الحديث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل ما جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين
عن النار بوجوه منها أن جوهر الطين الرزاق والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد
السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثته الاجتناب والمنزلة والهداية
ومن جوهر النار الخفة واللبس والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة
التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثته اللعنة والشقاوة ولأن الطين سبب جمع
الاشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة لأن حياة الانسجار والنبات لا تكون
الا مع الطين والنار سبب الهلاك (فان قيل) لم سأله الله تعالى عن المانع من السجود وهو عالم
بما منعه (أجيب) بأنه للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره واقضاره بأصله وازدراؤه أصل
آدم عليه الصلاة والسلام (قال) الله تعالى لإبليس (قاهبط منها) أي من الجنة وقيل من السماء
الى الأرض والهبوط الانزال والانهيار من فوق على سبيل القهقري والهوان والاستخفاف
(فما يكون) أي فاصبح (لأن أن تكبر فيها) عن أمرى لأن الجنة أو السماء مكان الخاشع
المطيع لأمر الله تعالى وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة والسماء وانه تعالى انما طرد
إبليس لتكبره لا لجرده المعصية قال صلى الله عليه وسلم كبروا اليه من تواضع لله ورفع الله ومن
تكبروا لله وعن عمر رضي الله عنه من تواضع رفع الله حكمته ومن تكبروا علا طوره هضمه
الله الى الأرض (فاخرج) منها (الكن الصاغرين) أي الكفرة الاذلاء المهانين والصغار الذل
والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله إبليس فأبلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له
ملك الأرض فأخرجه الله منها الى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الأرض الا خافاً
كهيمة السارق مثل شيخ عليه اطمار دنة يروغ فيها حتى يخرج منها (قال) إبليس عند ذلك
(أنظرن) أي أخرى ولا تغنن ولا تعجل عقوبي (الى يوم يعثون) أي الناس وهو النخعة
الاخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة إبليس الحديث لانه سأل ربه الامهال وقد علم انه
لا سبيل لاحد من الخلق الى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلود

فلم يجب الى ما سأل بل أجابه الله تعالى بقوله (قال انك من المنظرين) لاني ذلك الوقت بل الى
 الوقت المعلوم كما بينه تعالى في سورة الحجر بقوله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
 وذلك هو النسخة الاولى التي عوت فيها الخلق (فان قيل) لم أجيب الى الاظهار وانما استنظر ليفسد
 عباده وبغورهم (أجيب) بأنه أجابه لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي محالقتهم من عظيم الثواب
 وحكمة ما خلق الله تعالى من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس
 من الشهوات ليبحثن بهم عباداه (قال) أي ابليس (فبما أغويتني) أي فباغوا نكالي والباء للقسم
 أي أقسم باغوا نك وجوابه (لا قعدن لهم) أي لبي آدم (صراطك المستقيم) أي على الطريق
 الموصل اليك وانما أقسم بالاغواء لانه كان تكليفاً والتكليف من أحسن افعال الله تعالى لكونه
 تعريضا للعبادة لا بد فكان جديرا لان يقسم به ويجوز أن تتعلق الباء بفعل القسم المحذوف
 تقديره فبما أغويتني أقسم بالله لا قعدن أي فسيب اغوا نك أقسم (ثم لا يبينهم من بين أيديهم
 ومن خلفهم وعن أيامهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
 ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لثلاثي محول بين
 العبد وبين ربه وقيل لم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعنه انه قال من بين أيديهم
 من قبل الآخرة فيضبرهم أن لا يبعث ولا الجنة ولا نار ومن خلفهم من قبل الدنيا فيزيئها لهم وعن
 أيامهم أي من قبل حسناتهم أي فيبطوهم عنها وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم أي فيزيئ لهم
 المعاصي ويدعوهم اليها وانما عذري الفـ هل الى الاولين يعرف الابتداء لانه منهم ما توجه اليهم
 والى الآخرين بحرف الجواز فأن الاقـ منـ ما كالمصرف عنهم المارة على عروضهم ونظيره
 قوله جلست عن يمينه وعن شقيق ما من صباح الا قعد على الشيطان على أربع مراد من بين يدي
 ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي وأما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فأقرأ وأني
 لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من خلفي فأقرأ
 وما من دابة في الارض الا على الله وزقها وأما من قبل يميني فبأن يني من قبل النساء فأقرأ
 والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فبأن يني من قبل السموات فأقرأ وحبل بينهم وبين
 ما يشتهون ولا تجد أكثرهم شاكرين (أي مطيعين) (فان قيل) كيف علم الخبيث ذلك (أجيب)
 بأنه انما قال ذلك لظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدء الشر متعديدا
 وهو الشيطان والنفس والهوى ومبدء التلويح واحدا وهو الملك الملهـ وقيل مع ذلك من
 الملائكة (قال) الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه بسبب عصيانه
 ومخالفته (أخرج منها) أي الجنة أو السماء كما مر فانه لا ينبغي أن تسكن فيها (مذموما) أي
 محقورا ومحقورا (مذخورا) أي مبعدها طردا عن الرحمة وقوله تعالى (لمن تبعك منهم) أي من
 الناس الام فيه موطنه للقسم وجوابه (لا ملأ من جهنم منكم أجمعين) وهو ساقم سد جواب
 الشرط وهو من تبعك أي لا ملأ من جهنم منك بذويك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على
 الغائب (ويا آدم) أي وقتلنا يا آدم (أسكن) فهذه القصة معطوفة على قوله تعالى قلنا للملائكة

وقوله تعالى (أنت) تأكيد للضعف في السكن له عطف عليهم (ووزوجك) أي جواهر المذود لذبت بعد
 ان أهبط منها ابليس واخرجه وطرد من الجنة (الجنة فكلان من حيث شئتما) من قمار الجنة
 أي من أي مكان شئتما (فان قيل) قال تعالى في سورة البقرة وكلا بالواو وهما بالقاء فيها الفرق
 أنجب الفخر الرازي بأن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فافهم
 من القاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة
 ذكر الجنس وهما ذكر النوع (ولا تقربا هذه الشجرة) أي بالاكل منها مشيرا الى شجرة بعينها
 أو نوعها وهي الخنطة وقيل شجرة الكرم وقيل غيرها (فتشكروا من الظالمين) أي بالاكل
 منها أي تقصيرا بذلك من الذين ظلموا أنفسهم وتكسروا بالجزم عطفًا على تقربا والنصب
 على جواب النهي (فوسوس لهما الشيطان) أي ابليس بما يمكنه الله تعالى منه من أنه يجري
 من الإنسان مجرى الدم ويلقي له في سر ما يميل به قلبه الى ما يريد وهو أحر وأذل من أن يكون له
 فعل وانما الكل بيد الله سبحانه وتعالى وهو الذي جعل له آله لمزاده منه ومنهم فان من يهدي الله
 فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ثم بين على الوسوسة بقوله تعالى (ليبدى) أي
 ليظهر (لهم ما ووري) أي ستر وعظمي (عنه) جامن سواتهما أي عوراتهم ما وكتا لا يراهم من
 أنفسهم ولا أحد دهم من الآخر وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوجة
 من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه صلى الله عليه
 وسلم ولا رأي من أي الفرج (وقال) أي ابليس لا دم وجواه (ماها كاربكم عن هذه الشجرة)
 أي عن الاكل منها (الآن) أي كراهة ان (تقربوا) واما ملكين أي في عدم المشورة وفي القدرة
 على الطعان والتشكيل وغير ذلك من خواصهم (أو تكونوا من الظالمين) أي الذين لا يعرفون
 ولا يهتدون من الجنة أصلاً كما في آية أخرى هل لئلك على شجرة الخلد وملك لا يلي
 (وقامهما) أي أقسم لهما بالله على ذلك وانخرجه على زنة المفاضلة للمبالغة وقيل أقسم الله
 بالقبول وقيل أقسم عليه بل الله لهما المنهاصين فاقسم لهما (أفألكم المناصين)
 فجعل ذلك مقامية وذلك فتادة حلف لهما بالله حين خدعهما لوقد يتخذ المؤمن بالله تعالى فقال
 اني خلقت قبلكما وأنا أعلم فأتعاني أرسد كما وفيه تنبيه على الاحتراف من الحالف وان الاغلب
 أن كل خلاف كاذب وأنه لا يحلف الا عند ظنه ان سامعه لا يهذبه ولا يقن ذلك الا وهو معتاد
 للكذب وقال بعض العلماء من خادعنا الله خدعنا الله وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
 كان اذا رأى من عبده طاعة وحسين صلاة أعقبه وكان عبده يفعلون ذلك طلب المأثم
 فقيل لهما نعم يتخذونك فقال من خدعنا بالله اخذ مثله وابلليس لعنه الله تعالى أول من حلف
 بالله تعالى كاذباً فلما حلف ظن آدم ان أحد الا يحلف بالله تعالى كاذباً فاعتز به (فدلاهما بغرور)
 أي خدعهما يقال ما زال يبدى لهما بالغرور ويعي ما زال يتخذعه ويكلمه بنزخ القول
 الباطل وقيل حطهما من منزلة الطاعة الى حالة العصية والغرور اظهرا المنع مع ابطال الجنس
 (فلما ذاقا الشجرة) أي كلامي غرها وفي ذلك دليل على انها تناول ابليس من ذلك قصداً الى

معرفة طعمه اذ الذوق يدل على الاكل اليسير وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قبل
 ازدرادهما أخذتهما العقوبة والعقوبة هي قوله تعالى (بدت) أي ظهرت (لهما سواتهما)
 أي عوراتهما وتجاخت عنهما بالباسم حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من سواة
 صاحبه بأن رأى قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وكانا لا يريان ذلك وسعى كل منهما سواة لأن
 انكشفه يسوء صاحبه قال وهب كان لباسهما من النور يحول بينهما وبين النظر وقال قتادة
 كان ظفرا ألبسهما الله من الظفر لئلا يفسد في الذنوب بدت لهما سواتهما فاستصبا (وطفقا)
 أي أقبلوا وجعل (بخصفان) أي يلزقان (عليهما من ورق الجنة) أي من ورق التين قال
 البغوي حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سواتهما وروى عن أبي
 ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم رجلا طولا كأنه نخلة سهوق أشمر
 شعر الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها فأنطقها ورأى الجنة فعرضت له
 شجرة من شجر الجنة فخبسته بشعره فقال لها ارسليني فقاتلت بمرسلتك فناداه الله عز وجل
 يا آدم أمضى تفرقا لا يارب ولكي استخيمتك (وناداهما) أي خاطبهما (ارهبما) بقوله (ألم أنهما)
 عن تسلكا الشجرة) أي عن الأكل من ثمرها (وأقل لهما أن الشيطان لكما عدو مبين) أي بين
 العداوة لكما وقد بان لكما عداؤه بترك السجود لغتنا وحسد اوف ذلك عتاب على مخالفة النهي
 وتوبيخ على الاعتذار بقول العدو ودليل على أن مطلق النهي للتعريم قال محمد بن قيس لما أكل
 آدم من الشجرة ناداه ربه يا آدم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء أمرتني وقال
 لحواء ألم أطعمت آدم قالت أمرتني الحية وقال للحية ألم أمرتها قالت أمرتني ابليس قال الله تعالى
 أما أنت يا حواء فكأ أدمنت الشجرة فتدمن في كل شهر وأما أنت يا حية فأفطعت قوائمك فتمشين
 على وجهك ويسندخ رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فلهون مدحور وفي رواية لابن عباس
 انه قال لحواء فاني أعطيتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها (قالا ربنا ظننا أنفسنا) أي
 ضررناها بمخالفة أمرنا وطاعة عدونا وعدوك فان لم تقب علينا نسقم عاصين (وان لم تغفر لنا)
 أي تقبوا علينا عنا وأثرا (وترجنا) أي فتعلل درجتنا (لنكونن من الخاسرين) في الأرض
 فأعربت الآية أنهم فاقوا إلى الانصاف والاعتراف بذنبيهما وان كان انما هو خلاف الأولى
 لانه بطريق التيسار كما في سورة طه قال قتادة قال آدم أرأيت ان تبت اليك واستغفرتك قال
 أدخل الجنة وأما ابليس فلم يسأل التوبة وسأل النظر فاعطى كل واحد منهما ما سأله وقال
 الضحاك في قوله تعالى قالا ربنا ظننا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه تعالى
 وقد استدل من يرى صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية بورد بأن
 درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى في أعلى الدرجات ولا يمكن يؤخذون
 بمالم يؤخذ به غيرهم وانهم ربما عوتروا بأمور صدرت منهم على سبيل التأويل فهم بسبب ذلك
 خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة إلى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة إلى كمال طاعتهم لانها
 ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصي كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم

وعجزة وواظنهم بالوصى السماوى والذكر القدسى وعجزة طواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله تعالى ذنوب بالنسبة الى احوالهم فقال ذلك على عادة المقرئين فى استعظام المفسرين من البسيئات وتعظيم العظم من الحسنات وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة ومن جملة ذلك ان آدم انما اكل من الشجرة قبل النبوة (قال) الله تعالى (اهبطوا) أى آدم وحواء بما اشتهى عليه من ذريتكم وبذلك قوله تعالى فى سورة طه اهبطوا بصيرا الثانية (بعضكم) أى بعض الذرية (لبعض عدو) أى من ظلم بعضهم بعضا وقبل يعود الضمير لآدم وحواء وبليس وقبل لا آدم وحواء وبليس والحية وعلى هذين فالعداوة ثابتة بين آدم وبليس والحية وذرية كل واحد من آدم وبليس (ولكم فى الارض) أى جنسها (مستقر) أى موضع استقرار (ولكم فيها متاع) أى تمتع (الى حين) أى انقضاء آجالكم وقيل الى انقطاع الدنيا وعن ثابت البناتى رحمه الله تعالى لما احبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حوله ثم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما اصابى الذى اصابى منك فلما نوى غسله الملائكة بسرديب بماء وسدر وتر او حنطته وكفنته فى وزن الثياب وحفره والى وحدوه بسرديب بأرض الهند وقالوا لنبية هذه سفتكم من بعده (قال) الله تعالى (فيا) أى الارض (اهبطي) أى تعيشون أيام حياتكم (وفيهما عتقون) أى وفيها وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها تخرجون) أى يوم القيامة تخرجون للشعر والجزاء وقرأ ابن ذكوان وحجزة والكسائى بفتح التاء ضم الراء والباقون بضم التاء وفتح الراء (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أى خلقناه لكم تبديرات سماوية وأسباب نازلة من مطر وغفوة وتظليله قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء فخرجنا به نباتات من الارض فكل ربك من كل الثمرات لعلكم تذكرون (يا بنى آدم انا انزلنا السحاب والى السماء فارجوا) أى يستر (سواتكم) أى عوراتكم روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عمرة ويقولون لانطوف فى شباب عصمتنا الله تعالى فيها وكان الرجال يطوفون بالثار والنساء يطوفون بالليل عمرة قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول اليوم سيد وبعضه أو كله * وما بد منه فلا أحله

فزلت قال البضاوى ولعله سبحانه ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى نعلم ان انكشاف العورة أقول سوء أصاب الانسان من الشيطان وانه أغواهم فى ذلك كما أغوى أبويهم (وريشا) أى ولباسا تتجملون به والريش للثياب معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعمل للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم ولباسا لا ينكشف لان الزينة غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينته وقال تعالى ولبسكم فيها جبال وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال وقال ابن عباس وريشا أى مالا يقال تريش الرجل تقول ولما ذكر سبحانه وتعالى اللباس الحسى وقسمه الى ساتر وحرير أتبعه اللباس المعنوى فقال (ولباس التقوى) قال ابن عباس هو العمل الصالح ثم زاد الله تعالى فى تعظيم المعنوى بقوله (ذلك خير) أى ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب لكونه أهم للباسين لان نزعها يكشف العورة الحسية

والمعنوية فلو تجمل الانسان بأحسن الملابس وهو غير متقى كان كلبه سوات ولو كان متقيا وليس عليه الإخرقة ثوب نواري عورته كان في غاية الجمال والكمال وأشدوا في المعنى
إذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى * عربت وإن وارى القميص قميص
وقال قتادة لباس التقوى هو الإيمان وقال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عثمان
ابن عفان رضي الله عنه هو السمى الحسن وقال ابن الزبير هو خشية الله تعالى والعمل الصالح
يشمل هذه الامور كلها وقرأ نافع وابن عامر والكسائي نصب الحسين عطفه على لباسه والباقر
بالرفع على الاستدعاء والخبر ذلك خير (ذلك) أى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على
فضله ورجته (لعلهم يدركون) فيعرفون نعمة الله فيبتغون ويتورعون عن القبائح وهذه الآية
واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليها اظهار الامانة فيما
خلق من اللباس ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة اظهار اواشعار بأن
الستر باب عظيم من ابواب التقوى (يا بني آدم) أى الذى خلقته يدي ونفخت فيه من روحي
ثم أسكنته جنقا وانزلته منها الى دار محنقى (لا يفتنكم) أى بضلتكم (الشيطان) أى البعيد
المهترق بالذنوب أى لا تتبعوه ففتنوا فمبعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار
(كلما أخرج أبوكم من الجنة) بمقتبه بعد ان كانا ساكنا وعكافيا ووطنها وقد علمنا ان الدفع
أسهل من الرفع وقوله تعالى (يزرع عنهم - ما لباسهم) حال من أبوكم أو من فاعل أخرجه وأغيا
أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لأن نزع لباسهم بسبب وسوسة الشيطان
وضروره فاستداليه واختلفوا في اللباس الذى نزع عنهم فقال ابن عباس وقتادة كان لباسهما
الظفر فلما أصابا المصيبة نزع عنهما وبقيت الاظفار نزعوا زينة ومنافع وقال وهب بن
منبه كان نورايحول بينهما وبين النظر وتقدم بعض ذلك وقال مجاهد كان لباسهم - ما التقوى
وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة قال بعض المفسرين وهذا أقرب لأن اطلاق اللباس يطلق
عليه وان النزع لا يكون الا بعد اللبس اه وتقدم الكلام على قوله (ليدينهم ما سواتهم) أى
الشيطان (راكم هو وقبيله) أى جنوده وقال ابن عباس قبيله ولده وقال أبو زيد نسله وانما أعاد
الكتابة في قوله هو ليعسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهى الجماعة المجتمعة التى يقابل بعضها
بعضا (من حيث لا ترونهم) أى اللطافة أجسامهم أو عدم ألوانهم وعن ابن عباس انه قال
ان الله تعالى جعلهم مجرورين من ابن آدم مجرى الدم وجعل صدور بني آدم مساكين لهم الامن
عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يؤسوس فى صدور الناس فيهم يرون بني آدم وبنو آدم
لا يرونهم وعن مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة بصرى ولا يرى ونخرج من تحت الثرى ويعود
شيعنا فنى وعن ابن دياربند عذوايرك ولا تراه لشديد المنة الامن عصمه الله تعالى ومنع
الرؤية اذا كانوا على خلقهم الاصلية والافتقار واعندنا سكاكهم بصورة حيوان أو طير أو غير
ذلك فان للجن قوة التشكىل وهذا أمر شائع ذائع وقد رؤى ابليس على صورة شيخ وعقل لسكير
من العباد على صورة حية بل قال شيخنا القاضى ذكر ياوالحق جواز رؤيتهم حتى من تلك الجهة

كما هو ظاهر الاحاديث الصحيحة وتكون الآية مخصوصة بها فيكونون مرشدين في بعض
 الاحيان لبعض الناس دون بعض (انا جعلنا الشياطين اولياء) أى اهو انا وقرناهم (للذين
 لا يؤمنون) لما بينهم من التناسب في الطباع (وانا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت
 حرة فهو واعته (قالوا) معطين لا ارتكابهم اياها بأمر من أحدهما فقولهم (وجددنا عليها) أى
 الفاحشة (آباءنا) فاقندنا بهم والشأن قولهم (والله أمرنا بها) افتراء عليه سبحانه وتعالى
 فأعرض الله تعالى عن الاول لظهور فسادهم ورد عن الثاني بقوله (قل) لهم يا محمد ان الله لا يأمر
 بالفسشاء لان عادته سبحانه وتعالى يرت على الامر بحسن الافعال والحث على مكارم الخصال
 (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انه قاله فانكم لم تسمعوا كلام الله من غير واسطة ولا أخذتموه
 عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين عباده وهو استفهام انكم ارى يتضمن التهمى عن
 الافتراء على الله وقرأنا في كثير من آياتهم وبإبدال الهمزة الثانية ياء في الوصل والباقيون
 بالتعريض (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يقولون ذلك (أمر ربى بالقسط) أى بالعدل وهو الوسط من
 كلام المتجاني عن طرفي الافراط والتفريط وقال ابن عباس بلا اله الا الله (وأقيموا) أى وقل
 لهم أقيموا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) أى اخلصوا له سجودكم (فان قيل) قل أمر ربى خبر
 وأقيموا وجوهكم أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز (أجيب) بأن فيه اشعارا وحذفا فتقديره
 قل أمر ربى بالقسط وقل أقيموا كما تقدم تقديره مخذف قل لدلالة الكلام عليه وقيل معنى
 الآية وجهوا وجوهكم حينما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقيل معناه صلوا الى أى مسجد
 حضركم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) أى اعبدهم (مخلصين له
 الدين) أى الطاعة ولا تشركوا به شيئا فان اله مصيركم و (كأيدكم) أى كما أنشأكم ابتداء
 (تعودون) أى بعيدكم احياء يوم القيامة حال كونكم فريقين (فريقا هدى) أى خلق الهداية
 في قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية (وفريقا حق) أى ثبت ووجب (عليهم الضلالة) أى عتقوا
 القضاء السابق وقيل ان الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي
 خلقكم فذنبكم كافروم فكم مؤمن ثم يعيدكم يوم القيامة كما خلقكم كافرا ومؤمنا وقيل
 يعنون على ما كانوا عليه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث كل عبد على ما مات عليه المؤمن
 على ايمانه والكافر على كفره وقيل من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار اليها وان عمل عمل
 أهل السعادة كما أن ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ الله
 خلقه على السعادة صار اليها وان عمل عمل أهل الشقاوة كما أن السحرة كانوا يعملون عمل أهل
 الشقاوة فصاروا الى السعادة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد يعمل فيما يرى الناس
 يعمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانه يعمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وانه من أهل
 الجنة وانما الاهمال بالخوانم واتصاف فريقا بقل يقسمه ما بعده أى وخذل فريقا وقوله تعالى
 (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) أى دونه لتعبد لخدلائهم وتضيق لضلالهم
 (ويحسبون) أى يظنون (انهم) مع ضلالهم (مهندون) أى على هداية وحق وفيه دليل على ان

الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعادني الكفر سواء (ياخي آدم خذوا زينتكم)
 أي ما يستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة (عند كل مسجد) أي كل صلوة أو طغتم وكانوا
 يطوفون عراة وعن طأوس رجه الله لم يأمرهم بالحري والدياب وانما أحدهم كان بطوف
 عربا يوضع صابنه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانترعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله
 في ثياب أذنبانها وقيل ثفا ولا يستعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشطوقيل
 الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وكان بنو عاصم في أيام مجهم لا يأكلون
 الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك مجهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل ففعل
 لهم (وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا) بغير الحلال أو بالتعري في الطواف أو بإفراط الطعام
 أو الشرع عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما نذت واشرب ما شئت والبس ما شئت
 ما أخطأه خصلتان سرف ومخيلة وروى أن الرشيد كان له طيب نصراني حاذق فقال لعلي بن
 الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال
 له لقد جمع الله تعالى الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله تعالى وكلاوا واشربوا
 ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن نبيكم شيء في الطب فقال جمع رسولنا صلى الله عليه
 وسلم الطب في ألفاظ بسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء فاعط
 كل بدن ما عودته فقال النصراني ماترك كتابكم ولا نبيكم بلالينوس طبيا (انه لا يجب المسرفين)
 أي لا يرضى فعلهم في الآية الوعيد الشديد على الاسراف (قل) يا محمد لهؤلاء الجاهلة من
 الذين يطوفون بالبيت عراة (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) من الثياب كل ما يتجمل
 به فيدخل تحته أنواع الملبوس والحلي ولولا النص ورد بتعريضه على الرجال دون النساء (و) قل أيضا
 لهؤلاء الجاهلة الذين كانوا لا يأكلون دسما يعظمون بذلك مجهم من حرم (الطيبات من الرزق) التي
 أخرج لعباده وخلقه الهنم فيدخل تحت ذلك كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات الا ما
 ورد نص بتعريضه وقد دلت الآية على أن الاصل في الملابس وأنواع التجملات والمطاعم
 الاباحة الا ما ورد النص بخلافه لأن الاستغناء في من لا ينكار (قل هي) أي الزينة والطيبات
 (للذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي بالاصالة والكفرة وان شاركهم فيها اتبع ولذا لم يقل تعالى
 للذين آمنوا وغيرهم (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وقرأنا فرفع التاء على أنها
 خبر بعد خبر والباقيون بالفتح على الحال (كذلك) أي مثل هذا التفصيل البديع (تفصل
 الآيات) أي بين احكامها وغير بعض المشتبهات من بعض (اقوم يعلمون) أي يتدبرون فانهم
 المتفقهون بها (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل
 الطيبات من الرزق وغير ذلك مما أحل الله تعالى (انما حرم ربى القوا حش) أي الكبائر
 والكبيرة ما توعد عليها فيقولون أو غضب بخصوصها في الكتاب والسنة غالبا كالزنا جامع
 فاحشة (ما ظهر منها وما بطن) أي جهرها وسرها وقرأ حجة يسكون الياء والباقيون بقفها

(و) حرم (الانم) أي الصغار وهي ماعدا الكبار كالنظر إلى بدن أجنبية (و) حرم (البغي) على الناس أي الظالم أو الكبير وأفرده بالذ كرمع أنه من الكبار للمبالغة وقوله تعالى (بغير الحق) متعلق بالبغي مؤكده معنى (و) حرم (أن تشر كوا بالله ما لم ينزل به) أي بالاشراك (سلفطانا) أي حجة وفي ذلك تم كيم بالمشركين وتنبيهه على تحريم ما لم يدل عليه برهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف والباقون بالتشديد (و) حرم (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون) في تحريم ما لم يحرم وغيره (ولكل أمة أجل) أي وقت معلوم وفي ذلك وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالامم الماضية (فإذا جاء أجلهم) أي حان وقتهم (لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) ساعة علمه وانما ذكرت الساعة وان كان دونها كذلك لانها أقل اسم للاوقات في العرف وذلك حين سألوا نزول العذاب فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ قالون والبري وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وورش وقنبل سهلا الثانية وابدلاها حروف مدو والباقون بالتعقيق فيها (يا بني آدم انا) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (يا بنيكم) رسل منكم أي من نوعكم من عندكم (يقصون عليكم آياتي) أي يقرؤون عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي وجواب الشرط قوله تعالى (فمن أتى) الشرك ومخالفة رسلي (واصلح) عمله الذي أمرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيت عنه (فلاخوف عليهم) حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) أي يتجدد لهم في وقت ما حزن على شيء فاتهم لأن الله يعطيهم ما تقر به أعينهم (والذين كذبوا بآياتنا) أي جحدوها وكذبوا رسلنا (واستكبروا) أي تكبروا (عنها) أي عن الايمان بها لأن كل مكذب وكافر متكبر قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستهكرون (أو لئلا) هؤلاء البعداء البغضاء (أصحاب النار هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها أبدا وادخال الفاء في خبر المبتدأ الاول دون خبر الثاني للمبالغة في الوعد والمساخطة في الوعيد (فمن) أي لا أحد (أظلم من افترى على الله كذبا) أي بنسبة الشرك والولد اليه أو قال عليه ما لم يقله (أو كذب بآياته) أي القرآن (أو لئلا) أي بصلبهم (نصيهم) أي حظههم (من الكتاب) أي مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم) أي هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب (رسلنا) أي ملك الموت واعوانه (يتوفونهم) بقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم وقوله تعالى (قالوا) جواب اذا أي قال الرسل لهم تكييتا وتوحيها وتقريرا (أين ما كنتم تدعون) أي تعبدون (من دون الله) أي غيره ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الآخرة أي اذا جاءتهم ملائكة العذاب يتوفونهم أي يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار (قالوا) أي الكفار يحسين للرسول (قلوا) أي غابوا (عنا) وتر كونا عند حاجتنا اليهم فسلم بنفعونا (وشهدوا على أنفسهم) أي بالغوا في الاعتراف عند الموت أو عند معاناة العذاب (انهم كانوا كافرين) أي جاحدين وحدانية الله تعالى (قال) الله تعالى لهم يوم القيامة (وأحد من الملائكة) (ادخلوا في أجم) أي في جملة جماعات وقرق أم بعضها بعضا (قد خلت) أي مضت

وسألت (من قبلكم من الجن والإنس) أى كفار الامم الماضية من القرنيين وقوله تعالى
 (فى النار) متعلق بادخولوا (كلما دخلت أمة) أى جماعة النار (لعمت أختها) أى التى ضلت
 بالاعتقاد بها (حتى اذا أذركوا) أى تلاحقوا واستقروا (فيها) أى النار (جميعا قالت أحرأهم)
 أى منزلة أودخولواهم الاتباع (لاولاهم) أى لاجلهم وهم المتبعون اذا الخطاب مع امة تعالى
 لامهم (ربنا هؤلاء) أى الاولون (أضلونا) أى لانهم أول من سن الضلال وقرأ نافع وابن
 كثير وأبو عمر وبابال الهمزة الثانية ياء فى الوصل والباقون بالتصحيح (فأتهم) أى أذفهم
 بسبب ذلك (هذاباضعفا) أى يكون بقدر عذاب غيرهم مرتين لانهم ضلوا وأضلوا ومن سن سنة
 سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ومنه لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم
 الأول كفل من دمها لانه أول من سن القتل ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم (من النار قال) الله
 تعالى (الكل) أى منكم ومنهم (ضعف) أى عذاب مضاعف أما القادة فكفرهم وتضلليهم
 وأما الاتباع فكفرهم وتقليد لهم (ولكن لا تعلمون) أى ما أهد الله تعالى لكل فريق من
 العذاب وقرأ أشعبة يعلون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (وقالت أولاهم) أى
 فى الكفر وهم القادة (لاخرأهم) أى الاتباع (فما كان لكم علمنا من فضل) أى لانكم لم تكفروا
 بسببنا فقد جاءكم الرسل والنذر فارجعتم عن ضلالتكم وكفركم فحقن وأنتم سواء قال الله
 تعالى لهم (قد قرأوا العذاب عا) أى بسبب ما كنتم تكذبون (أى من الكفر والاعمال الخبيثة
 أن الذين كذبوا بآياتنا) أى بدلائل التوحيد فلم يصدقوا ولم يتبعوا رسل (واستكبروا عنها) أى
 وتكبروا عن الايمان بها والالتقاد لها والعمل بمقتضاها (لا تفتح لهم أبواب السماء) ليعود
 أعمالهم ولا دعايتهم ولا ارواحهم ولا تنزل البركات عليهم لانها طاهرة عن الارجاس الخسيسة
 والمعنوية فماذا صنعت ارواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الابواب دونها
 ثم ألقيت من هنالك الى جهنم بخلاف المؤمن فيفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة كما ورد
 فى حديث وقرأ أبو عمر ووحدة والكسائى بسكون الغاء وتخفيف التاء بعدها الا أن أبا عمرو
 يقرأ بالتاء على التانيث وحزوة والكسائى بالياء على التذكير وقرأ الباقون بالتانيث وفتح
 الغاء وتشديد التاء بعدها (ولا يدخلون الجنة) أى التى هى أطهر المنازل وأشرفها (حتى) يكون
 ما لا يكون بان (يلج) أى يدخل (الجل) على كبره (فى سم الخطايا) أى ثقب الابرة وهو غير ممكن
 فكذلك ادخلوهم الجنة فهو تعليق على محال وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال
 زوج الناقة استجبها لالاسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف (وكذلك) أى ومثل
 ذلك الجزاء بهذا العذاب وهو أن دخولهم الجنة محال عادة (فنجزى الجرمين) أى الكافرين
 لانه تقدم من صفتهم انه م كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة
 الكفار فوجب حمل لفظ الجرمين على أنهم الكفار ولما بين تعالى أن الكفار لا يدخلون الجنة
 أبدا بين أنهم من أهل النار ووصف ما أهد الله لهم فيه فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) أى
 فراش وأصل المهاد المهاد الذى يتعد عليه ويضطجع عليه كالسباط (ومن فوقهم غواش)

أى أعطية من المارجمع غاشية والتنوين فيه عوض عن الباء التى هى حرف علة وقيل عن
 حركاتها (وكذلك تجزى القالمين) عبر عنهم بالجرمين تارة وبالظالمين أخرى اشعاراً بأنهم
 يتكذبونهم الآيات انصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم
 مع التعذيب بالنار تنبيهاً على أنه أعظم الاجرام وقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)
 مبتداً وقوله تعالى (لا تكلف نفساً الا وسعها) أى طاقتهما من العمل اعتراض بينه وبين خبره
 وهو (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وانما حسن وقوع ذلك بين المبتدأ والخبر لانه من
 جنس هذا الكلام لان الله تعالى لما ذكر عملهم الصالح دل ذلك على أن ذلك العمل من وسعهم
 وطاعتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها وعظمتها ووصل
 اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وأتبع الوعيد بالوعيد على عادته فقال تعالى
 (وزعنا ما فى صدورهم من غل) أى غش وعداوة كانت بينهم فى الدنيا فى كان فى قلبه على أخيه
 غل فى الدين انزع فسلك قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف وعن على رضى
 الله عنه انى لا رجوان أكون أنا وعمان وطلحة والزبير منهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 يخلص المؤمنون من النار فيحسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده
 لا دهم أهدى بمنزلة فى الجنة منه بمنزلة كان فى الدنيا وقال السدى فى هذه الآية ان أهل الجنة
 اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان فشرىوا من احداهما فترى
 ما فى صدورهم من غل وهو الشراب الطهور واغتسلوا من الآخر فترى عليهم بنصرة النعيم
 فلا يشعروا بعبدها أبداً وقيل ان درجات الجنة متفاوتة فى العلو والكمال فبعض
 أهل الجنة أعلى من بعض فأخرج الله تعالى الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم وزععه من
 قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالبة (فجبرى من تحتهم الانهار)
 أى من تحت قصورهم زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى ان المؤمنين
 اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة
 منه واحساناً وصرف عنا عذاب جهنم بفضلهم وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدى لولا ان
 هدانا الله) أى لولا هداية الله ونوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذور دل
 عليه قوله تعالى وما كنا لنهتدى وتقديره لولا هداية الله لنا وجود ذلك قيناً وما كنا مهتدين وقرأ
 ابن عامر مجذوف الواو قبل ما والباقون بالواو وادخل أهل النعيم الجنة ورأوا ما أعد الله
 تعالى لهم من النعيم قالوا (لقد جاءت رسلنا بالحق) فاهتدوا بنا برشادهم يقولون ذلك سروراً
 واعتباطاً بما نالوا وتذنبوا بالتكلم به وتبجها بأن ما علموه يقيناً فى الدنيا صار لهم عين اليقين
 فى الآخرة وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام
 (وفودوا) أذارواهم بعبداً وبعد دخولها والمنادى هو الله تعالى أو الملائكة نادون بأمر
 الله تعالى (أن تاتكم الجنة) التى كانت الرسل وعدتكم بها فى الدنيا وروى أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحبوا فلا تغفروا أبدا
 وان لكم ان تحبوا فلا تنسوا أبدا وان لكم ان تشبهوا فلا تهرموا أبدا وان لكم ان تنعموا
 فلا تناسوا أبدا فذلك قوله تعالى ونودوا أن تلصقكم الجنة (أورثقوها) أى أعطيقوها
 (بما كنتم تعملون) أى بسبب أعمالكم الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت جزاء ثوابها
 لكم على الاعمال الصالحة ولا يعارض هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يدخل
 الجنة أحد بغيره انما يدخلونهم ابرمة الله تعالى فان الباب فى الحديث للعرض وهى الداخلة على
 الاثمان نحو شريت الفرس بألف فلا تكون الجنة مشتراة بغيره بغيره فكون عمله غناها
 أو ان دخول الجنة بركة الله واقتسام الدرجات بالاعمال أو أن العمل الصالح لن يناله المؤمن
 ولن يلقاه الا بركة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب البركة كان دخول الجنة فى
 الحقيقة بركة الله وجعلها الله تعالى ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى
 دار الدنيا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل فى الجنة ومنزل
 فى النار فأما الكافر فيرث من المؤمنين منزله من الجنة والمؤمن يرث الكافر منزله من النار وان فى
 المواضع الخمسة التى فيها المنادة والتأذين هى المنخفضة أو المنخفضة لان المنادة والتأذين من
 القول وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الناء عند التاء والباقيون بالادغام
 (ونادى أصحاب أى اهل الجنة أصحاب) أى اهل النار أى تقول اهل الجنة يا اهل النار
 (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) أى فى الدنيا على لسان الرسل من الثواب على الايمان به وبرسوله
 وطاعته (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم) أى من العذاب على الكفر (حقا قالوا) أى قال
 اهل النار مجيبين لاهل الجنة (نعم) وجدنا ذلك حقا وهذا النداء انما يكون بعد ان يقرأوا اهل
 الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (فان قيل) الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يصح
 أن يقع هذا النداء (أجيب) بأن الله قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد
 كالقريب (فان قيل) هذا النداء من كل اهل الجنة لسلك اهل النار ومن البعض البعض
 (أجيب) بأن ظاهرا الآية العموم ويحتمل أن كل واحد من اهل الجنة ينادى من كان يعرف
 من الكفار فى دار الدنيا والله أعلم بحقيقة ذلك وقرأ الكسائى بكسر العين والباقيون بالفتح
 وهما الغتان (فأذن مؤذن) أى وهو اسرافيل صاحب الصور كما قاله ابن عباس وقيل واحد
 من الملائكة وأصل الاذان فى اللغة الاحلام والمعنى نادى نادى (بينهم) أى الفريقين
 أجمعهم (أن لعنت الله على الظالمين) وقرأ البرزى وابن عامر وجرزة والكسائى بتشديد أن
 ونصب التاء والباقيون بضعيف أن ورفع التاء ثم فسر الظالمين منهم بقوله تعالى (الذين يصدون
 عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (ويغفونها) أى يطلعون السبيل
 (عوجا) أى معوجة قال ابن عباس يصلون لغفر الله ويعظمون ماله يعظمه الله والعوج بكسر
 العين فى الدين والامر وكل مالم يكن قائما وبالفتح فى كل ما كان قائما كالخياط والرخ (وهم
 بالآخرة كافرون) أى يكون الآخرة واقعة جاحدون مذكرونها (ويقيمها) أى اهل الجنة

وأهل النار (حجاب) لقوله تعالى فضرِبَ بينهم بسوراً وسطاً بين الجنة والنار ليجتمع وصول أثر
احدهما إلى الأخرى (وعلى الأعراف) وهو سور الجنة جمع عرف وهو المكان المرتفع ومنه
عرف الدين لا ارتفاعه على ما سواه من جسده وقال السدي سمي ذلك السور عرافاً لأن أصحابه
يعرفون الناس أي أهل الجنة والنار (رجال) أي طائفة من الموحدين استوت حسنتهم
وسميتهم كما في الحديث فقضيت بينهم سيئاتهم عن الجنة ونجاوزت بهم حسناتهم عن النار
فوقفوا هناك حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل الله تعالى ورحمته وهم
آخر من يدخل الجنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن
كانت حسنة أكثر من سيئة واحدة دخل الجنة ومن كانت سيئة أكثر من حسنة
واحدة دخل النار ثم قرأ قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلطون ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال إن الميزان تحف بمقال حبة أو ترج قال ومن
استوت حسنته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف وقبلهم قوم خرجوا إلى القز بغير إذن
آبائهم فقتلوا فأعنتهم من النار فقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن الجنة بجمعية آباءهم فهم
آخر من يدخل الجنة وقبلهم هم الذين ماتوا في الفترة ولم يولدوا بينهم وقبلهم أطفال
المشركين (يعرفون) أي أصحاب الأعراف (كلاً) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) أي
بعلاماتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم أدم موضعهم عال
(ونادوا) أي ونادى أصحاب الأعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) إذا نظروا إليهم سألوا
عليهم (لم يدخلوها) أي أصحاب الأعراف الجنة (وهم بطمعون) في دخولها قال الحسن
لم يطمعهم إلا الكرامة يريد بهاهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك أطلع عليهم ربك
فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم وقال مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاه
علماء وعلى هذا إنما يكون لبثهم على الأعراف على سبيل التزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم
وحكى ابن الأثير أنهم أنبياء وعلى هذا إنما جلسهم على ذلك العلى تمييزاً لهم على أهل
القيامة وأظهارة الفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والشار ومطلعين على
أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مخنف هم ملائكة يرون في
صورة الرجال والأقوال الأولى تدل على أن أصحاب الأعراف دون أهل الجنة في الدرجات
وإن كانوا يدخلون الجنة بركة الله والأقوال الأخيرة تدل على أنهم أفضل من أهل الجنة لأنهم
أعلى منهم منزلة وأفضل (وإذا صرقت أبصارهم) أي أصحاب الأعراف (تلقاه) أي جهة
أصحاب النار فنظر والهمم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تبعنا مع
القوم الظالمين) أي الكافرين في النار قال ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى
أصحاب النار وما هم فيه نضرعوا إلى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم وقرأ قالون وأبو عمرو
والبري بإسقاط الهمزة الأولى وأبدلها ورش وقبيل حرف مد وسملها والباقون بالتحقيق
(ونادى أصحاب الأعراف رجالاً) أي كانوا أعظماء في الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم)

أَيُّ بِسْمِ أَهْلِ النَّارِ (قَالُوا) أَيُّ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ لَهُوْلَاءُ الَّذِينَ عَرَفُوهُمْ فِي النَّارِ (مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَهَنَّمُ) أَيُّ مَا كُنْتُمْ تَجْعَلُونَ مَعُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا أَوْ كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَاجْتِمَاعُكُمْ فِيهَا (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) أَيُّ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ تَكْبَرُكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ شَيْئاً قَالَ السُّكُتِيُّ يَنَادُونَهُمْ عَلَى السُّورِ يَا وَلِيدَ بْنِ الْغُبَيْرَةِ يَا أَبَاجَهْلَ بْنَ هِشَامٍ يَا فُلَانًا وَيَا فُلَانًا ثُمَّ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَرَوْنَ فِيهَا الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ مِمَّنْ كَانُوا يَسْتَعِزُّونَ بِهِمْ مِثْلَ سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَخَبِيبٍ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَأَشْبَاهِهِمْ فَيَقُولُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ لَهُوْلَاءُ الْكَافِرُونَ (أَهْوَلَاءُ) لَفْظٌ اسْتَفْهَامٌ أَيُّ أَهْوَلَاءِ الضُّعَفَاءِ (الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ) أَيُّ حَلْفَتِهِمُ بِاللَّهِ (لَا يَنَالُهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) أَيُّ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَقَدْ قَبِلَ لَهُمْ (أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وَقِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ إِذَا قَالُوا أَهْلُ النَّارِ مَا قَالُوا قَالَ لَهُمْ أَهْلُ النَّارِ إِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءُ فَأَنْتُمْ لَمْ تَدْخُلُوا هَافِيَةً بِهِمْ وَنَهْمٌ بِذَلِكَ وَيَقْعَمُونَ أَنْهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ حَبَسُوا أَهْلَ الْأَعْرَافِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَهَذَا ظَاهِرٌ عَلَى الْأَقْوَالِ الْأُولَى وَقَرَأَ أَبُو جَهْرٍ وَعَاصِمٌ وَحِزْرَةُ بِكَسْرَتَيْنِ رَحْمَةً فِي الْوَصْلِ وَابْنُ ذَكْوَانَ بِوَجْهِينِ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ وَالْبَاقُونَ بِالضَّمِّ (وَإِذْ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَقْبَضُوا عَمَلَهُمْ مِنَ الْمَاءِ) أَيُّ مَبْصُوهٌ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ النَّارِ (أَوْ حَمَارَ رِزْقِكُمْ اللَّهُ) أَيُّ مَنْ سَارَ لِاشْرَبَةِ لَبْلَابٍ ثُمَّ الْأَفَاضَةُ لِأَنَّ الْأَفَاضَةَ مِنَ اللَّائِمَةِ لِلْمَاءِ وَسَارَ الْمَائِعَاتُ فَعَمِلَتِ الْأَفَاضَةُ عَلَى أَفَاضَةِ جَمِيعِ الْمَائِعَاتِ وَأَمِنْ سَارَ الْمَشْرُوبِ وَالْمَاءِ كَوَلٍ بِتَضْمِينِ أَقْبَضُوا الْقَوَا كَقَوْلِهِ

عَلَقْتَهَا بِنَارٍ وَمَا بَارِدًا * حَقٌّ غَدَّتْ هَمَلَةً مَعْنَاهَا

أَيُّ فَائِضَةٌ مَعْنَاهَا (قَالُوا) أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَجْعَلُونَ لَهُمْ (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هُمَا) أَيُّ مَنَعَهُمَا (عَلَى الْكَافِرِينَ) أَيُّ مَنَعَهُمْ طَعَامَ الْجَنَّةِ وَشَرَابَهَا كَمَا يَنْبَغُ الْمَكَّافَ مَا يَحْزَمُ عَلَيْهِ وَيَحْظَرُ كَقَوْلِهِ * سَرَامٌ عَلَى هَيْبَةٍ أَنْ تَطْعَمَ الْكَرَّاءُ * وَقِيلَ لِمَا كَانَتْ شَهْوَاهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي لَذَّةِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَعَذِيبُهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ بِشِدَّةِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَسَأَلُوا مَا كَانُوا يَتَعَدَّوْنَ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَلَبِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ فَأَجِيبُوا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ طَعَامَ الْجَنَّةِ وَشَرَابَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ بِقَوْلِهِ (الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوَالِغًا) وَهُوَ مَا زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَصِيرَةِ وَالتَّصَدِيقَةِ حَوْلَ الْبَيْتِ وَسَارَ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقِيلَ كَانُوا إِذَا دَعُوا إِلَى الْإِيمَانِ يَهْزَوْنَ دَعَاؤَهُمْ وَهَزْوَاهُ وَاللَّهُ وَهُوَ يَصْرِفُ اللَّهُمَّ بِمَا يَحْسُنُ أَنْ يَصْرِفَ لَهُ وَاللَّعِبَ طَلَبَ الْفَرْحِ بِمَا يَحْسُنُ أَنْ يَطْلُبَ بِهِ (وَعَزَّزْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أَيُّ وَخَدَعْتُمْ عَاجِلَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ رَغَدِ الْعَيْشِ وَالذَّمَّةِ وَشَغَلْتُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمِنْ الْأَخْذِ بِنَصِيحَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى أَتَتْهُمْ الْمُنِيَّةُ وَهَمٌّ عَلَى ذَلِكَ وَالْفَرَّةُ غَفْلَةٌ فِي الْقِظَّةِ وَهُوَ طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي طَوْلِ الْعُمُرِ وَحَسَنِ الْعَيْشِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ وَقِيلَ الْجَاهُ وَنِيلَ الشَّهْوَاتِ فَذَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ صَارَ مَحْجُوبًا عَنِ الدِّينِ وَطَلَبِ الْخُلَاصِ لِأَنَّهُ غَرِقَ فِي الدُّنْيَا بِذَلِكَ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ وَلِمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ قَالَ (فَالْيَوْمَ) أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (نَسَاهُمْ) أَيُّ تَرَكَهُمْ فِي النَّارِ وَفَرَضَ

عنهم فلا تحجب دعاءهم ولا ترحم ضعفهم (كانسوا القاء يومهم هذا) أى كثر كوا العمل للقاء
 يومهم هذا كفعّل الناس فلم يحطروا بالهم ولم يتموا له وأعرضوا عن الإيمان فقابل الله تعالى
 جزاء منسيانهم بالنسيان على الجواز لأن الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
 مثلها (وما كانوا يأتينا بمجحدون) أى وما كانوا منكربين أنهم امن عند الله تعالى (ولقد
 جئناهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى قرآن أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه) أى بينا معانيه
 من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) أى عالين بوجه تفصيله وقوله تعالى (هدى
 وترجمة لقوم يؤمنون) أى به حال من منصوب فصلناه كأن على علم حال من مرفوعه (هل
 ينظرون) أى ما ينظرون (الاتأويل) أى الاعاقبة أمره وما يؤل اليه من تين صدقه وظهور صحة
 ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) أى يوم القيامة لانه يوم الجزاء (يقول الذين
 نسوه من قبل) أى تركوه ترك الناس (قد جاءت رسلنا بالحق) أى قد تبين لهم واعترفوا يوم
 القيامة بأن ما جاءت به الرسل من الإيمان والحشر والنشر والبعث والثواب والعقاب حق حين
 لا ينفعهم ذلك الاعتراف * ولما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا (فهل لنا من شفعاء فنبشعوا لنا)
 اليوم (أورد) أى أو هل نرد إلى الدنيا وقولهم (فمفعول غير الذى كان يعمل) فيما قبل الكفر
 بالإيمان والتوحيد والمعاصى بالطاعة والالابية جواب الاستفهام الثانى (قد خسروا أنفسهم)
 أى اذ صاروا إلى الهلاك لانهم كانوا فى الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا إلى الدنيا
 لعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم (ومض) أى ذهب (عنهم
 ما كانوا يفترقون) أى من دعوى الشريك فلم ينفعهم (إن ربكم) أى سيدهم ومولاكم ومصليح
 أموركم وموصل الخير اليكم ودافع المكروه عنكم هو (الله الذى خلق السموات
 والارض) أى ابتدعها وأنشأ خلقها ما على غير مثال سبق (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا
 وقيل من أيام الآخرة كل يوم ألف سنة (فان قيل) اليوم من أيام الدنيا عبارة عن مقدار من
 الزمان وذلك المقدار من طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن اذ ذلك الشمس ولا قرولا سما (أجيب)
 بأن معنى ذلك مقدار ستة أيام فهو كقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكره وعشيا أى على مقادير
 البكر والعشى فى الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا
 على خلق السموات والارض فى لحظة فخلقهن فى ستة أيام تعليم الخلقه الثبوت والتأني
 فى الامور وقد جاء فى الحديث التأتى من الله والمجتهل من الشيطان واختلف العلماء فى اليوم
 الذى ابتدأ الله خلق الاشياء فيه فقيل هو يوم السبت لخبر مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
 أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
 الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها
 الدواب يوم الخميس وخلق آفة آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار
 وفيما بين العصر إلى الليل وقيل يوم الاحد لقول بعضهم سمي يوم الاثنين لانه تانى الايام
 والخميس لانه خامس الايام قال الاسنوى والصواب الاول للخبر المذكور (ثم استوى على

العرش) أى استوى أمره وقال أهل السنة الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب
 الايمان به ونكل فيه العلم الى الله تعالى والمعنى أن له سبحانه وتعالى استواء على العرش على الوجه
 الذى عنده منزعه عن الاستقرار والتمكن وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى الرحمن على
 العرش استوى فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرضا ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير
 معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الاضلال ثم أمر به فأخرج وروى
 عن سفان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى
 جاءت فى الصفات المتشابهة أمرؤها كما جاءت أقرؤها بلا كيف واجماع السلف منعقد على أن
 لا يزيد على قراءة الآية والعرش فى اللغة السرير قال كعب ان السموات فى العرش
 كالقنديل معلق بين السماء والارض وقال الطائى العرش باقوتة حجارة وشذ قوم فقالوا
 العرش بمعنى الملك وهذا عدول عن الحقيقة الى التجوز مع مخالفة الأثر لم يسمعوا قوله تعالى
 وكان عرشه على الماء أنراه كان الملك على الماء وكيف يكون الملك باقوتة حجارة وبعضهم يقول
 استوى بمعنى استولى ويحتاج بقول الشاعر

قد استوى بشرى على العراق * من غير سيف ودم مهران

وقال آخر هما استويا بفضلهما جميعا * على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند أهل اللغة قال ابن الاعراب لا يعرف استولى فلان على كذا الا اذا كان
 بعيدا منه غير متمكن منه ثم تمكن منه والله تعالى لم يزل مستوليا على الاشياء والبيتان قال ابن
 فارس اللغوى لا يعرف قائلهما ولو صححنا لاجحة فهم ما ينشأ من استيلاء من لم يكن مستويا نعوذ
 بالله من تعطيل المحدث وتشبيه الجسمة وقبل هو ما علا فأظل ومنه عرش الكرم (يعنى الليل
 النهار) أى يغظمه ولم يذكر عكسه اما للعلم به واما لان اللفظ يحتملها ما بان يكون المعنى بأنه يطق
 الليل بالنهار والنهار بالليل وقرأ شعبة وحزرة والكسائى بفتح الغين وتشديد الشين والباقون
 بسكون الغين وتخفيف انشين (يطلبه) أى يطلب كل منهما الاخر طلبا (حنثا) أى مر يعافه
 صفة مصدر محذوف ويحتمل أن يكون حالا من الفاعل بمعنى حاثا أو والمفعول بمعنى المحموش
 (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) أى مذلات لما يراد منهن من طلوع وأفول وسير على
 حسب ارادة المدبر لقن (بأمره) أى بقضائه وتصريفه وقرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء
 والخبر والباقون بالنصب عطفا على السموات ومسخرات منصوب بالكسرة (ألا اله الا الحق)
 جميعا (والامر) كانه فانه الموجد والمنصرف فى ذلك وفى هذا رد على من يقول ان الشمس والقمر
 والكوكب تخلق له الامر المطلق وليس لاحد أمر غيره فهو الامر والنهى الذى يفعل
 ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خاقه عليه واستخضع سفيان بن عيينة من هذا ان
 كلام الله تعالى ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر رأى
 ان جعل الامر وهو كلامه من جملة ما خلقه فهو كفر لان المخلوق لا يقوم الا بمخلوق (بارك الله رب
 العالمين) أى تعالى بالوحداية وقظم بالتفرد فى الربوبية قال البيضاوى بتحقيق الآية والله

أعلم أن الكفرة كانوا مختارين أربابا فيبين الله تعالى لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتبدير حكيم فابعد الافلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعهد الى إيجاد الاجرام السفلية فخلق جسماتها بالصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متفاداة الاثوار والافعال وأشار إليه بقوله تعالى خلق الارض في يومين أى ما في جهة السفلى في يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة أى وهى النبات والحيوان والمعدن بتركيب موادها وأول تصور هاتين كما قال تعالى بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أى مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما السموات لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم لم يتم له عالم الملك محمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسمير الكواكب وتكوين المسالك والالام ثم صرح بما هو نتيجة ذلك فقال أله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم أن يدعوه مثلهن مخلصين بقوله تعالى (ادعوا بكم) لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه سبحانه وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايسالها الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدره والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعاً) أى ادعوا بكم تذلل واستكانة وهو اظهر الازل في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخضع (وخفية) أى سرافى أنفسكم وهو ضة العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية وعن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل الناس يجهرون بالكبرياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لاتدعون أصم ولا غاباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم قال أبو موسى وأنا خلقه أقول لاحول ولا قوة الا بالله في نفسى فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى قال لاحول ولا قوة الا بالله وقال الحسن بن دعوة السري والجهر سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجهدون في الدعاء لا يسمع لهم صوت ان كان الاهمسا بينهم وبين ربه وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا بكم تضرعاً وخفية فان الله تعالى أثنى على ذكر باعبيه الصلاة والسلام فقال اذا نادى ربه نداء خفياً وعن الحسن أيضاً ان الله يعلم التضرع والدعاء الخفى ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعر به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل بقدره أن يفعلوه في السر فيكون علانية أبداً (انه) تعالى (لا يحب المعتدين) أى المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره منه به على أن الداعي ينبغي له أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء عليهم الصلاة

والسلام والصعود الى السماء روى أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم انى سألت القصر
الايض عن عيّن الجنة اذا دخلتها فقال يا بنى أسأل الله الجنة وتعود به من النار فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الآلة قوم يعتدون في الطهور والدعاء
وقيل أراد به الاعتداء في الجهر قال ابن جرير من الاعتداء رفع الصوت والتدعاء بالدعاء
والصباح وعنه صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم
انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأهوذك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض) أى بالشرك والمعاصي (بعد اصلاحها)
أى يبعث الرسل وشرع الاحكام وقيل لا تفسدوا في الارض فيسلك الله المطر ويهلك الحرث
بما صيبكم وعلى هذا المعنى قوله تعالى بعد اصلاحها أى بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر
والخصب (وادمه خوفاً) منه ومن عذابه (وطمعا) أى فيما عنده من مغفرته ونوابه وقال
ابن جرير خوف العدل وطمع الفضل (ان رجعت الله قريب من الحسين) أى المطيعين وفي
ذلك ترجيح الطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب المخبر به عن رجة لاضافتها
الى الله تعالى وقال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل
ان تأنيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وقيل
ذكره للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره حيث يجب التأنيث في الاول فيقال
فيه فلانة قريبة منى ويجوز في الثاني فيقال فلانة قريبة وقريب منى في المكان وكون الرحمة
قريباً من الحسين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار من الدنيا واقبال على
الآخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي
الثواب في الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان * (فائدة) * رجعت ~~تكتب~~ بالتاء
المجرورة فوقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وأمالها الكسائي
في الوقف وقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح) عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بالتوحيد
والباقون بالجمع (نشر ايدي رحمة) أى متفرقة قدام المطر الذي هو من أجل النعم وأحسنها
أثراً وقرأ أعاصم بالباء الموحدة وسكون الشين أى مبشراً وجزرة والكسائي بالتون مفتوحة
وسكون الشين على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعل مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان وابن عامر بالتون مضومة وسكون الشين تخفيفاً ولباقون بضم النون
والشين جمع نشور بمعنى ناشر (حتى اذا قلت) أى حلت الرياح (سحاباً نقلاً) أى بالمطر يقال
أقل فلان الشيء اذا حله واشتقاق الاقل من القلة فان من يرفع شيئاً يراه قليلاً (سقاء) أى
السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ وفيه التفات عن الغيبة ولوجل على المعنى كالنقل لانه
كما لو جل على اللفظ قليل ثقبلاً والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه
ماء مسمى سحاباً لان سحابة في الهواء قال السدي ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح فتأتي

بالسحاب من بين الخفافين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرج ثم تنشره فتبسطه
 في السماء كما يشاء ثم تنفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب بعد ذلك (البلد
 ميت) لا نبات فيه أي لا حياته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بتخفيف الياء والباقون بالتشديد
 (فانزله) أي بالبلد وأوالسحاب (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا
 لاجراج الثمرات (من كل الثمرات) أي من كل أنواعها قال الازهرى قال الليث بن سعد رحمه
 الله تعالى البلد هو كل موضع من الارض عامرا وغير عامر حال أو مسكون والطائفة منها بلدة
 والجمع بلاد (كذلك) أي مثل هذا الاجراج (مخرج الموق) أحياء من قبورهم بعد فناءهم ودرس
 آثارهم (لعلكم تذكرون) أي لكي تعتبروا وتذكروا وانخطاب للمكرى البعث يقول انكم
 شاهدتم الانجبار وهي من هرة موروقة ممتدة في أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة
 حارية من تلك الاوراق والثمار ثم ان اقمه أحياء مرة أخرى فالتقادر على احيائها بعد موتها
 قادر على أن يحيي الاجساد بعد موتها قال أبو هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اذا مات
 الناس كلهم في النفخة الاولى أرسل الله تعالى عليهم مطرا اكنى الرجال من ماء تحت العرش
 فينبثون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيها الروح ثم بلقي عليهم
 نومة فينامون في قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم
 فعند ذلك يقولون يا ويلنا من يعننا من امر قدنا وقرأ حفص وحزرة والكسائي بتخفيف الذال
 والباقون بالتشديد (والبلد الطيب) أي والارض الكريمة التربة السهلة السمجة (يخرج نباته
 باذن ربه) أي بعينه تنبته وتسريه عبره عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانها وقعت
 في مقابلة (والذي خبت) أي والبلد الذي خبت أرضه فهي سجة (لا يخرج) نباته (الانكداد)
 أي عسرا بشقة وكلفة قال المفسرون وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فنبه المؤمن
 بالارض الطيبة وشبه نزول القرآن على قلبه بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها
 أخرجت أنواع الازهار والاعمار فكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به واتقعه وظهر به منه
 الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحيدة وشبه الكافر بالارض الرديئة القليظة السجة
 التي لا ينتفع بها وان أصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدق ولا يزيد
 الاعتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة وقيل
 هو مثل ضربه الله تعالى لآدم وذرية كلهم منهم طيب ومنهم خبيث (كذلك) أي كما بينا ما ذكر
 (نصرف) أي نبين (الآيات) الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية وحجة بعد حجة (نقوم
 يشكرون) نعمة الله تعالى فينتفكرون فيها ويعتبرون بها وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم
 الذين ينتفعون بسماع القرآن ولما ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته الدالة
 على توحيده وربوبيته وأقام الدلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بخصص
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أمهم فقال (لقد) جواب قدس محذوف تقديره
 والله لقد (أرسلنا نوحا) عليه السلام (الى قومه) ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة

التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن الملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو ادريس عليه السلام وهو أول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نجارا بعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وهو ابن أربعين سنة وقبل وهو ابن مائه سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما نوح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لما رجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مرتكب كل مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتني أو أعبت الكلب وفي ذكر القصص نسلمة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد أعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت للخسار والهلاك في الدنيا والآخرة والعذاب الاليم فمن كذب محمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق أحد من علماء زمانه وقد أتى بعث هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه أحد فعمل بذلك أنه انما أتى من عند الله وأنه أوحى اليه بذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم (فقال) نوح حال ارسائه لقومه (يا قوم اعبدوا الله) أي اعمدوه وحده لقوله تعالى (مالك من آله غيره) فإنه الذي يستحق العبادة لا غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء على أنه صفة لاله والباقون برفعهم على البدل من محله (أني أخاف عليكم) ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى وتاباع أمره وطاعته (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان واهلاكهم فيه وقال أخاف على الشك وان كان يقيننا من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون (قال الملا من قومه) أي الاشراف منهم فانهم يعلون العيون منظرنا (انالزل في ضلال) أي خطأ وزوال عن الحق (مبين) أي بين (قال) نوح محبب اليهم (يا قوم ليس بي ضلالة) أي ليس بي شيء مما تظنون من الضلال (فان قيل) لم يقل ليس بي ضلال كما قالوا (أجيب) بأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كما لو قيل ألك ثم نقلت مالى ثم فقتد بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وقوله تعالى (ولكني رسول من رب العالمين) استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه كأنه قال ولكن على هدى في الغاية لأن رسول الله (أبلغكم رسالات ربي وأنصحكم) والنصح ارادة الخير غيره كما يرده لنفسه ويقال نصحتة ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له وفي زيادة الامم مبالغة ودلالة على محاض النصيحة وانما وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبها لا غير قرب نصيحة ينتفع بها الناصح فتقصده لانتفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله ورسوله وقيل حقيقة النصع تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه وقال بعض المفسرين والفرق بين ابلاغ نصيحة الرسالة وبين النصيحة

هو أن تبليغ الرسالة أن يعلمهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكليف التي أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهي أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذروهم عقابه إن عصوه وقرأ أبو عمر ويسكون الباء وتخفيف اللام من الإبالغ كقوله تعالى لقد أبلغتكم رسالاتي وقرأ الباقون بفتح الباء وتشديد اللام من التبليغ كقوله تعالى بلغ ما أنزل إليك من ربك (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من صفات الله وأحوال قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقوله تعالى (أو عجبتم) الهمزة للأنكار والواو للعطف على محذوف أي كذبتم وعجبتم (إن جاءكم) أي من أن جاءكم (ذكر) أي موعظة (من ربكم على رجل) أي على لسان رجل (منكم) أي من جنسكم أو من جملتكم تعرفون نسبه وذلك أنهم كانوا يحبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما معناه ما هذا في آياتنا الأولى دعون إرسال البشر ولو شاء ربنا لازلنا نزل ملائكة (الينذركم) أي لأجل أن ينذركم عاقبة الكفر والمعاصي (واتقوا) أي ولاجل أن تتقوا الله (وأعلمكم ترجون) بالتقوى أن وجدت منكم لأن المقصود من إرسال الرسل الإنذار والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة وفائدة حرف الترخي التبيين على أن التقوى غير موجبة والرحمة من الله تعالى محض تفضيل وإن المتقى ينبغي أن لا يعتقد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله (فكذبوه) أي نوحاً (فأنجيناه والذين آمنوا به) (من الغرق) وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقبل تسعة نبوه الثلاثة سام وحام ويافت وستة من آمن به وقوله تعالى (في الفلك) متعلق بمعه كأنه قيل والذين آمنوا به في الفلك وأوحى به في الفلك أو بأنجيناه أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (أنهم) كانوا قوماً معينين أي عصى القلوب عن الحق غير مستبصرين يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد دعم

(والى عاد) أي وأرسلنا إلى عاد وهود عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الأولى (أخاهم هوداً) أي أخاهم في النسب لافي الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقبل هود ابن صالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلف في سبب الاخوة من أين حصلت على وجهين الأول قال الزجاج أنه كان من بني آدم ومن جنسهم لأن الملائكة وبكى هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى أنا أرسلنا إلى عاد وحدا من جنسهم من البشر ليكون القهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والوجه الثاني أن أخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضر موت (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحدود ولا تجعلوا معه الها آخر (مالكم من الغيرة) (فان قيل) لم حذف العاطف من قوله قال ولم يقل فقال كما في قصة نوح (أجيب) بأن هذا على تقدير سؤال

سائل قال فما حالهم هو فقيل قال يا قوم وقيل ان نوحا كان مواظبا على دعوته قومه غير
متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هو فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة
في الدعاء فاجاب الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره (أفلا تتقون)
الله أى أفلا تتحافون عقابه فتؤمنون ولما كانت هذه القصة معطوفة على قصة نوح وقد علم ما حل
بهم من الفرق حسن قوله هنا أفلا تتقون أى أفلا تتحافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن
قبل واقعة قوم نوح شئ حسن تخويفهم من العذاب فقال هنالك انى أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم (قال الملا الذين كفروا من قومه انالتراك في سفاهة) أى فى حق وجهاله وضلاله عن
الصواب (فان قيل) لم قال قوم نوح انالتراك في ضلال مبين وقوم هو انالتراك في سفاهة
(أجيب) بأن نوحا خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة في أرض ليس فيه امن الماء
شئ قال له قومه انالتراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في هذه الارض واما هو
عليه السلام لما ريف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قوله العقل فابواه بحله
فقالوا انالتراك في سفاهة (وانالتراك من الكاذبين) أى في ادعائك انك رسول من رب العالمين
(قال) هو دلهم ولا الملا الذين نسبوا الى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) أى ليس الامر كما تزعمون
ان بي سفاهة (ولكني رسول من رب العالمين ابلةكم رسالات ربي) أى اودى اليكم ما ارسلني
به من أوامره ونواهيه وشراعه وتكاليفه (وانالكم ناصح) أى فيما أمركم به من عبادة الله
تعالى (أمين) أى مأمون على تبليغ الرسالة وأداء النصع والامین الثقة على ما ائتمن عليه
(فان قيل) لم قال نوح وأنصح لكم بصيغة الفعل وقال هو دوا نالكم ناصح بصيغة اسم الفاعل
(أجيب) بأن صيغة الفعل تدل على تجدد ساعة بعد ساعة وكان نوح يدعو قومه لئلا
ينهارا كما أخبر الله تعالى عنه بقوله رب انى دعوت قومي لبلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته
ذكره بصيغة الفعل فقال وأنصح لكم واما هو فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتادون
وقت فلهاذا قال وانالكم ناصح أمين (فان قيل) مدح الذات بأعظم صفات المدح غير لائق
بالعقلاء (أجيب) بأنه فعل هو وذلك لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الردهم
في قولهم وانالتراك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه أمين في تبليغ ما ارسل به من
هنا الله وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها (وأعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره (تنبيه) في اجابة الاتبياء
الكفرة عن كلماتهم المحققة بما أجابوا والاعراض عن مقالتهم كمال النصع والشفقة وهضم
النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح (واذكروا) نعمة الله عليكم (أفلا تعلمون)
خلفا من بعد قوم نوح) أى خلفتهم في الارض أو جعلكم ملوكا في الارض فان شدد ابن
عادمين ملك مع مورة الارض من رمل عاجل وهو موضع بالبادية يهازل الى شجر عمان وهو بفتح
الشين المجبة وكسرها وبالهاء المهلة ساحل البحر بين عمان وعدن (وزادكم في الخلق بسطة)
أى طولا وقوة قال الجلال الهلى في سورة القمر كان طول الطويل منهم أربع مائة ذراع وقامة

القصيرستين ذراعاً وقال أبو حنيفة العياشي سبعون ذراعاً وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما ثمانون
 ذراعاً وقال مقاتل كان طول كل رجل اثني عشر ذراعاً أخرجه ابن عسار عن وهب بن ذراعهم
 أى على الأقوال كلها وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان بين الرجل أى بعد
 منته نقرخ فيها الضباع وكذا ما خرهم وقرأ نافع والبرقي وشعبة والكلبي بالصاد
 وأبو عمرو وهشام وقنبل وحفص وخلف بالسين وأما ابن ذكوان وخلا دقراً بالسين والصاد
 (فأذكروا الله) أى أنعمه أى اعلموا بما يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا
 ما أنتم عليه من عبادة الاصنام (لعليكم تفعلون) أى تفوزون بالنعيم المقيم فى الآخرة (قالوا)
 أى قوم هود مجيبين له (اجتنتنا) يهود (لنعبد الله وحده ونذر) أى نترك (ما كان يعبد آباؤنا)
 أى من الاصنام استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم
 ومعنى المجئ فى اجتنتنا ما لا تهودا كان معتزلاً عن قومه كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم
 بجرأ قبل البعثة فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم أو يريدون به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون
 أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا اجتنتنا من السماء كما يجيئ الملك أو أن المقصود
 على الجأز كما تقول ذهب يشتقى ولا يراد حقيقة الذهاب (فأتنا بعبادتنا) أى من العذاب
 (أن كنت من الصادقين) أى فى قولك أنى رسول الله (قال) هود مجيباً لهم (قد وقع عليكم) أى
 نزل عليكم (من ربكم وحس) عقاب (وغضب) أى سخط (أفجادلوني فى أسماءهم) أى
 وضعوها (أنتم وآباؤكم) أى من عند أنفسكم والاستفهام للانكار عليهم لانهم هو
 الاصنام بالآلهة فعبدها من دون الله (ما نزل الله بها) أى بعبادتها (من سلطان) أى حجة
 وبرهان لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد لكل وانما الواسطة كانت استحقاقها بجهله
 تعالى أما بآياتها (فأنصب دليل) (فأنظروا) أى نزول العذاب بسبب تكذيبكم لى (أنى معكم
 من المنتظرين) ذلك فأرسل عليهم الريح العقيم (فأنجيناه) أى هوداً (والذين معه) أى من
 المؤمنين (برحمة منا وقطعنا أبرار الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم وقوله تعالى (وما كانوا
 مؤمنين) عطف على كذبوا وروى أن قوم هود كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم
 هوداً فكذبوا وازدادوا عتوا فأمسك الله تعالى القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدوا وكان
 الناس حينئذ مسلمين وكافروهم إذا نزل بهم بلا توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى
 الفرج فجهزوا الى الحرم قبل بن عزروم ثدبن سعدى سبعين من أعيانهم وكان بمكة اذ ذلك
 العمالة أولاد علق بن لاؤد بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة
 أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرًا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
 فمئتان له وكان اسم احدهما وردة والآخرى جرادة فتسجنتها جرادة في فيه فغلب والقينة
 الأمة مغنية أو غير مغنية فلما رأى ذهلهم باللهو عما يشعرون له أنه ذلك واستخفى أن يكلمهم
 فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقين فقالا قل شعرا فنغمهم به ولا يدرون
 من قاله فلم القيتين معاوية الأبا قبل ويحك قم فنهيم * والهيئة الصوت الخفى أى أخفى

الدعاء * لعل الله ينجنا غمنا * والقمام هنا المطر

فيستقى أرض عاد ان عاداً * قد اسوا الايينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

فلما غتياه أزجههم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد بطأتم عليهم

فادخلوا الحرم واستنقوا القومكم فقال لهم هرث بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولا تكن

ان أطعمت بانيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم وأظهر اسلامه فقالوا المعاوية اجلس عن امرئنا

لا يقدم من معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً

ما كتب تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً يضاء وجرام سوداء ثم ناداهم ناد من السماء يا قيل

اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانهم أكرما فخرجت على عاد من واد لهم

يقال له المغيث فاستبشروا به وقالوا هذا عارض مطرنا فجاؤهم منها ربح عقيم فأهلكتهم ونجا

هود ومن معه من المؤمنين وأوامكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا وروى أن النبي من الانبياء

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذا هلك قومه هاجر والصالحون معه الى مكة يعبدون الله

تعالى فيها حتى يموتوا وروى عن علي رضي الله تعالى عنه ان قبر هود بحضرموت في كتيب أحر

وقال عبد الرحمن بن سابط بن الركن والمقام وزعم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح

وشعيب واسماعيل في تلك البقعة (والى غود) أى وأرسلنا الى غود قبيلة أخرى من العرب سموا

باسم أبيهم الاكبر وهو غود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل سموه لقلته

ماهم من النمد وهو الماء القليل وكان مسكنهم الحجر وهو بكسر الحاء موضع بين الحجاز

والشام الى وادى القرى واتفق القراء السبعة هنا على عدم صرف غود مراد به القبيلة وقوى

مصر وفاقى غير هذه السورة بتأويل الحى أو باعتبار الاصل وهو انه اسم لا يهيم الاكبر والعماء

القليل (أخاهم صالحاً) أى أخاهم فى النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسع

ابن عبيد بن قاف بن غود (قال) لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم (يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الله غيره) أى فلا يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم من ربكم) أى معجزة ظاهرة

الدلالة على صحة نبوتى وصدق ما أقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى ثم فسر تلك البيعة بقوله

(هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على صدقى أو آية نصبت على الحال عاملها ما دل عليه اسم

الاشارة من معنى الفعل كانه قال أشير اليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجهة عليه الايمان

خاصة وهم غود لانهم عابوها وسائر الناس أخبروا وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم

خصوصاً وانما أضيفت الى الله تعالى تعظيماً لها وتخيماً شأنها كما يقال بيت الله ولا نجاهات

من عند الله تعالى بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها) أى اتركوها

(تأكل فى أرض الله) أى العشب فليسست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات انباتكم

(ولا تغسوها بسوء) أى بشئ من أنواع الاذى لا بعقر ولا بغيره وقوله (فأخذكم عذاب أليم)

أى بسبب أذاها جواب النهى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء فى الأرض) (من بعد عاد) أى

ان الله تعالى اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها (وبؤاكم) أي أسكنكم
 وأنزلكم (في الارض) أي أرض الحجر (تخذون من سهولها قصورا) أي تبنيون القصور من
 سهولة الارض لان القصور انما تبني من اللبن والابجر المتخذ من العجين السهل المين غالباً
 (وتختون الجبال يوتا) أي وتتقون في الجبال البيوت وكانوا في الصيف يسكنون بيوت الطين
 وفي الشتاء بيوت الجبال وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بخفضها (فأذكروا
 آلاء الله) أي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروا عليها فانكم ممنعون مرفهون بمساكن
 في الصيف ومساكن في الشتاء (ولا تعثروا في الارض مفسدين) والعثوا أشد الفساد وقال
 قتادة معناه لا تسبوا مفسدين في الارض وقيل أراد به النهي عن عقر الناقة (قال الملا)
 الذين استكبروا من قومه) أي تكبروا عن الايمان به (الذين استضعفوا) أي الذين استضعفهم
 واستبدلهم وقوله تعالى (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا وبدل الكل ان كان
 الضمير لقومه وبدل البعض ان كان الذين وقرأ ابن عامر وقال الملا بالواو والباقون بلا واو
 (أعلمون أن صالحا مرسل من ربه) أي أن الله أرسله اليكم قالوا ذلك على الاستهزاء
 (قالوا) أي الضعفاء (انما أرسل به) أي صالح من الدين والهدى (مؤمنون) أي مصدقون
 وانما عدلوا عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيهها على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل
 أو يخفى على ذي لب (قال الملا) (الذين استكبروا) عن أمر الله تعالى والايمان به وبرسوله صالح
 عليه السلام (انما الذي آمنتم به كفرون) أي جاحدون متكبرون (فعقروا الناقة) أي عقرها
 قد أربأ أمرهم فاستد العقر الهمم والعقر قطع عروق البعير ثم جعل التعر عقرافانه قتلها بالسيف
 فان تاجر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن أمر ربهم وعصوه وكذبوا
 نبيهم صالحا عليه السلام (وقالوا يا صالح انت ادعنا تعذنا) أي من العذاب (ان كنت من المرسلين)
 أي ان كنت تزعم أنك رسول الله فان الله ينصر رسله على أعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا
 مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة من الارض
 والصيحة من السماء (فأصبحوا في ديارهم جائعين) أي باركين على الركب ميتين روى ان عاد لما
 أهلكت عمرت غود بلادهم وخلفوهم في الارض وكثروا وعمر وأعمار أطولوا حتى ان الرجل كان
 يبني البيت المحكم فينهدم في حياته فيختون البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش
 فعموا وأفسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام من
 أشرفهم غلاما شابا فدعاهم الى الله تعالى حتى كبر لا يتبعه الا قليل يستضعفون فلما ألح عليهم
 صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التحذير والتخويف سأله آية فقال لهم أي آية تريدون
 فقالوا اخرج معنا الى عيديننا في يوم معلوم لهم في السنة فمدعو الهك وندعو آلهتنا فان
 استجيب لك استجبنا وان استجيب لنا اتبعنا قال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم
 وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبه ثم قال سيدهم جندع بن عمرو
 وأشار الى حفرة مفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الحفرة ناقة

بخيرجة جوفاء وبراء والخيرجة هي التي شاكلت البخت والجوفاء ذات الجوف والبراء ذات
 الوبر فان فعلت ذلك صدقنا فأنخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتؤمنن ولتصدقن فقالوا نعم
 فصل ودعاريه فتمحضت المصطرة أي تحركت للولادة تمحض التسوج بولدها فانصدت أي
 انشقت عن ناقة عشرأ وهي التي مر عليها من يوم أرسل عليها الفصل عشرا أشهر جوفاء وبراء
 كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها الا الله تعالى عظماء وعظماؤهم ينظرون ثم نجبت ولدا مثلها
 في العظم فأمن به جندح ورهط من قومه وأراد أن يرأسه فغود أن يؤمنوا به وبصدقهم فهاهم
 ذؤاب بن عمرو بن أسد والحباب صاحباً أو ثائهم ورباب بن صمعر كاهنهم وكانوا من أشرف غود
 فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكشفت الناقة مع
 ولدها ترى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فارتفعه
 حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفجع وهو بتقديم الحاء المهملة مثل التفصح وهو أن تفرج بين وجهها
 فيصلبون ما شاؤا حتى تمثي أو يأنهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف أي تقيم زمن الصيف
 يظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتوا أي تقيم زمن الشتاء يبطنه فتهرب مواشيهم
 إلى ظهره فتشقى ذلك عليهم ويزين عقرها لهم امرأتان عنيزة بنت غنم وصدقة بنت اختار لما
 أضرت به من مواشيها ما كانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقسموا لهما فرفق سقيا وهو بفتح
 السين والقاف ولدها الذكربلا اسمه قارة فرغانا لا وكان صالح عليه السلام قال لهم أدر كوا
 الفصل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانجبت وهو بتشديد الجيم أي انفتحت
 المصطرة بعد رغايتها فدخلها فقال لهم صالح تصبؤون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
 محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه
 فأفجأهم الله تعالى إلى أرض فلباين فلما كان اليوم الرابع واشتد الغصبي فخطوا بالصبر
 وتكفوا بالانقطاع فأتتهم صبيحة من السماء فقطعت قلوبهم وهلكوا وسبأ إلى هذه القصة
 زيادة أن شاء الله تعالى في سورة النمل ويروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالجر
 في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على
 هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم اهلي
 أندر من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح عليه السلام أندر من أشقى
 الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال فأتك (فتولى) أي أعرض صالح عنهم وفي هذا التولى
 قولان أحدهما أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا وهلكوا وبدل عليه قوله تعالى فأصبحوا في دارهم
 جاثين فتولى عنهم والقاء للتعقيب فدل على أنه حصل هذا التولى بعد دخولهم وهو موتهم
 والقول الثاني أنه تولى عنهم وهم أحباء قبل هلاكهم وبدل عليه أنه خاطبهم (وقال يا قوم لقد
 أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق إلا بالاحياء
 وعلى هذا القول فيحمل أن في الآية تقدما وتأخيرا تقدمة ربه فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
 أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا

في دارهم بائنين (وأجيب) من جهة الاول بأنه خاطبهم بعد هلاكهم بقرى يعاقبون بها كما خاطب
 نينا صلى الله عليه وسلم الكفار من قتي بدر حين ألقوا في القلب فجعل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يناديهم بأسمائهم الحديث في الصحيحين وفيه فقال عمر يا رسول الله تكلم أمواتا قد
 جفوا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وقبل انما خاطبهم صالح عليه السلام
 بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينزعروا عن مثل تلك الطريقة وروى أن عقرهم
 الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج في مائة وعشرين من
 المسلمين وهو يسكى فالتفت فرأى الدخان اطاعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسة مائة دار
 وروى أنه وجسج عن مع من المسلمين فسكنوا اديارهم (٢) وقال قوم من أهل العراق في صالح بمكة
 وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة (ولو طأ) أي وأوصلنا لوطا برهاران بن
 تارخ ابن أخي ابراهيم (اذ قال لقومه) أي وقت قوله لهم وقيل معناه واذكر لوطا ويبدل منه
 اذ قال لقومه وهم أهل سدوم قال التفتا زاني هو بفتح السين قرية قوم لوط والذال المجمة
 في رواية الازهرى دبن غيره اه وصوبه صاحب القاموس وغلط الجوهرى في قوله انها
 مهجلة وذلك أن لوطا عليه السلام لما اخرج مع ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم
 عليه السلام أرض فسطاطين وأنزل لوطا الأردن وهو بضم الهمزة والدال وتشديد النون نهر
 وكثرة بعل الشام فأرسله الله تعالى الى أرض سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن
 فعلهم الفجيع وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) أي أتفعلون الفاحشة الخبيثة التي هي غاية
 الفجيع وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في اديارهم كما سيأتي (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)
 أي ما فعلها أحد قبلكم والباء للتعدي ومن الاولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستعراق
 والاشارة للتبعية والجلالة استئناف مقترن للانكار ونجهم أولايان الفاحشة ثم باختراعها
 فانه أسوأ قال عمر وبن دينار ما زاد ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط ثم بين
 الفاحشة بقوله (أتأتون الذنوب الرجال) أي في اديارهم (ثم من دون النساء) أي ان اديار
 الرجال أشهى عندكم من فروج النساء وقرأ نافع وحفص بكسر الهمزة ولا ياء بينهما وبين النون
 على الخبر وشهوة تامم مفعول له واما صدر في موضع الحال وفي التقيد بها وصفهم بالبهيمة
 الصرفة وتنبه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له الى المباعدة طلب الولد
 وبقاء النوع لا قضاء الوطر وقرأ ابن كثير بهمزة في الاولى مفتوحة والثانية مكسورة
 مسهلة ولا مديتهم ما وأوعر وكذلك لأنه يمد بين الهمزة وهشام بن عتيق الهمزة
 بينهم مائة والباقيون بتحقيقهما من غير مديتهما وقوله (بل أنتم) أيها القوم (قوم مسرفون)
 أي مجاوزون الحلال الى الحرام واضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة التي توجب
 ارتكاب القبايح وتدعو الى اتباع الشهوات وانما ذمهم الله تعالى وعيبرهم ووجههم بهذا
 الفعل الخبيث لأن الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة الكناح لبقاء النسل وعمارة الدنيا
 وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن ووضع النسي في غير محله

(٢) قوله وقال قوم
 الخ الذي في حاشية
 الجبل رعاش صالح
 ماتى سنة وثمانين سنة
 اه فليحذر

الذي خلق له فقد أسرف وجاوز واعتدى لأن وضع الشيء في غير محله الذي وضع له أسراف
لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة تلك الشهوة المركبة في الإنسان
وروى أن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله تعالى لأن بلادهم أخصبت بالزرع والثمار
واتبعها أهل البلدان فقتل لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شاب ثم دعا إلى نفسه فكان
أول من نكح في دبره وقال محمد بن الحنفى كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم
الناس فأذوهم فعرض لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شيخ وقال لهم إن فعلتم بهم كذا
وكذا نجوتم منهم فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوا غلباً ناحساً فاستخسروا واستخدمكم ذلك فيهم
(وما كان جواب قومه) له حين وبخهم على فعلهم القبيح وارتكابهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث (الآن قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أخرجوهم من قريبتكم) أى
ما جاوراً بما يكون جواباً عما كلهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وقعظهم أمرها ولكنهم
جاؤا بشيء آخر لا يعلق بنصيحة وتكلامه من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريبتهم
فخبرهم وبما سمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم (أنهم أناس يتطهرون) أى يتزهدون عن
فعلكم وعن أدبار الرجال بخبرية بهم وبطهيرهم من الفواحش وافتخاراً بما كانوا فيه من
القاذورات كما تقول الفسقة لبعض الصالحين أذو عظمهم أبعداً وعنا هذا المتكشفاً وأريحونا
من هذا المتعز (فأجيبناه) أى لوطاً (وأله) أى من آمن به وقوله تعالى (الامر أنه) استثناء
من أهل قريته كانت تسر الكفر موالية لأهل سدوم (كانت من الغابرين) أى من الذين
غبروا أى بقوا في ديارهم فهلكوا وروى أنها التفتت فأصابها حجارة فماتت وإنما قال تعالى
من الغابرين لم يقل من الغابرات لأنها هلكت مع الرجال فغلب الذكور على الإناث (وأمرتنا
عليهم مطراً) أى نوعاً من المطر عجيباً وهو ميم بقوله تعالى وأمرتنا عليهم بحجارة من سجيل
قد سمجت بالكبريت والنفار يقال مطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب
أمطروني الرحمة مطر وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافرهم (فالتقط) أى
أيها الإنسان (كيف كان عاقبة المجرمين) روى أن تاجر امنهم كان في الحرم فوقف الحجر أربعين
يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وقال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وأدخل
جناحه تحت مدائن قوم لوط فأقتلهما ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعوا
بالحجارة كما قال تعالى فجعلنا عالم أسفلها وأمطرتنا عليها بحجارة من سجيل (والى مدین) أى
وأرسلنا إلى ولد مدین بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام (أخاهم) في النسب لآل الدين
(شعیباً) بن مکیل بن یثعر بن مدین وكان يقال له خطیب الانبیاء لحسن مرآة جمعة قومه عليه
السلام وكان قومه أهل کفر وینحس للمکیال والمیزان (قال) أى شعيب عليه السلام
(يا قوم اعبدوا الله ما لکم من الیغیر قد جاء تکم بینه) أى معجزة تدل على صدق ما جئت به
(من ربکم) أوجب علیکم الایمان بی والخذ بما أمرکم به (فان قيل) ما كانت معجزته اذ لم تذکر
له معجزة (أجیب) بأنه قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله قد جاء تکم بینه من ربکم ولأنه

لا بل تدعى النبوة من مهجزة تشبه له وتصدقه والام تصح دعواه وكان مستبشاً لانيبا غير أن مهجزته
 لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر مهجرات نينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن مهجرات شعيب
 عليه السلام الواردة في غير القرآن ما روى من محاربة عصا موسى الثنين حين دفع اليه الغنم
 وولادة الغنم الدرع حين وعده أن يكون له الدرع من أولاده والدرع بوزن الصرد وهي الغنم
 التي أوائلها سواد وأواخرها بياض ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع
 وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت مهجزة
 لشعيب وهذا أولى من جعله كرامة لموسى أو أراه صا وهو علامة تظهر قبل النبوة وقيل أراد
 بالبيئة الموعظة وهي قوله تعالى (فأوفوا الكيل والميزان) أي أغوهما (ولا تبغضوا) أي تنقصوا
 (الناس أشياءهم) فتنقصوا الكيل والوزن يقال بخس فلان الكيل والوزن اذا قصصه
 وطغفه (فان قيل) هلا قال الميكال والميزان كما في سورة هود (أجيب) بأنه أراد بالكيل آلة
 الكيل وهو الميكال أو يسمى ما يكال به بالكيل أو أريدوا وفوا ككيل الميكال ووزن الميزان
 وانما قال أشياءهم لأنهم كانوا يخسسون الناس كل شيء في مبيعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيأ
 الامكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا في الارض) أي بالكفر والمعاصي (بعد
 اصلاحها) أي بعدما أصلح أمرها وأهلها الانبياء وأتباعهم بالشرائع (ذلكم) أي الذي
 ذكرت لكم وأمر تكلم به من الايمان ووفاء الكيل والميزان وزل المظالم والخس (خير لكم) أي
 مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما أقول لكم ومعنى خير لكم
 أي في الانسانية وحسن ما يتحدث به وجمع المال لأن الناس ترغب في متاعكم اذا عرفوا
 منكم الامانة والتسوية (ولا تفتدوا بكل صراط) أي طريق من طرق الدين (توعدون) أي
 تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات
 فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذي يريدونه كذاب فلا يفتسكم عن دينكم وقيل كانوا
 يقطعون الطريق على الناس أو يقعدون لاختد المكس منهم وقوله تعالى (وتصدقون) أي
 تصرفون الناس (عن سبيل الله) أي دينه (من آمن به) دليل على أن المراد بالطريق سبيل الحق
 (فان قيل) صراط الحق واحد قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
 فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (أجيب) بأن صراط الحق وان كان واحدا لكنه
 يتشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة وكالوا اذا رأوا واحدا يشرع في شيء منها
 أو عدوه وصدوه (وتبغونها) أي تطلبون الطريق (عوجا) أي تصفونها للناس بأنها سبيل
 معوجة عن الحق غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون ذلك تهكيبهم
 وانهم يطلبون لها ما هو محال فان طريق الحق لا يعوج (واذكروا) نعمة الله عليكم وآمنوا به
 (اذ كنتم قليلا فكثركم) أي كثر عددكم بعد القلة أو كثرتم بالفني بعد الفقر وكثرتم بالقدر بعد
 الضعف قيل ان مد بن ابراهيم تزوج بنت لوط عليها السلام فولدت فري الله تعالى في نسلها
 بالبركة وانما فكمتموا ونموا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم بشكذبيهم

رسلهم أى أنزلهم من الهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لما عصوه وكذبوا رسوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلنا به وطائفة لم يؤمنوا) به أى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنتم بى وصدقت رسالتى وفرقة كذبت وصحنت رسالتى (فاصبروا) أى فترصروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفرقتين فيعز المؤمنين أى المصدقين وينصرهم ويملك المكذبين الجاحدين ويعذبهم وفى هذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) أى لاحتف فى حكمه ولا معقب له لانه تعالى منزله عن الجور والميل فى حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الأشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة (قال الملا) أى الجماعة (الذين استكبروا) أى تكبروا (من قومه) عن الايمان بالله ورسوله وتعظموا عن اتباع شعيب عليه الصلاة والسلام (تخرجناك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعبدون) أى ترجعون (فى ملتنا) أى لابتدئ من أحد الامرين اما اخرجك ومن اتبعك على دينك من بلدنا أو عودكم فى الكفر (فان قل) شعيب لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه (أجيب) بأن اتباع شعيب كانوا على ملته أو ائام الكفار فطابوا شعيبا واتباعه جبهه فادخل هو فى الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا فاستعمل العود فى حقهم على سبيل المجاز وجرى معهم على ان العود يستعمل بمعنى صار كما يستعمل بمعنى رجع فلا يستلزم الرجوع الى حالة سابقة بل هو انتقال من حالة سابقة الى حالة مستأنفة كما قال القائل

فان تكن الايام تحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب

راد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان (قال) لهم شعيب على سبيل الاستفهام الانكارى (أولو كما كارهين) أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها وقيل لانعود فيها وان اكرهقونا وجبرعونا على الدخول فيها لا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) والجواب عن هذا مثل ما أجيب به عن الاول وهو ان نقول ان الله نجي قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا انظم نفسه فى جملتهم وان كان بريأ مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب (وما يكون انسان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) أى الا ان يشاء خذلائنا وارثنا خذلائنا قضاء الله فينا ونفقد حكمه علينا وفيه دليل على ان الكفر بعيشة الله تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالعليق على ما يكون (وسمع ربنا كل شئ علمنا) أى وسع علمه كل شئ فلا يخفى عليه شئ مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ولما ايس شعيب من ايمان قومه دعاهم هذا الدعاء فقال (ربنا افتح) أى اقض وافصل واحكم (بيننا وبين قومنا بالحق) أى بالعدل الذى لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وانت خير القاضين) أى الحاكمين (وقال الملا) الذين كفروا من قومه) أى قال جماعة من اشراف قوم شعيب عن كفره لا آخرين منهم (لئن اتبعتم شعيبا) أى على دينه وتركتم دينكم وما أنتم عليه (انكم اذا لخاسرون) أى مغبونون

فتوات ما يحصل لكم بالجنس والتطفيف أو لاستبدال ضلالتهم بهداكم وجواب القسم
الذي وطأه اللام في لثني تبعتم شعبياً وجواب الشرط قوله انكم اذا خداسرون فهو ساد مسد
الحوابين (فأخذتهم الرحمة) أي الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم) أي مدينهم (جانحين)
أي باركين على الركب مبتئين قال ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله عليهم باباً من جهنم فأرسل
عليهم حرّاً شديداً فأخذوا بنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليستر دوافيها
فوجدوها أشد حرّاً من الظاهر فخرجوا الى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فيها ريح طيبة
باردة فأظلمت وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً فنادى بعضهم لبعض هم بعضاً حتى اجتمعوا تحت
السحابة رجالهم ونساءهم وصبيانهم ألهمهم الله عليهم ناراً ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما
يحترق الجراد وصاروا رماداً وروى ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم ساط عليهم الحر
سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فاذا تحتها نهار وعيون فأتاهم وأخبرهم فاجتمعوا
تحتهم كاهن فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله تعالى عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله تعالى
شعبياً الى أصحاب الايكة وأصحاب مدين فأما أصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة وأما أصحاب مدين
فأخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكنوا جميعاً قال أبو عبد الله البجلي كان
أبو جاد وهوز وحطى وكلن وسعفس وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن
شعيب يوم الظلة لكن فلما هلك قالت ابنته شعرا تزنيته وبكبه

كلن قد هذرتني * هلكه وسط المحلة

سيد القوم أناءه * حنق نار تحت ظله

جعلت ناراً عليهم * دارهم كالمضجعة

وقوله تعالى (الذين كذبوا شعبياً) مبتدأ خبره (كان) مخففة واسمها محذوف أي كانوا
(لم يبقوا) أي لم يبقوا ونزلوا (فيها) أي في ديارهم يوم ما من الدهر يقال غيت بالمكان أي أقت به
والغنى المنازل التي بها أهلها واحدها غنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل كان لم يعيشوا فيها امتنعين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى
الذي هو ضد الفقر قال الشاعر

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى * وكل سقانا بكاسيم ما الدهر

فما زادنا بغياعلى ذى قرابة * غنى ولا أزرى باحساننا الفقر

قال الزجاج معنى غنيا غننا والتصعلك الفقر يقال للفقر معلول (الذين كذبوا شعبياً)
كانوا هم الخاسرين) أي دينا وديادون الذين اتبعوه فانهم الرابحون في الدارين وأكذلك
بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق (فتولى) أي أعرض شعيب (عنهم) أي عن
قومه (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونهت لكم) أي قال ذلك لما يقن نزول
الهداب بهم تأسفوا حرّاً عليهم لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايان ثم أنكر

مكر الله الالقوم الخاسرون) أى انه لا يأمن استدرأجه اياهم بالتم وأخذهم بغتة الامن خسر
 فى آخره وهلاك مع الهالكين فعلى العاقل أن يكون فى خوف من الله تعالى كالحارب الذى
 يخاف من عدوه المتمكن البيات والغيلة وعن الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى ان ابنته قالت
 له ما لى أرى الناس ينامون ولا زالت تنام فقال يا ابتاه ان أباك يخاف البيات وأدقوله تعالى
 أن يأتهم بأسنا يا نارا (أولهم) أى يبين (للذين يرتون الارض) أن يسكنونها (من بعد) هلاك
 (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورتوها عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم) بالعذاب
 (بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم والهزمة للتوبيخ وأن لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهدى أولهم يهد
 للذين يخلفون من خلافتهم فى ديارهم ويرتون أرضهم هذا الشأن وهو أن لو نشاء أصبناهم
 بذنوبهم أى بسببها كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين منهم كما أهلكنا المورثين وانما عدى
 فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بادل الهزمة
 الثانية واوا فى الوصل والباقيون بتحقيقهما وقوله تعالى (ونطبع) أى نختم (على قلوبهم)
 معطوف على ما دل عليه أولهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم وأولى يرتون
 الارض أو يكون منقطعاً بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فهم لا يسمعون) موعظة أى لا يقبلونها
 ومنه سمع الله لمن حده قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أن لا * يكون الله يسمع ما أقول

أى يقبله ويستجيبه (تلك القرى) أى القرى التى ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهى
 قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك) يا محمد (من أنبأها) أى تخبرك عنها
 وعن أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلكم الذين أرسلوا اليهم لعلهم أنشأ نصر رسلكم والذين
 آمنوا معهم على أعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلككم بكفرهم ومخالفتهم رسلكم
 وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد
 جاءتهم) أى أهل تلك القرى (رسلكم بالبينات) أى بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على
 صدقهم وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالانظهار والباقيون بالادغام وأمال جزء وابن
 ذكوان الالف وسكن السين أبو عمرو ورفعها الباقيون (فما كانوا يؤمنوا) أى عند مجيئهم بها
 (بما كذبوا) أى كفروا به (من قبل) أى قبل مجيئ الرسل بل استمروا على الكفر واللام لتأكيد
 النفي والدلالة على أنهم ماصحوا للايمان لما فاتهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
 (كذلك) أى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم بطبع الله على قلوب الكافرين
 الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لأكثرهم) أى لأكثر الناس على الاطلاق
 أو لأكثر الامم الخالية والقرى الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك وأكد الاستغراف فقال (من
 عهد) أى من وفاء بالعهد الذى عهدناه اليهم وأصبناهم به يوم أخذ الميثاق والاية على الاول
 اعتراض وعلى الثانى من قحة الكلام السابق (وان) مخففة أى واننا (وجدنا) أى فى علمنا فى عالم
 الشهادة (أكثرهم لقاسقين) أى خارجين عن دائرة العهد طبق ما كان عمله منهم فى عالم الانبياء

وما أجزأه في عالم الشهادة إلا انقسم عليهم به الجحمة على ما يعارفونه بينهم في مجاري عاداتهم
 ومدارك عقولهم (ثم بعثنا من بعدهم) أي الرسل المذكورين وهم نوح وهود وصالح ولوط
 وشعيب عليهم الصلوة والسلام وألهم المهلكين (موسى) عليه السلام (يا أيها نبينا) أي بحجبتنا
 الدالة على صدقه كالبعد والعصا (إلى فرعون) هو علم جنس الملوك مصر ككسرى الملوك فارس
 وقمصر الملوك الروم والنجاشي الملوك الحبشة وكان اسم فرعون موسى قابوس وقيل الوليد بن
 مصعب بن الريان وكان ملك القبط (وملائه) أي عظماء قومه وخصمهم بالذکر لأنهم إذا أذعنوا
 أذعن من دونهم فكأنهم المقصودون والارسل اليهم إرسال إلى الكل (فظلوا) أي كفروا
 (بها) أي بسبب رؤيتها خوفاً على ربانهم وعملهم الفانية أن تخرج من أيديهم (فانظروا) أي
 الخطاب بعين البصيرة (كيف كان عاقبة المفسدين) أي آخر أمرهم أي كيف فعلنا بهم وكيف
 أهلكناهم (وقال موسى) لما دخل على فرعون (يا فرعون) خاطبه بما يحبه امتثالاً لأمر الله تعالى
 له أن يلين في خطابه وذلك لأن فرعون كان لقب مدح لمن ملك مصر (إني رسول) أي مرسل إليك
 وإلى قومك ثمين مرسله بقوله تعالى (من رب العالمين) أي الإله الذي خلق الخلق وهو سيدهم
 ومالكهم وقوله تعالى (حقيق على أن لا أقول على الله الاحق) جواب لتكذيب فرعون إياه
 في دعوى الرسالة وانما يذكره لدلالة قوله تعالى فظلموا بها والحق هو الثابت الدائم والحقيق
 مبالغة فيه وكان المعنى أنا ثابت مستقر على أن لا أقول على الله الاحق قرأ فافع على بالتشديد
 فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعدهما والباقيون بالسكون وعلى هذا تكون على بمعنى الباء أو يضمن
 حقيق معنى حر يص وأن لا مقطوعة في الرسم أي النون من لام الالف (قد جئتكم ببينة) أي
 مجسزة (من ربكم) على صدق فيما ادعى من الرسالة وهي العصا واليد البيضاء ثم أن موسى عليه
 السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم قوله (فأرسل معي بنى إسرائيل) أي خلفهم
 حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدتهم واستخدمهم في
 الأعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما (قال) فرعون لعنه الله مجيباً موسى عليه
 السلام (ان كنت جئت بآية) أي علامة على صحة رسالتك (فأت بها ان كنت من الصادقين
 أي في عدد أهل الصدق العريقين فيه لتصدق دعواي عندي وثبت) (فأتني عصا فإذا هي) أي
 العصا (تعبان مبيت) أي ظاهراً مره لاشك فيه أنه تعبان والتعبان الذكر العظيم من الحيات
 فان قيل أليس قال الله تعالى في موضع كائن جاناً والجنان الحية الصغيرة (أجيب) بأنها كانت
 كالجان في الخفة والحركة وهي في جنسها حية عظيمة روى أنه لما ألقاها صارن حية
 عظيمة صفراً مشقراً فاغرة فاها بين لحيها غائون ذراعاً وارْتفعت عن الأرض بقدر ميل
 وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والاعلى على سورا القصر وتوجهت نحو
 فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هارباً وأحدث قبل أخذه البطن في ذلك اليوم
 أربعاً ثم مرة وقد قيل أنه كان يأكل الموز حتى لا يتغوط وجلت على الناس فأنه سزموا
 وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك الله

الذي أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا
كما كانت ثم قال هل معك آية أخرى قال نعم (ونزع يده) أي أخرجها من جيبه وقيل من تحت
ابطله بعد أن أراه أباه محترقة أداما كما كانت وهي عنده (فأذا هي بيضاء) توراينة (لناظرين) لها
شعاع غلب شعاع الشمس قال ابن عباس كان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والارض له لمعان
مثل لمعان البرق فخر وأعلى وجوههم ثم ردها إلى جيبه فأذا هي كما كانت ولما كان البياض
المقرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى من غير سوء أي من غير برص
(فان قيل) ثم يعلق قوله تعالى لناظرين (أجيب) بأنه يتعلق بقوله تعالى بيضاء والمعنى فإذا هي
بيضاء النظارة ولا تكون بيضاء النظارة إلا إذا كان بياضها بياضا عيبيا خارجا عن العادة يجتمع
الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للجمادات (فان قيل) أحد هذين الأمرين إما العصا وإما
اليد كان كافيها فائدة الجمع بينهما (أجيب) بأن كثرة الدلائل توجب القوة في اليقين وزوال
الشك وقول بعض المحدثين المراد بالثعبان وباليد البيضاء شي واحد وهو أن حجة موسى عليه
السلام كانت قوية ظاهرة فاهرة من حيث أنها أبطلت أقوال المخالفين وأظهرت فسادها كانت
كالثعبان العظيم الذي يتلف جميع المبتلين ومن أنها كانت ظاهرة في نفسها وصفت باليد
البيضاء كما قال في العرف لفلان يد بيضاء في العلم فلان أي قوة كاملة ومربية ظاهرة
مردودا دخل هاتين المجزئتين على هذا الوجه يجري مجرى دفع التواتر وتكذيب الله ورسوله
ولما أتى بالبيان وأقام واضح البرهان (قال الملا) أي الأكابر (من قوم فرعون أن هذا) أي
موسى (لساحر عليم) أي عالم بالسحر ما هرفه قد أخذ بأعين الناس وبرهيم الشيء بخلاف ما هو
عليه حتى يخيل اليهم أن العصا صارت حية وأن آدم أبيض كما أراههم يده بيضاء وهو آدم اللون
وأنما قالوا ذلك لأن السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان (فان قيل) فقد أخبر الله تعالى في هذه
السورة أن هذا الكلام من قول الملا فرعون وقال في سورة الشعراء وقال أي فرعون للملا
حوله أن هذا الساحر عليم فكيف الجمع بينهما (أجيب) عن ذلك بجوابين الأول لا يمنع أن يكون
قوله فرعون أولاهم فالو بعده فأخبر الله عنهم هنا وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء الثاني
أن فرعون قال هذا القول ثم أن الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم أنهم بلغوه إلى العامة
فأخبر الله تعالى هنا عن الملا وأخبر هنا عن فرعون (يريد) أي موسى (أن يخرجكم) أي القبط
(من أرضكم) أي أرض مصر (فإذا تأمرن) أي أي شيء تشيرون أن نفعل به فقوله فإذا
تأمرن من قول فرعون وإن لم يذكره وقيل من قول الملا وتم كلام فرعون عند قوله يريد أن
يخرجكم من أرضكم فقال الملا مجيبين له فإذا تأمرن وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على
عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فتأمرن أن نفعل به والقول الأول أصح لسياق
الآية التي بعدها وهي قوله تعالى (قالوا ارجئه) أي موسى (وأخاه) هرون عليه السلام أي
أخيه هرون وأخاه وذهب أن فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ما رأى من أمر العصا ما رأى
احبسه وأخاه

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بهمزة ساكنة والباقيون بغير همز (وأرسل في المدائن) جمع
 مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به أي مدائن صعيد مصر (حاشرين) أي أرسل
 رجالا من أعوانهم الشرط بضم الشين وفتح الراء طائفة من أعوان الولاة يحشرون اليك
 السحرة من جميع مدائن الصعيد وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى
 صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله تعالى (يا أولئك أي الشرط بكل ساحر عليهم)
 أي ما هر بصناعته والباء يَحْتَمِلُ أن تكون بمعنى مع ويَحْتَمِلُ أن تكون باء التعدية وقرأ جزة
 والكسائي بتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها ولا ألف قبلها والباقيون بتخفيف الحاء
 مكسورة وألف قبلها ولا ألف بعدها ولم يختلفوا في سورة الشعراء انه سحار قيل الساحر الذي
 يعلم السحر ولا يعلم والسحار من بديم السحر روى أن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته
 في العصا ما رأى قال انالاقا تل موسى الابن هو أقوى منه فاتخذ غلاما من بني اسرائيل
 وبعث بهم الى مدينة يقال لها القراميط فاعلموهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى
 موعدا ثم بعث الى السحرة الذين أرسلهم فحلفوا ومعلمهم معهم فقال فرعون للعلم ما صنعت
 فقال علمتهم سحرا لا تطمئنه أهل الارض الآن يأتي أمر من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم بعث
 فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا الا أتى به وهذا يدل على أن السحرة كانوا كثيرين
 في ذلك الزمان وهو يدل على محبة ما يقوله المتكلمون وهو أنه تعالى يجعل معجزة كل نبي من
 جنس ما كان غالباً على أهل ذلك الزمان فلما كان السحر غالباً على أهل زمان موسى كانت معجزته
 شبيهة بالسحر وإن كانت مخالفة للسحر في الحقيقة ولما كان الطب غالباً على أهل زمان عيسى
 عليه السلام كانت معجزته من جنس الطب ولما كانت الفصاحة غالبية على أهل زمان محمد صلى
 الله عليه وسلم كانت معجزته من جنس الفصاحة واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون
 فمن مقل ومن مكثر وليس في الآية ما يدل على المقدار والكيفية والعدد ولذلك اختلف في
 عددهم فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين انساناً من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني
 اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل ينوى بلدة يونس عليه
 السلام وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفاً وقال محمد بن اسحق
 كانوا خمسة عشر ألفاً وقال عكرمة كانوا سبعين ألفاً وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين ألفاً وقال
 مقاتل كان رئيس السحرة شععون وقال ابن جرير كان رئيسهم يوحنا (وباء السحرة فرعون)
 أي بعدما أرسل الشرط في طلبهم (قالوا أئن لنا لاجراً) أي جعلاً وعطاءً مكرماً به (إن كنا نحن
 الغالين) لموسى (فان قيل) هلا قيل فقالوا البقاء (أجيب) بأنه على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ
 جاؤا فأجيب بقوله أئن لنا لاجراً ان كنا نحن الغالين وقرأ ابن كثير وحفص بهمزة مكسورة وفون
 مشددة بعدها على الخبر والباقيون بهمزة تنوين وسهل الثانية أبو عمرو وأدخل ألفا بينهما والباقيون
 بتعقيقهما وأدخل بينهما ألفا هشام والباقيون بغير ألف بينهما (قال) لهم فرعون (نم) أي لكم
 الاجر والعطاء وقرأ الكسائي بكسر العين والباقيون بالفتح وقوله تعالى (واذكركم لن المقربين)

عطف على محذوف ستمئة الجواب كأنه قيل جواب القول لهم أن لنا اجرا إن لكم اجرا وانكم
لن المقربين أراد أني لا اقتصر أنكم على الثواب بل أزيدكم عليه وذلك الزيادة اني أجمعكم من
المقربين عندي قال الكبي تكوون أول من يدخل وآخر من يخرج من عندي والآية تدل
على ان كل المخلوق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبدا ذليلا مهينا عاجزا والاملاحتاج الى الاستعانة
بالسحرة في دفع موسى وتدل أيضا على أن كل السحرة ما كانوا قادرين على قلب الاعيان والا
لما احتاجوا الى طلب الاجر والمال من فرعون لانهم لو قدروا على قلب الاعيان لقلبوا التراب
ذهبوا ولقلبوا ملك فرعون الى أنفسهم ولبعدوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساء الدنيا والمقصود
من هذه الآيات تنبيه الانسان لهذه الدقائق وأن لا يغتر بكلمات أهل الباطل والكاذب
(قالوا) أي السحرة (يا موسى أمان تلقى) أي عصاك (وأما أن نكون نحن الملقين) أي عصينا
وحبالنا فرأوا مع موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على أنفسهم في الالتقاء
فروضهم الله تعالى حيث تأذوا مع نبيه عليه السلام ان من عليهم بالاعيان والهداية ولما راعوا
الادب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم (قال) لهم موسى (ألقوا) انتم فقد همهم على نفسه
في الالتقاء (فان قيل) كيف جازنبي الله تعالى موسى عليه السلام أن يأمر بالالقاء وقد علم أنه
سحر وفعل السحر حرام أذكر (أجيب) عن ذلك بأجوبة أحدها أنه معناه ان كنتم محقين
في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الثاني أن القوم انما جازوا الالتقاء تلك الحبال والعصى وعلم موسى
عليه السلام انه لا بد وأن يفعلوا ذلك ووقع التحير في التقديم والتأخير فعند ذلك أذن لهم في
التقديم اذ راء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما وعدده الله تعالى من التأييد والتقوية وأن
المعجزة لا يعلها سحر أبدا الثالث انه عليه السلام كان يريد ابطال ما أتوا به من السحر وابطاله
ما كان يمكن الابتداء فاذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن الاقدام على ابطاله فلهذا المعنى
أمرهم بالالقاء أولا (فلما ألقوا) حبالهم وعصيم (سحروا) أي صرفوا (أعين الناس) عر
ادر الحقيقة ما فعلوه من التوبة والتضيل وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل الشر وبين
معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذي هو فعل الله تعالى وذلك لان السحر ليس فيه قلب
الاعيان وانما فيه صرف أعين الناس عن ادراك ذلك الشيء بسبب التوجيهات والمعجزة قلب
ذلك الشيء حقيقة كقلب عصا موسى عليه السلام فاذا هي حمة تسمى (واسترهبوهم) أي
أرهبوهم والسين زائدة فله المبرد وقال الزجاج استعدوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس وذلك
بأن بعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب (وجاؤا) أي
السحرة (بسحر عظيم) روي ان السحرة قالوا قد علمنا سحر الاطيقه سحرة أهل الارض الا أن
يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لنا به وذلك انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشباً طوالا فاذا هي
حيات تسمى كأن مال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلقوا تلك الحبال
بالرأس وجعلوا داخل تلك العصى زنبقا لضيء وألقوها على الارض فلما أثر الشمس فيها
نخر كسبوا التوى بعضها على بعض حتى تحبب للناس انهم احيات تحركوا وتلقوا باختيارها

ويقال ان الارض كان سعتها ميسلا في ميل فصارت كلها احيات واقامى ففرغ الناس من ذلك
واوحس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه
كان على ثقة بيقين من الله تعالى أنهم لم يقبلوه وهو غالبهم وكان عالما بأن ما أقواه على وجه
المعارضة لمجزئه فهو من باب السحر والتعجيل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمنع حصول الخوف
لموسى عليه السلام وانما كان خوفه لاجل فرغ الناس واضطرابهم عمارا ومن أمر تلك
الحيات تخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور مجزئه وحقه فلذلك أوحس في نفسه
خيفة موسى (وأوحسنا الى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حمة عظيمة قد سدت الافق
قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فكت فاهما غمانين
ذراعا (فاذا هي تلفت) بحذف احدى التاب من الاصل أى يتلف (ما يأنفكون) أى
ما يترددونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه روى انه ابتلع كل ما أتوا به من
السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيم واحد واحد حتى ابتلت الكل ثم أقبلت على الذين
حضره وذلك الجمع ففرغوا ووقع الزحام عليهم فمات منهم بسبب ذلك الزحام خمسة وعشرون
ألقا ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة
ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس في قدرة البشر وقوتهم فمعه عند
ذلك خروا وسجدوا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) أى فظهر الحق الذى
جاءه موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أى من السحر وذلك أن السحرة قالوا لو كان ما صنع
موسى سحر البقيت حبالنا وعصمنا فلما فقدت وتلاشت في عصا موسى علما ان ذلك من أمر الله
تعالى وقدرته وقرأ حفص تلفظ بسكون اللام وتخفيف القاف والباقر بفتح اللام وتشديد
القاف وشدد التاء البرى (فقلبوا) أى فرعون وجوعه (هناك) أى عند ذلك الامر العظيم
العالى الرتبة (واقلبوا صاغرين) أى رجعوا الى المدينة اذ لا مهجورين (والأني السحرة
ساجدين) أى ان الله تعالى الههم ذلك وجههم عليه حتى شكسروا فرعون بالذين أرادهم
كسر موسى ويقلب الامر عليه قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا (قالوا آمنا
برب العالمين) قال فرعون اياي تعنون قالوا لا بل (رب موسى) فقال اياي تعنون لاني انا الذى
ريت موسى فلما قالوا (وهرون) زالت الشبهة وعرف الكل انه هم كفروا وفرعون وآمنوا به
السماء قال مقاتل قال موسى اكبر السحرة أنؤمن بى ان غلبتك فقال لا تبين بسحر
لا يقبله سحر ولئن غلبتني لأؤمن بك وفرعون ينظر اليهم ما يسمع كلامهم هذا قوله ان هذا
لا كرم كرموه في المدينة ويقال ان الحبال والعصى التى كانت مع السحرة كانت حمل ثلثائة
بعير فلما ابتلعها عصا موسى عليه السلام كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن هذا
السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا وصدقوا (فان قيل) كان يجب ان يأثروا بالآيمان
قبل السجود فافائدة تقديم السجود على الآيمان (أجيب) بأن الله تعالى لما قذف في قلوبهم
الآيمان والمعرفة خروا وسجدوا لله تعالى شكريا على ما هداهم اليه والهمهم من الآيمان بالله

تعالى وتصديق رسوله ثم أظهر وأبعد ذلك إيمانهم قال قتادة كانوا أول النهار كفاراً بهرة
 وفي آخره شهادة بررة وعن الحسن نرى من ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بهذا
 وكذا وهؤلاء الكفار نشؤوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله تعالى (قال فرعون) للسحرة منكم
 عليهم موجهاً لهم بقوله (آمنتم) أي صدقتم (به) أي موسى أو بالله تعالى والاستفهام فيه
 للأنكار والتوبيخ (فائدة) هنالك ثلاث همزات جميع القراء يبدل الثالثة ألفاً وحقق الثانية
 شعبة وحزرة والكسائي وسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأما حفص فإنه أسقط
 الأولى وأبدلها قنبل في الوصل وأو (قبل أن أذن لكم) أي قبل أن أمركم بذلك وأذن لكم
 فيه (أن هذا المكر مكروه) أي أن هذا الصنيع لحيلة احتملها أنت وموسى (في المدينة) أي
 مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع وذلك أن فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن
 فرعون أن موسى وكبير السحرة قد وطأوا عليه وعلى أهل مصر ليسبتوا على مصر كما قال
 (أخرجوا منها أهلها) أي القبط وتخلص لكم ولبنو إسرائيل وقوله تعالى (فسوف تعلمون)
 فيه وعيد وتهديد أي فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسّر ذلك الوعيد بقوله (لا قطع من أيديكم
 وأرجلكم من خلاف) أي يخالف الطرف الذي تقطع منه اليد الطرف الذي تقطع منه الرجل
 قال الكلبي لا قطع من أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى (ثم لا صلبكم) أي أعاقبكم عدة
 أيديكم لتصير على هيئة الصليب أو حتى تقاطر صلبكم وهو الدهن الذي فيكم (أجمعين) أي
 لأتزل منكم أحداً لنفضي حالكم وتكبيلاً لأمثالكم قال ابن عباس أول من صلب وقطع الأيدي
 والرجل فرعون أي أنه أول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه
 محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لشرط رجته (قالوا) أي السحرة مجيبين لفرعون حين
 وعدهم بما ذكر (إنا إلى ربنا) بعد موتنا على أي وجه كان (مقلبون) أي رايعون البه في
 الآخرة (وماتنقم) أي تنكر (منا) أي في فعلك ذلك بنا وتعب علينا (الآن آمننا) أي الأماهو
 أصل المفاخر كلها وهو الإيمان (بآيات وبنما جاءتنا) لم تأخر عن معرفة الصدق وهذا موجب
 الأكرام لا الانتقام ثم فزعوا إلى الله تعالى فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) عند ما توعدهم
 فرعون به أي أصعب علينا صبراً كاملاً تاماً ولهذا أتى بلفظ التنكير أي صبراً وأي صبر عظيم
 (ونوفنا سليمين) أي واقضنا على دين الإسلام وهو دين خليلك عليه السلام قال ابن عباس كانوا
 في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الطبري أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم
 وقال غيره أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالبون (تنبيه) في الآية فوائد
 الأولى قولهم أفرغ علينا صبراً كدل من قولهم أنزل علينا صبراً لأن أفرغ الأماهو صبراً فيه
 بالكسبية فكانهم طلبوا من الله تعالى كل الصبر لا بعضه الثانية أن قولهم صبراً مذكور بصيغة
 التنكير وذلك يدل على تمام الكمال أي صبراً تاماً كاملاً الثالثة أن ذكر الصبر من قبلهم ومن
 أعالمهم ثم أنهم طلبوه من الله تعالى وذلك يدل على أن فعل العبد لا يحصل الا بخلق الله تعالى
 وقضائه الرابعة استحقاق القاضي بهذه الآية على أن الإيمان والإسلام واحد فقال أنهم قالوا ولا

آمنابايات ربنا ثم قالوا ثانيا وثقنا مسلمين فوجب أن يكون ذلك الايمان هو ذلك الاسلام وذلك
 يدل على أن أحدهما هو الآخر واعلم أن فرعون بعد وقوع هذه الواقعة لم يعترض لموسى
 لأنه كان كلما رأى موسى عليه السلام خافه أشد الخوف فلهذا السبب لم يعترض له إلا أن القوم
 لم يعرفوا ذلك فقالوا له أنذر موسى وقومه كما حكي الله تعالى ذلك عنهم بقوله تعالى (وقال الملا)
 أي الاشراف (من قوم فرعون) له (أنذر) أي تترك (موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا
 في الارض) أي أرض مصر وأرادوا باقتصاد فيها أنهم يأمر ونههم بمخالفة فرعون وهو قولهم
 (ويذرؤا آلهته) أي معبوداته أي فلا يعبدك ولا يعبدوا قال ابن عباس كان لفرعون
 بقرة حسنة يعبدها وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري
 محلا وقال السدي كان فرعون اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم
 ووب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى (فان قيل) ان فرعون ان لم يكن كامل
 العقل لم يجزى حكمة الله تعالى ارسال الرسل اليه وان كان عاقلا لم يجز ان يعتقد في نفسه كونه
 خالق السموات والارض لان فساد معلوم بالضرورة (أجب) بأن الاقرب أن يكون دهر يا
 منكرا للوجود الصانع وكان يقول مدي هذا السفل هو الكواكب واتخذ اصناما على
 صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه المطاع المخدوم في
 الارض ولهذا قال أنار بكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملته حين قالوا له أنذر موسى وقومه
 (سمعتل أبناءهم) أي المولودين (وتسبحي نساءهم) أي تتركهم أحباء كما كنا فعل من قبل ليعلم
 أفاعلي ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والسكينة بذهاب
 ملكك على يديه وقرأ نافع وابن كثير بفتح النون ومكون القاف وضم التاء مخففة والباقون
 بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة (وانافوهم فاهرون) أي غالبون وهم مقهورون
 تحت أيدينا ولا أثر لغلبة موسى لئلا في هذه المناظرة فأعادوا عليهم القتل فشكت بنو اسرائيل
 لموسى فأمرهم بالصبر كما قال تعالى (قال موسى لقومه) أي بني اسرائيل (استعينوا بالله
 واصبروا) أي استعينوا بالله على فرعون وقومه فبانزل بكم من البلاء فان الله تعالى هو الكافي
 لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم (ان الارض) أي أرض مصر
 وان كانت الارض كلها (لله) تعالى لان الكلام فيها (ورثها من يشاء من عباده) وفي هذا
 تسلية لهم وتقرير الامر بالاستعانة بالله عز وجل والتثبت في الامر وقوله تعالى (والعاقبة) أي
 المحمودة (للمتقين) لان الله تعالى وعدهم بالنصر وتذكير ما وعدهم به من اهلاك القبط وتوريثهم
 ديارهم وتحقيق له ولجميع بنو اسرائيل ما قال فرعون من توعداهم بالقتل مرة ثانية (قالوا)
 لموسى (أوذيتم قبل أن تأتينا) أي بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد
 فرعون وقومه وكان يأخذ منهم الجزية وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار
 ويمنعهم من التعرف والتعم ويقتل أبناءهم ويسبى نساءهم فلما جاء موسى بالرسالة وجرى له
 ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار بلا أجر واراذا أن يعيد القتل

عليهم فقالوا أؤذي من قبل أن تأتينا (ومن بعد ما جئتنا) أي بالرسالة (فان قبل) ظاهر هذا الكلام يوهم أن بني إسرائيل كرهوا مجي موسى بالرسالة وذلك كثير (أجيب) عن هذا الإيهام بأن موسى عليه السلام كان قد وعدهم بنوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا أن ذلك يكون على الفور فلما رأوا أن المشقة قد زادت عليهم قالوا ذلك أي فتي يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى عليه السلام مجيبا لهم (عسى ربكم أن يملك عدوكم) أي فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم قال البيضاوي ولعله أي بفعل الطمع أي بعسى اعدم جزمهم بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روى ابن مضر أنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام ثم سبب عن الاستخلاف قوله تعالى مذكر اللهم محمد من سطوانه تعالى (فينظر) أي وأنتم خلفاءه كنون (كيف تعملون) أي يعاملكم معاملة المختبر وهو في الأزل أعلم بما تعملون منكم بعد إيقاعكم للأعمال ولكنه يفعل ذلك لتقوم الحجة عليكم على مجاري عادته وروى عن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدة رغيف ورغيفان فطلب زيادة لعمر فلم يجد فقرأ عمر وهذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخاف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون) أي فرعون وقومه (بالسنين) أي بالقطط والجوع سنة بعد سنة فإن السنة تطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف (ونقص من الثمرات) أي بالعاهات قال قتادة أما السنين فلاهل البوادي وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الامرة (لعلهم يذكرون) أي يتعظون فيؤمنون ويرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي لأن الشدة تترق القلوب وترغب فيما عند الله تعالى من الخيرات والدليل على ذلك قوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه وقوله تعالى وإذا مسه الضر فذودعائهم وقال سعيد بن جبيرة عاش فرعون أربعين سنة لم يرمكروها في نفسه ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حصى لما ادعى الربوبية ثم بين سبحانه وتعالى أنهم عند نزول تلك المن عنيهم يقسمون على ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم فقال (فإذا جاءتهم الحسنة) قال ابن عباس العشب والخصب والثمار والموائى والسعة في الرزق والعافية والسلامة (قالوا لها هدم) أي نحن مستعدون على العادة التي جرت من كثرة نعمتنا وسعة أرزاقنا ولم نعلموا أنه من الله تعالى فيشكروه على انعامه (وإن نصبهم سيئة) أي تخطو وجذب ومرض وبلاء ورا وأما يكرهونه في أنفسهم (يطيروا) أي يشاموا وأصله يطهروا (بجوسى ومن معه) من المؤمنين ويقولون ما أصابنا إلا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم في الغباوة والقساوة فإن الشدائد تترق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماس سبعا بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عند اعتقادها كافي البغي وانما عترف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم قصد لها إلا بالتبع (الانما

طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عنده تعالى وهو حكمه ومشيتته أو بسبب شؤمهم عند الله تعالى وهو أعمالهم المكتوبة عنده فأنهم التى ساقط اليهم ما بسوءهم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى أن ما يصيهم من الله تعالى وذلك لأن أكثر الخلق يصفون الحوادث الى الاسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وتقديره والحق أن الكل من الله تعالى لأن كل موجود اما واجب لذاته أو ممكن لذاته والواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته وبهذا الطريق يكون الكل من الله تعالى فاستفاده الى غير الله تعالى يكون جهلا بكل الله تعالى (وقالوا) أى فرعون وقومه القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتينا به) وقوله تعالى (من آية) أى من عند ربك بيان لمهما وانما هو آية على زعم موسى للاعتقاد هم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها) أى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فان نحن لك بمؤمنين) أى بصديقين * (تنبيه) * اختلف فى أصل مهمما ف قيل أنه لهما ما الاولى ما الشرطية والثانية ما الزائدة ضمت اليها للتاكيد ثم قيلت ألفها هاء استعقالاتا لذكر المتجانسين فصارت مهمما هذا قول الخليل والبصريين وقيل أصلهما اله التى بمعنى اكفف وما الجزائية كأنهم قالوا اكفف ما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فهو كذا وكذا هذا قول الكسائي فهى مركبة على هذين القولين والمعتمد الذى جرى عليه ابن هشام وغيره انما بسيطة لأن دعوى التركيب لم يقم عليها دليل ووزنه فاعلى وألفها للالحاق والتأنيث والضميران فى به وبها راجعا لهما لأن أحدهما ذكر باعتبار اللفظ والثانى أنث باعتبار المعنى لأنه فى معنى الآية وشوه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليفة * واذا خالها تخفى على الناس تعلم

قال فى الكشف وهذه الكلمة فى عدد ادالكلمات التى يحوزها من لا يذلة فى علم العربية فضعها فى غير موضعها وبحسب انما يعنى متى ما يقول مهمما جئتني أعطيتك قال ابن عباس أن القوم لما قالوا مهما تأتينا به من آية من ربك فهى عندنا من باب السحر ونحن لانؤمن بها البتة وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا فعد ذلك دعا عليهم فاستجاب الله تعالى له فقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) وقال سعيد بن جبيل لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه الا الإقامة على الكفر والتمسذى على الشر فتابع الله تعالى عليهم الايات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من العجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبني وعتاوان قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نعمة ولقوى عظة ولن بعدهم آية وعبرة فبعث الله تعالى عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل الله تعالى عليهم المطر من السماء ويوت بنى اسرائيل ويوت القبط مشتبكة محتلطة فامتلا ثيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى يوت بنى اسرائيل شئ وركب ذلك الماء على ارضهم فلم يقدر وان يمحروا ولا يعملوا شئ أودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت حتى كان الرجل منهم لا يرى شمسا ولا قرا ولا يستطيع الخروج من داره فصرخوا الى فرعون واستغاثوا به فأرسل الى موسى عليه

السلام فقال اكشف عنا العذاب فقد صار بجرا واحدا فان كشف هذا العذاب آمنت بك فأزال الله تعالى عنهم المطر وأرسل الرياح فجفت الارض وخرج من النبات ما لم ير مثله قط فقالوا هذا الذي جرعناه منه خيرا لنا الكلام نشعر فلا والله لا تؤمن بك ولا ترسل معك بنى اسرائيل وقيل المراد بالظوفان الجدرى وهو بضم الجيم وفتح الدال ويفتحهما قروح في البدن تنطف وتنضغ وقيل هو الموتان وهو بضم الميم موت في المشامية وقيل هو الطاعون فنكثوا العهد (و) لم يؤمنوا وأقاموا شهرا في عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الجراد) فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر حتى كان يأكل الابواب وسقوف البيوت وسامير الابواب من الحديد وابتنى الجراد بالجور فكانت لا تشبع ولم يصب بنى اسرائيل شئ من ذلك وعظم الامر عليهم حتى صارت عند طيراتها تغطي الشجر ووقع بعضها على بعض في الارض ذراعا فضجوا من ذلك وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لننكشف عنك الله الرجز لنؤمن لك فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جراد جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام برز الى القضاء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وقيل أرسل الله تعالى ريحا فاحتل الجراد فألقاه في البحر وكان قد بقي من زرعهم وغلاتهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما يكفيننا فامحن بتاركى ديننا (و) لم يؤمنوا وأقاموا شهرا في عافية وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فأرسل الله تعالى عليهم (القمل) واختلوا في القمل فعن ابن عباس انه السوم الذي يخرج من الحنطة وعن قتادة انه أولاد الجراد قبل نبات أخصته او عن عكرمة انه الجنان وهو ضرب من القراد وعن عطاء القبل المعروف فأكل ما أبقاها الجراد وطس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيصهه وكان أحدهم يأكل طعاما فيبلى فلا وكان أحدهم يخرج عشرة أجربة الى الرحا فلا يرد منها الا شيا يسير وعن سعيد بن جبير كان الى جنهم كتيب أعفر فضر به موسى عليه السلام بعصاه فصارقلا فأخذت ابشارهم وأشعارهم وأشفا رعيونهم وحواجهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى ومنعهم النوم واقتراف صاخوا وصرخواهم وفرعون الى موسى عليه السلام وقالوا اننا تور فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلا فادعا موسى ورفع القمل عنهم بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فنكثوا وعادوا الى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم جعل الرمل دواب (و) لم يؤمنوا فدعا موسى عليه السلام عليهم بعد ما أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فامتلات منها بيوتهم وأطعمتهم وآيتهم فلا يكشف أحدهم عن ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس في الضفادع الى رقبته ويهم أن يتكلم فينب الضفدع في فيه وكان ينب في قدورهم فيفسد عليهم طعامهم ويغطي نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفدع فيكون عليه ركما حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الا سخر ويقتح فاه الى أكلة فيسبق الضفدع أكلته الى فيه ولا يجن عينا ولا يفتح قدرا الا امتلات ضفادع وعن ابن عباس أن الضفادع كانت برية فلما أرسلها الله تعالى

الى آل فرعون سمعت فأطاعت فجعلت تلقى نفسها في القـدور وهي تغلى وفي التناير وهي تنور
فأناهم الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء فلقوا منها آذى شديدا فسكوا الى موسى عليه السلام
وقالوا ارجئنا هذه المدة فإني الآن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم
ثم دعاه فمكشفت عنهم الضمائر بأن أماتهم وأرسل الله المطر والريح فاحتملها الى البحر بعد
ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد (و) لم يؤمنوا وعادوا الكفر
وأعمالهم الخبيثة فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرافى عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الدم)
فصارت مياههم كلها دما فماتت سبعة قرون من بني إسرائيل ولا نهر الا وجدوه دما عبيطا أحمر فشكوا الى
فرعون وقالوا اليس لنا شراب فقال انه محرم لكم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجحد في أو عينا
شيأ من الماء الا دما عبيطا وكان فرعون لعنه الله تعالى يجمع بين القبطى والاسرائيلى على
الأناء الواحدة فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما ويقومان الى الجزة فيها الماء
فيخرج للاسرائيلى ماء وللـقبطى دم حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتى للمرأة من بنى
اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقينى من مائتك فتصب لها من قربتها فيعود في
الأناء دما حتى كانت تقول اجعله في فيك ثم يجبه في في فتأخذ في فيها ما واذ اجتمعت في فيها
صار دما واعتري فرعون العطش حتى أنه كان ليضطر الى مضغ الشجار الرطبة فاذا مضغها صار
مأواها دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون الا الدم فأقوا موسى وشكوا اليه
ما يلقونه وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك بنى اسرائيل
فدعا موسى عليه السلام ربه فكشف عنهم وقيل الدم الذى سيط عليهم هو الرعاف وقوله تعالى
(آيات) نصب على المطال (مفصلات) أى مبنات لا تشكل على عاقل انها آيات الله تعالى
ونعمته عليهم أو مفصلات لا تمحصن أحوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل
واحدة اسبوعا كما مررت الاشارة الى ذلك وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب
الشهرة وأمنوا به عشرين سنة يرهم هذه الآيات على مهل (فاستسكبروا) عن الايمان فلم
يؤمنوا (وكانوا) أى فرعون وقومه (قوم مجرمين) أى كافرين (ولما وقع عليهم الرجز)
أى نزل بهم العذاب وهو ما ذكره الله تعالى من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبيرة الرجز
الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فنزل بهم الطاعون فلبث به
من القبطى في يوم واحد سبعون ألفا وثر كوا غصير مد فوفين قال الامام الرازى والقول الاقول
أقوى لان لفظ الرجز مفرد محلى بالالف واللام فينصرف الى المعهود السابق وههنا المعهود
السابق هو الانواع الخمسة التى تقدم ذكرها وأما غيرها فشكول فيه فحمل القطع على المعلوم أولى
من حمله على المشكول فيه وعن أسامة بن زيد الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل
وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا
تخرجوا فرار منه (قالوا يا موسى ادع لنا ربك) ولم يقولوا ربنا كبرا وهتوا (بمعاهد عندك)
أى بمعهد عندك وهو النبوة وسميت عهد الان الله تعالى يهدى اليه بكرم النبي وهو عهد

أن يستقل بأعبائها أو بالذي عهد الله أن تدعوه فيحيبك كما أجابك به في آياتك والباء اما
 أن تتعلق بقوله ادع لنار بك على وجهين أحدهما أسعفنا الى ما نطلب منك من الدعاء لك بحق
 ما عندك من عهد الله وكرامته بالعقوبة وأدع الله لناسموسلا اليه بعهد عندك وأما ان يكون
 قد سماجها بقوله تعالى (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) أي أقسمنا بعهد الله تعالى عندك
 لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (ولترسلن معك بنى اسرائيل) أي لصدقنك بما جئت
 به ولنظن بنى اسرائيل ليذهبوا حيث شاءوا (فلما كشفنا عنهم الرجز) أي بدعاء موسى عليه
 السلام (الى أجل هم بالغوه) أي الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فعذبون فيه لا ينفعهم
 ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله وهو وقت اهلاكمهم بالفرق في اليم وقوله
 تعالى (اذا هم يشكون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجوا التمسكت من غير توقف وتأمل
 فيه (فان قيل) ان الله تعالى علم من حال هؤلاء انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فالعاقبة في
 نوالها عليهم واظهار الكبر منها (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل
 عما يفعل قال تعالى (فاتقوا الله انكم انتم منكم) أي كافأناهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في
 اللغة سلب النعمة بالعذاب لانه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن
 كفرهم وبلغوا الاجل الذي أجل لهم اتقم منهم بأن اهلكهم كما قال تعالى (فأغرقناهم
 في اليم) أي في البحر الذي لا يدرك قره وقبل هو لجة البحر وعظم مائه واشتقاقه من التيم لان
 المنقعين به يقصدونه قال الازهرى ويقع اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك
 قوله تعالى فاذنغبه في اليم والمراد بيل مصر وهو عذب واغرقهم (بأثم) أي بسبب أنهم
 (كذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وصدق رسولنا (وكلوا منها) أي الآيات (عافلين) أي
 لا يدبرونها وقيل الضمير في عنها يرجع للنعمة التي دل عليها قوله تعالى اتقنا أي وكافوا عن
 النعمة قبل حلولها عافلين (فان قيل) المغفلة ليست من فعل الانسان ولا تحصل باختياره فكيف
 جاء الوعيد على المغفلة (أجيب) بأن المراد بالمغفلة هنا الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات
 اليها فهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالعافلين عنها (فان قيل) ليس قد ضموا الى التكذيب
 والمغفلة معاصي كثيرة فكيف يكون الانتقام بهذين دون غيرها (أجيب) بأنه ليس في بيان انه
 تعالى اتقم منهم بهذين دلالة على نفي ما عداهما حال الرأى والالية تدل على أن الواجب
 في الآيات النظر فيها فلذلك ذمهم بأنهم غفلوا عنها وذلك يدل على أن التقليد طريق مذموم
 ولما بين تعالى اهلاكم القوم بالفرق على وجهه العقوبة بين تعالى ما فعله بالقومين من الغيبرات
 وهو انه تعالى أودعهم أرضهم وديارهم فقال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون)
 أي بالاستعباد وذهب الابناء وأخذ ابنته والاعمال الشاقة وهم بنو اسرائيل (مشاؤون الارض
 ومغاربها) أي أرض الشام وهي من المغارات الى بحر سرف الموضع الذي تخرجوا منه من البحر
 وغرق فيه مفرعون وآله كما نقله البقاعي في المائدة عن التوراة وقيل المراد بجهة الارض لانه
 خرج من جهة بنى اسرائيل داود وسليمان عليهما السلام وقد سلكا الارض ويدل للتأويل قوله

تعالى (التي باركنا فيها) أي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق بالأرض الشأم (وتمت قلت
 ربك الحسن على بني اسرائيل) أي مضت عليهم واستقرت من قولهم تم عليه الامر اذا قضى وهي
 قوله تعالى وزيد أن تمن على الذين استضعفوا في الارض الخ والحسن تأنيب الاحسن صفة
 للكلمة ومعنى تمت عليهم انجاز الوعيد الذي تعدوا هلاك عدوهم واستخلافهم في الارض وانما
 كان الانجاز تمام للكلام لأن الوعد بالشئ يبقى كالشئ المعلق فاذا حصل الموعود به فقد تم ذلك
 الوعد وكل * (فائدة) * رمت كلمة بالنساء المجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي ووقف الباقر بالتاء وانما حصل لهم ما ذكر (بما صبروا) أي بسبب صبرهم وحسب
 به ما تعالى الصبر وداعلى أن من قابل البلا بالجزع وكما الله تعالى اليه ومن قابله بالصبر
 وانظار النصر ضمن الله تعالى له الفرج (ودمنا) أي أهلكنا قال اللب الدمار الهلاك التام
 (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون)
 أي من الجنان وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هلمان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء
 والباقر بالجز وهذا آخر ما قص الله تعالى من بنا فرعون والقبض وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم
 ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص بنابي اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من علكة فرعون
 واستعبادهم ومعانيهم الآيات العظام بقوله تعالى (وجاورنا بني اسرائيل البحر) أي قطعناه
 بهم روى أن جوارهم كان يوم عاشوراء وأن موسى عليه السلام صامه شكر الله تعالى على
 انجائهم واهلاك عدوهم ومع الذم التي أنعم الله تعالى بها عليهم لم يراعوا حق رعايتها كما حكى الله
 تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (فأثروا على قوم) أي مزوا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) أي
 يقيمون على عبادتها قال ابن جرير كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل قبل كانوا قوما
 من نغم وكانوا زولا بالرقعة وقبل كانوا من المكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة
 والكسائي بكسر المكاف والباقر بالضم (قالوا) أي قال بعضهم لبعض لانه كان مع موسى
 السبعون المختارون وكان فيهم من يرتفع عن مثل هذا السؤال الباطل وهو قولهم
 (يا موسى) سموه كما ترى باسمه جفاء وغلظة (اجعل لنا الهة) أي صنما نعتكف عليه وهذا
 يدل على غاية جهلهم وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعدما رأوا الآيات
 الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي نالت على قوم فرعون حتى
 أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وهو عبادتهم غير الله سبحانه وتعالى فعملهم جهلهم
 إلى أن قالوا انبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الهة (كألهم الهة) وفي ذلك تسلية للنبي
 صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة تذكرة لحال الانسان وانه ظالم جهول
 كدور الامن عصمه الله وقليل من عبادى الشكر (قال) موسى رداعليهم (أنكم قوم
 تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق وأكده بعد ما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات العظمى
 والمعجزة الكبرى لانه جهل أعظم مما رأى منهم وأشنع (ان هؤلاء) أي النجوم (متبرأ هالك
 مدمر ما هم فيه) أي ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويحاهلها

رضا (وباطل) أى مضجع (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى لان الاشتغال بعبادة غير الله يزيل معرفة الله تعالى من القلب والمقصود من العبادة رسوخ معرفة الله تعالى في القلب فكان هذا ضد الغرض ونقيضا للمطلوب (قال) موسى عليه السلام محببهم على سبيل الاتكار عليهم والتعجب (أغير الله أن يعيكم الهام) وأصله أبغى لكم أى أطلب لكم معبودا (وهو) أى والحال أنه هو وحده (فضلكم على العالمين) اذا لا اله الا الله ليس شيأ يطلب ويلتقى ويتخذ الاله هو الذى يكون قادرا على الانعام بالايجاد واعطاء الحياة وجميع النعم فهذا الموجود هو الاله الذى يجب على الخلق عبادته فكيف يجوز العدول عن عبادته الى عبادة غيره وفي تفضيلهم على العالمين قولان الاول أنه تعالى فضلهم على عالمي زمانهم الا ما يخصه العقل من الانبياء والملائكة والثاني أنه تعالى خصهم تلك الآيات القاهرة ولم يحصل مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلهم بسائر اخصال مثله رجل يعلم علما واحدا وآخر يعلم علوما كثيرة روى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد مفضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك العلم في الحقيقة (واذا أنجيكم من آل فرعون) أى واذا ذكرنا صناعته معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر يحذف الباء والتون والباقون بآياتهم ما وقوله تعالى (يسومونكم) أى يكافونكم ويذقونكم (سوء العذاب) أى أشد استئناف لبيان ما أنجيهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهم ما وقوله تعالى (يقتلون أبناءكم ويستحيون) أى يستبقون (نساءكم) بدل من يسومونكم سوء العذاب (وفي ذلكم) أى الانقياد أو العذاب (بلاء) أى نعمة أو محنة (من ربكم عظيم) أى أفلا تتعظون وتفتنون عما قلتم (وراءنا موسى ثلاثين ليلة) ذكرناكم عند انتهائهم بأن يصوم أيامها روى أن موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل بصر أن يأتيتهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فإلهلاك سأل ربهم فامر بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة فصامه فلما تمت أنكر خلافه فقتل ففسدوا فقال الملائكة كنا ننتم منكم رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمره الله تعالى بعشرة أخرى ليكافه الله بخلافه كما قال تعالى (وأعطيناهم عشر) أى من ذى الحجة فتم ميعات ربه) أى وقت وعده بشكايه إياه (أربعين ليلة) وقيل أمره أن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها ولقد أجل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها هنا وقرأ أبو عمرو وعدنا بغير ألف قبل العين والباقون بألف (فان قبل) ما فائدة قوله تعالى فتم ميعات ربه أربعين ليلة مع أن كل أحد يعلم أن الثلاثين مع العشر تكون أربعين (أجيب) بأنه تعالى انما قال أربعين ليلة ازالة لتوهم أن ذلك العشر من الثلاثين لانه يحتمل أن أعطيناهم عشر من الثلاثين كما أنه كان عشرين ثم أتمه بعشر فصارت ثلاثين فأزال هذا الابهام * (تبيينه) * الفرق بين الميعات والوقت أن الميعات ما قدر فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره مدة ثم لا وقوله تعالى أربعين نصب على الحال أى تم بالغاهذا العدد وليلة نصب على التمييز (وقال موسى لآخيه) وقوله (هرون) عطف بيان لآخيه أى قال له عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلقنى) أى كن

خيلفتي (في قومي وأصلح) أي ما يجب أن يصلح من أمورهم أو حسن مصلحهم (ولا تتبع سبيل
المفسدين) أي ومن دعاك منهم إلى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه (فإن قيل) إن هرون كان شريك
موسى عليه السلام في النبوة فكيف جعله خليفة لنفسه فإن شريك الإنسان أعلى حالاً من
خليفته ورد الإنسان من منصبه الأعلى إلى الأدنى يكون اهانة له (أجيب) بأن الأمر وإن كان
كما ذكر الآن موسى عليه السلام كان هو الأصل في تلك النبوة (فإن قيل) لما كان هرون نبياً
والنبي لا يفعل إلا الإصلاح فكيف وصي إليه بالإصلاح (أجيب) بأن المقصود من هذا الأمر
التأكيد كقول الخليل ولكن ليطمئن قلبي (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي للوقت الذي وعدناه
للكلام فيه (وقلمه ربه) دلت الآية الكريمة على أنه تعالى كلم موسى عليه السلام والناس
مختمون في كلام الله تعالى قال الزمخشري في كشفه وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك
وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كآخلفه مخطوطاً في اللوح اه وهذا
مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لأن ذلك الجرم كالشجرة لا يقول أنا الله لاله الأنا
فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب بعض الحنابلة والحشوية إلى أن
كلام الله تعالى حروف وأصوات منقطعة وأنه قديم قال الإمام الرازي وهذا القول أخسر من
أن يلتفت إليه العاقل والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله تعالى صفة مغفارة
لهذه الحروف والأصوات وأن موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية قالوا كما أنه لا يعد رتبة
ذاته مع أن ذاته ليست جسمًا ولا عرضًا كذلك لا يعد سماع كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفاً
ولا صوتاً وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن
سماع كلامه تعالى القديم ليس من جنس كلام المحدثين وهل كان سبحانه وتعالى كلم موسى
وحده أم مع أقوام آخرين ظاهر الآية يدل للأول لأن قوله تعالى وكلمه ربه يدل على تخصيص
موسى عليه السلام بهذا التشریف والتخصيص بالذكر يدل على نفي الحكم عن عدهاء وقال
القاضي بل السبعون المختارون سمعوا أيضاً كلام الله تعالى قال لأن الغرض بإحضارهم أن
يخبروا قوم موسى عليه السلام عما يجري هناك وهذا المقصود لا يتم إلا عند سماع الكل
وأيضاً فإن تكليم الله تعالى موسى على هذا الوجه معجز وقد تقدمت نبوة موسى عليه السلام
فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره • ولما سمع عليه السلام كلام ربه اشتاق إلى رؤيته سبحانه
وتعالى (قال رب أرني أنظر إليك) قال في الكشف ثانياً مفعولي أرني محذوف أي أرني
نفسك أنظر إليك (فإن قيل) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك (أجيب) بأن معنى
أرني نفسك أبعثني ممكناً من رؤيتك بأن تجلي لي فأنظر إليك وأراك وفي هذا دليل على أن
رؤيته تعالى جائزة في الجلالة لأن طلب المستقبل من الأنبياء محال خصوصاً ما يقتضيه الجهل بالله
تعالى ولذلك رده بأن (قال) له (لن تراني) دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلى تنبيه على أنه
قاصر عن رؤيته لتوقفها على بعدى الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيث قومه الذين
قالوا أرنا الله جهرة كما قاله الزمخشري أشدّ خطأ أذلو كانت الرؤية بمنعها لوجب أن يجهاهم

وزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها والاستدلال بالجواب وهو قوله تعالى لن
 تراني على استحيائنا أشتد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على أنه لا يراه أبدا
 وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالته فإن أهل البدع والخوارج والمعتزلة
 وبعض المرجئة قالوا لن تكون لتأيد النفي وهو خطأ لانهم لو كانت للتأيد لزم التناقض بذكر
 اليوم في قوله تعالى فلن أكلم اليوم انسيا ولزم التكرار بذكر أبي في قوله تعالى ولن يمتنوه أبدا
 ولن يجتمع مع ما هو لا انتهاء الغاية نحو قوله تعالى فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أي وأما تأيد
 النفي في قوله تعالى لن يحلفوا ذبا فلا امر خارجي لامن مقتضيات لن ولا تقتضي تأكيد النفي
 أيضا خلافا لما ذكره الخنيزي في كشافه بل قولك لن أقوم محتمل لأن ترديده انك لا تقوم أبدا وأنك
 لا تقوم في بعض الأزمنة المستقبلية وهو موافق لقولك لا أقوم في عدم افادة التأكيد وقوله
 تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) استدوا الذي يريد أن يبين به أنه
 لا يطبق الرؤية وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على جوازها لان استقرار الجبل عند
 التبلي يمكن بان يجعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق على الممكن ممكن وتراني في الحرفين
 المياه ثابتة وقفا ووصلا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزق بكسر التون والباقون بالضم قال وهب
 ابن منبه ومحمد بن اسحق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والرعد
 والبرق حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى
 ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى عليه السلام فترت به ملائكة السماء الدنيا كثيران
 البقر تنبع أفواهمهم بالتسبيح والتقدیس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم مرت به
 ملائكة السماء الثانية كأنهم الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقدیس ففرع عمار أي وسمع
 واقشعرت كل شعرة في جسده ورأسه ثم قال لقد ندمت على مشيتي فهل ينجي من مكافئ الذي
 أنافه شي فقال له رئيس الملائكة يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به
 ملائكة السماء الثالثة كأنهم النور لهم قصف ورجف ولبس شديد وأفواهم تنبع
 بالتسبيح والتقدیس كلج الجيوش العظيمة ألوانهم كلب النار ففرع موسى عليه السلام
 واشتد فزعهم وأيس من الحياة فقال له رأس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك
 عليه ثم مرت به ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شي من الذين مروا به ألوانهم كلب النار
 وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقدیس لا يقر بهم شي من الذين مروا
 به قبلهم فاصطكت ركبته وأرعب قلبه واشتد بكاءه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران
 اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به ملائكة السماء الخامسة لهم سبعة ألوان فلم
 يستطع موسى أن يتابعهم بصروهم لم يمشيهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه
 وكبر بكاءه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم مرت به
 ملائكة السماء السادسة وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة الطويلة نورأشتد ضوؤها من
 الشمس ولباسهم كلب النار اذا سجدوا وقعدوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات

كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبد اليعوت في رأس كل ملك منهم أربعة
أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يكي ويقول يا رب اذكرني ولاتنس عبيدك
لأدري أغفلت مما أنافيه أم لا أن خرجت احترقت وان مكنت احترقت فقال له رأس الملائكة
قد أوشك يا ابن عمران أن يشد خوفك وينخلع قلبك فاصبر لنذي سألت ثم أمر الله تعالى أن
يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدأ نور العرش انصدع نور الجبل من عظمة الله تعالى
ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد اليعوت بشدة
أصواتهم فارتح الجبل وان ذلك قوله تعالى (فلما تجلجلى ربه) أى أظهر من نوره قدر نصف أغلة
الخنصر كافي حديث صحيحه الحاكم (للجبل) أى جبل زبير فيخ الزاى والاضافة فيه بيانية لقول
الجوهري الزبير اسم للجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (جعلته ذكاً) أى
مد كوكا مفتتا وحكى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب
نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا مستويا بالارض والملك والدق اخوان وقال ابن عباس
جعلته زابا وقال سفيان ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال الكلبي
كسر جبال الصغار قال البغوي ووقع في بعض التفسير صار لعظمته ستة أجيل وقعت ثلاثة
بالمدينة أحدهم وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وشير وحر وقر أحزمة والكسائي
بأنف بعد الكاف وهمزة مفتوحة من غير تنوين وصلوا ووقفا أى مستويا ومنه ناقة ذكاه لالتى
لا سنام لها والباقون بالتنوين بعد الكاف والوقف على ألف التنوين (وخر) أى وقع (موسى
صعقا) أى مغشيا عليه من هول ما رأى غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو
مغشى عليه فجعوا يلذكرونه بأرجلهم ويقولون له يا ابن النساء الحبيص أطعمت في رؤيته رب
العزة (فلما أفاق) من غشيته (قال) تعظيما لما رأى (سبحانك) أى قزىها لك من النقائص كلها
(تبت اليك) أى من الجراوة والاقدام على السؤال بغير إذن وقبل لما كانت الرؤية مختصة
بمحمد صلى الله عليه وسلم فنعها قال سبحانك تبت اليك من سؤالي ما ليس لي وقيل لما سأل
الرؤية ونعها قال تبت اليك من هذا السؤال وحسنات الابرار سياست المقربين (وأنا أقول
المؤمنين) أى في زمانى وقيل أنا أقول من آمن انك لا ترى في الدنيا أى لكل الانبياء والافارؤية
ثابتة لدينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء على الصبح وللزخنى هنا في كشافه على
مذهبه الفساد في عدم الرؤية مطلقا وأيلات فلتحذر (قال باموسى انى اصطفتك) أى
اخترتك (على الناس) أى الموجودين في زمانك وهرون وان كان نيامه سلا كان مامورا
باتباعه ولم يكن كايما ولا صاحب شرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح ياء انى والباقون بالسكون
وقوله تعالى (برسالاتى) أى باسفار التوراة قرأه نافع وابن كثير بغير ألف بعد اللام على
التوحيد والباقون بالالف بعد اللام على الجمع (وبكلامى) أى وبكلامي اياك (فخذ ما آتيتك) أى
ما أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) لانعى لان موسى عليه السلام لما منع الرؤية عقد
الله تعالى عليه وجوه نعمه العظيمة التى له عليه وأمره أن يشغل بشكرها كانه قال له ان كنت

منعته تلك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية
وانظر الى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها والاشتغال بشكرها انما يكون
بالقيام بلوازمها علما وعملا والمقصود تسليط موسى عليه السلام عن منع الرؤية قال الامام
الرازي وهذا أيضا أحد ما يدل على أن الرؤية جائزة على الله تعالى اذ لو كانت ممنوعة في نفسها
لما كان الى ذكر هذا القدر حاجة وروى ان موسى عليه السلام كان بعدما كلمه ربه
لا يستطيع أحد أن ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت
له زوجته أنا لم أزل منذ كلكت ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت
يدها على وجهها وخزت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذال ان لم
تنزجي بعدى لان المرأة لا تخرأ زوجها (وكتبنا له) أي اوصى (في الاواح) أي ألواح التوراة
قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول الاواح اثنا عشر ذراعا وابعاء في الحديث
خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده والمراد بيده قدرته وقيل
كانت من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء وقيل من جفرة صماء لينها الله تعالى لموسى
فقطعه بيده وأما كيفية الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر
واسم من نهر النور وقال وهب سمع موسى صريرا بالقلم بالكلمات العشر وكان ذلك في أول
يوم من ذي القعدة وقيل ان موسى ختر صغتنا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر وكانت
الاولاح عشرة على طول موسى وقيل كانت تسعة وقيل سبعة وقال مقاتل وكتبنا له في الاواح
كنش الخاتم وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي سبعون وقربا يعبر البحر منها في سنة
ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام أي لم يحفظها وبقراها عن
ظهر قلب الالهؤلاء الاربعة قال الامام الرازي وليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك
الاولاح وعلى كيفية تلك الكتابة فان ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوى وجب القول به
والاوجب السكوت عنه وأما قوله تعالى (من كل شيء) فلا شبهة أنه ليس على العموم بل عما
يحتاج اليه موسى عليه السلام وقومه من أمر الدين وقوله تعالى (موعظة وتفصيلا) أي تبينا
(لكل شيء) يدل من الجار والمجرور قبله أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام وقوله
تعالى (تخذهما) على اضممار القول عطف على كتبنا أو بدلا من قوله نخذ ما أتيتك والهاء
للأواح أو لكل شيء فانه بمعنى الاشياء أو الرسالة وعن كعب الاحبار أن موسى عليه السلام
نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هي خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا
الاعور والجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد بن موسى قال يارب اني أجد أمة هم الحامدون
رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرًا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال
يارب اني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم
المنجباون والمستجاب لهم الشافعون والمشفعون لهم فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال

يارب انى أجدهم اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبطوا ديا جدد الله الصعيد لهم
 طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم
 بالماء حيث لا يجدون الماء غفر مجعلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال
 يارب انى أجدهم اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها كتبت له
 عشر أمثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب انى أجدهم أمة
 مرحومة ضعفاء يرثون الله كتاب اصطفتيهم ففهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات فلا أجدهم احد الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب انى أجدهم أمة
 مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة
 أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم الا من برئ من الحسنة مثل ما
 برئ الخمر من ورق الشجر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه
 الله محمد داوأمته قال يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه اى اصطفيك الخ فرضى
 موسى كل الرضا ومعنى (بقوة) اى بجدة وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أى بأحسن ما
 فيها (فان قيل) ظاهر هذا يقتضى أن فيها ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الاخذ به وذلك
 متناقض (وأجيب) عن ذلك بأجوبة * الاول أن تلك التكليف منها ما هو حسن ومنها ما هو
 أحسن كالاعتقاد والعفو والاعتصام بالصبر ففرهم أن يحملوا أنفسهم بما هو أدخل في الحسن
 وأكبر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وقوله تعالى الذين
 يسعون القول فيقتبعون أحسنه هذا ما أجاب به في الكشف وتبعه البيضاوى والامام الرازى
 لكن قال التفنن انى هذا ينافى ما تقدم من أن المكتوب على بنى اسرائيل هو القصص قطعاً
 والجواب بأنه مثال للحسن والاحسن لا لكونه في التوراة بعيد جداً (فان قيل) يلزم عليه أيضاً
 منع الاخذ بالحسن وذلك يقدح في كونه حسناً (أجيب) عن هذا بأن الاخذ بالحسن الثانى على
 سبيل التدب فلا يقدح في منع الاخذ بالحسن * الثانى ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب
 والمباح وأحسن هؤلاء الثلاثة الواجب * الثالث أن المراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقاً
 لا بالاضافة وهو المأمورية كقولهم الصيف أحر من الشتاء أى هو في حره ابلغ من الشتاء في برده
 فكذا هنا المأمورية أبلغ في الحسن من المنهى عنه في القبح (سأريكم دار الفاسقين)
 أى دار فرعون وقومه وهى مصر كيف أقفرت منهم ودمروا الفسقة منهم لتعتبروا فلا تفسقوا
 مثل فسقهم فينكل بكم مثل ما نكل بهم وقيل منازل هاد وغرد والقرون الذين أهل بهم
 الله لفسقهم في تمزك عليها في أسفاركم وقيل المراد دارهم في الآخرة وهى جهنم (سأصرف
 عن آياتي) المنصوبات في الآفاق والافئدة كخلق السموات والارض وما بينهما (الذين
 يتكبرون في الارض) أى أصرفها عنهم بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا
 يعتبرون بها وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقوله تعالى (بغير الحق) صلة يتكبرون
 بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فان اظهرا الكبر على الغير قد يكون بالحق فان المعنى أن يتكبر

على المبطل وفي الكلام المشهور والتكبر على المتكبر صدقة (وان يروا كل آية) أى منزلة أو معجزة (لا يؤمنوا بها) أى اعنادهم وتكبرهم (وان يروا سبيلا) أى طريق (الرشد) أى الهدى الذى جاء من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) أى طريقا يسلكونه بقصد منهم ونظر ونعمد بل ان يسلكوه فعن غير قصد وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء والشين والباقيون بضم الراء وسكون الشين (وان يروا سبيلا) أى الضلال (يتخذوه سبيلا) أى بغاية الشهوة والتعمد والاعتماد لسلكه (ذلك) أى هذا الصرف العظيم الذى زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الايمان واتخاذ الرسالة (بانهم) أى بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) أى الدالة على وحدانيتنا (وكانوا غافلين) أى كان دأبهم ودينتهم معاملتهم ايانا بالاعراض عنها حتى كانوا مغفلين عنها فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهم ما كانوا يباينون غفلتهم عنها من شهوراتهم وعن الفضيل بن عياض ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا نزعت عنها هيبه الاسلام واذتر كوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت عليهم بركة الوحى (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة) أى وكذبوا بآياتهم الدار الاخرة التى هى موعد الثواب فهو من اضافة المصدر الى المفعول به ويجوز أن يكون من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الدار الاخرة (حبطت) أى بطلت (أعمالهم) أى ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هل) أى ما يجوز (الاجزاء) ما كانوا يعملون أى من التكذيب والمعاصى (واتخذ قوم موسى من بعده) أى بعد ذهابه الى المناجاة (من حلیم) أى الذى استعاروه من القبط بسبب عرش فبق عندهم (فان قيل) كيف قال من حلیم وكان معهم معارا (أجيب) بأنه لما أهلك الله تعالى قوم فرعون بقيت تلك الاموال فى أيديهم وصارت ملكا لهم كسائر املاكهم بدليل قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قومنا آخرين وقرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء والباقيون بضمها (بهم) أى صاغه لهم منه السامرى وقوله تعالى (جسد) بدل منه أى صار جسدا ذا لحم ودم (لهم خوار) أى صوت البقر روى أن السامرى لما صاغ العجل ألقى فيه قبضة من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع الجوف صار حيا له خوار وقيل صاغه بنوع من الحيل فدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله امالا لانهم رضوا به أولان المراد اتخاذهم اياه الها وقيل انه ما خارا لمرته واحدة وقيل انه كان يحور كثيرا فاذا خار جسد واله واذ اسكت رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك قال السدى كان يحور ويمشى وقوله تعالى (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) تقرير على فرط ضلالهم وافرطهم بالنظر لان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جادا أو حيويا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح أن يعبد * ثم وصفهم الله تعالى بالنظم بقوله (اتخذوه) أى العجل الها (وكانوا ظالمين) أى واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعائهم ولا أول منا كبرهم واختلقوا هل كل قوم موسى عبدا والعجل أوبعدهم

قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون واحج عليه وجهين الاول عموم هذه الآية والثاني قول موسى عليه السلام في هذه القصة رب اغفر لي ولاخي قال خص نفسه وأخاه بالدعاء وذلك يدل على أن من كان مغفرا لهما ما كان أهلا للدعاء ولو بقوا على الإيمان ما كان الأمر كذلك وقال غيره بل كان قد بقي في بني إسرائيل من ثبت على إيمانه وإن ذلك الكفر انما وقع في قوم مخصوصين والدليل عليه قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (ولما سقط في أيديهم) أي ولما قدموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادى على أمر قد سقط في يده وذلك لأن من شأن من اشتد نداه على أمر أن بعض يده ثم يضرب فخذه فتصير يده ساقة لأن السقوط عبارة عن النزول من أعلى إلى أسفل (ورأى) أي علموا (أنهم قد ضلوا) عن الطريق الواضح باتخاذ العجل (قالوا) توبه ورجوعا إلى الله تعالى كما قال أبوهم آدم عليه السلام (لئن لم يرجعنا ربنا) الذي لم يقطع قط إحسانه عنا فكيف غصبه ويدم إحسانه (ويغفر لنا) أي يمحون ذنوبنا عنا وأثر الثلاثين من المستقبل (لنكونن من الخاسرين) أي فينتقم منا ذنوبنا وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدم عليه من الذنوب وندم على ما صدر منه ورغب إلى الله تعالى في إقالة عثرته وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام إليهم كما قال تعالى (ولما رجع موسى) أي من مناجاته (إلى قومه غضبان) أي من جهتهم (أسفا) أي لأن الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الأسف الحزن والأسف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب وقرأ جزء والكسائي بالخطاب في رجونا ويغفر لنا ونصب ربنا والباقون بالقيبة ورفع الباء (قال) موسى لهم (بسم الله) خلفوني من بعدى) أي بئس الفعل فعلكم بعد فراقي بأكم وهذا الخطاب يمحتمل أن يكون لعبدة العجل من السامري وأتباعه أي بسم الله خلفوني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله تعالى وأن يكون لهرون والمؤمنين أي بسم الله خلفوني حيث لم تمنعوه من عبادة خيرا لله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتموها من بعدى خلافتكم (فائدة) انفقوا على وصل بسم الله في الرسم (أجهلتم أمر ربكم) أي أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته أو أجهلتم أمر ربكم الذي وعده من الأربعين وقد رتم موته وغيرتم بعدى كما غيرت الأمم بعد أن بنياهم وروى أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا الهكم وآله موسى إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بليليا لم يجمعوا لها أربعين ثم أخذوا ما أحدثوا (وألقي الألواح) أي ألواح التوراة أي طرحها من شدة الغضب وفرط الغضب رأى عند استماعه حديث العجل حجة للدين وكان في نفسه حديثا شديدا الغضب روى أن التوراة كانت سبعة أسابيع في سبعة ألواح فلما ألغاهما انكسرت فرفع ستة أصعها أي ستة أسابيع ما فيها لاسعة أسابيع نفسها لقوله بعد وأخذ الألواح وكان فيها تفصيل كل شيء وبقى سبع فرفع ما كان من أخبار القيب وبقى ما فيه المواعظ والأحكام والحلال

والحرام قال الرازي ولعائل أن يقول ليس في القرآن إلا أنه ألقى الألواح فأتاه بها بحيث
تسكرت فهذا ليس في القرآن وأنه جراءة عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالأنبياء (وأخذ
يرأس أخيه) أي بشعر رأسه بينه وشعر لحية بشماله (بحره) أي أخاه (اليه) غضبا وكان هرون
عليه السلام أكبر من موسى ثلاث سنوات وأحب إلى بني إسرائيل من موسى
لأنه كان البن منه جانباً (قال) هرون عند ذلك (ابن أم) قراة ابن عامر وشعبة والكسائي
بكسر الميم وأصله ابن أي حذف الباء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً كلنا دى المضاف إلى الباء
والباقون بالنصب زيادة في التخفيف لطوله وتشبيهاً بخمسة عشر (فان قيل) هرون وموسى
من أب وأم فلماذا ناداه بالأم فقط (أجيب) بأنه اعتذر بها لأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها
ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقه البرقة عليه والطاعون في عصمة
الأنبياء يقولون أخذ برأس أخيه يجره على سبيل الإهانة والاستخفاف والمذنبون لعصمة الأنبياء
قالوا جر رأس أخيه ليساره ويستكشف منه كيفية تلك الواقعة (فان قيل) فلماذا قال يا ابن أم
(إن القوم) الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أي اتى قد بدلت وسعى في كفهم فاستذلوني
وقهروني (وكادوا) أي قاربوا (يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء) أي فلا تفعل بي ما يشمتون بي
لأجله وأصل الشمتة الفرح بيلة من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان إذا سر بكموه
نزل به أي لا تسر الأعداء بما تنال مني من مكروه فكيف فعل بأخيه ذلك (أجيب) بأن هرون
انما حال ذلك خوفاً من أن يتوه جهال بني إسرائيل أن موسى غضبان عليه كما هو غضبان على
عبد العجل أي فلا تفعل بي ما تشمت به أعدائي فهم أعداؤك فإن القوم يحملون هذا الفعل
الذي تفعله بي على الإهانة لا على الاحكام (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي الذين عبدوا
العجل مع براقي منهم بالموأخذة أو بنسبة التقصير ولما اعتذره أخوه وذكر شتمه الأعداء
(قال رب اغفر لي) أي ما جعلني عليه عمامة مني بأخي (ولأخي) أي اغفر له ما فرط في كفهم عن
عبادة العجل إن كان وقع منه تغريط وضعه إلى نفسه في الاستغفار فارتضى له ودفعاً للشتم عنه
(وأدخلنا في رحمتك) بزيادة الانعام علينا (وأنت أرحم الراحمين) فانت أرحم بنا منا على
أنفسنا قال الله تعالى (إن الذين اتخذوا العجل) أي الهاء يعبدونه من دون الله تعالى فهذا هو
المفعول الثاني من مفعولي اتخذوا (سينالهم غضب) أي عقوبة (من ربهم وذلة في الحياة الدنيا)
وهي خروجهم من دارهم وللمفسرين في هذه الآية طريقان الأول أن المراد بالذين اتخذوا
العجل الذين باشروا عبادة العجل (فان قيل) أولئك تاب الله عليهم بسبب أن قتلوا أنفسهم
في معرض التوبة على ذلك الذنب وإذا تاب الله عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة (أجيب)
بأن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضباً عليهم والمراد
بالذلة هو استسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على أنفسهم بالضلal وانحطاط وقيل خروجهم
من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب (فان قيل) السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف
تكون الماضي (أجيب) بأن هذا انما هو خبر عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين

أخبره بافتتان قومه واتخاذهم الجبل ثم أخبره الله تعالى في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من
 ربهم وذلة فـكان هذا الكلام سابقا لوقته وهو القتل الذي أمرهم الله تعالى به بعد ذلك
 والطريق الثاني أن المراد بالذين اتخذوا الجبل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
 فوصف اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ الجبل وان كان ما فعل ذلك
 إلا تأوهم لانهم رضوا بفضله ولم يأن العرب تعير الابناء بقبائح أفعال الآباء كما يفعل ذلك في المناقب
 بقولون لا تأثمم أفعلتم كذا وكذا وانما فعله من مضى من آباءهم ثم حكم عليهم بأنهم سبنا لهم
 غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كما قال تعالى في صفتهم ضربت عليهم الذلة
 والمسكنة (وكذلك) أي كما جزيناههم (بخزي المفترين) أي كل مفتر في دين الله فجزاؤه غضب الله
 في الآخرة والذلة في الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه
 الآية لأن المبتدع مفتر في دين الله (والذين علوا السيات) أي علوا الاعمال السيئة ويدخل
 في ذلك كل ذنب حتى الكفر (ثم تابوا) أي رجعوا عنهم الى الله تعالى (من بعدها) أي من بعد
 أعمالهم السيئة (وآمنوا) أي وصدقوا بالله تعالى بأنه لا اله غيره وأنه يقبل توبه التائب ويغفر
 الذنوب وان عظمت (ان ربك) أي يا محمد أوبأيهما الانسان التائب (من بعدها) أي التوبة
 (لغفور) أي ستور عليهم محامدا لما كان منهم (رحيم) بهم أي منيع عليهم بالجنة وفي الآية دليل على
 أن السمات بأسرها صغبرها وكبرها مشتركة في التوبة وأن الله تعالى يغفرها جميعا بفضله
 ورحمته فان عفوه وكرمه أعظم وأجل وهذا من أعظم ما يفيد البشارة والفرح للذين التائبين
 وتقدير الآية أن من أتى بجميع السمات ثم تاب الى الله تعالى وأخلص التوبة فان الله
 يغفرها له ويقبل توبته (ولما سكنت) أي سكن (عن موسى الغضب) أي باهتذا رهرون
 وتوبتهم فعند ذلك سكن غضبه وهو الوقت الذي قال رب اغفر لي ولائي وفي هذا الكلام
 استعارتان استعارة بالكناية في الغضب عن الشخص الناطق واستعارة تصريرية أو تخيلية
 في السكوت عن طغ غضب موسى وسكون هيجانه وغليانه وقال عكرمة أن المعنى سكنت
 موسى عن الغضب فقلب كما قالوا أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في القلنسوة
 (أخذ الألواح) أي وكاد عالاخيه منها بذلك على زوال غضبه عليه فكذلك أخذ الألواح التي
 ألقاها منها على زوال غضبه قال الامام الرازي وظاهر هذا يدل على ان شيئا منها لم ينكسر ولم
 يطل وان الذي قيل من أن ستة اسباع التوراة رفعت الى السماء ليس الامر كذلك اه ومرت
 الاشارة الى ما يدل على الجمع بين ما هنا وبين ما مر (وفي نسختها) أي ما نسخ فيها من كتب والنسخ
 عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا جهر ففقدت ذلك الكتاب فهو
 نقلا ما في الاصل الى الفرع لان الألواح نسخت من اللوح المحفوظ والنسخة قطعة بمعنى مقعولة
 كالخطبة وقيل ان موسى عليه السلام لما ألقي الألواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت
 عليه في لوحين وعلى قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينيه بعدما ألقاها يكون
 المعنى وفي نسختها أي المكتوب فيها (هدى) أي يان للمعق (ورحمته) أي ارشاد الى الصلاح

والخبر وقال ابن عباس هدى من الضلالة ورحمة من العذاب (للذين هم لربهم رهبون) أى
يخافون (فان قيل) التقدير الذين يرهبون ربهم فالأند في اللام في قوله لربهم (أجيب)
بأوجه الأول أن تأخير الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً فدخلت اللام للتقوية ونظيره قوله
تعالى ان كنتم للربوا تعبرون الثاني انها لام الاجل والمعنى للذين هم لاجل ربهم يرهبون لارياهم
ولاسعة الثالث انه قد يراد حرف الجر في المفعول وان كان الفعل متعدياً كقولك قرأت السورة
وقرأت بالسورة (واختار موسى قومه) أى من قومه لحذف الحارز وأصل الفعل اليه فنصب
يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا وأنشد واقول الفرزدق

ومنا الذي اخترت الرجال سماعة * وجودا اذا هب الرياح الزاعج

قال أبو جلي والاصل في هذا الباب ان في الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف الجر
ثم ينسج فيه حذف حرف الجر فيتعدى الى المفعول الثاني من ذلك قولك اخترت من الرجال زيدا
ثم ينسج فيه قال اخترت الرجال زيدا واستغفر الله من ذنبي واستغفر الله ذنبي قال الشاعر
استغفر الله ذنبا لست محصيه * ويقال أمرت زيدا بالخير وأمرت زيدا الخير قال الشاعر
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * قال الرازي وعندي فيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير
واختار موسى قومه لميقاتنا وأراد بقومه المهتبرين منهم اطلاقاً فالاسم الخير على ما هو المقصود منه
وقوله (سبعين رجلاً لميقاتنا) عطف بيان وعلى هذا الوجه فلا حاجة الى ما ذكر من التكاليف
(فلما أخذتهم الرحمة) وروى ان الله تعالى أمره أن يأتيه في سبعين رجلاً من بني اسرائيل فاختر
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليخلف منكم رجلاً فنشأوا فقال ان قد أجبر من خرج
فقد كالب ويوشع وذهب معه الباقون روى أنه لم يصب الاستين شيئاً فإوحى الله تعالى اليه أن
يختار من السبعين عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخاً وقيل كانوا ابنا ما عدا العشرين ولم
يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبأ فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويظهروا
ويظهروا ثيابهم ثم خرج الى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره أن يأتيه في سبعين من بني اسرائيل
فلما نادى موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه
وقال للقوم ادنوا وكان موسى عليه السلام اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد
من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وقفوا هجداً
فسمعوه يكلم موسى بأمره وينهاه وافعل لا تفعل فلما فرغ من أمره ونهيه وانكشف عن موسى
الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان تؤمن لك حتى نرى اية جهره فأخذتهم الساعة وهي الرحمة
فما تواجعا فقام موسى يناديهم ويدعوهم (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أى من قبل
خروجهم الى الميقات (وايأى) معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتمون في اذارجعت
اليهم وما هم معي وعني بذلك انك قدرت على اهلاكم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكم
وباغراقهم في البحر وغيرهما فمرحت عليهم بالانقاذ منهما فان ترجعت عليهم مرة أخرى لم يعد
من عيم احسانك وقال وهب لم تكن تلك الرحمة موتاً ولا سكن القوم لما رأوا تلك الهيئة

أخذتهم الرجفة حتى كادت أن تين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رجعهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقد هم وكانوا له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا ويكاً وناشد به فكشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة واطمأنوا وجمعوا كلام ربهم وذلك قوله تعالى قال أى موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل أى من قبل عبادة العجل وإياى بقتلى القبلى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى عبدة العجل وظن موسى أنهم عوقبوا بالتحاذى بى إسرائيل العجل وقال هذا على طريق السؤال وقال المبرد هو استعظام أى لاهلكنا وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعظم من أن يأخذ بجزيرة الجاني غيره وقيل بما فعل السفهاء من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم (أنهى) أى ماهى (الافتتنك) قال الواحدى الكناية فى هى تعود الى الفتنة كأنقول ان هو الأزيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الافتتنك أى اختبارك وإبتلاؤك وهذا أنا كيد لقوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لأن معناه لاهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختباراً منك وإبتلاءً لأهل بيتك ما قاموا فافتتنوا بأن أوجدت فى العجل خواراً فزاعوا به وأجمعهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية هديت قوماً فجمعهم حتى نبذوا على دينك فذلك معنى قوله (فضلهم من تشاء وتهدى من تشاء) ولما أثبت أن الكل يده تعالى استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الأصل فقال (أنت) أى وحدك (وإينا) أى نعمة قد أن لا يقدر على عمل مصالحنا غيرك وأنت لا تنفع لك فى شئ من الأمور ولا ضرر لك بالكل بالنسبة إليك على حد سواء ونحن على بصيرة من أن أفعالنا لا تعطل بالأغراض وعقولنا نفعنا وأتقامل متباضراً ونحن فى حضرتك قد انقطع عنا السك وحططنا رحال افتقارنا إليك (فاغفر لنا) أى اغفر لنا (وارحمنا) أى اشغلنا برحمتك التى وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) أى لأن غيرك يجاوز عن الذنب طلباً للثناء وللثواب أو دفعاً للصفحة الخسيسة وهى صفة الحقود ونحوه وأنت منزّه عن ذلك فغفر السيئة وبدلها حسنة (واكتب) أى أوجب وأثبت وأقسم (لنا) أى فى مدة أحيائنا (لنا) فى هذه الدنيا أى الحاضرة والدنية (حسنة) أى حسن معيشة ونوفيق طاعة (وفى الآخرة) أى واكتب لنا فى الحياة الآخرة حسنة وهى الجنة ثم علل ذلك بقوله (أنا هدنا) أى بنانا إليك) أى بما ألبق بجانبك وأوصل الهدى الرجوع برفق والهدى جمع هائد وهو التائب ولبعضهم

ياراك الذنب هدهد * وأوجدك ذلك هدهد

قال بعضهم وبه سميت الهدى وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم ثم صار اسم ذم بعد نسخها (قال) الله تعالى لموسى (هذا بى أصيب به من أشاء) من خلقى أذنب وألم يذنب لا اعتراض على (ورجى وسعت) عمت وشملت (كل شئ) من خلقى فى الدنيا ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب فى نعمتى وهذا معنى حديث أبى هريرة فى العيصين ان رجلى سبقت غضبى وفى رواية غلبت غضبى وأما فى الآخرة فقال تعالى (قساً كتبها للذين يتقون) الله (ويؤتون الزكاة) وخصها بالذكر لأنها المتعدى ولأنها كانت أشق عليهم قال قتادة لما نزل ورجى وسعت

كل شيء قال ابليس أنا من ذلك الشيء فقال تعالى فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) ولا تكفرون بشيء منها فأبى ابليس منها وفتنأها اليهود والنصارى وقالوا نحن نتقى ونؤمن بآيات ربنا فأخرجهما الله تعالى بقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) وانما هما رسولاً بأضاقته الى الله عز وجل لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه لرسالته وأوامره ونواهيته وشرائعه اليهم ونبأ لانه رفيع الدرجة عند الله ثم وصفه بالأمي وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ وهي صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب والعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون أى الخط والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك قال أهل التحقيق وكونه أمياً بهذا التفسير كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه الاول أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبدل الفاظه ولا تغيير كتابته والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم أعادها فلا بد وأن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير ثم انه عليه الصلاة والسلام مع انه ما كان يكتب ولا يقرأ يسألوا كتاب الله تعالى من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير فكان ذلك معجزة واليه الاشارة بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الثاني انه لو كان يحسن الخط والقراءة لكان متهماً في أنه ربما طالع كتب الاولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات وهذا هو المراد من قوله تعالى وما كنت تتعلم من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا الارتاب المبطلون الثالث تعلم الخط شيء سهل فان أقل الناس ذكاه وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعي فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم ثم انه تعالى آتاه علوم الاولين والاخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل اليه أحد من الخلق ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارية مجرى الجمع بين الضدين وذلك من الامور الخارقة للعادة وجارية مجرى المعجزات وهذا الاتباع نازع يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه صلى الله عليه وسلم ونارة يخرج من القوة الى الفعل كن خلق زمان دعوته فمن علم الله تعالى منه انه لا يتبعه اذا أدركه لا يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق اليه عند مجيئه ريب ولا يتعلل في أمره بهل ولذلك اتبعه (الذي يجدونه) أى علماء بني اسرائيل (مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) باسمه ونعته وانما كتبهم كقول ذلك وبدلوه وغيره حسداً منهم له وخوفاً على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يحافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في النذل والهوان وعن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهم فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا مخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن بهقر ويغفر وإن يقبضه الله تعالى حتى

يقيم به الله العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيناهما وآذاننا سموا وقالوا بآغلاها انتهى
(شرح غريب ألفاظه) اللفظ السبي الخلق والغلبا الخافى القاسى والحناب بالسيف والصاد الكبير
الصباح والاعوجاج ضد الاستقامة والله العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ
يتقنه كانه فى خلاف وقوله تعالى (يا مرهم بالمعروف) قال الزجيج يجوز ان يكون استئنافا
وجوز ان يكون المعنى يبعدونه مكتوبا عندهم انه يا مرهم بالمعروف قال الرازى ومجامع
المعروف فى قوله عليه الصلاة والسلام الله العظيم لامر الله والشفقة على خلقه وذلك لان
الموجود اما واجب الوجود لذاته واما ممكن لذاته اما الواجب لذاته فهو الله تعالى ولا معروف
أشرف من تعظيمه واظهار العبودية واظهار الخشوع والخضوع على باب عزته والاعتراف
بكونه موصوفا بصفات الكمال مبرا عن النقائص والآفات منزها عن الاضداد والانداد واما
الممكن لذاته فان لم يكن حيوانا فلا سبيل الى اتصال الخير اليه لاق الاتقاع مشروط بالحياة
ومع ذلك فانه يجب النظر الى كماله بعين التعظيم من حيث انه سبحانه لوقفة لله ومن حيث ان كل
ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا لظاهرا وبرها نابها راعى توحيده وتنزيهه فانه يجب
النظر اليه بعين الاحترام ومن حيث ان الله سبحانه وتعالى فى كل ذرة من ذرات المخلوقات
اسرار راجعية وحكا خفية فيجب النظر اليه بعين الاحترام وأما ان كان ذلك المخلوق من جنس
الحيوان فانه يجب الشفقة عليه بأقصى ما يقدر الانسان عليه ويدخل فيه بر الوالدين وصلة
الارحام وبث المعروف فثبت ان قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق
الله كلمة جامعة لجميع جهات الامر بالمعروف (وينهاهم عن المنكر) وهو ضد الامور
المذكورة وقال عطاء يا مرهم بالمعروف بخلع الانداد وبمكارم الاخلاق وبصلة الارحام
وينهاهم عن المنكر أى عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) أى ما حرم عليهم فى
شرعهم كالشعير (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير والربا والرثوة (ويضع عنهم
أصرهم) أى ثقلهم الذى كان يعمل عليهم وقرأ ابن عاصم يفتح الهمزة المددودة والصاد وألف بعد
الصاد على الجمع والباقون بكسر الهمزة وسكون الصاد ولا ألف بعده على التوحيد (والاغلال
التي كانت عليهم) أى ويضع الانتقال والشدائد التي كانت عليهم من الدين والشرعية وذلك منسب
قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقروض النجاسة من البدن والنوب بالمقراض
وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بنى اسرائيل شبهت بالاغلال التي تجتمع اليد الى العنق كما
ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهى عنه وكانت هذه الانتقال
فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله وبذل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السميلة (فالذين آمنوا به) أى بمحمد صلى الله عليه
وسلم (وعزوه) أى وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والتصيرة وتعزير النبي صلى الله عليه
وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه (ونصروه) على أعدائه (واتبعوا النور الذى أنزل معه)
أى القرآن سمى نورا لانه يستير قلب المؤمن فيخرج من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء

اليقين والعلم وقيل الهدى والبيان والرسالة وقيل الحق الذي يانه في القلوب كبيان النور
 (فان قيل) كيف يمكن جعل النور هنا على القرآن والقرآن ما أنزل مع محمد صلى الله عليه
 وسلم وانما أنزل مع جبريل عليه السلام (أجيب) بان معناه انه أنزل مع نبوته لان نبوته
 ظهرت مع ظهور القرآن ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات قال (ولئك هم المفلحون) أي
 الفائزون بالمطلوب في الدنيا والآخرة ولما تم ما نظمته تعالى في أثناء هذه القصص من جواهر
 أوصاف هذا النبي الكريم حنا على الايمان وإيمانا به على وجه يعلم منه انه رسول الله الى كل
 مكاف تقدم زمانه أو تأخر قال تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) الخطاب عام
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين بل والى الملائكة فانه السبكي
 والبقاعي وغيرهما وهذا هو الملائكة بقامه صلى الله عليه وسلم وان خالف في ذلك بعضهم وأما
 سائر الرسل فيبعثون الى أقوامهم فقط لقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت خصالا يعطهن أحد
 قبلي أرسلت الى الأحمر والأسود وجعلت في الأرض طيبة مسجدا وطهورا ونصرت على
 عدوي باربع رعب مئ مسيرة شهر وأطعمت الغنية دون من قبلي وقيل لي سل نعمة وأخبارات
 شعاعتي لأمي (فان قيل) كان آدم عليه السلام مبعوثا الى جميع أولاده ونوح عليه السلام لما
 خرج من السفينة كان مبعوثا الى الذين كانوا معه مع ان جميع الناس في ذلك الزمان ما كانوا
 الا ذلك القوم (أجيب) بأن ذلك لم يكن اعموم رسالتهم بل للعصر المذكور فليس ذلك من
 باب عموم الرسالة وقوله (جميعا) حال من اليكم أي ان الكل يشترط عليهم الايمان بي والاتباع لي
 وقد طار الخبير بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل
 مدبر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بحر ولا بر في مشارق الأرض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا
 به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائل عنهم يوم القيامة وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله
 عنه حين رفع اليه الذراع فنش منها فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وعن جابر رضي الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قادم اذا وفدوا
 وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا مستشفعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا يسوا والحمد لله يومئذ
 بيدي وأنا أنا كرم ولد آدم على ربي ولا فخر وعن أبي بكر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وعن ابن
 عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وناحيب الله ولا فخر وناحله لواء
 الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا
 أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ
 آدم فمن سواه الا تحت لوائي والفردا العظمة والكبر والشرف أي لا أقول تبجعا ولكن شكرا
 ويحدا بالانعمة وما اجتمع بهم في مجمع الا كان امامهم قبل موته وبعد اجتمع بهم ليلة الاسراء
 في بيت المقدس فعلى بهم اماما ثم اجتمع بهم في السماء فعلى بجميع أهل السما اماما وأما اليوم

الجميع الاكبر والكرب الاعظم فيحصل الكل عليه وما حال بعض الاكابر على بعض الاعمال منهم
بأن الختام يكون به ليكون أظهر للاعتراف بامامته والانقياد لطاعته لأن الحمل على الحمل على
الشيء محيل على ذلك والحاصل انه صلى الله عليه وسلم تظهر في ذلك الموقف رسالته بالفعل الى
كافة الخلق فيظهر سر هذه الآية الذين يتبعون الرسول قال البقاعي ولما دل بالاضافة الى اسم
الذات ما يدل على جميع الصفات على عموم دعونه وشمول رسالته حتى للجن والملائكة أي ذلك
بقوله (الذي له ملك السموات والارض) فيكون محله جزاً على الوصف وان حمل بين الصفة
والموصوف بقوله اليكم جميعاً لانه متعلق بالمناف اليه فهو كلمة تقدم عليه قال الزمخشري
والاحسن أن يكون محله نصباً باضمار أعني وهذا الذي يسمى النصب على المدح قال البيضاوي
أومبتداً خبره (لا اله الا هو) أي فالكل منقادون لأمره خاضعون له ثم علل ذلك بقوله (بحي
وحيث) أي له اتان الصفتان مختصان بهما ومن كان كذلك كان منقاداً عما ذكر قال البقاعي
واذا راجعت ما يأتي ان شاء الله تعالى في أول الفرقان مع ماضى في أوائل الانعام لم يبق عندك
شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة اه وقد مرّت الاشارة الى ذلك ولما أمر
الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعاً أمر الله
تعالى جميع خلقه بالايان به وبرسوله بقوله (فا منوا بالله ورسوله) وذلك أن الايمان بالله هو
الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثانياً بالايمان برسوله ثم وصفه تعالى
بقوله (النبي الامي) وتقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي بما أنزل عليه وعلى سائر
الرسل من كتبه ووجبه وقال قتادة المراد بكلماته القرآن وقال مجاهد عيسى بن مريم لانه خلق
بقوله كن فكان ولم يكن من نطفة نثى ولهذا سمي كلمة الله وقيل هو الكلمة التي تكون عنها
عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن (واتبعوه) أي واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم
عنه (لعلكم تهتدون) أي لكن تهتدوا وترشدوا جعل تعالى رجاء الاهتداء أثر الايمان
والاتباع تنبيهاً على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شريعته فهو يعد في خطيئة الضلالة
(ومن قوم موسى) أي من بني اسرائيل (أمة) أي جماعة (يهتدون بالحق) أي يهتدون الناس
محققين أو بكلمة الحق (وبه) أي بالحق (يعبدون) أي يتكلمون والمراد بتلك الأمة النابتون
على الايمان القائلون بالحق من أهل زمان موسى عليه السلام اتبع ذكر المرتابين
الكافرين من بني اسرائيل بذكر اضدادهم كما هو عادة القرآن تنبيهاً على أن تعارض الخير
والشر وتزاحم أهل الحق والباطل مستقر وقيل هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (واعترض) بأنهم كانوا قليلين في العدد ولفظ
الامة يقتضى الكثرة (وأجيب) بأنهم لما كانوا مختصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم
كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا
اثني عشر سبطاً تبرأ منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم
ففرق الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين وهم

هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب
به ليله الاسراء فحومهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون
قلوا لا قال هذا محمد النبي الامي فاستنابوه وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا
ان من أدرك منكم أحدا فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى صلى الله عليه وسلم
السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن أنزلت بحكمة ولم تكن فريضة نزلت غير الصلاة والزكاة
وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يستبشرون فأمرهم أن يحجموا ويتركوا السبت ولا يتظالموا ولا
يتجادوا ولا يصل اليهم من أحد ولا ينامهم أحد قال بعض المحققين هذا القول ضعيف وان
كان البغوي صحيحه لوجوه الاقل كونه أقرأهم عشر سور وقد نزل عليه أكثر من ذلك وكان فرض
الزكاة بالمدينة فكيف بأمرهم بها قبل فرضها الثاني كون جبريل ذهب اليهم به ليلة الاسراء
لم يرد ذلك نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث الثالث ان أحد منهم لا يصل البيا ولا يصل
اليهم من أحد فن الذي أوصل خبرهم اليها ثبت بذلك بطلان هذا القول (فان قيل) ان أجورج
ومأجور قد وصل خبرهم اليها ولم يصل خبرنا اليهم (أجيب) بالمتعفن أين يعرف أنه لم يصل
خبرنا اليهم ثم قال فاختار في تفسير هذه الآية انها ما أن تكون قد نزلت في قوم كانوا متمسكين
بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ما تواتروا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن أسلم
من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وقطعناهم)
أي فرقنا بين اسرايل وقوله تعالى (انتي عشرة) حال وتأنيده جملا على الامة (اسباطا) بدل
منه ولذلك جمع قبائل والاسباط اولاد الولد وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد
يعقوب عليه السلام (أعما) بدل بعد بدل وأنت لاسباطا أي وقطعناهم أعما لان كل سبط كان
أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تألف
(وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) أي حين استسقوه في التيه (ان اضرب بعصا الحجر
فانبعثت) أي انفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة يقال بجيت الماء فانبعث
أي فجرته فانفجر فانه الجوهرى وعلى هذا التقرير فلا تباين بين الانبجاس المذكور هنا وبين
الانفجار المذكور في سورة البقرة وقال آخرون الانبجاس خروج الماء بقلته والانفجار
خروجه بكثرة وطريق الجمع أن الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وهذا الفرق مروى
عن عمرو بن العلاء (فان قيل) هلا قيل فضر به فانبعثت (أجيب) بانه انما حذف ذلك للايعاء
على أن موسى لم يتوقف في الامتنال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته (منه)
أي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) أي بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) أي كل سبط منهم
(مشر بهم) أي لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) أي في التيه ليقهيم من
حر الشمس (وأنزّلنا عليهم المن) الترخييل (والسوى) أي الطير الساعى بتخفيف اليم والقصر
جعل الله تعالى ذلك طعاما لهم في التيه وقيل المن الخبز والسوى الاطعم وقال ابن عباس
السوى طائر يشبه السمانى وخاصيته ان أكل لحمه يلين القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت

الرعد كما أن الخفاف يقتله البرد فليعلمه الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون
 فيها مطر ولا رعد إلى انقضاء أو ان المطر والرعد فيخرج من الجزائر ويتشرب في الارض
 (كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) مما لم تعالجوه نوع معاملة وقوله تعالى
 (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فيه حذف ترك ذكر الاستغناء عنه ودلالة الكلام
 عليه تقديره **كلوا** من طيبات ما رزقناكم فامتنعوا من ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على
 طعام واحد وسألوه غير ذلك لأن المكلف إذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه إلى غيره يكون عاصيا
 بفعل ذلك فلهذا قال تعالى وما ظلمونا أي بفعل شئ مما قالوا به الاحسان بالكفران ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون بخالفهم ما أمروا به وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة (وإذا
 قيل لهم) أي وإذا كر يا محمد لقومك اذ قيل لبني اسرائيل (أسكنوا هذه القرية) أي بيت
 المقدس (وكلوا منها) أي من القرية (حيث شئتم وقولوا) أمرنا (حطة وادخلوا الباب) أي باب
 القرية (بهدا) أي سجودا نخشاء وقوله تعالى (نفقر لكم) قرأنا فاع وان عامر بضم الناء وفتح
 الفاء على التانيث والباقون بنون مفتوحة وكسر الفاء وقوله تعالى (خطاياكم) قرأنا نافع بكسر
 الطاء بعدها همزة مفتوحة مدودة وبعد الهمزة تاء مضمومة على الجمع وابن عامر كذلك
 إلا أنه يقصر الهمزة على التوحيد وأبو عمرو يفتح الخاء والطاء وبعد الطاء ألف بعد هاء ياء وبعد
 الياء الفاء على وزن قضاياكم والباقون بكسر الطاء بعدها همزة مفتوحة مدودة بعدها
 تاء مكسورة (سنزيد المحسنين) أي بالطاعة ثوابا (فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم)
 فقلوا حجة في شريعة ودخلوا رخصون على أسألهم أي ادبارهم (فأرسلنا عليهم رجلاً) أي هذا
 (من السماء بما كانوا يظلمون) وهذه القصة أيضاً تقدمت في سورة البقرة لكن اللفاظ هذه
 الآية تختلف الآية المذكورة في سورة البقرة من وجوه الأول انه قال هناك وادخلنا ادخلوا
 هذه القرية وهنا قال وادخل لهم اسكنوا هذه القرية والثاني انه قال هناك فكلوا بالفاء وقال
 هنا واكلوا بالواو والثالث انه قال هناك وهدا وأسقطه هنا والرابع انه قال هناك وادخلوا
 الباب بجداد وقولوا حطة وقال هناك على التقديم والتأخير والخامس انه قال هناك نفقر لكم
 خطاياكم وقال هناك نفقر لكم خطاياكم والسادس انه قال هناك وسنزيد المحسنين وهنا
 حذف الواو والسابع انه قال هناك فانزلنا على الذين ظلموا وقال هناك فإرسلنا عليهم الثامن انه
 قال هناك بما كانوا يفسقون وقال هناك بما كانوا يظلمون ولانما فاء بين هذه الالفاظ المختلفة
 اما الأول وهو أنه قال هناك ادخلوا هذه القرية وقال هنا اسكنوا فلام نافاة بينهما لأن كل
 ساكن في موضع فلا يمتن الدخول فيه وأما الثاني وهو قوله هناك فكلوا بالفاء وقال هنا واكلوا
 بالواو فالفرق بينهما أن للدخول حالة مقتضية لاد كل عقب الدخول فحسن دخول الفاء
 التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استقرار حسن دخول الواو عقب السكنى
 فيكون الالكل حاصل من شأوا فظهر الفرق وأما الثالث وهو انه ذكر هناك وهدا وأسقطه
 هنا فلأن الالكل عقب الدخول الأول والالكل مع السكنى والاستقرار ليس كذلك فحسن

دخول لفظ رعد اهل الدون هنا وأما الرابع وهو قوله هناك اذ دخلوا الباب سجدا وقولوا
 حطة وقال تعالى التقديم والتأخير فلا منافاة في ذلك لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله
 تعالى وإظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير وأما
 الخامس وهو أنه قال هناك خطاياكم وقال هنا خطاياكم فهو إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء
 كانت قليلة أم كثيرة فهي مغفورة عند الاتيان بهذا الدعاء والتضرع وأما السادس وهو
 قوله تعالى هناك وسنزيد بالواو وقال هنا بمحذوها فالقائدة في حذف الواو أنه تعالى وعد
 بشيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لأنه استئناف
 مرتب على تقدير قول القائل ماذا حصل بعد الغفران فقبل أنه سيزيد المحسنين وأما السابع وهو
 الفرق بين انزالنا وبين ارسلنا فلان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسلان يشعر بها فكانت تعالى
 بدأ بانزال العذاب القليل ثم جعله كثيرا وهو نظير ما تقدم من الفرق بين انجبت وانضمرت
 وأما الثامن وهو الفرق بين قوله تعالى يفسقون وبين قوله تعالى يظلمون فلأنهم لما ظلموا أنفسهم
 فيما غيروا وبدلوا فسدوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله فوصفوا بكونهم ظالمين لأجل أنهم
 ظلموا أنفسهم وبكونهم فاسقين لأنهم خرجوا عن طاعة الله فالقائدة في ذكر هذين الوصفين
 التنبية على حصول هذين الأمرين هذا المختص كلام الرازي رحمه الله تعالى ثم قال وتقام العلم
 بذلك عند الله تعالى (وأسألهم) أي أسأل بالمحمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ
 وتقريع (عن القرية) أي عن خبرها وما وقع بأهلها لا سؤال استغفارهم لأنه صلى الله عليه وسلم
 كان قد علم حال هذه القرية بوحى من الله تعالى إليه وأخباره أيام جهالهم وإنما المقصد من هذا
 السؤال تقرير اعتداء اليهود وأقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وإن اصرارهم على الكفر
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكارهم نبوته ومجهزانه ليس بشيء قد حدث الآن في زمانه بل
 اصرارهم على الكفر كان حاصل في قديم الزمان وفي الأخبار بهذه القصة مجيزة للنبي صلى الله
 عليه وسلم لأنه كان أميالا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الأولين ثم أخبرهم بما جرى
 لأسلافهم في قديم الزمان وأنهم بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى مسخوا قرده واختلפו في هذه
 القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور على شاطئ البحر
 وقال الزهري هي طبرية الشام وقيل مدين والعرب تسمى المدينة قرية وعن أبي عمرو بن
 العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن (التي كانت
 حاضرة البحر) أي مجاورة بحر القلزم على شاطئه والحضور فيقبض الغيبة كقوله تعالى ذلك
 لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام (أذ) أي حين (يعدون) أي يعددون (في السبت) أي
 يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد فيه وقد نهوا عنه وقوله تعالى (أذنأنا بهم حينئذ) أي
 ليعدون (يؤمسونهم شرعا) أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع وقال الفضالة متتابعة وعن
 الحسن بن شريح على أبوابهم كانوا الكباش البيض والحيتان السوداء أكثر ما تسبى عمل
 العرب المحرقة في معنى السمكة والسبت مصدر سببت اليهود إذا عظمت سببتا ترك الصيد

والاشتغال بالتعب فغناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم
 أمر السبت يدل عليه قوله تعالى (ويوم لا يبغنون) أي لا يعظمون السبت أي سائر الأيام
 (لأنائيتهم) أي الحيتان ابتلا من الله تعالى (كذلك) أي مثل ذلك البلاء الشديد (يلوهم
 بما) أي بسبب ما كانوا يفسقون وقوله تعالى (واذ) معطوف على اذ قبله (قالت أمة) أي
 جماعة (منهم) أي من أهل القرية لم تصد ولم تنه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم)
 في الدنيا يعذب من عنده لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يعظون بالمواعظ (أو معذبهم عذابا
 شديدا) في الآخرة لقادهم في العصيان (قالوا) أي الواعظون موغضتنا (معدرة) نعمذربها
 (إلى ربكم) أي لئلا نسب إلى تصغير ترك النهي فإن النهي من المنكر يجب وأن علم الناهي
 أن من تركه لا يقطع عن معصيته وقيل إذا علم الناهي حال المنهي وإن النهي لا يؤثر فيه سقط
 النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العيث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين
 على المآصر والجلادين المرتين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك
 ولم يكن إلا سببا للتلهي بك (وألهم يقون) أي وجازت عندنا أن ننتهوا بما وعظت فيتعوا الله
 ويتروكوا ما هم فيه من الصلابة إذا لم يحصل إلا بالهلاك (فلما نسوا) أي تركوا ترك
 الناسي (ماذا كروا) أي وعظوا (به) ولم يرجعوا (أنجيئنا الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين
 ظلوا) أي بالاعتداء ومخالفة أمر الله تعالى (بعذاب ينس) أي شديد (بما) أي بسبب ما كانوا
 يفسقون) روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أسمع الله تعالى يقول أنجيئنا
 الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلوا بعذاب ينس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكنة
 وجعل يسى قال عكرمة فقلت جعلني الله تعالى فداك ألا تراهم قد أنكروا وأكروا ما هم
 عليه قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقل الله أنجيئهم لم يقل أهلكتهم قال فأعجبته قولي
 ورضي به وأمر لي بريدين فالسنيهما وقال نجت الساكنة وقال عمار بن زيان نجت الطائفتان
 الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان
 وهذا قول الحسن (فان قيل) إن ترك الوعظ معصية والنهي أيضا عنه معصية فوجب دخول
 هؤلاء التاركين للوعظ الذاهين عنه تحت قوله تعالى وأخذنا الذين ظلوا بعذاب ينس ولهذا
 قال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان (أجيب) بأن هذا غير لازم لأن النهي عن المنكر
 إنما يجب على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقي (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن
 عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان أي فلما تكبروا
 عن ترك ما نهوا عنه وتعدوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلوا ما حرم الله تعالى
 عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكله (فلما لهم) كونهوا قردة خاسئين) أي صاغرين
 فكانوا كما قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهذا يقتضي أن الله
 تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فعضهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا
 وتفصيلا للأولى وروى أن اليهود أمروا باليوم الذي أمر نابه وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا

يوم السبت فابتلوا به وحرم الله عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيتهم يوم السبت شرعا أيضا هانا كانوا الخناض لا يرى الماء من كثرتهم أو يوم لا يستبشرون لأتيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فأتخذوا حياضا نسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواء يوم الاحد فوجد جاره يبيع السمك فقطع في تنوره فقال اني أرى الله سيُعذبك فلما ليرى عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رآوا ان العذاب لا يباع لهم صادوا وأكلوا وملهوا وابعوا وكانوا نحو امان سبعين ألفا فصار أهل القرية اثلاثا ثلثهم واكلوا وكانوا نحو امان اثني عشر ألفا وثلثهم فالتوا لئلا ينفذون قوما وثلثهم أصحاب الخطيئة فلما لم يفتوا قال المسلمون انالنا كنكم ففسدوا القرية بمجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحدا فقالوا ان للناس شأنا فاعلوا الجدار فظنوا فاذا هم قردة ففتحو الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس والانس لا يعرفون أنسابهم من القردة فجعل القردة بأق نسبهم فيشتم سبابه ويكفي فيقول ألم تنهك فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيخ خنازير واختلقوا في ان الذين مسحوا اهل بقوا قردة وهل هذه القردة من نسلهم أو هلكتوا وانقطع نسلهم لادلالة الآية على شئ من ذلك وعن الحسن أكلوا واقه وأختم أكلة أكلها أهلها أثقلها خنزيرا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة وعن جابر بن العبد وبين رزقه حجاب فان صبر خرج البسه والاخذ الحجاب ولم يزل الا ما قدر له قال الرخشمري هاهنا والله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم وإمكن الله تعالى جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وقوله تعالى (وإذ عطف على وإسألهم أي وأذكر لهم حين تأذن) أي اهل (ربك) وأجرى مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أوجب بجوابه وهو (لبعث عليهم) أي اليهود (الي يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي بالاهانة والذل وأخذ الجزية منهم فبعث الله تعالى عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباههم وضرب عليهم الجزية وكانوا يؤذونها الى الجوس الى أن بعث الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فضرهم اعليهم ولا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر حتى ينزل عيسى بن مريم فانه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام (فان قيل) انه يحكم بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته أخذ الجزية أو الاسلام (أوجب) بأن شريعته بذلك مغية ينزل عيسى عليه السلام وقوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) أي لمن أقام على الكفر كهنية الدليل على انه يجمع لهم مع ذل الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستقرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وانه لغفور) أي لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام (رحيم) بهم (وقطعناهم) أي فرقناهم (في الارض أعمأ) أي فراجعت لا يكاد يحس وقطر منهم تبة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وأعمالهم فعل ثمان أحوال وقوله تعالى (منهم الصالحون) صفة أولئك الذين آمنوا

بالمدينة ونظر اوههم (ومنهم) أى اناس (دون ذلك) أى مخطون عن الصلاح فهم كفرتهم
 وفسقتهم (وبلواهم) أى اختبرناهم جميعا الصالح وغيره (بالحسنة) أى بالحبس والعاقبة
 (والسيئات) أى بالحدود والشدة (اعلمهم يرجعون) أى كي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه
 قال أهل المعاني وكل واحد من الحسنة والسيئات يتدفوا الى الطاعة اما النعم فلاجل
 الترغيب واما النقم فلاجل التهيب (خاف من بعدهم) أى هؤلاء الذين وصفناهم (خلف)
 والخلف القرن الذى يجي من بعده وهو بسكون اللام شائع في الشر ويقصها في الخير
 يقال خلف صدق بفتح اللام وخلف وبسكونها وقد تحرك في الذم ونسكن في المدح قال
 حسنان بن ثابت

لنا لقدم الا* الى الدين وخلفنا * لا ولنا في طاعة الله تابع

وقال لبيد في الذم

ذهب الذين يعاش في اكانهم * وبقيت في خلف بجلد الاجرب

خلفك اللام والخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع والمراد به الذين كانوا في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (وروا الكتاب) أى التوراة من املائهم يقرؤنها ويقفون
 على ما فيها (ياخذون عرض هذا الادنى) أى هذا الشيء القاني الادنى أى الدنيا وما يتبع به
 فيها وفي قوله هذا الادنى تحسيس وتخيير والادنى امان الدنيا بمعنى القرب لانه عاجل قريب
 والامن دون الحلال وسقوطها وقلتها والعرض بالفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض
 حاضر يأكل منها البر والناجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدينانير
 وجميعه عرض والمعنى انهم ياخذون حطام الدنيا وهو الشيء النافه الخسيس الحقير لان الدنيا
 بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها قاله ودوروا التوراة وعلموا ما فيها واضيعوا العمل
 بما فيها وتركوه وأخذوا الرشاقى الاحكام ويعلمون أنه حرام (و) مع اقدامهم على هذا الذنب
 العظيم واصراوهم عليه (يقولون سيفقر لنا) أى لا يواخذهم الله تعالى بذلك فيمتدون على الله
 الامانى الباطلة وعن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه
 وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى لان اليهود كانوا
 يقرمون على الذنوب ويقولون سيفقر لنا وهذا هو التنى بعينه وقوله تعالى (وان يأتهم عرض
 منه ياخذوه) الواو فيه للعال أى يرجون المغفرة وهم مصررون عائدون الى مثل فعلهم غير
 تائبين وليس في التوراة بعد المغفرة مع الاصرار وقوله تعالى (ألم يؤخذ) استنفهم تقرير
 (عليهم ميثاق الكتاب) أى التوراة والاضافة بمعنى (ان لا يقولوا على الله الا الحق) أى
 المعلوم شأنه وليس من المعلوم اثبات المغفرة على القطع بغير توبة بل ذلك خروج عن ميثاق
 الكتاب وقوله تعالى (ودرسوا ما فيه) أى ما في ذلك الميثاق الذى في الكتاب أو الكتاب بتقرير
 القراءة للفظ عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقريرا وعلى وروا ألم يؤخذ اعتراض
 (والادرا لاخرة خير) أى وما في الادرا لاخرة عما اهداه الله خيرا (الذين يتقون) الله ويصافون

عقابه (أفلا يعقلون) أي حين أخذوا ما يشقهم ويفني بدل ما يسعدهم ويسقي أن الدار الآخرة
خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب ويكون المراد الإعلام بتناهي الغضب
والباقون بالياء على الغيبة (والذين يسكون بالكاتب) يقال مكنت بالشئ وتيسكت به
وأيسكت به والتسك بالكاتب العمل بموافقه وإحلال حلاله وتحريم حرامه وإقامة حدوده
والتسك بأحكامه وقرأ أشعبة بسكون الميم وتخفيف السين والباقون بفتح الميم وتشديد
السين (وأقاموا الصلاة) أي وداوموا على إقامتها في سواقيتها وانما أفردوا بالذكر وان
كانت الصلاة داخلية في التسك بالكاتب تنبيهها على عظم قدرها وانما من أعظم العبادات بعد
الايمان بالله تعالى وهذه الآية نزلت في الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وأصحابه وقوله تعالى (أنا لانفسيح أجر المصلحين) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع
المتضمن أي أجرهم (وإذ) أي اذكر يا محمد إذ (تقنا) أي رفعنا (الجبل فوقهم) أي من أصله
(كانه ظلة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كأنه سقمة والظلة كل ما أظلك من سقف
بيت أو حجاب أو جناح حائط والجعل ظلل وظلال (وظنوا) أي ايقنوا (أنه واقع بهم) أي أسقط
عليهم بوعده الله بوقوعه ان لم يقبلوا أحكام التوراة روى أنهم لم يقبلوا أحكام التوراة لعظمها
وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤسهم مقدار عشرين فرسخا فصرخ وقال
لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خز كل واحد منهم ساجدا على
حاجبه وهو ينظر بعينه الى النبي خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى به وديا سجدا اعلى حاجبه
الابسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقوله تعالى (خذوا) هو على
اضمار القول أي قلنا لهم خذوا أو قائلين خذوا (ما آتيناكم) أي من الكتاب وقوله تعالى
(بقوة) أي يجهد وعزم على تحمل مشاقه حال من واوخذوا (وإذ كروا ما فيه) أي بأعماله
ولا تتركوه كالنسي (لعلكم تتقون) أي فضايع الاعمال ورذائل الاخلاق (وإذ) أي واذا ذكر
يا محمد حين (أخذ ربك من حق آدم) وقوله تعالى (من ظهورهم) بدل اشتمال بمقابلته بأعادة
الجار كما قاله السيبوطي أو بدل بعض كما قاله البضاوي (فدرياتهم) أي بأن أخرج بعضهم من
صلب بعض نسل بعد نسل كنعومايتو الدون كالذر ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب
فهم عقلا عرفوا به كما جعل للحيال عقولا حين خطبوا بقوله تعالى يا جبال أو بي معه والطير
كما جعل تعالى للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا للشجرة حين سمعت لأمرة
وانقاد وكذا للخل حين قالت يا أيها الخلد ادخلوا مساكنكم وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر
بأن بعد الباء وكسر التاء على الجمع والباقون بغير ألف وفتح التاء على التوحيد (وأشبههم على
أنفسهم) قال (أأستبرئكم قالوا بلى) أنت ربنا وعن مسلم بن يسار الجهني أنه قال ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
سئل عنهم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية فقال
خلق هؤلاء الجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء

الى النار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل
من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت
على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عبي كل انسان ويصا من نور وعرضهم على آدم فقال أي
رب من هؤلاء قال ذريتك فوأي رجال منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال
داود قال يارب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زد من عمري أربعين سنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الأربعةين سنة جاء ملك الموت فقال آدم وألم يبق من
عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنيك داود فجعد آدم فجعدت ذريته ونسي آدم فأكل من
الشجرة فذريت ذريته وخطي فخطت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أنه أبصر آدم في ذريته قوما لهم نور فقال يارب من هم فقال الانبياء
ورأي واحد اهو أشهدهم نوراً فقال يارب من هو قال داود قال فكتم عمره قال ستون سنة قال
آدم هو قليل وكان عمر آدم ألت سنة فقال يارب زد من عمري أربعين سنة فلما تم عمر آدم تسعمائة
وستين سنة أتاه ملك الموت ليقبض روحه فقال بقي من أجلي أربعون سنة فقال ألت قد وهبتها
من ابنيك داود فقال ما كنت لأجعل لاحد من أجلي شيأ فعند ذلك كتب لكل نفس أجلها وعن
مقاتل ان الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم النبي فخرج منه ذرية بيض كهيئة الذر تحرك ثم مسح
صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم
ألست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحق وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء
في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فأهل القبور
محبسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وراحام النساء وقال تعالى فيهن
نقض العهد الأول وما وجدنا لأكفرهم من عهد وقال بعض المنسرين ان أهل السعادة أقروا
طوعا وقالوا بلى وأهل الشقاوة قالوا بقتة وكرها وذلك معنى قوله تعالى وله أسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها واختلافوا في موضع الميثاق فقال ابن عباس رضي الله عنهما يطن
نعمان وهو وادى جنب عرفة وعنه أيضا أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي أهبط
فيه آدم عليه السلام وقال الكلبي بين مكة والطائف (فان قيل) ما معنى قوله تعالى واذا أخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم وأغاث أخرجه من ظهر آدم (أجيب) بأن الله تعالى أخرج ذرية
آدم بعضهم من ظهورهم وعلى ما يتوالدون فالبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر
آدم لما علم انهم كلهم بنوه وأخر جوامن ظهره فأنخرج من ظهورهم مخرج من ظهره وقوله
(شهدنا) أي على أنفسنا بذلك وانما أشهدهم على أنفسهم كراهة (أن يقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا) التوحيد (خالفين) أي لعدم الأدلة فلذلك أشركا وقوله تعالى (أو يقولوا) أي

لوم ترسل اليهم الرسل عطف على أن يقولوا وقرأ أبو عمرو بالباء على الغيبة والباقون بالتاء على
القطاب (أنا أشرك أنا وأنامن قبل) أى قبل أن نوجد (وكذا ذرية من بعدهم) أى فلم نعرف لنا
مربيا غيرهم فكنالهم تعافشنا اتباعهم عن النظر ولم يأتنا رسول منبه فيستبب عن ذلك
انكارهم في قولهم (أفهل كتابنا فعل المبطون) أى من أبائنا قال أبو حيان والمعنى أن الكفرة
لوم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما نعتن العهد من توحيد الله وعبادته لكأن
لهم حجتان احدهما كذا غافلين والاخرى كذا على اسلافنا فكيف والذنب انما هو لمن طرقت لنا
وأصلنا انتهى (فان قبل) كيف يكون ذكر الميثاق عليهم حجة فانهم لما أخرجوا من ظهر آدم
ركب فيهم العقل وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلبه بطل ما ركب فيهم قوادنا ناسين
لذلك الميثاق (أجيب) بأن التذكير به على لسان صاحب المجزة قائم مقام ذكره في النفوس
وبذلك قامت الحجة عليهم يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا في أنكره
كان معاند انافض العهد ولزمهم الحجة ولا تسقط الحجة بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار
الصادق صاحب الشرع والمجيزات الباهرات والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود
مقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم من التقليد وجعلهم على النظر والاستدلال كما قال تعالى (وكذلك) أى
ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع (تفصيل الآيات) أى كلها ثلاثا يوافقها ما لا يليق
بجنا بنا جهلا لادم الدليل (ولعلمهم يرجعون) أى عن التقليد واتباع الباطل (واتل) أى يا محمد
(عليهم) أى اليهود (نبأ) أى خبر (الذى آتيناها آياتنا فانسلخ منها) أى خرج بكفره كما تخرج
الحية من جلدها وهو يعلم بن باعورا من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين سئل أن يدعو
على موسى وأهدى اليه شئ فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فأثمه الشيطان)
أى لحقه وأدركه وصبره نفسه تابعا في معصية الله تعالى فخالف أمر ربه وأطاع الشيطان
وهو (في مكان من القافرين) أى من الضالين الهالكين وقصته على ما ذكره ابن عباس رضى الله
عنهما وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض
الشام أتى قوم يلزم وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير
واهو قد جاء بخرجننا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وأنت رجل محاب الدعوة فأخرج
فادع الله تعالى أن يردهم عنا فقال وبلغكم بنى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف
أدعوا عليهم وأنا أعلم أن الله مالنا لعلون وانى أن فعلت هذا ذهبت دنياى وأخرى فراجعوه
وألجوا عليه فقال حتى أوامر ربي وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فو امر في الدعاء
عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم فقال لقومه انى قدوا مرت ربي وانى نهيته ان ادعوا عليهم
فأهدوا اليه هدية فقبلها او راجعوه فقال حتى أوامر ربي فو امر في يومه ربي فقال قد
وأمرت ربي فسلم بأمرى بشئ فقالوا لوكروه وبك ان تدعوا عليهم لتهاك كأنك في المرة الاولى
فلما رآوا يصرون اليه حتى قتلوه فافتن فركب انانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر

بنى اسرائيل يقال له حسب ان فلما صار على اناته غير بعيد ربضت فتزل عنها وضربها فقامت
 فركبها فلم تسره به كثيرا حتى ربضت فضر بها فاذا ن الله تعالى لها في الكلام وانطقها الله بكلمته
 بحجة عليه فقالت ويحك يا معلم أين تذهب أما ترى الملائكة ما هي تردني عن وجهي ويحك
 أنت تذهب الى نبي الله والمؤمنين فقد عرو عليهم فلم ينزج رجلي الله تعالى سبيل الاتان فانطلقت به
 حتى أشرف على جبل حسب ان فجعل يدعو عليهم فلا يدعوا بشرا الا صرف الله تعالى به لسانه
 الى قومه ولا يدعوا لقومه بخيرا الا صرف الله تعالى به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يا معلم
 أنت ترى ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا ما لا أملكه هذا شيء قد غلب الله عليه
 فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهب الآن منى الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر
 والحيلة فسا مكركم واحتملوا النساء وزيهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى
 عسكر بنى اسرائيل يعنفن فيه ومروهن ان لا تمتنع امرأة أنفسها من رجل أرادها فانه ان زنا رجل
 بواحدة كقتله ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيات على رجل من
 عظاما بنى اسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ يدها حتى أعجبه
 جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال اني لا ظنك أن تقول هذه حرام عليك قال أجل
 هي حرام عليك لا تقرب بها قال فوالله لا نطيعك ثم دخل بها فقبضه فوقع عليها فأرسل الله تعالى
 عليهم الطاعون في الوقت فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار وقيل الآية نزلت في أمية
 ابن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن
 يكون هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به وقيل نزلت في منافق أهل
 الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وقيل انهم نزلت
 في البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة
 وكان له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لها لك منها واحدة فخارت بين قالت ادع الله
 أن يجعلني أجلا امرأة في بنى اسرائيل فدعا الله تعالى فصارت أجلا للنساء في بنى اسرائيل
 فلما علمت أنه ليس في بنى اسرائيل أجلا منها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كعبة بناحة
 فذهبت فيها دعواتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار فدعوا لها فصار لها كعبة بناحة
 وقد عبرنا الناس ادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله تعالى فعادت كما كانت
 فذهب فيها الدعوات كلها وقيل غير ذلك ويدل الاقول الاول قوله تعالى (ولوشئنا الرقعناه) أي
 منازل الابرار (بها) أي بسبب تلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) أي مال الى الدنيا
 قال البضاوي أو السقافة قال الجوهرى السقافة بالضم نقيض العلو وبالفتح المذلة (وأتبع
 هواه) أي في آمار الدنيا واسترضى قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وانما علم رغبته بحسنة
 الله تعالى ثم استدركه عنه بفعل العبد تنبيهها على ان المشيئة سبب لقوله الموجب لرفعها وان عدمه
 دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده
 من هذه الاسباب وسياط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك

وكان مقتضى ظاهر الكلام أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع وقوعه أخذاً إلى الأرض
 وتبع هواه بما غفلة وتنبهها على ما حمله عليه وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وهذه الآية من
 أشد الآيات على أصحاب العلم وذلك لأنه بعد أن خص هذا الرجل بآياته وعلمه الاسم
 الأعظم وخصه بالدعوات المستجابة لما تبع الهوى انسلك من الدين نصارى درجة الكلب
 وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله تعالى في حقه كثر فاذا أعرض عن متابعة الهدى
 وأقبل على متابعة الهوى كان بعده عن الله أعظم وإلى الإشارة بقوله من ازداد علماً ولم يزد
 هدى فلم يزد من الله الأبعداً (قوله) أي فصفته التي هي مثل في الخسة (كسل الكلب) أي كثره في
 أخسر أوصافه وهو (أن تحمل عليه) أي بالطرود والجر (يلهث) أي يدلغ لسانه (أو) ان تركه
 يلهث) فهو يلهث دائماً وسواً جعل عليه بالجر والطرود وتركه وليس غيره من الحيوان كذلك
 قيل كل شيء يلهث انغياً يلهث من اعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال والراحة
 لأن الله طبعه أصالة فيه فكذلك حال من كذب بآيات الله ان وعظته فهو ضال وان تركته
 فهو ضال وكذلك حال المريض على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه
 وان تركته ولم تعظه فهو حريص أيضاً لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن
 الله طبعه لازمة للكلب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما الكلب منقطع القواد يلهث ان
 جعل عليه ولم يجعل عليه ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كسل الكلب
 ذليلاً لأن الذلة لا تنافي الحاليتين وقيل لمادعاهم على موسى عليه السلام فخرج لسانه فوقع
 على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك) أي المثل (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)
 فم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وبجدها ووجه التقدير بينهم وبين الكلب اللاهث
 انهم اذا جاءتهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا بل هم في ضلال على كل حال (فاقصص القصص)
 أي فاخبر بما محمد قومه بهذه الاخبار التي سبقت بها مواقع الوقائع وأثار الاعيان حتى لم تدع
 في شيء منها لبساً على كل من يسمع لك من اليهود وغيرهم (لعلمهم يتفكرون) أي يتدبرون فيها
 فيؤمنون (ساء) أي بس (مثلاً القوم) أي مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا) أي بعد قيام
 الحجج عليها وعلمهم بها (وأنفهم كانوا يظلمون) أي كان ذلك في طبعهم جبلة لهم لا يقدر غير الله
 تعالى على تغييره وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعداها إلى
 غيرها وقوله تعالى (من يهتد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) تصريح
 بأن الهدى والضلال من الله تعالى وأن هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها
 مستلزمة للاهتمام والافراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على
 أن المهتدين كواحد لا يتحد طريقتهم بخلاف الضالين والاقصاف في الاخبار عن هدى الله
 بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتمام وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له
 غيره لكفاه وانه المستلزم للقول بالعدم الآجلة والعنوان له (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (بلهمن
 كثير من الجن والانس) أخبر الله تعالى انه خلق كثيراً من الجن والانس للنار وهم الذين

حقت عليهم الكلمة الازلية بالقوة ومن خلقه الله تعالى للثاوير فلا حيلة له في الخلاص منها
 روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من
 الانصار فقالت يا رسول الله طوبى لهدا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال
 أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في اصلاب آياتهم وخلق النار وخلق لها
 أهلا وهم في اصلاب آياتهم أخرجه مسلم قال النووي في شرح مسلم أجمع من يعتد به من
 علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو في الجنة لانه ليس مكافأ وتوقف فيه من لا يعتد
 به لهذا الحديث وأجاب العلماء عنه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمهم اناعن المارة الى
 القاطع من غير أن يكون عن هاديل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص قوله اعطه فاني لا اراه
 مؤمنا فقال أو مسلما قال بعضهم ويحتل أنه صلى الله عليه وسلم قاله قيل أن يعلم أن اطفال
 المسلمين في الجنة فلما علم ذلك أخبر به قال وأما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون
 هم في النار تبعالا بآتهم وتوقف طائفة منهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون
 انهم من أهل الجنة واستدلوا بأشياء منها حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبي
 صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال
 وأولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
 ولا يوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول المرسل حتى يبلغ وهذا متفق عليه وفي
 الآية دليل وصحة لمذهب أهل السنة في أن الله تعالى خالق افعال العباد جميعها خيرا
 وشرا لانه تعالى بين باللفظ الصريح أنه خلق كثيرا من الجن والانس للثاوير ولا مزيد على بيان
 الله تعالى ولان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم أن
 لمن يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله تعالى وقالت المعتزلة ان اللزم في
 قوله جلوسهم لأم العاقبة واستدلوا بذلك بآيات واشعار في الآيات قوله تعالى فالتقطه آل
 فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم ما التقطوه لهذا الغرض ومنها قول موسى ربنا انك آتيت
 فرعون وملائكة منيته وأموالا في الحياة الدنيا ربنا انزلوا عن سبيك ومن الاشعار قول بعضهم
 والموت تغذ والوالدان ضالها * كالحراب الدهر تبني المساكن
 وقال آخر أموالنا لذوي المبرات تجمعها * ودورنا لمراب الدهر نبيها
 وقال آخر له ملك يشادى كل يوم * لدوا للموت وابشوا للحراب
 وقال آخر وأتم شمال فلا تجزى * فلا موت ما تلد الوالدات

وهذا مردود لان المصير الى التأويل انما يحسن اذا ثبت الدليل العقلي على امتناع جل اللفظ
 على ظاهره فاذا لم يثبت كان المصير الى التأويل في هذا المقام عبثا فالحق مذهب أهل الحق
 جملنا الله تعالى وأهل مودتهم محمد صلى الله عليه وسلم وآله ثم وصف الله تعالى هؤلاء
 الذين أضلهم بقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها) أي لا يبصرون
 بها طريق الحق والهدى (ولهم آذان لا يسمعون بها) أي الآيات والمواعظ سمع تأمل وتذكر

وقال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها المراتب وأذان يسمعون بها الكلمات وهذا الشك فيه ولما وصفهم الله تعالى بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكه علم أن المراد من ذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قوله الشاعر

وعوراء الكلام صحت عنها * وانى ان أشاء بها سمع

فانه أثبت له سمعاً مع وجود السمع ولم اسلب عنهم هذه المعاني كانت النتيجة (أو لئلا) أى البعداء من المعاني الانسانية (كالانعام) فى اتم الاتقهم ولا تعقل ذلك لأن الانسان وسائر الحيوانات مشتركة فى هذه الحواس الثلاث التى هى القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعلم والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير من الشر فإذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه كان لافرق بينه وبين البهائم التى لا تدرك شيئاً ولما كانوا قد زادوا على ذلك فقد نتج هذه الحواس قال تعالى (بل هم أضل) سبيلاً من الانعام لأن الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها فإذا رأت ناراً ضلّت لا تقع فيها وإذا رأت كلاً مثلاً دخلت فيه والكافر لا يعرف ذلك ولأن الحيوان لا قدرة له على تحصيل بل هذه الفضائل والانسان أعطى القدرة على تحصيلها ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أخسر حالاً من لم يكتسبها مع العجز عنها ولأن الانعام مطبوعة لله تعالى والكافر غير مطيع ولأن الانعام تعرف ربها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا ينهضون الا لم يكن معها امرش فاما اذا كان معها امرش فقد قل أن تضل وهو لا الكفار قد جاءهم الانبياء وأنزل عليهم الكتاب وهم يزادون فى الضلالة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (أو لئلا هم الغافلون) قال عطاء عماد الله تعالى لا وليا له من النواب ولا عذاته من العقاب (ولله الاسماء الحسنى) ذكر ذلك فى أربع سور أولها هذه السورة وثانيها فى آخر سورة بنى اسرائيل فى قوله تعالى قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وثالثها فى آية طه وهو قوله تعالى لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ورابعها فى آخر الحشر فى قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى والحسنى مؤنث الاحسن كالكبرى والصغرى (فادعوه بها) أى فسموه بتلك الصفات والادعاء شرط منها أن يعرف الداعي معاني الاسماء التى يدعوا بها ومنها أن يستحضر فى قلبه عظمة المدعوس سبحانه وتعالى ومنها أن يخلص اليه فى دعائه وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقال المشركون ان محمد وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعوا اثنين فأقر الله تعالى هذه الآية والاسماء الحسنى كما فى الحديث الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق

البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط
الغافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير
الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل
الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوى المتين الولي المجيد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي
القيوم الواحد الماجد الواحد الاحد الفرد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر
الاول الاخر الظاهر الباطن الوال المتعال البرّ التواب المنتقم العفو الرؤف مالك
المالك ذوالجلال والاکرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع
النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواء الترمذي قال النووي
اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائته تعالى وليس معناه أنه ليس له أسماء غير
هذه التسعة والتسعين وقوله من أحصاها دخل الجنة المراد الاخبار عن دخول الجنة بأحصائها
لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في حديث آخر أسألك بكل اسم سميت به نفسك
أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم
أن الله تعالى أنعم اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل
الجنة قال البخاري من حفظها وهو قول أكثر المحققين ونعصده الرواية الأخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل من أحضر بياله عند ذكرها معناه وتفكر في مدلولها وقوله صلى الله عليه
وسلم إن الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا
تظير واختلغوا له الاسم الأعظم الله أو الحي القيوم وهل الاسم عين المسمى أو غيره وفي ذلك
خلاف وقد حقت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة (وذروا) أي اتركوا (الذين يلدون)
أي يعملون عن الحق (في أسمائه) أي حيث اشتقوا منها أسماءه لا إلهتهم كلات من الله والعزى
من العزير ومفات من الميثان وقال أهل المعاني الاحادي في أسمائه تعالى هو أن نسميه بآل
بسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسمائه تعالى كلها توقيفية فيجوز أن
يقال بأجواد ولا يجوز أن يقال يا حي ويجوز أن يقال يا عالم ولا يجوز أن يقال يا عاقل ويجوز
أن يقال يا حكيم ولا يجوز أن يقال يا طيب (سيجزون) أي في الدنيا والآخرة (ما كانوا يعملون)
وفي هذا وعيد شديد لمن الخد في أسمائه تعالى وهذا قبل الامر بالقتال وقرأ آية يلدون بفتح
الباء والخاء من الخد والباقون بضم الباء وكسر الخاء من الخد ولما ذكر سبحانه وتعالى
أنه خلق للشارطة ضالين مصلين يلدون عن الحق ذكر أنه خلق الجنة أمة هادين في الحق
عادلين في الامر بقوله تعالى (ومن خلقنا أمة) أي جماعة (يهدون بالحق وبه) أي بالحق خاصة
(يهدون) أي يجعلون الامور متعادلة لازيادة في شئ منها على ما ينبغي ولا تنقص لانا وفقناهم
فكشفنا عن أبصارهم حجاب الغفلة التي ألزمتها أولئك واستدل بذلك على صحة الاجماع
لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة وأكثر المفسرين أنهم أمة محمد صلى الله عليه

وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من أمتي طائفة على الحق الى أن يأتي أمر الله رواء الشيطان
وعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضترهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم
على ذلك اذ لو اخص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم وعن الكلبي هم الذين
آمَنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين (والذين كذبوا بآياتنا) أي القرآن
أو غيره من أهل مكة وغيرهم (سنستدرجهم) أي سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا
وأصل الاستدراج الاستبعاد والاستزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم
قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغبطون به
ويركون اليه ثم يأخذهم على غرة أغفل ما يكونون وقيل سقزهم الى ما يهلكهم ونضاعف
عقابهم من حيث لا يعلمون ما راد بهم لانهم صكوا اذا أتوا بذنب فتح الله تعالى عليهم من
أبواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك تمادي في الفتن والضلالة ويتدرجوا في الذنوب
والمعاصي بسبب ترادف النعم يظنون ان تواتر النعم يقرب من الله تعالى وانما هي خذلان منه
وتبديد فهو استدراج الله تعالى فيأخذهم الله تعالى أخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني أعوذ بك أن أكون
مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (وأملئ لهم) أي أمهلهم وأطيل
مدة أعمالهم ليقادوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا أفتح لهم باب التوبة
(ان كيدى) أي أخذى (متين) أي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
(أولم يفكروا) فعملوا (ما بصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) أي جنون وروى أنه
صلى الله عليه وسلم معد على الصفا فدعاهم فخذلوا فأتوا فلان ياتي فلان يحذرهم بأمر الله
تعالى فقال فاتهمهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فزلت ومعنى يهوت يصوت
يقال هبت به وهوت به أي صاح فاله الجوهرى وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى منه لانه
صلى الله عليه وسلم خالفهم في الأقوال والأفعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذا اتهموا مقبلا على
الآخرة ونعيمها مستغلا بالدعاء الى الله تعالى وانذارهم بأسه ونقمته لئلا ينمرا من غير
ملال ولا حرج فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله تعالى من الجنون بقوله تعالى (ان)
أي ما (هو الاذيرمين) أي بين الانذار بحيث لا يخفى على ناظر (أولم ينظروا) أي انظر اعتبار
واستدلال (في ملكوت السموات والارض) أي ملكهما البالغ (وما) أي وفيما خلق الله من
شيء أي غيرهما مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدل لهم على كمال قدرة
صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولى أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوه اليه
وقوله تعالى (وأن عسى أن يكون قدا اقترب) أي ذنا (أجلهم) عطف على ملكوت وان محففة
من الثقيلة واسماها ضمير الشأن وكذا اسم يكون ولا يصح أن تكون أن مصدرية خلافا للبيضاوي
قال التفناني لان المصدرية لا تدخل الافعال غير المتصرفية التي لا مصادر لها والمعنى أولم

يُنْظَرُ وَافِي اقْتِرَابِ آجَالِهِمْ وَيُوقَعُ حُلُولُهَا فَيَسْأَلُونَ إِلَى طَلَبِ الْحَقِّ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى مَا يَنْبَغِيهِمْ قَبْلَ
مُجَاجَاةِ الْمَوْتِ وَنَزُولِ الْعَذَابِ فَعَلَّ أَجْلُهُمْ قَدْ اقْتَرَبَ فَيَقُولُوا عَلَى الْكَفَرِ قِيلَ أَنْ يُؤْمِنُوا فَيَصْبِرُوا
إِلَى النَّارِ فَيَجِيبُ عَلَى الْعَاقِلِ الْمُبَادِرَةِ إِلَى التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالنَّظَرِ الْمَوْدَى إِلَى الْقُوْزِ وَالنَّعِيمِ
الدَّائِمِ (قَبَائِي حَدِيث) أَيْ كِتَاب (بَعْدَهُ) أَيْ الْكِتَابُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(يُؤْمِنُونَ) أَيْ يَصْدُقُونَ وَلَيْسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ وَلَا بَعْدَ كِتَابِهِ كِتَابٌ لِأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ
وَكِتَابُهُ خَاتَمُ الْكُتُبِ لِأَنَّهُ قَطَاعُ الْوَحْيِ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَإِنْ قِيلَ) قَوْلُهُ نَعَى إِلَى قَبَائِي حَدِيث
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَدَثٌ كَمَا تَمَسَّكُ بِهِ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ (أَجِيبُ) مِنْ جِهَةِ أَهْلِ السَّنَةِ
بِأَنَّ ذَلِكَ يَحْمَلُ عَلَى الْإِلْقَاطِ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَلَا نَزَاعَ فِي حَدِيثِهَا ثُمَّ كَرَّرَ نَعَى عَلَيْهِ أَعْرَاضَهُمْ عَنْ
الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ) بَوَاحٍ مِنَ الْوُجُوهِ أَيْ أَنَّ أَعْرَاضَهُ هُوَ لَا عَنْ
الْإِيمَانِ لِأَضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَلَوْ هَدَاهُمْ لَا مَنُوعَ (وَيَذَرُهُمْ) أَيْ يَتْرُكُهُمْ (فِي طَفْيَانِهِمْ) أَيْ ضَلَالِهِمْ
وَعَادِيهِمْ فِي الْكَفْرِ (يَعْمَهُونَ) أَيْ يَتَرَدَّدُونَ مُتَحَيِّرِينَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا وَقَدْ أَنْفَعُ وَابْنُ كَثِيرٍ
وَابْنُ عَامَرٍ وَيَذَرُهُم بِالنُّونِ وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ وَجَزَمَ حِزْبُ الْكَسَائِفِ الرَّاءَ قَالُوا يَبْهِيهِ أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى
مَحَلِّ الْقَاءِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا هَادِيَ لَهُ لِأَنَّ مَوْضِعَ الْقَاءِ وَمَا بَعْدَهُ جَزَمَ الْجَوَابُ الشَّرْطَ
وَرَفَعَهَا بِالْبَاقُونَ اسْتِثْنَاءً وَهُوَ مُقْطُوعٌ عَمَّا قَبْلَهُ وَلَمَّا بَيَّنَّ تَعَالَى التَّوْحِيدَ وَالنَّبُوَّةَ وَالْإِثْبَاتَ وَالْقُدْرَ
أَتَمَّهُ بِالْمَعَادِ لِتَكْمُلِ الْمَطَالِبِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي هِيَ أَهْمَاتُ مَطَالِبِ الْقُرْآنِ مِمَّا شَمِلَ عَلَيْهِ عَامَّةُ
الْكَلَامِ مِنْ تَبْلِيهِمْ فِي الْعَمَلِ وَتَلَدُّهُمْ فِي أَشْرِكِ الشُّبُهَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَسْتَأْذِنُونَكَ) بِأَعْمَدِ سُؤَالِ
اسْتِزْهَاءِ (عَنِ السَّاعَةِ) أَيْ عَنْ وَقْتِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ السَّائِلُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْمًا مِنْ
الْيَهُودِ قَالُوا بِالْمُحَمَّدِ أَخْبَرَنَا مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا كَمَا تَقُولُ فَأَنَّا نَعْلَمُ مَتَى هِيَ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ
الْآيَةُ وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ أَنَّ قَرِيشًا قَالُوا بِالْمُحَمَّدِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ قَرَابَةٌ فَاذْكُرْ لَنَا مَتَى السَّاعَةُ
وَالسَّاعَةُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْغَالِبَةِ كَالنَّجْمِ لِلثَّرْيَاوُسِ سَمِيَّتِ الْقِيَامَةُ بِالسَّاعَةِ لَوْ قَوَّعَهَا بِغَتَّةٍ أَوْلَى وَأَنَّ حِسَابَ
الْخَلْقِ يَقْضَى فِيهِمَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَسَمِيَّتِ بِالسَّاعَةِ لِأَنَّ السَّبَبَ أَوْلَى لَنَا عَلَى طَوْلِهَا عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى كَسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَيَّانَ) سُؤَالُ اسْتِفْهَامٍ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ
السَّاعَةُ وَمَعْنَاهُ مَتَى (مَرَسَاهَا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَنَعَهَا وَالْمَرْسَى هُنَا مَدْرَجَةُ الْإِرَادَةِ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى بِسْمِ اللَّهِ يَجْرَاهَا وَمَرَسَاهَا أَيْ أَجْرَاهَا وَارْسَاؤُهَا وَالْإِرْسَاءُ الْإِثْبَاتُ يُقَالُ
رَسَا يَرْسُو إِذَا ثَبَتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا (قُلْ) لَهُمْ بِالْمُحَمَّدِ (أَعْمَالُهَا) أَيْ مَتَى تَكُونُ
(عَنْدَرِي) أَيْ لَا يَعْلَمُ الْوَقْتُ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى بِعِلْمِهَا فَلَمْ يُطْلَعْ
عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلِهَذَا الْمَسْأَلُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ
مَتَى السَّاعَةُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ الْمُحَقِّقُونَ
وَالسَّبَبُ فِي اخْتِفَاءِ السَّاعَةِ عَنِ الْعِبَادِ أَنَّهَا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا مَتَى تَكُونُ كَمَا نَوَاعِلُ حِذْرُهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ
أَدْعَى إِلَى الطَّاعَةِ وَأَزْجَرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَيْ كَذَلِكَ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ (لَا يَجْلِبِيهَا) أَيْ يَظْهَرُهَا
(لَوْ قَتَلَهَا) أَيْ فِي وَقْتِهَا الْمَعْنَى فَلَا لَمْ يَعْصِي فِي وَهْوَ أَوَّلَى مِنْ قَوْلِ الْبِيضَاوِيِّ أَنَّهَا لَمْ تَأْتِ (الْأَوَّلَى)

أى لا يـدر على اظهر وقتها المعين بالاعلام والاخبار الا هو (تقلت) أى عظمت (في السموات
 والارض) أى نزل أمرها وخفي علمها على أهل السموات والارض وكل شيء خفي فهو منقـل
 شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لأن
 فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقل على القلوب وقوله تعالى (لاتأنيكم الابقعة) نأ كبد أيضاً
 تقدم وتقرر لكونها بحيث لا تنجي إلا الخاة على حين غفلة من الخلق وعن أبي هريرة رضى الله
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبيهما
 فلا يبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقمه فلا يطعمه ولتقوم
 الساعة والرجل قد رفع الإكـلة الى فيه فلا يطعمها ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه
 فلا يسقي فيه اللقمة يفتح اللام وكسرهما الناقاة القرية العهد بالتاج وقوله يلبط حوضه ويروى
 يلوط حوضه أى يطنه ويصلحه يقال لاط حوطه يلبطه ويلوطه اذا طينه والاكاة بضم الهمزة
 اللقمة وفي رواية ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته
 والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه رواه معناه الشيطان (يسألونك)
 أى يسألوك قومك عن الساعة (كانك حفي عنها) أى عالم بهم من قولهم أحفيت في المسئلة
 اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها وقيل الحفي البار اللطيف ومنه قوله سبحانه وتعالى انه
 كان بي حفيماً أى باراً لطيفاً مجيب دعائى اذا دعونه أى يسألونك كأنك بار بهم لطيف
 العشرة معهم وهذا قول الحسن ويؤيده ما روى في تفسيره أن قريشاً قالت لمحمد صلى الله عليه
 وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاذا كررنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي عنها حتى بهم
 أى قضهم لاجل قرابتك بتعلم وقتها وتزوى علمها عن غيرهم ولما أخبرت بوقتها المصلحة علمها الله
 تعالى في اخبارك له لكنت مبلغه القريب والغريب من غير تخصيص كسائر ما أوحى اليك وقيل
 كأنك حفي بالسؤال عنها تحبسه وتؤثره أى أنك تذكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى
 استأثر الله تعالى بعلمه ولم يؤته أحد من خلقه كقوله تعالى (قل) يا محمد (انما علمها عند الله) أى
 استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا هو (فان قيل) قوله تعالى يسألونك عن الساعة
 أيا من ساءها وقوله تعالى ثانياً يسألونك كأنك حفي عنها فيه تكرار (أجيب) بأنه لا تكرار لأن
 السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والثانى عن كنهه نقل الساعة وشذتها ومهابتها
 فلا يلزم التكرار وقيل ذكر الثانى للتأكيـد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها
 وعلى هذا التكرار العلماء الخذاق في كتبهم لا يحلون المكر من فائدة ومنهم محمد بن الحسن
 صاحب أبى حنيفة رحمه الله تعالى (فان قيل) لم أجاب عن الاول بقوله انما علمها عندى ربى
 وعن الثانى بقوله انما علمها عند الله (أجيب) بأن السؤال الاول لما كان واقعا عن وقت قيام
 الساعة والثانى كان واقعا عن مقدار شذتها ومهابتها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند
 الله لانه أعظم أسماءه مهابة وعظمة ثم انه تعالى ختم هذه الآية بقوله (ولكن أكثر الناس
 لا يعلمون) أى لا يعلمون السبب الذى من أجله أخفيت معرفة علم وقت قيامها الغيب عن

الخلق وقيل لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألو عنه وروى أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا تخبرنا بالسعر الرخيصة قبل أن يعلو فنشتريه ونريح فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد أن نجذب فنرحل عنها الى ما قد اخصبت فانزل الله تعالى (قل) لهم (لا أملان لنفسي نفسي) اجتلاب نفع بأن أريح فيما اشتريه (ولا أضراً) أي لا أقدر أدفع عن نفسي ضرراً أنزل بها بأن أرحل الى الارض الخصبة أو من الارض الجديبة (الاما شاء الله) من ذلك فبيله من اياه ويوفقي له وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة بني المصطلق عصفت ريح في الطريق ففترت الدواب منها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة بالمدينة وكان فيها غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظر وأين ناقي فقال عبد الله بن أبي المنافق مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت الرجل بالمدينة ولم يعرف أين ناقيه فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية (ولو كنت) أي من ذاق (أعلم الغيب) أي جنسه (لا استكثر) أي أوجدت لنفسي كثيرا (من الخير وما مسني السوء) أي ولو كنت أعلم لما لفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع ويدخل فيه ما يتصل بالخصب واجتساب المضار حتى لا يمسني سوء (ان) أي ما (أنا الانذير) بالنار للكافرين (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون) أي بصدقون وقيل لقوم يؤمنون متعلق بنذير وبشير لانهم المتفجعون بهما (هو الذي خلقكم) أي ولم تكونوا شيأ (من نفس واحدة) أي خلقها ابتداء من تراب وهي آدم عليه السلام (وجعل منها) أي من جسدها من ضلع من اضلاعها وقيل من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من أنفسكم أزواجا (زوجها) أي حواء قالوا والحكمة في كونها خلقت منه ان الجنس الى الجنس أميل والجنسية على الضم (للسكن اليها) أي لئلا ينسبها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه أو جنسه وانما ذكر الضمير في يسكن بعد ان أثبت في قوله تعالى من نفس واحدة ذهابا الى معنى النفس ليناسب تذكر الضمير في قوله تعالى (فلما تغشاها) أي جامعها وثلاثا بهم لوائته نسبة السكون الى الاثني والامر بخلافه ازالة لاستيحاشه فكانت نسبة المؤانسة اليه أولى (جملت حملا خفيفا) أي خف عليها ولم تلق منه ما يلقي الحوامل غالباً من الاذى أو محمولا خفيفا وهو النطفة (فترت به) أي فعالجته بأعمالها وقامت وقعدت ولم يعفها عن شيء من ذلك لحقيقته (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها (دعوا لله) أي آدم وحواء عليهما السلام (رهبما) مقسمين (لئن آتينا صالحا) أي ولدنا صالحا لا يعيب فيه (لنكونن من الشاكرين) أي نحن وأولادنا على نعمتك علينا وذلك لانهم ما جوز ان يكون غير سوى لقدرة الله تعالى على كل ما يريد لانه الفاعل المختار (فائدة) اتفق القراء على ادغام تاء التانيث الساكنة في الهمزة (فلما آتاها صالحا) أي جنس الولد الصالح في تمام الخلق بدنا و قوة وعظما فكثروا في الارض وانتشروا في نواحيها ذكورا واناثا (جسلا) أي النوعان من أولادهما الذكور والاناث لان الصالحا صفة للولد وهو الجنس فيشمل الذكر والانثى

والقليل والكثير فكانه قيل فلما آتاها أولادها حتى الخلقة من الذكور والاناث جعل
النوعان (له شركاء) أي بعضهم أصناما وبعضهم نارا وبعضهم شمسا وبعضهم غير ذلك وقيل
جعل أولادها له شركاء (فبما آتاها) أي فيما آتى أولادها فسموه عبد العزى وعبد مناف على
حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون
أي يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) أي الأصنام (فإن قيل) كيف وحدهم خلق ثم جمع فقال وهم
يخلقون (أجيب) بأن لفظ ما يقع على الواحد والاثني والجمع فوجد بحسب ظاهر اللفظ وجمع
باعتبار المعنى (فإن قيل) كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس
(أجيب) بأنه لما اعتقد عبادة الأصنام أنها تعقل وتيزور هذا الجمع على ما يعتقدونه وقيل
لما حلت حواء آتاهما ابليس في صورة رجل فقال لهما ما يدريك ما في بطنك ولعله هبة أو كلب وما
يدريك من أين يخرج نخاف من ذلك وذكرت لآدم فهمامنه وهو بضم الهاء وتشديد الميم من
الهم وهو هنا الحرث ثم عاد إليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله على أن يجعله خلقا منك
ويسمى عليك خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس حارثا في الملائكة ففعلت ولما ولده
سمته عبد الحرث (فإن قيل) قد قال البيضاوي وأمثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل أن يكون
الخطاب في خافتكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها
عربية قريشية فطلبها من الله تعالى الولد فأعطاها أربعة بنين فسمي بهم عبد شمس وعبد مناف وعبد
قصي وعبد الدار ويكون الغمير في يشركون لهما أولا عقابهما المقتدين بهما (أجيب) بأنه
تطرق في ذلك إلى الظاهر والافقار وى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس
وسكان لا يعيشت لهما ولد فقال سمى عبد الحرث فانه يعيشت فسمته فعاش فكان ذلك من وحى
الشيطان وأمره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب وروى عن ابن عباس
أنه قال كانت حواء تلد لآدم فسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيرهم الموت فآتاها
ابليس فقال ان شركا أن يعيشت لك ولد فسمياه عبد الحرث فسمياه فعاش وجاء في حديث خديجة
ابليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض وهو قول كثير كجهاه وسعيد بن المسيب وهذا كما
قال البغوي ليس اشرا كافى العبادة ولا أن الحرث ربهما فان آدم كان نبيا معصوما من الشرك
ولكن قصد الى أن الحرث كان سبب نجاته الولد وبلا مائة أمته وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به
انه مملوك كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا كل رجل اذا نزل به ضيف يسمى
نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لآعلى وجه ان الضيف يملكه قال الشاعر
وانى لعبد الضيف مادام ناويا * ولا شيمة لى بعد هانتبه العبد

وتقول للقبير أاعبدك قال الرازى ورأيت بعض الافاضل كتب على عنوان عبده ودود فلان
وقال يوسف عليه السلام لعز بن مصرانه بى ولم يرده معبوده كذلك هذا فقوله تعالى فتعالى
الله عما يشركون ابتداء كلام وأريد به اشراك أهل مكة وقرأ نافع وشعبة شركا بكسر
السين وسكون الراء وألف منونة بعد الكاف في الوصل وفي الوقف بغير تنوين أى شركا

والباقون بضمّ الشين وفتح الراء وبعد الكاف ألف بعد هاهن ومفتوحة (فان قيل) المطاع
 ابليس فكيف يعبر بالجمع (أجيب) بأن من أطاع ابليس فقد أطاع جميع الشياطين هذا ان
 حلت هذه الآية على القصة المشهورة اما اذا لم نقل به فلا حاجة الى التأويل (ولا يستطيعون)
 أى الاصنام (لهم) أى لعابديهم (نصرا) أى لا تقدر على النصر لمن أطاعها أو عبدها ولا تنصر
 من عصاها والمعبود الذى يجب عبادته يكون قادرا على ابطال النفع والضرر وهذه الاصنام
 ليست كذلك فكيف يلقى بالعاقل أن يعبدها (ولا أنفسهم ينصرون) أى وهى لا تقدر
 أن تدفع عن نفسها مكر وهما فان من أراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها
 والاستهزاء للتوبيخ ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى (وان تدعوهم) أى المشركين (الى الهدى)
 أى الى الاسلام (لا يتبعوكم) أى لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية وقرأنا نافع
 يسكون التاء وفتح الباء الموحدة والباقون يفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة (سواء
 عليكم ادعوهم) الى الهدى (أم أنتم صامتون) أى ساكنون عن دعائهم فهم فى كلا الحالتين
 لا يؤمنون وقيل الضمير فى تدعوهم للاصنام أى ان هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم
 من حالها أنها لا تنصر ولا تنفع ولا تسمع من دعاها الى خير وهى وذلك أن المشركين كانوا اذا
 وقعوا فى شدة وبلاء فنصرعو الى أصنامهم واذالم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا فقبل لهم
 لافرق بين دعائكم الى الاصنام وسكونكم عنها فانها عاجزة فى كل حال (ان الذين تدعون)
 أى تعبدون (من دون الله عباد) أى مملوك (أمثالكم) فهى لا تخلط ضرا ولا تنفعا (فان قيل)
 كيف وصفها بأنهم عباد مع أنها جاد (أجيب) بأن المشركين لما ادعوا أن الاصنام فنصر
 وتنفع وجب أن يعقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معقدة منهم بكيانها
 لهم ولو بخلاف ذلك قال (فادعوهم فليستحيوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة ولم يقل
 فادعوهن فليستحيين وقال ان الذين لم يقل التى وبأن هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء
 بالمشركين لانهم لما تخفوا بصورة الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم أن يكونوا أحباء عقلاء
 أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما انه لا يستحق بعضكم عبادته بعض فلم جعلتم أنفسكم عبيدا
 وجعلتموها آلهة وأربابا ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالكم بقوله تعالى (ألهم أرجل يمشون
 بها أم) أى بل (لهم أيدي يطشون بها أم) أى بل (لهم أعين يبصرون بها أم) أى بل (لهم أذان
 يسمعون بها) وهذا الاستفهام انكارى أى ليس لهم شئ من ذلك مما هولكم فكيف تعبدونهم
 وأنتم أنتم لانهم اذ لا يليق بالانسان العاقل أن يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل ونظير
 هذا قول ابراهيم الخليل عليه السلام لا يلهى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا وقد تعلق
 بعض الجهال بهذه الآية فى اثبات هذه الاعضاء لله تعالى فقال ان الله تعالى جعل عدم هذه
 الاعضاء لهذه الاصنام دليلا على عدم الهيتها فلو لم تكن هذه الاعضاء موجودة لله لكان عدمها
 دليلا على عدم الالهية وذلك باطل فوجب القول باثبات هذه الاعضاء لله تعالى (أجيب) بأن
 المقصود من هذه الآية بيان أن الانسان أفضل وأحسن حالا من الصنم لأن الانسان له رجل

ماشية ويد باطشة وعين باصرة وأذن سامعة والصم رجله غير ماشية ويد غير باطشة وعينه غير
مبصرة وأذنه غير سامعة فكان الإنسان أفضل وأكمل حالاً من الصم فاشتمع الافرأضل الاكمل
بجمال الاخس الاذن جهل فلهذا هو المقصود من ذكره - هذا الكلام لا مذهب اليه وهم هؤلاء
الجهال (قل ادعوا) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا (شركاءكم) أى الى هلاكى (ثم كيدون)
قال الحسن كانوا يخوفونه صلى الله عليه وسلم بأن لهم قتل الله تعالى له قتل لهم ادعوا شركاءكم
ثم كيدون أى ليظهر لكم أنهم الاقدرة لها على ابطال المضار الى توجع وقرأ أبو عمر وبائبات الباء
وصلوا وقفا وهشام له فيها وجهان الانبات والحذف وصلوا وقفا والباقيون يحذفونها وصلوا
وقفا * ثم تهكم عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله (فلا تنظرون) أى فاعملوا في كيدي أنتم
وشركاءكم فانكم لا تقدرون على ذلك وعمل عدم قدرتهم على ذلك بقوله (ان ولي الله) الذى
يتولى حفظى ونصرى هو الله (الذى نزل الكتاب) المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة
فى الدين وهو القرآن (وهو) أى الله سبحانه (يتولى الصالحين) أى بنصره وحفظه فلا يضرمهم
عداوة من عاداهم قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئاً ولا يعصونه من عاده
تعالى أن يتولى الصالحين من عبادته فضلاً عن أنبيائه وفى هذا مدح للصالحين وأن من تولاه الله
تعالى يحفظه لا يضرمه شئ وعن عمر بن عبد العزيز أنه ما كان يدخله ولاده شيئاً فقبل له فيه فقال
ولدى ما أن يكون من الصالحين أو من الجبريين فان كان من الصالحين فويله هو الله تعالى ومن
كان الله تعالى له ولياً فلا حاجة له الى مالى وان كان من الجبريين فقد قال الله تعالى فلن أكون
ظهير للمجرمين ومن رده الله تعالى لم أكن مشغلاً بهما (والذين تدعون من دونه) أى الله
لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون) أى فكيف أبالى بهم (فان قيل) هذه الاشياء قد
صارت مذكورة فى الآيات المتقدمة فالفائدة فى تكريرها (أجيب) بأن الاول مذكور على
جهة التقرير وهذا مذكور على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين من لا تجوز كأنه قيل
الاله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون
صالحة للالهية (وان تدعوه) أى الاصنام (الى الهدى لا يسمعون) دعاءكم (وتراهم) يا محمد
(يتظرون اليك) أى يقابلونك كالناظر (وهم لا يصرون) لانهم صور وبصورة من ينظر الى من
يواجهه وقال الحسن المراد بهذا الشرك كون ومعناه ان تدعواهم المؤمنون المشركين الى الهدى
لا يسمعون دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم يتظرون اليك يا محمد وهم لا يصرون
أى يصائر قلوبهم * ولما بين تعالى أن الله هو الذى يتولاه وان الاصنام وعابديها لا يقدر
على الايداء والاضرار بين ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم فى معاملته الناس بقوله
تعالى (خذ العفو) أى اقبل الميسور من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل
قبول الاعتذار ويدخل فى ذلك ترك التشديد فى كل ما يتعلق بالحقوق المالية ويدخل فيه أيضاً
التخلق مع الناس بالخلق الطيب وترك الغلظة والفظاظة قال تعالى ولو كنت فظاً غليظ القلب
لاقتضوا من حولك وقال صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وقال

الشاعر خذ العفو مني تستدعي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام يا جبريل ما هذا قال لا أدري حتى
أسأل ثم رجع فقال إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن ظلمك (وأمر بالعرف) أي بالمعروف قال عطاء بلا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أي
فلا تقابلهم بالسفه وذلك مثل قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وذلك سلام المتاركة
وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه
الآية وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متعصبا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسنة السنة ولكن يعفو ويصفح وعن جابر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يعفني بكمارم الاخلاق وعام محاسن
الافعال * قال أبو زيد لما نزل قوله تعالى وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف يارب والغضب قتل (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (ينزغك من
الشيطان نزغ) أي وسوسة وقوله تعالى (فاستعذ) أي فاستجد (بالله) جواب الشرط
وجواب الامر محذوف أي يدفعه عنك * (تنبيه) * احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه
الآية وقالوا لو أنه يجوز من النبي الاقدام على المعصية والذنب لم يحتج الى الاستعاذة
(وأجيب) عن ذلك بأجوبة الاول ان معنى هذا الكلام ان حصل في قلبك نزغ فاستعذ بالله
كما أنه تعالى قال لن أشركك لعبطن علك ولم يدل ذلك على أنه أشرك الثاني على تقدير أنه
لوحصل وسوسة من الشيطان لكن الله تعالى قد عصم قلب نبيه صلى الله عليه وسلم من قبولها
وشيائها في قلبه وانما القادح لوقبل صلى الله عليه وسلم وسوسة والآية لا تدل على ذلك وروى
أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من انسان الا ومعه شيطان وفي رواية ما منكم من أحد الا وقد
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا أن الله تعالى
أعاني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير وفي رواية لكنه أسلم بعون الله فلقد أتاني فأخذت بحلقه
ولولاد عوة سليمان لاصبح في المسجد طريحا قال النووي يروي بفتح الميم وضمها في ضمها معناه
فأسلم أنا من شره وقتته ومن فتحها قال معناه ان القرين أسلم أي صار مسلما فلا يأمرني الا بخير
الثالث أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره أي واما ينزغك أي الانسان من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (انه سميع) للتول
(عليه) بالفعل وفي الآية دليل على أن الاستعاذة باللسان لا تفيد الا اذا حضر في القلب العلم
بمعنى الاستعاذة فكأنه تعالى قال اذ كر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واستحضر معنى
الاستعاذة بقلبك وقلبك فاني عليم بما في ضميرك وفي الحقيقة القول الثاني بدون المعارف
القلبية هديم الفائدة والاثر (ان الذين اتقوا اذا مسهم) أي أصابهم (طيف) أي شيء ألم بهم
(من الشيطان تذكروا) عقاب الله ونوابه (فانذاهم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو والكسائي يساسا كنه بعد الطاء والباقون بالفتح بعد الطاء بعده هاهمة

مكسورة (وأخوانهم) أى وإخوان الشياطين من الكفار (يبدونهم) أى يبدوهم الشياطين
 (فى الغنى) أى يريدونهم فى الضلالة بالتزيين والحل عليها (ثم لا يقصرون) أى لا يكفون عن الضلالة
 ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر
 وعرف ذلك فزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر فى ضلاله لا يتذكر ولا يرجع (وإذا لم تأتهم)
 أى أهل مكة (بآية) أى بما اقترحوها كتقولهم لن نؤمن لك حتى تبهر لنا من الأرض ينبوعا
 (قالوا ولا اجتبيها) أى هلا نقولها من عند نفسك كسائر ما تنفروه فانهم كانوا يقولون ان هذا
 الاقل مفترى تقول العرب اجبيت الكلام اختلقته واقطعته وأنشأته من عندك وهلا طلبتها
 من ربك منزلة عليك مقترحة قال الله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوكم الآيات
 (انما أسمع ما يوحى الى من دبنى) أى ليس لى ان أقترح على ربي فى أمر من الأمور انما انتظر الوحي
 فكل شئ أكرمنى به قلته والافلاواجب السكوت وترك الاقتراح ثم بين ان عدم الاتيان بتلك
 المعجزات التى اقترحوها لا يقدح فى القرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة باهرة
 فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب
 التعتى فذكر فى وصف القرآن ألفاظا ثلاثة أولها قوله (هذا بصائر من ربكم) أى هذا القرآن
 فيه حجة وبرهان وأصل البصائر الابصار وهو ظاهر والشئ حق يصبره الانسان ولما كان القرآن
 سببا لبصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه لفظ البصيرة فهو من باب
 تسمية السبب باسم المسبب وثانيها (وهدى) أى وهو هدى وثالثها (رجة) أى وهو رجة (لقوم
 يؤمنون) فان قيل ما الفرق بين هذه المراتب الثلاث (أجيب) بأنهم متفاوتون فى درجات
 العلوم فتم من بلغ الغاية فى علم التوحيد حتى صار كالشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ
 درجة الاستدلال والظن وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم
 أصحاب حق اليقين فالقرآن فى حق القسم الاول وهم السابقون بصائر وفى حق القسم الثانى
 وهم المستدلون هدى وفى حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رجة (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا
 له وأنصتوا) أى عن الكلام (لعلكم ترجون) أى لى يرجمكم بكم باتباعكم ما أمرتم به من أوامره
 واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فذهب قوم الى أنها نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها
 فأمروا بالاستماع لقراءة الامام والانصات وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم كانوا يتكلمون
 فى الصلاة بجوازهم فأمروا بالسكوت والاستماع الى قراءة القرآن وقال قوم نزلت فى ترك
 الجهر بالقراءة خلف الامام وروى زيد بن أسلم عن أبى هريرة قال نزلت هذه الآية فى رفع
 الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وقال الكلبي كانوا يرفعون
 أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار وعن ابن مسعود أنه سمع ناسا يقرؤن مع
 الامام فلما انصرفوا قال اما أن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا وأنصتوا كما أمركم
 الله وهذا قول الحسن والزهرى ان الآية نزلت فى القرآن فى الصلاة وقال سعيد بن جبيل وخطاه
 ومجاهدان الآية نزلت فى الخطبة أمره وبالانصات لخطبة الامام يوم الجمعة وقال عمر بن عبد

العزيز الانصت لكل واعظ وقبل معناه واذا اتل عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له
 وأنصتوا وقل معنى فاستمعوا له فاعلموا بما فيه ولا تجاوزوه قال البغوي والاقول أولاها وهو أنها
 في القراءة في الصلاة لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة قال البيضاوي وظاهر اللفظ يقتضي
 وجوب ما حدث بقراءة القرآن مطلقا وعمامة العلماء على استحباب ما خارج الصلاة واحتج به من
 لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف اهـ أي مردود بخبر الصحبة لا صلاة لمن لم يقرأ فيها
 بفاتحة الكتاب وقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما
 والمراد بالذكر في النفس أن يستحضرن في قلبه عظمة الله تعالى جل جلاله لأن الذكر باللسان اذا
 كان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لأن الفائدة الذكروا للقلب واشعاره عظمة
 المذكور تعالى قال الرازي سميت به من الاكابر من أصحاب القلوب كان اذا أودأن يأمر
 واحدا من المريدين بالخلاوة والذكر أمره أربعين يوما بالخلاوة والتصفية ثم عند استكمال هذه
 المدة وصول التصفية الكاملة يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين ويقول للمريد اعتبر
 حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوى تأثره وعظم تشوقه
 فاعلم ان الله تعالى انما يفتح أبواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم
 بعينه وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب اهـ وقيل ذلك أمر للمأموم بالقراءة سرا
 بعد فراغ الامام من قراءة الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى (نضرا) أي تذلا
 (وخيفة) أي خوفا منه * (فائدة) * انما قال تعالى واذكر ربك ولم يقل واذكر الهك ولا غير من
 الاسماء وانما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا وأضاف نفسه اليه وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة
 والتقريب والفضل والاحسان والمقصود منه أن يصير العبد فرحا مسرورا مبتهجا عند سماع
 هذا الاسم لأن لفظ الرب مشعر بالترية والفضل وعند سماع هذا الاسم يتذكر العبد أقسام انعام
 الله تعالى عليه وبالحققة لا يصل عقله الى أقل أقسامه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
 فعند انكشاف هذا المقام في القلب يتقوى الرجاء فاذا سمع بعد ذلك قوله نضرا وخيفة عظم
 الخوف وحينئذ يحصل في القلب موجبات الرجاء وموجبات الخوف وعنده يكمل الايمان كما
 قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وهذا جرى عليه بعضهم في حالة
 الصحة فيكون الخوف والرجاء مستويان والذي جرى عليه الغزالي وهو التحقيق أنه ان قوى
 رجاءه يتقوى جانب الخوف والعكس بالعكس وأما حال المرض فيكون جانب الرجاء أرجح وعن
 أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف
 تجدك قال أرجو الله يا رسول الله واني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان
 في قلب مؤمن في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف (ردون الجهر من القول)
 أي ومثكما كلاما فوق السر ودون الجهر أي قصدا بينهما فانه أدخل في الخشوع والاخلاص
 (بالقدق) جمع غدة وقيل انه مصدر (والاصال) جمع أصل وهو ما بين صلاة العصر الى الغروب
 وانما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو آخر الموت الى

البقطة التي هي كالحياة فاستحب له أن يستقبل حالة الاتهام من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكريات أن يكون أول أعماله ذكر الله تعالى وأما وقت الاتصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب الذكر لأن حاله تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى (ولا تسكن من الغافلين) عن ذكر الله وقيل إنما خص بالذكر لأن الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة واستحب للعباد أن يذكر الله تعالى فيهما ليكون في جميع أوقاته مستغلا بما يقربه إلى الله تعالى من صلاة وذكر وقيل إن أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره فصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى الغروب فاستحب له الذكر فيه ما ليكون ابتداء عمله بالذكر وختامه بالذكر (إن الذين عند ربك) أي الملائكة المقربين بالفضل والكرامة (لا يستكبرون) أي لا يتكبرون (عن عبادته) لأنهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريائه (ويسبحونه) أي يذكرونه عن جميع النقاوس ويقولون سبحان الله ربنا (وله يسجدون) أي ويخضعون له بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وفي هذا الإشارة إلى أن الأعمال تنقسم إلى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح فأعمال القلوب هي تزيه الله تعالى عن كل ما سواه وهو الاعتقاد القلبي بعبادته بقوله ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عبادتهم وعن معادن قال سالت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت حدثني حديثا ينفعني الله به قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسجد لله سجدة أرفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد سجدة أرفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد وتسجد معه حتى ما يجذب بعضنا موضعا لمكان جبهة في غير وقت صلاة وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار والحديث الذي ذكره البيضاوي تعالى لخشعي وهو من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيها له يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة الانفال مدنية﴾

وقيل الا واذ يكره الذين كفروا الايات السبع فكية وهي خمس أو سبع وسبعون آية وألف وخميس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

(بسم الله) الذي له العظمة الظاهرة والحكمة الباهرة (الرحمن) الذي عم جميع خلقه بنعمه المتواترة (الرحيم) الذي خص من أراد من عبادته بما رضى فكان حامده وشاكره (يستأنون) بأشرف الخلق يا محمد (عن الانفال) أي الغنائم لمن هي وكيف مصرفها وانما سميت الغنيمة

قتلا لانها عطية من الله تعالى وفضل منه كما يسمى به ما بشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة
 على سهمه (قل يا محمد لهم الانفال لله والرسول) يجعلها حيث شاؤوا كثيرا لمفسرين ان سبب
 نزولها اختلاف المسلمين في غنائم بدر كيف تقسم فقال الشبان هي لنا لا بماشرنا القتال وقال
 الشيوخ كآردا لكم ولوانكشفتم لغنمنا فنزلت وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لمن كان له غناء وهو بفتح الغين المحجمة والمد المنقوع أن ينقله فصار شبايبهم حتى قتلوا سبعين
 وأسر واسبعين ثم طلبوا انقلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
 الرايات كآردا أي عونا لكم وفيه تهازون النافذات فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بينهم على السواء ارواه الحاكم في المستدر ولعن عباد بن الصامت نزلت فينا معاشر أصحاب
 بدر حين اختلافنا في النفل وسامت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله رسوله صلى الله عليه
 وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واصلاح ذات البين وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه قال لما كان يوم بدر وقتل
 أخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه وأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واستوهبته منه فقال هذا ليس لي ولالك اطرحه في القبض وهو يفتحتين ما قبض من الغنائم
 فطرحتي وبني ما لي به الا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سبلي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
 الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي اذهب
 لخذ وقيل انه نزلت فيما يصل من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع فهو
 للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء واختلفوا هل هذه الآية منسوخة أو لا فقال مجاهد
 وعكرمة هي منسوخة بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول الآية فكانت
 الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم قسمها الله تعالى بالخمس وقال بعضهم هي ناهية من وجه
 ومنسوخة من وجه وذلك أن الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرايع انبيائهم
 وأباحها الله تعالى بهذه الآية لهذه الامة وجعلها ناهية لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس
 وقال عبد الله بن زيد بن أسلم هي ناهية غير منسوخة وعنى الآية قل الانفال لله وللرسول
 يضعها حيث أمره الله تعالى وقد بين الله تعالى مصارفها في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان
 لله خمسة الآية (فان قيل) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول (أجيب) بأن معناه أن حكم
 الغنيمة مختص بالله ورسوله بما أمر الله يقسمها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول صلى الله
 عليه وسلم أمر الله تعالى فيها وليس الامر في قسمها مقروضا الى رأى أحد (فأتقوا الله) بطاعته
 واتركوا محالته واتركوا الخاصة والمنازعة في الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) أي وأصلحوا
 الحال فيما بينكم بالمودة وترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله)
 فيما يأمركم به وبنيهاكم عنه (ان كنتم مؤمنين) حقا فان الايمان بقضية ذلك (انما المؤمنون)
 أي الكاملون في الايمان (الذين اذا ذكر الله) أي وعبدوه (وجلّت) أي خافت وخضعت وورقت
 (قلوبهم) أي أن المؤمن انما يكون مؤمنا كاملا اذا كان خائفا من الله تعالى وتطيره قوله

تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وقوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون (فان قيل)
انه تعالى قال هنا وجلت قلوبهم وفي آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذلك ~~كر~~ الله فكيف الجمع بينهما
(أجيب) بأنه لامناحات بينهما لأن الوجه هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من اليقين
وشرح الصدر بعرفة التوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد اجتمع في آية واحدة وهي قوله
تعالى فقتلهم عندهم جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله عند رجاء ثواب
الله وقال أهل التحقيق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الحلال
والعظيمة وهو خوف الخواص لانه تعالى غنى بذاته عن كل الموجودات ومساواة من المخلوقات
محتاجون اليه والحاج اذا حضر عند الملك الغنى هابه وخافه وليست تلك الهيبة من العقاب
بل مجرد علمه بكونه غنيا عنه وكونه محتاجا اليه . يوجب تلك المهابة وذلك الخوف وأما العصاة
فيخافون عقابه والمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر معرفته (واذا قلت عليهم آياته
زادتهم ايمانا) أى تصديقا وبقينا لأن زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه
الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت عنده الدلائل
أكثر وأقوى كان أزيد ايمانا لأن غنى حصول كثرة الدلائل وقوتها يزيل الشك ويقوى اليقين
فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لو وزن
ايمان أبى بكر بثمان أهرار لرجح الوجه الثانى وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند
الله ولما كانت التكليف متوالية في زمنه صلى الله عليه وسلم فكما تجد تكليف كانوا
يزدادون تصديقا واثارا ومن المعلوم أن من صدق انسانا في شئ كان أكثر من يصدق في شئ
واحد فقوله تعالى واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا
بأقرب جديد فكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق (فان قيل) ان تلك الآيات لا توجب الزيادة
وانما الموجب هو سماعها أو معرفتها (أجيب) بأن ذلك هو المراد من الآية واختلافها
الايمان يقبل الزيادة والنقصان ولا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا
يقبل الزيادة ولا النقصان والذين قالوا انه مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل قالوا يقبل
الزيادة والنقصان واحتجوا بهذه الآية من وجهين الاول أن قوله تعالى زادتهم ايمانا يدل على
أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد
قبل النقص الوجه الثانى انه تعالى ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال
بمد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف داخله في معنى الايمان
وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون
شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
ففى الحديث دليل على أن الايمان أدنى وأعلى فيكون قابلا للزيادة والنقص وقال عمر بن
حبیب ان للايمان زيادة ونقصا فليس له نماز زيادة وما نقصانه فقال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك
زيادته واذا سهرنا وغفلنا فذلك نقصانه ~~وكتب~~ عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان

للإيمان فراغ وشرايط وحدودا وسفنا فن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها
 لم يستكمل الإيمان * ثم وصف الله تعالى المؤمنين الكاملين بصفة أخرى ثالثة وهي الانكسار عليه
 بقوله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون جميع أمورهم اليه لا يرجون غيره ولا يخافون
 سواء لأن المؤمن اذا كان واقفا بوعده الله تعالى ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره
 وهذا الحال مرتبة عالية ودرجة شريفة وهي ان الانسان بحيث يصير لا يبقى له اعتقاد فى أمر
 من الأمور الا على الله تعالى وهذه الصفات الثلاث مرتبة على أحسن صفات الترتيب فان
 المرتبة الاولى هي الوجع عند ذكر الله والمرتبة الثانية هي الانقياد لمقامات تكليفه والمرتبة
 الاخيرة الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل الله بل الغنى بالكلية
 عما سوى الله ثم ان هذه المراتب الثلاث أحوال معتبرة فى القلوب والبواطن ثم انتقل منها الى
 رعاية أحوال الظاهر فقال (الذين يقيمون الصلاة) أى الذين يؤدونها بحقة وقها (ويعمارون زقاها)
 أى أعطيناهم (يتقون) فى طاعة الله لأن رأس الطاعات المعبرة فى الظاهر ورؤسها بذل
 النفس فى الصلاة وبذل المال فى مرضاة الله ويدخل فى ذلك صلاة القرض والنفل والزكاة
 والصدقات والاتفاق فى الجهاد والاتفاق على المساجد والقناطر ثم قال تعالى (أولئك) أى
 الموصوفون بهذه الصفات الخمسة (هم المؤمنون - ق) لانهم حققوا إيمانهم بأن ضوعوا اليه مكارم
 أعمال القلوب من خشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التى المعيار عليها
 وهي الصلاة والمسدة وحقا مصدر مؤكد للعملية التى هى أولئك هم المؤمنون كقوله هو
 عبد الله حقا أى أحق ذلك حقا * (تنبيه) * اختلف العلماء فى أنه هل للشخص أن يقول أنا مؤمن
 حقا ولا فقال أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه الاولى أن يقول الرجل أنا مؤمن ان شاء
 الله تعالى ولا يقول أنا مؤمن حقا وقال أصحاب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه الاولى أن يقول
 أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول ان شاء الله تعالى واستدل للاول بوجوه الاول أن قوله
 أنا مؤمن ان شاء الله تعالى ليس على سبيل الشك ولكن الشخص اذا قال أنا مؤمن فقد مدح
 نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله تعالى زال ذلك العجب
 وحصل الانكسار له الشافعى ان الله تعالى ذكر فى أول الآية ما يدل على الحصر وهو قوله تعالى
 انما المؤمنون هم كذا وكذا وكلمة انما تفيد الحصر وقد كفى فى آخر الآية قوله تعالى أولئك هم
 المؤمنون حقا وهذا أيضا يفيد الحصر فلما دلت هذه الآية على هذا المعنى ثم ان الانسان لا يمكنه
 القطع على نفسه بمحصل هذه الصفات الخمس فكان الاولى له أن يقول ان شاء الله تعالى وعن
 الحسن أن رجلا سأل أم المؤمنين أنت فقال الإيمان إيمانان فان كنت نسأتنى عن الإيمان بالله
 وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن بها وان
 كنت نسأتنى عن قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري
 أنا منهم أم لا وقال سفيان الثوري من زعم أنه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة
 فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه أى كمال الانقطاع أنه من أهل الجنة قطعا فلا ينقطع

أنه مؤمن حقا الثالث أن قوله أنا مؤمن ان شاء الله تعالى للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وأنا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي بأنه لاحق بأهل القبور الرابع أن المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله تعالى فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخامسة الخامس أن ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول الجزم والقطع ألا ترى أنه تعالى قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وهو تعالى منزوع عن الشك والريب فثبت أنه تعالى اغنا ذلك تعليمه لعباده فالاولى ذكر هذه الكلمة الدالة على تفويض الامور الى الله تعالى حتى يحصل ببركة هذه الكلمة دوام الايمان واستدل الثاني بوجهين الاول أن المتحرك يجوز أن يقول أنا متحرك ولا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله تعالى وكذا القول في القائم والقاعد فكذا هذا الثاني أنه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا فكان قوله ان شاء الله يوجب الشك فيما قطع الله تعالى ا لهم به وذلك لا يجوز وأجاب الاول عن قولهم المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله تعالى بالفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا كاذبا لايمان يتوقف حاله على الخامسة والحركة فعل للانسان نفسى فحصل الفرق بينهما وعن قولهم انه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فحكم لهم بكونهم مؤمنين حقا اذا أنو تلك الاوصاف الخمسة على الحقيقة ونحو لانعلم ذلك فثبت حينئذ أن الصواب مع أصحاب القول الاول (الهم) أي للموصوفين بتلك الصفات (درجات) أي منازل في الجنة (عند ربهم) بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تفاوت منازلهم في الجنة على قدر أعمالهم قال عطاء درجات الجنة يرتفعون فيها بأعمالهم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في احداهن توسعتم (ومغفرة) أي لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده (فان قيل) أليس المفضل اذا علم حصول الدرجات لعالية للفاضل وحرمانه منها فانه يتألم قلبه وينقص عيشه وذلك يجيل كون الثواب رزقا حسنا (أجيب) بأن استغراق كل أحد في سعادته الحاضرة تمنعه من حصول النظر الى غيره وبالجمله فأحوال الآخرة لاتناسب أحوال الدنيا الا بالاسم وقوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) يقتضى تشبيه شئ بهذا الخارج واختلاف في تقدير ذلك فقال المبردة قدبره الانفصال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الى القتال وان كانوا كارهين له قال الرازي وهذا الوجه أحسن الوجوه المذكورة في هذا الموضوع وقال عكرمة نقديره فاقول الله واصطوا ذات يمينكم فان ذلك خير لكم كما أن اخراج محمد من بيته خير لكم وان كرهه فريق منكم وقال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك في الحق والتقدير كما أخرجك

ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويحذرون لولا فيه وقبل
الكاف بمعنى على تقديره امض على الذي اخرجك ربك وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذا كر
اذا اخرجك ربك من بيتك بالحق (وان فريقا من المؤمنين اكارهون) الخروج والجملة حال من
كاف اخرجك وقيل كما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحالة في كراهتهم لها مثل اخرجك في حال
كراهتهم وقد كان خبر الهم فكذلك هذه أيضا وذلك ان أباسفان قدم بعيرين الشام في أربعين
واكباً منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري وفيها تجارة كثيرة فأخبر جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم لئى العير لكثرة المال وقلة العدة وقيل سمع
أبوسفيان عيسى النبي صلى الله عليه وسلم اليه اسماً برضهم من عمرو والفقاري وبعثه الى مكة
وأمره أن يأتي قريشا فيستغفرهم ويخبرهم أن محمداً وأصحابه قد خرجوا العيرهم فخرج ضمهم
سريعا الى مكة وكانت عاتكة أخت العباس بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمهم مكة ثلاث ليال
رأت رؤيا فالت لاختها العباس اني رأيت عجبا رأيت راسكبا أقبل على بعيره حتى وقف
بالابطن ثم صرخ بأعلى صوته ألا انقروا يا آل غدر لما راكم في ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا
عليه ورأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ خضرة من الجبل ثم حلق بها ورمى أي رمى بها الى
فوق فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الخضرة فقال العباس اكنتمها فلان ذكرها
لاحد ثم خرج العباس فاني الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس وكان صديقه فذكرها له
واستكتمه فذكرها الوليد لابي له عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس
فغدوت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في رهط من قريش فوجدت عودا يتعدون رؤيا عاتكة فلما
رأى أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل علينا قال فلما فرغت من طوافي
أقبلت حتى جلست معهم فقال أبوجهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه القصة فيكم قال
وماذا قال الرؤيا التي رأيت عاتكة قلت وما رأيت قال يا بني عبد المطلب أما رضىتم ان تتبأ رجالكم
حتى تتبأ نسائكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انقروا في ثلاث فتريص بكم الثلاث فان
يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم اكذب
أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير أمر الا أني جئت ذلك وأنت كرهته ان
لا تكون عاتكة رأيت شأما ثم ففرقنا فلما أصبت لم تبق أمراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت
أفررت من هذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عنده
غيره لشيء مما سمعت قال قلت والله ما كان مني البسه من شيء وايم الله تعالى لا تعرض له فان عاد
لا كشفني كنهه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى ان قد فاتني
منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت قال فوالله اني لامشي نحوه لا تعرضه
ليعود لبعض ما قال فأقع به وكان أبوجهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد
النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت ماله لعله الله كان هذا فرأيتني أن أشأته قال
فاذا هو سمع ما لم أسمع صوت ضمهم من عمرو وهو يصرخ يطن الوادي واقفا على بعيره وقد سؤل

رحله وشق قبضه وهو يقول يا معشر قريش هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد
 وأصحابه فنأذى أبو جهل فوق الكعبة بأهل مكة النجاء النجاء وهو بالمذلة الاسراع منصوب على
 الاغراء أى الزموا الاسراع على كل صعب وذلول أى أسرعوا مجتمعين ولا تهفون لان تحتملوا
 للركوب ذلولاً دون صعب غيركم أموالكم ان أصابكم محمد بن قطفوا بعهدها أبداً فخرج أبو جهل
 بجميع أهل مكة وهم النضير في المثل لافي العير ولا في النضير في المثل لان العير أخذت طريق الساحل
 ونجت فارجع بالناس فقال والله لا يكون ذلك أبداً حتى تضر الحزور ونشر بنو الحزور وقيم القينات
 والمعاذ في بدر فينتساع جميع العرب بمخرجنا وأن محمد لم يصب العير فاقاد أعضاءه فغنى
 بهم الى بدر وبدر ما كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يومافى السنة ونزل جبريل عليه السلام
 وقال يا محمد ان الله وعدهم احدى الطائفتين اما العير واما قرىنا فاستشار النبي صلى الله عليه
 وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب
 اليكم أم النضير قالوا بل العير أحب اليان من لقاء العدو وتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم ردد عليهم وقال ان العير وقعت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله
 عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله
 عنهما فاحسنا الكلام وأمالاه الى المضى الى العدو ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فاقض
 فوالله لو سرت الى عدن أبين وهى مدينة معروفة باليمن وأبين يوزن أبيض اسم رجل من حجر عدن
 بها أى أقام ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المتصدق ابن عمرو يا رسول الله امض لما
 أمرك الله فانامعك حيمماً أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
 اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم
 قالوا له حين يابعوه على العقبة انابرا من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الى ديارنا فأت
 في ذمامنا نغنيك عما نغنيك منه ابناؤنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخوف ان تكون
 الانصار ترى عليهم نصرته الاعلى عدوهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لك نريدنا
 يا رسول الله قال أجل قال قد أصابك وصدة قتالك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك
 على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالله الذى بعثك
 بالحق نبياً لو اسعرت بناهذا البحر نخضته لخصناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
 ان تلقى بنا عدونا وانال صبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك مناماً مقربه
 عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد رضى الله عنه
 قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فان الله وعدهى احدى الطائفتين والله لكافى الا انظر
 الى مصارع القوم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثه عن
 أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يربى بمصارع أهل بدر بالامس يقول هذا
 مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عرفو الذى بعثه

بالحق نبيا ما أخطأ الحد ودالتى حدّها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على
 بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان هل وجدتم
 ما وعد الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر كيف تكلم أجساد الأرواح
 فيها فقال ما أنتم اسمع لما أقول لهم منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيأ وروى أنه قيل
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرع من بدر علمك بالعباديس دونها شيئا فداده العباس وهو في
 وثاقه أي قيده وكان العباس حينئذ مأسورا مقيدا لا يتكلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال
 لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكأن الكراهة من بعضهم لقوله تعالى
 وإن فرى بقاء من المؤمنين لكارهون (يجادلونك في الحق) أي القتال (بعد ما تبين) أنك لا تصنع شيأ
 إلا بأمر ربك (كأنما يساقون إلى الموت وهم يتظنون) إليه أي يكرهون القتال كراهة من
 من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وذلك أن المؤمنين لما يقفوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم
 يعلمنا أن تأتي العدو فتستعملنا معهم وانما خرجنا لطلب العير اذ روى أنهم كانوا رجالا وما كان
 فيهم إلا فارسان وفيه إيماء إلى أن مجادلهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم (وإذ) أي وإذ كراذ
 (بعدكم الله إحدى الطائفتين) أي العير والنفير وإحدى ثانی مقعولى بعدكم وقد أبدل منها
 (أنهم لكم) بدل اشتمال (وتؤذون) أي يزيدون (أن غير ذات الشوكه) أي القوة والشدة
 والسلاح وهي العير (تكون لكم) لقلة عددها وعددها اذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا بخلاف
 النفير لكثرة عددهم وعددهم وقرأ أبو عمرو وبادغام التاء في التاء بخلاف عنه (ويريد الله أن
 يحق الحق) أي يظهره (بكلماته) أي بآياته المنزلّة في محاربة ذات الشوكه وبما أمر الملائكة
 من نزولهم للنصرة بما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قلب بدر (ويقطع دابر الكافرين)
 أي يبتأسلهم والمعنى انكم تزيدون أن تسيروا ما لا ولا تلقوا مكرها والله يريد أعلام الدين
 وإظهار الحق وما يحصل لكم من فوز الدارين (ليحق الحق) أي يثبت الاسلام (ويبطل الباطل)
 أي يحق الكفر (ولو كره الجرمون) أي المشركون ذلك (فان قيل) قوله تعالى ليحق الحق
 بعد قوله أن يحق الحق يشبه التكرار (أجيب) بأن المعنيين متباينان وذلك أن الاول
 لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حل الرسول على
 اختيار ذات الشوكه على غيرها ونصره عليها (إذ) أي وإذ كراذ (تستغيثون ربكم) واستغاثتهم
 أنهم لم يعلموا أن لا يحبس عن القتال أخذوا يقولون ربنا انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث
 المستغيثين وعن عمر رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى
 أصحابه وهم ثلثمائة أي وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني
 اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتبعد في الأرض كما زال كذلك حتى سقط رداؤه وأخذه أبو بكر
 رضى الله تعالى عنه فألقاه على منكبيه ولزمه من ورائه وقال يا بني الله كفالة من أشدك ربك
 فانه سينجز لك ما وعدك وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار زال إذ عند التاء
 والباقون بالادغام (فاستجاب لكم أني) أي بأني غذف الجار وسط عليه استحباب فغضب محله

(عندكم بألف من الملائكة مردفين) أي متتابعين يردف بعضهم بعضا وقرأ نافع بفتح الدال وقيل بالفتح والكسر والباقون بالكسر وعددهم بالالف أو لاثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف كما في آل عمران فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المينة وفيها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وميكائيل عليه السلام على الميسرة وفيها علي رضي الله تعالى عنه في صور الرجال عليهم عثمان بن عفان وحياب بن أريقط قد أُرخوا أذانهم بأين أكافهم فقاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ويوم حنين وروى أن أبا جهل قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لأنهم وروى أن رجلا من المسلمين بيناهم ويستند في طلب رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك وقد ختر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقاتلوا يوم بدر سبعين وأسر واسمعيين وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لأضرب به يوم بدر فوق رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سبقي وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال قال لقدر أيتنا يوم بدر وان أحدنا ليسر بسيفه إلى المشرك فقتل رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وقبل أنهم لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويشتبون المؤمنين والافك واحد كاف في أهلال أهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد عود وقوم صالح عليه السلام بصيحة واحدة وقيل يدل على هذا قوله تعالى (وما جعله الله إلا بشري) لكم أي وما جعل الاردا ف بالملائكة إلا بشري لكم (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوحل اقلتكم وذلتكم والعصم أنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فبما سوا ما تقدم (وما النصر الا من عند الله) أي لا من عند غيره وأما مدد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها فهي وسائط لا تأتينا لها فلا تحسبوا ان النصر منها ولا تأتينا سوا منه ببقدها وفي ذلك تنبيه على أن الواجب على المسلم أن لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والعانة (ان الله عزيز) أي انه تعالى قوي منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه (حكيم) في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده (اذ) أي واذا كراذ (نقشاكم) النقاس وهو النوم الخفيف (أمنة) أي أمانا مما حصل لكم من الخوف من عدوكم (منه) أي من الله تعالى لانهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عددهم وعددهم وقله المسلمين وقله عددهم وعطشوا وعطاشا شديدا ألقي الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم كان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيها بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم النعاس في القتال أمنة من الله تعالى وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وقرأ نافع بضم الياء وكسر الشين مخففة وابن كثير وأبو عمر وفتح الياء والشين مع التخفيف فيهما والباقون بضم الياء وكسر الشين مشددة ورفع الشين من النعاس ابن كثير وأبو عمر ونصبها

الباقون على أن الله تعالى هو الفاعل (وينزل عليكم من السماء ماء) أي مطرا (ليظهركم به) أي
من الأحداث والجنابات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقيون
بفتح الزون وتشديد الزاي وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعقر تسوخ فيه الأقدام
وحوافر الدواب فناموا فاحتمل أكثرهم وكان المشركون قد سبقوهم على ما بدر فزفروا عليه
وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس اليهم
الشیطان أو قال لهم المنافقون تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنتم
أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محمدنين فكيف ترجون أن تظهروا على
عدوكم وما ينظرون بكم الآن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا
من أحبوا وساقوا بقيةكم إلى مكة فزفروا حزنًا شديدًا وأشفقوا فأنزل الله تعالى مطرا أسال
منه الوادي فشرب منه المؤمنون وغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الدواب وملوا الأسقية وطفئوا الغبار
وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر وزالت عنهم
وسوسة الشيطان كما قال تعالى (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسة الشيطان التي
ألقاها في قلوبكم وقيل الجنابة لأنها من تخيله (فان قبيل) يلزم على هذا التكرار فان هذا تقدم
في قوله تعالى ليظهركم به (وأجيب) عنه بأنه المراد من قوله تعالى ليظهركم به حصول
الطهارة الشرعية ومن قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان أن الرجز هو عين المني فإنه
شيء مستغيب وطابت أنفسهم كما قال تعالى (وليربط) أي يحبس (على قلوبكم) باليقين والصبر
ولبدت الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام كما قال تعالى (ويثبت به الأقدام) أي أن تسوخ
في الرمل والضمير في به للماء ويجوز كما قال الزمخشري أن يكون الربط لأن القلب اذا تمكنت
فيه الصبر والجراءة ثبتت الأقدام في مواطن القتال وقوله تعالى (اذ يوحى ربك) متعلق بثبت
أو يدل من اذ بعدكم (إلى الملائكة) أي الذين أمتهبهم المسلمين وقوله تعالى (إني) أي بأنني (معكم)
أي بالعون والنصرة مفعول يوحى (فتمتوا الذين آمنوا) أي قوا وقلوبهم بأن تقاتلوا المشركين
معهم وقيل بالتبشير والاعانة فكان الملك يعشي في صورة رجل امام الصف ويقول أبشروا
فإن الله تعالى باصركم عليهم فانكم تبعدونه وهؤلاء لا تبعدونه وقيل بالقائه الإلهام في قلوبهم
كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر ويسمى ما يلقيه الشيطان وسوسة
وما يلقيه الملك الإلهام ثم بين تعالى المعية بقوله تعالى (سألتني في قلوب الذين كفروا والرب
أي الخوف فلا يكون لهم ثبات وكان ذلك نعمة من الله تعالى على المؤمنين حيث ألني الخوف
في قلوب المشركين وقرأ ابن عامر والكسائي برفع العين والباقيون بالسكون وقوله تعالى
(فاضربوا) خطاب للمؤمنين وللملائكة (فوق الأعناق) أي أعاليها التي هي المذايح
والمفاصل والرؤس فانها فوق الأعناق وقيل المراد الأعناق وفوق صلتها أو بمعنى على أي
اضربوا على الأعناق (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن عطية يعني كل مفصل وقال ابن عباس
يعنى الأطراف والبنان جمع بنانة وهي أطراف الأصابع من اليسدين والرجلين وقال ابن

الامارى كانت الملائكة لاتعلم كيف تقايل بنى آدم فعلمهم الله تعالى فقبل انما خست الرأس
 والبنان بالذكر لان الرأس أعلى الجسد وأشرف الاعضاء والبنان أضعف الاعضاء فمدخل
 في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وبه هلاك الانسان وبضرب البنان
 وبه تبطل حركته عن القتال لان البنان يتمكن من مسك السيف والسلاح وجهه والضرب
 به فاذا قطع بنانه تعطل ذلك كله (ذلك) أى التسليط العظيم الذى وقع من القتل والاسير يوم بدر
 والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (بأنهم) أى الذين تلبسوا بالكفر (شاقوا الله)
 الذى لا يطاق انتقامه (ورسوله) أى خالفوه ما فى الاوامر والنواهي والمشاقة المخالفة
 وأصلها الجمانية فكانهم صاروا فى شق وجانب غير الذى يرضاه (ومن يشاقق الله ورسوله
 فان الله شديد العقاب) له فان الذى أصابهم فى ذلك اليوم من الاسر والقتل شئ قليل فى جنب
 ما أعد الله تعالى لهم من العقاب يوم القيامة وقوله تعالى (ذلكم) خطاب للكفرة على
 طريق الالتفات من الغيبة فى شاقوا أى ذلكم الذى يجعل لكم يسر من القتل والاسر
 (فدوقوه) عاجلا (وأن للكافرين) آجلا فى الآخرة (عذاب النار) ووضع الظاهر فيه موضع
 المضمر للدلالة على أن الكفر سبب للعاجل والآجل (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
 زحفوا) أى محجة عين صكأنهم لكن كثرتهم ينحفون أى يدبون ديبان زحف الصبي اذا دب على
 استه قليلا قليلا سعى به وجمع على زحوف واتصابه على الحال وهو مصدر موصوف به كالعدل
 والرضا ولذلك لم يجمع (فلا تولوهم لادبار) أى منهزمين منهم وان كنتم أقل منهم (ومن يولهم
 يومئذ) أى يوم لقائهم (دبره) أى يجعل ظهره اليهم منهزما (الاستعرفا) أى منعطفًا (لقتال) بأن
 بينهم أنه منهزم خداعهم بكر عليهم وهو باب من مكاييد الحرب (أو تمهيذاً) منضما وصائرا (الى فئة)
 أى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها على القرب يستجدها ومنهم من لا يعتبر
 القرب لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه
 سلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم الكفارون وفى رواية
 الكرارون أى المتعاطفون الى الحرب وأنا فتدكم وانهم رجل من القادسية فأقى المدينة الى
 عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا أمراؤ المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر أنا فتدك
 (فقدباء) أى رجح (بغضب من الله وما أواجهنهم وبئس المصير) أى المرجع هى وعن ابن عباس
 ان الفرار من الزحف من أصكر الكبار هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الا أن
 خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا وقبل هذا فى أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام
 يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم فله مجاهد ولما انصرف المسلمون من قتال بدر كان
 الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزل قوله تعالى (فلم تقتلوهم) أى
 بقوةكم (ولكن الله قتلهم) أى بنصره اياكم بأن هزمهم لكم قال البيضاوى تبعنا للزحف شري
 والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان اقتحرتهم يقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اه ورده
 ابن هشام بأن الجواب المنفي لم لاندخل عليه الفاء واختلاف فى سبب نزول قوله تعالى

(وما رميت) يا محمد (اذ رميت واكنى الله ربي) على ثلاثة أقوال الاول وهو قول أكثر المفسرين
 نزلت في يوم بدر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نذب الى قتال بدر نزلوا بدرا ووردت
 عليهم رواق قريش ونهيم أسلم غلام أسود لبني الجحاح وأويسار غلام لبني العاصي بن ساعد
 فأثابهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما أين قريش فقالا لهم وراء هذا الكتيب
 الذي بالعدوة القصوى الكتيب العققل وهو الكتيب العظيم المتداخل الرمل قاله
 الجوهري فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم فالأكثر قال ما عدتهم فالأندري
 قال كم ينحرون كل يوم فالأيو عشرة ويومانسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
 ما بين التسعمائة الى الألف ثم قال لهما فيهم من أشرف قريش فالأعنة بن ربيعة وشيبة
 ابن ربيعة وأبو البختري بن هشام وأبو جهل بن هشام وعداجاعة أخرى فقال صلى الله عليه
 وسلم هذه مكة قد ألفت اليكم أفلاذكبدها فلما طلعت قريش من العققل قال عليه الصلاة
 والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وغفرا يكذبون رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فأناها
 جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقي الجمع ان قال لعلي رضي الله
 عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهدت الوجوه أي قبحت فلم يبق
 مشرك الا دخل في عينيه وفخه ومنخره فأنهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم والمعنى
 ان الرمية التي رميتها بلغ أثرها الى ما لا يبلغه أثر البشر لكونها كانت برمي الله حيث أثرت ذلك
 الاثر العظيم لان كفا من الحصباء لا يعلو عيون الجيش الكثير برمية البشر فأثرت الرمية لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل
 الله تعالى فكان الله تعالى هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانهم لم توجد من الرسول صلى الله
 عليه وسلم أصلا القول الثاني انها نزلت يوم خيبر روى انه عليه الصلاة والسلام أخذ قوسا وهو
 على باب خيبر فرمى سهمها فأقبل السهم حتى قتل لبابة بن أبي الحقيق وهو على فرسه فنزلت
 القول الثالث انها نزلت في يوم أحد في قتل أبي بن خلف وذلك انه ألقى النبي صلى الله عليه وسلم
 بعضهم رميه وقتله وقال يا محمد من يحيي هذه وهي رميه فقال صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم يميتك
 ثم يحييك ثم يدخلك النار فأمرهم م يدرفلما اقتدى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندي
 فرسا أعلفها كل يوم فرقامن ذرة أقتلك عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك
 ان شاء الله تعالى فلما كان يوم أحد اقبل أبي بكر رضي الله عنه على ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأخروا
 ورماء بحرية كسر ضلعها من أضلاعها فأتى بعض الطريق فنزلت والاصم الاول والأدخلى في
 اثنا القصة كلاما أجنيا عنها وذلك لا يليق وقال الرازي لا يعد أن يدخل تحتها سائر الوقائع
 لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي ولكن الله قتلهم
 ولكن الله ربي بكسر النون مخففة ورفع الهاء من اسم الله فيهما والباقون بفتح النون مشددة
 ونصب الهاء وقوله تعالى (وليبلى المؤمنين منهن بالاحسن) معطوف على قوله تعالى ولكن الله

ربي أي ولينهم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغلبة ثم حتم الله تعالى هذه الآية بقوله تعالى (إن الله
 جميع) لا قوا لكم (عليم) بأحوال قلوبكم وهذا جرى مجرى التهديد والترهيب لكسب لا يفتقر العبد
 بظواهر الأمور ويعلم أن الخالق تعالى يطلع على مافي الضمائر والقلوب وقوله تعالى (ذلكم)
 إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم وقوله تعالى (وإن الله موهن كيد
 الكافرين) معطوف على ذلكم أي المقصود إبلاء المؤمنين وتوهم كيد الكافرين وإبطال
 حيلهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الواو وتشديد الهاء وتنوين النون ونصب الدال
 وقرأ حفص بسكون الواو وتخفيف الهاء وعدم تنوين النون وخفض الدال والباقيون بسكون
 الواو وتخفيف الهاء مع تنوين النون ونصب الدال وقوله تعالى (إن تستقصوا فسد جاءكم الفتح)
 أكثر المفسرين على أنه خطاب للكفار روي أن أبا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم إنا كنا
 أقطع للرحم وأخبر فاهلكه الغداة وقال السدي أن المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا
 باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلی الجندين وأهدى القبيلتين وأكرم الحزبين بأفضل
 الدين فأرسل الله تعالى هذه الآية أي أن تستنصر والاهدي القبيلتين ونسبة قصوا فسد جاءكم
 النصر والضماء به لانه من هو كذلك وهو أبوجهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلم
 والمؤمنين وقل خطاب للمؤمنين وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين وكثرة عددهم
 وعددهم استغاث بالله تعالى وطب ما وعده الله تعالى به من إحدى الطائفتين وتضرع إلى الله
 تعالى وكذلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال تعالى أن تستقصوا أي أن تطلبوا النصر الذي
 تقدم به الوعد فسد جاءكم الفتح أي حصل ما وعدتم فاشكروا الله تعالى والزموا الطاعة قال
 القاضي عياض وهذا القول أولى لأن قوله تعالى فسد جاءكم الفتح لا يليق إلا بالمؤمنين اه وقال
 البيضاوي أنه خطاب لاهل مكة عن سبيل التكم اه وبذلك قوله تعالى (وإن تنتهوا) أي
 عن الكفر ومعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) أي تضمنه سلامة الدارين
 وخير المتزائنين (وإن تعودوا) أي لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (نعد) أي لنصرته عليكم
 (ولن تغني) أي تدفع (عنكم فتكم) أي جماعتكم (شيأ) لأن الله تعالى على الكافرين
 فيخذلهم (ولو كثرت) فتكم (وإن الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر
 وحفص بفتح الهمزة على ولأن الله تعالى والباقيون بالكسر على الاستئناف (يا أيها الذين آمنوا)
 أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) أي تعرضوا (عنه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة
 أمره فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للوطئة
 والتبعية على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل
 الضمير للجهاد وأنتم تسمعون أي القرآن والمواظعة فهم ونصديق (ولا تكونوا كالذين
 قالوا سمعنا) أي بألسنتهم (وهم لا يسمعون) سمعاً يتفعول به وهذه صفة المنافقين (إن شر
 الدواب عند الله) أي أن شر من دب على وجه الأرض من خلق الله عنده (السم) عن سماع
 الحق (البكم) عن النطق بالحق فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) أمر الله وسماعهم دواب لقلة

اتنعمهم بعقولهم كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل قال ابن عباس هم نغم من بني
 عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد فقتلوا جميعاً بأحدرو كانوا أصحاب
 اللواء ولم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسطي بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيراً) أي سعادة
 كنت لهم أو اتقاعاً بالآيات (لا سمعهم) سماع تفهم (ولو سمعهم) على سبيل الفرض وقد علم
 أن لا خير فيهم (لتولوا) عنه ولم يتنفعوا به وارتدوا عن التصديق والقبول (وهم معرضون)
 إعادهم وبحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 أحي انما قصبا فانه كان شيخاً مباركاً شهد ذلك بالنبوة فتو من بك فقال الله تعالى ولو سمعهم كلام
 قصي لتولوا وهم معرضون (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) أي أجبوا وها بالطاعة
 ووحد الضمير في قوله تعالى (اذا دعاكم) لأن دعوة الله تعالى تسمع من الرسول صلى الله عليه
 وسلم روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فجعل في صلاته
 ثم جاء فقال له صلى الله عليه وسلم مامنة عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تجد فبأمر ربي إلى
 استجبوا لله وللرسول ويؤخذ من ذلك ان اجابته صلى الله عليه وسلم بالقول لا تقطع الصلاة
 وهو كذلك بل ولا بالافعل الكثير كما قاله بعض أصحابنا وهو ظاهر الحديث أيضاً ولا كان اجتناء
 غرة الطاعة في غاية القرب منه به على ذلك باللام دون الى فقال (لما يحيبكم) من العلوم الدينية
 فانها حياة القلوب والجهل موتها قال أبو الطيب

لا تنجب الجهول حليته * فذا لميت وثوبه كفن

أورما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد وقال السدي هو الايمان لان الكافر
 ميت في حيا بالايان وقال ابن ابي عمير هو الجهاد أعزكم الله تعالى به بعد الدل وقال العتيبي هو
 الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي انه
 يمسه فتقوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه
 وعقله وردده سليماً كما يرده الله تعالى فاعنه فوا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله
 وقال الضحالي يحول بين المرء المؤمن والمعصية وبين الكافر والطاعة وقال السدي يحول بين المرء
 وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر الا باذنه وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل
 ولا يدري ما يعمل وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به
 فهل تخاف علينا قال القلوب بين اصبعين من أصابع الله يتقلبها كيف يشاء (وانه) أي واعلموا
 أنه تعالى (اليه تحشرون) لا الى غيره فلا تتركوا مهمالين معطين فيجازيكم بأعمالكم وفي هذا
 تشديد في العمل وتحذير عن الكسل والغفلة (واتقوا فتنة) أي ذنبا قيل هو اقتراف المنكرين
 أظهرهم وقيل اقتراف الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله تعالى (لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة)
 جواب الامر والمعنى ان أصابكم من انصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعميكم كما يحكي ان
 علماء بني اسرائيل لم ينهوا عن المنكر فعمهم الله تعالى بالعذاب (فان قيل) كيف جازان تدخل

النون المؤكدة في جواب الامر (أجيب) بأن فيه معنى النهي قوله انزل عن الدابة لا تطرح ولا تطرح نفسك وقوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان (واعلموا ان الله شديد العقاب) لم خالفه (واذكروا) يا معاشر المهاجرين (اذ أنتم) في أوائل الاسلام (قليل) أي عددكم (مستضعفون) أي لا منعة لكم (في الارض) أي أرض مكة واطلاقها لانها اعظمها كانها هي الارض كلها أولان حالهم كان في بقية البلاد كما لهم فيها أو قرييما من ذلك ولهذا عبر بالناس في قوله تعالى (تخافون أن يخطفكم الناس) أي تأخذكم الكفار بسرعة كما تخطف الجوارح الصيد (فأولكم) إلى المدينة أو جعل لكم مأوى تحصنون فيه على أعدائكم (وأيدىكم) أي قواكم (ينصرون) أي بامداد الملائكة يوم بدر وعظا هرة الانصار (وزرركم من الطيمات) أي اغناكم أهلها لكم ولم يحلها الاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) أي بأن تفهموا وخلاف ما تظهرون روى الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى اخوانهم باذرعان وأربحان من الشام فإني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الآن أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فآووا وقالوا أرسل النبأ لبابة واسمه رفاعه أو مر وان بن عبد المذرو كان مناصحاهم لأن ماله وعياله عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أن تنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة يده إلى حلقه أنه الذبح أي حكم سعد هو القتل فلا تفعلوا فقال أبو لبابة والله ما زال قد ماى من مكانه ما حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشذ نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرا با حتى أموت أو يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألمو جاءني لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فإني لا أطلقه حتى يتوب الله تعالى عليه فكثب سبعه أيام لا يذوق طعاما ولا شرا با حتى خزم غشيا عليه ثم تاب الله عليه فتقبل له قد تب عليه ان خلف نفسك فقال لا والله لأأجلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فخله يده فقال ان من تمام توبتي ان أهجر دار قومى التي أصبت فيها الذنب وأن أتخلع من مالى فقال له صلى الله عليه وسلم يحزبك الثلث ان تصدق به فنزلت هذه الآية وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وعن جابر بن عبد الله ان أباسقمان خرج من مكة ففعل النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فوجد كتاب رجل من المنافقين اليه ان محمد يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقيل معنى لا تخونوا الله بأن لا تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنابوا وأصل الخون النقص كما ان أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لضمينه اياه وقوله تعالى (وتخونوا أماناتكم) أي ما اتفتم عليه من الدين وغيره محزوم بالعطف على الاول أي ولا تخونوا أو منصوب بأن مضمر بعد الواو: على جواب النهي أي لا تجتمع عوابين الخياطين قوله * لانتهم عن خلقى وقأتى مشى له * (وأنتم تعلمون)

أنكم تحنونون أي وأنتم علماء مبرزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم
 فتنة) أي فتنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم جهنم على الخيانة **كأبي لبابة**
 لأنه يشغل القلب بالدنيا ويصيره مجابا عن خدمة المولى ثم أنه تعالى نبه بقوله تعالى (وإن الله
 عنده أجر عظيم) على أن سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لأنها أعظم في الشرف
 وأعظم في القوة وأعظم في المدة لأنها تبقى بئسا لأنها ياله فهذا هو المراد من وصف الله الأجر
 الذي عنده بالعظم قال الرازي ويمكن أن يتسكن بهذه الآية في بيان أن الاشتغال بالنوافل
 أفضل من الاشتغال بالنكاح لأن الاشتغال بالنوافل يفيد الأجر العظيم عند الله والاشتغال
 بالنكاح يفيد الولد ويوجب الحاجة إلى المال وذلك فتنة ومعلوم أن ما يقضي إلى الأجر العظيم
 عند الله هو خير مما يقضي إلى الفتنة اهـ لكن محله في غير المحتاج إلى النكاح الواحد أهبة
 والافالنكاح حينئذ أفضل وأولى من التخلي للعبادة * ولما حذر الله تعالى عن الفتنة بالاموال
 والاولاد رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الاموال والاولاد بقوله
 (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي بالامانة وغيرها (بجعل لكم فرقا) أي هداية في
 قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي يسترها ما دمتم على التقوى
 (ويغفر لكم) أي يمحو ما كان منكم غير صالح عنها وأثرا وقيل السيئات الصغائر والذنوب
 الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفر الله تعالى لهم وقوله تعالى
 (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى بفضل منه واحسان وأنه ليس
 مما توجب به تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمله * ولما ذكر سبحانه وتعالى المؤمنين
 بنعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل الى آخره عطف عليه قوله تعالى (واذ يكرهون
 الذين كفروا) فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمه عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر الماكرين
 عنه وهذه السورة مدنية وهذا المكر كان بمكة ولكن الله تعالى ذكره بالمدينة مكر قريش به
 حين كان بمكة ليس كنعمة الله تعالى عليه في نجاة من مكرهم واستيلائه عليهم وكان ذلك
 المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسرين أن قريشا أسلمت الانصار وباعوه فارقوا
 ان يتفارق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتعت رؤسأهم كآبي جهل وعنه وشيبة
 ابني ربيعة وآبي سفيان وهشام بن عمرو وطبيعة بن عدى والنضر بن الحرث وآبي الجعري
 ابن هشام في دار الندوة متشاورين في أمره صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس لغنه الله
 تعالى في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من انت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن
 أحضركم ولئن تعدوا مني رأيا ونهجا قالوا ادخل فدخل فقال أبو الجعري رأي ان تحبوه
 في بيت ونسدت ابواب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرا به منها وتربصوا برب المنون
 حتى يهلك مثل ما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عبد الله الجعدي وقال بش الرأى رأيت
 والله لئن حبستوه في بيت لياتينكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم قالوا صدق الشيخ

النجدي فقال هشام بن عمرو رأيي ان تمملوه على جبل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم
 ما صنع واسترحم فقال النجدي بنس الرأي تعمدون الى رجل قد أقسدهم فهاكم فخرجوه
 الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقته وطلاوة لسانه وأخذ القلوب ما يسمع من حديثه
 والله لئن فعلتم ذلك فيذهب ويستميل قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم ويخرجكم من بلادكم قالوا
 صدق والله الشيخ النجدي فقال أبو جهل لعنه الله تعالى والله لا نشيرن عليكم برأي لا رأي غيره
 اني أرى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل
 واحد فيمترق دمهم في التباثل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كما هم فاذا طلبوا العقل
 عقلناه واسترحنا فقال ابليس الملعون صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا القول ما قال لا رأي
 غيره فنفرتوا على قول أبي جهل مجمعين على قتله فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمره ان لا يبيت في مخبئه الذي كان يبيت فيه وأذن الله
 تعالى له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه
 فقام في مخبئه وقال له اتشح ببردق فإنه لن يخلص اليك أمر تكرهه ثم خرج النبي صلى الله عليه
 وسلم فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل يثر التراب على رؤسهم
 وهو يقرأ أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله تعالى فهم لا يصرون ومضى الى الغار هو وأبو
 بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التي كانت بمكة عنده وكانت الودائع تودع عنده
 لصدقه واماته وبات المشركون يحرسون عليا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون
 انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا بادروا اليه فأرأوا عليا فقا لواله وأين صاحبك
 فقال لأدري فاقصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار وأعلى بابة نسج العنكبوت فقالوا
 لو دخله لم تكن نسج العنكبوت على بابة فكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة وأبطل الله مكرهم
 وهذا معنى قوله تعالى واذا يكرهك الذين كفروا (لنبتوك) أي يؤتوك وبجسولك (أو يقتولك)
 كما هم قتل رجل واحد (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) بك (ويعكروا الله) أي يرد مكرهم عليهم
 بتدبير أمر الله بأن أوحى اليك ما دبروه وأمر لي بالخروج الى المدينة وأخرجهم الى بدر وقل
 المسلمين في أعينهم حتى حلوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) أي أعلمهم به فلا يتقدم مكرهم دون
 مكره قال البيضاوي وأسناد أمثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه
 من إيهام الذم اه واعترض عليه بأنه لا يتعين في مثل ذلك المشاكلة بل يجوز ان يكون ذلك
 استعارة لان إطلاق المكر على إخفاء الله تعالى ما وعد من استوجبه ان جعل باعتبار أن
 صورته تشبه صورة المكرفاة استعارة أو باعتبار الوقوع في حجة مكر العبد فشاكلة وعلى هذا
 لا يحتاج كما قال الطيبي الى وقوعه في حجة مكر العبد قال ومنه قول علي رضي الله عنه
 من وسع الله تعالى عليه في دينه ولم يعلم انه مكربه فهو مخدوع في عقله (واذا أتت عليهم آياتنا)
 أي القرآن (قالوا) أي هؤلاء الذين اتهموا في أمره صلى الله عليه وسلم (قد سمعنا لولنا)
 لقننا مثل هذا وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو احتطوا عوا ذلك لفعلوه والافاضل

لو كانوا استطعين وقترعهم بالهجز عشرين ثم فارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع
انفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان وقيل قائله النضر بن الحرث
المقتول صبر لأنه كان يأبى الحيرة تجبر فيشتري كتب أخبار العجم ويحدث بها أهل مكة واسناده
إلى الجميع اسنادا مافله رئيس القوم إليهم فكانه كان فاضيههم وقد أسره المقداد يوم بدر فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيري يا رسول الله فقال انه كان يقول في كتاب الله
تعالى ما يقول فعاد المقداد لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك
فقال ذلك الذي أردت يا رسول الله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت أخته

ما كان ضرر لو مننت وربما * من الفتي وهو المغيظ المحنق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو باغى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه (أن) أى ما (هذا) أى
القرآن (الأساطير الأولين) أى أخبار الأمم الماضية وأما فهم وما سطر الأولون في كتبهم
والأساطير جمع أسطورة وهى المكتوبة من قولهم سطر أى كتبت وقيل أساطير جمع أسطور
وأساطير جمع سطر (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا) أى الذى يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل
(من عندك) فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم) أى مؤلم على انكاره غير الحجارة قاله
النضر وغيره استنزاء وإيها ما أنه على بصيرة وجزم بطلانه وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال
لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومى قولك قالوا اللهم
إن كان هذا هو الحق من عندك الآية وما قالوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه (فان قيل) قد
حكى الله تعالى هذه المقالة عن الكفار وهى من حسن نظم القرآن فقد حصلت المعارضة
في هذا القدر وأيضا حكى عنهم أنهم قالوا في سورة بنى إسرائيل وقالوا إن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الأرض ينبوعا الآية وذلك أيضا كلام الكفار فقد حصل من كلامهم ما يشبه نظم القرآن
وذلك يدل على حصول المعارضة (أجيب) بأن الاتيان بهذا القدر لا يكتفى في حصول المعارضة
لأنه كلام قليل لا تظهر فيه وجوه المعارضة والفصاحة والبلاغة لأن أقل ما وقع به التحدى سورة
أو قدرها قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم) أى بما سألوه (وأنت فيهم) أى لأن العذاب إذا
نزل عثم ولم يعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)
أى وفيهم من يستغفرونهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المستضعفين وعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه كان في هذه الأمة أمانان أما النبي
صلى الله عليه وسلم فقد مضى وأما الاستغفار فهو كائن فيكم إلى يوم القيامة فاللفظ وإن كان
عاما إلا أن المراد بعضهم كما يقال قدم أهل البلدة الفلانية على القتال والمراد بعضهم (ومالهم
أن لا يعذبهم الله) بالسيف بعد دخوله والمستضعفين فتقى تعالى في الآية أنه لا يعذبهم مادام
الرسول والمؤمنون فيهم وذكر في هذه الآية أنه يعذبهم إذا أخرجوا من بينهم وقال الحسن الآية
الأولى منسوخة بهذه ورد بأن الأخبار لا يدخلها التسخي واختلّفوا في هذا العذاب فقال بعضهم
لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة وقال ابن عباس هذا العذاب هو عذاب

الآخرة والعذاب الذي نفي عنهم هو عذاب الدنيا ثم بين تعالى ما لاجله يعذبهم فقال (وهم
 يصدون) أي يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) أن يطوفوا به وذلك
 عام الحديبية ونبه تعالى على أنهم يصدونهم لادعائهم أنهم أولياؤه فكانوا يقولون نحن ولاة البيت
 والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ثم بين تعالى بطلان هذه الدعوى بقوله تعالى (وما كانوا
 أولياءه) كما زعموا (إن) أي ما (أولياؤه الا المتقون) أي الذين يعجزون عن المنكرات الذين
 لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله (ولكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أن لا ولاية لهم
 عليه وكأنه تبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعانده وأراد به الكل كما يراد بالقله العدم
 (وما كان صلاتهم عند البيت) أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها (الأمكاه)
 أي مصفرا (وتصدية) أي تصفيقا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون
 ويصفقون وقال مجاهد كان نقر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في
 الطواف ويسهزون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون ويحطون عليه طوافه
 وصلاته فأمكاه جعل الأصابع في الشدق والتصدية الصغير وقال مقاتل كان النبي صلى الله
 عليه وسلم إذا دخل المسجد الحرام قام رجلا ن عن عينه ورجلان عن يساره يصفران ويصفقان
 ليحطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته (فدفعوا العذاب) أي عذاب القتل والأسر
 يدر في الدنيا وعذاب النار في الآخرة (عما) أي بسبب ما (كنتم تكفرون) اعتقادا وفعلا
 ولما ذكر تعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاه والتصدية ذكر عقبه عبادتهم المالية التي
 لا جدوى لها في الآخرة بقوله تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم) في حرب النبي صلى
 الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله) أي لمصرفوا عن دين الله تعالى نزلات في المطعمين يوم بدر
 وكانوا اثني عشر رجلا منهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وكلهم من قريش وكان
 يطعم كل واحد منهم أيام بدر عشر جزائر أو في أبي سفيان استأجر يوم أحد الفين من العرب سوى
 من استجاش أي اتخذ جيشا واتفق عليهم أربعين أوقية والواقية اثنا وأربعون مثقالا أو في
 أصحاب العير فانه لما أصيب قريش يدر قبل لهم أعينوا به ذالمال على حرب محمد لهنا ندر
 ثأرا نافعا (فسيذفقونها ثم تكون) أي عاقبة الأمر (عليهم حسرة) أي ندامة لفواتها
 وفوات ما قصدوه (ثم يفلتون) أي آخر الأمر وان كان الحرب بينهم مجالا قبل ذلك كما اتفق لهم
 في بدر فانه لم أنفسهم الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شيء من ذلك بل كان وبالاعليم فانه
 كان سببا لجرامهم حتى قدموا فما كان في الحقيقة الا قوة للمؤمنين (والذين صدقوا)
 أي ثبتوا على الكفر (إلى جهنم يحشرون) أي يساقون إليها يوم القيامة فهم في خزي في الدنيا
 والآخرة (فان قيل) لم يقل تعالى وإلى جهنم يحشرون (أجيب) بأنه اسلم منهم جماعة
 كابي سفيان بن حرب والحريث بن هشام وحكيم بن حزام بل ذكر ان الذين ثبتوا على الكفر
 يكونون كذلك (ليميز الله الخبيث) أي الفريق الكافر (من الطيب) أي من الفريق
 المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركبه جميعا) أي يجمعه متراكبا بعضه على بعض

كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أى لفرط أودحامهم وقيل لجزم المال الخبيث الذى
 أنفق الكافر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذى أنفق المؤمن فى جهاد
 الكفار كاتفاق أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما فى نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فتركه جميعا
 (فيعمله فى جهنم) فى جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
 الآية واللام على هذا متعلقة بتكون من قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة وعلى القول
 المتعلقة بصيرون أو يغلبون وقرا العيزرزة والكسائي بضم الباء الاولى وفتح الميم وتشديد
 الباء الثانية مع الكسر والباقون بفتح الباء الاولى وكسر الميم وسكون الباء الثانية
 وقوله تعالى (أو لئن) إشارة الى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران
 لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم * ولما بين تعالى ضلالهم فى عباداتهم البدنية والمالية
 أرشدهم الى طريق الصواب فقال (قل) يا محمد (لذين كفروا) كاذبي ستمان وأصحابه
 (ان ما توابعوا يغفر لهم ما قد سلف) أى قل لاجلهم هذا القول وهو ان يتنوا عن الكفر وقال
 النبي صلى الله عليه وسلم يغفر لهم ما قد سلف من ذلك ولو كان بمعنى خاطبهم به ليقبل ان تنهوا
 يغفر لكم (وان يعودوا) أى الى الكفر ومعادة النبي صلى الله عليه وسلم (فقد مضت سنة
 الاولين) أى باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه واجمع العلماء على أن الاسلام يجب ما قبله
 واختلقوا هل الكافر الاصلى مخاطب بفروع الشريعة وهل يسقط عن المرتد ما مضى
 فى حال ردة كالكافر الاصلى كما هو ظاهر الآية وهل الردة تجب ما مضى من العبادات قبلها
 ذهب أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه الى أنه مخاطب بدليل قوله تعالى ما سلككم
 فى سقر قالوا لم نك من المصلين الآية وأن المرتد لا تسقط عنه العبادات الفاتية فى الردة
 تغلبا عليه وأن الردة لا تجب ما مضى وقد تقدم الكلام على ذلك فى المائة وعن يحيى بن معاذ
 أنه قال نوحيد لم يجز عن هدم ما قبله من كفر ارجو أن لا يجز عن هدم ما بعد من ذنب * ولما
 بين تعالى أن هؤلاء الكفار انفتحوا عن كفرهم حصل لهم الغفران وان عادوا فهم متوبون
 سنة الاولين أتبعه بالامر بقتالهم اذا رزوا فقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى شرك
 كما قاله ابن عباس وقال الربيع حتى لا يفتن أحدكم عن دينه لأن المؤمنين كانوا يفتنون عن دين
 الله فى مبدأ الدعوة فافتتن من المسلمين بعضهم وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا
 الى الحبشة وقتنة ثانية وهو أنه لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة العقبة
 نواصرت قريش أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم فأصاب المؤمنين جهده شديد فأمر الله تعالى
 بقتالهم حتى تزول هذه الفتنة (ويكون الدين كله) خالصا لله تعالى وحده لا يعبد غيره (فان
 انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) أى فيجازيهم به (وان تولوا) عن الايمان
 (فاعلموا أن الله مولاكم) أى ناصركم ومتولى أموركم (نعم المولى) هو فانه لا يضيع من تولا (ونعم
 النصير) أى الناصر فلا يغلب من ينصره فم كان فى حاية هذا المولى وفى حفظه وكفايته كان
 آمنا من الآفات مصونا عن المضافات (واعلموا أنما غنمتم) أى أخذتم من الكفار الحربين

(من شئ) مما يقع عليه اسم شئ مما هو لهم ولو اختصا (فإن الله خسه وللرسول) واعلم أن الغنمة
والتي اسمان لما يصيبه المملون من الحربيين والصحيح أنهم مختلفان قالني ما حصل لنا مما
هو لهم بلا يحاف بجزية وعشر تجارة وما جلاوا عنه ولولغير خوف كضراً أصابهم وتر كذا صرت
وكافر معصوم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير حازر وسيأتي حكمه إن شاء الله تعالى عند
قوله تعالى ما آفأ الله على رسوله وأما الغنمة فهي ما حصل لنا منهم مما هو لهم بلا يحاف وأسرقة
أو التقات وكذا ما أنهم مواعده عند النقاء الصفيين ولوقبل شهر السلاح أو أهداهم الكافر لنا
والحرب قائمة ولم تحمل الغنائم لاحه قبل الاسلام بل كانت الانبياء اذا غنوا ما لاجعوه فتأتي
نار من السماء تأخذهم ثم أحلت النبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام له خاصة لانه
كالغنائمين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم ثم نسخ ذلك واستقل الامر على أنه يجعل خمسة أقسام
متساوية ويؤخذ خمس رفاع ويكتب على واحدة لله أو للمصالح وعلى أربع للغاين ثم يدرج
في بنادق متوية ويخرج لكل خمس رقعة فخرج لله أو للمصالح جعل بين أهل الخمس على
خمس أصناف وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وذكر الله تعالى في الآية للتبرك وأما
ما كان له صلى الله عليه وسلم فهو لمصالح المسلمين كسد الثغور وأرزاق علماء بعلوم تهملق
بمصلحتنا كتفسير وفقه وحديث والصنف الثاني ما ذكره الله تعالى بقوله (والذي القربي) أي
قربة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب دون من عداهم لاقصاره صلى الله
عليه وسلم في القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عيمهم نوفل وعبد شمس له قوله صلى الله عليه
وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه فيعطون ولو أغنياه ويفضل المذكور
على الاثنى كالارث لانه عطية من الله تعالى تستحق بقربة الاب كالارث فلا يعطى أولاد البنات
من بنى هاشم والمطلب شيئاً لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع أن أم كل واحد منهما
كانت هاشمية والصنف الثالث ما ذكره الله تعالى بقوله (واليتيم) اليتيم صغير ولو أتى نسبر
لا يمت بعد احتلام لأب له وان كان له أم وجد ومن فقد أمه فقط يقال له منقطع واليتيم في البهائم
من فقد أمه وفي الطير من فقد أباه وأمه والصنف الرابع ما ذكره الله تعالى بقوله (والمساكين)
الصادقين بالفقراء والمساكين من له مال أو كسب لا تقي به يقع موقعان كفايته ولا يكفيه العسر
الغالب وقبل سنة كن يلك أو يكسب سبعة أو غناية ولا يكفيه العشرة والفقير من لا مال له أوله
ذلك ولا يقع موقعان كفايته كن يحتاج الى عشرة ولا يملك ولا يكتب الادرهين أو ثلاثة
والخامس ما ذكره الله تعالى بقوله (وابن السبيل) وهو المسافر المحتاج ولا مصيبة بسفره
والاخماس الاربعة الباقية للغاين وهم من حضر القتال ولو في أثناءه بنية القتال وان لم يقاتل
أو حضر بلا نية وقاتل كأجير لحفظ أمتعة وتاجر ومحترف وقوله تعالى (ان كنتم آمنتم بالله)
متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه المهم
واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فإن العلم العملي اذا أمر به لم يرد منه العلم الجرد لانه مقصود
بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وقوله تعالى (وما عطف على الله) (أترزنا على عبدنا)

محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر (يوم الفرقان) أى يوم بدو فاته فرق به
 بين الحق والباطل (يوم التقي الجمعان) أى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول
 مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم
 الجمعة تسعة عشر وأربعة عشر من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة
 وبضعة عشر رجلا والمشركون مابين الالف والتسعمائة نهزم الله تعالى المشركين وقتل
 منهم سبعون وأسر منهم مثل ذلك (والله على كل شئ قدير) فيقدروا على نصر القليل على الكثير
 والذليل على العزيز كما فعل ذلك بكم ذلك اليوم وقوله تعالى (أذا أنتم بالعدوة الدنيا) أى القربى
 من المدينة بدل من يوم الفرقان أو من يوم التقي الجمعان أو منصوب بأذروا مقصدرا والعدوة
 الدنيا مما يلي المدينة (وهي بالعدوة القصوى) أى البعدى من المدينة وهي مما يلي مكة وكان
 المساء ما كان استظها والمشركين من هذا الوجه أشد والقصى تأنيث الاقصى وكان
 قباسه قلب الواو كالدينا والعليا ولكن لم تقلب تفرقة بين الاسم والصفة فانها تنقلب في الاسم
 دون الصفة على الأكثر وقيل بالعكس وعلى الأول القصوى وان كان صفة للعدوة في الآية
 كالدينا لكن غلب عليها الاسمية لترك الوصف بها في أكثر الاستعمالات كما قاله ابن جني فالتقصوى
 بالواو على القولين شاذ بانظر الى اسميتها في الأول والى وصفيتها في الثاني ومثال الصفة
 الخالصة حلوى تأنيث الاحلى فهي بالواو مقبسة على الأول شاذة على الثاني ومثال الاسم
 الخالص حرزى اسم مكان فهو بالواو شاذ على الأول مقبوس على الثاني وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 العدوة وهي شط الوادى بكسر العين فيهما والباقون بضم العين فيهما وأما الدنيا والقصوى
 فأما هما حرة والكسائي محضة وأبو عمرو وبين وبين وورش بالفتح وبين اللفظين (والركب) أى
 العير التي خرجوها التي يقودها أبوسفیان (أسفل منكم) أى أسفل منكم على ساحل البحر
 على ثلاثة أميال من بدر وأسفل نصب على الظرفية معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع
 المحل لانه خبر المبتدأ (ولو تواعدتم) أنتم والذين يقاتلون (لا تختلفتم في الميعاد) وذلك أن المسلمين
 خرجوا يأخذوا العير راغبين في الخروج والكفار مروعين بما بلغهم من تعرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم فيمنعوهما من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد فلتهم وكثرة
 عدوهم (ولكن) جمع الله تعالى بينهم على هذه الحالة من غير ميعاد (ليقض الله أمره) كان
 مقعولا في عمله وهو زهير ولبائنه وأعزأ زدينه وأعلاء كلمته وقهر أعدائه وقوله تعالى (لهم لك
 من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) بدل من ليعضى أو متعلق بقوله مقعولا واستعبر
 الهلال والحياة للكفر والاسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعتى مخالطة
 شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي
 يجب الدخول فيه والتسليم به فان وقعت بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان
 مكابرا لنفسه مغالطالها وقرأ نافع والبرزى وشعبة يامين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة
 والباقون ياء واحدة مشددة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وان الله لسميع عليم) أى يسمع دعائكم

يعلم حاجتكم وضعفكم لانتحنى عليه خافية (اذ) أى واذا ~~كبر~~ يا محمد نعمة الله عليكم اذ
 برىكم الله أى المشركين (فى منامك) أى نومك (قليلًا) فأخبرت أصحابك فسرّوا وقالوا ربنا
 نبى صلى الله عليه وسلم حق وصار ذلك سبيل الجاهل بهم على عدوهم وقوة لقلوبهم (فان قيل) روي
 كثير قليلًا غلط فكيف يجوز على الله تعالى (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 لا يستل عما يفعل أو أنه تعالى أراه بعضهم دون بعض فحكم صلى الله عليه وسلم على أولئك الذين
 آهم بأنهم قليلون وقال الحسن إن هذه الآراء كانت فى البقطة قال والمراد من المنام العين التى
 فى موضع النوم (ولوا راى ~~كهم~~ كثير الفلستم) أى ولوا أراهم كثير الذكركه للقوم ولو سمعوا
 لك لفسحو أى جبنوا (ولمنازعتهم) أى اختلفتم (فى الامر) أى أمر القتال ونفرت آراؤكم بين
 فرار والقتال (واكن الله سلم) أى سلمكم من الفشل والتنازع فيما بينكم وقيل سلمكم من
 هزيمة والقتل (انه) تعالى (عليه) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فى القلوب من الجراءة
 الجبن والجزع وغير ذلك (واذ يركمهم) أيها المؤمنون (اذ التقيتم فى أعينكم قليلًا) أى ان
 نه تعالى قلل عدد المشركين فى أعين المؤمنين يوم التقوا فى القتال لئلا ~~ك~~ فى البقطة ما رآه
 نبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وأخبره أصحابه وتقوى بذلك قلوب المؤمنين وترد أديبراهم
 لا يجبنوا عن قتالهم قال ابن مسعود قد قتلوا فى أعيننا حتى قلت لرجل انى جنى أترأهم سبعين
 ال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم ~~كنتم~~ قال ألفا والضميران مفعولان لا يرى وقليلًا
 مال من الثانى (ويقللكنهم فى أعينهم) أى ويقللكنهم بأعين المؤمنين فى أعينهم أى المشركين لئلا
 يربوا واذا استقلوا عدد المسلمين ليس بالقوى والاستعداد واتأهب لقتالهم فيكون ذلك
 بياظهور المؤمنين قال السدى قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال
 بوجهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلوهم انما محمد وأصحابه أكلة
 زور يعنى جمع آكل أى قليل يشبعهم جزور واحد يضرب مثلاً فى القلة والامر الذى
 يعاب به ثم قال فلا تقتلوه وأربطوهم بالحبال أراد بقوله ذلك القدرة والقوة (فان قيل) كيف
 كن يقلل الكثير وتكثير القليل (أجيب) بأن ذلك ممكن فى قدرة الله تعالى وإن الله تعالى على
 ايشاء قادر ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هى من خوارق العادات
 لا يتكرر ذلك وأن الله تعالى يستر عنهم بعضه بساتر أو يحدث فى أعينهم ما يستقلون له الكثير كما
 حدث فى عيون الحول ما يرون له الواحد اثنين قبل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان
 بن يديه ذلك قال غالى لأرى هذين الديكين أربعة وهذا قبل التهام القتال فلما التهم أراهم
 مثلهم كما فى آل عمران (ليقض الله أمراً كان مفعولاً) أى فى علمه وهو علاء كلمة الاسلام ونصر أهله
 فان قيل (قد تقدم ذلك فى الآية المتقدمة فكان ذكره هنا محض تكرر) (أجيب) بأن المقصود
 من ذكره فى الآية المتقدمة هو أنه تعالى فعل تلك الافعال ليحصل استيلاء المؤمنين على الكافرين
 الى وجهه يكون معجزة دالة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره هنا ليس هو
 لك المعنى بل المقصود أنه تعالى ذكرها أنه قلل عدد المؤمنين فى أعين الكفار فينبى تعالى أنه

انما فعل ذلك اجبر ذلك سبباً لا يبالغ الكفار في تحصيل الاستعداد والخذ رقيباً من ذلك سبباً
 لا تنكسواهم (والى الله ترجع الامور) كلها فلا ينقض الامايريد انفاذه فلا تجرى الامور على
 ما ينظره العباد وفي هذا تنبيه على أن امور الدنيا غير مقصودة واعمال المراد منها ما يصلح أن يكون
 زاد اليوم المعاد وما لا يضر تعالى أنواع نعمه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين
 يوم يدبر علمهم اذا التقوا بالجنة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الادب بقوله تعالى (يا ايها
 الذين آمنوا اذا قضيت) أى قاتلتم لان اللقاء بسبب القتال غالباً (فتة) أى جماعة كافترة (فاتنوا)
 لقتالهم كما يتم في بدر ولا تقهروا أنفسكم بقرا هذا هو النوع الاول (واذكروا الله كثيراً)
 بقولكم وأستغفركم قال ابن عباس أمر الله تعالى أولياءه بذكره في أشد أحوالهم تنبيهاً على أن
 الانسان لا يجوز له أن يخد لوقله وإسانه عن ذكر الله ولو أن رجلاً أقبل من المشرق الى المغرب
 على أن ينفق الاموال قضاء والا تحرم من المغرب الى المشرق يضرب بسيفه في سبيل الله لكان
 المذاكر لله أعظم أجراً وقيل المراد من هذا الذكر الدعاء بالصبر والتفكير لان ذلك لا يحصل
 الا بجمونة الله تعالى (لعلكم تفلحون) أى تظفرون بمرادكم من النصر والتبوت (فان قبل) هذه
 الآية توجب الثبات على كل حال وذلك يومهم أنهم انما مضى لاية التعريف والتحيز (أجيب)
 بأن المراد من الثبات الجدة في المحاربة بل كان الثبات في هذا المقصود لا يحصل الا بذلك التعريف
 والتحيز ثم قال تعالى مؤكداً ذلك (وأطيعوا الله وأطيعوا رسولاً) في سائر ما يأمران به لان الجهاد
 لا ينفك الامع التمسك بسائر الطاعات (ولا تنازعوا) أى تختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) أى
 تفجبنوا (ونذهب ريحكم) أى قوتكم ودولتكم والريح مستعارة للدولة شبهها في نفوذ أثرها
 بالريح ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به ادعاء وأطلق اسم المشبه به على المشبه وقبل المراد بها
 الحقيقة لانه لم يكن قانصر الا بريح يعيها الله تعالى وفي حديث الشيخين نصرت بالصبا
 وأهلكك عاد بدور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
 اذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وذهب الريح وينزل النصر أخرجه
 أبو داود (واصبروا) أى عند لقاء العدو ولا تنهزموا عنه (إن الله مع الصابرين) بالصبر
 والمعونة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية
 فاذا التقيتهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السدوف ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم
 منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ولا تكونوا كالذين
 خرجوا من ديارهم) أى لينهوا عنهم ولم يرجعوا بعد فجاتهم (بما روا) أى غرأ وطبنا في النعمة
 وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فانصرفها في المغامرة على الاقران
 وكاثر بها أبناء الزمان وأنفة عنها في غير طاعة الرحمن فذلك هو الطرفي النعمة وانصرفها في
 طاعة الله واشغافهم ضامة فذلك شكرها (وراء الناس) أى لينهوا عليهم بالشجاعة والسماحة
 وذلك أنهم لما بلغوا الجنة وأنماهم رسول أبي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال أبو جهل
 لا والله سقى تقدم يدرا وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم فيها سوق في كل عام

ونشرب بها الخمر ونعزف علينا القينات والعزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها
 مما يضرب به قاله ابن الاثير وغيره والقينات الجوارى ونظم به لمن حضر نأمن العرب فذلك
 بطرهم وريأؤهم الناس بالجمعاء فوافقوها فتعاقبوا المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوايح
 مكان القينات فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مراءين وأمرهم أن يكونوا
 أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهى عن الشيء أمر بضده (ويصدون عن سبيل الله) أى
 ويمنعون الناس الدخول في دين الله (والله بما يعملون محيط) لا يخفى عليه شئ لأنه محيط بأعمال
 العباد كلها فيجازيهم بأعمالهم (وإذ) أى واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم إذ (زين لهم)
 أى المشركين (الشيطان) أى ابليس (أعمالهم) الخبيثة بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا
 الخروج من أعدائهم عن بكرين الحرث جاء ابليس وجند من الشياطين معه راية فقتل لهم
 في صورة سراقه بن مالك بن جهمش الشاعر الكفاي وكان من أشرفهم (وقال) غار اللهـم
 في أنفسهم (لأغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم) أى يحاربكم من كنانة (فلما
 ترامت الفتان) أى التقي الفريشان رأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله
 ابليس أنهم لا طاعة لهم بهم (نكص على عقبيه) قال الضعالبولى مدبراً وقال النضر بن شميل
 رجع القهقرى على قضاء هاربا (وقال انى يرى منكم) قال الكلبي لما التقي الجمعان كان ابليس
 في صف المشركين على صورة سراقه بن مالك وهو أخـ ذبيذ الحرث بن هشام فنكص عدو الله
 ابليس على عقبيه فقال له الحرث الى أين أتختـ ذلنا في هذه الحالة فقال له عدو الله ابليس
 (انى أرى ما لا ترون) ودفع في صدر الحرث وانطلق فانهزم وقال الحسن رأى ابليس جبريل
 بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب قال قتادة قال ابليس انى
 أرى ما لا ترون وصدق وقال (انى أخاف الله) وكذب واقفه ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له
 ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وذلك من عادة عدو الله ابليس لعنه الله لمن أطاعه إذا التقي الحق
 والباطل أسلمهم وقبر أمهم وقال عطاء خاف ابليس ان يهلكه الله تعالى فحين يهلك وقيل
 أخاف الله عليكم وقيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة تنزل من السماء خاف أن
 يكون الوقت الذى أنظر اليه قد حضر فقال ما قال اشنافا على نفسه * ولما انهزموا وبلغوا مكة
 قالوا هزم الناس سراقه فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمةكم فلما أسلموا علموا
 أنه الشيطان وقوله تعالى (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلام ابليس أى انى أخاف
 الله لأنه شديد العقاب وأن يكون مستأنفاً أى والله شديد العقاب لمن خلفه وكفر به (فان قيل)
 كيف يقدر ابليس أن يتصور بصورة البشر وإذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطاناً
 (أجيب) بأن الله تعالى أعطاه قوة وأقدره على فعل ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على
 أن يتشكوا بصورة البشر لكن النفس الباطنية لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما روى ابليس يومافه أمـ فـر ولا دجـر ولا أحقر ولا أعظم
 منه يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من نزول الرحمة ونجا وزاqqه عن الذنوب العظام الا ما كان

من يوم بدر (اذ) أى واذا كراذ (يقول المنافقون) أى من أهل المدينة والمنافق هو من يظهر
 الاسلام ويخفى الكفر كما أن المرائى هو من يظهر الطاعة ويخفى المعصية (والذين فى قلوبهم
 مرض) أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقع الاسلام فى قلوبهم
 ولم يتمكن فلما خرج قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما
 نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غزوهؤلاء) المسلمين (دينهم) اذ خرجوا مع
 قلتهم ومقاتلون الجمع الكثير توهموا أنهم ينصرون بسببه فقتلوا جميعا منهم قيس بن الوليد بن
 المغيرة وعدي بن أمية بن خلف الجمحي والعاص بن أمية بن الحجاج قال تعالى فى جوابهم (ومن
 يتوكل على الله) أى يتوكل به يغلب (فإن الله عزيز) أى غالب على أمره (حكيم) أى فى صنعه يفعل
 بحكمته البالغة ما يستبعد العقل ويجهز عن ادراكه ولمارش تعالى أحوال هؤلاء
 الكفار شرح أحوال موتهم والعذاب الذى يصل اليهم فى ذلك الوقت بقوله تعالى (ولو ترى)
 أى عاينت وشاهدت يا محمد (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى يقبض أرواحهم عند الموت
 (يضربون وجوههم وأدبارهم) أى ظهورهم واستأخروهم قال البيضاوى ولعل المراد
 نعيم الضرب أى يضربون ما أقبل منهم وما أدبر بقامع من حديد (و) يقولون لهم (ذوقوا
 عذاب الحريق) أى النار قال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا
 وجوههم بالسيف واذا أولوا ضربوا أدبارهم فلاحرم قلوبهم الله بمشئله فى وقت نزع الروح
 وجواب لو محذوف والتقدير رأيت منظرها ثلاثا وأمر افطعها وعقابا شديدا والملائكة
 مرفوع بالفعول ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون فى قوله يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة
 مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر (ذلك) أى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق
 (بما) أى بسبب ما (قدمت) أى كسبت (أيديكم) من الكفر والمعاصى وانما عبر بالأيدي دون
 غيرها لأن أكثر الأفعال تراول بها والتعميق أن الانسان جوهر واحد وهو الفاعل
 وهو الدال وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصى وهذه الاعضاء آلة وأدوات
 فى الفعل فأضيف الفعل فى الظاهر الى الآلة وهو فى الحقيقة مضاف الى جوهر ذات
 الانسان (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يعذب أحدا من خلقه بغير ذنب وظلام لتكثير
 لاجل العبيد أى أنه بمعنى ذى ظلم (كذاب) أى دأب هؤلاء الكفار بكفرهم مثل دأب (آل
 فرعون) وهو عادتهم وعلمهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه فجوزى هؤلاء بالقتل والأسير
 بدرهم كما جوزى آل فرعون بالاغراق وأصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان
 دأب فى كذا أى دام عليه وسميت العادة دأبا لأن الانسان مداوم على عادته مواظب
 عليها (والذين من قبلهم) أى من قبل آل فرعون وقوله تعالى (كفروا بآيات الله)
 تفسير لدأب آل فرعون (فأخذهم الله بذنوبهم) أى بسبب كفرهم كما أخذ هؤلاء
 (إن الله قوى) أى على ما يريد فيفتقم عن كفر وكذب رساله (شديد العقاب) عن كفر
 وكذب رساله وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى ما قبلهم من العقاب (بأن) أى

بسبب ان (الله لم يغير انعمه أنعمها على قوم) أي مبدلها بالنقمة (حتى يغيروا ما بانفسهم)
 أي بأن يتدلو ما بهم من الحال الى حال أسوأ منه (فان قيل) فما كان من تغيير آل فرعون
 ومشركي مكة حتى غير الله تعالى نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مستحسنة
 (أجيب) بأنه تعالى كما يغير الحال المرضية الى المستحسنة يغير الحال المستحسنة الى المخطئة
 منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كفرة عبدة أو ثبات فلما بعث اليهم بالآيات
 البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه وغيروا حالهم الى أسوأ مما كانت
 عليه فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وان الله سميع) لما يقولون
 (عليهم) بما يفعلون (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فأهلكناهم
 بذنوبهم) أي أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالنسف وبعضهم بالجحارة وبعضهم بالريح
 وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأعزقنا آل فرعون) أي هو وقومه
 (فان قيل) ما فائدة تكرير هذه الآية مرة ثانية (أجيب) بأن فيها فوائد منها أن الكلام الثاني
 يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الكلام الاول فيه ذكر أخذهم وفي الثاني ذكر
 اغراقهم وذلك تفصيل ومنها أنه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بايات الله وفي الآية الثانية
 أنهم كذبوا بايات ربهم ففي الآية الثانية اشارة الى أنهم كذبوا بها مع بخودهم لها وأقرهم بها
 ومنها أن تكرير هذه القصة للتأكيد ولما يسط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم
 وبيان ما أخذ به آل فرعون ومنها أن الاولى لسياسة الكفر والثانية لسياسة التغيير والنقمة
 بسبب تغييرهم ما بانفسهم (وكل) أي من الفرق المكذبة أو من غرق القبط وقتل قريش (كانوا
 ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي وغيرهم بالاضلال واضعين الآيات في غير موضعها وهم
 يظنون بأنفسهم العدل ولما وصف تعالى كل الكفار بقوله تعالى وكل كانوا ظالمين أفرد بعضهم
 بجزية في الشر والغشاد فقال (ان شر الدواب عند الله) في حكمه وعلمه (الذين كفروا) أي أصروا
 على الكفر (فهم لا يؤمنون) أي لا يتوقع منهم ايمان وقوله تعالى (الذين عاهدت منهم ثم
 ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل البعض من الذين كفروا وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوا أي يساعدوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح
 وقالوا نسبنا وأخطأنا ثم عاهدتهم فنكثوا وما لؤا معهم يوم الخندق وانطلق **كعب بن**
الاشرف الى أهل مكة فخالفهم وانما جعلهم الله تعالى شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر
 الكفار المصرون منهم وشر المصيرين لنا كثون اليهود (وهم لا يتقون) الله في حذرهم
 (فاما) فيه ادغام ان الشرطية في ما الزائدة (تثقفهم) أي تجسد هؤلاء الذين نقضوا العهد
 وظفرت بهم (في الحرب فشرد) قال ابن عباس فنسكل بهم أي هؤلاء الذين نقضوا العهد
 (من خلفهم) أي من وراءهم من أهل مكة واليمن وغيرهما فيخافون أن يفعل بهم كفعول هؤلاء
 وقال عطاء أنخن فيهم القتل حتى يخافك غيرهم (لعلهم) أي الذين خلفهم (يذكرون) أي يتعلمون
 بهم (واما تخافن) أي تعلم يا محمد (من قوم) عاهدتهم (خيانة) في العهد بامارات تلوح لك

كما ظهر من قريظة والتبصر (قائلاً) أي اطرح عهدهم (اليوم) وقوله تعالى (على سواء) حال
 أي مستويًا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لتلايته مولدًا بالعدا إذا نصبت
 الحرب معهم (إن الله لا يحب الخائنين) أي في نقض العهد أو غيره روي أن معاوية
 كان بينه وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء
 رجل على فرس أو برزون وهو يقول الله أكبر الله أكبر فوافاه لا غدرا فإذا هو عمر بن
 عتبة فأرسل إليه معاوية بسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه
 وبين قوم عهد فلا ينبذ عقده ولا يحلها حتى ينقض أمدها أو ينذ إليهم على سواء فرجع معاوية
 قال الرازي حاصل الكلام في هذه الآية أنه تعالى أمره بقتل من نقض العهد على أفعج الوجوه
 وأمره أن يتناعد على أقصى الوجوه من كل ما يوجب نقض العهد ونقضه قال أهل العلم إذا ظهرت
 آثار نقض العهد من عاينهم من المشركين بأمر ظاهر مستفيض أمّا أن يظهر ظهوراً
 محتملاً أو ظهوراً مقطوعاً به فإن كان الأول وجب الإعلام عليه على ما هو مذكور في هذه الآية
 وذلك أن قريظة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بألفين ومن معه من المشركين
 إلى مظاهرتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فحصل للنبي صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به
 وبأصحابه فهنا يجب على الإمام أن ينبذ إليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما إذا ظهر نقض
 العهد ظهوراً مقطوعاً به فهنا لا حاجة إلى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم إلا
 وحش النبي صلى الله عليه وسلم عن الظهران وذلك على أربعة فرائض من مكة ولما بين تعالى
 ما يفعله صلى الله عليه وسلم في حق من يجده في الحرب ويتمكن منه وذكر أيضاً ما يجب أن يفعله
 فيمن ظهر منه نقض العهد بين أخصاؤه من فاته في يوم بدر وغيره لكي لا تنبى حسرة في قلبه فقد
 كان فيهم من بلغ في أذية النبي صلى الله عليه وسلم مبلغاً عظيماً بقوله تعالى (ولا تحسبن الذين
 كفروا سيقوا) أي خلصوا من القتل والأسر يوم بدر (انهم لا يعجزون) الله أي لا يفوتونه بهذا
 السبق في الانتقام منهم أمّا في الدنيا بالقتل وأمّا في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى
 الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم يتقم منه فأعلمه الله تعالى أنهم لا يعجزونه وقرأ ابن عامر
 وحزرة وحفص بن يحيى بالبلاء على الغيبة على أن الفعل للذين كفروا والباقيون بالتاء على الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشرد من صدره منه نقض
 العهد إلى من خاف منه النقص وافق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قصدوا الكفار بلا
 آلة ولا عدة أمرهم في هذه الآية بالأعداد لسهولة الكفار بقوله تعالى (وأعدوا لهم) أي لقتالهم
 (ما استطعتم من قوة) الأعداد اتخذ الشيء الوقت الحاجة إليه وفي المداينة قوة أقوال الأول
 الرمي وقد جاءت مفسرة به عن النبي صلى الله عليه وسلم لم فيما رواه عتبة بن عامر قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم إلا أن القوة الرمي ثلاثاً
 أخرجه مسلم وعن أبي أسيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين

قوله فرجع معاوية
 في نسبه عما قبله
 تأمل اه صحه

حقة فمنا قرش وصفوا لنا اذا كبسوكم فعليكم بالنبل وفي رواية ليس من الله وهو الاثلاثة
 تأديب الرجل فرسه وملاعبة أهله ورميه بقوسه أى نبله فانهم من الحق ومن ترك الرى بعد
 ما علمه رغبة عنه فانهم انعمة تركها أو كفرها أخرجه الترمذى والثانى انها الحصون والثالث
 انها جميع الاسلحة والآلات التى تكون لكم قوة فى الحرب على قتال عدوكم وقوله تعالى
 (ومن رباط الخيل) مصدريعى جسدتها فى سبيل الله سواء كانت ذكورا أو أناثا وقال عكرمة
 المراد الاثا وروى عن خالد بن الوليد انه قال لا يركب فى القتال الا الاثا لنفسه فصح لها وعن
 ابى حمير بنه قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصغوف وأنات الخيل عند
 البسات والغارات وقيل ربط الفحول أولى لانها أقوى على الكثرة والقر يزيد للآل وروى
 عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله
 ايماناً بالله ونصيدياً بقاؤه فان شبعه ووربه وبوله وروثه يوم القيامة يعفى حسنة
 وعن عروة البارقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم
 القيامة الاجر والمغنم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرق قال ما أنزل على فيها الا هذه
 الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ترهون)
 أى تخوفون (به) أى تلك القوة أو بذلك الرباط (عدوا لله وعدوكم) أى الكفار من أهل مكة
 وغيرهم وذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع
 الاسلحة والآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة لجهادها فقومهم فلا يقدرون دخول دار الاسلام
 بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار فى الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين (و) ترهون (آخرين من
 دونهم) أى غيرهم وهم المنافقون لقوله تعالى (لأنهم معكم يقولون بالسنهم ما ليس
 فى قلوبهم) (الله يعلمهم) أى انهم منافقون (فان قيل) المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب
 ما ذكره الارهاب (أجيب) بأن المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأسلحتهم كان
 ذلك مما يخوفهم ويقطع طمعهم من أن يصيروا غالبين فيصلمهم ذلك على أن يتركوا الكفر من
 قلوبهم ويواطئهم ويصيروا محصلين فى الايمان وقيل هم اليهود وقيل الفرس (وما تنفقوا من
 شئ) وان قل (فى سبيل الله) أى طاعته جهادا كان أو غيره (يوفى اليكم) قال ابن عباس أجره
 أى لا يضيع فى الآخرة أجره ويجهل الله عوضه فى الدنيا (وانتم لا تظنون) أى لا تنصرون من
 الثواب ولما سئل ابن عباس عن هذا التفسير تلا قوله تعالى آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ولما بين
 تعالى ما يرهبه العدو من القوة والاستظهار بين جواز الصلح بقوله تعالى (وان جنحوا)
 أى مالوا (للسلم) أى الصلح (فاجتمع) أى غل (لها) وعاهدهم وتأنيت التفسير فى لها لجل السلم مع انه
 مذكر على فته وهو الحرب قال الشاعر

السلم تأخذ منها ما رضى به * والحرب يكفيك من انفسها جرح

فأنشئ السالم فى تأخذ مجاهدا على فته وهو الحرب وعن ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله
 تعالى فقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله تعالى فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم

وقال غيرهما الصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
أو سلم وليس يحتم أن يقتلوا أبداً أو يجلبوا الى الهدنة أبداً وهذا ظاهر وقرأ شعبة بكسر السين
والباقون بالفتح (وتوكل على الله) أى فوض أمرك اليه فيما عقدته معهم ليكون عونك في
جميع أحوالك (انه هو السميع) لا قوا لهم فهو يسمع كل ما يروونه في ذلك وفي غيره كما يسمعه
اللائية (العاليم) بنياتهم فهو يعلم كل ما أخفوه كما انه يعلم كل ما أعلنوه (وان يريدوا) أى الكفار
(أن يحددوا لك) أى باظهار الصلح ايمتعدوا لك (فان حسبك) أى كافيك (الله هو الذى أيدك
بنصره) فى سائر أيامك فان أمر النبي صلى الله عليه وسلم من أول حياته الى وقت وفاته كان أمراً
الهيما وتديراً علويما وكان لكسب الخلق فيه مدخل (و) أيدك (بالمؤمنين) أى الانصار (فان
قبل) فاذا كان الله تعالى مؤيداً بنصره فأى حاجة مع نصره تعالى الى المؤمنين (أجيب) بأن
التأييد ليس الا من الله تعالى داعماً لكنه على قسمين أحدهما ما يحصل من غير واسطة اسباب
معلومة معنادة والثانى ما يحصل بذلك فالأول هو المراد من قوله تعالى أيدك بنصره والثانى هو
المراد من قوله تعالى وبالمؤمنين والله تعالى هو سبب الاسباب وهو الذى أقامهم بنصره ثم بين
تعالى كيف أيدهم بالمؤمنين بقوله تعالى (وألف) أى جمع (بين قلوبهم) وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث الى قوم أنفقتهم شديدة وجميعهم عظيمة حتى لو أن رجلاً من قبيلة لطم لطمه واحدة
فانفلت عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره ثم انهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أباه وأخاه
وابنه واقفوا على الطاعة وصاروا أنصاراً دعاة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبدلها
بالحبة القوية بما لا يدع عليها الا الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لوانتفت ما فى الارض جميعاً ألفت بين قلوبهم) أى
تناهت عداوتهم الى حد لوانتفت فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم تقدر على
الالفة والصلاح بينهم (ولكن الله ألفت بينهم) بقدرته البالغة فانه تعالى المالك للقلوب يقلبها
كيف يشاء (انه) أى الله تعالى (عز بن) أى غالب على أمره لا يعصى عليه ما يريد (حسبك)
لا يخرج شئ عن حكمته وقيل الآية نزلت فى الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع
ما أهلك ساداتهم ورؤساءهم فأنساهم الله تعالى ذلك وألف بين قلوبهم بالاسلام حتى تصادقوا
وصاروا أنصاراً وما ذلك الا باطراف صنعه وبلغ قدرته (بأنبياء النبي) أى كافيك
(الله) (فان قيل) هذا مكرر (أجيب) بأنه تعالى لما وعده بالنصر عند محاربة الاعداء
وعده بالنصر والنظر فى هذه الآية مطلقاً على جميع التقديرات فلا يلزم حصول التكرار لان
المعنى فى الآية الاولى ان ارادوا خداعك كفاك الله تعالى أمرهم والمعنى فى هذه الآية عام
فى كل ما يحتاج اليه فى الدين وقوله تعالى (ومن اتبعك من المؤمنين) اما فى محل نصب على
المفعول معه كقول الشاعر **فحسبك والضحاك سيف مهند** يروى الضحاك بالنصب على انه
مفعول معه والمعنى كفاك وكفى اتباعك المؤمنين الله ناصر أو رفع عطفاً على اسم الله تعالى
أى كفاك الله وكفى المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال وعن سعد بن

جبراً أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فقيم الله تعالى
 به الأربعين فنزلت هذه الآية (يا أيها النبي حرض المؤمنين أي حثهم على القتال) للكفار
 والتخريض في اللغة كالتخصيص وهو الخش على الشيء (أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
 مائتين) منهم (وأن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) وهذا خبر بجمع الأمر
 أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة ألف قتال عشرة أمثالكم * (تنبيه) * تهديد ذلك
 بالصبر يدل على أنه تعالى ما أوجب هذا الحكم إلا بشرط كونه صابراً قادراً على ذلك وإنما
 يحصل هذا الشرط عند حصول أشياء منها أن يكون شديد الأعضاء قوي بالجلد وأنها أن يكون
 قوى القلب شديد البأس شجاعاً غير حبان ومنها أن يكون غير متحرف لقتال أو متصبر إلى فتنة
 فإن الله تعالى استثنى هاتين الحالتين في الآيات المتقدمة فعند حصول هذه الشروط كان يجب
 على الواحد أن يثبت للعشرة (فإن قيل) حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد يثبت للعشرة
 فما الفائدة في العدول إلى هذه العبارة المطولة (أجيب) بأن هذا إنما ورد على وفق الواقعة
 فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص
 عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذين العددين
 وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالتاء على التانيث والباقون بالياء على التذكير (بأنهم) أي
 بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أي جهلة بالله تعالى واليوم الآخر فلا يقا تلوا طلب ثواب
 وخوف عقاب إنما يقا تلون حية فاذا صدقتموه في القتال لا يثبتون معكم وكان هذا يوم بدر
 فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المسلمين قتال عشرة من الكافرين فنقلت على المؤمنين
 قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف بهذه الآية صاح المهاجرون وقالوا يا رب نحن جبايع
 وعدونا شبايع ونحن في غربة وعدونا في أهلهم ونحن قد أخرجنا من ديارنا وأموالنا وعدونا ليس
 كذلك فسخنها الله تعالى بقوله تعالى (الآن خفف الله عنكم) أيها المؤمنون (وعلم أن فيكم
 ضعفاً) أي في قتال الواحد للعشرة (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وأن يكن
 منكم ألف يغلبوا ألفين) منهم (بأن الله) أي بأمره تعالى فرقوا من العشرة إلى اثنين فإذا كان
 المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز أن يفرروا وقال عكرمة إنما أمر الرجل أن يصبر
 لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله تعالى عنهم وقال ابن
 عباس رضي الله عنهم ما أبحر رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين)
 بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون قال سفيان بن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر مثل ذلك ونزل لما أخذوا القدماء أسرى بدر (ما كان) أي ما صبح وما استقام (لنبي أن
 تكون له أسرى) قرأ أبو عمرو وبالتاء على التانيث والباقون بالياء على التذكير (حتى يرضى في
 الأرض) أي يصكر قتل الكفار ويبلغ فيه حتى يذل الكفر ويقبل حربه ويعز الإسلام
 ويستولى أهله لأن الملك والدولة إنما تقوى وتشتد بالقتل قال الشاعر
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

روى انه صلى الله عليه وسلم أتى يوم بدر سبعين أسيراً فيهم العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
 وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر رضي الله عنه قومك وأهلك استبقهم
 أحسن الله تعالى أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه
 كذبوك وأخرجوك فقد همهم وأضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن
 القدامك علياً من عقيل وحزرة من العباس ومكثي من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم وقال
 عبد الله بن رواحة بأمر رسول الله أنظر وأذا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرهم عليهم ناراً فقال له
 العباس قطعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلهمهم ثم دخل فقال ناس يأخذ
 يقول أبي بكر وقال ناس يأخذ يقول عمر وقال ناس يأخذ يقول ابن رواحة ثم خرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد
 قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال من تعني فإنه معنى
 ومن هصاني فأنك غفور رحيم ومثل عيسى في قوله وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم
 ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذرعني الأرض من الكافرين دياراً ومثل موسى حيث قال
 ربنا اطمس على أموالهم ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قول أبي بكر روى انه صلى الله
 عليه وسلم قال لعمر يا أبا حفص وكان ذلك أول ما تكلم أنا مرفي أن أقتل العباس فجعل عمر
 يقول ويل لعمر شركته أمه ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة ولا يغلق أحد منهم الأبواب وأضرب
 عنق فقال ابن مسعود الأسهلي بن يضاء فاني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم واشتد خوفه فإرا يتقي يوم أخوف من أن تقع على الحجارة من السماء من
 ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسهلي بن يضاء ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم للقوم ان شئتم قتلوهم وإن شئتم فادبوهم واستمدهم منكم بعدتهم فقالوا بل
 نأخذ الفداء فاستمدهم وأبأ أحد وكان فدا الأسارى عشرين أوقية والأوقية أربعون درهماً
 فيكون مجموع ذلك ألفاً وستين درهماً وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف
 قال عمر رضي الله عنه فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأبو بكر رضي الله عنه يسيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء يسبكي أنت وصاحبك
 فان وجدت بكاً بكيت وإن لم أجد بكاً لم أكبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على
 أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة منه
 (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) بأخذ فداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا
 عرضاً لأنها لا تلبث لها أولادوام فكأنها تعرض ثم تزول يضاف لاف منافع الاستحرة (والله يريد
 لكم) (الاستحرة) أي نواهبها بقرم المشركين ونصرهم الدين (والله عزيز) لا يهزم ولا يغلب
 (حكيم) أي لا يصد رمنه فعل الأوهو في غاية الاتقان قال ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون
 يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى في الأمرى فامنا بعد ما فداء فجعل
 الله تعالى نبيه والمؤمنين في أمر الأسرى بالخيار وإن شأوا قتلوه وإن شأوا فادوهم وإن شأوا

أعقوبهم أي فهذه الآية تسبعت تلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الغنائم حرام على
الأنبياء والامم وكانوا إذا أسباوا مغنما جعلاوه للقرىبان وكانت تنزل نارسا من السماء فتأكله فلما
كان يوم بدر أسرع المؤمنون وأخذوا الفداء فأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق) أي لولا
قبض الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم (المسك) أي لئلا لكم (فبما أخذتم) أي من
الفداء (عذاب عظيم) وقال الحسن ومجاهد لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحد ممن شهد
بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد إلا أحب الغنائم إلا عمر
ابن الخطاب فإنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الأسرى وسعد بن معاذ قال يا رسول
الله كان الانحناء في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل
من السماء عذاب ما نجأتم غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ روى لما نزلت هذه الآية كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم أن يأخذوا من الفداء فزلت (فكلوا مما غنمتم) أي من
الفداء فإنه من جملة الغنائم (حلالا طيبا) فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة وقال صلى
الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لم تحل
الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل لنا الغنائم ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا (فان قيل)
ما معنى القام في قوله تعالى فكلوا (أجيب) بأنها سبيية والسبب محذوف تقديره أجيبت لكم
الغنائم فكلوا وبهذه تشب من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة وحلالا حال من
المغنوم أو وصفه للمصدر رأى أكلا حلالا وفائدته إراحته ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك
المعاملة ولذلك وصفه بقوله طيبا (واتقوا الله) في مخالفة (إن الله غفور) غفر ذنوبكم (رحيم)
أباح لكم ما أخذتم وقوله تعالى واتقوا الله إشارة إلى المستقبل وقوله تعالى إن الله غفور
رحيم إشارة إلى الحالة الماضية ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء من الأسارى وبق
عليهم أخذوا موألهم منهم ذكر الله تعالى هذه الآية استمالا لهم فقال عز من قائل (يا أيها النبي
قل لمن في أيديكم من الأسارى) قرأ أبو عمرو وبضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف والباقون بفتح
الهمزة وسكون السين ولا ألف بعدها وإمال الالب بعد الراء أبو عمرو وحزرة والكسائي محضة
وورش بينين (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي خلوص إيمان وصحة نية (بؤتكم خيرا مما أخذ
منكم) من الفداء قال ابن عباس نزلت في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث كان
العباس أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجهما ليطعم الناس فكان أحد
العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تطفه النوبة حتى أسرف فقال العباس كنت مسلما
الأنهم الزموني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فوالله يجزيك وما ظاهرا أمرنا
فقد كان علينا قال العباس وكنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك ذلك الذهب لي فقال
أما نرى خرجت به تسعين به علينا فلا قال فكافى فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية
وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد أنك كفت قريشا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأين ما دفعته إلي أم الفضل وقت خروجك من مكة وقت إيهاما أدرى ما يصيبني فإن

حدثني حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي
قال أخبرني به ربي فقال العباس أنا أشهد أنك صادق وأشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله
واقه لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فاما إذ
أخبرتني بذلك فلأرب قال العباس فأبدلني الله خيراً من ذلك إلى الآن عشرون عبداً وإن أذنهم
ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زعزماً وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر
المغفرة من ربي وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً فتنوا
لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على جملة وكان يقول
هذا خير مما أخذتني وأنا أرجو المغفرة من ربكم يعني الدعوة بقوله تعالى (ويغفر لكم والله غفور
رحيم) واختلف المفسرون في الآية ثلاث في العباس خاصة أو في جملة الأسارى قال بعضهم
إنهم أنزلت في الكل قال الرازي وهذا أولى لأن ظاهر الآية يقتضي العموم من ستة أوجه أحدها
قوله تعالى قل لن في أيديكم وثانيها قوله تعالى من الأسرى وثالثها قوله تعالى إن يعلم الله في قلوبكم
خيراً وربها قوله تعالى يؤتكم خيراً وخامسها قوله تعالى مما أخذ منكم وسادسها قوله تعالى ويغفر
لكم فدللت هذه اللفاظ الستة على العموم فما الموجب للتخصيص أقصى ما في الباب أن يقال
سبب نزول هذه الآية هو العباس الآن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وان يريدوا)
أي الأسارى (خيائسك) أي بما أظهر وأمن القول (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه
المأخوذ بالعهد (من قبل) أي قبل بدر (فأمكن منهم) يدر قتلوا وأسرأ فليسوا قوماً مثل ذلك إن
عادوا (والله عليم) بما في بواطنهم وضمايرهم من إيمان وتصديق وخيانة (حكيم) أي بالغ الحكمة
فهو يتقن كل ما يريد فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيطعهم لا محالة وكذا فعل تعالى في
ابن عزة الجعبي فإنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في المني عليه بغير شيء فقره وعياله وعاهده على
أنه لا يظاها عليه أحد منهم خان فظفر به في غزوة جراء الأسد عقب يوم أحد أسيراً فاعتذله وسأله
العفو عنه فقال لا لا بلدغ المؤمن هجروا حدمرتين وأمر به فضربت عنقه (إن الذين آمنوا) أي
بالله ورسوله (وهاجروا) أي وأوقعوا الهجرة من بلاد الشرك ولهم المهاجرون الاقولون هجروا
أوطانهم وعشائرهم وأحبابهم حباقه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (وجاهدوا) أي
وأوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر (بأموالهم) وكانوا في غاية العزّة في أول
الامر (وأفسمهم) بأقدامهم على القتال مع شدة الأعداء وكثرتهم وقدم المال لانه سبب قيام
النفس أي بانفاقهم لها في الجهاد وتضييع بعضها بالهجرة من الديار والتخيل وغيرها وأخر
قوله تعالى (في سبيل الله) لذلك وفي سببية أي جاهدوا بسببه حتى لا يصد عنه صاد ويسهل المرور
فيه من غير قاطع (والذين آووا) أي من هاجر اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فأسكنوهم في ديارهم وقسموا لهم من أموالهم وعرضوا عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم
ليترقبوهن (ونصروا) أي الله ورسوله والمؤمنين وهم الأنصار رضى الله عنهم حازوا هذين
الوصفين الشرعيين فكانوا في الذروة من هذين الجنسيتين ولكن المهاجرون الاقولون أعلى منهم

لسبقهم في الايمان الذي هو رئيس الفضائل ولجلهم الاذى من الكفار زمانا طويلا وصبرهم
 على فقرة الامل والاطمان وأشار تعالى الى القسمين باداة البعد لعل مقامهم فقال (أولئك) أى
 العالو الرتبة (بعضهم) ولى بعض أى دون أثارهم من الكفار قال ابن عباس في الميراث فكانوا
 يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوى الارحام **وكان** من آمن
 ولم يهاجر لارث من قريسه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطع الهجرة وتوارثوا بالارحام حيث
 كانوا وصاد ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله (والذين
 آمنوا ولم يهاجروا) أى آمنوا وأقاموا بكة (مالككم من ولايتهم من شئ) أى فلا ارث بينكم
 وبينهم ولا نصيب لهم في الفجعة حتى يهاجروا أى الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) أى
 ولم يهاجروا (فعليكم النصر) أى فيجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الاعلى قوم ينسبكم
 وبينهم ميثاق) أى عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (والله بما تعملون بصير) في ذلك
 ترغيب في العمل بما حث عليه من الايمان والهجرة وغير ذلك مما تقدم وترهيب من العمل
 باضدادها وفي البصير اشارة الى العلم بما يكون من ذلك خالصا ومشوبا فافيه مزيد حث على
 الاخلاص (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أى في النصر لان كفار قريش كانوا معادين
 لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا وفي الميراث فربث بعضهم
 بعضا ولا ارث بينكم وبينهم (الانفعلو) أى ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض
 حتى في الميراث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن) أى تحصل (قننة) أى عظيمة (في الارض)
 بضعف الايمان وقوة الكفر (وفساد كبير) في الدين ولما تقدمت أنواع المؤمنين المهاجروا والانصار
 والقاعد وذكر أحكام موالاتهم أخذ بين نفاوتهم في الفضل بقوله تعالى (والذين آمنوا) أى بالله
 ورسوله وما أتى به (وهاجروا) في الله تعالى من يعادى نبيه صلى الله عليه وسلم سابقين (وجاهدوا
 في سبيل الله) بما تقدم من المال والنفس وغيرهما فبذلوا الجهد في اذلال الكفار ولم يذكر آلة
 الجهاد لانها مع تقدم ذكرها لازمة (والذين أووا) أى من هاجر اليهم (ونصروا) أى حزب الله
 (أولئك هم المؤمنون) أى الكاملون في الايمان (حقا) أى لانهم حققوا ايمانهم بتصديق
 مقتضاء من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ثم وعدهم الموعد الكريم بقوله تعالى
 (لهم مغفرة) أى لزلاتهم وهفواتهم لان مبنى الاذى على العجز اللازم عند التقصير وان اجتهد
 ولن يشاد الدين أحد الا غلبه **وما** ذكر تطهيرهم بالمغفرة ذكر تركبتهم بالرحمة بقوله تعالى (ورزق)
 أى من الغنائم وغيرها في الدنيا والاخرة (كريم) أى لاتبعة ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين
 من يستلحق بهم ويتسم بسمتهم بقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد) أى بعد السابقين الى الايمان
 والهجرة (وهاجروا) أى لاحقين للسابقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم من هاجر بعد
 المدينة قال وهي الهجرة الثانية (وجاهدوا معكم) أى من تجاهدونه من حزب الشيطان
 (فأولئك منكم) أى من جانتكم أيها المهاجرون والانصار فلهم مالكم وعليهم ما عليكم من
 الموارث والمغانم وغيرها لان الوصف الجامع هو المدار الاحكام وان تأخرت رتبته عنكم بما

أفهمته اداة البعد (وأولوا الارحام) أي ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالمهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية فبين الله تعالى بها ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهم اذلك التوارث وقوله تعالى (في كتاب الله) أي في حكمه في اللوح المحفوظ أو القرآن وتسل أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى به ذمه على توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الشافعي رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي ينه في سورة النساء فصارت هذه السورة مقدمة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء في قسمة الموارث واعطاء أهل الترويض وفروضهم وما ينقضي فلا عصابات فوجب أن يكون المراد من هذا هو ذلك فقط فلا يعتد الى توريث ذوى الارحام ثم قال تعالى في ختم السورة (ان الله بكل شيء عليم) أي ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمه وصواب وصلاح وليس فيها شيء من العيب والباطل لأن العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب ونظيره ان الملازمة لما قالوا أن يفعل فيها من نفسه وفيها ويسفل الدماء قال الله تعالى بحسب الهم اني أعلم ما لا تعلمون أي كما علمتم يكونى عالم بكل المعلومات فاعلموا أن حكمي يكون منزها عن الغلط فكذلك اذنوا وقول البيضاوي في بعض النسخ تسبح تعال للرحمى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبرائة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برى من النفاق وأعطى عشر حسنات بعد ذلك مناقق ومناققة وكان العرش وجماله يستغفرون له أيام حياته في الدنيا حديث موضوع

(سورة التوبة مدنية)

الا آيتين من قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم وهي آخر ما نزلت وآيهامائة وثلاثون وقبل تسع وعشرون وعدد كلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة وحروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثمانون حرفا ولها عدة أسماء التوبة براءة المشقة البهوتة المبعثرة المنقورة المثيرة الحافرة الخزية الفاضحة المذكرة المشردة المدممة سورة العذاب وانما سميت بذلك لما فيها من التوبة للمؤمنين والفتنة من النفاق وهي التبرئ منه والبص من حال المنافقين وانارتها والخفر عنها وما يحجزهم ويفضهم ويشكهم ويشردهم ويدهم عليهم ولم تكتب فيها البسالة لانه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي ان البسالة أمان وهي نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء انها آخر سورة نزلت وقبل كان صلى الله عليه وسلم اذ انزل عليه سورة وآيتين موضعها قوفها ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتسامتها لان في الانفال ذكر اليهود وفي براءة تبذرها فضمت اليها قال القاضي يبعد أن يقال انه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة نالمة لسورة الانفال لأن القرآن مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نقل ولوجوزنا في بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله تعالى على سبيل الوجهي بل وزنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك يخرج عنه عن كونه

حجة بل الصحيح انه عليه الصلاة والسلام أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحيا وانه عليه الصلاة والسلام حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا والقول بأن قصتها تشابه قصتها وناسبها فنفقت اليها انما يسمونها انما اقلنا انهم انما وضعوا هذه السورة من قبل أنفسهم لهذه العلة وقيل ان العصاة رضى الله عنهم اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لأن كلتيهما نزلت في القتال ومجموعهما هو السورة السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدهما المؤن لانهم اما عاماتان وسف آيات فهما بمنزلة سورة واحدة ومنهم من قال سورتان فلما ظهر الاختلاف من العصاة في هذا تركوا بينهما فرجة تنبها على قول من يقول هما سورة واحدة وقال بعض أصحاب الامام الشافعي رضى الله عنه لعلى الله اعلم من بعض الناس انهم ينازعون في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن أمر أن لا يكتب ههنا ليلد ذلك على كونها آية من كل سورة فانها لما لم تكن آية من هذه السورة وجب كونها آية من كل سورة وقيل غير ذلك والصحيح من هذه الاقوال ما ذهب اليه القاضي من أن القرآن مرتب من قبل الله ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نقل وانه صلى الله عليه وسلم حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا وانما ذكرت هذه الاقوال تنهي عن الاذهان وقوله تعالى (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة وقوله تعالى (من الله ورسوله) من ابتدائية متصلة بمحذوف تقديره واصله من الله ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ تخصيصها بصفاتها والخبر (الى الذين عاهدتم) أى أوقعتم العهد بينكم وبينهم (من المشركين) أى وان كانت معاهدتكم لهم انما كانت باذن من الله ورسوله فكيف علمتم المعاهدة باذنهم ما قافوا النقص بها لما ودل سياق الكلام وما حواه من بديع النظام ان العهد انما هو لاجل المؤمنين واما الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فغنيان عن ذلك اما الله فبالغنى المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذى اختاره للمسالمة لانه ما فعل ذلك الا هو قادروا على نصره بسبب وبغير سبب روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون يتقضون يهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ونقض العهد بما يذكر في قوله تعالى (فسبحوا) أى سبحوا آمين أيها المشركون (في الارض أربعة أشهر) لا يهزض لكم فيها ولا أمان لكم بعدها وكان ابتداء هذه الاشهر يوم الحج الاكبر وانقضاؤها الى عشرين من ربيع الآخر وقال الأزهري هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم لانهم انزلت في شوال وقيل في ذى الحجة والحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرين من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم آمنوا فيها وحرم قتلهم وقتلهم أو على التغليب لأن ذى الحجة والحرم منها قال البغوي والاول هو الاصول وعليه الاكثرون اه وقيل العشرين من ذى القعدة الى عشرين من شهر ربيع الاول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسب الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية من ذى الحجة

وكان نزولها في سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله عنه على موسم الحج سنة تسع ثم اتبعه علياً رضي الله عنه
 راكباً العضباء ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأها على أهل الموسم فقبل له فوبعت به إلى
 أبي بكر فقال لا يؤذى عني إلا رجل مني فلما دنا على من أبي بكر سمع أبوبكر الرغاء فوقف وقال هذا
 رغاء ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل العضباء المشقوقة الأذن ولم تكن ناقته صلى الله
 عليه وسلم كذلك ولكن كان ذلك علماً عليها والرغاء بالمد صوت ذوات الخف قاله الجوهري فلما لحقه
 قال أميراً ومأموراً وروى أن أبابكر رضي الله عنه لما كان ببعض الطريق بهط جبريل وقال يا محمد
 لا يبلغن رسالتك إلا رجلاً منك فأرسل علياً رضي الله عنه فرجع أبو بكر رضي الله عنه وقال
 يا رسول الله أثنى نزل قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآسى فلما كان قبل التروية
 يوم خطب أبو بكر وحدهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال أيها الناس اني
 رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا أقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد
 ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع آيات أن أخبر وانا دى بها أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك
 ولا يظف به عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا
 عند ذلك أبلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراظهارنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الاطعن
 بالرمح وضرب بالسيف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (فان قيل) قد
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة لان يؤذوا عنه كثيراً ولم يكونوا من هجرته (أجيب) بأن
 هذا ليس على العموم بل مخصوص باليهود لان العرب عادتها أن لا يتولى العهد ونقضه على
 القبيلة الا رجل من الاقارب فلوقوله أبو بكر رضي الله تعالى عنه لما أذن يقولوا هذا خلاف
 ما يعرف فينا من نقض العهد وربما لم يقولوا فلم يخف عليهم بم توليته علياً ذلك وبدل على ذلك
 ان في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الرجل من أهلي وقيل لما خص أبابكر بتولية
 الموسم خص علياً بهذا التبليغ تطييباً للقلوب ورعاية للجوانب وقيل قرأ أبابكر على الموسم وبعث
 علياً خليفة لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر ويكون ذلك جارية بحجرتي تنبيه على علي
 امامة أبي بكر (فان قيل) ما وجه اطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم
 وقد صانها الله تعالى عن ذلك (أجيب) بأنهم قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبى قتال المشركين
 فيها (واعلموا انكم غير معجزى الله) أي لا تفوتونه وان أمهلكم (وأن الله محزى الكافرين)
 أي مذلهم في الدين بالقتل والامرو في الآخرة بالعداب (وأذن) أي اعلام واقع (من الله
 ورسوله الى الناس) اذا الاذن في اللغة الاعلام ومنه الاذن للصلاة فانه اعلام بوقتها وارتفاعه
 كارتفاع براءة على الوجهين (فان قيل) لم علقت البراءة بالذين عاهدوا ومن المشركين
 وعلقت الاذن بالناس (أجيب) بأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناس كثير منهم واما الاذن
 فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث
 (يوم الحج الاكبر) أي يوم عيد النحر لان فيه معظم أفعاله من طواف وفجر وحلق ورمي بجمع

فيه ولان الاعلام كان فيه وروى انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجرات في حجة الوداع فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر وروى ان علياً رضي الله عنه خرج يوم النحر على بقلية بيضاء يريد الجبانة فخافه رجل فأخذ بطعام دابته وسأله عن يوم الحج الأكبر فقال يومكم هذا نخل سبيلها وقيل يوم عرفته لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفته وقيل أيام منى كما بالآن اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقوله يوم صفين ويوم الجمل لان الحرب دامت في هذه الايام ويطلق عليهم ايوم واحد وقيل هو الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليمود وعيد النصراري وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده ووصف الحج بالاكثر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وانما قيل لها الاصغر لقصان أعمالها عن الحج وقيل وصف بذلك لما وافقته حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وقيل وصف بذلك لاجتماع اعياد الملل في ذلك اليوم وقيل لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين وقوله تعالى (ان الله يرى من المشركين) أي من عهودهم فيه حذف تقديره وأذن من الله ورسوله بأن الله يرى من المشركين وانما حذف الجار لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى (ورسوله) مرفوع على انه مبتدأ حذف خبره أي ورسوله كذلك وحكى ان اعرابياً سمع رجلاً يقرأ ورسوله بالجر فقال ان كان الله يرى من رسوله فأنامنه يرى قلبه الرب هل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي الواقعة فحينئذ أمر عمر بتعليم العربية وحكى أيضاً ان اعرابياً قدم في زمن عمر فقال من يقرئني مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجلاً برأه فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي أو قد يرى الله من رسوله ان يكن الله يرى من رسوله فأنا يرى منه فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الاعرابي فدعاه فسأله فأخبره الاعرابي بذلك فقال عمر لمس هكذا يا اعرابي فقال فكيف هي يا أمير المؤمنين فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالرفع فقال وأنا والله أبرأ مما يرى الله ورسوله منه فأمر عمر ان لا يقرأ القرآن الاعمال باللغة وأمر أبا الاسود الدؤلي فوضع النحو (فان تبين) أي من الكفر والغدر (فهو) أي ذلك الامر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أي من الافاقسة على الشرك وهذاترغب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليت) أي عرضت عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا انكم غير مهجزي الله) وذلك وعيد عظيم واعلام بأن الله تعالى قادر على انزال أشد العذاب بهم كما قال تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) أي مؤلم وهو القتل والاسرى في الدنيا والنار في الآخرة ولفظ البشارة هنا ورد على سبيل الاخباراً وعلى سبيل الاستهزاء كما يقال محبتهم الضرب واكرامهم الشتم وقوله تعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كآنة أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدينتهم وكان قد بقي من مدينتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا كما قال تعالى (ثم لم ينقضوكم شيئاً) أي من عهودكم التي عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) أي ولم يعاونوا (عليكم أحداً) من عدوكم (فأنعموا)

إليهم عهدهم الى قتلهم) أى الى انقضائها ولا تجزئهم مجرى الناكثين وقوله تعالى (ان الله يحب
 المتقين) تلعيل وتنبية على ان اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا انسحل) أى انقضى وخرج
 (الاشهر الحرم) التى حرم الله تعالى عليهم فيها قتالهم وضربت لأجل لسايتهم والتعريف مثله
 فى فارسنا الى فرعون رسولا فقصى فرعون الرسول والمراد به كونه حراما ان الله تعالى حرم
 القتل والقتال فيها وقيل هى وجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قال البضاوى وهذا يخل
 بالنظم أى نظم الآية اذ نظمها يقتضى نوال الاشهر المذكورة (فاقتلوا المشركين) أى الناكثين
 الذين ضرب بنم لهم هذا الاجل احسانا فركما (حيث وجدتموهم) أى فى حل أو حرم أو فى شهر
 حرام أو غيره (وخذوهم) أى بالامر (واحصروهم) أى بالحس عن ايمان المسجد الحرام
 والتصرف فى بلاد الاسلام فى القلاع والحصون حتى يضطروا الى الاسلام أو القتل (واقعدوا
 لهم) أى لاجلهم خاصة فان ذلك من أفضل العبادات (كل من صد) أى طريق يسلكونه
 ثلاثين طوافا فى البلاد واتصاب كل على الظرفية كقوله لا قعدن لهم صراطك المستقيم
 وقيل بنزع الخافض قال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن
 المشركين والصبر على أذى الاعداء (فان تابوا) أى عن الكفر بالايان (وأقاموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) تصديقات ربهم واما بينهم وبين الخلق وما بينهم وبين الخلق
 (فخلوا سبلهم) أى فدعهم ولا تعرضوا لهم بشئ من ذلك وفى هذه الآية دليل على ان ناول
 الصلاة وما نزع الزكاة لا يخل سبيله لانه ان كان جاحدا للوجوب ما فهو مرتد والقتل بترك
 الصلاة وأخذت منه الزكاة قهرا وقتل على ذلك كما نقل عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال لما
 توفى النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر كفرن من كفرن العرب قال عمر لابي بكر رضى الله
 تعالى عنهما كفف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس
 حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم من ماله ونفسه الا بحقة
 وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال
 والله لو منعونى عنها ما كانوا يؤذونى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عفا لا كانوا
 يؤذونى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت
 أن الله شرع صدرا بى بكر الى القتال فعرفت انه الحق (ان الله غفور) أى يبلigh المحول الذنوب
 التى تاب صاحبها عنها (رحيم) به (وان أحد من المشركين) أى الذين أمرت بقتالهم (استجارلكم)
 أى طلب أن تعامله فى الأكرام معاملة الجار بعد انقضاء مدة السباحة (فأجره) أى
 فأمنه ودافع عنه من يقصده بسوء (حتى يسمع كلام الله) أى القرآن بسمع التلاوة الدالة عليه
 فيه لم يذل ما يدعى اليه من المحاسن ويتحقق انه ليس من كلام الخلق (ثم) ان أراد الانصراف
 ولم يسلم (أبلغه ما آمنه) أى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه لينظر فى امره ثم بعد ذلك
 يجوز لك قتلهم وقتالهم من غير عدو ولا خيانة قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة
 (تنبيه) «أحد من فروع شغل مضمرة يفسره الظاهر وتقديره وان استجارلكم أحد ولا يجوز أن

يرتفع بالابتداء لان من عوامل الفعل فلا تدخل على غيره (ذلك) أى الأمر بالاجارة للفرص
 المذكور (أنهم) أى بسبب انهم (قوم لا يعلمون) أى لا علم لهم لانهم لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة
 ولا كتاب فاذا عملوا أو شئ أن ينفعهم العلم وقوله سبحانه وتعالى (كيف يكون للمشركين عهد
 عند الله وعند رسوله) استفهام معناه الحمد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله
 وهم يفترون وينقضون العهد (الذين عاهدتم) أى من المشركين (عند المسجد الحرام) يوم
 الحديبية وهم المستمنون قبل (فما استقاموا إليكم) أى أقاموا على العهد ولم ينقضوه (فاستقموا
 لهم) أى على الوفاء وهو قوله تعالى فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتتهم غير أنه مطابق وهذا مقيد
 وما يقتضيه الشرطية والمصدرية (إن الله يحب المتقين) أى من اتقى وفى بعهد ملن عاهده وقد
 استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه بأعانة بني بكر على خزاعة وقوله تعالى (كيف)
 تكرار للاستبعاد بنيات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم
 عهد ثابت (وإن) أى والحال انهم مضرون لكم الغدر والخيانة فهم ان (يظهروا إليكم) أى
 يعلوا أمرهم على أمركم بأن يظهروا بكم بعد العهد والميثاق (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (فيكم) أى
 في إذا كم بكل جليل وحقيق (ال) أى قرابة محقة قال حسان

لعمرك إن الله من قریش * كال السقب من رأل النعام

السقب ولد الناقة والرأل ولد النعامة والخطاب في لعمرك لاني سفيان أى لا قرابة بينك وبين
 قریش كما لا قرابة بين ولد الناقة وولد النعامة وقيل الإلهاء وقيل جبريل (ولأدمة) أى عهدا
 بل يؤذوك ما استطاعوا وقوله تعالى (رضونكم بأفواههم) أى بكلامهم كلام مبتدأ في وصف
 حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) أى عن
 الوفاء بخالفة ما فهمان الاضغان (وأكثرهم فاسقون) أى راسخوا الاقدام في الفسق (فإن
 قيل) الموصوفون بهذه الصفة كفار والكفر أقيح وأخبت من الفسق فكيف يحسن وصفهم
 بالفسق فهم معرض المبالغة في الذم وأيضاً الكفار كلهم فاسقون فلا يبقى لقوله وأكثرهم فائدة
 (أجيب) بأن الكافر قد يكون عدلاً في دينه فلا ينقض العهد وقد يكون فاسقاً خبيث النفس
 في دينه فينقضه فالمراد بالفسق هنا نقض العهد وكان في المشركين من وفى بعهد فلهذا
 قال وأكثرهم أى ان هؤلاء الكفار الذين من عادتهم نقض العهد أكثرهم فاسقون
 في دينهم وعند اقوامهم وذلك يوجب المبالغة في الذم وقال ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض
 أولئك الكفار قد أسلم وتاب فلهذا السبب قال وأكثرهم فاسقون حتى يخرج عن هذا الحكم
 أولئك الذين دخلوا في الاسلام (استتروا) أى استبدلوا (بآيات الله) أى القرآن (غنا قليلاً)
 أى عرضاً يسيراً من الدنيا وهو اتباع الاهواء والشهوات مع مصاحبة الكفر وذلك ان أباً
 سفيان بن حرب أطمح خلفاء وترك خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فنقض العهد الذي بينهم
 بسبب تلك الاكلة (قصداً) أى فتسبب لهم ذلك وأداهم إلى ان صدوا (عن سبيله)
 أى منعوا الناس من الدخول في دينه (انهم ساء) أى بش (ما كانوا يعملون) أى عملهم

هذا وما دل عليه قوله تعالى (لا يرقبون في مؤمن الا ولاة) فهو تفسير لا تكسر بر وقيل
 الاقل عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم اوسقيان
 وأطعمهم (وأولئك) أي هؤلاء البعداء من كل خير (هم المعتدون) الذين تعدوا وما حذر الله لهم
 في دينه وما وجبه العقد والعهد ولما بين تعالى حال من لا يرقب في الله الا ولاة وينقض
 العهد وينطوى على النفاق ويتعدى ما حذر الله تعالى له لين ما يصيرون به من أهل دينه بقوله تعالى
 (فان تابوا) أي رجعوا عن الشر إلى الايمان وعن نقض العهد إلى الوفاء به (وأقاموا الصلاة)
 أي المفروضة عليهم بجميع حدودها وأركانها (وآتوا الزكاة) المفروضة عليهم طيبة بها
 نفوسهم (فأخوانكم) أي فهم أخوانكم (في الدين) لهم مالكم وعليهم ما عليكم وقوله تعالى
 (وتفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للبحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال
 الثابتين (وان كنتم) أي نقضوا (ايمانهم) أي عهدوهم (من بعد عهدهم) الذي عاهدوكم
 عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) أي وجأوا
 دينكم الذي أنتم عليه وقد حوافيه (فقاتلوا أئمة الكفر) أي الكفار بأسرهم وانما خاص
 الأئمة منهم بالذكر لانهم هم الذين يحرضون الاتباع منهم على هذه الاعمال الباطلة وقال ابن
 عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وأبي جهل وسائر رؤساء قريش وهم الذين
 نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وقرأ نافع وابن كثير
 وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة وحقها الباقون وقول البضاوي والتصريح
 بالياء لحن تسبغ فيه الكشف التابع للفراء وهو مردود فالجهور من النصاة والقراء على جواز
 قلب الهمزة الثانية حرف لين فبعضهم على جعلها بين بين وبعضهم على قلبها ياء خالصة وقوله
 تعالى (انهم لا ايمان لهم) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة أي لا تصديق لهم ولا دين وليس في ذلك
 دلالة على أن توبة المرتد لا تقبل والباقون بالغن جمع عين أي لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم
 ليست بايمان والاماطعنا في دينكم ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذي اذا طعن في الاسلام
 فقد نكث عهده أي ان شرط ذلك عليه كما هو مذهبنا وغسل أبو حنيفة رحمه الله تعالى به هذا
 على أن عين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله تعالى عينهم منعقدة ومعنى هذه
 الآية عنده انهم لم يأمروا بها صارت ايمانهم كما هي ليست بايمان والدليل على أن عينهم
 منعقدة أن الله تعالى وصفها بالنكث في قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم ولولم تكن منعقدة
 لما صرح وصفها بالنكث وقوله تعالى (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا أي لا يمكن غرضكم
 في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظام ان ينتهوا عما هم عليه من الكفر والطعن في
 دينكم والمظاهرة عليكم وهذا في غاية كرم الله تعالى وفضله على الانسان وليس الغرض ايصال
 الاذية لهم كما هو طريقة الموحدين ولما قال تعالى فقاتلوا أئمة الكفر اتبعه بذكر ثلاثة أسباب
 تمسككم على مقاتلتهم كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد فكيف في حال الاجتماع أحدها
 ما ذكره تعالى بقوله (القاتلون قوما نكثوا ايمانهم) أي نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا

عقد الصلح بالجديبية واعانوا بني بكره على خراصة وهذ ايدل على أن قتال الناكثين أولى من
 قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجر الغيرهم ونانية ما قوله تعالى (وهو ما اخرج الرسول)
 من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على ما ذكر في قوله تعالى واذا يكر بك الذين كفروا وقيل
 هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهو ما اخرجهم من المدينة وهذا من أوكد ما يجب القتال لاجله
 وثالثها قوله تعالى (وهم يدؤكم) أي بالقتال (أول مرة) أي هم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم بالكتاب المنبر وتقدمهم به فعدوا عن المعارضة لهجروهم عنها
 الى القتال فهم البادون بالقتال والبادئ اظلم فآمنكم من أن تقتالوهم بعثله وان تصدموهم بالشر
 كما صدموكم وبغضهم الله تعالى بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يجب الحاض عليها وتقرر
 ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخرج الرسول والبداءة بالقتال من غير موجب
 حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوجب من قرط فيها (ألتخسونه) أي ألتخسوا فوهم أي المؤمنون
 فتتركون قتالهم (فأله أحن أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) أي صدقين بوعده
 الله تعالى ووعده لأن قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا رب ولا يبالي بغيره سواء كونه
 تعالى ولا يخشون أحدا الا الله ولما وجبهم الله تعالى على ترك القتال جرده الامر به بقوله
 تعالى (فأتلوهم بعد بهم الله بأيديكم) أي بالقتل والاسر واغتنام الاموال (فان قيل) قد قال الله
 تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف قال تعالى هنا يعذبهم الله بأيديكم (أجيب) بأن
 المراد بالعذاب في الآية الاولى عذاب الاستئصال وبهم هذه الآية القتل والاسر والفرق ان
 عذاب الاستئصال قديم عتيق الى غير المذب وانه في حقه لم يذ الثواب وعذاب القتل مقصور
 على المذب وهذا كالتصريح بأن هذا الفعل وما عطف عليه فعله تعالى وان كان جاريا
 على أيدي العباد كسائر ما لا يدعى ذلك أنه لا يقال يعذب الله المؤمنين بأيدي الكافرين لأن ذلك
 انما امتنع لشناعة العبادة كما لا يقال يا خالق القاذورات والابوال والعذرات وان كان هو
 الخالق لهما (ويجزهم) أي بالذل والفضيحة في الدنيا والعذاب في الآخرة (ونصرهم عليهم)
 أي يكثرهم من قتلهم واذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) أي طائفة من المؤمنين وهم
 خراصة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبقا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من
 أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكنون اليه فقال أبشر وافان
 الفرج قريب (ريذهب غيظ قلوبهم) أي كرها وجدها وقد وفى الله تعالى بما وعدوا والآية من
 المعجزات وقوله تعالى (ويتوب الله على من يشاء) استئناف أي ان الله تعالى يهدي من يشاء
 الى الاسلام كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة
 الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله تعالى عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا وحسن اسلامهم
 (والله اعلم) أي يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان فهو عليهم بكل شيء يعلم من يصلح للتوبة ومن
 لا يصلح لهما أو يعلم ما في قلوبكم من الاقدام والاجام (حكمهم) أي أحكم جميع أموره
 (أم حسبتم) أي أظنتم (ان تتركوا) فلا تؤمروا بالجهاد ولا تتخفوا البيظهر الصادق من

الكاذب والخطاب للمؤمنين حين ~~ذكره~~ بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم بعضي
 همزة الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أي على ظاهرها تقوم به الحجة عليكم في مجاري
 عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد في الواقع بالفعل وعبر تعالى بـ لم يلدن لئلا
 مع استغراق الزمان على أن تين ما بعدهما متوقع كأن قوله تعالى (ولم يتخذوا من دون الله
 زلوا سوله ولا المؤمنين وليجة) عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله
 المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذى وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولىج كالخيلة
 من دخل وهي البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم أسرارهم وقال قتادة هي الخيانة
 وقال عطاء بن الأولياء (والله خير عما تعملون) من موالاته المشركين وغيرهافيأزركم عليه
 قال ابن عباس رضي الله عنه لما أسر العباس يوم بدر عبيد المسلمون بالكفر وقطعة الرحمة
 وأغلظ على رضي الله عنه علمه القول فقال العباس ما ليكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون
 محاسنا فقال له على وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم إننا لنعمرا المسجد الحرام
 ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الأسير فأمر الله تعالى ردا على العباس (ما كان
 للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا ومسجد الله بدخوله
 والقعود فيه وخدمته فإذا دخل بغير إذن مسلم عزز وإن دخل بآذنه لم يعزل لكن لا بد من حاجة
 فيشترط للجواز الإذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالآذن أن النبي صلى
 الله عليه وسلم شد ثيابه من ثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر وذهب جماعة إلى أن
 المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد وترميمه عند خرابه فيقع منه الكافر وقرأ ابن كثير
 وأبو عمرو بسكون السين ولا ألف بعدها على التوحيد وفي هذا دلالة على أن المراد المسجد
 الحرام والباقيون يفتح السين وألف بعدها على الجمع وفيه دلالة على أن المراد جميع المساجد
 وقيل المراد على القرائتين المسجد الحرام وانما جمع لانه قبله المساجد وامامها فاعلمه كما مر
 الجميع وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) حال من الواو في يعمروا أي ما استقام
 لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى
 شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور مركزهم قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن
 كلامهم بالكفر شاهد عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنه ما شاهدتهم على أنفسهم
 بالكفر سجودهم للأصنام وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا
 يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا تطوف بنبيا قد علمنا فيها المعاصي وكلمنا طافوا أسبوعا
 سجدا والأصنام فلم يزدوا من الله إلا بعدا وقيل هو قولهم ليس لك الأمر بك لك الأمر بك
 هو لك فملكه وما ملك وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يستل من
 أتى فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشركي يقول مشرك (أو أهلك حبطة) أي
 بطلت (أعمالهم) أي الأعمال التي عملوها من أعمال البر واقترعوا بها مثل العمارة والحجابة
 والسقاية وفك العتاقة مع الكفر لا تأثر لها (وفي التارخهم خالدون) بلعلمهم الكفر مكان الأيمان

واسخج أصحابنا بهذه الآية على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإيمان لا يبق محمداً في النار
 من وجهين الأول قوله تعالى وفي النار هم خالدون يقيد الحصر أي هم فيها خالدون لا غيرهم ولما
 كان هذا وارداً في حق الكفار ثبت أن الخلود لا يحصل إلا للكافر الثاني أنه تعالى جعل الخلود
 في النار جزاء للكفار عن كفرهم فلو كان هذا الحدكم جزاء لغير الكفار لما صح تهديد الكافر به
 وفي الكشف أن الكبيرة تهدم الأعمال وهو جار على مذهبه الفاسد ولما بين تعالى أن الكافر
 ليس له أن يعمر مساجد الله بين المستحق لعمارتها بقوله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن
 بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش) أحداً (إلا الله) أي انما يتم عمارتها
 لهؤلاء الجامعين بين الكمالات العملية والعلمية (فان قيل) لم يذكّر الإيمان برسوله صلى الله
 عليه وسلم مع أن الإيمان به شرط في صحة الإيمان (أجيب) بأنه تعالى لما ذكر الصلاة والسلامة لتمام
 الإيمان به وهو مشغل على ذكره كان ذلك كافياً عما علم من أن الإيمان بالله تعالى قرينه وعماحه
 الإيمان به فكان الإيعان بالرسول صلى الله عليه وسلم مذكوراً بطريق أبلغ وهو طريق السكينة
 لما ترمن من مقارنتها وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر وقيل إن المنكرين كانوا يقولون إن
 محمداً إنما ادعى رسالة الله طلباً للرياسة والملأ فلذلك ترك ذكر النبوة ~~فإنه~~ أنه يقول مطلوب
 من تبليغ الرسالة ليس إلا الإيمان بالمبدأ والمعاد فذكر المقصود الأصلي وحذف ذكر النبوة
 تنبيهاً للكفار على أنه لا مطلوب لهم من الرياسة (فان قيل) كيف قال تعالى ولم يخش إلا الله
 والمؤمن يخاف الظلمة والمفسدين (أجيب) بأن المراد من هذه الخشية الخوف والتقوى في
 أبواب الدين وإن اختار على رضا الله تعالى عنه رضا غيره وتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران
 أحدهما حق الله تعالى والآخر حق نفسه أن يخاف الله تعالى فيؤثر حق الله تعالى على حق
 نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم ومن عمارة المساجد
 ترميمها وفرشها وتنويرها بالسراج التي لا سرف فيها وإدامة العبادة فيها والذكر ومن الذي
 درس العلم فيها بل هو أجل وأعظمه وصيانتها بمقام بن المساجد لأجل تحديث الدينار وروى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال باقى في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيعدون حلقات كرههم
 الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوهم فليس الله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل
 الحسنة كأنما كل البهية الحشيش وفي الكشف أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
 أن يبنى في أرضي المساجد وأن زوارى فيها أعمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
 لحق على المزور أن يكرم زائره قال شيخ شيخنا ابن حجر لم أجده هكذا وفي الطبراني عن سلمان رضي
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - نوضا في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر
 الله وحق على المزور أن يكرم زائره وروى عنه صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألقه الله
 تعالى وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس
 رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراج لم تزل الملائكة وجملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك
 المسجد ضوه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من غدا إلى المسجد وراح أعد الله تعالى له نزلاً

من الجنة كلما غدا وراح وفي قوله تعالى (فمسي أولئك) أي الموصوفون بهذه الصفات
(أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم اطماعهم والارتفاع
بأعمالهم التي قداسة عظموها واقتروا بها وأملوا عاقبتها فإنه تعالى بين أن الذين آمنوا وضعوا
إلى إيمانهم العمل بالشرائع وضمو إليه الخشية من الله تعالى فهو لا يصار حصول الاهتداء
إلهم دائر بين اهل وعسى فإبال هؤلاء المشركين يقطعون بأنهم مهتدون ويحزمون بقوزهم
بغير من عند الله ومنع للمؤمنين من أن يغتروا بأحوالهم ويتكلموا عليها وذكر المفسرون
في سبب نزول قوله تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم
الآخر وجهاد في سبيل الله) أقوال الأئمة النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رجل لأبائي ان لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل
عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي
الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة
ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقنيت فيما اختلقت فيه فنزلت وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال العباس حين أسرى يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام وبالهجرة والجهاد لقد كنا نغمر
المسجد الحرام ونسقي الحاج فنزلت وقيل ان المشركين قالوا لليهود نحن علينا سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقال لهم اليهود أنتم أفضل فنزلت وقيل ان عليا
قال للعباس رضي الله عنه ما ياعم ألاته اجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أأنت في أفضل من الهجرة أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراي
الا تاراك قاتينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايكم فان لكم فيها خيرا وكان
العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام
وأسلم العباس أمره صلى الله عليه وسلم على ذلك وروى انه صلى الله عليه وسلم جاء السقاية
فاستسقى فقال العباس رضي الله عنه لانه الفضل يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشرباب من عندها فقال له صلى الله عليه وسلم اسقني قال يا رسول الله يحب لو ان أيديهم
فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسبقون ويعملون فيها فقال اعلموا فانكم على عمل
صالح وعن أبي بن عبد الله المزني رضي الله عنه قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه
أعرابي فقال مالي أرى بني عمكم يسبقون العسل والبن وأنتم تسبقون النيد آمن حاجة بكم أم من
يجل فقال ابن عباس رضي الله عنهما الحمد لله ما بنا من حاجة ولا وجل انما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فأنتباه باناء من نيد فشربه وسقى فضله اسامة وقال
أحسنتم وأجلمتم كذا فافاصه عوده فلا يزيد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والنيد يقر
ينقع في الماء غدوة وهو حلال فان غلا وخبر حرم * (تنبيه) * السقاية والعمارة مصدران من سقى
وعمر كالصيانة والوقاية فلا بد من مضاف محذوف تقديره أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كإيمان من آمن بالله (لا يستوي عند الله) أي لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله

وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحجاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عملاً الا مع ايمان به وبين عدم تساويهم بقوله تعالى (والله لا يهدي السوء الظالمين) أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم منهم مكون في الضلال فكيف يساؤون الذين عاهد الله تعالى ووفقهم الحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوقون بينهم وبين المؤمنين (الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله) أى على مرتبة وأكبر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات والمراد من ~~كون~~ العبد عند الله بالاستغراق في عبوديته وطاعته وليس المراد منه قطع العنيدة بحسب الجهة والمكان لأن الارواح البشرية اذا ظهرت من دنس الاوصاف البدنية اشرقت بأنوار الجلال وتجلي فيها أضواء عالم الكمال وسرت من العبودية الى العندية وقيل أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعامرة المسجد الحرام (فان قيل) على هذا كيف قال في وصفهم أعظم درجة مع انه ليس للكافر درجة (أجيب) بأن هذا ورد على حسب ما كانوا يفعلون لانفسهم من الدرجة والفضيلة عند الله ونظيره قوله تعالى قل الله خير أم ما يشركون وقوله تعالى أذلك خير من لا أم شجرة الزقوم (وأولئك) من هذه صفتهم (هم الفائزون) أى بسعادة الدنيا والآخرة (يشركهم) أى يخبرهم (رهم) والشارة الخبر السار الذى يفرح الانسان عند سماعه وتستهشرون بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر سبحانه وتعالى الذى يشركهم به بقوله تعالى (برحمة منه ورضوان) فهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله تعالى سبحانه وتعالى على العبد نهاية مقصوده (وجنات) أى سباتين كثيرة الاشجار والثمار (لهم فيها) أى الجنات (نعيم) أى جزاء خالص عن كدر ما (مقيم) أى غير منقطع وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة وحقق الخلود بقوله تعالى (أبداً) ولم يذكر تعالى هذه الاحوال قال (ان الله عنده أجر عظيم) وانهيك بما يصغه الله بالعظم وخضع هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر عن دوامه بهذه العبارات الثلاث المقرونة بالعظم والاسم الاعظم فكان أعظم الثواب لأن ايمانهم أعظم الايمان وذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) أقوالاً فقال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في العباس وطهمة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة فنهى من ذلعه به أهله وولده يقولون نشدك الله ان لا نضيع غافق لهم فيقيم عندهم ويدع الهجرة فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا يتفق عليه حتى رخص لهم بعد ذلك قال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا وطلقوا ~~بكم~~ أى لا تتخذوهم أولياء بمنعواكم عن الايمان وبصدوكم عن الطاعة لقوله تعالى (ان استجبوا) أى اخبروا (الكفر على الايمان) أى أفلما وعلية تركوا الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم) أى ومن يختار لمقام معهم على الهجرة والجهاد (فاولئك هم الظالمون) أى فقد ظلم نفسه بخالفه أمر الله تعالى واختار الكفار على

المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا
 وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فنزل قوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الذين قالوا
 هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أي أقرباؤكم مأخوذ
 من العشرة وقيل من العشرة فان العشرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة (وأموال
 قترفتموها) أي اكتسبتموها (وتجارة تفتنون كسادها) أي عدم نفاقها بفراقكم لها
 (ومساكن ترضونها) أي نسيه وطنونها راضين بسكناها (أحب اليكم من الله ورسوله) أي
 الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فقعدتم لاجل ذلك عن الهجرة والجهاد أي
 ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجهادة
 في سبيل الله (فتربصوا) أي انتظروا متربصين وهو تهديد ببلع (حتى يأتي الله بأمره) قال
 مجاهد بقضائه أي عقوبة عاجله أو آجله وقال مقاتل بفتح مكة (والله لا يهدي القوم) أي
 لا يخلق الهداية في قلوب (الفاستقين) أي الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع
 تضارب بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا
 (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن) أي
 أما كن للحرب (كثيرة) كبدر وقرينة والتضبير والمراد بذلك غزواته صلى الله عليه وسلم
 وسراياه وبعوثه وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد
 ابن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه فاقبل في غان منها أو ما جميع غزواته وسراياه
 وبعوثه فقبل سبعون وقبل ثمانون (ويوم) أي واذا كرم يوم (حنين) وهو وادي بين مكة والطائف
 أي يوم قتالكم فيه هو اذن وقوله تعالى (اذا أعجبكم كثرتمكم) بدل من يوم حنين وكانت
 حصة حنين على ما نقله الزاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وقد بقي من شهر رمضان
 أيام وخرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا
 عشرة آلاف وقال قتادة كانوا اثني عشر ألفا عشرة آلاف الذين حضر وافتح مكة وألفان
 انصهر اليهم من الطلقاء وهم الاسراء الذين أخذوا يوم فجع مكة وأطلقوا وبالجملة كانوا
 عددا كثيرا وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم
 من قلة اعجابا بكثرة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلا الى كلمة الرجل وقيل
 فائتها أبو بكر رضي الله عنه وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول بعد جد الانه
 صلى الله عليه وسلم كان في أحواله كاهما متوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها
 ثم اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وتخلعوا عن الذراري ثم تنادوا بإجاعة السوداء ذكرها
 لقضائل فتراجعوا وانكشف المسلمون حتى بلغ منهم مائة وثلاثين رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في مكرهم ليس معه الا عمه العباس أخذ بالجام بقلته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث
 وزاهل بهذا شهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تنهائهم شجاعتهم قال البراء بن عازب كانت

هو اذن رماة فلما حملنا عليهم انكشروا وكينا على الغنائم واستمعتوا بالاسهام فأنكشفت
الحملون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس وأبوسفيان قال البراءة والذي
لا اله الا هو ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط قدرايته وأبوسفيان أخذ بالركاب
والعباس أخذ بطعام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب فطفق
يركض بقلته نحو الكفار لا يولي ثم قال للعباس وكان صبينا صبحا عباس فنادى يا عباد الله
يا أصحاب الشجرة وهم أصحاب بيعة الرضوان المذكورون في قوله تعالى لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يا أصحاب سورة البقرة قال الطيب وهم المذكورون في قوله
تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وقيل الذين أنزلت عليهم سورة البقرة فرجعوا
بجماعة واحدة يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة
والسلام هذا حين حى الوطيس أى اشتد الحرب ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاس
تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهم زموا وروى أنه صلى الله عليه وسلم نزل
عن البغلة ثم أخذ قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم ثم قال شاهدت الوجوه قال
سلسلة بن الاكوع فما خلق الله تعالى منهم انسانا الا مالا عينيته ترابا يهلك القبضة فولوا
مدبرين فهزمهم الله تعالى (فلم تكن) أى الكثرة (عنكم شيئا) وضافت عليكم الارض بما
رجعت أى برحبها أى بسعتها لا تبعدون فيها مقرات حتى اليه مقصودكم من شدة الرعب
ولا تبتلون فيها كما لا يسهل معه مكانه (ثم وليتم مدبرين) أى الكفار وظهوركم مدبرين أى
منهم زين والادبار الذهب الى خلف خلاف الاقبال (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التى
سكنوا اليها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) أى على الذين انهزموا فرددوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه صلى الله عليه وسلم وقيل هم الذين بنوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وقع الحرب (وأنزل جنودا) أى ملائكة (لم تروها) بأعينكم قال سعيد
ابن جبيرة مد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقيل ثمانية آلاف
وقيل ستة عشر ألفا وروى أن رجلا من بنى النضير قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل الباق
والرجال الذين عليهم ثياب بيض ما كانوا كم فهم الا كهية الشامة وما قبلنا الا بأيديهم فأخبروا
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسروى
العيال وسلب المال (وذلك جزاء الكافرين) أى ما نزل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا وروى أنه صلى
الله عليه وسلم لما قسم ما آفاه الله عليه يوم حنين فى الناس وفى الموافقة قالوهم لم يعط الانصار شيئا
فكأنهم وجدوا اذ لم يصهم ما أصاب الناس فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاشر
الانصار ألم أجدكم ضالافا لهذاكم الله فى وكنتم منقرين فأنفكم الله فى وعالة فأنفكم الله
الله فى كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن قال ما يمنعكم أن تجيئوا رسول الله لوشتمت قلوبنا
كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رجالكم لولا الهجرة
لكنت امرأ من الانصار لولسك الناس وادباوشه بالسلكت وادى الانصار وشههم الانصار

شعار والناس دثار انكم ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض وعن رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس ثمانين بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرب بن جابس كل انسان منهم مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال العباس بن مرداس

أتحمل نهي ونهب العبيثين عينية والاقرب
فما كان حصن ولا جابس * يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن يحقق اليوم لا يرفع

قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم له مائة (ثم يوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله عفو ورحيم) ففتحوا رزقهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرز الناس وقد سبى اهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قليل سبي ومئذنة آلاف نفس وأخذ من الابل ما لا يحصى فقال ان عندي مائرون ان خير القول أصدقه اختاروا ما ذار يركم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالا حساب شيئا والحسب ما بعدة الانسان من مفاخر أبائه كنوا بذلك من اختيار الذراري والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم في ذل الاسرى يفضي الى الطعن في احسابهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالا حساب شيئا فمن كان يده شئ وطابت نفسه أن يرده فشأنه أي فليزمن شأنه وأمره ومن لا تطب نفسه ليعطنا وليكن قرضنا علينا أي بمنزلة القرض حتى نصيب شئاً فنقطع به مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لأدري لعل فيكم من لا يرضى فروا عرفاءكم فلدفعوا ذلك اليها فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أي ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس وأنهم سم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يتجنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كلهم النجاسات بعينها مباحة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رحمه الله تعالى من صافح مشركا أو ضا وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين والنجس مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع (فلا يقربوا المسجد الحرام) أي للنجاساتهم وانما هي عن الاقتراب للمباحة والمنع من دخول الحرم قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخل المسجد بحال ذميا كان أو مستأثما اظهر هذه الآية واذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا يؤذنه في دخول الحرم بل يخرج اليه الامام أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم ويجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام المجاز فيجوز للكافر دخوله بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى

لادع الاسلام فأجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن قدم منهم تاجر اثلاثا وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول وأما في العرض فن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز لكافرون يقبم فيها بدعة أو أمان لكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم لحاجة وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) إشارة إلى العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ونادى على رضى الله عنه ببراءة وهو سنة تسع من الهجرة وقبل سنة حجة الوداع ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يقرأ على مشركي مكة أقول براءة وينبذ إليهم عهدهم وإن الله يرى من المشركين ورسوله قال اناس يا أهل مكة ستعلمون ما تلقون من الشدة لانقطاع السبيل وفقد الجولات وذلك ان أهل مكة كانت معايشهم من التجمعات وكان المشركون يأثرون مكة بالطعام ويتجرون فلما امتنعوا من دخول الحرم خافوا الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (وان خففتم عليه) أي فقرأوا حاجة بانقطاع تجارتهم عنكم (فدوف يغنيكم الله من فضله) أي من عطائه وفضله من وجه آخر وقد أنجز الله تعالى وعده بأن أرسل المطر عليهم مدرارا فكثرت خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاه ونبالة وجرش وجلبوا المرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله تعالى ما كانوا يخافون ونبالة بفتح الهمزة وجرش بضم الجيم وفتح الراء وشين مججمة قريتان من قرى اليمن وقيد ذلك بقوله تعالى (ان شاء) لانه قطع الا مال اليه تعالى ولينبه على أنه متفضل في ذلك وإن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (ان الله) أي الذي له الاساطة الكاملة (عليه) أي بوجوه المصالح (حكيم) أي فيما يعطى ويمنع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله تعالى فقال أهل الكتاب كما قال تعالى (فانكروا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) (فان قيل) اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله تعالى عنهم بذلك (أجيب) بأن من اعتقد أن العزيز ابن الله وأن المسيح ابن الله فليس يؤمن بل هو مشرك وبأن من كذب رسولاً من الرسل فليس يؤمن واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من انشركوا كل أموال الناس بالباطل وتبديل التوراة والانجيل وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أي الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام (من الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) وهي الخراج المضروب على رعاياهم في نظير سكاكهم في بلاد الاسلام آمنين مأخوذين المجازاة لكفنا عنهم وقيل من الجزاء بمعنى القضاء قال الله تعالى واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً أي لا تقضى وقوله تعالى (عن يد) حال من الضمير أي متفادين مقهورين يقال لكل من أعطى شيئاً كرهام من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وهل يجوز أن يوكوا مسلماً في دفعها أو لا ينبغي على تفسير الصغار المذكور في قوله تعالى (وهم صاغرون)

أى أذل لا منقادون لحكم الاسلام ويكفى في الصغار ان يجرى عليهم الحكم بما لا يعتدقون
 حله أن يجوز التوكيل على هذا تفسيره ان يجلس الاخذ ويقوم الكافر ويأطى رأسه ويحنى
 ظهره ويضع الجزية في الميزان ويقبض الاخذ لحبته ويضرب له زنتيه وهم مجتمع اللحم بين
 الماضغ والاذن من الجانبين مردود بأن هذه الهيئة باطلة ودعوى سفيتها وأوجوبها أشد بطلاناً
 ولم يقل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين فعل شيئاً من ذلك وعلى
 تفسيرهما بما ذكره يمنع التوكيل اذا قيل بوجوبه لا باستحبابه (تنبيه) مفهوم الآية يقتضى
 تخصيص الجزية بأهل الكتاب ولكن الحق بهم الجهرس لانه صلى الله عليه وسلم أخذها من
 مجوس هجر وقال سنوابهم سنة أهل الكتاب وكذا من زعم التسليم بعصف ابراهيم وزبور داود
 صلى الله عليه وسلم ومن أخذ أبو به كافي والآخر وثى وأولاد من تهوداً وتصر قبل النسخ
 أو شبه ككافي وقت التهود والتبصر كان قبل النسخ أم بعده فلا تعدل اولاد من تهوداً وتصر
 بعد النسخ في ذلك الدين ولا بعد الاوثان والشمس والملائكة والسامرة والصابئون
 ان خالفوا اليهود والنصارى في أصول دينهم فليس وامنهم والافنهم وعن مالك تؤخذ الجزية
 من كل كافر الا المرتد وعن أبي حنيفة الا مشركي العرب وأقل الجزية دينار لكل سنة عن كل
 واحد لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن خذ من كل حاكم أى يحتمل ديناراً
 معه ابن حبان والحاكم وتؤخذ من زمن وشيخ هرم وأعمى وراهب وأجير وفقر عجز عن كسب
 فاذا غنت سنة وهو عسر في ذمته حتى يوسر وقال أبو حنيفة على الفقى ثمانية وأربعون درهماً
 وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب ولا بد أن يكون
 المأخوذ منه حرّاً ذكراً غير صبي ومجنون وتلقى افاقة مجنون ككثرت فان قل زمن الجنون
 كساعة من شهر فلا أثر لها ولو بلغ ابن ذى ولده طرية ألحق بأمنه وان أعطاه عقده وقبل
 عليه بجزية أبيه ولا يحتاج الى عقده اكتفاء بعقد أبيه ومن مات من عقدت له الجزية وأسلم أو
 جن أو هجر عليه بفلس أو سفه بعد سنة بجزية كدين آدمى أو فى اثنا عشر سنة انقطعت وتسقط بالاسلام
 والموت عند أبي حنيفة (وقالت اليهود عذير ابن الله) اختلفوا في قائل هذه المقالة على أقوال
 أحدها قال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه فتحاص بن عازوراء
 وهو الذى قال ان الله فقير ونحن أغنياء وثانيها قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة وعكرمة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم وذهمان بن أوفى وشاس
 ابن قيس ومالك بن الصنف فقالوا كيف تبسح دينك وقد تركت قبيلتنا وأنت لاتزعم
 ان عزير ابن الله فانزل الله تعالى هذه الآية وعلى هذين القولين القائل انما هو بعض
 اليهود الا أن الله تعالى نسب ذلك الى اليهود بناء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على اسم
 الواحد يقال فلان ركب الخيول ولعله لم يركب الا واحداً منها وفلان يجالس السلاطين ولعله لم
 يجالس الا واحداً وثالثها أن هذا المذهب لعله كان ثابته فيهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم
 ولا عبرة بتكابر اليهود لذلك فان الآية تليق عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على

الكذب واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
 ان اليهود اضعوا التوراة وعلموا بغيب الحق فانساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم
 فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه ان يرده اليه الذي نسخ من صدورهم فيمنها هو يصلي مبتهلا
 الى الله تعالى نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فاذن في قومه وقال يا قوم
 قد اتاني الله تعالى التوراة وردتها الى قلعقوابه يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله تعالى ثم ان التابوت
 اُتزل بعد ذلك عنهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير
 فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقيل لما رفع الله تعالى عنهم التوراة خرج
 عزير وهو غلام يسبح في الارض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب
 العلم فحفظه التوراة وأملأها عليهم عن ظهر قلبه لا يجرم منها حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة
 في قلبه وهو غلام الا انه ابنه وقال الكلبي ان يجتصر لما ظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ
 التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستغفره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت
 المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة فبعث الله تعالى عزير ليجتد لهم التوراة ويكون لهم آية
 بعد ما أماته الله تعالى مائة سنة وأرسل اليه ملكا بانا فيه ما فسد فخلت التوراة في صدره فلما
 أتاهم وقال لهم أنا عزير كذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فأتل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره
 ثم ان رجلا منهم قال ان أبي حدثني ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا
 معه حتى أخرجوها فعرضوا بها ما كتبه عزير فلم يجدوه غادروا فافتقروا ان الله تعالى لم يذف
 التوراة في قلب عزير الا انه فعد ذلك قالت اليهود عزير ابن الله وقرأ عاصم والكسائي
 عزير بالتسوين والباقون بغير تنوين قال الزجاج الوجه اثبات التسوين فقوله عزير مبتدأ وقوله
 ابن خبزة واذا كان كذلك فلا بد من التسوين في حال السعة لان عزير انصرف سواء كان عربيا أم
 بجميا وسبب كونه منصرفا أمران أحدهما أنه اسم خفيف فينصرف وان كان أعجميا كهود
 ولوط والثاني أنه على صيغة التصغير وأن الاسماء الأعجمية لا تنصرف وأما الذين تركوا التسوين
 فلمهم فيه أوجه أحدها أنه أعجمي معرفة فوجب أن لا ينصرف وثانيها قال القراءون
 التسوين ساكنة من عزير والباء من ابن الله ساكنة فحصل ههنا التقاء الساكنين فحذف التسوين
 للتخفيف ورد هذا الوجه بأنه مخالف لما تقر من ان الوجه عند ملاقات التسوين للساكن
 التصريك لا الحذف وثالثها ان الابن وصف والخبر محذوف والتقدير عزير بن الله معبودنا ورد
 هذا أيضا بأنه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدّر لان من أخبر عن ذات موصوفة بصفة
 بأمر من الامور أنكره منكر توجه الانكار الى الخبر فكان المقصود بالانكار قوله عزير ابن
 الله معبودنا وحصل تسليم كونه ابن الله وهالوم أن ذلك كفر (وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن
 الله) واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقيل انما قالوه اسم الله لان يكون ولد للاب وقيل
 ان النصارى كانوا على دين الاسلام احدى وعشرين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلوة والسلام
 يصلون الى القبلة يصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع

يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان الحق مع عيسى
وقد كفرناوم صرنا الى النار ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني ساحاتل وأضلهم
حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقاتل عليه يقال له العقاب فهرقبه وأظهر الندامة والتوبة
ووضع التراب على رأسه وقال للنصارى نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تقصروا وقد ثبت
وأبتسكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل يتافهم ~~مكت~~ فيه سنة لا يخرج منه ليلا
ولأنهم بارأى قتل الانجيل ثم خرج منه وقال انه نودي ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا
شأنه فيهم ثم عد الى ثلاث رجال اسم واحد منهم نسطورا والاخر يعقوب والاخر مذكاهم
نسطورا ان عيسى ومريم والاله ثلاث وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولا جسم ولكنه
ابن الله وعلم ملكا ان عيسى هو الاله لم يزل ولا يزال فلما اشتهر ذلك فيهم دعا كل واحد منهم وقال له
أنت خلصني فادع الناس لما علمت وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت
عيسى في المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم سأدخلكم في تقي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى
المذبح فذبح نفسه ونفث في أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس
وواحد الى ناحية أخرى وأحكم كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتابعه على ذلك
طوائف من الناس ففترقوا واختلوا ووقع القتال فهذا هو السبب في وقوع الكفر
في طوائف النصارى هذا ما حكاه الواحدى رحمه الله تعالى قال الرازي عقب هذا الحكاية
والاقرب عندي أن يقال ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف ثم ان القوم لاجل
عداوة القوم بالغوا وفسروا لفظ الابن بالبتوة الحقيقية والجهل قبلوا ذلك وفسدوا هذا المذهب
الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالحقيقة (ذلك قولهم بأفواههم) أى
لامتدلهم عليه (فان قيل) كل قول يقال بالقلم فامعنى بأفواههم (أجيب) بأنه قول لا يعضده
برهان فاهو الالفاظ فهو رابح فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهمة التي لا تدل على معان
وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالقلم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول
بالقلم لا غيراً وبأن رايدنا نقول المذهب ~~مكت~~ قولهم قول الشافعي رحمه الله تعالى يريدون
مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم وبينهم بأفواههم لا يقولون به لانه لا حجة معه ولا شبهة
حق تؤثر في القلوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحبة له ولا ولد لم تكن لهم شبهة في انتفاء
الولد قال أهل المعاني لم يذكروا الله تعالى قولاً مقروناً بأفواه والاسن الا كان ذلك زوراً
(يضاهون) قال ابن عباس يشابهون وقال مجاهد يواطنون وقال الحسن يوافقون (قول الذين
كفروا من قبل) أى من قبلهم ولا بد من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قول الذين كفروا
ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب حرفوا والماء في ان الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم فالكفر
قديم فيهم غير مستحدث وأيضا هو قول المشركين الملائكة نبات الله وقيل الضمير للنصارى
أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم وقرأنا عاصم بكسر
الهاء وبمداهمزة مضمومة والباء قون بضم الهاء ولا همز بعده و قوله تعالى (فانتهم الله دعاء

عليهم بالهلاك فان من قاتله الله تعالى هلك أو تعجب من شناعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه فانه الله ما أعجب فعله وقيل لعنهم الله روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أنه قال كل شئ في القرآن مثله فهو امن (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق الى الباطل مع قيام الدليل بأن الله تعالى واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطباتهم فالتعجب تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) أى اتخذ اليهود أحبارهم أى علماءهم والخبر فى الاصل العالم من أى طائفة كان واختص فى العرف بعلماء اليهود ومن ولد هرون وكان أبو الهيثم يقول واحد الاحبار حبر بالفتح وينكر الكسر واتخذ النصارى رهبانهم أى عبادهم أصحاب الصوامع والراهب فى الاصل من تمكنت الرهبنة من قلبه فظهر آثارها على وجهه ولباسه واختمت فى العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع (أربابا من دون الله) لانهم أطاعوهم فى تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى كما تطاع الارباب فى أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن وقال ابراهيم الخليل عليه السلام يأتى لاتعبد الشيطان وعن عدى بن حاتم أنه قال أتيت النبی صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح هذا اللون من عنقك فطرحت ثم انتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية فقلت انما السنان يعبدكم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فها هو قلت بلى قال تلك عبادتهم قال عبد الله بن المبارك

وهل يدل الدين الاموالك * وأحبار سوء ورهبانها

(فان قيل) انه تعالى كفرهم بسبب ان أطاعوا الاحبار والرهبان فالناسق بطبع الشيطان فوجب الحكم بكفرهم على ما هو قول الخوارج (أجيب) بأن الناسق وان كان يقبل دعوى الشيطان الا أنه لا يعظمه بل يلغظه ويستخف به وأما هؤلاء فكانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم وقد سالف بعض الجهال فى تغظيم شخصه بحيث يميل طبعه الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الآخرة بعيدا عن الدين قد باق اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون وعن الفضيل رضى الله تعالى عنه ما أبالى أظمت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغبرا القبلة (والشيخ بن مريم) أى اتخذوه كذلك ليكونهم جعلوا ابنا فأهلوه للعبادة بذلك مع كونه ابن مريم فهو لا يصلح للالهية بوجه لما ركنه لادمين فى الحمل والولادة والاكل والشرب وغير ذلك من أحوال البشر الموجبة للعاجزة المنافية للالهية (وما أمروا) أى فى التوراة والانجيل (الا يعبدوا) أى ليطيعوا على وجه التعبد (لها واحدا) أى لا يقبل القسمة بوجه لا بالذات ولا بالمآلة وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة من أمر الله بطاعته فهى فى الحقيقة طاعة الله تعالى وقوله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) أى تعالى وتنزه عن أن يكون له

شريك في العباد والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاحلال (يريدون)
 أي رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نوره) أي شرعه وبراهينه الدالة على وحدانيته
 وتقدمه عن الولد والقرآن وأنبؤ محمد صلى الله عليه وسلم (يا قواهم) أي بأقوالهم
 الكاذبة وشركهم وفي تسمية دينه أو القرآن وأنبؤ محمد صلى الله عليه وسلم نوراً وهادئاً لهم
 انطفاء بأقوالهم تمثيل لحالهم في طلبهم أن يطفئوا نوره بالكذب بالشرك بحال من يريد أن
 ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويلفه الغاية القصوى في الاشراق
 والاضاءة ليطفئه بنفسه ويطمسه (وأي الله) أي لا رضى (الأن يتم نوره) بإعلاء التوحيد
 واعزاز الاسلام (فان قيل) كيف جازأبى الله الأكاذب ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا
 (أجيب) بأنه أجرى أي مجرى لم يرد الأثرى كيف قبوله يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله
 وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره وقوله تعالى (ولو كره الكافرون) محذوف
 الجواب دلالة ما قبله أي ولو كرهوا غلبته (هو الذي أرسل رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم
 (بالمهدي) أي القرآن الذي أنزله عليه وجعله هادياً له (ودين الحق) أي دين الاسلام (ليظهره)
 أي ليعليه (على الدين كله) أي جميع الاديان المخالفة له وهذا كالبيان لقوله تعالى ويأبى الله
 إلا أن يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون
 للدلالة على أنهم ضلوا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله تعالى (فان قيل) الاسلام لم يضم غالباً السائر
 الاديان في أرض الصين والهند والروم وسائر بلاد الكفر (أجيب) عن ذلك بأوجه الأول بأنه
 لا دين بخلاف الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وان لم يكن ذلك
 في جميع مواضعهم فقهرهم اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد
 الشام وما والاها إلى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام
 على كثير من بلادهم بما على الهند والترك وكذلك سائر الاديان فنبت ان الذي أخبر الله تعالى عنه
 في هذه الآية قد وقع وحصل فكان ذلك اخباراً عن الغيب فكان مجهولاً الوجه الثاني ما روى
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال هذا وعد من الله تعالى بجعل الاسلام غالباً على
 جميع الاديان وتنام هذا النامى حصل عند خروج عيسى عليه السلام فانه لا يبقى أهل دين
 الا دخلوا في الاسلام وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد الا دخل في الاسلام
 أو أذى الخراج الوجه الثالث أن المراد اظهاره في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فانه تعالى
 ما أتى فيها أحد من الكفار وقال ابن عباس الهاء في ليظهره إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
 والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها (يا أيها الذين آمنوا ان
 كثير من الاحبار) أي علماء اليهود (والرهبان) أي عباد النصارى (ليأتوا) أي يتناولوا
 (أموال الناس بالباطل) كارتشائهم عبر بالآكل لانه معظم المراد من المال وإشارة إلى تحقير
 الاحبار والرهبان بأن يفعلوا ما يشاء في مقامهم الذي أقاموا أنفسهم فيه باظهار الزهد والمباغاة
 في التدبير قال الرازي ولعمري من تأمل أحوال الناس في زماننا وجد هذه الآيات كأنها

ما أنزلت الا في شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يتعلق
 ساطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعظمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل
 الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويحمل نهاية الدل والدناءة في تصديه (ويصدون)
 الناس (عن سبيل الله) أي دينه ولما كان مطلوب الخلق في الدنيا المال والجاه بين تعالى في صفة
 الاحبار والرهبان كونهم مشغوفين بهذين الامرين أما المال فهو المراد بقوله تعالى ليا كاون
 أموال الناس بالباطل وأما الجاه فهو المراد بقوله ويصدون عن سبيل الله فانهم لو أقرروا بأن
 محمد صلى الله عليه وسلم على الحق لمزهم متابعه وحينئذ كان يطل حكامهم وزول
 حرمهم ولاجل الخوف من هذا المحذور كانوا يلقون في المنع من متابعه صلى الله عليه وسلم
 وفي القون في القاء الشبهات وفي استخراج وجوه المكر والخديعة وفي منع الخلق من قبول
 دينه الحق (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يحتمل أن يراد بقوله
 الذين أولئك الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال
 الناس بقوله تعالى ليا كاون أموال الناس بالباطل ووصفهم بأصباة البخل الشديد والامتناع
 من اخراج الواجبات عن أموال أنفسهم بقوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة
 وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ولا يؤدّون حقه ويكون اقترانهم بالمرتسين من اليهود
 والنصارى لقلة ظاود دلالة على أن يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم بطيب زكاة ماله
 سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وأن يراد كل من كثر المال ولم يخرج منه الحقوق
 الواجبة سواء كان من الاحبار والرهبان أو كان من المسلمين لما روى عن زيد بن وهب قال
 مررت على أبي ذر بالبزفة فقلت ما أنزلت به هذه الارض فقال كئنا بالشام فقرأت والذين
 يكتزون الذهب الآية فقال معاوية ما هذا ايضا ما هذا الا في أهل الكتاب فقلت انها قيسهم
 وفيما فصار ذلك سببا لحوشة بيني وبينه فكتب الى عثمان ان أقبل الى فلما قدمت المدينة
 انخرف الناس عني كأنهم لم يروني من قبل فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي تمع قريبا فقلت
 اني والله لن أدع ما كنت أقول وأصل الكثرة في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض
 فهو مكتوز يقال هذا جسم مكتوز الاجزاء اذا كان مجتمع الاجزاء واختلف علماء الصنابة
 في المراد بهذا الكثرة المذموم على قولين الاول وهو ما عليه الأكثر أنه المال الذي لم تؤدّز كانه
 لما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آناه
 الله ما لا يؤدّز كانه مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان بطوقه يوم القيامة ثم يأخذ
 بلهزمتيه يعني شذقيه فيقول أأما لآ أنا كثر لثم تلو ولا تحسبن الذين ينجلون بما آناه الله من
 فضله الآية والشجاع الحية والأقرع صفة لطول عمره لأن من طال عمره ترقى شعره وذهب وهي
 صفة أخذت الحيات والزبيبتان الزائدتان في الشدقين وروى لما نزلت هذه الآية كبر على
 المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا
 لطيب بما بقي من أموالكم وقال ابن عباس في قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين

لا يؤذون زكاة أموالهم قال القاضي عياض تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لاسبيل اليه بل
الواجب أن يقال الكنز هو الذي ما أخرج عنه ما وجب أخراجه ولا فرق بين الزكاة وبين ما يجب
من الكفارات وبين ما يلزم من نفقة الحج وبين ما يجب أخراجه في الدين والحقوق والافتاق
على الأهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنائيات فيجب في كل هذا الاثم وأن يكون
دخلا في الوعد والقول الثاني أن المال الكثير إذا جع فهو الكثير المذموم واحتج المذهبون
إلى هذا القول بعموم الآية وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية
تباً للذهب تباً للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أي مال تقصد قال لسانا ذا كرا وقبا خاشعا وزوجة
تعين أحكم على دينه وقال عليه الصلاة والسلام من ترك صغرا أو ريضاء كوى بها وتوفى
شخص فوجد في منزله دينار فقال صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد في منزله ديناران
فقال كيتان وأجاب القائلون بالاول بأن هذا كان قبل فرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة
فألله أعدل وأكرم أن يجمع عبده ما لا من حيث أذن فيه ويؤذى ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه
وقد روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أنه سئل عن هذه الآية فقال كانت قبيل أن تنزل
الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهارة للأموال وقال ما بالي لو أني مثل أحد ذهباً أعلم عدده أركبه
وأعمل فيه بطاعة الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى
الله عليه وسلم ما أذى ذكاته فليس بكثرة وكان في زمانه صلى الله عليه وسلم جماعة معهم الأموال
كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه الصلاة والسلام يعدّهم من أكابر الصحابة وماعاهم
أحد ممن أعرض عن القنية لأن الأعراض اختيار الأفاضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا
والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه وكونه أدخل في الورع لأمور منها أن كسب المال شاق شديد
وحفظه بعد حصوله أشد وأشق وأصعب فينبغي الإنسان طول عمره تارة في طلب التحصيل وأخرى
في طلب الحفظ ثم إنه لا يفتقع منها إلا بالقليل ومنها أن كثرة المال والجاه تورث الطغيان كما قال
تعالى إن الأنبياء أبطئ أن رأه استغنى فالطغيان يمنع من وصول العبد إلى مقام رضوان
الرحمن ويوقع في الخذلان والخسران ومنها أنه تعالى أوجب الزكاة وذلك سعي في تنقيص
المال ولو كان تكثيره فضيلة لماسعى الشرع في تنقيصه (فان قيل) قال عليه الصلاة والسلام
اليد العليا خير من اليد السفلى (أجيب) بأن اليد العليا إنما أفادت عفة الخيرية لأنه لما أعطى
ذلك القليل نسب أنه حصل في ماله ذلك النقصان القليل فحصل له الخيرية وبسبب أنه حصل
للفقير بذلك الزيادة القليلة حصلت له المرجوحية (فان قيل) أنه تعالى ذكر شيئين وهما الذهب
والفضة ثم قال ولا ينفقونها فلم أفرد الضمير (أجيب) بأن الضمير راجع إلى المعنى دون اللفظ
لأن كل واحد منهما جله وأفيه وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كونه تعالى وإن طافقتان من
المؤمنين اقتتلا وقيل ذهب به إلى المكتوز وقيل إلى الأموال وقيل التقدير ولا ينفقون
الفضة وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة من حيث أنهم ما عايشتركان في غيبة الأشياء
أو أن ذكر أحدهما يغني عن الآخر كقوله تعالى وإذا رأت تجارة أو لهوا انفقوا إليها جعل

الضهير للتجارة وقيل التقدير والذهب كذلك كأن قول المصنف فاني وقبارهم الغريب أي
وقبار كذلك (فان قيل) ما السبب في كونه خصهما بالذكور من سائر الاموال (اجيب) بأنهما
خصامن دون سائر الاموال لانهما أشرف الاموال وهما الاذان يقصدان بالكثرة ومن كثرا
عنده لم يعد سائر أخصاس المال فكان ذكر كثرهما دليل على ما سواهما ثم انه تعالى لما
ذكر من يكثر الذهب والفضة قال تعالى (فبشرهم) أي أخبرهم (بعذاب أليم)
أي مؤلم وعبر بالبشارة على سبيل التحكم (يوم يحصى عليها) أي الكنوز بأن تدخل (في نار جهنم)
فيوقد عليها (فتكوى) أي تحرق (بها) أي بهذه الاموال (جباهاهم وحبوهم وظهورهم)
قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده
حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته وسئل أبو بكر الوراثي لم خصت الجباه
والجنوب والظهور بالكي قال لان الغنى صاحب الكثرة اذا راى الفقير قبض جبهته واذا
جلس الظهر يجنسه ساعدته وولي عليه ظهره وقيل المعنى انهم يكونون على الجهات الاربع
أمامين مقدمه فعلى الجبهة وأمامين خلفه فعلى الظهر وأمامين يمينه ويساره فعلى الجنبين وقيل
لان جمعهم وامساكهم المال كان يطلب الوجهة بالغنى والتسليم بالطعام والذهبية والملابس
البهية وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
صاحب ذهب ولا فضة لا يورثي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار
فأحجى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهه وجنبيه وظهره لئلا يبرد عليه أعيدت له في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وقوله
تعالى (هذا ما كنتم) على ارادة القول أي قال لهم هذا ما كنتم (لأنتم كنتم) أي لم تغفها
وكان عين مضربها وسبب تعذيبها (فدوروا ما كنتم تكتزون) أي تغفون حقوق الله تعالى
في أموالكم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال انتهت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فتلبت يا رسول الله فدأبني وأتمني
من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وعن شماله وقيل ما هم (ان عدة الشهور) أي عددها (عند الله اثنا عشر شهرا) وهي المحرم
وصفر وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثاني وجادى الاول وجادى الثاني وربيع
وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة هذه شهور السنة القمرية التي هي
مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقبت
حجهم واعبادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور اثنا عشر وخمسة وخمسون
يوما والسنة الشمسية عبارة عن دوران الشمس في القال دورة واحدة تامة وهي ثلثمائة
وخمسة وستون يوما وربع يوم فتقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فيسبب
هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال
المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية

قوله وأيام هذه
الشهور والخ المذكور
في كتب النسخة
أن السنة الهلالية
ثلاثمائة وأربعة
وخمسون يوما
وخمس يوم وسدسه
وأن السنة الشمسية
ثلاثمائة وخمسة
وستون يوما وربع
يوم الاجزاء من
ثلاثمائة جزء من
اليوم ٥١

فكان حجمه يقع تارة في وقته وتارة في الحرم وتارة في صفر وتارة في غيره مما من الشهور فأعلم الله تعالى أن عدة الشهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا أي في علمه وحكمه (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه أحوال مخلوقاته بأسرها على التفصيل وهو أصل المكتب التي أنزلها الله تعالى على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل فيها أنبأه وأوجب من حكمه ورآه حكمة وصوابا (يوم خلق السموات والارض) أي أن هذا الحكم حكم به وقضاه يومئذ أي السنة اثنا عشر شهرا (منها) أي الأشهر (أربعة حرم) ثلاثة سواء وذو القعدة يفتح القاف وذو الحجة بكسر الحاء على المشهور فمما وبما بذلك لعمري أنهم عن القتال في الأول ولوقوع الحج في الثاني والحرم بتشديد الراء المفتوحة حتى يذات التحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على الابس ودخلته الامداد وغيره من الشهور لانه أولها فعرفوه كأنه قيل هذا الشهر الذي ابتدأ أول السنة وواحد فرد وهو رجب ويجمع على ارجاب ورجاب ورجوب ورجبات ويقال له الاصم والاصب وقيل لم يعذب الله أمة في شهر رجب ورد عليه بأن الله تعالى أغرق قوم نوح فيه قاله التعلبي وهذا الترتيب الذي ذكرناه في عدة الأشهر الحرم وجعلها من سنتين هو الصواب كما قاله النووي في شرح مسلم ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وعددها الكوفيون من سنة واحدة فقالوا المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة قال ابن دحية وتظهر فائدة الخلاف فيما اذا نذر صيامها مرة فعل في الاقل ينتدى بذى القعدة وعلى الثاني بالمحرم ومعنى الحديث أن الأشهر رجعت الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذى الحجة وبطل التمس الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذى الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذى القعدة ومعنى الحرم أن المعصية فيها أشد عقابا والطاعة فيها أكثر ثوابا والعرب كانوا يعظمونها جدا حتى لولئ الرجل قاتل أبيه لم يعرض له (فان قيل) أجزاء الزمان متشابهة في الحقيقة فما السبب في هذا التميز (أجيب) بأن هذا المعنى غير مستبعد في الشرائع فان أمثله كثيرة ألا ترى أنه تعالى ميز البلد الحرام عن سائر البلاد بميزيد الحرمة وميز يوم الجمعة عن سائر أيام الأسبوع بميزيد الحرمة وميز يوم عرفة عن سائر الأيام بتلك العبادة المخصوصة وميز شهر رمضان عن سائر الشهور بميزيد حرمة وهو وجوب الصوم وميز بعض ساعات اليوم بوجوب الصلاة فيها وميز بعض الليالي عن سائرها وهي ليلة القدر وميز بعض الأشخاص عن سائر الناس باعطاء صلح الرسالة واذا كانت هذه الامثلة ظاهرة مشهورة فأى استبعاد في تخصيص بعض الأشهر بمزيد الحرمة (ذلك) أي تحريم الأشهر الأربعة (الدين القيم) أي المستقيم وهو دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب وروثوهم منها وقيل المراد بالدين الحساب يقال الكيس من دان نفسه أي حاسبها والقيم معناه المستقيم فتفسير الآية على

هذا التقدير ذلك الحساب المستقيم الصحيح والعدد المستوي وقال الحسن ذلك الدين القديم الذي لا يبدل ولا يغير فالقيم هنا بمعنى القائم الدائم الذي لا يزول وهو الدين الذي فطر الناس عليه (فلا تظلموا فيه) أي الأشهر الحرم (أنفسكم) بالمعاصي فانها فيها أعظم وزر إلا أن الله تعالى خص هذه الشهرة بعز ويزيد احترام في آية أخرى وهو قوله ما إلى الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فهذه الأشياء غير جائزة في غير الحج أيضا إلا أنه تعالى أكد في المنع منها في هذه الأيام تنبيهها على زيادتها في الشرف وقال ابن عباس إن المراد فلا تظلموا في الشهر والاثني عشر أنفسكم والمقصود من منع الإنسان من الإقدام على الفساد مطلقا في جميع العمر قال الفراء والاول أولى لأن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة فيهن فاذا جاوز هذا العدد قالوا فيها والاصل فيه أن جمع القلة يكتفي عنه كما يكتفي عن جماعة مؤنثة ويكتفي عن جمع الكثرة كما يكتفي عن واحدة مؤنثة كما قال حسان

لنا الجففات الغزيلعن في الضحى * وأسيا فذا يقطن من نجدة دما

قال يلعن ويقطن لأن الاسيا والجففات جمع قلة ولوجع جمع الكثرة لقول تلعب وتقطر هذا في الاختيار ثم يجوز إراء أحدهما مجرى الآخر كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكنايب

فقال بهن والسيوف جمع كثرة وقيل المراد بالظلم المقاتلة في هذه الأشهر وقيل النسيء الذي كانوا يعملونه فيقتلون الحج من الذي أمر الله تعالى بأقامته فيه إلى شيء آخر ويغيرون تكاليف الله تعالى والجهور على أن حرمة المقاتلة في الأشهر الحرم منسوخة وعن عطاء لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم الآن يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزاها وازن بجنين في شوال وذى القعدة وقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة) أي جميعا في كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة ومن كان معه نصر لا محالة (انما النسيء) أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعل كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر ورفضوا خصوص الأشهر واعتبروا بمجرّد العدد فكانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون الحرم فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع وهكذا شهر ربيع حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يججون في كل شهر عامين فجيو في ذى القعدة عامين ثم ججوا في الحرم عامين ثم ججوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه في السنة التاسعة في ذى القعدة قبل حجة الوداع بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذى الحجة وهو شهر الحج المشرع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر وأعلمهم أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك ثلاثين بدلا في مستأنف الأيام وقد رجع الحرم إلى موضعه الذي وضعه الله تعالى وذلك بعد دهر طوي وروى عن أبي

بكرضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته لنا أى شهر هذا قلنا الله
 ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا
 قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال
 فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا
 بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم
 هذا وستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً لا يضرب بعضكم
 رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فاعل بعض من يبلغه أن يكون أو عى له من بعض من سمعه
 ألا هل بلغت ألا هل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهدوا ختلقوا في أول من نسا
 القس فقال ابن عباس بنو مالك بن كنانة وكان يليه أبو غامدة وجنادة بن عوف بن أمية الكنانى
 كان يقوم على جبل بالموسم فينادى ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأجابه ثم ينادى فى قابل ان
 آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فخرموه وقال الكلبى أول من فعل ذلك رجل من بنى كنانة يقال
 له نعيم بن ثعلبة وقبل أول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو أول من سب السواب وقال فيه النبى
 صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه فى النار وقوله تعالى (زيادة فى الكفر) معناه انه
 تعالى حكى عنهم أنواعا كثيرة من الكفر فلما ضموا تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرم الله
 تعالى وهو كفر كان ضم هذا العمل الى تلك الأنواع المتقدمة من الكفر زيادة فى الكفر لان
 الكافر كلما أحدث معصية أزداد كفرافزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن كلما أحدث
 طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستنبشرون وقرأ ورش النسي بقلب الهمزة ياء واغام
 الياء فيها بقيت ياء مضمومة مشددة والباقيون بهمزة مضمومة هذا فى الوصل وأما الوقف
 فورش يقف ياء مشددة ساكنة وحزرة كذلك وله فيه الروم والاشمام والباقيون بهمزة ساكنة
 (يصل به) أى بهذا التأخير الذى هو النسي (الذين كفروا) قرأ حفص وحزرة والكسافى بضم
 الياء وفتح الصاد لقوله تعالى زين لهم سوء أعمالهم والباقيون بفتح الياء وكسر الصاد على معنى
 أنهم هم الضالون لقوله تعالى (يحلونه) أى يحلون النسي من الاشهر الحرم (عاما) ويحرمون
 مكانه شهر آخر (ويحرمونه عاما) فيتركونه على حرمة وانما فعلوا ذلك (ليواطوا) أى ليوافقوا
 (عدة) أى عدد (ما حرم الله) من الاشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة أشهر ولا ينقصون عنها
 ولا ينظرون الى أعيانها (فيحلوا ما حرم الله) بواطاة العدة من غير مراعاة الوقت الذى يحل
 اليه الاشهر الحرم (زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل حتى
 حسبوا هذا القبيح حسنا (وانه لا يهدى القوم الكافرين) أى هداية موصلة الى الاهتداء لما
 سبق لهم فى الازل انهم من أهل النار ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من الطائف الى المدينة
 وحث على غزوة تبوك وكان ذلك الوقت زمان عسرة وشدة حر وطابت ثمار المدينة ولم يكن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فى حرتشديد واستقبل سفر ابعيدا ومفاوز جلال للناس أمرهم لينا هموا أهبة غزوه

فشق عليهم الخروج وتناقلوا فنزل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله
 أنما قلتم) بادغام التمام في الأصل في المثناة واجتلاب همزة الوصل إذا صلة تناقلتم ومعناه تناطأتم
 وملتم عن الجهاد (إلى الأرض) والعودة فيها والاستقها للثوبين قال المحققون وانما تناقل
 الناس من وجوه الأول شدة الزمان في الصنف والقطع والثاني بعد المسافة والحاجة إلى
 الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به عادتهم في سائر الغزوات والثالث ادراك الثمار بالمدينة
 في ذلك الوقت والرابع شدة الحزن في ذلك الوقت ثم قال لهم الله تعالى (أرضيتُم بالحياة الدنيا)
 وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما منع الحياة الدنيا) جنب منافع (الآخرة)
 الأقل (أي حقير لأن منافع الدنيا يفقد عن قريب ونعيم الآخرة باق على الدوام فلهذا السبب
 كان منافع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة قليلا وفي الآخرة دليل على وجوب الجهاد في كل حال
 وفي كل وقت لأن الله تعالى نص على أن تناقلهم عن الجهاد أمر منكرف لو لم يكن الجهاد واجبا لما
 عاتبهم الله على التناقل ويؤكدها الوعيد المذكور وفي قوله تعالى (الآخرة) أي بادغام نون
 الشرطة في لافي الموضوعين (تنفروا) أي تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم)
 عذابا أليما) أي مؤلما في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا فيها أو بالاهلاك بسبب فطميع
 كقطع وظهور وعدو وقيل باحتباس المطر عنهم قال ابن عباس استنفر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما
 غيركم) أي يات بهم بدلكم قال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبيرة بناء فارس وقال أبو
 روق هم أهل اليمن قال الرازي وهذه الوجوه ليست تفسيرا للآية لأن الآية ليس فيها إشعار بها
 بل حمل ذلك المطلق على ضرورة معينة شاهدها وقال في الكشف بعد ذكر ذلك والظاهر
 مستغن عن التفصيل (ولانضروا) أي لا يقدح تناقلكم في نصر دينه شيئا فإنه الغنى عن كل
 شيء في كل أمر وقيل الضمير راجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي ولانضروا لأن الله تعالى
 وعده أن ينصره وعده كائن لا محالة (والله على كل شيء قدير) أي يفقد على التبدل وتغيير
 الأسباب والنصرة بلا عدد كما قال تعالى (الانصروه) أي محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون
 (فقد نصره الله) فإنه المتكفل بنصرة رسوله صلى الله عليه وسلم في أعز دينة وأعلاء كلمته أعنفه
 أولم تعبوه فإنه قد نصره عند قلة الأواباء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد
 والعدد وقد نصره (آذ) أي حين (أخرجهم الذين كفروا) من مكة حين مكروا به حيث تشاوروا
 في قتله أو أخرجه أو ثباته في دار الندوة فكان ذلك لأن الله له في الخروج من بينهم حالة كونه
 (مأثرا) أي أحدهما أبو بكر رضي الله عنه لآلئهما لم يصيرهما إلا الله تعالى وقوله تعالى
 (آذ) بدل من آذ قبله (هما في الغار) أي غار ثور الذي في أعلى الجبل المواجه للركن الثاني بأسفل
 مكة على مسيرة ساعة منها كما فيه ثلاث ليال ليفترعهما الطلب وذلك قبل أن يصل إلى مكة
 ويعتولاني النصر عليكم وقوله تعالى (آذ) بدل ثان (يقول) صلى الله عليه وسلم (الصاحبة) أي بكر
 الصديق رضي الله عنه وثوقا بربه غير مترجم من شيء وقد قال له أبو بكر لما رأى أقدام المشركين

لو نظر أحدهم تحت قدميه لا يصرنا (لا تحزن) والحزن هم غليظ شوجع يرق له القلب وانما كان
خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما لم يوصلا الغار نزل أبو بكر الغار ولا يلتصق مافي
الغار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مالك فقال بأبي أنت وأمتي الغار مأوى السباع والبهائم
فان كان فيه شيء كان بي لا بك وكان في الغار حجر فوضع عقبه عليه ثلاثا يخرج ما يؤذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الاثر وقرروا بكي أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) فقال له أبو بكر وان الله معنا فقال
الرسول صلى الله عليه وسلم نعم فعمل يسبح الدموع عن خذه وروى لما طلع المشركون فوف
الغار وأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان نصب اليوم ذهب
دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك بأثنين الله ثالثهما وروى لما دخل الغار بعث الله
تعالى حمامتين باضتاني أسفله والعنكبوت فسبحت عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم
أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحدا ويقولون لودخل هذا الغار تكسر سيف
الحمام وتفسخ نيت العنكبوت * (تنبيه) * دلت هذه الآية على تفضيل أبي بكر رضى الله عنه
من وجوه منها ان الهجرة كانت باذن الله تعالى وكان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
جماعة من الخالصين وكانوا في النسبة الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب من أبي بكر
رضي الله عنه فلو ان الله تعالى أمره بأن يستعصم في تلك الواقعة الصعبة الهائلة والالكان
الظاهر أن لا يخصه بهذه الصعبة وتخصيص الله تعالى له بهذا الشريف دال على منصب عال له
في الدين ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ولا شك ان المراد من هذه المعية المعية
بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة وقد شرب صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين أبي بكر في هذه
المعية وكنى بها شرفا ومنها أن قوله لا تحزن نهى عن الحزن مطلقا والنهى يوجب الدوام
والتكرار وذلك يقتضى أنه لا يحزن أبو بكر رضى الله عنه بعد ذلك البتة قبل الموت وعند
الموت وبعد الموت ومنها طباق الكل على أن أبا بكر هو الذى اشترى الرحلة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى أن عبد الرحمن بن أبي بكر واسمها بنت أبي بكر هما اللذان كانا بأبياتهما
بالطعام وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يبي بكر أنت صاحبني في الغار وصاحبني على الخوض قال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر
رضي الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا تكافئ القرآن وفي سائر
الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا لا كافرا واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (فأنزل الله
سكينته) أى طمأنينته (عليه) هل هو النبي صلى الله عليه وسلم أو لا يبي بكر رضى الله عنه رجع
الثاني لوجوه الأول ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات وأقرب المذكورات المتقدمة
في هذه الآية هو أبو بكر لانه تعالى قال اذ يقول لصاحبه والتقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي
بكر لا تحزن وعلى هذا التقدير فأقرب المذكورات السابقة هو أبو بكر فوجب عود الضمير اليه
والثاني ان الحزن والخوف كانا باصحابين لا يبي بكر لا لرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان أصنا

ساكن القلب فيما وعده الله تعالى أن ينصره على قريش فلما قال لابي بكر لا تحزن صاوا منا
فصرف السكينة لابي بكر ليصبر ذلك سبيل روال خوفه أولى من صرفها الى الرسول صلى الله
عليه وسلم مع أنه كان قبل ذلك ساكن النفس قوى القلب الثالث انه لو كان المراد انزال السكينة
على الرسول صلى الله عليه وسلم لوجب أن يقال ان الرسول كان قبل ذلك خائفا ولو كان
خائفا لما أمكنه أن يقول لابي بكر لا تحزن ان الله معنا في كان خائفا لم يمكنه أن يرسل الخوف
عن قلب غيره ولو كان راجعا الى الرسول لوجب أن يقال فأرسل الله سكينته عليه فقال لصاحبه
لا تحزن فيكون ذلك مما يدل على فضيلة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومنها حديث الهجرة على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت لم أعقل أبوي
الا وهما يدينان الدين ولم يترعنا يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بنا طرفي النهار بكرة
وعشية فلما أتى المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اني رأيت دار هجرتك مبعجة
ذات نخل بين لابتي وهما الحمرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عائشة من كان
هاجر بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجوت ذلك يا رسول
الله قال نعم فجلس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاف راحلتي كانتا عنده
من ورق الشجر وهو الخبط أربعة أشهر قالت عائشة فيمنافقين جالوس في بيت أبي بكر في حر
الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتيها
فقال أبو بكر والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت بخار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستأذن فأذن له فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عنده فقال أبو
بكر انما هم أهالك يا رسول الله فقال قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصعبة يا رسول الله قال نعم
قال أبو بكر فخذنا حديد راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فتن قالت عائشة
فجهزناهما أحب الجاهل ووضعهما لهما مسفرة في جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من
نظاقها فربطت به على فم الجراب فسميت بذلك ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكنفا فيه ثلاث ليال بيت عندهما عبد الرحمن بن أبي بكر
وهو غلام شاب فبدلج من عندهما بهر فيصبح مع قريش بمكة فكانت فلا تسمع أمرا يكادان
به الا وهما حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يحتلط الظلام وكان يرى عليهما عاهرين فهيرة مولى
أبي بكر من غنم فيربهما عليهما حين تذهب ساعة من العشاء يفعل ذلك كل ليلة من الليالي
الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل هادياعا فابا الهداية
وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعدا غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما
بعد صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عاهرين فهيرة والدليل الديلي فأخذهم طريق الساحل
فعلمهم سرقة بن مالك المدلجي وكان كفار قريش به لواء في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر كل واحد منهما ماني قتله وأسره دية قال سرقة فتيبعتهم حتى دنوت منهم فغرت قريش فخررت

عنها فقامت وأهويت يدي الى كتابي فاستخرجت منها الازام فاستقسمت بها اضرهم أم لا
فخرج النبي كره فوسكت فرسى وعصبت الازام ففرت بى حتى سمعت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكتم الالتفات فساخنت يد افرسى في الارض حتى
بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زحرتها فنهضت فلم تنكأ تخرج يديها فلما استموت قائمة اذلاثر
يديها غبارا ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازام فخرج النبي كره فناديهم الا امان
فوقفوا فركبت فرسى حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك جعلوا فيك الدية وأخبرتهم بما يريد الناس
بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم يسألاني الا ان قالوا أخف عنا فسالته ان يكتمب لي
كتاب امان فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم ووضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا أقبلا من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر لما بيضا فلما قربا من المدينة وصل الخبر الى الانصار فخرجوا مسرعين
فلحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فأخذ بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو
ابن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام في بني عمرو بضع عشرة ليلة وأسس
المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته
وصار يمشي معه الناس حتى بركت عند مكان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وكان يريد عرسا سهل وسهيل فساومهم ما صلى الله عليه وسلم ليتخذ مسجدا فقالوا بل نهبه لك يا رسول
الله ثم بناه مسجدا وصار صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه ويقول وهو ينقل اللبن
هذا الجمال لاجال خير * هذا أبر بنا وأطهر

ويقول أيضا ان الاجر أجزا الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة

قال ابن شهاب لم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمل بيت شعر تام غير هذا
فاظهاره خروجه صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه مما يدل على فضيلته ونضائه ورضي
الله عنه وعن بقية الصحابة أجمعين وفيما ذكرناه كفاية وأما الضمير في قوله تعالى (وأبده) فاقدموا
انه للنبي صلى الله عليه وسلم فهو معطوف على قوله تعالى فقد نصره الله (بجئود لم نزوها) أى من
الملائكة الكرام في القار يوم بدر والاحزاب وحين وجميع موطن قتاله (وجعل كلمة) أى
دعوة (الذين كفروا) الى الكفر (السفلى) أى المغلوبة نجيب سعيهم ورد كيدهم (وكلمة الله)
اى الى الاسلام (هى العليا) أى الغالبة الظاهرة وقيل كلمة الذين كفروا ما كانوا قادرين عليها منهم من
الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم وكلمة الله هى ما وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله تعالى
حقا وصدقا (والله عز وجل) فى ملكه (حكيم) فى أمره وتدبيره لا يمكن أن يتنقض شئ من مراده
فلا محيص عن نفوذ ما أراده ولما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبلعا ما بها به
لاقبول اقبل عليها سبحانه وتعالى فقال (انفروا خفا وثقالا) أى على الصفة التى يخفى عليكم
الجهاد فيها وعلى الصفة التى ينقل عليكم وهذا ان الوصفان يدخل تحتها أقدم كثيرة ولهذا

اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال ابن عباس نشاطا وغير نشاطا وقال الحسن شبانا وشيوخا
وقال عطية العوفي ربكنا ومشاة وقال أبو صالح فقراء وأغنياء وقال الحكم بن عيمية مشاغبل
وغير مشاغبل وقال حرة الهمداني أخصاء وأخصاب مرض وعن صفوان بن عمرو وكنت واليا
على حصن فلقيت شيخنا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم
لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال استغفرنا الله خفافا وثقالا لأنه من يحبه الله يتليه وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقبل ذلك عليل صاحب
مرض فقال استغفرنا الله الخفيف والتقييل فإن لم يكن الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعل أن أنقر قال ما أنت إلا خفيف
أرقت قبل فرجع إلى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى ليس
على الأعرج حرج أي فهي منسوخة بذلك وقال ابن عباس نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الآية وقال السدي لما رثت اشتد شأنها على المسلمين فسحقها الله تعالى وأنزل ليس
على الضعفاء ولا على المرضى وقال عطاء الخراساني منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون
لننفروا كافة وقوله تعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أمر إيجاب للجهاد
أي ما يمكن لكم بهما كليهما أو أحدهما على حسب الحال والحاجة (ذلكم) أي هذا الأمر
العظيم (خير لكم) أي خاص بكم ويجوز أن يكون أقبل تفضل أي عبادة الجهاد بالجهاد خير
من عبادة القاع بغيره كما قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يمكن بلوغ درجة المجاهد فقال هل
تستطيع أن تقوم فلا تقتر ونصوم فلا تفطر ثم ختم تعالى الآية بقوله تعالى (إن كنتم تعلمون)
أي ما حصل من الخيرات في الآخرة على الجهاد لا يدرك إلا بالتأمل ولا يعرفه إلا المؤمن الذي
عرف بالدليل أن القول بالصيام حتى وإن التول بالثواب والعقاب صدق ونزل في المنافقين
الذين يخلفون عن غزوة تبوك (لو كان) ما ندعوهم إليه (عرضا) أي متاعا من الدنيا يقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (قريبا) أي سهل المأخذ وقوله تعالى (وسقرا فاصدا)
أي وسطا فحذف اسم كان وهو ما فدونه قال الزجاج دلالة ما تقدم عليه وانما هي السقرا فاصدا
لأن المتوسط بين الإفراط والتفريط يقال له مقتصد قال تعالى فثم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد لأن
المتوسط بين الإفراط والقتلة يقصده كل أحد وقوله تعالى فاصدا أي ذاق قصده كقوله لم لا ين
وتامر (لا تبعوا) أي وافقوا طلبا للجنة (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع
بمشقة (وسيجلفون) أي المختطفون (بالله) إذا رجعت من تبوك معتذرين (لو استطعنا) أي
لو كان لنا استطاعة بالبدن أو العدة (لخرجننا) أي في هذه الغزاة (معكم) أي يكون أنفسهم أي
بسبب هذه الأيمان الكاذبة كما قال تعالى (والله يعلم أنهم لكاذبون) في ذلك لأنهم كانوا
مستطيعين الخروج (عني الله عنك لم أذنت لهم) أي عفا الله تعالى عنك يا محمدا كان منك
في ذلك لهؤلاء المنافقين الذين استأذوك في ترك الخروج معك إلى تبوك واختلقوا هل في ذلك
معاتبه التي صلى الله عليه وسلم أم لا فقال عرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه

وسلم لم يؤمرهم ما أذن للمنافقين وأخذ الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله تعالى كما سمعوه وقال
سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ الله تعالى بالعفو قبل أن يعبره وقال القاضي عياض
في الشفاء أن هذا أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى غنى فيه عدم معصية
ولاعده الله تعالى معصية عليه لم يلعبه أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك وليس عفا
بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والريق ولم تجب
عليهم قط أى لم يكن يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من
لا يعرف كلام العرب وقال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وقال السمرقندي
ان معناه عافاك الله وقال الرازي ان ذلك يدل على مبالغة الله في توقيه وتغليظه كما يقول الرجل
لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما جوابك عن كلامي ورضي الله عنك ما صنعت في
أمرى فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا مزيد التعجيد والتعظيم أى كما كانت عادة العرب في
مخاطبتهم لا كبرهم بأن يقولوا أصلى الله الامير والمالك ونحو ذلك (حتى يبين لك الذين صدقوا)
أى في اعتذارهم (وتعلم السكاكين) أى فيما أظهره من الايمان باللسان لو لم يؤذن لهم لقدعوا
بلاذن غيرهم اعين ميثاقهم الذى واثقوا عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة
(لا يستأذنك) أى لا يطلب اذنك بغاية الرغبة فيه (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى الذى
يكون فيه الجزاء والثواب والعقاب (ان) أى فى ان (يجاهدوا) وانما حسن هذا الحذف
لظهوره (بأموالهم وأنفسهم) بل يبادرون الى الجهاد عند اشارتك اليه ويعثك عوما عليه فضلا
عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه فان اخلص من المهاجرين والانصار كانوا يقولون لا نستأذنه
صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فان ربنا نبأ اليه مرة بعد مرة فأى فائدة فى الاستئذان ولنجاهد
معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا يجيبوا أمرهم صلى الله عليه وسلم بالقعود لثقت عليهم كما وقع
لعلى رضى الله عنه فى غزوة تبوك لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقيم فى المدينة شق
عليه ولم يرض حتى قال له صلى الله عليه وسلم ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى
(والله عليهم بالمتقين) أى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يا محمد
فى التخلف عن الجهاد معك من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون
لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وآيات) أى شكت (قلوبهم) فى الدين وانما أضاف
الشك والارتباب الى القلب لانه محل المعرفة والايان فاذا دخله الشك كان ذلك نقاها
(فهم) أى فتسبب عن ذلك انهم (فى ريمهم يترددون) أى المنافقون يتحيدون لامع الكفار
ولامع المؤمنين * (تنبيه) اختلف علماء النسخ والمنسوخ فى هذه الآيات فقيل انها منسوخة
بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى ان الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع
بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله تعالى وجهاد عدوهم من غير

استئذان فاذا عرض لاحدهم عذرا استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا
في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير
عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو معك
(لاعدوالة) أي قبل حادثة (عدة) أي قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكرع بحيث يكونون
كما الحاضرين في صلب الحرب الواقفين في الصف قد استعدوا لها بجميع عذتها * ولما كان
قوله تعالى ولو أرادوا الخروج يعطى معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو أي تعالى بجرف
الاستدراك فقال تعالى (ولكن كره الله اتباعهم) أي لم يرش خروجهم معك الى الغزو (فتبطلهم)
أي حسبهم بالجبن والكسل (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدین) أي مع النصارى والصبيان
والمرضى وأهل الاعذار ومعنى قبل لهم أي قدر الله تعالى عليهم ذلك بان ألقى في قلوبهم
القعور لما كره الله اتباعهم مع المؤمنين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استأذنه
في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدین (فان قيل) خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه
وسلم اما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال تعالى ولكن كره الله اتباعهم
فتبطلهم وان كان فيه مفسدة فلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عما الله عنك لم أذن لهم
في ترك الخروج (أجيب) بأن خروجهم فيه مفسدة عظيمة بدليل قوله تعالى (لو خرجوا فيكم)
أي معكم (ما زادوكم) بخروجهم (الاخبالا) أي فسادا وشرا بتخذيذ المؤمنين وتقدم الكلام
على قوله لم أذن لهم * (تنبيه) لا يصح أن يكون فيه الاستئذان منقطع الان الاستثناء المنقطع
يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله ما زادوكم خيرا الاخبالا والمستثنى منه
في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقوع الاستثناء من أعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا
الاخبالا (ولا وضعوا) أي أسرعوا (خلالكم) أي بينكم فيما يعمل بكم بالنسبة بالجمعة
(يغفونكم الفسنة) أي يطلبون منكم ما تفتنون به وذلك انهم يقولون المؤمنين لقد جمعوا
لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم تنهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من
الاحاديث الكاذبة التي تجنبهم (وقيكم) أي والحال ان فيكم (سماعون لهم) أي عيون لهم
يؤدون لهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس أو مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين
ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيعلمون انهم
(فان قيل) كيف يكون في المؤمنين الخالصين من طبع المنافقين (أجيب) بأنهم ربما قالوا قولا
أثر في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال وقوله تعالى (والله عليم بالظالمين) وعبدوته تهديد
للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين (اقد اتفقوا الفسنة) أي العنت ونصب
الفواتل والسعي في تشييت شملك وتفرق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد وحنين
انصرف عن معه وعن ابن جريح وقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم على التنبه لبله العقبة
وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قيل) أي قبل غزوة تبوك (وقلبوا الامور) أي ودبروا
للكحيل والمكايد ودبروا الراء بينهم في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرتك

(وظهر أمر الله) أى غلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) له أى على رغم منهم فقد خلوا فيه ظاهرا * ولما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس وكان من المنافقين يا أباهب هل لك فى جلاد بنى الاصفريعى الروم تتخذ منهم سراى ووصفا فقال الجدل بن قيس يا رسول الله لقد علم قومى انى مغرم بالاسماوانى أخشى ان رأيت بنات بنى الاصفران لأصبر عنهن انذن لى بالقعود ولا تفتنى واعينك بما لى قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فيه (ومنهم) أى المنافقين (من يقول انذن لى) أى فى القعود فى المدينة (ولا تفتنى) أى بنات بنى الاصفر وقبل لا توقعنى فى الفتنه وهى الاثم بأن لا تأذن لى فانك ان منعتنى من القعود وقعدت بغيرا ذاك وقت فى الاثم وقيل لا تلقنى فى الهلاك فان الزمان زمان شدة الحر ولا طاقة لى بها وقبل لا تفتنى بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كفل لهم بعدى قال الله تعالى (ألا فى الفتنه سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التلطف وظهور النفاق لاما أخبروا عنه (وان جهنم لحيطه بالكافرين) أى جامعة لهم لا محيص لهم عنها يوم القيامة وهى محيطه بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانتهم فى وسطها (ان تصبك) يا محمد فى بعض الغزوات (حسنة) أى نصرة وغنيمة (تسؤهم) أى تحزنهم لما فى قلوبهم من الضعف والمرض (وان تصبك مصيبة) أى تسببه وان صغرت فى بعض الغزوات كما وقع يوم أحد (يقولوا) أى سرورا وتبجعا بحسن رأيه (قد أخذنا أمرنا) أى بالجلد والحزم فى القعود عن الغزو (من قبل) أى قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) أى مسرورون بما نالكم من المصيبة وسلامتهم منها قال الله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبكم من المصائب والمكروه (ان يصيبنا الا ما كتب الله) أى قدره (لنا) فى اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحدنا بدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا ان أراد ما لم يقدر له (هو) أى الله (مولانا) أى ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا فى الموت والحياة ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فى جميع أمورهم لان حقهم أن لا يتوكلوا على غيره فليفعولوا ما هو حقهم (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون) فيه حذف احدى التاءين من الاصل أى تنتظرون أن يقع (بنا) أيها المنافقون (الاحدى الحسنين) تثنية حسنى تأنيث أحسن أى الاحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصر أو الشهادة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الجهاد فى سبيل الله اما أن يسلم ويغنى فيحصل له المال واما أن يقتل فى سبيل الله فيحصل له الشهادة وهى العاقبة القصوى وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرج من بيته الا لجهاد فى سبيله وتصدق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة (وتحنن تربص بكم) أى احدى السوائين من العواقب اما (أن يصيبكم الله بعدا من عنده) لاسبب لنا فيه كان ينزل عليكم فارة عن السماء كما نزلت على عاد

وغود (أو) بعذاب (بأيدينا) أي بسببنا من قتل ونهب وأسر وغير ذلك (فترضوا) بأنماذ كرنا
 من عواقبنا (أنا معكم مقربون) ما هو عاقبتكم ولابد أن يلقي كلنا ما يترصه لا يتجاوز (قل)
 يا محمد لهؤلاء المنافقين (أنفقوا طوعاً وكرهاً) أي من غير الزام من الله ورسوله أو لمزمن وسمى
 الإلزام أكرهاً لأنهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شأفا عليهم كالأكره أو طائعين من غير
 إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يجمعون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه
 أو مكرهين من جهتهم (لن تقبل منكم) أي لا تقبل منكم نفاقكم على أي حال كان
 (فان قيل) كيف أمرهم بالانفاق ثم قال لن تقبل منكم (أجيب) بأن هذا أمر في معنى الخبر
 كقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليدله الرحمن مداوروي أنها زلت في الجد بن قيس حين
 تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي أعينك به فاتركني ثم علل
 تعالى سبب منع القبول بقوله تعالى (أنكم) أي لأنكم (كنتم قوماً فاسقين) والمراد بالفسق هنا
 الكفر ويدل عليه قوله تعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله) أي وما
 منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ جزء والكسائي يقبل بالياء على التذكير لأن تأنيث
 النفقات غير حقيقي والباقون بالناء على التأنيث (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) أي متهافلون
 لا يأتونها قط بشا ط (ولا ينفقون) أي تنفقة من واجب وغيره (الآلوه كارهون) أي في حال
 الكراهة وإن ظهر خلاف ذلك وذلك كله لعدم النية الصالحة وهذا لا ينافي طوعاً ولا ذلك
 بحسب الظاهر وهذا بحسب الواقع (فلا تعجبك) يا محمد (أموالهم) أي وإن أنفقوها في سبيل الله
 وجهزوا بها الغزاة فإن ذلك من غير إخلاص منهم ولا حسنة ولا جليل طوية (ولاً أولادهم)
 الذين يجمعون بهم فإن ذلك استدراج ووبال كما قال تعالى (انما يريد الله ليذهبهم بها
 في الحياة الدنيا) وإن كان يترامى أنها الذبذة لأن ذلك من شأن الحياة وتعيذهم فيها بسبب
 ما يكابدون من جمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدة دائدوا المصائب (فان قيل)
 هذا لا يختص بالمنافق فما فائدة تخصيصه به (أجيب) بأن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرته وأنه
 يثاب بالمصائب الحاصلة في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً والمنافق لا يعتقد ذلك فيبقى
 ما يحصل له في الدنيا من التعب والمشقة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا (وتزهد)
 أي تخرج (أنفسهم) بسببها (وهم) أي والحال انهم (كافرون) أي يمتنون على الكفر فتكون
 عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة وهكذا كل من أراد الله تعالى استدراجه في الغالب كثر
 ما هو وادته فكثيراً عما به وولده وبطره وكفره نعمة الله تعالى والاعجاب السرور بالشئ
 مع نوع الاقتضائه ومع اعتقاده أنه ليس لغيره ما يساويه وهذه الحال تتبدل على استغراق النفس
 بذلك الشئ وانقطاعه عن الله تعالى فإنه لا يبعد في حكم الله تعالى أن ينزل ذلك الشئ عن ذلك
 الإنسان ويجعله لغيره والإنسان متى كان مستذكراً لهذا المعنى زال إعجابه بذلك الشئ ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات فمطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وكان صلى
 الله عليه وسلم يقول هلك المكثرون وقال أيضاً ما لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست

فأبليت أو تصدقت فأبقت وروى من كثر ماله اشتد حسابه ومن أراد من السلطان قربا زداد
 من الله بعدوا والاحبار والواردة في هذا الباب كثيرة والمقصود منها الزجر عن الاطغاب من الدنيا
 والمنع من التماثل في حبها والافتقار إليها لأن الانسان خلق للآخر لا للدنيا فينبغي أن لا يشتد
 محبه بالدنيا وان لا يميل قلبه إليها فان المسكن الاصل له هو الآخر لا الدنيا * ولما بين
 تعالى كون المنافقين مستجمعين لكل مضار الدنيا والآخرة خالين عن جميع منافع الآخرة
 والدنيا عادي ذكر فضائحهم وقبائحهم فنها اقدامهم على الايمان الكاذبة كما قال تعالى
(ويخلفون) أي المنافقون (بالله) للمؤمنين اذا جاؤا معهم (انهم لمنكم) أي على دينكم
ومسلككم (وما هم منكم) أي لا تكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) أي يخافون منكم أن تفعلوا
بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الاسلام نقيصة (لو يجدون ملجأ) أي حصنا يلجئون اليه وقبل
لو وجدوا مهربا هربوا اليه وقبل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم اصابوا اليهم
وفارقوكم (أو مغارات) أي سرايب جمع مغارة وهو الموضع الذي يغوف فيه الانسان أي يستتر
(أو مدخلا) أي موضعا يدخلونه (لو لو اليه) والمعنى انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه
الثلاثة مع انها سر الامكنة لدخول اليه ويحترزوا فيه (وهم ينجحون) أي يسرعون في دخول
ذلك المكان اسرا عالا يرد وجودهم شيء ومن هذا يقال جميع الفرس وهو فرس جوح وهو الذي
اذا حمل لا يرد العظام * ثم ذكر تعالى نوعا آخر من قبائح المنافقين وهو طعنهم في رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسبب أخذ الصدقات بقوله تعالى (ومنهم من يلزك) أي يعيبك (في الصدقات)
قال أبو علي الفارسي ههنا محذوف والتقدير يعيبك في تقسيم الصدقات واختلاف في سبب
نزول هذه الآية فقال أبو سعيد الخدري ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مالا اذا قام
ذوا الخوصرة وهو رجل من بني عجم رأس الخوارج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
غنائم حنين واستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال يا رسول الله اعدل فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلك ان لم أعدل فكن يعدل قد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل
فقال هو رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه فقال له صلى الله عليه وسلم دعه
فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم بقرآن القرآن لا يجاوز
تراقيمهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له
الجواظ المنافق ألا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويرغم انه يعدل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بألك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال
صلى الله عليه وسلم احذروا هذا أصحابه فانهم منافقون وقال ابن زيد قال المنافقون والله
ما يعطيهم محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا هواه فترات وروى أبو بكر الاصم في تفسيره انه صلى
الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه ما علمك بفلان فقال مالي به علم الا انك تدنيه في المجلس
وتجزل له العطاء فقال صلى الله عليه وسلم انه منافق أدار به عن نفاقه وخاف أن يفسد على
غيره فقال لو أعطيت فلانا بعض ما تعطيه فقال صلى الله عليه وسلم انه مؤمن أكمل إيمانه وأما

هذا افتاق أداريه خوف فسادهم (فإن أعطوا منها) أى من الصدقات (رضوا) أى رضوا عنك
 في قسمتها (وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) أى وان لم تعطهم عابوا عليك ويسخطوا قال أهل
 المعاني ان هذه الآية تدل على ركائز اخلاق المنافقين وذم طبعهم وذلك لانه لشدة شرهم
 الى أخذ الصدقات عابوا رسول صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الجور في القسمة مع أنه كان أبعد
 خلق الله تعالى عن الميل الى الدنيا وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بينهم
 ما آتاه الله تعالى من قليل المال وكثيره وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله تعالى
 وأما المنافقون فإن أعطوا كثيراً فرحوا وان أعطوا قليلاً سخطوا وذلك يدل على أن رضاهم
 وسخطهم اطلب النصيب لا لاجل الدين وكلمة اذا الله فاجأة أى وان لم يعطوا منها فاجأوا السخط
 (ولو أنهم) أى المنافقين (رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أى ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من الغنائم والصدقات وغيرها وذكر الله تعالى للتعظيم والتبني على أن ما فعله رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان بأمره (وقالوا) أى مع الرضا (حسبنا الله) أى كافينا الله من فضله
 (سبيونا الله من فضله ورسوله) أى من غنمة أو صدقة أخرى ما يكفيننا (انا الى الله) أى في أن
 الله تعالى يقيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس ويوسع علينا من فضله (راغبون)
 أى عريقون في الرغبة ولذلك تكتفي بما يأتي من قبله كأنما كان رجواب لو محذوف والتقدير
 لكان خيرا لهم نقل عن عيسى عليه السلام أنه مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذي
 جعلكم عليه فقالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومرت على قوم يشتغلون بالذكر فسألهم
 فقالوا لا نذكر الخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب بل لظاهر ذلة العبودية وعزة الربوبية
 وتشريف القلب بحرقته وتشريف اللسان بالانفاذ الى صفات قدسه فقل أنتم المحققون
 المحققون ثم بين سبحانه وتعالى مصارف الصدقات تحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
 فقال عز من قائل (انما الصدقات) أى الزكوات مصروفة (للفقراء) والفقير هو الذي لا يجد
 ما يقع موقعه من كفايته كأن يحتاج الى عشرة دراهم وهو لا يجد الا درهمين أو ثلاثا مأخوذ
 من الفقار كأنه أصيب فقاره (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي يجد ما يقع موقعه من
 كفايته ولا يكفيه كأن يحتاج الى عشرة وهو يجد سبعة أو ثمانية مأخوذ من السكون
 كأن العجز أسكنه والمسكين أعلى من الفقير ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم تعود من الفقر وقيل الفقير أعلى لقره تعالى أو مسكينا إذا متربة
 والعبرة عند الجمهور في عدم كفاية الفقير والمسكين بالعمر الغالب بناء على أنه يعطى كفاية
 ذلك (والعمالين عليهما) أى الزكاة فيعطى العامل وان كان غنيا ويدخل في اسم العامل
 الساعي وهو الذي يبعثه الامام لاخذ الزكاة والكتاب والحاشر والعريف وهو الذي
 يعرف أبواب الاستحقاق والحاسب والحافظ للاموال والكيل والوزان والاعداد اعمال انميزوا
 أنصباة الاصناف لا الميزون لذلك من المال وجامعوه فان أجزتهم على المالك (والمؤلفة قلوبهم)
 وهم اما ضعيف النية في الاسلام فيعطى ليقوى اسلامه أو شريف في قومه يتوقع باعطائه

اسلام غيره او كاف لنا شر من يلبسه من الكفار واماني الزكاة فيعطى حيث اعطاه اهل
 عليان من بعث جيشاً وأما مؤلفة الكفار لترغيبهم في الاسلام فلا يعطون من الزكاة ولا من
 غيرها الا لاجماع ولأن الله تعالى أعز الاسلام وأهله وأغنى عن التأليف (وفي الرقاب) وهم
 المكاتبون كتابة صحيحة فيعطون ما يؤدون من النجوم ان يحزوا عن الوفاء ولولم يحمل النجم لأن
 قوله تعالى وفي الرقاب كقوله تعالى وفي سبيل الله وهذا يعطى المال للمجاهدين فيعطى للرقاب
 فلا يشتري به رقاب للعتق كما قيل به (والغارمين) وهم من لم يمتهم الديون وهم ثلاثة أحضر دين
 لزمه لمصلحة نفسه ودين لزمه بضمان لا لتسكين فتنة ودين لزمه لتسكينها وهو اصلاح ذات البين
 فمن استدان لمصلحة نفسه أعطى لان استدان في معصية الا ان تاب عنها فيعطى اذا احتاج
 وكان بحيث لو قضى دينه مما معه تمكن فيترك له ما يكفيه ويعطى ما يقضى به بقية دينه ويعطى
 ولو قدر على قضاءه بالكسب وكذا المكاتب ويشترط حلول الدين في اعطائه الغريم وان ضمن
 لا لتسكين فتنة وهو معسر ملتزم بمال على معسر أعطى ما يقضى به دينه واذا قضى به دينه
 لا يرجع على الاصيل وان ضمن باذنه وانما يرجع اذا غرم من عنده ويعطى معسر ملتزم بمال على
 موسر بلاذن من الاصيل لانه اذا غرم لا يرجع عليه بخلاف ما اذا ضمن باذنه ولا يعطى موسر
 ملتزم بمال على موسر وان ضمن موسر ما على معسر أعطى الاصيل دون الضامن وانما رد اصلاح
 ذات البين يعطى مع الغنى ولو في غير دم ويعطى المستدين لقري ضيف وعارة مسجود وبناه
 قنطرة وفك أسير ونحو ذلك من المصالح العامة عند المعز عن النقد (وفي سبيل الله) وهم الغزاة
 المتطوعون أى الذين لا رزق لهم في النقي ويعطون ولو أغنياء اعانة لهم على الغزو وتحرم الزكاة
 على الغزاة المورثون ولو كان عاملاً فاذا عدم النقي واضطر رزاقه المورثون لكيف يشاء الكفار
 اعانة الاغنياء لامن الزكاة (وابن السبيل) أى الطريق وهو من ينشئ سفراً مباحاً من محل
 الزكاة فيعطى ولو كان كسواً أو كان مسافراً للترهه ويعطى أيضاً المسافر الغريب المحتاج لعمل
 الزكاة وانما يعطيان ان لم يجدوا معهما شيئاً يكفهما بالسفرهما وقوله تعالى (فريضة من الله)
 نصب بفعله المقدراً أى فرض لهم الصدقات فريضة أحوال من الضمير المستكن في الفقر (والله
 عليم) أى بالغ العلم بما يصلح الدين والدنيا ويؤلف بين قلوب المسلمين (حكيم) يضع الاشياء
 في مواضعها وانما أضيفت الصدقات الى الاصناف الاربعة الاولى بلام الملك والى الاربعة
 الاخيرة بنى الظرفية للاشعار باطلاق الملك فى الاربعة الاولى وتقييده فى الاخيرة حتى اذا لم يحصل
 الصنف فى مصارفها استرجع بخلافه فى الاولى ويجب تعميم الاصناف الثمانية فى القسم ان
 أمكن بأن قسم الامام ولو نائباً ووجد والظاهر الآية سواء فى ذلك زكاة الفطر وزكاة المال
 وان لم يمكن بأن قسم المالك اذا عامل أو الامام ووجد بعضهم كأن جعل عاملاً بأجرة من يت
 المال فتعميم من وجد منهم وعلى الامام تعميم احاد كل صنف من الزكاة الحاصلة عنده اذا
 لا يعذر عليه ذلك وعلى المالك أيضاً ان يخصص الاحاد بالبلاد بأن سهل عادة ضبطهم ومعرفة
 عددهم وفى بهم المال فان أخل أحدهما بصنف ضمن وان لم يخصص أو لم يفهم المال ويجب

اعطاء ثلاثة فأكثر من كل صنف لذكره في الآية بصيغة الجمع وهو المراد في سبيل الله وابن السبيل
الذي هو للجنس ولا عامل في قسم المالك ويجوز حيث كان أن يكون واحداً ان حصلت به الكفاية
كما يستغنى عنه فيما مر وتجب التسوية بين الاصناف غير العامل لابن آحاد الصنف إلا أن يقسم
الامام وتساوى الحاجات فتجب التسوية لأن عليه التعميم فعليه التسوية بخلاف المالك اذا لم
يختصراً وأولم يفهم المال ولا يجوز به نقل الرضا من بلد وجوبهم مع وجود المستحقين
فيه الى بلد آخر أو حال الحول والمال ببادية فرقت الزكاة بأقرب البلاد اليه أما الامام ولو بناه
فله نقلها ولو امتنع المستحقون من أخذها قوتلوا بشرط أخذ الزكاة من هذه الثمانية حرة
واسلاماً وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً ولا مولى لهما كما بينته السنة هذا مذهب الشافعي رضي
الله تعالى عنه وقال الرازي وغيره لادلالة الآية على قول الشافعي في أنه لا بد من صرفها
الى جميع الاصناف لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الاصناف وأما أن صدقة زيد بعينها
يجب توزيعها على الاصناف كلها فلا كما كان قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة
الآية يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق وما ذهب اليه الشافعي رضي
الله تعالى عنه قول عكرمة وما ذهب اليه الأئمة الثلاثة من جواز صرفها الى صنف واحد وقول
عمر وحذيفة وابن عباس وجاعة من الصحابة والتابعين وكل على هدى من ربهم (فان قيل) كيف
وقعت هذه الآية في نضايف ذكر المنافقين ومكايدهم (أجيب) بأنه تعالى ذكر ذلك ليدل
على أن هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً
لا طمأعهم وأشعاراً باستحقاقهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فإلهم ومالها وما
سأطهم على التكلم فيها وبين فاسمها (ومنهم) أي المنافقين (الذين يؤذون النبي) هذا نوع
آخر من جهالات المنافقين وهو أنهم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبونه وينقلون
حديثه (ويقولون) اذنهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هو أذن) أي يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى
بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جلته آلة للسماع كما يسمى الجاسوس عينا
لذلك واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في جماعة من المنافقين كانوا
يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه
ما نقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم تأتيه فننكر
ما قلنا ونخلف له فيصدقنا فيما نقول فان محمد أذن أي أذن سامعة يسمع كل ما يقال له ويقبله
وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبيل بن الحرث وكان رجلاً ثار الشعر
أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلق وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى
الشیطان فليتنظر الى نبيل بن الحرث وكان بين حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين
فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فن حده شياً صدقه فنقول ما شئنا ثم تأتيه فنخلف له
فيصدقنا فنزلت وقال الحسن كان المنافقون يقولون ما هذا الرجل الأذن من شامصره حيث
شاء لا عزمة له ومقصود المنافقين بقوله هم هو أذن ليس له ذكاه ولا بعد غور بل هو سليم القلب

أربع الاعتراض بكل ما يسمع فلهذا السبب سموا بأذن وقوله تعالى (قيل) يا محمد لهؤلاء
 المنافقين (أذن خير لكم) تصديق لهم بأنه أذن لكن لا على الوجه الذي ذموه به بل من حيث
 أنه يسمع الخيرو يقبله ثم فسر تعالى ذلك بقوله تعالى (يؤمن بالله) أي يصدق به لما قام عنده
 من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) أي ويصدقهم ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين (فان قيل)
 لم يهدى فعل الايمان بالهدى الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (أجيب) بأن الايمان المهدى الى
 الله تعالى المراد منه التصديق الذي هو تبيض الكفر فعدى بالباء والايمان المهدى للمؤمنين
 معناه الاستماع منهم والتسليم لقولهم فعدى باللام كما في قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
 صادقين وقوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه وقوله تعالى أنؤمن لك واتبعك الارذلون
 وقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقرأ نافع أذن في الموضع عين بتسكين الذال والباقون بالرفع
 (ورجعة) أي وهو رجعة (للذين آمنوا منكم) أي ان أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره
 وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالككم بل وفقا بكم وترجا عليكم وقرأ أجزه ورجعة
 بالجر عطف على خير والباقون بالرفع * ولما بين سبحانه وتعالى كونه سببا للخيرين أن كل من اذاه
 استوجب العذاب الا ايم بقوله تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب آليم) أي مؤلم لانه اذا
 كان يسعى في ايصال الخير والرحمة اليهم مع كونهم في غاية الخبيث والخزي ثم انهم مع ذلك يقابلون
 احسانه بالاساءة وخبرائهم بالثمر وفلاش انهم يستحقون العذاب الشديد من الله تعالى ثم ذكر
 نوعا آخر من قبائح أفعال المنافقين بقوله تعالى (يخلفون بالله لكم) أيها المؤمنون (ليرضوكم)
 أي اتروا عنهم واختلف في سبب نزل هذه الآية فقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من
 المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أتوا بعد ذورن اليهم
 ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم وقال قتادة والسدي اجتمع ناس من
 المنافقين فبهم جلاس بن سويد ووديعه بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كان
 ما يقول محمد حقا فنحن أشرم من الجبر وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فخره
 وقالوا هذه المسألة فغضب الغلام وقال والله ما يقول محمد حق وأنتم أشرم من الجبر ثم أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كذب وحلف عامر أنهم كذبة
 فصدهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو الله ثم صدق الصادق وكذب الكاذب فنزلت
 (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أي بالارضاء بالطاعة والوفاء وانما وحده الضمير لانه لا تقاوت
 بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم لتلازمهما ما ذكره قولك احسان زيد واجاله
 نعشني وجبرمني أو ان العالم بالاسرار والضمائر هو الله تعالى واخلاص القلب لايعلمه
 الا الله تعالى ولهذا السبب خص الله تعالى نفسه بالذكر أولان الكلام في ايداء الرسول
 وارضائه وخبر الله أو رسوله لمخدوف وفي كلام البيضاوي اشارة الى ان المذكور خبره بر الاول
 لانه المتبوع وفي كلام سيديو به انه للثاني لكونه أقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدا
 والخبر (ان كانوا) أي هؤلاء المنافقون (مؤمنين) أي مصدقين بوعد الله ووعده في الآخرة

(ألم يعلموا) قال أهل المعاني هذا خطاب لمن علم شيئا ثم نسبته وتركه فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولم اطال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله تعالى ألم يعلموا أن من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (انه) أي الشأن (من يحداد الله) أي من يخالف الله (ورسوله) وأصل الحدادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاذ فلان فلانا أي صار في حد غير حده كقولك شقه أي صار في شق غير شقه ومعنى يحداد الله أي يصير في حد غير حده أولياء الله تعالى بالمخالفة وقوله تعالى (فأن له نار جهنم) أي على حذف الخبر أي خلق أن له نار جهنم لأن القاطعة في جواب الشرط تقتضي جملة وفأن له نار جهنم مفردي في موضع رفع بالابتداء وقد رخصه مقدما لأن لا يتبدأ بها قال الرازي أو أن معناه فله نار جهنم وإن تكررت للتوكيد واعتراض بأن فيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بأجنبي ثم قال أو جواب من محذوف والتقدير ألم يعلموا أنه من يحداد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم (خالدا فيها) أي دائما ثم غير انقضاء كما كانت نيته المحادة أبدا ثم نبه على عظم هذا الجزاء بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن (الجزى العظيم) أي الهلاك الدائم (يحذر) أي يخاف (المنافقون) أن تنزل عليهم) أي المؤمنين (سورة تنبيههم) أي تحذيرهم (بما في قلوبهم) أي بما في قلوب المنافقين من النفاق والحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيما بينهم ويستزنون ويخافون القضية بنزول القرآن في شأنهم قال قتادة هذه السورة كانت تسمى القاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومنايهم قال ابن عباس أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعبر بعضهم ببعض لأن أولادهم كانوا مؤمنين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (استنزوا) أمر تهديد (أن الله يخرج) أي مظهر (ما تحذرون) إخراجهم من نفاقكم قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقعدوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليهفوا به إذا علاها ومعههم رجل مسلم يخفيهم شأنه وتكرهه في ليلة مظلمة فأخرجهم بل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم وعمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه واحلهم فضربها حذيفة حتى نجاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة لا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره أن تقول العرب لما ظفر بأحما به أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله (ولئن) اللام لام القسم (سألتم) أي المنافقين عن استئذانهم بك والقرآن وهم سائرون معك الى تبوك (لنقولن) معتذرين (أنما كنا نخوض ونعلب) في الحديث لنقطع به الطريق ولم قصد ذلك قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستزنان بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن والثالث يضحك قبل كانوا يقولون إن محمدا يغلب الروم ويغض

مدانهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد ابرع من ان ينزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة
 قرآن وانما هو قوله وكلامه فاطلع الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا
 الركب على تدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب أى كنا نتحدث
 ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لتقطع الطريق بالحديث واللعب قال الله تعالى (قل) يا محمد
 لهؤلاء المنافقين (أيا الله) أى بفرائضه وحدوده وأحكامه (وآياته) أى القرآن وسائر ما يدل على
 الدين الذى لا يمكن تبديله ولا يخفى على بصير ولا بصيرة (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذى عظمت
 من عظمتة وهو مجتهد فى اصلاحكم وتثريفتكم واعلانكم (كنتم تستهزئون) تويعنا
 وتقرعناهم على استهزائهم بما يصلح الاستهزاء به والزما للعبه عليهم ولا يعابا باعتقادهم الكاذب
 ولما كان الاستهزاء بذلك كفرا قال الله تعالى (لا تعذروا) أى لانه غلوا باعتذاركم
 الباطلة (قد كفرتم) أى أظهرتم الكفر بقولكم هذا (بعد ايمانكم) أى بعد اظهارة الايمان
 (فان قيل) المنافقون لم يكونوا مؤمنين فكيف قال تعالى قد كفرتم بعد ايمانكم (أجيب)
 بأنهم كانوا يكتفون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر فقد أظهروا
 الكفر بعدما أظهروا الايمان كما تقرّر (ان نفع عن طائفة منهمكم) أى باخذائهم اتوبة
 واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعدب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) أى مصرين على النفاق
 والاستهزاء قال محمد بن اسحق الذى عفا الله عنه رجل واحد وهو مخشي بن حبر الاشجعي يقال
 هو الذى كان يضحك ولا يخوض وكان يمشى بجانبهم وكان ينكر بعض ما يسمع والعرب توقع
 لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الجمال والله تعالى يقول الذين قال لهم
 الناس معنى نعيم من مسعود فلما نزلت هذه الآية تأب من نفاقه وقال اللهم انى لأزال أسمع آية
 نقرأ نقشر منها الجلود وتحقق منها القلوب اللهم اجعل وفائى قتلا فى سبيلك لا يقول أحدنا
 غسأت أنا كفت أنا دفت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه وقرأ أعاصم
 نفع بالنون مفتوحة وضم الفاء ونعدب طائفة بنون مضمومة وكسر الذاو وطائفة بالنصب
 والباقون ان يعف بياء مضمومة وتعذب بضم التاء وفتح الذاو وطائفة بالرفع ثم بين تعالى نوعا
 آخر من أنواع نضائهم وقبائحهم والمقصود منه بيان ان اناتهم كذ كورهم فى تلك الاعمال
 المنكرة والافعال الخبيثة بقوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى متشابهة
 فى النفاق والبهد عن الايمان كلبعض الشيء الواحد كما يقول الانسان لغيره أنا منك وأنت
 منى أى امرنا واحد لا مباينة فيه (أمرؤن بالترك) أى يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية
 ويتكذب النبي صلى الله عليه وسلم (ويهنون عن المعروف ويقبضون أيديهم) أى عن الانفاق
 فى كل خير من زكاة وصدقة وانفاق فى سبيل الله والاصل فى هذا ان الله على عبده ويسطرها
 بالعطاء فقبل لمن منع ويحل قد قبض يده فقبض اليه كتابة عن الشح وقوله تعالى (نسوا الله فأنسواهم)
 لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو حملنا التسيان على الحقيقة لما استحقوا عليه ذمالا لان التسيان
 ليس فى وسع البشر ونسب رفع عن أمي الخطأ والتسيان وأيضا فهو فى حق الله تعالى محال

فلا بد من التأويل وهو من وجهين الأول معناه أنهم تركوا أمره حتى صار بمنزلة المنسى
 فجازاهم بأن صبرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورجته وجاءه هذا على مزاجه الكلام كقوله تعالى
 وجزاء سيئة سيئة مثلها الثاني التسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله بالعبادة والثناء على الله تركوا
 الله تعالى ذكرهم بالرجة والاحسان وانما حسن جعل التسيان كناية عن ترك الذكر لأن من
 نسى شيئا لم يذكره فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم (إن المنافقين هم الفاسقون) أي الكاملون
 في الفسق الذي هو التفرّد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلزم عياكبهم
 هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله تعالى به المنافقين حتى بالغ في ذمهم وقدره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كرهت كسالت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله تعالى
 الا وهم كسالى فاضطرك بالفسق ولما بين سبحانه تعالى كثيرا من أحوال المنافقين والمنافقات
 وانه قسمهم أي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله تعالى كده هذا الوعد وضم المنافقين
 الى الكفار فيه بقوله تعالى (وعند الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي الجاهرين في عنادهم
 يقال وعده بالخبر وعدا وأوعده بالشر وعيدا (نار جهنم خالدين فيها) أي مقدرين بالخلود ولا شك
 أن النار المخلدة من أعظم العقوبات (هي حسبيهم) أي كافيتهم في العذاب (ولعنهم الله) أي
 ابعدهم مع من أبعدهم من رجته ولما كان الخلود قد يتجاوز به عن الزمن الطويل فيكون
 بعده فرج نفي ذلك بقوله تعالى (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع وقوله تعالى (كالذين من
 قبلكم) رجوع من الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال
 الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكافرين الذين كانوا من قبلهم في الأمر بالمشرك والنبي
 عن المعروف وقبض الابدى عن فعل الخير والطاعة ثم انه تعالى وصف الكفار بأنهم كانوا أشد
 من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا بقوله تعالى (كانوا أشد منكهم قوة) أي بطش
 ومنعاً (وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بجاهلهم) أي قنعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع
 الشهوات ورؤسائها عوضاً عن الآخرة واخلق النصب وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير
 وشر كما يقال قسم له (فاستمتع بجاهلهم) أي فتمتع أيها المنافقون والكافرون بجاهلهم فهو
 خطاب للعاشرين (كما استمتع الذين من قبلكم بجاهلهم) ذم الاولين باستمتاعهم بما أولوا
 من حظوظ الدنيا العاجلة وحرمانهم من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ
 العاجلة تمهيد لذكر الخاطئين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم ولما بين تعالى مشابهة هؤلاء المنافقين
 لاولئك المتقدمين في طلب الدنيا وفي الاعراض عن طلب الآخرة بين حصول المشابهة بين
 الفريقين في تكذيب الانبياء وفي المكر والخذلغة بقوله تعالى (وخضعت) أي ودخلتم في الباطل
 والكذب على الله تعالى وتكذب رسوله والاستنزاه بالمؤمنين (كالذي خاضوا) أي كالذين
 خاضوا أو كالقوج الذي خاضوا هذا كله اذا جعلنا الذي موصولا اسما فان جعلناه موصولا
 حرفيا اول مع صلته بمصدر رأى كخوضهم والقوج الجماعة (فان قيل) أي فائدة في قوله تعالى
 فاستمتعوا بجاهلهم وقوله تعالى كما استمتع الذين من قبلكم بجاهلهم مغن عنه كما أغنى

قوله تعالى كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا الخضم كالذي خاضوا (أجيب) بأن فائدة ذلك أن يذم الأولين بما رثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على قبح ظلمه بقولك أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حرم ويعذب من غمير موجب وأما وخضم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن بإسناده إليه عن تلك المقدمة (وأولئك) أي هؤلاء الأشقياء (حبطت) أي بطلت (أعمالهم في الدنيا) أي بزوالها عنهم ونسيان لذاتها (والآخرة) أي وفي الدار الآخرة لأنهم لم يسعوا لها سعيها فلم تنفعهم أعمالهم في الدارين بل يعاقبون عليها وزاد في التنبيه على بعدهما بما قصدوا والافتساح من النفع بقوله تعالى (وأولئك هم الخاسرون) أي الذين خسروا الدنيا والآخرة والمعنى أنه كما بطل أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أي المنافقون وتحسرون وفي الالتفات إلى مقام الخطاب إشارة إلى تحذير كل سامع عن مثل هذه المقالة قال بعض كبار التابعين أدرت سبعين من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وذكر أن ما لكارجه الله تعالى دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما رآه مذموبا فقبل له في ذلك فقال خبيت أن أكون من الذين إذا قبل لهم أركعوا لا يركعون وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال يتناوب بين المنافقين شهود العتة والصبح لا يستطيعونهما وقال تعالى لا يؤتون الصلاة الا وهم كسالى ينظر المنافق الى ما يسطع فضائل أهل الفضل ويتعاضى عن محاسنهم كما روى أن الله تعالى يغض التارك لحسنة المؤمن الاخذ لحسنته والمؤمن الصادق يتغافل عن مساوى أهل المساوى فكيف بما يبأ أهل المحاسن والمنافق يأخذ من الدين ما يتقنع في الدنيا ولا يأخذ ما يتقنع في العقبى ويجتنب في الدين ما يضر في الدنيا ولا يجتنب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا * ويذكر أن رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها دنى على موضع طاهر أصلى فيه فقال له الراهب طهر قلبك مما سواه وقم حيث شئت قال المسلم فجلت منه وقوله عز من قائل (ألم يأتهم) فيه رجوع من الخطاب الى الغيبة أي ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير برأى قد أتاهم (نبأ) أي خبر (الذين من قبلهم) من الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم ~~كيف~~ أهل كذا هم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا * ولما شبه تعالى المنافقين بالكفار المتقنين في الرغبة في الدنيا وفي تكذيب الانبياء والمبالغة في ايذائهم لرسلهم بين منهم ستة طوائف الاولى (قوم نوح) أهل كوا بالطوفان (و) الثانية (عاد) وهم قوم هود أهل كوا بالريح والثالثة قوم هود وهم قوم صالح أهل كوا بالرجفة (و) الرابعة (قوم ابراهيم) أهل كوا بالسلب النعمة وأهلك نمرود يعوضة سلطها الله تعالى على دماغه فقتله (و) الخامسة (أصحاب مدین) وهم قوم شعيب وقال انهم من ولد مدین بن ابراهيم أهل كوا بعذاب يوم الظلة (و) السادسة (المؤنكات) وهم قوم لوط أي أهلها أهل كوا بأن جعل الله تعالى أعالي أرضهم سائرلها وامطر عليهم حجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشأم

والعراق واليمن وكل ذلك قريب من بلاد الله رب فكأنوا يمرّون عليهم ويعرفون أخبارهم
وقوله تعالى (أتنتهم وسلهم) راجع الى كل هؤلاء الطوائف (بالبينات) أى المجزئات الباهرات
والجريح الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم ونالوا أمرنا **كما فعلتم** أى الكفار
والمنافقون فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجمل لكم النعمة كما جعلت لهم وقرأ أبو عمرو
بسكون السين والياقون بالرفع (فما كان الله ليظلمهم) بتجمل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب * ولما بالغ سبحانه وتعالى في وصف المنافقين
بالاعمال الفاسدة والافعال الخبيثة ثم ذكر عقبه أنواع الوعد في حقهم في الدنيا والآخرة ذكر
بعده صفات المؤمنين بقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في الدين واتفاق
الكلمة والعون والنصرة وهذا في مقابلة قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
(فان قيل) لم قال تعالى في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء
بعض ما الحكمة في ذلك (أجيب) بأنه لما كان اتفاق الاتباع حصل بسبب التقليد لا واثبات
الاكابر بسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة
الخالصة بين المؤمنين يتوفى الله تعالى وهدايته لا يقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم
بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الحكمة وقوله تعالى (يا مرون
بالعرف) أى بالابحان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف من الشرع من خير
وطاعة (وينهون عن المنكر) أى الشر واللعاصي والمنكر كل ما ينكره الشرع وينهى عنه الطبع
في مقابلة قوله تعالى في المنافقين يا مرون بالمنكر وينهون عن المعروف (ويقبحون الصلاة)
أى المفروضة وتمنن أن تركنها أو شروطها (وبؤس الزكاة) أى الواجبة عليهم في مقابلة قوله تعالى
في المنافقين ويقبضون أيدهم المعبر عن الجبل وقوله تعالى (ويطيعون الله ورسوله) أى فيما
يأمرهم به في مقابلة قوله تعالى في المنافقين نسوا الله أنفسهم * ولما ذكر تعالى ما وعده المنافقين
من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعده المؤمنين من الرحمة المستقبلية وهى ثواب الآخرة بقوله
تعالى (أو لئن) أى المؤمنون والمؤمنات الموصوفون بهذه الصفات (سيرهم الله) بوعده
لاخلاف فيه (إن الله عزيز) أى غاب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريد (حكيم) أى لا يقدر أحد
على نقض ما يحكمه وحل ما يبرمه * ولما ذكر سبحانه وتعالى الوعد على سبيل الاجمال ذكره
على سبيل التفصيل بقوله تعالى (وعدا الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار)
فذكر في هذه الآية أن الرحمة هى هذه الانواع المذكورة في هذه الآية أولها قوله تعالى جنات
تجري من تحتها الانهار فهى لا تزال خضرة ذات بهجة نضرة * ولما كان النعيم لا يكمل الا بالادوام
قال تعالى (خالدين فيها) والمراد بالجنات التى تجري من تحتها الانهار البساتين التى يحير فى حسناتها
الناظر لانه تعالى قال (ومساكن طيبة فى جنات عدن) أى اقامة وخلود وهذا هو النوع
الثانى فتكون جنات عدن هى المساكن التى يسكنونها والجنات الاخرى البساتين التى
يتبرهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه قد ذكر كلام أصحاب الآثار

في صفة جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين عن قوله تعالى ومساكن طيبة
 فقال على الخير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من المثلوث فيه
 سبعون دارا من ياقوته حمراني كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا
 على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل
 مائدة سبعون لوانا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في عداة
 واحدة ما يأتي على ذلك أجمع وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار
 الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر أي دار الله تعالى التي أعدها لوليائه وأهل طاعته
 والمقربين من عباده وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها
 قال الجنة من ذهب وابنة من فضة وبلاطها المسك الأزفر وتربها الزعفران وحصاؤها الدر
 والياقوت فهي النعيم بلا بؤس والخلود بلا موت لا تبلى ثيابه ولا يفتنى شبابه وقال ابن مسعود
 جنات عدن بطنان الجنة قال الأزهرى بطنانها وسطها وقال عطاء عن ابن عباس هي قصر
 في الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى
 وسائر الجنان حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتب ربح طيبة
 من تحت العرش فتدخل عليهم كتبان المسك الأزفر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
 تعالى عنهم إن في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله
 إلا النبي أو صدق أو شهيد أو حكم عدل وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة قبابه على
 حافتيه وقال الرازي حاصل الكلام إن في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في
 الجنة وهذه الأخبار والآثار تقوى هذا القول وقال في الكشف وعدن علم يدل على قوله تعالى
 جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة الجنة قال الأزهرى مأخوذ من قولك
 عدن بالمكان إذا قام به عدن عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن جعلنا
 الله تعالى ومن نفعه من أهلها وأحل علينا رضوانه فانه المقصود الأعظم كما قال تعالى
 (ورضوان من الله أكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى إلى نيل الوصول والقوز بالقاء
 روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك
 وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبسك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم
 فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيتكم أفضل من
 ذلك فيقولون وأنى شئ أفضل من ذلك قال تعالى أحل عليكم رضوانى فلا أضغط عليكم أبدا
 وهذا هو النوع الثالث وقرأ شعبة ورضوان بضم الراء والياقوت بالكسر (ذلك) أي الرضوان
 أو جميع ما تقدم (هو الفوز العظيم) الذي تستغردونه الدنيا وما فيها وما وصف الله تعالى
 المنافقين بالصفات الخبيثة وبه عدهم بأنواع العقاب وكانت عادة الله تعالى في هذا الكتاب
 الكريم جارية بذكر الوعد مع الوعيد لا جرم ذكر عقبه وصف المؤمنين بالصفات الشريفة
 الطاهرة الطيبة ووعدهم بالشواب الرفيع والدرجة العالية ثم عاد إلى شرح أحوال الكفار

والمنافقين بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) أي المجاهدين (والمنافقين) أي الساترين
كفرهم بظهور الاسلام (فان قيل) الآية تدل على وجوب مجاهدة المنافقين وهو غير جائز
فان المنافق كما مر من يستتر كفره ويقرب بلسانه ومن كان كذلك لم تجز محاربته ومجاهدته
(أجيب) بأن ليس في الآية ما يدل على ان ذلك الجهاد بالسيف وباللسان أو بطريق آخر
وانما تدل على وجوب الجهاد مع الفريقين وكيفية تلك المجاهدة انما تعرف من دليل آخر
وقد دلت الدلائل المفصلة على ان المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف ومع المنافقين
بالجمل والبرهان وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها
قال القاضي وهذا ليس بشئ لأن اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لها تعلق
بالمنافق ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرفق وحسن الخلق قال تعالى (واغلق عليهم)
أي بالانتهاز والمقت في الجهادين لاتعا ملهم بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم في القعود
وهذا بخلاف ماضى في وعيد المنافقين حيث قدمهم فقال المنافقون والمناذقات فقدم في
ككل سياق الا ليق به (وما واهم) أي مسكنهم في الآخرة (جهنم وبئس المصير) أي
المرجع هي (يخلفون) أي المنافقون (بالله ما قالوا) أي ما ينافقونهم من السب والقسمون
ذكر وافي أسباب نزول هذه الآية وجوها الاول روى أنه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتصافين فقال الجلاس بن سويد بن ثعلبة كان ما يقول
نحمد في اخواننا الذين خلفناهم بالمدينة خالفنا من شر من الخير فقال عامر بن قيس الانصاري
للجلاس أجل والله ان محمد اصادق وأنت شر من الحمار فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره خلف بالله عز وجل ما قاله فرفع عامريده وقال اللهم أنزل على عبدك ونيك نصديق
الصادق وتكذيب الكاذب فتركت فقال الجلاس لقد ذكر الله تعالى التوبة في هذه الآية
ولقد قلت هذا الكلام وصدق عامر ثم تاب وحسنت توبته الثاني أنها نزلت في عبد الله بن أبي
لما قال لنرجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وأراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
فسمع زيد بن أرقم ذلك فبلغه النبي صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضى الله عنه بقتل عبد الله بن
أبي الحناء عبد الله بن أبي وحلف أنه لم يقل الثالث روى قتادة أن رجلا من اقبيلا احدهما من
جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الجاهلي على الفخاري فقال عبد الله
ابن أبي لا اوس انصروا أخاكم فوالله ما ملنا ومثل محمد الا كما قال القائل من كذبك يا كذالك
فسعى بهما رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فأنه خلف بالله ما قاله فتركت
(ولقد قالوا كلمة الكفر) وهي سب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي كلمة الجلاس بن سويد
وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي (وكفر وابتدأ اسلامهم) أي وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم
الاسلام (وهو ما عاينوا) أي من قتل النبي صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك ووافي
خمس عشر منهم اذا قسم العقبة أي علاها بالليل فأخذ عمر بن الخطاب بخطام ناقته بقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فينجمهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبهضة

السلاح فالتفت فاذا قوم مثلثون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
 هموا يقتل عامر حين ردت على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقيموا) أي وما أنكر واعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
 (الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) فإن أكثر أهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى الله
 عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنمة وبعد قدومه أخذوا
 الغنائم وقازوا بالاموال ووجدوا الدولة وذلك يوجب أن يكونوا محبين له محبتين في بذل النفس
 والمال لأجله وقتل الجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية اثني عشر ألفاً
 فاستغنى فالمنافقون علواً بصد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم أن تقوموا منه
 وقال ابن قتيبة معناه ليس هناك شيء يقومون منه ولا يعيبون من الله إلا الصنيع وهذا
 كقول الشاعر

مانقوا من بني أمية إلا أنهم يحلمون أن غضبوا

وكقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتاب

أي ليس فيها عيب (فإن يتوبوا) أي من كفرهم ونفاقهم (بك خير لهم) في العاجل والآجل من
 اصرارهم على ذلك وهذا الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في بك للتوبة (وإن يتولوا) أي
 يعضوا عن الإيمان والتوبة ويصرواعلى النفاق والكفر (بعدهم الله عذاباً أليماً في الدنيا)
 بالقتل والابتر والاذلال (والآخرة) بالعذاب الأكبر الذي لا خلاص لهم منه وهو خلودهم
 في النار (ومآلهم في الآرض) أي التي لا يعرفون غيرها السؤل همتهم (من ولي) يحفظهم منه
 (ولا نصير) يمنعهم وأما السامع فهم أقل من أن يطعموا منهم في شيء ناصر أو غيره وأغلظ أكباد
 من أن يرتقي فكرهم إلى ما بهما من العجائب وما بهما من الجنود واعلم أن هذه السورة أكثرها
 في شرح أحوال المنافقين ولا شك أنهم أقسام وأصناف فلهذا السبب يذكرهم الله تعالى على
 التفصيل فيقول تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يلزك في الصدقات ومنهم من يقول
 ائذن لي ولا تفتني ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) فيه ادغام التاء في الاصل
 في الصاد (ولنكونن من الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن ثعلبة بن حاطب أبطأ عنه
 ما له بالك أم فطحة شدة لخاف بالله وهو واقف ببعض مجالس الانصار لئن آتانا الله من فضله لنصدقن
 ولا تؤذين منه حق الله تعالى والمشمور في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب الانصاري
 قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل
 تؤذي شجرة خبر من كثير لا تطيقه فراجه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في
 رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لساوت
 ثم أتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا والذي بعثك بالحق لنؤزق الله ما لا
 لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أرزق ثعلبة ما لا فاتخذ غمماً

فتمت كما تنهى الدود حتى كثرت ونزل بهم اودايامن اودية المدينة واشتغل بها حتى صار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه باقي الصلوات ثم كثرت وغت حتى تباعد عن المدينة أيضا فصار لا يشهد الجمعة ولا الجمعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاث غنات آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا لاختذ الصدقة وكتب لهم ما اصناف الصدقة وكيف يأخذون وقال لهم ما رآ ثعلبة وخذا صدقاته فأتياه وسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية أو أخت الجزية انطلقا حتى تفرغتم عودا الى فانطلقا فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ثم رجعا الى ثعلبة فقال كفايته الاولى ولم يدفع اليهما شيئا فرجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله تعالى هذه الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني من أن أقبل صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال صلى الله عليه وسلم لقد قلت لك ذاك فطعني فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خفاء به الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاءهم الى عرايا ثم خلافة فلم يقبلها فلما ولي عثمان أتاهم فلم يقبلها واهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه (فان قيل) العبد اذا تاب تاب الله عليه فلماذا منع الله تعالى من قبول صدقته (أجيب) بأن الله تعالى لما قال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكان هذا المقصد وغير حاصل في ثعلبة مع نفاقه فلهذا السبب امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة ثم قال الله تعالى (فلما أتاهم من فضله يجلولوا به) أي منعوا حتى أتته الى منسبه (وقولوا) عن طاعة الله تعالى (وهم معرضون) أي عن طاعة الله تعالى (فأعقبهم) أي صير عاقبتهم (نفاقا) متمكنا (في قلوبهم الى يوم يلقونه) أي الله يوم القيامة (عما خلقوا الله ما وعدوه) أي بسبب خلافهم ما وعدوه من التصديق والصلاح لان الجزاء من جنس العمل (وعما كانوا يكذبون) أي يجددون الكذب دائما مع الوعد ومنفكا عنه فقد استكملوا النفاق عاهدوا وفقدروا ووعدوا فأخلفوا واحذوا فكذبوا وقد قال صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اثنى خان (ألم تعلموا) أي المنافقون (ان الله يعلم سرهم)) أي ما أمروا في أنفسهم من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه (ونحوهم) أي ما تناجوا بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها فكيف يجترونها على النفاق الذي الاصل فيه الاستمرار والتناجي فيما بينهم مع علمهم بأن الله تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر وانه يعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر (وان الله علام الغيوب) والعلام مبالغة في العالم والغيب ما كان غائبا عن الخلق

فكيف يمكن الاخفاء عنه وقوله تعالى (الذين مبتدأ يلزون) أي يعيدون (المطوعين) المتسلفين
 (من المؤمنين) أي الراغبين في الايمان (في الصدقات والذين لا يجردون الاجهدهم) أي
 طاقتهم فيأتون به (فيصرفون منهم) أي يستهزون بهم والخبر (بمصر الله منهم) أي جازاهم على
 ضررتهم (ولهم عذاب أليم) على كفرهم وهذا نوع آخر من أهمال المنافقين القبيحة وهو لزهم
 لمن يأتي بالصدقات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وحث على الصدقة
 فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
 مالي غنية آلاف درهم جئتكم بأربعة آلاف درهم فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف
 لعمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله
 تعالى في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ غنى ماله لهما مائة وتسعين ألف
 درهم وجاء عاصم بن عدى الانصاري تسعين وسقما من تمر وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء
 أبو عبيد الانصاري بصاع من تمر وقال أجزت الليلة الماضية نفسي من رجل لا رسال الماء الى
 نخله فأخذت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعمري وأتيتك بالآخر فأمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلزمهم المنافقون وقالوا لعبد الرحمن وعثمان ما يعطيان الا رياء
 والله ورسوله لفتيان عن صاع أبي عبيد ولكن أحب أن يذكركم فيه ليعطى من مال الصدقات
 فنزلت وقوله تعالى (استغفروا لهم) يا محمد (أولا تستغفروا لهم) تخيير لاني صلى الله عليه وسلم
 في الاستغفار لهم وتركه قال صلى الله عليه وسلم اني خيرت فاخترته يعني الاستغفار ررواه
 البخاري (ان تستغفروا لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبي
 وكان من المخاضين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت
 فقال عليه الصلاة والسلام سأزيد على السبعين وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين
 العدد المخصوص لانه الاصل لجواز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراه فبين تعالى أن
 المراد التسعة دون التحديد وانما خص السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر
 السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة
 ولان آحاد السبعين سبع وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع
 والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم سبع وقد اجمع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة
 ونحوها في التثنية لا شئ الا السبعة على جملة أقسام العدد أي عدة مراتبه الاصلية
 والقرينة مع ذكر أول فروع وفروعه وهي سبعة آحاد عشرات اثنين آحاد ألوف
 عشرات الى أن الالف مئتين ألوف آحاد ألوف الألوف وقوله تعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله)
 اشارة الى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لجلل مناولا قصور فيك بل لعدم
 قابليتهم بسبب الكفر الصارف عما (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي المتمردين في كفرهم
 وهو كالنسيب على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره وهو عدم يأثمهم عن ايمانهم
 ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والمنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان

لنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى بقربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (فرح المخلفون) من غزوة تبوك (تقعدهم) أي بقعودهم فهو اسم للمصدر (خلاف رسول الله) هذا نوع آخر من قبائح أعمال المنافقين وهو فرحهم بالعودة وكراهتهم الجهاد والخلف المتروك عن مضى (فان قيل) انهم احتالوا حتى تخلفوا فكانوا من خلفين لا مخلفين (أجيب) بأن من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه الى الجهاد مع المؤمنين يوصف بأنه مخلف حيث لم ينهض وأقام * (تنبيه) * قوله تعالى خلاف فيه قولان الأول وهو قول الزجاج بمعنى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ساروا فأما قال وهو منصوب لأنه مفعول له والمعنى بأن قعدوا وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني قال الاخفش ان خلاف بمعنى خلف ومعناه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) تعريض للمؤمنين بعملهم المشاق لوجه الله تعالى بما فعلوا من بذل أنفسهم وأموالهم وإيثارهم ذلك على السكون والراحة وكره ذلك المنافقون وكيف لا يصحكروهم وما فيهم ما في المؤمنين من باع الإيمان وداعى الايقان (وقالوا) أي قال بعض المنافقين لبعض أو قالوا للمؤمنين تبسطا (لا تنفروا) أي لا تخرجوا الى الجهاد (في الحز) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فأجاب الله تعالى عن هذا بقوله تعالى (قل نارجهم أشد حرًا لو كانوا يفتقون) أي يعلمون أن بعدهم هذه الدار دار أخرى وان بعدهم هذه الحياة حياة أخرى وان هذه مشقة منقضية وتلك مشقة باقية ماتخلفوا ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساة يوم اربها شبه الصابي

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تنقضها مساة أحقاب

وقوله تعالى (فليضحكوا قليلا) أي في الدنيا (وليبتكوا كثيرا) أي في الآخرة ورد بصيغة الامر ومعناه الاخبار بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ودليل ذلك قوله تعالى (جزاء بما كانوا يكسبون) أي أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيث في الدنيا روى أن أهل النفاق سيكون في الآخرة في النار عمر الدنيا لا يزالهم دمع ولا يكفون بنوم ففرحهم وضحكهم طول أعمارهم في الدنيا قليل بالنسبة الى الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية والمقطع الثاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل روى عن أنس انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابتكوا فان لم تستطعوا فابتكوا فان أهل النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرغ العيون حتى لو أن سفنًا اجريت فيها لجرئت قال البيضاوي ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كآيتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعت) أي رقت (الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) أي من تخلف بالدين من المنافقين وانما قال الى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على الخلف أو اعتذر بهذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين وأراد بالطائفة المنافقين

منهم) فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة أخرى بعد بولك (فقل) يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا
الخروج معك وهم مقيمون على نفاقهم (لن تخرجوا معي أبداً) أى فى سفر من الاسفار ان الله
تعالى قد أغثنى عنكم وأحوجكم الى (وان تقاتلوا معي عدواً) اخبار بمعنى النهى للعبادة
وقوله تعالى (انكم رضىتم بالقعود أول مرة) لتدليل له وكنان اسقاطهم من ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأقل مرة هى المخرجة الى غزوة بولك (فأقعدوا مع الخالفين)
أى المختلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم قال الرازى واعلم ان هذه الآية تدل
على ان الرجل اذا ظهر له من بعض اخوانه مكر وخداع وراة مشدداً فيه مبالغا في تقرير
موجبته فانه يجب عليه أن يقطع العلة بينه وبينه وأن يحترق من صاحبته * ولما أمر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمنع المنافقين من الخروج معه الى الغزوات افلا لالاهم
أمره بمنع الصلاة على من مات منهم اذلالاهم أيضاً بقوله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات
أبداً) روى أن ابن أبي راس المنافقين دعا النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فلما
دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم سأله أن يصلى عليه واذا مات يقوم على قبره ثم أرسل للنبي
صلى الله عليه وسلم يطلب منه قصصه فيمكن فيه فأرسل اليه القميص القوقاني
فردّه وطلب الذي يلي جلده ليكن فيه فقال عمر رضى الله عنه لم تعطى قبضك
للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قبضى لا يغنى عنه من الله شيئاً واني أؤتمل من الله
أن يدخل في الاسلام ثم يرمي هذا السبب فيروى أنه اسلم ألف من الخزرج لما روى طلب
الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات جاء ابنه يعرفه وكان ابنه مهابيا
خالصا صالحا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه بارسل
الله لم يصل عليه مسلم فقام عليه الصلاة والسلام ليصلى عليه فقام عمر رضى الله عنه بينه وبين
القبلة فترأت هذه الآية وأخذ جبريل عليه السلام بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لا تصل على أحد منهم مات أبداً قال عمر فمجيئت من جوافى على النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ
وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضى الله عنه وذلك ان الوحي ينزل وفق قوله في آيات
كثيرة منها آية أخذ القديمة من أسارى بدر وقد سبق شرحه ومنها آية تخرجهم من الغزاة ومنها آية
تحويل القبلة ومنها آية أمر النساء بالحجاب ومنها هذه الآية فصار نزول الوحي على مطابقة
قول عمر منصبا عاليا ودرجة رفيعة له في الدارين ولهذا قال في حقه عليه الصلاة والسلام
لولم أبعث بأعمر نبيا وانما بينه صلى الله عليه وسلم عن التكفين في القميص ونهى عن
الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت تحل بالكرم وكان الله تعالى أمره أن لا يرد ما لا
يقوله تعالى وأما السائل فلا تشهر ولا أن ابنه كان بالوصف المتقدم فأكرمه النبي صلى الله عليه
وسلم لمكان ابنه ولان الرحمة والرافة كانت غالبية عليه صلى الله عليه وسلم ولائها كانت مكافأة
لابساسه العباس قصصه حين كان أسرى بيد الروم والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو
ممنوع في حق الكافر قال الواحدى مات في موضع جروانه صفة للذكورة كأنه قبل

على احد منهم ميت وقوله تعالى أبدا متعلق بقوله ولا تصل والتقدير ولا تصل أبدا على أحد
منهم منها كيدا ثم قال البيضاوي مات أبدا يعني الموت على الكافر فان احياء الكافر
للعذاب لا تمتنع فكانه لم يجزى واختلف في تفسير قوله تعالى (ولا تقوم على قبره) فقال الزجاج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فخرج ههنا منه قال الكلبي
لا تقوم لاصلاح مهمات قبره وهو من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وتولاه وقيل
لا تقوم عند قبره لدفن أو زيارة والاقول أولى لأن النهي للتعريم ثم انه تعالى علل المنع من الصلاة
عليه والقيام على قبره بقوله تعالى (انهم كفروا بالله ورسوله وما تولوا هم فاسقون) أى كافرون
يعنى لم يتوبوا قبل موتهم عن كفرهم فنهى بذلك ما قبل ان الفسق أدنى من الكفر فالفائدة في
وصفهم بعد ذلك بالفسق وأجيب أيضا بأن الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا
فوصف الله تعالى المنافق بالفسق بعد ان وصفه بالكفر تنبيه على ان طريقة النفاق طريقة
مذمومة عند كل أهل العلم (فان قيل) كيف هم صلى الله عليه وسلم أن يصل على هذا المنافق مع
قيام الكفر فيه وقيل انه صلى الله عليه (أجيب) بأن التكليف مبني على قوله صلى الله عليه وسلم
فمن نكحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فانه كان ظاهره الاسلام فلما علمه الله تعالى بذلك امتنع فلم
يصل على منافق بعد ذلك ولا قام على قبره حتى قبض (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله
أن يعذبهم بها في الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون) سبق ذكر هذه الآية في هذه السورة بعينها
ولكن حصل بينهم تفاوت في الفاظ أربعة أولها أن في الآية المتقدمة فلا تعجبك بالفاء وهما
بالواو لأن الآية الأولى ذكرت بعد قوله تعالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين
للاعتناق وانما ذكره واذلك الانفاذ لكونهم محبين بكثر تلك الاموال والاولاد فلهذا المعنى نهاه
الله تعالى عن ذلك الانجذاب بفاء التعقيب وأما ههنا فلا تعلق لهذا الكلام بما قبله فجاء بحرف
الواو ثانيها أنه قال تعالى في الآية الأولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وههنا كلة لا محذور
لأن مثل هذا الترتيب يبدأ به بالادون ثم يترقى الى الاشرف فيقال لا يعجبني أمر الامير ولا أمر
الوزير وهذا يدل على انه كان انجذاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق انجذابهم بأموالهم
وهذه الآية تدل على عدم التفاوت بين الامرين عندهم ثالثها أنه تعالى قال ههنا انما يريد
الله ليعذبهم وههنا قال انما يريد الله أن يعذبهم فالفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام
الله تعالى محال وان ورد حرف التعليل ومعناه انه كقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله
وما أمروا الا بأن يعبدوا الله وابعاه انه ذكر في الآية الأولى في الحياة الدنيا وههنا أسقط
لفظ الحياة تنبيه على ان الحياة الدنيا بلغت في الحسنة مبلغا الى أنها لا تستحق أن تسمى حياة بل
يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيه على كمال دنائتها قال الرازي فهذه وجوه في
الفرق بين هذه الالفاظ والعالم بتحقيق القرآن هو الله تعالى (فان قيل) ما الحكمة في
التكرير (أجيب) بأنه أشد الاشياء جذبا وطلب الخواطر الاستغال بالدنيا وهي الاموال
والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى في المطالبية والمرغوبة كما أعاد تعالى

قوله في سورة النساء ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مرتين وقبل انما كرر
هذا المعنى لأن الآية الاولى في قوم منافقين اهم أموال وأولاد في وقت نزولها وهذه الآية في
قوم آخرين والكلام الواحد اذا احتج الى ذكره مع أقوام كثيرين في أوقات مختلفة لم يكن ذكره
مع بعضهم مغنيا عن ذكره مع آخرين وقوله تعالى (واذا أنزلت سورة) يحتمل ان يراد بالسورة تمامها
وان يراد بعضها أي طائفة من القرآن وقبل المراد بالسورة سورة براءة لأن فيها الامر بالايان
والجهاد (ان آمنوا بالله) أي بأن آمنوا ويجوز أن تكون أن المقسرة (وجاهدوا مع رسوله) (فان
قبل) كيف يأمر المؤمنين بالايان فان ذلك يقتضي الامر بتحصيل الحاصل وهو محال (أجيب)
بأن معناه الدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل هذا الامر وان كان ظاهره العموم
الكن المراد به الخصوص وهم المنافقون أي اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله صلى الله
عليه وسلم وانما قدم الامر بالايان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير الايمان لا يقيد بشيء ثم حكى
الله تعالى ان عند نزول هذه السورة ما يقولون فقال تعالى (استأذنك أولوا الطول منهم)
قال ابن عباس يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء
المنافقين وكبرائهم (وقالوا) أي أولوا الطول (ذرنا نحن مع القاعدین) أي الذين نعدو العذر
كل مرضى والزنى وقيل مع النساء والصبيان ثم ذمهم الله تعالى بقوله (رضوا بأن يكونوا مع
الخوالف) جمع خالفة أي النساء اللائي يتخلفن في البيوت وقيل الخوالف ادنياء الناس
وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم وانما خص أولوا الطول بالذكر لان الذم لهم
لازم لكونهم قادرين على السفر والجهاد وأما من لا مال له ولا قدرة له على السفر فلا يحتاج الى
الاستئذان فان المقسرون كان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف (وطبع) أي وختم
(على قلوبهم) أي هؤلاء المنافقين (فهم لا يفقهون) أي لا يعلمون ما في الجهاد من الفوز
والسعادة وما في التخلف من الشقاوة والخذلان ولما شرح الله سبحانه وتعالى حال المنافقين من
القرار عن الجهاد بين حال الرسول والذين آمنوا معه بالاضممة بقوله تعالى (لكن الرسول والذين
آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله تعالى
والقرب اليه وفي قوله تعالى لكن فائدة وهي تقرير أنه وأن تخلف هؤلاء المنافقون عن الفوز فقد
توجه اليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقادا كقوله تعالى ان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوماً ولما وصفهم الله تعالى بالمسارعة الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد والمنافع
وهو أنواع أولها ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (وأولئك لهم الخيرات) أي منافع الدارين النصر
والغنية في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الخيرات الخوار العين لقوله تعالى فيهن
خيرات حسن ثانيها ما ذكره الله تعالى بقوله (وأولئك هم المفلطون) أي القاتلون بالمطالب
المتخلصون من العقاب والعتاب وثالثها ما ذكره بقوله تعالى (أعد الله لهم جنات تجري من
حتها الأنهار والذين فيها ذلك الفوز العظيم) هذا بيان ما لهم من الخيرات الآخوية (وجاء
المعذرون) بادعائهم التماس في الاصل في الدال أي المعتذرون بمعنى المعذوبين (من الاعراب) الى

النبي صلى الله عليه وسلم (ليؤذن لهم) في القعود لعذرهم فأذن لهم واختلف في هؤلاء المعتبرين
فقبلهم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالاً وان بنا جهداً فاذن لنا في التخلف وقيل لهم رها
عامر بن الطفيل قالوا ابن غزوينا معك أغارت اعراب طي على أهل البناوة واشينا فقال صلى الله
عليه وسلم سيعتني الله عنكم وقيل نفر من غفارا اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا
بالكذب والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذرا إذا كذب في عذره ومنه قوله
تعالى يعتذرون اليكم إذا رجعت اليهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على
فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذرا إذا أتى بعذر صحيح كافي قول لبيد
* ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر * يريد فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو التعذر الذي
هو التقصير يقال عذري عذرا إذا قصرت ولم يسالغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في
اعتذارهم وأنهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال أنهم كانوا صادقين بدليل أنه تعالى
لما ذكره قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي في ادعاء الأيمان من مناقي الأعراب
عن الجحى للاعتذار فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويرى
عن عمرو بن العلاء أنه لما قيل له هذا الكلام فقال إن أقواما تكفوا وعذرا يبطل فهم الذين
عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتبرون وتختلف الآخرون لا لعذر ولا شبهة عذرا جراءة على الله
وهم المراد بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله (سبب صيب الذين كفروا منهم) أي من
الأعراب أو من المعتبرين فإن منهم من اعتذر لكسبه لا لكفره (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي
الآخرة بالنار وما بين سبحانه وتعالى الوعيد في حق من توهم العذر مع أنه لا عذر له ذكر أصحاب
الاعتذار الحقيقة وبين أن تكلف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط بقوله تعالى (ليس على
الضعفاء) كالشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضمه فمقتضاها (ولا على المرضى) كالزمنى
والعرج والعمى (ولا على الذين لا يجدون ما يفتقون) في الجهاد (خرج) أي أثنى في التخلف عنه
فثنى سبحانه وتعالى عن هذه الأقسام الثلاثة الحرج فيجوز لهم أن يتخفوا عن الغزو وليس
في الآية بيان أنه يحرم عليهم الخروج لأن الواحد من هؤلاء لو خرج لبعث المجاهدين فقد قدر
أما لحفظ متاعهم أو لتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كلاً وبالأعليهم كان ذلك
طاعة مقبولة ثم أنه سبحانه وتعالى شرط في جواز هذا التأخر عن الغزو بشرط بقوله (إذا نصحوا
لله ورسوله) في حال قعودهم بالإيمان والطاعة في السر والعلانية وان يحسن تروا عن انقاء
الأرجافات وعن إثارة الفتور ويسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين الذين سافروا أما ان يقوموا
بإصلاح مهمات سيوتهم وأما ان يسعوا إلى إيصال الأخبار السارة من يوتهم اليهم فإن جملة
هذه الأمور جارية مجرى الأمانة على الجهاد وقوله تعالى (ما على المحسنين) في موضع ما عليهم
إيمان أحسانهم بنصحهم مع هذرهم (من سبيل) أي طريق إلى ذمهم وأولوهم والمعنى أنه سدد
بإحسانه طريق العتاب ومن أعظم الأحسان من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
مخلصاً من قلبه فإن ما عليه من سبيل في نفسه وماله لا باحة الشرع بدليل منفصل إذا العبرة

بهموم اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الالاف بالاحسان ورأس أبواب الاحسان
ورئيسها هو قول لاله الله محمد رسول الله (والله غفور) أي محامد الذنوب (رحيم) أي
يجمع عبادده وفي ذلك اشارة الى أن الانسان محل التقدير وان اجتهد فلا يسهل الله العقوبه وما
ذكر الله سبحانه وتعالى الضعفاء والمرضى والفقراء وبين أنه يجوز لهم التخلف عن الجهاد
بشرط ان يكونوا بايعين لله ورسوله وهو كونهم محسنين وانه ليس لاحد عليهم سبيل ذكر قسمي
رابعاً من المذورين بقوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أولوا لكم لهمم) الى الفز وروهم
البكاؤن سمعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمر
ونعيلة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعليه بن زيد أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا بدرنا
بالخروج أي أسرعنا فحلنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة نفرو فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا أجدمأ أحدكم عليه فتولوا وهم سيكون ولذلك سموا البكاكين وقيل هم بنو
مقرون من خزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه وقيل
نزلت في العرياض بن سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكر وقوله تعالى (قلت لا أجدمأ
أحدكم عليه) حال من الكاف في أولها ما رقد وقوله تعالى (تولوا) جواب اذا (وأعينهم
نقيض) أي تسهيل (من الدمع) أي دمعها فان ومن للبيان كقولك أفديك من رجل وهو أبلغ
من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعاً فاضاً وقوله تعالى (حرثنا) منصوب على
العلقة (أن لا يجردوا) أي لئلا يجردوا وحمله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حرثنا
(ما يتفقون) في الجهاد ولما قال تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر
ولا عذرله (انما السبيل) أي انما يتوجه الطريق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد في
التخلف عنك والجهاد (وهم أغنياء) أي قادرون على أهبة الخروج معك وقوله تعالى (رضوا)
بأن يكونوا مع الخولاف استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوناً وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة
والضعة والانتظام في جلة الخولاف وهم النساء والصبيان (وطبع الله على قلوبهم) فلاجل ذلك
الطبع قال الله تعالى (فهم لا يعلمون) أي ما في الجهاد من منافع الدارين أما في الدنيا فالقوز
بالغنية والظفر بالعدو وأما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع (يعتذرون)
أي هؤلاء المنافقون (البكم) أي في التخلف (أذا رجعت) من الفز (اليهم) بالاعذار الباطلة
والخطاب للتي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له ويحتمل ان يكون له ولله فونهين
يروي ان الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من المنافقين كانوا بضعة وثلاثين رجلاً فلما رجع النبي
صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل قال تعالى (قل لهم يا محمد لا تعتذروا) بالمعاذير
الباطلة (لنؤمن لكم) أي ان نصدقكم فيما اعتذرت به وقوله تعالى (قد نبأنا) أي أعلمنا (الله
من أخباركم) أي بعض أحوالكم التي أنتم عليها من الشر والفساد عله لا تتفاد تصديقتهم
لأن الله تعالى اذا أوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم الاعلام بأحوالهم وما في ذمهم من
من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقتهم في معاذيرهم (وسيرى الله علمكم ورسوله) أي

أنتون من مفاكم أم تقعون عليه (ثم تزدون) أي بالبعث (إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون) أي الله المطلع على مافي ضمائرهم من الخبيات والكذب واخلاف الوعد وغير
ذلك من الخبيات التي أنتم عليها فيا ربكم عليه (سيجلفون بالله لكم إذا انقلبتم) أي رجعتهم
(اليوم) من تبوك انهم معذرون في الخلف (لتمرضوا عنهم) أي تصفحوا عنهم فلا تعاتبوهم
(فأعرضوا عنهم) أي فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق قال ابن عباس يريد ترك
الكلام والسلام قال مقاتل قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا
تكلموهم قال أهل المعاني هؤلاء ملبوا اعراض الصفح فأعطوا اعراض المقت ثم ذكره تعالى
على الاعراض بقوله (انهم رجس) أي قد زلزلت باطنهم فكما يجب الاحتراز عن الانجاس
الجسمانية يجب الاحتراز عن الارجاس الروحية خوفا من سرابها إلى الانسان وحذرا من أن
يميل طبع الانسان إلى تلك الاعمال وقوله تعالى (وما أواهم جهنم) من تمام العلة (جزا بآ
كانوا يكسبون) من الاعمال الخبيثة في الدنيا واختلقوا فيمن زلت فيه هذه الآية فقال ابن
عباس زلت في الجدين قيس ومعقب بن قشير وأصحابهما كانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل زلت في
عبد الله بن أبي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وطلب من
النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فأذن الله تعالى هذه الآية ونزل (يجلفون لكم ترضوا
عنهم) أي يجلف لكم هؤلاء المنافقون ترضوا عنهم بجلفهم فستدبرو عليهم ما كنتم تفعلون بهم
(فان ترضوا عنهم) أي فان رضيت عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا اليكم وقبلتم عذرهم (فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين) لانه تعالى يعلم مافي قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم
والمقصود من الآية عدم الرضا عنهم والاعتذار بعذرهم بعد الامر بالاعراض عنهم وعدم
الالتفات نحوهم ونزل في سكان البادية (الاعراب) أي أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) أي
من أهل الحضرة لظنهم وغلط طباعهم وبعدهم عن أهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة
واستيلاء الهواء الحار اليابس عليهم وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والتخوة والفخر والطمع
عليهم وليسوا بمعت ساسة سائس ولا تأديب مؤدب ولا ضبط ضابط فتشوا كما شاؤوا ومن كان
كذلك خرج على أشد الجهات نفاقا ولو قابلت القواكة الجبلية بالقواكة البسانية لعرفت الفرق
بين أهل الحضرة وأهل البادية قال العلماء من أهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان له نسب في
العرب وجمعه العرب كما يقال مجوسي وهم ودي ثم تحذف باء النسب في الجمع فيقال الجومس واليهود
ورجل اعرابي بالالف اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا وسواء كان من العرب أم من
مواليهم وجميع الاعرابي على الاعراب والاهاريب والاعرابي اذا قيل له يا عرابي فرح والعربي
اذا قيل له يا عرابي غضبه فمن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم
اعراب والذي يدل على الفرق بينهما أنه صلى الله عليه وسلم قال حب العرب من الايمان وأما
الاعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الآية وقيل محو بالاعراب لان أنسنتهم معرفة محو

في ضمائرهم ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع من الفصاحة والحزالة لا توجد في سائر
 اللسان قال الرازي ورأيت في بعض الكتب عن بعض الحكماء أنه قال حكماء الروم في أدبهم
 وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في أوهامهم وحكمة اليونان في
 أفئدتهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في أسنتهم وذلك لخلاوة أسنتهم
 وعذوبة عباراتهم ثم حكم الله تعالى على الاعراب بحكم آخر بقوله تعالى (وأجدر) أي أحق
 وأولى (أن) أي بان (لا يعلموا) أحدهما أنزل الله على رسوله من الأحكام والشرائع فرائضها
 وسننها (والله عليهم) بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب
 من يتخذ ما ينطق في سبيل الله تعالى مفرما) أي غرامة وخسرا ناوا الغرامة ما يفقه الرجل
 وليس يلزمه لأنه لا ينطق إلا بفتح من المسلمين ورياء لوجه الله تعالى واستعلاء المشوبة عنده وهم
 أسدو غطفان (ويتبرص) أي ينتظر (بكم الدوائر) أي دوائر الزمان أن ينقلب عليكم فيموت
 النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر المشركون قال الله تعالى (عليهم دائرة السوء) دعاهم عليهم معترض
 قال القمطازي بين كلامين لا في أثناء كلام ولا في آخره دعاهم عليهم بنصوماد عوا به قال الله تعالى
 وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أي يدهم أي يدور عليهم البلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله
 عليه وسلم دينه وأصحابه إلا ما يسوهم ويكيدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبضم السين والباقيون
 بالفتح مصدر اضعف إليه للمبالغة كقولك رجل سوء في نقض قولك رجل صدق (والله سميع)
 لا قوا لهم (عليهم) بما تخفى ضمائرهم ولما بين سبحانه وتعالى أنه حصل في الاعراب من يتخذ انفاقه
 في سبيل الله مفرما بين أنهم قوم مؤمنين صالحين مجاهدين يتخذون انفاقه في سبيل الله فخما
 بقوله تعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كـ بعض جهينة ومن ينه فوسفهم
 الله تعالى بوصفين كونهم مؤمنين بالله واليوم الآخر والمقصود التنبية على أنه لا بد في جميع
 الطاعات من تقديم الإيمان وفي الجهاد أيضا كذلك والثاني ما ذكره بقوله تعالى (ويتخذ ما ينطق
 قربات) جمع قرية أي يقربه (عند الله) الذي لا أشرف من القرب عنده (وسيلة إلى صلوات)
 أي دعوات (الرسول) صلى الله عليه وسلم لأنه كان يدعو للمصدقين عنده بالخير والبركة
 ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى قال تعالى وصل عليهم أي ادع
 لهم ولما كان ما ينطق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينطق قربات وصلوات الرسول (الانها) أي نفقاتهم
 (قرية لهم) عند الله وهذا شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بحكمة ما اعتقد من كون
 نفقاته قربات عند الله وصلوات الرسول وقد كدته على هذه الشهادة بحرف التنبية وهو قوله
 تعالى (الو بحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها ثم زاد في التأكيده فقال تعالى (سيدخلهم الله
 في رحمته) فان دخول السبعين موجب مزيد التأكيده وهذه النعمة هي أقصى مرادهم وقرأ أورش
 قرية برفع الراء والباقيون بالسكون والاصل هو الضم والاسكان تخفيف (أن الله غفور) أي
 بلغ السر لقبان مع من تاب (رحيم) بهم ولما ذكر تعالى فضائل الاعراب الذين يتخذون ما ينطقون
 قربات عند الله وما أعد لهم من الثواب بين تعالى ان فوق منزلتهم منازل أعلى وأعظم منها

بقوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار) أما من المهاجرين فقال سعيد
ابن المسيب هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل
بيعة الرضوان وقال محمد بن كعب هم جاهل انصاب وقيل هم الذين أسلوا قبل الهجرة
واختلف في أول الناس اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض
العلماء أول من أسلم بعد خديجة على بن أبي طالب وهذا قول جابر واختلفوا في سنة وقت
اسلامه فقيل كان ابن عشرين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغاً والاكثر
على انه لم يكن بالغاً وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا
قول ابن عباس وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا قول عروة بن الزبير وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات
فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن الموال زيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لأربعة ساق الخلق الى الاسلام وأما من
الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة
تفرغ العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلاً ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا
سبعين رجلاً فهو لأربعة ساق الانصار وقيل المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة
وبدل على هذا انه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين لهم انهم سابقون فيما ذابقي اللفظ فجاء
فوجب صرف ذلك اللفظ الى ما قد صاروا به مهاجرين وانصاراً وهو الهجرة والنصرة فوجب
أن يكون المراد منه السابقين الاولين في الهجرة والنصرة ازالة الاجمال عن اللفظ وأيضاً فان
الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أعدائه وآووه وآسوه وآووا أصحابه وآسوه فلذلك اثنى الله تعالى عليهم ومدحهم
(والذين اتبعوهم) أي الفريقين الى يوم القيامة (باحسان) أي في اتباعهم فلم يحولوا عن شيء
من طريقته وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار ويترحلون عليهم ويدعون لهم
ويذكرون محاسنهم وقيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين وعن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل
أحد ذهب ما بلغ مائة أحدكم ولا نصفه والمذربع الصاع والصف نصفه والمعنى لو أن أحدنا
عمل مائة قدر عليه من أعمال البر والاتفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر الصغير من عمل
الصحابه واتفاقهم لانهم أنفقوا وبذلوا الجهد وفي وقت الحاجة وعن عمران بن حصين ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري
أذكر بعد قرنين أم ثلاثاً والقرن الامه من الناس يقارن بعضهم بعضاً واختلفوا في مدته من
الزمان من عشرين سنين الى عشرين سنة وقيل من مائة الى مائة وهذا هو المشهور وقيل من مائة
الى مائة وعشرين سنة ثم جمعهم الله تعالى في الثواب فقال (رضي الله عنهم) فالسابقون مرتفع
بالابتداء وخبره رضى الله عنهم أي يقبل طاعتهم وارتضاء أعمالهم (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم

من نعمة الجلالة في الدنيا والآخرة (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي هي كثيرة المياه
فكل موضع أردته ينبع منه ماء يجري منه نهر وقرأ ابن كثير يانعة من تحتها ويجزئ التاء بعد الحاء
والباقون يغيرون وفتح التاء ثم نقي سبحانه الانقطاع بقوله تعالى (خَالِدِينَ فِيهَا) وأ كذا المراد من
الخلود بقوله تعالى (أَبَدًا) ثم استأنف مدح هذا الذي أعده لهم بقوله تعالى (ذَلِكَ) أي الأمر
العالى الرتبة (الفوز العظيم) ولما شرح تعالى أحوال منافقى المدينة ثم ذكر بعده أحوال
منافقى الاعراب ثم بين ان فى الاعراب من هو مؤمن صالح مخلص ثم بين ان رؤسا المؤمنين من هم
وهم السابقون والمهاجرون والانصار ذكرأت جماعة من حول المدينة موصوفون بالنفاق بقوله
تعالى (وَمِنْ حَوْلِكُمْ) أي أهل بلادكم وهي المدينة (مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ) وهم جهينة
وأسلم وأشجع وغفار كانوا زلزل حولها وقوله تعالى (وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) عطف على خبر المبتدا
التي هو من حولكم ويجوز أن يكون جملة معدوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن أهل
المدينة قوم (مردوا على النفاق) على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقول الشاعر
• أنا ابن جلا وطلاع الشيا • أي أنا ابن رجل جلا خذف الموصوف وأقام الصفة مقامه
وقال الزجاج فى الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة
منافقون مردوا على النفاق أى ثبتوا واستمروا فيه ولم يتوبوا عنه وأصل المرد الملاساة ومنه
صرح حمزد وغلما أمرد (لأنهم) بأعيانهم أى يحضرون عليك مع فطنتك ونهايتك وصدق
فراستك لقرط نوقم ما يشكك فى أمرهم ثم هددهم وبين خسارتهم بقوله تعالى (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) أى
لا يعلمهم الا الله تعالى ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يطمنون الكفر فى سويداوات فلوهم ابطانا
ويبرزون لك ظاهرا كظواهر المخلصين من المؤمنين لانشك مع فى ايمانهم وذلك أنهم مردوا على
النفاق وضرر به فلهم فيه اليد الطولى واختلفوا فى تفسير قوله تعالى (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) فقال
الكبكي والسدى قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق
اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد جماعة من المنافقين فمعههم فهذه احوال العذاب
الاول والثانى عذاب القبر (فان قيل) كيف هذا مع قوله تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم (أجيب)
بأنه تعالى أعلمهم بعد ذلك وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثانى عذاب القبر وقال ابن زيد
الاول المصائب فى الاولاد والثانى عذاب الآخرة وقال ابن عباس الاول إقامة الحدود عليهم
والثانى عذاب القبر وقيل عذبوا بالجموع مرتين وقيل الاول صرب الملائكة وجوههم
وأبصارهم عند قبض أرواحهم والثانى عذاب القبر وقيل الاول اسراق مسجدهم مسجد
الضرار والثانى اسراقهم بنار جهنم كما قال تعالى (ثُمَّ يَرَدُّونَ) أى فى الآخرة (الى عذاب عظيم)
هو النار وقوله تعالى (وَأَخْرَجُوا) أى وقوم آخرون مبتدأ وقوله تعالى (اعترفوا بذنوبهم) (م)
ولم يعذروا ومن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة نفقة والخبر (خلطوا أعمالا صالحا) أى ودجوا بهم
قبل ذلك أو اعترفوا بذنوبهم أو غير ذلك (وَأَخْرَجُوا) أى وهو تخلفهم (عسى الله أن يثوب عليهم
إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويفضل عليه نزلت فى طائفة من المتخلفين عن غزوة

تبوك واختلف في عددهم فعن ابن عباس انهم كانوا ثلاثة عشر وروى عنه انهم كانوا خمسة وقال
سعيد بن جبير كانوا ثمانية وقيل كانوا ثلاثة ندموا ما بانهم منازل بالتصديقين وتابوا وقالوا لو اكون
في الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد والاداء فلما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لننقن أنفسنا بالسيارات
فلانطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لننقن أنفسنا بالسيارات
في سوارى المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد على عادته في رجوعه من
سفره فصلى ركعتين فراهم فسأل عنهم فذكر له انهم أقسموا لا يخرجوا أنفسهم حتى يتجملهم وترضى
عنهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر باطلاقهم رغبا واعنى وتحلفوا عن الغزو ومع المسلمين
فأنزل الله تعالى هذه الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وأطلقتهم وعذرهم فلما
أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسبب ما أخذنا فصدق بهم اعنا وطهرنا
واستغفر لنا فقال عليه الصلاة والسلام ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيء فأرسل الله تعالى
(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) من الذنوب وأوحى المال المؤدى الى مثله وتجبري لهم مجرى
الكفارة هذا قول الحسن كان يقول ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي
كفارة الذنب الذي صدر ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلث أموالهم وصدق بها وابتقى
لهم الثلثين ولم يأخذ الجميع لأن الله تعالى قال خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَالصَّدَقَةُ الْوَاجِبَةُ لَا يَتَوَخَّذُ
فِيهَا ثُلُثُ الْمَالِ (وَرَزَقَهُمْ بِهَا) أى وتنهى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم)
أى واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار ولهم والسنة أن يدعوا أخذ الصدقة لصاحب الصدقة اذا
أخذها وعن الشافعي رضى الله عنه انه كان يقول أحب أن يقول الوالى عند أخذ الصدقة
أجر الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا وبذلك فيما أبقيت (ان صلاتك سكن لهم) أى
تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم لأن روحه صلى الله عليه وسلم كانت روحا قوية مشرقة
صافية باهرة فاذا دعاه صلى الله عليه وسلم لهم وذكرهم بالخير فاضت آثار من قوة روحه الروحانية
على أرواحهم فأشرقت بهذا السبب أرواحهم وصفت أسرارهم واثبتت لؤلؤهم النظم الى النور
ومن الجسمانية الى الروحانية فحصل لهم بذلك غاية الطمأنينة وقرأ حفص وحزرة والكسائي
صلاتك بغير واو بعد اللام ونصب التاء على التوحيد والباقون بالواو وكسر التاء على الجمع
لتعدد المدعو لهم وقيل ان هذه الآية كلام مبتدأ المقصود منها الإيجاب أخذ الزكوات من
الاغنياء وعليه أكثر الفقهاء اذا استدعوا هذه الآية في الإيجاب الزكاة قالوا في الزكاة انها
طهرة (واقه جميع) لا قوا لهم واعترفهم ودعائهم لهم (عليهم) بتمامهم ونياتهم والماحكي سبحانه
عن القوم الذين تقدم ذكرهم انهم تابوا عن ذنوبهم وانهم تصدقوا بها باليد كراة قوله صلى
الله أن يتوب عليهم وما كان ذلك صريحا في قبول التوبة ذكر به ذلك انه يقبل التوبة وأنه
سبحانه يأخذ الصدقات ترغيبا لمن لم ينسب في التوبة وترغيبا لكل العصاة في الطاعة بقوله تعالى
(أَمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ) أى يقبل (الصدقات) والضعفاء الملتزمين

عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم وأما لغبرهم والمراد به
التخصيص عليها والآية وإن وردت بصيغة الاستفهام إلا أن المراد بها التقرير في النفس ومن
عادة العرب في أفهام المخاطب وإزالة الشك عنه أن يقولوا أما علمت أن من علمك يجب عليك
خدمته أما علمت أن من أحسن إليك يجب عليك شكره فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول
توبتهم وصدقاتهم ترغيباً في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال
الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معناه بالامر لا يكلمون ولا يجالسون فإلهام اليوم فأنزل
الله تعالى هذه الآية ترغيباً في التوبة ثم زاد تأكيده بقوله تعالى (وأن الله هو اتوباب الرحيم)
أي وإن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشميرها
وأن الله يقبلها من عبده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد مؤمن يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا ولا يصعد الى
السما لا الطيب الا يصعها في يد الرحمن عز وجل فيريها له كجاربي أحدكم فلو هو حتى ان اللقمة
لتأتى يوم القيامة وانها كمثل الجبل العظيم ثم قرأ أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات (وقل اعلموا) أي وقل لهم أولئك الناس يا محمد اعلموا ما شئتم (فبشر الله عملكم) فانه
لا يخفى عليه شيء خيرا كان أو شراً فبشرهم ترغيباً عظيماً للمطيعين ووعيداً عظيماً للمذنبين فكانت
اجتهاداً في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (و يرى أيضاً رسوله
والمؤمنون) أعمالكم أما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على أعمالكم وأما رؤية
المؤمنين فبقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المفسدين (وستردون الى عالم
الغيب والشهادة) أي وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرركم وعلايتكم ولا يخفى عليه شيء
من أعمال بواطنكم وظواهركم (فبشرهم) أي فيخبركم بما كنتم تعملون من خير وشراً
فيجازيكم على أعمالكم واعلم ان الله تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد ثلاثة أقسام أولهم
النافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون
اعترفوا بذنوبهم وبين انه تعالى قبل توبتهم والقسم الثالث الذين بقوا موقوفين وهم
المدكورون في قوله تعالى (وآخرون) أي من المتخلفين (مرجون) أي مؤخرون عن التوبة
وقرأنا نافع وحفص وحزرة والكسائي بغيرهم مز بين الجليم والواد والباقون بهزمة مضمومة بين
الجليم والواد (الامر الله) أي لحكم الله تعالى فيهم والفرق بين القسم الثاني وبين هذا ان أولئك
سارعوا الى التوبة وهؤلاء لم يسارعوا اليها قال ابن عباس زلت هذه الآية في كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وستأتى قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا
تخلفوا كسلا وميلاً الى الراحة لا تفاناً ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف
أمرهم تحسین ليلته حتى زلت توبتهم بعد (أما بعدهم) بأن يميتهم من غروب توبة (وأما يتوب
عليهم) ان تابوا (فان قبل) كلمة أما وأما لا شك والله تعالى منزوع عن ذلك (أجيب) بأن التردد
بالنسبة للعباد أي يمكن أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء فان الله تعالى لا تخفى عليه

خافية وفي هذا دليل على ان كلا الامرين بإرادة الله تعالى (والله اعلم) بأحوال عباده (حكيم)
 فيما يفعل بهم * ولما ذكر تعالى اصناف المنافقين وطرائقهم المتخفية قال تعالى (والذين اتخذوا
 مسجدا) قال ابن عباس رضي الله عنه وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين بنوا مسجدا (ضرارا)
 أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) أى وتقوية للنفاق وقال ابن عباس يريدون به
 ضرارا للمؤمنين وكفرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به وقال غيره اتخذوه ليكفروا فيه بالظهن
 على النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام (وتقرى قابين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون بمسجد
 قباء فبنوا مسجدا للضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤذى ذلك الى الاختلاف واقتراق الكلمة
 (وارصادا) أى تريبا (لن حارب الله ورسوله) وهو أبو عامر والد أبي حنظلة الذي غسلته الملائكة
 وكان قد تهرب في الجاهلية وتضرع لبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عاداه
 لانه زالت رياسته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين
 ابراهيم عليه السلام فقال له أبو عامر اناعليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليهما افعال
 أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غربيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماء
 الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لا أجد قوما يقاتلونك الا فانتك معهم ولم ير يل يقاتله
 الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام وأرسل الى المنافقين ان استعدوا بما
 استطعتم من القوة والاسلح وابنوا الى مسجد افانى ذاهب الى قصر ملك الروم فأتى بجند من
 الروم فأخرج محمد وأصحابه فبنوا مسجدا للضرار الى جنب مسجد قباء وانتظر واجيى ابي عامر
 ليصلى بهم في ذلك المسجد وقوله تعالى (من قبل) متعلق بجواب أى حارب من قبل أن يبنى مسجد
 الضرار وأباحتخذوا أى اتخذوا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف * ولما وصف تعالى هذا المسجد
 بهذه الصفات الاربعة قال تعالى (وليجلفن ان أودنا الا الحسنى) أى وليجلفن ما أودنا بئنا
 الا افعله الحسنى وهى الفرق بالمسلمين في التوسعة على أهل الضعف والعلو والعجز عن المصير
 الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقد بئنا
 مسجد الذى العلة والحاجة واللبلة المظلمة واللبلة الشاتية (والله يشهد انهم لكاذبون) فى
 قولهم * (تنبيه) * قوله تعالى والذى اتخذوا محله نصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين
 الصلاة أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أى وعن ذكرنا الذين * ولما بنى المنافقون ذلك
 المسجد للاغراض الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك وقالوا
 يا رسول الله بنينا مسجد الذى العلة واللبلة المظلمة واللبلة الشاتية ونحن نحب أن نصلى
 لنا فيه وتدعو لنا فيه بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر فى حال شغل
 واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل أى رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
 سألوه اتيان المسجد نزل قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه لا تقص
 فيه أبدا وقال الحسن هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذهب الى ذلك المسجد فنادى جبريل
 لا تقم فيه أبدا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن النخشم ومعن بن عدي وعامر بن

السكن ووحشياً فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدوه وأحرقوه فخرجوا
جميعاً سيرياً حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى
أخرجكم بنا من أهل فدخل إلى أهله وأخذ عظام النخل فاشعل في فيه ناراً ثم خرجوا
يشتمون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فهدموه وأحرقوه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر الراهب
بالشام وحيداً فريداً غريباً وقيل كل مسجد بني مباحة ورياضة وسعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه
الله تعالى أو عمل غير طيب فهو ملحق بمسجد الضرار وعن عطاء لما فتح الله تعالى الأمصار على عمر
رضي الله تعالى عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار
أحدهما صاحبه وقوله تعالى (المسجد) اللام فيه للإبداء وقيل لام التسمي تقديره والله للمسجد
(أسس) أي رضع أساسه وقواعده (على التقوى) أي تقوى الله تعالى (من أول يوم) أي من أول
أيام وجوده لأن من تم الزمان والمكان أي فأحاطت به التقوى لأنها إذا أحاطت بأقواله أحاطت
بأخروه (أحق) أي أولى (أن) أي بأن (تقوم) أي تصلى (فيه) واختاف في هذا المسجد الذي
أسس على التقوى فقبل هو مسجد المدينة قاله زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري قال أبو سعيد
رضي الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله
أي المسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفماً من حصاه فاضرب به الأرض ثم قال هو
مسجدكم هذا مسجد المدينة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي وعن أم سلمة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن قوائم منبري هذا روايت في الجنة أي نوابت وقيل هو مسجد قباء
قاله سعيد بن جبير وقناة أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيام مقامه بقباء وهو يوم
الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة ويدل على هذا قوله تعالى (فيه رجال
يحبون أن يظهروا) أي من المعاصي والخصال المذمومة طلباً لرضا الله تعالى عليهم (والله
يحب المطهرين) أي يشبههم ويرضى عنهم ويدينهم من جناب ادناه المحب حبيبه وروى أنها
لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا
الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فمكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم
لأمؤمنون وأنامهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء فقالوا نعم قال أنصبرون على
البلاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فحس ثم قال يا معشر الانصار
إن الله عز وجل قد أتى عليكم فاذا الذي تصفون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول
الله تتبع الغائط الاجار الثلاثة ثم تتبع الاجار الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال
يحبون أن يظهروا وروى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أناهم
في مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن اليكم البناء في الطهر وفي قصة مسجدكم في
الطهور الذي تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا

يقتلون أديارهم من الغائط ففعلنا كما غسوا وفي حديث رواء البزار قالوا تتبع الحجارة بالماء
فقال هؤلاء ففعلكموه وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن
الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحي المكفرة لذنوبهم فغسوا
عن آخرهم (أفنى أسس بنيانه) أي بنيان دينه (على تقوى بن الله ورضوان) أي على قاعدة قوية
محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من أسس بنيانه على شفا) أي طرف
(بحرف) أي جانب (هار) أي على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء وهو الباطل والتناقض
الذي مثله مثل شفا حرف هار أي مشرف على السقوط (فانهار به) أي سقط مع بنيانه (في نار جهنم)
خسر وهذا تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤل إليه والاستفهام للتقرير أي الأول خسر وهو
مثال مسجد بقاء والثاني مثال مسجد الضرار قال الرازي ولا ترى في العالم مثالا أحسن
مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال وحاصل الكلام أن أحد البناءين قصد بنيانه تقوى
الله تعالى ورضوانه والبناء الثاني قصد بنيانه المعصية والكفر فكان البناء الأول شريفا
واجب الإبقاء وكان الثاني خسيسا واجب الهدم * قيل حفرت بقعة في مسجد الضرار
فروى الدخان يخرج منها قرأ نافع وابن عامر أفنى أسس بضم الهمزة وكسر السين الأولى
مع التشديد وضم النون قبل الهاء والباقيون بفتح الهمزة والسين مع التشديد أيضا ونصب
النون قبل الهاء وقرأ شعبة رضوان بضم الراء والباقيون بالكسر ورويت أم هانم مقطوعة
من من والكلام على أسس بنيانه كالكلام على التي قبلها وقرأ ابن عامر وشعبة وحزف حرف
بسمكون الراء والباقيون بالرفع وأما شذوذا فلا تمثال بخلاف هار فانها باعمر ووثنية والـ كافي
يترونها بالامالة المحضة وابن ذكوان بالفتح والامالة وورش بالامالة بين بين والباقيون بالفتح والله
لا يهدي القوم الظالمين) أي إلى ما فيه صلاح ونجاة (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) أي بناؤهم الذي
بنوه وهو مصدركم للفران والمراد هنا المبنى وإطلاق لفظ المصداك على المفعول مجاز مشهور
يقال ضرب الأمير ونسج زيد والمراد مضره ومنسوجه وليس يجمع خلافا للواحدى
في تجويزه أن يكون جمع بنيانه لأنه وصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله (ربية) أي شيكا (في قلوبهم)
والمعنى أن بناء ذلك البنين صار مباحصول الرية في قلوبهم فجعل نفس ذلك البنين رية
وانما جعل سببا للرية لأن المنافقين فرحوا ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتجريبه عظم خوفهم في كل الاوقات وصاروا رتابين في أنهم هل يتركهم على ما هم
فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم وقال الكلبي صار حيرة وندامة لانهم ندما على بناءه وقال
السدي لا يزال هدم بنايهم رية أي حرارة وغيطا في قلوبهم (الآن تنقطع قلوبهم) قطعاً أما
بالسيف وأما بالول ببحث لا يبق لهم قابلية الادراك وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا (والله عليم)
بأحوالهم وأحوال عباده (حكيم) في الأحوال التي يحكم بها عليهم وعلى غيرهم * ولما تقدم
الانكار على المنافقين عن التفرق سبيل الله في قوله تعالى ما لكم إذا قيل لكم اتقوا في سبيل
الله الآية ثم الحزم بالجهاد بالنفس والمال في قوله تعالى اتقوا وخافوا وثقال الآية ذكر فضيلة
الجهاد وحقيقته بقوله تعالى (إن الله اشترى) أي بعهداً أكيدة وواثقة غليظة شديدة (من)

المؤمنین) بالله ورسوله وبما جاء به من عند ربه (أنفسهم) التي تفرد بخلقها (وأموالهم) التي
 تفرد برزقها وهو على كمالها ومنهم وقد قدم النفس إشارة إلى أن المبايعة سابقة على اكتساب المال
 ولذا ذكر البيع اتبعه الثمن بقوله تعالى (بأن لهم الجنة) مثل الله تعالى أنابهم على بذلهم
 أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم الله تعالى فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضی
 الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعاً وعن الحسن أنفسهم ناهو خلقها وأموالها ورأى أنها وروى
 أن الانصار لما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبد
 الله بن رواحة اشترط ربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً
 ولنفسى أن تمنعوني عما تمنعون به أنفسكم وأموالكم قالوا فاذلنا فقال الله تعالى الجنة قالوا
 ربح البيع لا نقبل ولا نستقبل فنزلت ومزاعرا بنى على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤها
 فقال الاعرابي كلام من قال عليه الصلاة والسلام كلام الله عز وجل فقال الاعرابي والله يسع
 مني لا نقبله ولا نستقبله فخرج إلى الفزوة فاستشهد وقال الحسن اسمعوا والله يسعة رابحة وكفة
 رابحة بايع الله تعالى بها كل مؤمن والله ما على الأرض مؤمن الا وقد دخل في هذه البيعة والمراد
 بالاموال انفاقها في سبيل الله وعلى أنفسهم وأهلهم وعيالهم وفي جميع وجوه البر والطاعات
 وقوله تعالى (بقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف بيان ما لاجله الشراء وقيل
 بقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المقتولين على القتاتين لأن الواو لا تقتضي
 الترتيب ولأن فعل البعض قديم يند إلى الكل أي فيقتل بعضهم ويقاثل الباقي والباقيون بتقديم
 القتاتين وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدوران منصوبان بفعلهما المحدثين ثم أخبر الله
 تعالى بأن هذا الوعد الذي وعده للعجا هذين في سبيله وعده ثابت (في التوراة) كتاب موسى
 عليه السلام (والانجيل) كتاب عيسى عليه السلام (والقرآن) أي قد أثبتة فيهما كما أثبتة
 في القرآن أي الكتاب الجامع لكل ما قبله (ومن أوفى بعهده من الله) أي لا أحد أوفى منه سبحانه
 لأن الاخلاف لا تقدم عليه الكرام من الناس فكيف يخالفهم الذي له الغنى المطلق وقوله تعالى
 (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة أي فافرحوا غاية الفرح (ببيعكم الذي بايعتم به) فانه
 أوجب لكم عظام المطالب كما قال تعالى (وذلك هو الفوز العظيم) * (تنبيه) * هذه الآية
 مشتملة على أنواع من التأكيد أولها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بكون
 المشتري هو الله تعالى المقدس عن الكذب والخيانة وذلك من أدل الدلائل على تأكيد هذه
 العهد ثانياً انه تعالى عبر عن ابعاله هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق مؤكداً ثالثاً
 قوله تعالى وعدا ووعده الله تعالى حق رابعاً قوله تعالى عليه وكلمة على للوجوب خامساً قوله
 تعالى حقاً وهو لتأكيد التحقيق سادساً قوله تعالى في التوراة والانجيل والقرآن وذلك مجرى
 مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة سابعاً قوله تعالى
 ومن أوفى بعهده من الله وهو غاية في التأكيد ثامناً قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
 وأيضاً هو بالغة في التأكيد تاسعاً قوله تعالى وذلك هو الفوز عاشره قوله تعالى العظيم فثبت

اشتمال هذه الآية على هذه الوجوه العشرة في التأكيده والتقرير والتحقيق * ولما ذكر تعالى في هذه الآية انه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بين أن أولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات التسعة الآية أولها قوله تعالى (التائبون) وهو مرفوع على المدح أي هم التائبون يعني المذكورين في قوله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين وقال الزجاج لا يبعد أن يكون قوله التائبون مبتدأ وخبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال والتائبون صيغة عموم محلاة بالالف واللام فتناول التوبة من كل معصية والتوبة انما تحصل عند أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور المعصية ثانياها الندم على ما مضى ثالثها العزم على الترت في المستقبل رابعها أن يكون الحامل له على هذه الأمور الثلاثة طالب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منه رفع مدة الناس وتحصيل مدحهم أو فرض من الأفاضل الدينية فليس بتائب ولا بد من رد المظالم إلى أهلها ان كانت الصفة الثابتة قوله تعالى (العابدون) أي الذين أخلصوا العبادة لله وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء وقال قتادة قوم أخذوا من أبدانهم في لبسهم ونهارهم الصفة الثالثة قوله تعالى (الحامدون) وهم الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً وديناً ويجهلون اظهر ذلك عادة لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء الصفة الرابعة قوله تعالى (الساكنون) واختلاف المراد منهم فقال ابن مسعود وابن عباس هم الصائغون قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما ذكر في القرآن من السباحة فهو الصوم وقال صلى الله عليه وسلم سباح أمتي الصوم وعن الحسن أن هذا صوم القرض وقيل هم الذين يدعون الصيام قال الأزهري قيل للصائم سائح لأن الذي يسبح في الأرض متعبداً لا زاد معه كل مسكاعن الاكل والصائم محسك عن الاكل فلهذه المشابهة يسمى الصائم سائحاً وقال عطاء السائحون الغزاة في سبيل الله تعالى وروى عن عثمان بن مظعون انه قال يا رسول الله انذن لنا في السباحة فقال ان سباحة أمتي الجهاد في سبيل الله وقال عطاء السائحون هم طلاب العلم والسباحة أمر عظيم في تكميل النفس لانه يلقي أفاضل مختلفين فيستفيد من كل واحد فائدة مخصوصة وقد يلقي الاكبر من الناس فيستحقرون نفسه في مقابلتهم وقد يصل إلى المدرسة الكثيرة فينتفع بها وتبدل احوالها اختلاف أحوال أهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى في كل طرف من الاحوال الخاصة بهم فتقوى معرفته وبالجمل فالسباحة لها أثر قوي في الدين الصفة الخامسة والسابعة قوله تعالى (الراكعون الساجدون) أي المصلون وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لأنهما يجزئان عن غيره بخلاف حالة القيام والقعود لأنهما حالة المصلي وغيره ولأن القيام أول مراتب التواضع لله تعالى والركوع وسطها والسجود غاية انخسار الركوع والسجود بالذكر دلالتهم على غاية التواضع والعبودية تبنيها على أن المقصود من الصلاة

نهاية الخشوع والتعظيم الصفة السابعة والثامنة قوله تعالى (الأمرون بالمعروف والناهون
 عن المنكر) أي الأمرون بالإيمان والطاعة والناهون عن الشرك والمعصية ودخول
 الواو في والناهون عن المنكر للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة فكانه قال
 الجامعون بين الوصفين ولأن العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم
 وقوله تعالى في صفة الجنة وفتح أبوابها إذا بان التعداد قدم بالسابع من حيث أن السبعة
 هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى والثمانية وقيل
 الموصوفون بهذه الصفات هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعلى هذا يكون قوله
 تعالى الثامنون إلى قوله الساجدون مبتدأ أخبرهم الأمرون بالمعروف والناهون عن
 المنكر الصفة التاسعة قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) أي لأحكامه بالعمل بها والمقصود
 أن تكاليف الله تعالى كثيرة وهي محصورة في نوعين أحدهما ما يتعلق بالعبادات والثاني
 ما يتعلق بالمعاملات (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى ذكر تلك الصفات الثمانية على
 التفصيل ثم ذكر عقوباتها ثم أرقام التكليف على سبيل الاجال في هذه الصفة التاسعة (أجيب)
 بأن التوبة والعبادة والاستغفار بحمد الله والسياسة والركوع والسجود والامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر أمور لا ينقل المكلف عنها في أغلب أوقانه فلهذا ذكرها الله
 تعالى على سبيل التفصيل وأما البقية فقد ينقل المكلف عنها في أكثر أوقانه مثل أحكام البيع
 والشراء وأحكام الجنائيات ودخل في هذه الصفة التاسعة رعاية أحوال القلوب بل البحث
 عنها والمبالغة في الكشف عن حقائقها أولى لأن أعمال الجوارح اغتراد لأجل تحصيل
 أعمال القلوب ثم ذكر سبحانه وتعالى عقب هذه الصفات التسعة قوله تعالى (وبشر المؤمنين)
 تنبيها على أن البشارة في قوله تعالى فاستبشروا لم تتناول إلا المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات
 التسعة وحذف تعالى المبشرة للتعظيم فكانه قيل وبشرهم بما يصلح عن إحاطة الأفهام وتعبير
 الكلام واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
 للمشركين ولو كانوا أولي قربى) فقال سعيد بن المسيب عن أبيه انه نزل في شأن أبي طالب
 وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء لعمه أبي طالب لما حضرته الوفاة فوجد عنده أبا جهل
 وعبد الله بن أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحياك بهاء الله فقال أبو جهل
 وعبد الله بن أمية أترغب عن مله عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان
 عليه إلى تلك المقاتلة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أنا على مله عبد المطلب وأبي أن يقول لا اله
 الا الله فقال صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فزل ذلك وعن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه الله قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم
 القيامة قال لولا أن يعترف قريش يقولون انما جعله على ذلك الجزع لا قررت بهما عنك فأنزل
 الله تعالى انك لا تهدي من أحبب الاية وقال بريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى
 قبر أمه آمنه فوقف عليه حتى جئت الشمس وجاء أن يؤذن له يستغفر لها فنزل ما كان للنبي

الآية وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه آمنه فبكي وأبكي من حوله وقال
 استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته أن أزورها فأذن لي فزروا القبور فإنها تذكر
 الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفروا لابي كما استغفر ابراهيم لاييه فأنزله الله
 تعالى هذه الآية وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما
 مشرك كان فقالت له تستغفر لهما وهما مشرك كان فقال استغفر ابراهيم عليه السلام لاييه وهو
 مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقزلت هذه الآية لا وروى الطبراني بسنده عن
 قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قالوا يا نبي الله ان من آباءنا من كان يجسّن الجوار ويصل الرحم
 ويهلك العاني أفلا نستغفر لهم فقال صلى الله عليه وسلم والله لا تستغفرون لابي كما استغفر ابراهيم
 لاييه فأنزله الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى
 قربي (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي بأن ما نوا على الكفر وقال البضاوي وفيه
 دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار
 ابراهيم عليه السلام لاييه الكافر فقال (وما كان استغفار ابراهيم لاييه الا عن موعدة
 وعدها إياه) أي وعدها ابراهيم آياه بقوله لا تستغفرون لك أي لا طلبت مغفرة لك بالتوفيق للإيمان
 فإنه يجب أي يقطع ويحرم ما قبله وقرأ هشام ابراهيم بالالف بعد الهاء في الموضعين والباقيون
 بالياء فيهما (فلما تبين له أنه عدو لله) بأن مات على الكفر وأوحى الله تعالى إليه أن لن يؤمن
 (تبرأ منه) أي قطع استغفاره (أن ابراهيم لأواه) أي كثير النضرع والدعاء (حليم) أي صبور
 على الأذى والجله لبيان ما حمله على الاستغفار لاييه مع صعوبة خلق آييه عليه (وما كان الله ليضل
 قوما) أي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لأجل ارتكابهم المنهي عنه (بعد اذ هداهم)
 للإسلام (حتى بين لهم) بيانا شافيا لداء العمى (ما يتقون) أي ملجأ يتقاهم للنهي أما قبل
 العلم والبيان فلا سبيل عليهم كالأيوأخذون بشرب الخمر ولا يبيع الصاع بالصاعين قبل التحريم
 وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذه بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وقيل أنه
 في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر وغير ذلك وفي الجمله دليل على أن الغافل غير
 مكلف (إن الله بكل شيء عليم) أي بالغ العلم فيه ويبين لكم ما تأتون وما تذررون عما توقف
 عليه الهدى وما تركت تعالى فاعلموا بكم لدرجة لكم لا يضل ربي ولا ينسى (إن الله له ملك السموات
 والأرض) فلا يخفى عليه شيء فهو وخبر بكل ما بينة عنكم أو بضرتم (يحيي ويميت) أي يحيي من
 شاء على الإيمان ويميت عليه ويميت من شاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لا حد عليه
 في حكمه وعبيده (وما لكم) أيها الناس (من دون الله) أي غيره (من ولي) يحفظكم منه
 (ولا نصير) يمنع عنكم ضرره (لقد ناب الله) أي أدام نوبته (على النبي والمهاجرين والانصار)
 واقام الله تعالى الكلام به كرتوبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان سبب نوبتهم فذكر معهم
 كقوله تعالى فإن لله خمسة والرسل ونحوه وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد
 الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا

الى الله جميعا اذا ما من أحد الاوله مقام يتقص دونه ما هو فيه والتركى اليه توبة من تلك النقصية
 واطهار لفضلها بأنهم مقام الانبياء والصالحين من عبادهم * (فائدة) * اتفق القراء على ادغام
 دال قد في التاء (الذين انبعوه في ساعة العسرة) أى في وقت العسرة لم يرد ساعة بعينها وكانت
 غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة الشدة فكانت عليهم
 عسرة في الظهر والراد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعقبونه
 يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القراموس والشعير المتغير
 وكان النخري يخرجون مامعهم الا القنرات البسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ القنرة
 فلاكها حتى يحد طعمها ثم يعطيا صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتى
 على آخرهم ولا يبقى من القنرة الا النواة فضاوم النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم وبقينهم
 رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ورضى عناهم أمين وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قبض شديد فبزلنا من زلا أصابنا فيه عطش شديد حتى
 ظننا أن رقابنا ستقطع حتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه ويشربه ويجعل ما بقى على كبده
 وحتى ان الرجل كان يذهب يلتس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع فقال أبو بكر
 يا رسول الله ان الله تعالى قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله تعالى قال أنحب ذلك قال نعم فرفع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجع حتى أغلقت السماء ثم سكبت فلا تاما معنا ثم ذهبنا
 ننظر فلم نجد هاجوز العسكر (من بعدما كاذرتيغ) أى قرب أن تميل (قلوب فريق منهم) أى هم
 بعضهم عند تلك العسرة العظيمة أن يعارق النبي صلى الله عليه وسلم لكنه صبر واحتسب
 ولم يرد الميل عن الدين فلذلك قال الله تعالى (ثم تاب عليهم) لما صبروا وثبتوا وندموا على ذلك الامر
 العسير (فان قيل) قد ذكر الله تعالى التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فافائدة التكرار (أجيب) بأن الله
 تعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه
 بذكر التوبة مرة أخرى تفعيلا للشأنهم وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم وقرأ
 حفص وحزرة ريغ بالياء على التذكير لأن تأنيث القلوب غير حقيقي والباقون بالتاء على التأنيث
 وأدغم أبو عمر والدال من كادى التاء بخلاف عنه (انهم هم رؤوف رحيم) هاتان صفتان لله
 تعالى ومعناها متقاربان فالرأفة عبارة عن السعي في ازالة الضرر والرحمة عبارة عن السعي
 في ابطال المنفعة وقيل احداهما للرحمة السابقة والاخرى لله مستقبلة وقوله تعالى (وعلى
 الثلاثة الذين خلفوا) أى عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومراوة بن الربيع
 معطوف على الآية الاولى والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين انبعوه
 في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهذه الثلاثة
 كلهم من الانصار وهم المذكورون في قوله تعالى وآخرون هم رجون لامر الله روى عن ابن
 شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من قبله
 حين عمى قال وكان أعلم قومهم وأوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال سمعت كعب

ابن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب
كان من خبري حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم ~~أ~~كن
قط أقوى ولا أيسر حين تخلف عنه في تلك الغزوة والله ما جفت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما
في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى كانت
تلك الغزوة فأخبرهم بوجهه الذي يريد فتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه
قطعة فقتل اغدولكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتبادر بي حتى أسرعوا
فهممت أن أرتحل وأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك وكنت اذا خرجت في الناس بعد
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني ان لا أرى لي اسوة الا رجلا لا مغرمضا في النفاق
أو رجلا من عذر الله تعالى من الضعفاء ولم يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك
فقال وهو جالس في القوم تبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه بزداه
والنظر في معظمية فقال معاذ بن جبل يس ما قلت والله يا رسول الله ما علمت عليه الا خيرا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه فأفلا
حضرني همي وطفقت أذكر الكذب وأقول بما أخرج به من مضطه غدا واستعنت على ذلك
بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلت فادماراح عني الباطل
وعرفت اني لم أخرج بشي أبدا فسه ~~ك~~كذب وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان
اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس وجاءه المخلفون يعذرون اليه
ويخفون له ~~و~~كانوا تسعة وعشرين رجلا فقبل منهم صلى الله عليه وسلم علاقتهم ورايهم
واستغفر لهم وكل سرأثمهم الى الله تعالى فحنته فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضبان ثم قال فحنت
أمنني حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد أتعت ظهرك قلت بلى يا رسول الله والله
لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت ان أخرج من مخبطك بعذر ولقد أعطيت جزا ولكنني
والله لقد علمت اني حدثت اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يضطك علي ولئن
حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر والله
ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد
صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا الى والله ما علمنا لك
كنت أذنبت ذنبا قبل هذا وقد كان كافيك لذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لهم
هل أتى هذا مني أحد قالوا نعم رجلان قالوا مثل ما قلت فقبل لهم ما مثل ما قبل لك فقلت من هما
قالوا امرأتان من الربيع وهلال بن أمية فذكر والي رجلين صالحين قد شهدا بدر ففهم السوء
فخصيت حين ذكر وهما لي ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا بها الثلاثة من بين من
تخلف عنه فأجبتنا الناس وليننا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبنا فاستسكانا وقعدا
في بيوتهم مما يليك وأما أنا فكنيت أثبت القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلوات مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين وأطوف بالاسواق ولا يكلمني أحد وأتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفقتي بردة
 السلام على أم لا ثم صلى قرياً منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظرت إلى وإذا التفت
 نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة
 وهو ابن عثماني وأحب الناس إلى فسالت عليه فوالله ما ردت على السلام فقلت يا أبا قتادة انشدك
 الله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله
 ورسوله أعلم ففاضت عيناى وبوليت فينبأ أنا أمشي في سوق المدينة إذا ببطي من أنباط الشام
 من قدم بالطعام يبعه يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني
 فدفع إلى كتاب من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فقد بلغني أن صاحبك جفاك ولم يجعلك الله بدار
 هوان ولا مضيقه فالحق بناؤنا وسبك فقلت حين قرأته وهذا أيضاً من البلاد فيجتمعت به التنوير
 فسبحرته به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحسب أمرنا أن نعزل نساءنا ولا نفر بهن فقلت
 لا أراى الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله تعالى في هذا الأمر قال كعب فجاءت امرأة
 هلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له إن هلالاً شيخ ضعيف ليس له خادم هل تكره
 أن أخدمه فقال أخدمه وليكن لا يقر بك قالت والله أنه ما به حركة إلى شيء والله لا يزال يبكي
 منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في امرئك لآذن لك كما آذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا استأذن
 فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول إذا استأذنته فيها أو أبا رجل شاب فلبثت
 بعد ذلك عشرين ليلة حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن ككلامنا فمليت صلاة الفجر صبح حسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فينبأ أنا
 جالس على الحال الذي ذكره الله تعالى في قوله (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)
 أى مع رحبها أى سعتها فلا يجدون مكاناً يطمنون إليه (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم
 بالغم والوحشة أى بتأخير توحيدهم فلا يسعها سرور ولا أنس (وظنوا) أى أيقنوا (أن) مخففة
 (لأن) من الله إلا إليه ثم تاب عليهم) أى وفقهم للتوبة (ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)
 إذ سمعت صوت صارخ أو في جبل سلع ينادى بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت
 ساجداً وعرفت أنه جافرج وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا
 حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون ورجل رحل إلى
 فرس وسعى ساع من أسلم فأوفى إلى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي
 سمعت صوته يشترى نزعته له ثوبى وكسوته إياهما والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين
 فلبستهما واطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقي الناس فوجاً فوجاً يهتفون بالتوبة
 ويقولون ليهلك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله بهرول حتى صاحفني وهنأنى رضى الله تعالى عنه
 والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها طلحة قال كعب فلما سلت على

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور بأشهر بخير يوم مر عليك منذ
 ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق
 على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبه • ولما
 حكهم الله بقبول توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل فعل ماضى وهو الخلف عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى بترك
 معاصيه (وكونوا مع الصادقين) أى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم
 أجمعين فى الغزوات ولا تكونوا تخلفين عنها والسين مع المتألفين فى البيوت وقيل كونوا مع
 الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يمتدروا بالاعتذار الباطلة الكاذبة وقيل مع عني من
 أى وكونوا من الصادقين * (تنبيه) • فى الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ويدل
 عليه أيضاً أشياء منها ما روى عن ابن مسعود أنه قال عليكم بالصدق فإنه يقرب إلى البر والبر
 يقرب إلى الجنة وإن العبد ليصدق فيكتب عند الله تعالى صدقاً وإياكم والكذب فإن الكذب
 يقرب إلى القصور والفجور يقرب إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً
 ألا ترى أنه يقال صدقت وبررت وكذبت وفجرت ومنها ما روى أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال انى رجل أريد أن أومن بك ألا أنى أحب الخير والزنا والسرقة والكذب والناس
 يقولون أنك تحرم هذه الأشياء ولا طاعة لى على تركها فان قنعت عنى بترك واحدة منها فقلت
 فقال صلى الله عليه وسلم اترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه
 وسلم عرضوا عليه الخير فقال ان شربت وسألتى النبي صلى الله عليه وسلم وكذبت فقد نقضت
 العهد وان صدقت أقام على الحد فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاءه ذلك الخاطرف فتركه وكذا
 فى السرقة فماد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب
 انسدت أبواب المعاصى على وفات الكل ومنها ما قيل فى قوله تعالى حكاية عن ابليس فعزتك
 لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين لأن ابليس اتعذرك هذا الاستثناء أنه لو لم يذكره لصار
 كاذباً فى ادعاءه أن كل الكذب فذكر هذا الاستثناء وإذا كان الكذب
 شيئاً يستنكف منه ابليس لعنه الله فالسالم أولى أن يستنكف منه ومنها قول ابن مسعود
 الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولأن بعد أحدكم أخاه ثم لا ينجزله أقرؤا ان شتمت وكونوا
 مع الصادقين (ما كان) أى ماسح وما ينفى بوجه من الوجوه (لاهل المدينة) أى دار الهجرة
 ومعدن النصره (ومن حوله) أى فى جميع نواحي المدينة الشريفة (من الأعراب) أى
 سكان البوادرى وهم من زينة وجهية وأشجع وأسلم وغفار وقيل عام فى كل الأعراب لأن اللفظ
 عام وجهه على العموم وأولى وقوله تعالى (أن يتخلفوا عن رسول الله) أى عن حكمه وقوله تعالى
 (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى بأن يصونوها عما مرضى لنفسه عليه الصلاة والسلام من
 الشدايد ويجوز فيه المنصب والجزم على أن لانهية روى عن أبي خزيمة أنه بلغ بسنانه واستوى
 ونضح وله امرأة حسناء فرشت له الطل وبسطل له الحصى وقرت له الرطب والماء البارد فقال

ظل ظليل ورطب ابع أى ناضج وما بارد وامرأت حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومزكرا لريح فقد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا ابراكب يزهاه السراب أى يدفعه وهو عبارة عن
 السرعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباحية فكان هو فخرج به رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واستغفره (ذلك أى النهى عن التخلف بأنهم) أى بسبب انهم (لا يصيهم ظمأ) أى
 عطش (ولانصب) أى تعب (ولا تخصه) أى جماعة (فى سبيل الله) أى فى طريق دينه
 (ولا يبطون) أى يدوسون وقوله تعالى (موطنا) مصدر أى وطأ وطأ مكان وطأ (يدفع) أى يقض
 (الكفار) أى وطؤهم له بأجلهم ودوابهم (ولا يثألون من عدوئنا) أى قتلا وأسر أو غنمة
 أو هزيمة ونحو ذلك قليلا كان أو كثيرا (الاكتب لهم به) أى بذلك (عن صالح) أى ثواب
 جزيل عند الله تعالى يجازيهم به (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى لا يترك ثوابهم وأظهر
 موضع الاضمار تنبيه على أن الجهاد احسان * (تنبيه) * فى هذه الآية دلالة على أن من
 قصد طاعة الله تعالى كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة
 عند الله تعالى وكذا القول فى طرف المعصية فإن حركته فيها كلها سيئات فإعظم بركة الطاعة
 وما أكبر ذل المعصية الآن يغفرها الله تعالى * عن أبى عيسى رضى الله تعالى عنه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله تعالى على النار
 (ولا ينفقون) فى سبيل الله (نفقة صغيرة) غرة فادونها (ولا كبيرة) أى أكثر منها مثل ما أنفق
 عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون) أى يجاوزون (واديا) أى أرضا
 فى سيرهم مقبلين أو مدبرين (الاكتب لهم) ذلك من الاتفاق وقطع الوادى (ليجزهم الله
 أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب
 * (فائدة) * الوادى كل منفرج بين جبال وأكام يكون منفذا للسبيل وهو فى الأصل فاعل من
 ودى إذا سال ومنه الوادى وقد شاع فى استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل فى وادى
 غيرك * (تنبيه) * فى الآية دليل على فضل الجهاد والاتفاق فيه ويدل عليه أشياء منها ما روى عن
 ابن مسعود قال جاء رجل بشاقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة ومنها ما روى عن زيد بن خالد أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل
 الله فقد غزا ومنها ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها موضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما عليها
 وفى رواية وما فيها ومنها روى عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أى الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه فى سبيل الله قال ثم أى قال ثم رجل فى شعب من
 الشعب يعبد الله تعالى وفى رواية يتقى الله ويعد الناس من شره وقوله تعالى (وما كان المؤمنون
 لينفروا كافة) فيه احتمالان الاول أنه كلام مبتدأ لاتعلق بالجهاد والثانى أن يكون من

بقية أحكام الجهاد فعلى الأول يقال وما استقام لهم أن ينقروا جميعا التوغز ووطب علم كما
لا يستقيم لهم أن ينطبقوا جميعا فإنه يحل باصر المعاش (قلولا) أي فهلا (نقر من كل فرقة) أي
قبيلة (منهم طائفة) أي جماعة ومكت الباقون (ليتقهوا) أي ليتكفوا التفقاهة (في الدين)
ويجتنبوا مشاق تخص بلها لم يفوا الحلال من الحرام ويدعوا إلى أوطانهم (وليذكروا)
قومهم إذا رجعوا إليهم) أي وليجعلوا غاية دينهم ومعظم غرضهم من التفقاهة إرشاد القوم
وإنذارهم وتخصيصه بالذكر لأنه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وأنه ينبغي أن يكون غرض المتكلم فيه أن يستقيم ويقسم لا الترفع على الناس وصرف
وجودهم اليه والتبسط في البلاد ليدخل في قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين وفي قوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد ~~كفضل~~ على أدناكم وفي قوله
صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله تعالى له طريقا إلى الجنة (لعلهم
يحذرون) عتاب الله تعالى بامتنال أمره ونهيه وعلى الاحتمال الثاني يقال انه لما نزل
في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفي وانقطعوا عن التفقه فأمر وأبان بنقر من كل فرقة
طائفة إلى الجهاد ويمكت الباقون يتدقحون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد إلا كبر لأن
الجسد بالبطء هو الأصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتقهوا وليذكروا الباقين
الفرق بعد الطوائف السابقة للفرز وفي رجعوا للطوائف وليذكروا الباق قومهم النافرس
إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والتي
قبلها بالنهي عن تخلف أحد فيما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلوونكم من الكفار) أمر وابتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر صلى الله عليه وسلم أولا
بأنذار عشيرته الأقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب
الطائفة غز الشام وقبيلهم قرينة والنضير وفدك وخيبر وقبيل الروم كانوا يسكنون
الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المنقرض على أهل كل ناحية أن
يقاتلوا من ولهم مالم يضطر والى أهل ناحية أخرى (وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة وصبر على
القتال والغلظة ضد الرقة أي اغلظوا عليهم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة
والحراسة (وإذا ما أنزلت سورة) من القرآن (فثم) أي المتأخرون (من يقول) أي لأصحابه
انكارا واستهزا بالمؤمنين (أي بكم زادته هذه) السورة (إيمانا) أي تصديقا قال الله تعالى
(فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) بزيادة العلم الحاصل في تحصيل السورة وانضمام الإيمان بها وما
فيها إلى إيمانهم (وهم يستبشرون) أي يفرحون بنفولها لأنه سبب زيادة كمالهم وارتفاع
دجاتهم (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق فيهم الشك في الدين مرضا لأنه فساد
في القلب يحتاج إلى علاج كالمرض في البدن إذا حصل يحتاج إلى علاج (فزادتهم) أي السورة
أي زولها (رجسا إلى رجسهم) أي كفر أباها مضموما إلى الكفر بغيرها (وملأوا) أي هؤلاء
للمنافقين (وهم كافرون) أي وهم جاحدون لما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم

قال مجاهد في هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص وكان على رضى الله تعالى عنه
 يأخذ بيد الرجل والرجلين من الصباية ويقول تعالوا حتى نزداد إيماناً وقوله تعالى (أولايرون)
 قرأه حمزة بالتاء أى أيها المؤمنون والباقيون بالياء على الغيبة أى المنافقون (أنهم يفتنون) أى
 يبتلون (في كل عام مرة أو مرتين) بالامر اض والقطط والحرب (ثم لا يتوبون) من نفاقهم ونقص
 عهودهم إلى الله تعالى (ولا هم يذكرون) أى ولا يتعظون بما يرون من نصرته صلى الله عليه وسلم
 وتأييده (وإذا ما أنزلت سورة) فيها عيب المذاقة بين نوب بعضهم وقرأها صلى الله عليه وسلم (نظر
 بعضهم إلى بعض) أى تغاضوا وبأبصارهم انكاراً لها وخسرية أو غيظاً لمناقضها من عيوبهم
 ويريدون الهرب يقولون (هل يراكم من أحد) أى من المؤمنين إذا قمتم فان لم يرههم أحد قاموا
 وخرجوا من المسجد وان علموا أن أحداً يراهم ثبتوا على تلك الحالة (ثم انصرفوا) على كفرهم
 ونفاقهم وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون وقوله تعالى (صرف الله
 قلوبهم) أى عن الهدى يحتمل الاخبار والدعاء (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون)
 أى لسوء فهمهم وعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من جنسكم عربى مثلكم وهو
 محمد صلى الله عليه وسلم تعرفون حسبه ونسبه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما ليس قبيلة من
 العرب الا وقد ولد النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه
 شيء من ولادة الجاهلية من زمن آدم عليه السلام وعن الطبراني قال صلى الله عليه وسلم انى
 خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني الانكاح كنيكاح الاسلام وعن واثله بن الاسقع
 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كاتبة من ولد اسمعيل واصطفى قريشاً
 من كاتبة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وقرأ أبو عمرو وحزمه والكسائي
 بادغام دال قدفى الجسيم والباقيون بالاطهار (عزيز) أى شديد شاق (عليه ما عنتم) أى عنسكم
 وابتأواكم المكره وقيل يشق عليه ضلالتكم (حريص عليكم) أى ان تهتدوا وعلى ابطال الخير
 اليكم (بالمؤمنين) أى منكم ومن غيركم (رؤف) أى شديد الرحمة بالمطيعين (رحيم) بالمذنبين
 وقدم الابلق وهو الرؤف محافظ على القواعد وعن الحسن بن الفضل لم يجمع الله تعالى لاحد
 من الانبياء من اسمين من أمته الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفاً رحيماً وقال تعالى
 ان الله بالناس لرؤف رحيم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عبد الله همزة من رؤف
 والباقيون بالقصر (فان تولوا) أى فان أعرضوا هؤلاء الكفار والمنافقون عن الإيمان بالله
 ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وناصروا الحرب (فقل حسبى الله) أى يكفينى الله وينصرنى
 عليكم وانما كان كافياً لانه (لا اله الا هو) فلا مكافى له ولا راد لآمره ولا يقب الحكمة (عليه
 نوكات) أى فلا أرجو الاياه ولا أخاف الامنه لان أمره نافذ في كل شيء (وهو رب العرش) أى
 الكرسي (المنظوم) وخصه بالذكور شريفاً له ولأنه من أعظم مخلوقاته سبحانه وتعالى روى عن
 أبي بن كعب قال آخر ما نزل من القرآن هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر

السورة وقال هما أحدث الآيات بالله عهدا وما رواه البضاوي رحمه
الله تعالى تعالى تَعَالَى كَشَافٍ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أُنْزِلَ عَلَى
الْقُرْآنِ إِلَّا آيَةٌ أَوْ سِرٌّ فَاحِرٌ فَأَمَّا خِلَافُ سَوْرَةِ بَرَاءَةِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ فَأَنْتُمْ إِمَامٌ أُنْزِلَ عَلَى وَمَعَهُمَا سَبْعُونَ أَلْفَ صَفٍّ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ حُدِّثَتْ مِنْكَ وَمُخَالَفُ الْمَاثِرِ عَنْ
أَبِي مَنْ أَنْ أَخْرَجَ نَزْلَ الْآيَاتِ
أَتَهَيَّ وَاللَّهُ سَجَّاهُ
وَتَعَالَى أَعْلَمُ

• (تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله «سورة يونس»)

